

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « متاراً ، كثر الطريق »

مصر ٢٩ شعبان ١٣٣٤ — ٨ السرطان (ص ١) ١٢٩٤ هـ ش ٣٠ يونيو ١٩١٦

فاتحة السنة التاسعة عشرة للهجرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك اللهم وبمحمدك أنت المحمود على كل حال ، عالم الغيب
والشهادة الكبير المتعال ، قوي الحال عظيم النوال ، تعطي من تشاء ولو بغير
سؤال ، وتحول ما شئت من حال الى حال ، قوة بعد ضعف ، وغنى بعد
فقر ، وعز بعد ذل ، وكل ضد يعقبه ضد ، فما رفع الله شيئاً الا وضعه ،
ولا وضع شيئاً الا رفعه ، وكل شيء عنده بمقدار (١٢ : ١٣) إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ
مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُبَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ
وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)

نحمدك اللهم بالقدوة والآصال ، وأصلي ونسلم على محمد خاتم رسلك وآله

وصحبه خير صلب وآل، وعلى من تقدمه وتقدمهم من النبيين والمرسلين، ومن تأخر عنهم من الصديقين والشهداء والصالحين، واهدنا اللهم صراطهم المستقيم في الدنيا من الاخلاق والاعمال، (١٤: ٢٣ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خيال)

أما بعد فإن المنار يذكر قراءه على رأس عامه التاسع عشر، بأن يعتبروا بما نزل بأقوى أم البشر، من آثار عزته تعالى وقوته، ومظاهر عدله وحكمته، الدالة على أنه هو الذي يغير ولا يتغير، ويبدل ما شاء بما شاء ولا يتبدل، وأن الامن من مكروه غرور ووبال، والقنوط من رحمة كفر وضلال، وأن القوة لا تغلب الحق، ولكنها قد تكون بالحق وللحق ومن الحق، وإن الحق ليس بمجرد دعوى اللسان، ولا مجرد ما يجري عليه الناس من عرف واصطلاح، فحق الملك وسياسة العباد، لا يجب أن يورث عن الآباء والاجداد، وإنما أحق الناس بأمر الناس، من كان أنفعهم للناس، واقامة سنن الله تعالى في الاجتماع (١٨: ١٣) أنزل من السماء ماء فسالن أوديةً بهدرها فاحتمل السيل زبدًا رايًا، ومما يؤقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله، كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض، كذلك يضرب الله الامثال)

ثم يذكرهم على عادته بما طرأ على سير الاصلاح، بعد أن خفت أصوات المعارضة في جميع الاقطار، وهو شيء حدث في هذه الديار، ذلك بأن فيها كغيرها أناسا اغتروا بمظاهر القوة المادية، فاحتقروا قوى العقائد والفضائل الروحية، وفتنوا بتقليد الاقوياء بما هو من آفات القوة

ومفاسدها ، لا من أسبابها ولا من محامدها ، كالسرف في الزيت والترف ، والانهماس في الشهوات واللذات ، وأعجب أمرهم أن منهم من يدعون الدعوة الى الإصلاح ، والصعود بالضعفاء الى مستوى الاقوياء أولئك هم الملاحدة المتفرنجنوف ، الذين يفسدون في الارض ولم يصلحون ، وانما حجتهم على عامة المسلمين ، سوء حال كثير من المعممين : وتذللهم للامراء والحاكين ، وذمهم بمصيبة الدين ، وان هؤلاء الملاحدة لقوة من غيرهم لا من أنفسهم ولكنهم يعتزون بها ، وإن منهم من يكيده للمؤمنين مكايده لا يفتنون لها ، وان للمؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم خافلون عنها ، وانما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه ، فاذا قذف عليه دمه ، وان بقاء الباطل لا يلى زوال (٤٠ : ٢٥ وما كيد الكافرين الا في ضلال)

قد كان ملاحدة قطرنا هذا أجبين ملاحدة المسلمين وأخوفهم من اظهار الكفر ، على كونهم أجراًهم على الجهر بالفسق ، ثم تجرأ أفراد منهم منذ سنين على التصريح به أو ببعض لوازمه في الجرائد ، بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك في المجالس ، ومنهم من ألف كتباً أو رسائل في ذلك ، ثم بلغنا في العام الماضي أنهم ألفوا جمعية لاجل التعاون على تشكيك الناس في الإسلام وجذبهم الى الإلحاد ، والطمع في عقائد الدين وآدابه وأحكامه ولا سيما الآداب والاحكام الخاصة بالنساء . وأنشأوا لهم صحيفة لدسّ الدسائس ، وبث الوسوس ، وتوجيه العناية فيها الى نابتة المدارس ، وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للقدية والصد عنه ، والتشويه بالجديد والترغيب فيه ، وان لهم لأنصاراً في القصور والدواوين ، وفي المدارس واكبر معاهد الدين ، وقد استفادوا من تقييد

حرية المطبوعات بسبب الحرب، ما كفوا به أقلام من تصدّى لاجباب بعض
 دسائسهم من أهل الحق، وأنهم ليختلبون أبواب المختبلين من الشبان والشابات،
 بما ينمقون من زخرف الشبهات، (٢: ٢٠٣) ومن الناس من يُعجبك قوله
 في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ٢٠٤ وإذا تولى
 سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)
 فهذا قد وجب على أهل الإصلاح أخذ الابهة لجهاد جديد، هو
 أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد، فإن أصحاب الخرافات عزّل
 وهؤلاء الملاحدة مسلحون، وأولئك ضعفاء متفرقون، وهؤلاء أقوياء
 مجتمعون، وأولئك غافلون متواكلون، وهؤلاء أيقاظ حذرون، فإذا جاهد
 أهل الإصلاح أباطيلهم بمثل ما يجاهدون به الحق، من الاجتماع والتعاون
 والحزم، كانوا حزب الله التاليين (وليتضرن الله من ينصره إن الله
 لقوي عزيز ٤٠: ٥١ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم
 يقوم الأشهاد ٥٢ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)
 إن هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الأزهر وما يتبعه من المعاهد
 الدينية ماداموا يدعون الاسلام بالسنتهم، بل لا يعدمون هنالك أولياء
 وأنصاراً لهم، لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الاعمال، من رابطة
 التناسب والاتصال، ويقال ان لجمعية الاتحاد الجديدة ركنان في الأزهر
 ركنان؛ وإنيهم بذلك أشكوا ان يحدثوا فيه حدثاً مبيناً، ولكنهم لم يصيبوا به
 الا خذلاً ناكاً وفشلاً مبيناً؛ ولان كلامتها يؤثر المنافع الخاصة، ويتوسل اليها
 بما في يده من المصالح العامة؛ ولان أكثر الأزهريين، لا يُنَوَّن بالنظر
 في مكتوبات المتقربين، وما كل من ينظر فيها، يفهم المراد منها، وما

كل من يفهم أن فيها طعناً على الدين يهتم بالدفاع عنه ، وما كل من يهتم منهم بذلك يقدر عليه ، وما كل من يقدر عليه يقوم به . — لأجل ذلك كله لا يحسب هؤلاء الملاحدة للآزهريين حساباً ، وقد يكذب الأزهر ظنهم فيه كيداً بآباء ، وإنما يخافون من رجال الإصلاح سواء كانوا من الأزهر أو من غير الأزهر لأنهم أقدر الناس على اظهار عوارهم ، وتقليم أظفارهم ، ولأن كل ما يزعجهم ويتقربون به الى الامة من السعي الى ترقيتها وتمدنها ، قد سبقهم اليه طلاب الإصلاح الاسلامي مع المحافظة على مقومات الامة ومشخصاتها ، وإنما أركانها الدين واللغة والعادات والازياء ، وهم يحاولون هدم ذلك كله بلا استثناء.

واضرب لهم مثلاً ما قاله أحد الظرفاء مفاكها للاستاذ الامام — وهو في مرض موته — قال: ان طريقتك في تفسير القرآن قد أضرت الامة أعظم الضرر! قال الاستاذ لماذا؟ قال لأنها أبانت للناس أن الدين موافق للعقل والعلم وركن من أركان المدنية ، فتعذر علينا ما كنا نحاول من هدمه بدعوى انه عقبة في سبيل ترقينا في دنيانا. فمن هذه الجملة التي عبر قائلها عن خدمة الاستاذ الامام العلي الدين والمسلمين ، ينجلي لنا رأي هؤلاء الملاحدة في الإصلاح والمصلحين (١٤ : ٢٧) يثبتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) . من أجل هذا كانت مدرسة الدعوة والارشاد قد ندى في أعينهم ، وشجى في حلوهم ، وطخا على قلوبهم ، وما زالوا يكيدون لها ، حتى حالوا دون أعظم اعانة كانت تنتظرها ، وقد كان أشدهم سعياً وسعاية ، أشدهم استهزاءً بالدين ووزارية ، ذلك الذي كلما عن مطعن يلوي عنقه ويهزأ كفافه ،

ويُنْفَضُ رأسه ويُنْثِي أعطافه، ويتبسم ساخراً، أو يُغْرِب ضاحكاً — ذلك الذي يعلم رئيسه الآن، أنه يأكل لحم الخنزير جهرًا في نهار رمضان، ولو زدنا في وصفه لعرفه كثير من الناس، وانما الغرض بيان الصفات والاعمال وعلى هذه الشاكلة كل اولئك الصلّال، الذين لم يرضوا بسكوت المسلمين لهم على الضلال، حتى تصدوا للعدوان والصلال، (٥٨:١٤) وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم، وإن كان مكرهم لنزول منه الجبال)

فهم على ما هم، (٣١:٤٧) ولولوا نشاء لا رينا لهم فلعرقتهم بسيماهم، ولتعرفنهم في لحن القول) وفيما يوجهون اليه القوة والحول، فنهم من يحاول هدم الاسلام، بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن، ومنهم من يبتغي التشكيك فيه بنشر آراء الماديين، من القدماء والاوربيين، ومنهم من يصد عن محبته، بتفضيل ما عرفوا من القوانين على ما جعلوا من شريعته، ومنهم من ينفر عما حرّمه من آدابه الروحية والاجتماعية، تلهذا بما حرّمه من الشهوات الضارة والعادات البهيمية، ومنهم من هم أقصر من هؤلاء نظرا، وأظلم بصيرة وأفسد ذوقا، وهم الذين يحتقرون مشخصات أمتهم (كالجبة والعمامة) ويهزؤن بها، ويرغبون في الاستعاضة بالازياء الغربية عنها، ويتوهمون أنهم قد عرجوا بذلك الى مستوى من فلسفة الذوق والجمال، لا يعرفه الا من خلق في جو الخيال الى أوج السكّال، كخترعات الازياء الجديدة (المودّة) من ربّات النعج والدلال، ولوعقلا ما تجرّه هذه الفلسفة النسائية أو الصبانية من الخزي والنكال، أوقروا وفهموا ما قاله الدكتور سنوك الهولندي في خطبته في مستقبل الاسلام، لودوا لو كانوا من ربّات الحجال، راجعين عن منهج السفور ومخالطة نسلهم للرجال، وانما يلوذ هؤلاء، وأولئك بخلافة

المقال (٢١١:٢) زَيْنَ للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا، والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة، والله يرزق من يشاء بغير حساب) وجملة القول اننا بعد ان فرحنا بنصر الله تعالى لحزب الاصلاح على المبتدعة والدجالين ، قد ابتلينا بتكوين حزب للملاحدة المارقين ، يواليه أفراد من أغرار الشبان وكهول المنافقين ، فاذا ترك هؤلاء وشأنهم ، وسكت لهم أهل الحق على ما يفتنون من سموم أباطيلهم، تعظم جرائمهم، وتنتشر دعوتهم، وتكبر فتنتهم ، وليس الاستظهار عليهم بالامر السير، فان حجتهم داحضة، وغواياتهم متناقضة، وغاياتهم متعارضة، ويخافون الردة الصريحة، ان تحرمهم احترام الامة وبعض مناصب الحكومة، فالجريء منهم على التصريح بالكفر على رموس الاشهاد قليل، وانما يصرحون غالباً بما يظنون أنه يحتمل التأويل، كزعمهم أن النبي عليه الصلاة والسلام، أقر العرب على بعض عباداتهم الوثنية لاجل استمالتهم كما فعل بعض البابوات، وهذا من أقبح البهتان ، فان ما أقره الاسلام من مناسك الحج كان من شريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام، فهو الذي بنى بمساعدة ولده اسماعيل البيت العتيق، وطهره للطائفين والماكفين والركع السجود ، وأذن في الناس بالحج فلبوه من كل فج عميق ومن دعائه عليه الصلاة والسلام، (٣٥:١٤) رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الاصنام

هذا وإن سواد المصريين الاعظم يغار على دينه ، ويذب عنه بشماله ويمينه، حتى ان أكثر المتعلمين في المدارس المتفرجة والافرنجية، ليمتصبون له عصبية سياسية اجتماعية، لا يشعر بمثلها المتعلمون في المعاهد الدينية ، فهم يفتنون من يحمل نفسه داعية للكفر ، ويلفظونه كما تلفظ النخامة

من القم، ويعلمون أن ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوربيين، والتشبه بمن ناهضوا الكنيسة ورجال الدين، ليس بالفرض الصحيح الذي يعذرون فيه، ولا العمل المفيد للعالم فيساعدتهم من لا يؤمن بالآخرة عليه، فهم لا يجدون في الإسلام ولا في رؤسائه تلك الأسباب التي حملت بعض كتاب أوربة وجمعياتها السياسية، على مجاهدة الكنيسة ورجالها والطقس في نفس النصرانية، فالإسلام نفسه أرشد البشر إلى العلوم العقلية والكونية، وأوجب الفنون والصناعات المدنية، وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا إلى قضاء الحرية، وأما رجال الدين الرسميين في مصر فلا مجال لاتهامهم بمصيبة دينية، ولا بمقاومة الحرية العلمية ولا العملية، أتى وشيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية، وشيخ مشايخ طرق الصوفية، قد اشتركوا في جمع الاعانة لجمعية الصليب الأحمر، حتى فرضوا الأول على جميع أصحاب الرواتب في الجامع الأزهر، وحضروا ما كانوا يتحاطون من المحافل، في معاهد التمثيل والفنادق، وقد حضر المفتي حفلة الصلاة على روح لورد كينشن في هذه الأيام، كما حضر الصلاة على روح بطرس باشا منذ أعوام، فلم يبق هؤلاء الملاحدة ما ينتقمونه من هؤلاء العلماء، إلا عدم مشايختهم إياهم على السفور ومخالطة النساء، ولعلمهم لا يرضونه منهم إلا أن يغيروا هذه الأزياء (٧:٣) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝

منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا

السنة وصحتها والشرعية ومئاتها

رد على دعاة النصرانية بعصر

تمهيد في بيان حالتنا مع البشرين

لا يزال دعاة النصرانية (المبشرون) يطمنون على الاسلام بما ينشرون من الرسائل والمقالات، واني أنعم ترك قراءة ما يصل الي من مجلاتهم ورسائلهم حتى لا أفتح على نفسي باب الرد عليهم، اذ رد الشبهات الموجهة الى الاسلام انما يجب على من علمه وجوبا كفاثيا، وقد كنت أكره الرد عليهم لولا ذلك وان كانوا يظنون أنه من مقاصد المنار ومشروع الدعوة والارشاد الذي اكبروا أمره، على أنه لم ينلهم منه أذى يقول ولا فعل، وجب على الطلبة في دار الدعوة والارشاد من قسم المرشدين الذين يسدون لارشاد العوام لمقاومة الشرور والمعاصي الفاشية فيهم، فقد كثرت في هذه البلاد جنائياتهم في الانفس والاموال والزروع، وفشا فيهم السكر والتمار والفحش، نعم ان من مقاصد المنار رد الشبهات عن الاسلام مقاومة للشك والتشكيك فيه، وإثبات أكره الجدل، وأكره تعمد مناقشتهم أو فتح بابها علي لأنهم هم الذين يترضون لها ويتفعون بها، وما أكره من حاجة أهل الكتاب في سنتي المنار الاخيرتين الا في التفسير اذ اففق بلوغي فيه الى سورتي النساء والمائدة المدنيتين، وأكره ما في القرآن من حاجة أهل الكتاب في هاتين السورتين وأقله فيما قبلهما. على ان فيه أيضا ما أوجب الاسلام من إصافهم والعدل فيهم، وبيان مودة النصارى منهم. وقد اتينا من ذلك، ووصلنا الى تفسير السور المكية التي خوطب بها المشركون وقلا يذكر فيها أهل الكتاب الا في سياق بيان سنة الله تعالى في الرسل وأمهم.

لهذا كنا نظن أن باب حاجة أهل الكتاب يكون مغلقا في المنار الى ما شاء الله، ولكن مجلة المبشرين العربية (الشرق والغرب) نشرت في العدد الذي صدر منها في أول الشهر الماضي (ابريل) مقالة عنوانها (السنة وصحتها) طعن فيها على السنة (المنار: ج ١) (٤) (المجلد التاسع عشر)

النبوة وزعمت أن طعننا يوجب الريب في الشريعة وترك العمل بها، وأنها لا قيمة لها في نفسها، وقد حاءنا المجلة فلم نفتحها، ثم علمنا بذلك المقالة فلم نقرأها، ثم رأينا لهذه المقالة تأثيرا سيئا في المسلمين حتى إن منهم من قهلا عن المجلة وطبع كثيرا من نسخها بمطبعة الجلادين ووزعت على الناس ووصلت إلنا نسخة منها، واقتوح علينا كثيرون أن نرد عليها فوجب شرعا اجابة طلبهم

ومما أكد وجوب الرد ما رأيناه في المقالة من مطالبة ثلاث مئة مليون من أهل السنة بالجواب عنها ! فلا ندع لهم مجالا أن يقولوا للمسلمين إنه لم يستطع أحد من علمائكم أن يدافع عن سننكم وشريعتكم، ولا أن يرد شيئا من حججنا عليها ! فما نحن أولاء نرد عليهم ودا يعلمون ويعلم الناس به أنهم لم يتحروا الإمانة فيما نقلوا من كتبنا، ولم يفتوا ما قرؤا منها وما نقلوا عنها، وأن طعنهم في أبي هريرة رضي الله عنه خطأ، وأنه لو صح لم يترب عليه بطلان الثقة بالسنة، ولما رتبوه على ذلك من عدم وجوب طاعة الشريعة، وإنما قصاراه أنهم افتحروا دعوى نسبوها إلى الاسلام، وردوا عليها بما لا يصلح أن يكون ردا

وقد رأينا أن نقل كلامهم بومته على ما فيه من الركاكة والفقو والضعف، وإطلاق بعض الكلام على غير الماتى التي نطلقها عليها، ولكن لا نناقشهم في شيء من الالفاظ لئلا نأثما، ولا في العبارة من حيث ضعفها، بل في المسائل والمصانيف، وقد كان الغرض الأول من نقل عباراتهم بنصها، وعدم تلخيص مسائلها والرد عليها، أن لا يتوهم أحد منهم أو من غيرهم أننا تصرفنا في التلخيص تصرفا يخل بالمعنى المراء، أو حذفنا ما لا يمكن رده بنقض ولا انتقاد، واستنبع ذلك بيان أن القوم لا يوثق بنقلهم ولا بفهمهم، ومن المعلوم بالضرورة أنهم ليسوا كالفلاسفة الذين يبحثون في المسائل لأجل استبانة الحق في ذاته، وإنما يتحرون بالبحث ما يرون فيه سبيلا لطعن والاعتراض، ومجالا للتشكيك وإثارة الشبهات، كما يعلم مما يأتي

﴿ المجلة الاولى من مقدمة الطاعن ﴾

افتتح طاعنهم مقالته بمجلة تتضمن عدة دلووى هذا نصها :

« ان صحة الشريعة قضية لا بد لكل مسلم سني من التسليم بها وذلك متوقف على صحة السنة . فاذا ارتاب أحد في صحة السنة فليس ثمة داع منطقي وجوب إعلاءة الشريعة لأن جانباً قليلاً منها فقط يتوقف على القرآن ، والجانب الأكبر يتوقف على السنة التي اجتمعت في الاحاديث . فاذا ثبت الريب في هذه الاحايث تزعزعت أركان الشريعة وأركان تاييدها من حنفي ومالكي وشافعي وسنيلي . وعددهم لا يقل من ثلاث مئة مليون من الاتباع » اهـ
 تلخص هذه الجملة من كلامه في ثلاث قضايا ونبين ما فيها

القضية الاولى

﴿ زعمه اذا ارتاب أحد في السنة بتفني وجوب طاعة الشريعة ﴾
 هذه القضية ببهيبة البطلان فان الاطلاق في جزاء الشرط يدل على ان المراد من القضية الشرطية ان ارتباب فرد من الافراد في صحة السنة يستلزم انتفاء وجوب اتباع الشريعة على جميع الافراد . وانما المقول الموافق للمنطق ان ارتباب الفرد أو ظنه أو علمه يترتب عليه ما يستلزمه في حق نفسه ولا يكون ذلك مؤثراً في غيره ممن لم يرتب ارتبابه أو لم يعلم علمه ، وكذلك ارتباب الافراد الكثيرين . وقد ارتاب بعض علماء أوربة الاحرار في وجود المسيح عليه السلام وزعموا أنه شخص خيالي — أو متخيل — لم يوجد هـ كما زعم بعض المؤرخين مثل ذلك في هومبروس شاعر أساطير اليونان — فهو استلزام ارتباب أولئك المرتابين فيه انتفاء إيمان مثلات الملايين من المسلمين والنصارى وغيرهم بوجوده عليه السلام ؟

القضية الثانية

﴿ زعمه ان أكثر الشريعة يتوقف على الاحاديث ﴾
 هذه القضية غير مسلمة فان الشريعة عندنا تشمل العقائد والعبرة فيها بالدلالة القطعية وجميع العقائد التي تتوقف عليها صحة الاسلام ثابتة بنصوص القرآن وإجماع المسلمين ، وإثبات الألوهية والنبوة منها مؤيد بالبراهين العقلية ، ولا يوجد شيء منها يتوقف على أحاديث الآحاد التي يمكن الارتباب في بعضها . وكذلك أصول العبادات

كلها قطعية ثابتة بالقرآن والسنة العملية المتواترة التي لا تتوقف على أحاديث الآحاد. وما ثبت من احكام العبادات بأحاديث الآحاد ولم يجمع عليه أئمة العلم فلا تتوقف عليه صحة الاسلام وان كان صحيحا في نفسه ، وانما هو مزيد كمال في علم السنة . وأما أحكام الشرع في المعاملات فأكثرها مأخوذ من القواعد والاصول وسكذا الفروع الواردة في القرآن إما بالنص وإما بدلالة النص وغواه ، ومن القياس الذي توضع فيه بعضهم كالحنفية كالشافعية ، والمصالح العامة التي توسع المالكية والحنابلة. وأقلها من حديث الآحاد . وما بقي من أركان الشريعة بسد العقائد والاحكام العملية الا الاخلاق والآداب ، وجميع ما ورد في الاحاديث من الحكم والنضائل والآداب فهو مستمد من القرآن الحكيم وشرحه له ، بل السنة كلها بيان للقرآن لقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكركتبين للناس ما نزل اليهم) وقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها وصفت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقولها: كل خلقه القرآن .

وقد اختلف العلماء في أحكام السنة التي لا تستند الى نص من القرآن فقبل إنها يوحى من الله تعالى وان الوحي لا ينحصر في القرآن ولكن للقرآن مزايا ليست لغيره من وحي الله الى خاتم رسله ولا الى الرسل قبله ، أعظمها إعجازه والتعبد بتلاوته. وقيل ان الله تعالى أذن لرسوله بأن يحكم وبشرع برأيه واجتهاده ومن تأمل كثيرا من الاحكام التي استدلوا عليها بالسنة وحدها يرى لها ما أخذ من القرآن كتحریم الجمع بين المرأة وبين عمتها أو خالتها في الزواج وكتحریم الاكل والشرب في آنية الذهب والفضة ، وقد بينا ذلك في المنار ، كما بينا تفاوت الافهام في النصوص على درر القرآن ، وأبىن أفهام الناس كلهم فيه من فهمه عليه الصلاة والسلام ، وقد ثبت مع ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يقضي في المسائل السياسية والادارية باجتهاده ، ويستشير فيها أصحابه

القضية الثالثة

(زعمه أنه اذا ثبت الريب في الاحاديث نزلت أركان الشريعة)
هذه القضية غير مسلمة أيضا وفيها إجمال وإيهام . فلذا أراد إثبات الريب في

الاحاديث ما أقاده جلته الاولى من اترتاب بعض الافراد ولو واحدا - فقد يننا
 ان هذا لا يترتب عليه الا ما يستتزمه الاترتاب في نفس المراتب وحده ، واذا أراد
 اترتاب جميع الناس أو جميع المسلمين في جميع الاحاديث فهذا ما وقع ولن يقع ولا
 يعقل أن يقع، وسنشرح ذلك على وضوحه في نفسه، فإن فرضنا جدلا انه يقع فانما
 يتعرب عليه حينئذ الاكتفاء في الدين بما في القرآن والسنة العملية المنقولة بعمل مشات
 الالوف وألوف الالوف منذ العصر الاول ككيفية الصلاة والصيام والحج وغير ذلك
 وبما ثبت بالاجماع والقياس الصحيح ، ولا ينقص من كتب الشريعة حينئذ الا
 الاحكام والحكم التي ثبتت بأحاديث الآحاد وحدها كما ينه في الكلام على
 القضية الثانية

وبهذا وذاك يظهر لك بطلان قوله « نزعزت أركان الشريعة وأركان نابعيا »
 فان أراد بأركان الشريعة أصول العقائد وقضايا الايمان التي يكون بها المرء مؤمنا
 فقد علمت انه لا يتوقف شيء منها على أحاديث الآحاد ، وان أراد أركان
 الاسلام الخمسة فكذلك ، فان معرفة هذه الاركان لا تتوقف على ثبوت الاحاديث
 الواردة فيها فانما يجمع عليها معلومة من الدين بالضرورة ، سواء صح ما ورد فيها من
 الحديث أم لم يصح ، على انه صحيح وقطع الحدة ، وإن أراد بأركان الشريعة أو أركان
 نابعيا أصولها المستمدة منها عند الأئمة الاربعة قوله أظهر بطلانا فان هذه الاركان
 أربعة - الكتاب والسنة والاجماع والقياس - وما أُلحق بها عند بعضهم كالمصالح
 والاستحسان ، فالاحاديث جزء من السنة التي هي ركن من هذه الاركان ، فالترتيب
 في هذا الجزء لا يوجب الاترتاب في الجزء الآخر منها وهو مائت بالتواتر عملا أو
 قولاً ، فكيف يوجب الاترتاب في القرآن وكله متواتر ، وفي الاجماع والقياس ؟
 قلنا ان اترتاب جميع الناس أو جميع المسلمين في جميع أحاديث الآحاد ما وقع
 وان يقع ولا يعتل ان يقع . ويان ذلك ان المعهود من البشر في كل زمان ومكان
 ان يصدقوا خبر كل مخبر - لان الاصل الغالب في أخبار الناس الصدق - الا
 اذا وجدت علة في الخبر أو المخبر تقتضي الاترتاب ، كأن يكون الخبر غير معقول
 أو يكون المخبر معروفا بالكذب . على أننا نرى الناس يصدقون أكثر أخبار الجرائد

السياسة والشركات البرقية على كثرة ما عرفوا من كذبها، واعتقادهم أن
لا صاحبها أهول سياسة يحاولون تأييدها بالحق وبالباطل . فإذا كان هذا شأن
البشر في أمثال هذه الأخبار التي تحوم حولها الشبهات في أنفسها وفي سيرة رواتها ،
فكيف يغل ان يرقبوا في صحة جميع الاحاديث التي صرحها حفاظ المحدثين بعد
قد متونها وإقامة ميزان الجرح والتعديل لكل فرد من أفراد رواتها ، وقد علم أنهم
لا يقبلون في الاحتجاج حديثا متقطع الاسناد ولا حديثا في رواته مجهول أو أحد
ثبت عليه الكذب أو سوء الحفظ أو القسبان أو مخالفة الثقات الاثبات في روايته ؟
ها أنتم أولاء تصدقون أخبار أنجيلكم الاربعة وغيرها من كتبكم وليس عندكم
سند متصل لشيء منها ، وقد اختلف علماءكم ومؤرخوكم في كتابها وفي الفئات التي
كتبت بها ، وفي التواريخ التي كتبت فيها ، فلم يتوفر لكم فيها شيء من النقد
والتحريص الذي توفرنا في قل الحديث ، أفتقلون مع هذا أن نرتاب في تصديق
جميع الاحاديث التي قلنا بنا بدقة لم يعد لها البشر نظيرا في تاريخهم القديم ولا
الحديث — وأنهم يرون أنفسهم وسائر البشر يصدقون أكثر ما يروى لهم بلا سند
ولا بحث في رواته ، بل كثيرا ما يصدقون أخبار من ثبت عليهم الكذب مزورا
كبيرة . كرواة البرقيات والجرائد ؟



﴿ الجملة الثانية من كلام الطاعن ﴾

قال : « وسنثبت في الفصول التالية ان من السهل اثبات الشبهات الملقاة على
تلك الأحاديث . ونحن مثبتون في هذا الفصل وعن الاعتماد على بعض الصحابة
التي تتوقف مئات من الاحاديث على شهادتهم حتى قامت عليها الشريعة ومنها
نشأت السنة ، على ان البخاري الذي اشتهر بنقد رجال الحديث لم يخطئ له ان يرتاب
في صدق الصحابة لانهم كانوا في نظره معصومين من الكذب ، وهذا يدلك على
ضعف حجته ، قد ثبت بوجه لا يقبل الشك ان أبا هريرة وابن عباس لم يكونا
محصنين في رواية الاحاديث . وفرضنا الآن ان نبين أن الريب في أحاديث أبي
هريرة تسرب الى نفوس معاصريه ونفوس الذين جازوا بعده ومع ذلك قد قل

عنه البخاري الاحاديث بالمشات قد اولتها السنة المجتهدين الذين اسسوا المذاهب
الاربية وبنوا عليها نظامهم الشرعي »
أقول تلخص هذه الجملة في قضايا ثابتة في العدد لما تقدم ونبين ما فيها من
انطاط والابطال

القضية الرابعة

(زعمه وعن الاعتماد على رواية المشات الاحاديث من الصحابة كأبي هريرة)
هذه القضية باطلة فانها توم القارى ان الكاتب يثبت في هذا الفصل مطاعن
في عدالة عدة من الصحابة الذين روى المشات الكثيرة من الاحاديث — حتى اذا
ما قرأ الفصل كله لم يجد فيه الا روايات في واحد منهم — وهو أبو هريرة رضي
الله عنه — ويرى ان هذه الروايات لا تسقط عدلته كما نبسطه في هذا المقال .
وهذا مما يزيد قولنا ان هؤلاء الناس يكتبون ما لا يفهمون لانهم اعتادوا الجرأة
على إلقاء المطاعن من غير تفكير ولا زوية ، فهم يتقصون ما يبتون ولا يشعرون

القضية الخامسة

(زعمه أن البخاري لم يخطر بباله الارتباب في صدق الصحابة لاعتقاده عصمتهم)
هذه القضية باطلة أيضا لانها حكم بمصوم السلب ، على شيء يتعلق بالقلب
لا يعلمه الا الرب ، فان مثل هذا الكاتب لا يناقش في مثل هذا التعبير لانه
لا يفرق بينه وبين القول بأن البخاري لا يهتم أحدا من رواية الصحابة بالكذب ،
ولا يغيره من العلل القاذحة في الرواية ، وانما يريد بيان بطلان زعمه ان البخاري كان
يرى أن رواية الصحابة معصومون . والصواب انه كان يرى ويقول إنهم عدول
صادقون لا معصومون ، وما قال هذا القول هو وغيره من قواد الخدثين الا بعد
تدريج تاريخهم كغيرهم من الرواة ، وقد نقل عنه الطاعن ما أراد أن يسقط به عدالة
أبي هريرة وشيئا من تحججه لما يرويه ، فالبخاري كان أعلم من الطاعن بكل ما قبل
في أبي هريرة وبما رواه أبو هريرة ولم يره مسقطا لعدالته ، ولو رآه مسقطا لما روى
عنه في صحيحه . وقد كان البخاري من أمة أهل السنة الذين لا يقولون بأن أحدا

٣٣ دعوى أخذ الأئمة الاربعة الاحاديث عن البخاري [المنار : ج ١ ص ١٩٣]

من البشر معصوم من الكذب الا الانبياء عليهم السلام . وصدق الرواية لا يتوقف على العصمة والا لما قبل أحد من البشر قول أحد بعد تبليغ أنبيائهم الوحي . وانما يكتفى في تصديق الرواية بالعلم بعدالة الراوي وجودة حفظه وضبطه لا برويه ، ولم ينقل عن أحد من مؤرخي البشر وقوله الاخبار مثلاً نقل عن البخاري من شدة التحري في كتابه الجامع الصحيح ، فليأتنا هذا الطاعن بمثله أو بما يقرب منهم من علمائهم ؟ كيف وكتبهم المقدسة تنسب الكذب وغيره من كبائر المعاصي الى الانبياء برأى الله تعالى وصلى الله عليهم وسلم ، وهؤلاء المبشرون وأهل نحلهم لا يقولون بعصمة الانبياء دع عصمة ناقلي كتبهم بغير أسانيد متصلة ولكنهم يقولون ما عزي اليهم . وسنشير الى المقابلة بين رجالنا ورجالهم في هذا المقال ، ولا حاجة الى تنفيذ قوله بضعف حجة البخاري الذي بناه على زعمه أن البخاري يمتد عصمة الصحابة ، فهو ساقط في نفسه وأضعف منه وأستط ما بناه عليه

القضية السادسة

﴿ زعمه أن الأئمة الاربعة أسسوا مذاهبهم على ما رواه البخاري عن أبي هريرة ﴾

هذه القضية الباطلة تدل على مبلغ علم المبشرين الناشئين لهذا المقال وعلى درجة تحريمهم وصدقهم فيما يقولون وينقلون

الحافظ البخاري متأخر عن الأئمة الاربعة أدرك رابعهم الامام أحمد ابن حنبل وتلقى الحديث عنه . وقد جاء في تهذيب التهذيب عن العقيلي أن البخاري لما ألف كتابه الصحيح عرضه على علي بن المديني ومحيي بن معين وأحمد بن حنبل (وكلهم من كبار شيوخه) وغيرهم فامتنعوه وكلهم قال : كتابك صحيح الا أربعة أحاديث . قال العقيلي والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة . والشاهد في هذا النقل أن البخاري أخذ عن أدرك من الأئمة الاربعة ولم يأخذ أحد منهم عنه شيئاً ، ولم يكن أحد من المجتهدين يقلد أحداً في رواية ولا دراية ، وانما يأخذ كل منهم بما صح عنده من الرواية

ولد الامام أبو حنيفة سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠ وولد الامام مالك سنة ٩٣ وتوفي

سنة ١٧٩ وولد الامام الشافعي سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٠٤ وولد الامام احمد ١٦٢ وتوفي ٢٤١ وولد الامام محمد بن اسماعيل البخاري سنة ١٩٤ وتوفي سنة ٢٥٦ وقد رحل من بلاده لطلب العلم سنة ٢١٠ أي بعد وفاة الامام الشافعي بضع سنين وبعد وفاة مالك باحدى وثلاثين سنة وبعد وفاة أبي حنيفة بستين سنة فكيف اجاز لهذا الطاعن في السنة والشرعية دينه وعقله أن يقول ان الأئمة الاربعة أخذوا عن البخاري مارواه من الاحاديث عن أبي هريرة وبنوا عليه نظامهم الشرعي ؟ وكيف توم أنه جاء بعلم وحقائق تزعم هذه الشريعة التي هي أثبت من الجبال الرواسي ؟ أمثل هذه الدعاوى المخترعة تهدم الحقائق الثابتة ؟

﴿ الجملة الثالثة من كلام الطاعن ﴾

الشبهات في أبي هريرة

الشبهة الاولى

(١) قال الطاعن: الارتباب العام في أبي هريرة (بشهادة نفسه) حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله... عن أبي هريرة قال « ان الناس يقولون أكثر أبو هريرة » ولولا آيتان من كتاب ما حدثت حديثا... ان إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصبغ بالاسواق وان إخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وأن أبو هريرة كان يلزم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون . (البخاري جزء أول كتاب العلم صفحة ٣٧) وكتب في الحاشية ما نصه : (جاء في الاصابة لابن حجر جزء ٧ : ٢٣ قوله « انكم تزعمون ان أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله » وقد علل هذا الاكثار برواية غريبة) اه كلام الطاعن الجواب عن هذه الشبهة

استدل الطاعن بهاتين الروايتين على ما سماه الارتباب العام في أبي هريرة ، وفيهم من هذا أنه يوم قارى مقاتله أن جميع أهل عصره أو أكثرهم كان يرتاب في صحة روايته . وهذه دعوى باطلة ، ولغف الناس يصدق بالقليل والكثير قال الله تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) روي في التفسير (المنار: ج ١) (٥) (المجلد التاسع عشر)

المأثور أن الذي قال ذلك هو نعيم بن مسعود قال ان أبا سفيان يجمع لكم الجيش الخ وقيل ان القائل ركب عبد القيس . فالتاس اسم جنس يطلق على الواحد كما يقال : فلان يركب الخيل . وإن لم يركب الا فرسا واحدا ، ويطلق على الكثير .

وقد ثبت أن بعض الصحابة أنكروا اكثار أبي هريرة من التحديث كما هو صريح هذا الحديث الذي اختصره الطاعن من البخاري . وقد صرح في رواية أخرى له بزيادة «ويقولون ما للمهاجرين والانصار لا يحدثون مثل حديثه» ووجه الانكار أن أبا هريرة من متأخري الصحابة فينبغي ان يكون أقل سماعا منهم . ومن المعلوم بالبداهة المتفق عليه من العقلاء الذي يقضون به في محاكمهم ان الاستنكار والاستغراب في مثل هذا لا يقتضي الاتهام بالكذب ، وأن التهمة لا تقتضي بمجرد ما سلب العدالة ، لان من التهم ما يبنى على شبهات وأوهام ، ومنه ما هنا .

وقد أجاب أبو هريرة عن الاكثار هنا بأنه كان يلزم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكاد يفارقه اذ لا تجارة له كالمهاجرين ولا حث له كالانصار فيشغله هذا أو ذاك ، فكان بهذه الملازمة يسمع ما لا يسمعون ويحفظ ما لا يحفظون . ويضاف الى هذا الجواب أنه حدث بما سمعه وما رآه ، وأجوبة أخرى سيأتي بيانها — وأجاب عن أصل التحديث بالآيتين الداليتين على وجوب اظهار العلم وحرمة كتمانها ، وهما قوله تعالى (ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من بينات والمهدي من بعد ما ينناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله) الى قوله (التواب الرحيم) وقد حذف ذلك الطاعن

وأما الرواية الثانية وهي ما نقله الطاعن في الحاشية عن الاصابة لابن حجر فهي رواية أخرى لهذا الارترفيه رواها البخاري عن الاعرج (عبد الرحمن بن هرمز) عن أبي هريرة ، وقال الطاعن انه طلل الاكثار برواية غريبة أي علل كثرة تحديثه بملّة غريبة أي عند الطاعن ، ولم يذكر هذه الملة وهي عين الملة التي في الرواية الاخرى مع زيادة تعدد من آيات النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته — ولذلك لم يذكرها الطاعن وهي : فحضرت من النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا فقال « من ييسط رداه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه اليه قلن ينسى شيئا سمعه مني » فبسطت برودة عليّ

حتى قضى حديثه ثم قبضتها اليّ فوالذي نفسي بيده ما نسبت شيئا سمعته منه بعد.
وروى هذا الحديث احمد ومسلم والنسائي وغيرهم من طرق. وقد فهم أبو هريرة من
الحديث عموم السلب المطلق وصدق عليه ذلك، وان كان لفظ الحديث يحتمل
تقييد العموم بما يقوله صلى الله عليه وسلم مدة بسط الرداء. وستذكر بعض ما قاله
الأئمة النقاد في حفظ أبي هريرة، ولم يرو عنه في الصحيح انه نسي شيئا حدث به
الا حديث « لا عدوى » فانه أنكره بعد ان روى ما يدل على ثبوت العدوى،^(١)
ولعله كان من مراسيله لا من سماعه، فلا يتعارض مع قوله انه ما سمع شيئا ونسيه
أي بعد مسألة الرداء، أو كان من سماعه قبل بسط الرداء.

الشبهة الثانية

(٢) قال الطاعن : تهمة أبي هريرة بالكذب (بشهادة نفسه) : « عن أبي
الزبير قال خرج اليّنا أبو هريرة فضرب يده على جبهته فقال : ألا إنكم
تحدثون أنّي أ كذب على رسول الله لتهتدوا وأضلّ ألا واني أشهد سمعت رسول
الله (صلم) يقول اذا قطع شمع أحدكم فلا يمشي في الاخرى حتى يصلحها »
(جزء ٤ : ٤٤٠) (لا يخفى ما في هذا من الضعف)

(٣) ونقل ابن حجر عن احمد بن حنبل (جزء ٧ صفحة ٢٠٥) قوله « قيل
له ا كذرت فقال لو حدثتكم بما سمعت لم يتموني بالقشع أي الجلود » وقد أردف
هذا بشكوى أخرى وهي قوله « أ كثر علينا أبو هريرة »

(٤) نقل ابن حجر عن عائشة (جزء ٧ صفحة ٢٠٥) ما يأتي : قالت عائشة
لأبي هريرة « إنك تحدث بشي ما سمعته » فأجابها أبو هريرة بما مؤداه انها
كانت مهتمة بزيارتها فلم تسمع ما سمعه هو

(٥) عبد الله بن عمرو بن العاص جاء في كتاب أخبار مكة للأزرقي صفحة ١٣٥
قوله : حدثنا أبو الوليد... عن عبيد الله بن سعد انه دخل مع عبد الله بن عمرو
ابن العاص المسجد الحرام والكعبة محرقه حين ادبر جيش الحسين بن علي والكعبة
تتناثر حجارتها فوقف ومعه ناس غير قليل فبكي حتى أتى لا نظر الى دموعه تحدر

تخلفني عنه... فقال يا أيها الناس والله لو أن أبا هريرة أخبركم انكم قاتلوا ابن نبيكم بعد نبيكم وحرقو بيت الله ربكم لقلتم ما من أحد أكذب من أبي هريرة »

(٦) عبد الله بن عمر جاء في الترمذي جزء ١ صفحة ٢٨١ قوله : حدثنا ابن عمر ... فقال ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمر بقتل الكلاب الا كلب صيد أو كلب ماشية. قيل له إن أبا هريرة كان يقول أو كلب زرع . فقال ان أبا هريرة له زرع « (ولا يخفى ما في هذا من التعرّيع اللطيف)

(٧) — عن الإصابة لابن حجر جزء ٧ صفحة ٢٠٥ . كان أبو هريرة قد روى حديثاً عن الصلاة لم يجب مروان فسأل عبد الله بن عمر فقال عبد الله : لقد أكره أبو هريرة . فقالوا له أنتكر شيئاً مما يقولون ؟ فقال لا ولكن أجراً وجبنا . وبلغ ذلك أبا هريرة فقال : ما ذنبني ان كنت حفظت ونسوا ؟

ولا نفلن قوله « أجراً وجبنا » من قبيل الازدراء فان ابن عمر ما كان ينسب الجبن الى نفسه . اما الجرأة التي نسبها الى أبي هريرة فعناها التهمج والتعدي . ولعل في هذا ما يبيط لنا الشك من مصادر الاحاديث فانه يدلنا على عظم الاستسلام الى رواية الاحاديث غير المدققة . والارجح ان عبد الله لم يكن ليجسر على مقاومة أبي هريرة وإنما جاهر برأيه بلجة الازدراء .

(٨) جاء في الإصابة لابن حجر جزء ٧ صفحة ٢٠٥ ان مروان استاء من كلمة قلما أبو هريرة فاتهمه بالاكثار من الرواية وأردف ذلك بقوله : انما قدم أبو هريرة قبل وفاة رسول الله ... يسير . فقال أبو هريرة : قدمت ورسول الله ... بخير وانا يومئذ قد زدت على الثلاثين فأقت حتى مات »

[ملاحظة — كان محمد في خيبر في سنة سبع هجرية أي قبل موته بنحو أربع سنوات ، فلحادثه المذكورة هنا تبين ان معاصري أبي هريرة أنفسهم كانوا يرون المدة قصيرة جداً لا تفعل إكثاره من رواية الاحاديث التي كان يستشهد بها كلما شاء]
اه كلام الطاعن بحروفه وإشاراته ورموزه وحذفه من الروايات وغلطه فيها وهو كثير ، ومنه قوله « أنتكر شيئاً مما يقولون » وصوابه « مما يقول » يعني أبا هريرة ، وقوله « أجراً وجبنا » وصوابه « اجترأ وجبنا » ولعل هذا الخطأ من الطبع لا من

تحريف الناقل، ولكن بعض غلطه من سوء الفهم قطعا كقوله بعد الحديث القى عزاء إلى أحد: وقد أردف هذا بشكوى أخرى الخ والصواب ان هذه الزيادة ليست من حديث أحمد. ومنه ما فيه من كلام ابن عمر

الجواب من هذه الشبهة

تقول - (أولا) ليس في هذه الروايات التي أوردتها الطاعن تصريح من أحد بأن أبا هريرة قد ثبت عليه الكذب

- وثانها - إن التهمة لا تثبت إلا بالبينة والدليل، بافتراق الشرائع والقوانين وعرف أهل العقل والدل من البشر أجمين، ولم يبق أحد دليلا ولا بينة على أن أبا هريرة كذب، وإنما عرض لبعض الصحابة شبهة في رواية أبي هريرة، ولو ثبتت الشبهة وظلت مجهولة وسعها خيا لصح أن نجعل علة لعدم إلحاق روايته برتبة الصحيح احتمالا، ولكن سبب الشبهة معروف وهو لا يقتضى سلب العدالة ولا عدم الثقة بالرواية

- وثالثا - ان تلك الشبهة سببين (أحدهما) خاص بكثرة الرواية وفيه ورد أكثر الروايات، وحاصلها أن مدة صحبته للنبي ﷺ ثلاث سنين وأشهر وهي لا تنفع للأحاديث الكثيرة التي كان يروها (والثاني) خاص ببعض معين الأحاديث، وهي التي كان يعترف بالتكذيب بها، أو الإيهام أو القتل إذا حدث بها؛ لأنها من أخبار الفتن التي أخبر بها النبي ﷺ قبل وقوعها، وهي ما يسميه النصارى بالبدوات، ولما عرف أهل الحديث سبب الشبهة ظهر لهم أنها لا تدل على أدنى ظن في عدالة أبي هريرة، وبين ذلك من وجوه

أسباب كثرة حديث أبي هريرة

لكثرة حديث أبي هريرة رضى الله عنه أسباب استخرجناها من هذه الروايات (أحدها) أنه قصد حفظ أقوال الرسول ﷺ وضبط أحواله لاجل أن يستفيد منها ويضيق الناس، ولاجل هذا كان يلزمه ومساه، وكان أكثر الصحابة لا يجترئون على سؤاله إلا عند الضرورة، وقد ثبت أنهم كانوا يسرون إقاجاه بعض

الأعراب من البدو واسلموا لأنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم . ومن الدلائل على هذا السبب ما رواه عنه البخاري قال : قلت يا رسول الله من أسمع الناس بشغافتك ؟ قال « لقد ظننت أن يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث » وما رواه أحمد عن أبي بن كعب : ان أبا هريرة كان جرياً على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره . (ثانيها) انه كان يلزم النبي صلى الله عليه وسلم ويقتبه حتى في زيارته لنفسائه وأصحابه ليستفيد منه ولو في أثناء الطريق ، فكانت السنن القليلة من صحبته له كالسنن الكثيرة من صحبة كثير من الصحابة الذين لم يكونوا يرونه صلى الله عليه وسلم الا في وقت الصلاة أو الاجتماع لمصلحة يدعوهم اليها أو حاجة يفزعون اليه فيها ، وقد صرح بذلك لرواه ، وكأسيين ذلك في كلامنا على الشاهد السابع من شواهد الطاعن وأخرج البغوي بسند جيد - كما قال الحافظ ابن حجر - عن ابن عمر انه قال لأبي هريرة : أنت كنت ألزمتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه . وفي الاصابة عنه انه قال : أبو هريرة خير مني وأعلم بما يحدث ، وعن طلحة بن عبيد الله : لا أشك ان أبا هريرة سمع من رسول الله (ص) ما لم نسمع (ثالثها) انه كان جيد الحفظ قوي الذاكرة ، وهذه ميزة امتاز بها أفراد من الناس كانوا كثيرين في زمن البداوة وما يقرب منه اذ كانوا يعتمدون على حفظهم ، وما قاله التاريخ لنا عن اليونان أن كثيرين منهم كرهوا بدعة الكتابة عند ما ابتدؤوا يأخذونها وقالوا ان الانسان يتكل على ما يكتب فيضعف حفظه ، واننا فآخر بحفاظ أمتنا جميع الامم وتاريخهم ثابت محفوظ ، قال الامام الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره . وقال البخاري مثل ذلك الا أنه قال عصره بدل دهره . وأعظم من ذلك ما رواه الترمذي عن عمر (رض) انه قال لأبي هريرة : أنت كنت ألزمتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظنا لحديثه (رابعها) بشارة النبي صلى الله عليه وسلم له بعدم النسيان كما ثبت في حديث بسط الرداء المتقدم وهو مروي من طرق متعددة في الصحاح والسنن (خامسها) دعاؤه له بذلك كما ثبت في حديث زيد بن ثابت عالم الصحابة

الكبير (رض) عند النسائي . وهو ان رجلا جاء الى زيد بن ثابت فسأله فقال له زيد: عليك بأبي هريرة فاني بينا أنا وأبو هريرة وقلان في المسجد ندعو الله ونذكره اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس الينا فقال « عودوا للذي كنتم فيه » قل زيد فدعوت أنا وصاحبي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائنا ، ودعا أبو هريرة فقال: إني أسألك مثل ما سألت صاحباي وأسألك علما لا ينسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آمين » قلنا يارسول الله ونحن نسألك علما لا ينسى . فقال « سبقكم بها الغلام الدوسي »

(سادسا) انه تصدى للتحديث عن قصد لانه كان يحفظ الحديث لاجل ان ينشره ، واكثر الصحابة كانوا ينشرون الحديث عند الحاجة الى ذكره في حكم أوقوي او استدلال ، والتصدي للشيء يكون اشد تذكرا له ويذكره بمناسبة وبغير مناسبة لانه يقصد التعليم لقائه ، وهذا السبب لازم للسبب الاول من اسباب كثرة حديثه

(سابعها) انه كان يحدث بما سمعه وبما رواه عن غيره من الصحابة كما تقدم فقد ثبت عنه انه كان يتحرى رواية الحديث عن قدماء الصحابة فروى عن أبي بكر وعمر والفضل بن العباس وأبي بن كعب وأسامة بن زيد وعائشة وبصرة الغفاري، أي انه صرح بالرواية عن هؤلاء ، ومن المقطوع به ان بعض أحاديثه التي يصرح فيها بإسم صحابي كانت مراسيل لأنها في وقائع كانت قبل اسلامه ، ومراسيل الصحابة حجة عند الجمهور ، وقد روى أيضا عن كعب الاحبار وهو من علماء يهود أسلم في أيام أبي بكر وقيل في أيام عمر ، ووثقه المحدثون ولكن روى البخاري عن معاوية انه قال فيه : ان كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن اهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب . ولم يرو البخاري في صحيحه شيئا لكعب . وقد كان في نفسي شيء من رواية كعب قبل ان أرى ما قاله فيه معاوية ، وأعلم ان كثير من الناس يتهمون بالكذب . ثم رأيت للحافظ ابن كثير كلاما في ذلك فن تدبر هذه الاسباب لم يستغرب كثرة رواية أبي هريرة ولم ير استنكار افراد من أهل عصره لما موجبا للارتباب في عدالته وصدقه ، اذ علم أن سبب

ذلك الاستنكار ، عدم الوقوف على هذه الاسباب ،
على أن جميع ما أخرجه البخاري في صحيحه له ٤٤٦ حديثا بعضها من مجامع
وبعضها من روايته عن بعض الصحابة ، وهي لو جمعت لأمكن قراءتها في مجلس
واحد لأن أكثر الاحاديث النبوية جمل مختصرة . فهل يستكثر عاقل هذا المقدار على
مثل أبي هريرة او من هو دونه حفظا وحرصا على تحمل الرواية وادائها فيجاري
هذا الطاعن في الشريعة على الطعن في الامام البخاري لتخريجها ؟ ؟ كيف وهذا
الطاعن لا يوثق بنقله ولا بفهمه ولا بقصده الى بيان الحقيقة بل فلم علم اليقين أنه يريد
التشكيك والطعن لان هذا هو عمله الذي يمشي له وبه ؟
سبب استنكار بعض حديث أبي هريرة

قل الطاعن في الشاهد الثاني عن ابي رزين أن أبا هريرة قال على مسمع منه
« ألا إنكم تحدثون أني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم » وعزى هذا الى
(جزء ٤ : ٤٤٠) ولم يذكر اسم الكتاب وظاهره زوه الشاهد الذي قبله الى البخاري
انه يعني ان هذا في البخاري أيضا وانما نرفه من رواية مسلم . وذكر في الشاهد الثالث
انه قال لو حدثتكم بما سمعت لرميتوني بالقشع . وصوابه : لو حدثتكم بكل ما سمعت ،
وذكر في الشاهد الخامس عن كتاب أخبار مكة لللازقي أنه قال حين رأى الكعبة محروقة
بعد انصراف جيش الحصين بن نمير : يا أيها الناس لو أن أبا هريرة أخبركم انكم قاتلوا
ابن نبيكم بعد نبيكم ومحرقو بيت ربكم — قلتم ما من أحد أكذب من أبي هريرة .
يعني لو حدثهم حين إحراق بني أمية للكعبة بذلك لكذبوه لان الخبر بما يستبعد
تصديقه . فلم من قوله انه كان يعلم بهذا الحدث قبل وقوعه لانه سمعه من الرسول
(ص) ودليل هذا انه قرنه بخبر مثله في بعده عن الوقوع ولم يكن قد وقع وهو أنهم
سيقتلون ابن نبيهم يعني الحسين عليه السلام وقد وقع ذلك بعد وفاته رضي الله عنه
كان أبو هريرة يعلم ان كثيرا من الناس لا يصدقون الروايات التي تستبعد
حقولهم وقوعها ، وان كانت جائزة في نفسها ، فيتوقع أن يكذبوه اذا هو حدث بها ،
ويظنون أنه عزاه الى الرسول لاجل قبولها ، وكان يعتقد ان بني أمية يقتلونه اذا
هو حدث بكل ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم عن احداثهم ومقاسدهم ، وهذا

هو مراده بقوله الذي رواه عنه البخاري في صحيحه : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائنين من العلم فأما أحدهما فبئته ، وأما الآخر فلو بئته لقطع مني هذا البلعوم . — يشير الى عتقه

قال الحافظ في الفتح : وحمل العلماء الوعاء الذي لم يئته على الأحاديث التي فيها تبين أراء السوء وأحوالهم وزمنهم ، وقد كان أبو هريرة يكتفي عن بعضه ولا يصرح خوفا على نفسه منهم ، كقوله : أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان . يشير الى خلافة يزيد بن معاوية لأنها كانت سنة ستين من الهجرة ، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة . وستأتي الإشارة الى شيء من ذلك في كتاب الفن . اه
وقد وفي الحافظ بوعده هذا في شرح حديث أبي هريرة في أوائل كتاب الفتن من صحيح البخاري وهو قوله لسعيد بن العاص ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية : سمعت الصادق المصدوق يقول «هلكة أمتي على يدي غلظة»^(١) من قریش — وفي رواية أحمد والنسائي «ان فساد أمتي على يدي غلظة سفهاء من قریش» قال مروان : لعنة الله عليهم غلظة . قال أبو هريرة : لو شئت ان أقول بني فلان وفلان لفعلت . أي ولم يكن مروان يعلم حين لعنهم أنهم قومه وأبناءؤه ولكن أبا هريرة هو الذي يعلم ولم يصرح .

وذكر الحافظ في شرحه لهذا الحديث حديثا آخر له من المرفوع في بيان معناه أخرجه علي بن معبد وابن أبي شيبة عنه وهو « أعوذ بالله من إمارة الصبيان — قالوا وما إمارة الصبيان ؟ قال — ان أطلعتموهم هلكتم في دينكم وان عصيتهم أهلكم في دينكم »

فتبين بهذا أن الأحاديث التي كان يتوقع أبو هريرة تكذيب بعض الناس له فيها هي ما كان من هذا النوع ، وظهر بهذا أن ما أورده الطاعن من الشواهد على اتهامه بالكذب لا يفيد شيء . منه أثبات التهمة . وقد بينا آنفا أن رواية أبي

(١) هو جمع غلام ولم يقولوا غلظة مع كونه القياس استثناء عنه بلمة كما في الفتح وفي رواية اغيلة تصير غلظة . والنظام الصبي من حين يولد ان يحتلم قال الحافظ وقد يطلق الصبي والنظم بالصغير على الضميف النقل والتدبير والدين ولو كان محتما وهو المراد هنا فان الحلفاء من بني أمية لم يكن فيهم من استخلف وهو دون البلوغ وكذا من أقروه على الاعمال اه المراد منه

رزين عند مسلم والرواية التي عزاها الى أحمد وهي من طريق يزيد بن الاصم عن أبي هريرة - ورواية عبد الله بن سعد عند الازرقى - كلها صريحة في أن أبا هريرة كان يعتقد أو يظن أن بعض الناس يكذبونه في بعض أحاديث القتن إذا هو حدث بها قبل وقوعها لقراءة موضوعها .

بقي من شواهد الطاعن أربعة (أحدها) قول عائشة له: انك لتحدث بشيء ما سمعته . وقد عزا الحافظ هذا الى تخرج ابن سعد وكتابه ليس في أيدينا فلا ندري أذكر سببه ببيته أم لا ، والظاهر من جواب أبي هريرة أنها أنكرت حديثا رواه لأنها لم تسمه هي من النبي (ص) ومثل هذا وقع لها في أحاديث غير واحد من الصحابة لهذه العلة كارتياها في حديث المراج وفي حديث الرؤية في الآخرة وفي حديث عبد الله ابن عمرو في موت العلماء واتخاذ الرؤساء الجهال الذين يضلون ويضلون ، ففي صحيح مسلم أن عروة بن الزبير سمع هذا الحديث من عبد الله بن عمرو فأخبر به خاتمه عائشة فأعظمت ذلك وأنكرته وقالت له : أحدثك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا ؟ على أنها هي التي أرسلته اليه ليأخذ عنه الحديث قال « قالت لي عائشة : يا ابن أخي بلغني أن عبد الله بن عمرو ما رآنا الى الحج فآله فآله فانه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثيرا » ثم انها مع هذا ومع ما تعلم وبعلم كل الصحابة من ورع عبد الله وعدائته قد ارتابت في هذا الحديث وبقيت مرتابة فيه مدة حول كامل - قال عروة : قلنا كان قابل (أي العام الذي بعد ذلك العام) قالت له : ان ابن عمرو قد قدم فآله تم فآله حتى تسأله عن الحديث الذي ذكر لك في العلم قال فلقية فساءلته فذكره لي نحو ما حدثني به مرته الاولى . فلما أخبرتها بذلك قالت : ما أحسبه الا قد صدق اراه لم يزد فيه شيئا ولم ينقص . والجواب المشهور عند العلماء في مثل هذه المسألة ان من حفظ حجة على من لم يحفظ

(ثانيا) حديث عبد الله بن عمر في قتل الكلاب ، نقله الطاعن عن الترمذي وهو في صحيح مسلم وسنن النسائي وابن ماجه ايضا . وقد قال العلماء ان مراد ابن عمر بقوله « ان لأبي هريرة زعرا » هو أن أبا هريرة كان محتاجا الى معرفة حكم اتخاذ الكلب للزعم لان له زعرا فسأل عن ذلك وحفظه وعمل به . ويؤيد هذا

ويفند زعم الطاعن أنه يريد التفرغ ما صح عن ابن عمر من تفضيل أبي هريرة على نفسه وتقدم بعض كلامه في ذلك ، ومنه الشاهد الآتي الذي عده الطاعن تكذيباً لأبي هريرة وهو عين التصديق والتعديل — وهو : —

(ثالثاً) ما نقله عن الإصابة — وهو الشاهد السابع — من أن مروان سمع من أبي هريرة حديثاً لم يعجبه الخ ما تقدم ، وقد حرف الطاعن الرواية . وهذا نصها : وروينا في فوائد المزكي تخرج الدارقطني من طريق عبد الواحد بن زياد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه « إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه » فقال مروان : أما يكفي أحدنا ممشاه إلى المسجد حتى يضطجع على يمينه ؟ قال لا . فبلغ ذلك ابن عمر فقال : أكره أبو هريرة . فقبل لابن عمر هل تنكر شيئاً مما يقول ؟ قال لا ولكنه اجتراً وجبتاً به بحرفه ^(١)

وعبارة المبشر الطاعن توهم أن ما أورده هو نص ما في الإصابة ولعله يريد بقوله في الحديث « لم يعجب مروان » إيهام القارئ أن موضوع الحديث قبيح أو منكراً بآداب . ثم انه فسر الجراءة التي وصف ابن عمر بها أبا هريرة بالتهجم والتعدي . وهذا من أكبر الجراءة على القول بغير علم فالتعدي معناه المبالغة والمعارضة ولا محل له هنا ، فالطاعن أثبت بهواه معنى غير صحيح ، وفي معنى صحيحاً ، وهو وصف ابن عمر نفسه بالجبن ، والمراد به كما تقدم في بيان السبب الأول من أسباب كثرة حديث أبي هريرة انه كان جريئاً على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم وكان أكثر الصحابة يهابون سؤاله فلا يكادون يسألونه الا لضرورة * فهذا معنى قول ابن عمر اجتراً وجبتاً . وهو قد صرح هنا بأنه لا ينكر شيئاً من قول أبي هريرة . ولكن القسيس المبشر يريد أن يقتنعنا مع هذا التصريح بأنه أنكر كلامه وكذبه !! وقد فسر ابن الأثير « اجتراً وجبتاً » بقوله : يريد انه أقدم على الاكثار من الحديث عن النبي (ص) وجبتاً نحن عنه فكثير حديثه ونقل حديثنا اه

هذا وإن هذا الحديث عن أبي هريرة مطعون في سنده فان راويه عبد الواحد ابن زياد ليس ثقة فيما يرويه عن الأعمش عن أبي صالح كما صرح به الذهبي في

الميزان وذكر هذا الحديث من منا كبره عنه

وأما جملة التحدي التي كتبها الطاعن بغير فهم فهي مصحفة عليه من أثر في الإصابة عن عبد الله بن عمر. قال الراوي: كان ابن عمر إذا سمع أبا هريرة يتكلم قال: أنا نعرف ما تقول ولكننا نجبن ونجتري. أي نجبن عن كثرة التحديث وتجتري أنت عليه. فيكون هذا بمعنى رواية عبد الواحد على الوجه الذي فسرهما به ابن الأثير. ولكن كلمة تجتري صحفت في طبعة الهند للإصابة هكذا «نجتري» ولعل الطاعن رأها في طبعة مصر مصحفة أيضا بفعل من التحدي أو ما يقرب منه، وأنى له أن يعرف الأصل؟

وهذا يثبت قولنا أن هذا الطاعن يكتب ما لا يفهم وأنه لا ثقة بنقله ولا يفهمه، ومن الغريب أنه ترجى أن يكون هذا التفسير الباطل لتلك الكلمة المحرفة من تلك الرواية المنكرة أصلا للطنن في جميع الأحاديث لا لتكذيب أبي هريرة وحده فقال «ولعل في هذا ما يمحيط لنا التمام عن مصادر الأحاديث فإنه يدلنا على عظم الاستسلام إلى رواة الأحاديث غير المدققين، والأرجح أن عبد الله لم يكن يجسر على مقاومة أبي هريرة وإنما جاهر برأيه بلهجة الأزدراء» اهـ

فليتأمل المسلمون بهذا الطاعن بشريعتهم بمثل هذا الخلط والخلط والتحريف والدعاوي المضحكة. ومن ذا الذي لا يضحك من ادعاء هذا المبشر أن عبد الله ابن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين القرشي ما كان يجسر على تخطئة أبي هريرة الدوسي الضعيف؟

كان ينبغي لك أيها القس المحترم أن تلمّ قبل تصديقك لتشكيك المسلم بن دينهم، وتهجمك على الطمن بشريعتهم، أن تلمّ قليلا بتاريخهم، فإنا نرى عوام نصارى بلادنا العربية يعلمون كخواصهم أن حرية النقد واستقلال الرأي عند الصحابة رضي الله عنهم قد بلغت أوج الكمال، وإن أرقى الأوربيين حرية كالانكليز لم يبلغوا درجتهم في ذلك، أنهم يعلمون أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي كانت تحشى بأسه ملوك الأرض ونهايه الانس والجن كان يقول الكلمة على المنبر في المسجد الجامع فتخطه بها المرأة أو الأعرجي فيعتوف بخطه إذا كان

مخطئه، فهل يقال في هؤلاء أن أعظمهم مكانة في العلم والشرف لا يجسر أن يصرح برأيه في تخطئة أضمنهم ؟؟ على أنه كان يكفيك أن تفهم شاهدك الآتي - وهو - (رابعها) ما نقله عن الإصابة محرفاً ناقصاً كالذى قبله - وهو الشاهد الثامن - ونحن ننقله بنصه ليقابله القراء بما نقله ^(١) ويروا درجة أمانته . قال الحافظ :

« وأخرج ابن سعد من طريق الوليد بن رباح : سمعت أبا هريرة يقول لمروان حين أرادوا أن يدفنوا الحسن عند جده : تدخل فيها لا بنيك . - وكان الامير يومئذ غيره - ولكنك تريد رضا الغائب . فغضب مروان وقال ان الناس يقولون أكثر أبو هريرة الحديث وإنما قدم قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبر . قال أبو هريرة قدمت ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين فأقت معم حتى مات و (كنت) أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه وأغزو معه وأحجج ، فكنت أعلم الناس بحديثه ، وقد والله سبقني قوم بصحبته فكانوا يعرفون ليزمي له فيسألوني عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلي وطليحة والزبير ، ولا والله لا يخفى علي كل حديث كان بالمدينة ، وكل من كانت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة ، ومن أخرجه من المدينة أن يسأكنه . قال فوالله ما زال مروان بعد ذلك كافئاً عنه »

فخلاصة هذه الرواية أن مروان بن الحكم غضب لانكار أبي هريرة عليه أمراً كان لاهل بيته (بني أمية) فيه سياسة - والدولة دولتهم - فلم يجد كلمة يشفي بها غيظه الا قول بعض الناس : أكثر أبو هريرة ، فلما بين له أبو هريرة سبب كثاره أذعن له ولم يعد الى مثل ذلك ، أليس من العجائب أن يعتمد هذا القس البشر الى هذه الرواية فيحرفها ليستدل بها على كذب أبي هريرة أو تكذيب الناس له ، وما هي الاحكاية اشبهة الاكثار التي فندها أبو هريرة وأجبنا نحن عنها بما استنبطناه من مجموع الروايات المينة لاسبابها وهي سبعة ؟

وجواب أبي هريرة يدل على جرأته وعلى سعة حرية العرب حتى في عهد معاوية أيضاً ، فانه ذكر لمروان نفي النبي (ص) لوالده الحكم ، وسيأتي بيان ذلك

﴿الجملة الرابعة من كلام الطاعن﴾

(شبهات أخرى في أبي هريرة)

قال: «١ جاء في مجموعة الرسائل للنزالي في كتاب المؤمل الرد إلى الأمر الأول صفحة ٣٢ قوله: «أقلد جميع الصحابة ولا أستعيز خلاصهم برأيي إلا ثلاثة نفر أفس بن مالك وأبو هريرة وسيرة بن جندب... وأما أبو هريرة كان يروى كلما سمع من غيره أن يتأمل في المني ومن غيره أن يعرف الناسخ من المنسوخ»

«انفيس كوله زير هذا القول في كتابه (الظاهري) صفحة ٧٩ ولكن يدون إشارة إلى التيد المذكور، فأبو حنيفة لم يرتب في وثائق أبي هريرة ولكنه ارتقب في قيمة أحاديثه بأخبارها أركانا للشريعة»

«٢ حلقة أبي حنيفة: على أن ارتقب أبي حنيفة وأتباعه في قبول كلام أبي هريرة كان مبنياً على ارتقبهم في وثائقه. فقد قل المصنف في كتاب المحفوظ أنه وقع خلاف بين بضعة من رجال الأئمة في جامع بيناد، فأنكر المختصون الاستشهاد بأبي هريرة لاشتغالهم في صدق روايته، وكان الخليفة هارون الرشيد في جانب الفريق المرتاب» اهـ

هذا ما قاله الطاعن بنصه على ما فيه من التلط والتحريف والابهام من وجوه:

(منها) أن مجموعة الرسائل ليست للنزالي وإنما رسائل لكثير من قبله وبعده (ومنها) أن كتاب المؤمل في الرد إلى الأمر الأول ليس للنزالي كما توهمه عبارته (ومنها) أن قوله «أقلد جميع الصحابة» الخ منقول في كتاب المؤمل عن أبي حنيفة. وظاهر عبارة الطاعن أنه للنزالي لأنه هو الذي سبق ذكره في كلامه.

ولهذا يتوجب من يرى لاحق كلامه وذكره فيه لاني حنيفة

(ومنها) أن الأمل (يروي كل ما سمع) لا (كلما سمع) كما كتبت

الطاعن والفرق بينهما معروف لكل من له إلمام بالعربية

(ومنها) أنه أورد شبهة واحدة؛ وإنما عقد العنوان لشبهات متعددة؛ ولكنه قسم هذه الشبهة إلى قسمين (أحدهما) ادعاؤه أن أبا حنيفة لا يحتاج بالأحاديث التي يرويها أبو هريرة (والثانية) أن أتباعه كذلك لا يحبسون بها

ولعلنا لو راجعنا عبارة حياة الحيوان لاستخرجنا من نقله لما بالمعنى الذي اراده اغلاطا وتحرقات اخرى ، والغرض من هذا بيان ماقلناه اولاً من انه لا يوثق بنقله ولا بفهمه مع القطع بأنه يقصد الطعن لتشكيك المسلمين في الاسلام لا تمحيص الحقيقة ، ولكن بعض خطئه مما لا يهتدي عاقل الى تحليله ، كنسبه كتاب المؤمل ومجموعة الرسائل الى الغزالي ١١

أما الجواب عن هذه الشبهة فهي أن أبا حنيفة لم يظن في رواية أبي هريرة بهذه العبارة ولا بغيرها ولم يتهمة بالكذب ، وهذه العبارة التي فسرها الطاعن بهواه لا بما تدل عليه في عرف الفقهاء لا تنهض حجة له ، فالتقليد عند علماء الشرع هو العمل برأي المقلد (بفتح اللام) لا بروايته ، لا خلاف بين المذاهب في هذا . فأبو حنيفة يقول في هذه الرواية عنه انه يقدم رأي الصحابي على رأيه — أي رأيه الذي يذهب له من الكتاب أو السنة بالقياس — الأري هو لاء الثلاثة ، وعط ذلك بقوله « أما أنس فاخطئ في آخر عمره وكان يقي من عقله وأنا لا أقلد عنه ، وإما أبو هريرة فكان يروي كل ما سمع من غير أن يتأمل في المعنى ومن غير أن يعرف الناسخ والمنسوخ » فقد صرح بأنه كان يروي ما سمعه وهذا ينفي اتهامه بأنه يكذب ، وصرح بأنه ما كان يقصد من الرواية استنباط الأحكام منها بالتأمل في معاني الأحاديث والبحث عن الناسخ والمنسوخ منها ليقدم الأول عند التعارض ، وحاصل ذلك انه راو غير مستنبط فيؤخذ بروايته لأبرأيه وفهمه . وهذا صحيح فإن أبا هريرة كان يقصد بحفظ الحديث اولاً بروايته والاهتداء به بنفسه ، وثانياً نشر السنة وإيصالها الى الناس ليبتدوا بها بحسب اجتهادهم عملاً بوصية النبي صلى الله عليه وسلم المشهورة في خطبة حجة الوداع اذ قال « ليلغ الشاهد القائب قال الشاهد عسى أن يبلغ من هو اوعى له منه » وفي رواية « رب مبلغ اوعى من سامع » وكنتاهما في البخاري وغيره . وفي معنى هذا الحديث ما رواه الترمذي والضياء من حديث زيد بن ثابت مرفوعاً « نشر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو اوفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه »

والرواية الاخرى عن أبي حنيفة وهي الاشهر انه قل : أقلد من كان من القضاة

المقربين من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والعبادة الثلاثة ولا أستعين خلافتهم برأيي الاثلاثة نفر . - وذكرهم - والمراد بالعبادة الثلاثة عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر . وقد ترك الطاعن نقل هذه الرواية من كتاب المؤمل ، لانها أظهر في المراد الذي ينه ، وأبعد عن التحريف الذي ادعاه .

وما زعمه من رد الحنفية للاستشهاد بمحدث أبي هريرة لاشتباههم في صدق روايته اعتمادا على حكاية محرفة نسبها الى حياة الحيوان فهو باطل ، وهذه كتب الحنفية في الحديث واللقه تكذب هذه النصوص ، وصاحب الدار أدري . ومذهب السواد الاعظم من الفقهاء المجتهدين ان رأي الصحابة ليس بحجة في الشريعة سواء كانوا قهلاء مستبطين أو رواة ناقلين ، وانما الحجة في الرواية اذا صحت .

خلاصة الطعن في أبي هريرة والاجوبة عنه

ينحصر طعنه في أبي هريرة في ثلاثة أشياء - ١ - استكثار بعض الصحابة لروايته ، وقد بينا أسبابها المزيلة لاستغرابها ، - ٢ - توقع أبي هريرة لتكذيب بعض الناس له اذا هو صرح بكل ما سمعه ، وقد بينا ان هذا خاص بما سمعه من أخبار الفتن التي اسر اليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا كثيرا منها ، ومثله في ذلك حذيفه ابن اليمان ، وقد ذكر كل منهما بعض ما سمع نصريحا أو تلويحا فوق كما فلا فكان من دلائل النبوة التي لا تحتمل التأويل - ٣ - ان الحنفية لا يحتجون بروايته وإنهم يعتقدون انه كان كاذبا - وهذه دعوى باطلة تكذيبها بالالف من كتب المذهب والملايين من أتباعها

وباراض هذه الشبهات الباطلة إجماع أئمة الفقه ومنهم الاربعة المشهورون على الاحتجاج بما صح عندهم من أحاديث أبي هريرة المرفوعة - وكذا الرسالة عند الجمهور - وثنا كثير من الصحابة ومن بعدهم على سعة حفظه وجودة ضبطه ، وقد ذكرنا بعضها

ومن الغريب ان أبا هريرة اغضب مروان بن الحكم الاموي - الذي كان أمير المدينة ثم صار أمير المؤمنين - وعرض أمامه نمرضا يقرب من التصريح بأن عشيرته هي التي تسعد على المسلمين أمرهم ، ولم يجد مروان كلمة يقولها فيه الا حكاية

[المنار: ج ١ م ١٩] امتحان مروان لابي هريرة وكلام المسيح في بطرس ٤٩

قول من قال : أ كثر أبو هريرة . ولما جبهه بتذكيره بنبي النبي صلى الله عليه وسلم
لوالده (الحكم) من المدينة لم يعد الى تلك الكلمة ولا غيرها ، ولو وجد فيه مغلطاً لما
قصر في التشنيع عليه به

وقد ورد ان مروان امتحنه لعله يعثر عثرة يؤاخذ بها . قل الحافظ في الاصابة :
وقال أبو الزعيزعة كاتب مروان : أرسل مروان الى أبي هريرة فجعل يحذثه وكان
اجلسني خلف السرير اكتب ما يحدث به ، حتى اذا كان في رأس الحول أرسل
اليه فسأله وأمرني ان أنظر فما غير حرفاً عن حرف . اهـ

فياليت شعري ماذا كان يقول هذا الطاعن لو قل أن أبا هريرة غير أو بدّل
أوزاد أو قص في الاحاديث التي حدث بها مروان — واذاً لعاقبه مروان وشهر به
حتى لا يقبل أحد حديثه — أو لو طعن في دينه وإيمانه غير مروان ؟ بل ماذا يقول
هو وسائر دعاة النصرانية لو قل ان النبي صلى الله عليه وسلم طرده كما طرد المسيح
عليه السلام بطرس وسماه شيطاناً وهو كبير تلاميذه ورسله ؟ ففي الفصل ١٦ من انجيل
متى انه طوبه وجعله الصخرة التي ياني عليها كنيسة وقال له (١٩) واصطليكَ مفااتيح
ملكوت السموات فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطاً في السموات وكل ما تحله
على الارض يكون محلولاً في السموات (قال متى) ٢٠ حينئذ أوصى تلاميذه ان
لا يقولوا لأحد انه يسوع المسيح ٢١ من ذلك الوقت ابتداء يسوع يظهر لتلاميذه
انه ينبغي ان يذهب الى اورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة
ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم ٢٢ فأخذه بطرس اليه وابتدأ ينتهره قائلاً حاشاك يا رب
٢٢ قالت وقا لبطرس اذهب غني يا شيطان ، أنت مغترى لي لأنك لا تهتم بما لله
لكن بما للناس)

فهذه الشهادة على بطرس وهذا القلب كان على رواية متى بعد تلك المنحة
والخصوصية التي خصه بها ، فهل نستختها أم يجوز الجمع بينهما ؟ نحن نجيل حواري
المسيح ولا نؤمن بهذه الرواية حتى نحتاج الى الجوب عنها . وفي متى (١٤ : ٣١)
ان المسيح قال لبطرس أيضاً « يا قليل الايمان » وفي ١٧ : ٢٠ وصف التلاميذ كلهم
(المنار: ج ١) (٧) (المجلد التاسع عشر)

بعدم الإيمان وانه ليس لهم منه ولا مثل حبة خردل . ومثل هذه الشهادة متعددة في غيره من الاناجيل . حتى ان منها ما جاء بصيغة المستقبل كقوله لهم بعد ما رأوا آية إطعام خمسة آلاف من خمسة اربعة « انكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون » (يوحنا ٦: ٢٦) وكما وصفهم بعدم الإيمان وصفهم بأنهم أشرار ، روى ذلك لوقا في (١١ : ١٣) من انجيله

ثم ياليت شعري لو وصف النبي صلى الله عليه وسلم أبا هريرة بمثل هذين الوصفين — أو لو وصف بذلك في كتاب الله المجيد — ماذا كان يقول فيه وفي روايته هذا المبشر المحترم واقتبس الجدل الذي وضعته جمعيتهم في أشهر البلاد الإسلامية بالعلم لينصّر المسلمين فيها؟ وهل قبل منا أن نقول له لماذا قبل رواية تلاميذ المسيح بلا سند مع وصف المسيح لهم بما ذكر وهو المعصوم من الخطأ — ولا تسمح لنا بقبول رواية أبي هريرة ولم يجرحه من دون المسيح بمثل ذلك ؟ (لارد بقية)



التعريف بكتابي

منازل السائرين — ومدارج السالكين

وترجمته مؤلفهما

(يان وجه الحاجة الى تحرير التصوف ومكانة الكتابين والشيخين منه)

علماء الاسلام أربعة أصناف : أهل الأثر والتكلمون والصوفية والفقهاء . والتفسير مشترك بينهم ففي كل صنف منهم مفسرون . وقول باعتبار آخر : ان علماء الاسلام صنفان علماء الأثر وغيرهم ، أو علماء المنقول وعلماء العقول ، ومن كل صنف مفسرون وفقهاء . ولا يكاد يكون الأثري متكلماً ، وقد يكون صوفياً في النادر . والأثري الفقيه اذا احتج بالقياس فاقماً يحتج بما كانت عليه ثابتة في الكتاب أو السنة ثم إن علم الأثر ينقسم الى علم الرواية وعلم الدراية ولا ينم فقه أحد العلمين الا

بالآخر، فن اتقن علم الرواية بحفظ الأثر أو الحديث وضبطه ومعرفة رواته وعلاه والتمييز بين الصحيح وغيره منه ولم تكن له دراية تامة بفهمه والاستنباط كان جل النفع بعلمه لغيره ، وهو اذا خاض في معاني الحديث بغير استعداد تام لفهم فاته ربما يضل ويضل كثيرا ، وفي مثله ورد الحديث الصحيح « نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بمقيه » رواه الترمذي والضياء من حديث زيد بن ثابت . وفي معناه حديث « نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع » رواه احمد والترمذي وابن حبان من حديث ابن مسعود . وأما من لم يتقن علم السنة من المتكلمين والفقهاء والصوفية فضالهم وإضالهم أشد

وقد وجد في كل طائفة علماء أعلام خدموا الاسلام أجل خدمة ، فصالحو المتكلمين خدموه بدفع شبهات الملاحدة وكثير من المبتدعة ، على ان بعض الشبه والبدع ما جاءت الامن عليهم المبتدع ، واتما ينتفع بعلمهم من جمع بينه وبين علم السنة . وصالحو الصوفية خدموا الاسلام ببيان حكم الشريعة وأسرارها وتربية الاخلاق والآداب ، ولكن البدع التي حدثت من قبلهم أكثر وأرسخ من سائر البدع التي حدثت في الاسلام ، وسبب ذلك الجهل بالسنة .

والفقهاء خدموا الاسلام باستنباط أحكام العبادات والحلال والحرام والاحكام المدنية والسياسية والتأديبية ، وقد جنى الجاهلون بالسن منهم . على الاسلام جناية عظيمة بما أحدثوا بأقيستهم البعيدة عن نصوص الشريعة ومقاصدها من الاحكام الكثيرة المافية ليسر الدين ورفع الحرج منه

تفرق المسلمون بهذه العلوم الى فرق وأحزاب كثيرة كل ينتحل مذهباً ينتصر له ويدافع عنه ، فكانت جناية الخلاف على الاسلام وأهله أشد ضرراً مما أخطأ به كل فريق منهم . وقد رد بعضهم على بعض ردوداً كان يعدها كل منهم من التعصب أو من باب « من جهل شيئا عاداه » والحق انه قلما يخورد طائفة على أخرى من ذلك . ومنشأ انططار الضرر الاكبر هو التزام مذهب والرد على مخافه ، فان هذا هو اتباع الهوى ، وأهله هم أهل الاهواء . وان سموا أنفسهم بأفضل الاسماء

أما أهل الحق الذين لا يدخلون في عموم (الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) فهم الذين يحملون كتاب الله تعالى وبما بينه من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فوق اختلاف، بل هو الحكم العدل في الخلاف، لأنه تعالى أخبرنا أنه أنزل الكتاب (ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه — وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم اليينات بغيا بينهم — فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)

وأجلد هؤلاء المهديين ببيان التحقيق الذي يزيل الخلاف من كان جامعاً بين المتقول والمقول غير متعصب لمذهب من المذاهب التي ترمي إلى أفراد العلماء. ولم نر في هذا الصنف أوسع علماً وأنهض حجة وأقوى عارضة من شيخ الاسلام احمد ابن تيمية، وتقليده الامام المحقق محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم وابن قيم الجوزية، قد جمع الله لكل منهما بين الروخ في علوم السنة حفظاً وفهما واستحضاراً واستنباطاً وبين التمكن من سائر العلوم التي دونت بالعربية ومذاهب الفرق وأدلتها، فيينا في كتبهما المنعمة ما أخطأ فيه الذين انحرفوا عن الكتاب والسنة من أهل هذه المذاهب، وقد كان ابن تيمية السابق إلى تحرير تلك المسائل، وتلاه ابن القيم فكان للموضح المكمل لها، والمستدرك المدرك لما فاته منها

وأهم ما انفرد به ابن القيم فيما نعلم الاطالة بتحرير علوم الصوفية ووضع الموازين القسط لمعارفهم وأذواقهم ومقاماتهم وأحوالهم بشرحه لكتاب [منازل السائرين] لشيخ الاسلام أبي اساميل المروني

الصوفية ثلاث: صوفية الارزاق وصوفية الرسوم وصوفية الحقائق، وبدع الفريقين المتلذذين يعرفها كل من له إلمام بالسنة والفقه. وإنما الصوفية صوفية الحقائق الذين خضعت لهم رؤوس الفقهاء والمتكلمين، فهم في الحقيقة علماء حكما، ولكن ضل بما دخل في الاسلام من باب فلسفتهم الروحية، أضعاف من ضل بما دخل على المتكلمين وغيرهم من باب الفلسفة العقلية، من إلهية وطبيعية، وسبب ذلك ما بيناه آخفاً من جهل بعض شيوخهم بالسنة النبوية، فن أصول الضلالة التي دخلت على المسلمين من باب التصوف المتعاقبة بين الحقيقة والشرعية، وجعل الامر الكوني القدري كالامر

الشرعي في كون كل معما يجب الرضاء به والاعتناء والاستسلام له ، ومن مقاسده حذف الأصل قولهم « من نظر إلى الخلق بين الشريعة مقتهم ، ومن نظر إليهم بين الحقيقة هذرم » ومن مقاسده الرضاء بمنع مقاومة الأمراض والنظم وهضم حقوق الأفراد وحقوق الأمة . ومن مقاسده الجبر وسلب الاختيار وتاهيك بما يتبعه من الخاسر والمضار ومن أصول الضلالة التي دخلت من ذلك الباب جعل الحقوق والحلال من قبيل دلائل الشريعة وأصولها ، بل هو عند كثير من غلاتهم الركن الاعظم المقسم على كل ما يمارضه ، ومن فروع هذا الأصل ما ابتدعوه من الأذكار والأوراد والسماع وتعليق القبور وجملوه من شعائر الاسلام فان عدهم فيه لهم ذائقا ما أثمر لهم من الحب والوجد والخشوع والبكاء والرغبة في الآخرة ، ومن أمثلهم « من ذاق حرف » وجعلوا ان مثل هذا الدور حاصل للكفار فيما يأتونه في عبادتهم من الأغاني والأناشيد وآلات اللارب ، وما يشاهدونه في مابدم ومقابرهم من الصور والتماثيل التي وضعت لسلهم من التزيين والكهنة وغيرهم من الصالحين عندهم ، فإذا كانت العبادة تشرع بالذوق ، قد عظم حق الوحي وهضم أسس الشرع

ومن أصول تلك الضلالات دعوى ان للدين ظاهراً وباطناً مخالفاً لما فيها الجمهور منه ، وهذه الضلالة من ابتداء زنادقة الباطنية وقد كانت سبباً لارتداد كثير من المسلمين فسكونت منهم طوائف الاسماعيلية والنصيرية والدروز والبابية البهائية والأزلية وغيرهم

ومنها أصل الأصول عند غلاتهم ، وهو ما يبرون عنه بوحدة الوجود بالمعنى الذي يمثل الكتاب المسمى (بالإنسان الكامل) وأمثاله وهذا الأصل خالف لنصوص القرآن الصريحة ، ولنصوص السنة الصحيحة ، وفيه مقاسد كثيرة جبا ، واسكن من الناس من يفرم وحدة الوجود على غير هذا الوجه .

قد افترقت كل فرقة انشقت من جماعة المسلمين وأهل كل منبب خلفوا السنة وما جرى عليه سلفنا الصالح بفنفة أول ما يخالف مذاههم وآراءهم من أكلت الكتاب العزيز ومتون الأحاديث ، حتى أنهم ليؤولون السنن العملية أو يمارضونها بروايل قولية شاذة أو مفكرة ، وغلاة الصوفية أبرم الفرق في التأويل وأشد ما سراً

فيه بمد الباطنية الذين يشبهون بهم كثيرا ، ذلك بأنهم لا يلتزمون في التأويل ما يلتزمه المتكلمون والفقهاء من عدم الخروج باللفظ عن حقيقته الا الى ضرب من ضروب المجاز أو الكناية ، بل يزيدون على ذلك باب الكشف وباب الإشارة وباب الرموز ، ولذلك ترى كلامهم ممزوجا بالآيات والاحاديث محرقة عن معانيها الصحيحة التي تدل عليها في اللغة ، ولا جله ترى كلامهم مقبولا عند الجماهير من غير تأمل ولا تفكر ، حتى ان المتكلمين والفقهاء ما عادوا ينكرون عليهم شيئا كما كان السلف ينكرون على كل من يخالف ظواهر النصوص أو يتدع في الدين ما لم يكن في الصدر الاول

فن تدبر ما ذكرنا علم ان تحرير علم التصوف شيء لا يستطيعه الا من كان راسخا في علم الكتاب والسنة آم الروسخ ، وعارفا بالتصوف معرفة علم وذوق وعمل ، وقد ادخر الله تعالى هذا للعالمين المارفين الذائقين المفسرين المحبذين — شيخ الاسلام أبي اسماعيل الهروي الانصاري ، وعحقق الاسلام ابن القيم الدمشقي — فالاول علم آري غلب عليه التصوف ، والثاني صوفي ذائق غلب عليه علم السنة ، جمع الاول زبدة التصوف جمعا موجزا في كتابه [منازل السائرین] وشرحه الثاني وبين ماله وما عليه في كتابه [مدارج السالكين] وها نحن أولاء نقل من كتب العلماء ترجمة وجيزة لكل من الشيخين ، وقفي عليها بالتعريف بكل من الكتائين :

﴿ ترجمة شيخ الاسلام الهروي ﴾

جاء في حوادث سنة ٤٨١ من كتاب (شذرات الذهب) ما نصه :
وفيهما توفي أبو اسماعيل شيخ الاسلام الانصاري الحنبلي عبد الله بن محمد بن علي الهروي الصوفي القدوة الحافظ أحد الاعلام ، توفي في ذي الحجة وله ثمانون سنة وأشهر

سمع من عبد الجبار الجراحي وأبي منصور محمد بن منصور الازدي وخلق كثير وبنيسابور من أبي سعيد الصبري واحمد السليطي صاحبي الاصم ، وكان قدي في أجهن المبتدعة وسيفا على الجهمة. وقد امتحن مرات. وصنف عدة مصنفات، وكان

شيخ خراسان في زمانه غير مدافع ، قاله في العبر
ومن شعره

سبعان من أجل الحسنى لطالبا حتى اذا ظهرت في عبده مدحا
ليس الكريم الذي يسلي لتمدحه ان الكريم الذي يثني بما منحا
وجاء في أول حرف العين من (الكواكب النورية) في طبقات الصوفية للمناوي :
«عبد الله بن محمد بن علي شيخ الاسلام ابو اسماعيل الانصاري المروزي الحافظ
العالم الماروف الصوفي صاحب [منازل السائرين] كان اماما في التفسير والحديث ،
حسن السيرة^(١) في التصوف والعرية والتاريخ والانساب وغير ذلك . وكان لا يخاف
في الله لومة لائم ولذلك....^(٢) في هلاكه مرورا لحفظ منهم . وكان آية في التذكير
والوعظ . مات سنة احدى وثمانين وأربعمائة » اهـ

وذكره الحافظ الذهبي في كتاب العلو وجعل عنوانه «شيخ الاسلام الانصاري»
وقبه بالامام الكبير ، على كونه لم ينقم منه سوى تأليفه لكتاب المنازل وقال فيه ماضيه :
« كان ابو اسماعيل آية في التفسير ، رأسا في التذكير ، علما بالحديث وطرقه ،
بصيرا باللغة ، صاحب أحوال ومقامات ، فباليت لا ألف كتاب المنازل فيه اشياء
منافية للسلف وشائهم ، قيل انه عقد على تفسير (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى)
ثلاث مئة وستين مجلسا . وقد عدد باقتل مرات ليقصر من مبالغته في إثبات
الصفات ، وليكف عن مخالفه من علماء الكلام ، فلم يرعوا تهديدهم ، ولا خاف من
وعيدهم ، ومات في سنة احدى وثمانين وأربعمائة ، وله خمس وثمانون سنة ، سمع
من عبد الجبار الجراحي وابي سعيد الصبري وطبقتهما »

﴿ ترجمة محقق الاسلام ابن القيم ﴾

قال العلامة السيد نعمان خير الدين ابن الآلوسي البغدادى في كتابه (جلاء
العينين) :

العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي

(١) له سقط شيء من هنا (٢) هنا كلمة مضمومة في الأصل لها : سمي علماء السلام

ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي المفسر النحوي الاصولي المتكلم الشهير بابن قيم الجوزية. قال في الشذرات : بل هو المجتهد المطلق . قال ابن رجب : ولد شيخنا سنة احدى وتسعين وسبعمائة ولازم الشيخ قتي الدين ابن تيمية وأخذ عنه وتقتن في كافة علوم الاسلام وكان عارفاً في التفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين واليه فيه المنتهى ، وبالحديث ومعانيه وقهره ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك ، وبالفقه والاصول والمريية وله فيها اليد الطولى ، وبعلم الكلام والتصوف . حبس مدة لانكاره جد الرحيل الى قبر الخليل ، وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة الى الغاية القصوى ، ولم أشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الايمان ، وليس هو بالمصوم ولكن لم أر في معناه مثله . وقد امتحن وأوذى مرات وحبس مع شيخه شيخ الاسلام قتي الدين في المرة الاخيرة بالقلعة منفردا عنه ولم يفرج عنه الا بعد موت الشيخ ، وكان في مدة حبه مستغلا بتلاوة القرآن والتدبر والتفكير ففتح عليه من ذلك خبر كثير ، وحصل له جانب عظيم من الاذوق والمواجد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والعلوم في غوامضهم وتصانيفه بمثلثة بذلك ، وحبس مرات كثيرة وجاور بمكة ، وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه وعبادته ، وسمعت عليه قصيدته النونية في السنة وأشياء من تصانيفه غيرها ، وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه والى أن مات وانفوا به . قال القاضي يرهان الدين الزرعي : وما تحت أديم السماء أوسع علما منه ، ودرس بالصدرية وأم بالجوزية ، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة ، وصنف تصانيف كثيرة جدا في أنواع العلوم وحصل له من الكتب ما لم يحصل لغيره

فمن تصانيفه : تهذيب سنن أبي داود وایضاح مشكلاته . وسفر المجرتين . و مراحل السائرين . والحکم الطیب . وزاد المسافرين ، وزاد المعاد أربع مجلدات ، وهو كتاب - ابل . وكتاب قد المنقول . وكتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ثلاث مجلدات . وكتاب بدائع الفوائد مجلدان . النونية الشريفة بالشافعية الكافية . الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة . حادي الارواح الى بلاد الافراح . ونزهة المشتاقين . وكتاب الداء والدواء . وكتاب مفتاح دار السعادة بمجلد ضخم غريب

الاسلوب . واجتماع الجيوش الاسلامية . وكتاب الطرق الحكيمة . وكتاب عدة الصابرين وكتاب اغاثة الالفان . كتاب الروح . وكتاب الصراط المستقيم . والفتح القمدي . والحققة المكية . والفتاوى ، وغير ذلك . توفي ثالث عشر رجب سنة احدى وخمسين وسبعمائة ، ودفن بمقبرة الباب الصغير بعد ان صلي عليه بمواضع عديدة ، وكان قد رأى قبل موته شيخة تقي لدين في النوم وسأله عن منزلته فأشار الى علوها فوق بعض الاكابر ، ثم قال له : وأنت كدت تلتحق بنا ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة ، رحمهم الله تعالى . انتهى بقتصار

مكة كتاب منازل السائرين

جاء في كشف الظنون ما نصه :

(منازل السائرين) أوله « الحمد لله الواحد الاحد » الخ . وهو لشيخ الاسلام عبد الله بن محمد بن محمد بن (علي أبو) اسماعيل الانصاري المروزي الحنبلي الصوفي المتوفى سنة ٤٨١ هـ احدى وعشرين وأربعمائة . وهو كتاب في أحوال السنوك قال فيه : هذه المقامات يجمعها رتب ثلاث : الاولى اخذ المريد في السبر ، الثانية دخوله في الغربة ، الثالثة حصوله على المشاهدة الجاذبة الى عين التوحيد . الفه حين سأله جماعة من الراغبين في الوقوف على منازل السائرين الى الحق من أهل هراة فأجاب ، ورتبه لهم فصولا وأبوابا ، وجعله مائة مقسومة على عشرة أقسام ، كل منها يحتوي على عشرة مقالات ، « وقد شرحه جماعة منهم الشيخ كمال الدين عبد الرزاق الكاشي المتوفى سنة ٧٣٠ ثلاثين وسبعمائة لفيث الدين محمد بن رشيد الدين محمد بن محمد بن طاهر الوزير ، أوله « الحمد لله الذي خص العارفين بمعرفة ما لا يعرفه الا هو » الخ . وذكر الكاشاني ان النسخ كانت مختلفة وألفاظها متباينة حتى ساق اليه القدر نسخة مقروءة على المصنف موشحة بإجازة بخطه ، قل وهو كتاب فاق على كل ما صنف في هذه الطريقة . وشرحه المولى شمس الدين محمد البتاد كافي الطوسي المتوفى سنة ٨٩١ هـ احدى وتسعين وعامائة وهو شرح ممزوج بالفارسية سماه (تسليم للمربين في شرح منازل السائرين) وشرحه محمود بن محمد الدر كزني المتوفى سنة ٧٤٣ ثلاث وأربعين وسبعمائة سماه (تنزل السائرين) ولاحمد بن ابراهيم الواسطي المتوفى سنة ٧١١ احدى عشرة وسبعمائة شرح نافع (المنار: ج ١) (٨) (المجلد التاسع عشر)

« ولشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي المتوفى سنة ٧٥١ إحدى وخمسين وسبعمائة شرح سماه (مدارج السالكين) وهو شرح مبسوط . وعلق عليه أبو طاهر محمد بن أحمد الفيثي المتوفى سنة ٧٤٧ سبع وأربعين وسبعمائة ؛ وترجمه الشيخ مصلح الدين المعروف بابن نور الدين المتوفى سنة ٩٨١ إحدى وعشرين وتسعمائة بالتركية ؛ واختصرته الشيخة عائشة بنت يوسف الدمشقية وسمته (الاشارات الخفية في المنازل العلية) وشرحه الشيخ الامام عبد الغني التلمساني . وشرحه أيضا الشيخ الامام سليمان بن علي بن عبدالله التلمساني الصوفي المتوفى سنة ٦٩٠ تسعين وسبعمائة بأمر الشيخ الزاهد ناصر الدين أبي بكر بن فليح وهو شرح أوله « الحمد لله الذي روحنا بالحمد » الخ اه

مكاتب كتاب مدارج السالكين

مصنفات ابن القيم في كتب علماء الاسلام نادرة ، وكتاب مدارج السالكين في كتب ابن القيم نادرة ، فاذا كان كل كتاب منها ممتازا بتحقيق واجاطة في مباحث العلوم فلا يستغنى عنه بغيره في الجملة ، فكذلك كتاب المدارج أولى بأن لا يستغنى عنه بغيره في الجملة ولا في التفصيل . ذلك بأن مباحث كل كتاب من تلك الكتب قد توجد بمجلة أو مفصلة في كتبه الاخرى أو كتب شيخه وغيرهما من المحققين . وأما مباحث لمدارج فما يوجد منها في تلك الكتب قليل جدا ، فهو الكتاب الذي قد افرد بتحرير علوم الصوفية ، ووزنها بميزان الكتاب العزيز والسنة النبوية ، وما كان عليه صفوة المسلمين في الصدر الاول . قدر الله تعالى أن يجمع مباحثها له امام من أكبر أئمتهم المعتدنين في أوجز عبارة ، وألطف اشارة ، يعز على غيره الحكم لها وعليها ، بل يقل في الناس من يفهم الفايات التي ترمي اليها ، وأما أحجم غير ابن القيم من علماء السنة الاعلام عن شرح كتاب المنازل بمثل ما شرحه به ، أو إنشاء كتاب مستقل في موضوعه ، لأن الصوفي اتق منهم — وهو قليل — لا يرجي منه احسن مما جاء به الهروي ، والبعيد عن التصوف منهم لا يفهم رموزهم ومقاصدهم ، ولا يدرك أحوالهم وأذواقهم ، فهو إما أن يحكم عليهم بالتضليل ، أو يذمهم بضرب من التأويل ؛ ألم تر الى المحافظ الذهبي كيف تمى لو لم يؤلف الانصاري كتاب المنازل ، ولو لم

يكن من أكبر علماء التفسير والحديث ، ومقاومي الجهمية وغيرهم من أهل التعطيل والتأويل ، لفضله بهذا الكتاب تضييلا

إذا كان لكتاب المدارج عيب يوقيه من العين فعيه أن أكثر ما فيه من الاحاديث غير معزوة الى مواضعه من دواوين السنة ، خلافا لعادة مؤلفه وأمثاله كأن العدوى سرت الى مصنفه من كتب التصوف ، ولكن لم يصل فعلها فيه الى ايراد الاحاديث الموضوعة ، أو الاستدلال بالاحاديث المنكرة والضعيفة ، فان هذا لا يأتي من آربي محقق مثل ابن القيم

وجملة ما تقول في هذا الكتاب أنه أفضل ما عرفنا وسعنا به من كتب التصوف والاخلاق الدينية ، وقد فند ما ذكرنا وما لم نذكر من دخائل كتب التصوف وبدعها فهو غاية الغايات في هذا الباب ، والله أعلم بالصواب . والحمد لله الذي وفقنا لعلمه ونشره ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه



أعظم معركة بحرية بين أعظم أساطيل العالم

نشرت الحكومة الانكليزية في ٣ يونيو ١٩١٦ بلاغا رسميا في مصر هذا نصه: كما نشر في المقطم وغيره :

أعلنت وزارة البحرية البريطانية أنه بعد ظهر يوم الاربعاء في ٣١ مايو حاول الاسطول الالماني الاكبر أن يمتدح نفاق الحصر البحري الذي ضربناه على المانيا فجاء من جهة بحركات قاصدا دخول البحر الشمال وكان هذا الاسطول مؤلفا من أساطيل الدردنوطات والطرادات الكبرى والطرادات والمدمرات الخ قانبرى له أسطول من الطرادات البريطانية الكبرى تمزعه الطرادات والمدمرات واحتدم القتال بين الفريقين وأسفرت المعركة عن خسارة عظيمة من الجانبين وبعد مدة وجيزة وصل أسطول الدردنوطات البريطانية الى مكان المعركة فكسف المدعو عن القتال وعادت بوارجه قاصدة الموانئ الالمانية

وقد اغرقت البوارج الالمانية التالية وهي

بارجة دردنوط من طرز « كيزر » نسفت نسفا وبارجة أخرى من الطرز
عنه أغرقت بثار المدافع

أما الطرادات الألمانية الثلاثة الكبرى التي قاتلت في المعركة (وبينها الطراد
العظيم لتزوف والطراد العظيم درفلنجر على ما يظن) فقد نسف واحد منها وعطل
الثاني ووقف عن الحركة ورؤي الثالث مصابا بعطل كبير

ورؤي طراد ألماني من الطرادات الخفيفة وهو يفرق ، ومما يجدر ذكره أن
الألمان اعترفوا بضياح ثلاثة من طراداتهم الخفيفة وهي فرونلوب وفسبادن وبومرن
وغرقت ست مدمرات ألمانية وفطحت خواصة ألمانية فافترقت

هذه الخسارة التي أرسل قائد العام للأسطول البريغاتي خبرها كما رؤيت ولكن ثلاث
بوارج ألمانية من البوارج الكبرى أصيبت بعطب كبير والمرجح أن العدو أصيب
بخسارة أخرى لم يستطع أسطولنا رؤيتها بسبب صعوبة الرؤية من جراء الأحوال الجوية
والظاهر أن المعركة دارت في آخر الأمر والبوارج الألمانية نهجت في السير وقد
ساقها البريغاديون أمامهم من السكوا الى مصب نهر الالب

أما خسارة الأسطول البريغاتي فهي من الطرادات الكبرى « كوين ماري »
و « اندفيتجابل » و « وأفنسبل » ومن الطرادات « دقنس » و « بلاك برنس »
وهذه البوارج الخمس أغرقت والطراد « واريور » وقد تمطل فتركتاه وشأنه ، ومن
المدمرات « تبراري » و « تريولنت » و « فرنشون » و « وسبرهوك » و « أردنت »
وثلاث مدمرات أخرى ضاعت . ولم يفرق للبريطانيين شي من بوارج الدردنوط
ولا من الطرادات الخفيفة

وقد وقع عب القتال قبل وصول الأسطول البريغاتي الاكبر على قسم من
أسطول الطرادات الكبرى البريغاتي فقاتل هذا القسم أسطول العدو الاكبر وأصيب
بالخسارة المتقدمة وهو يقاتل أسطولا يفوقه كثيرا في قوة البوارج وعددها
وقد شرح كل من المقطم والاهرام هذا البلاغ شرحا صرحا فيه بأن
الطرادات الكبرى التي غرقت من نوع الدردنوط أيضا وقد أثرتا شرح الاهرام
للخسائر وهذا نصه

خسائر الالمان

جاء في البلاغ البريطانى ان الالمان قعدوا بارجتين من طراز « كيزر »^(١) احدهما نسفت نفساً والاخرى اغرت بنار المدافع

ومحمول كل بارجة من هذه البوارج ٢٤٧٥٠ طن وهي من بوارج الدردنوط الالمانية وسلاحها ١٠ مدافع قطر ١٢ بوصة و ١٤ مدفعا قطر ٦ بوصات و ١٢ مدفعا قل ٢٤ رطلا و ٤ ثقل ٢٤ رطلا وهي لمقاومة الطائرات وفيها ٥ انايب للطوربيد (الواحدة ٢٠ بوصة) مغمورة بالمياه ٤ منها في جانبها وواحدة في المؤخرة

وقد بنيت بوارج الدردنوط الالمانية التي من طراز « كيزر » (لقب الامبراطور) سنة ١٩١٢ — ١٩١٣ وعددها خمس وهي « كيزر » و « فردريك درجروس » و « كيزرين » و « برنس رجنر لوفينولد » و « كوينج البرت » فاذا كانت اثنتان قد دمرتوا : جاء في البلاغ يكون الباقي عند الالمان من هذا الطراز ثلاث

وليس عند الالمان أكبر من هذه البوارج سوى ثلاث محمول الواحدة منها ٢٨ ألف طن وهي « ارزاتس فردريك الثالث » و « ارزاتس ووت » و « T » وأربع محمول الواحدة ٢٥ ألف طن وهي « ارزاتس براندنبيرج » و « كوينج » و « جروس كورفرست » و « مرجراف »

وأما الطرادات الالمانية التي يقول البلاغ ان منها لتزوف ودرفلنجر فهي طرادات القتال الكبرى وليس لدى ألمانية منها سوى ثلاثة وهي « درفلنجر » و « لتزوف » و « أرزاتس هرتا » ومحمولها ٢٨ ألف طن وسلاحها ٨ مدافع قطر ١٢ بوصة و ١٢ مدفعا قطر ٦ بوصات و ١٢ مدفعا ثقل ٢٤ رطلا و ٥ انايب للطوربيد (٢٢ بوصة) مغمورة بالمياه أربعة منها في الجوانب وواحدة في المؤخرة

أما الطرادات الثلاث التي يعترف الالمان بضياعها فهي

١ — بومرن ومحمولها ١٢٢٠٠ طن وسلاحها ٤ مدافع قطر ١١ بوصة و ١٤ مدفعا قطر ٦ ر٧ بوصة و ٢٠ مدفعا ثقل ٢٤ رطلا و ٤ ثقل رطل واحد (أي ثقل

(١) المار : تريب كينر فيمر ، والالمان يطلقون لقب فيمر على حاملهم كالروس

٦٢ خسائر الاسطول الماني في المعركة الكبرى [المناج: ج ١٩١٩]

مقدونها) وأربع مدافع رشاشة و٦ أنابيب للطوريد مغمورة بالمياه في جوانبها وفي المقدمة والمؤخرة. وللامان من هذا الطراز أربع بوارج أخرى وهي « دتشلند » و« هنوفر » و« شلسويج هولستين » و« شلسين »

٢ — فرونلوب وهو طراز صغير محموله ٢٧١٤ طنًا وسلاحه ١٠ مدافع قطر ٤ بوصات و١٠ مدافع ثقل رطل و٤ مدافع رشاشة وأنبوبان للطوريد مغموران تحت الماء.

٣ — « وستفالن » وهي دردنوط كبيرة ومن طراز « نساو » ومحملها ١٨٠٠ طن وسلاحها ١٢ مدفعًا قطر ١١ بوصة و١٢ قطر ٦ بوصات و١٦ ثقل ٢٤ وطلا ٦ أنابيب للطوريد في المقدمة والمؤخرة والجانبين مغمورة تحت الماء. ولا ألمانيا من هذه الطراز أربع بوارج فقط وهي [وستفالن . ونساو . وبوزن . ودينلاندا]

وخسر الألمان عدا ما تقدم ست مدمرات لم تذكر أسماؤها هذه خسارة الاسطول الألماني ولا نستطيع تقدير خسارة الانفس لعدم التحقق من عدد البوارج والطرادات التي أغرقت تمامًا بمن فيها على انا اذا سلمنا بأنه لم يفرق سوى بومرن وفرونلوب وستفالن وهي الثلاث التي اعترف الألمان انفسهم بضياعها فلا تقل خسارتهم في الرجال عن ألف رجل في وستفالن و ٨٠٠ في بومرن و ٢٥٠ في فرونلوب (أي ٢٠٥٠)

خسارة البريطانيين

أما خسارة الاسطول البريطاني فاذا بحثنا فيها فأنما نذكر أمورًا صحيحة اعتمادًا على البلاغ الذي لدينا فلا وجه للحسد والتخمين ولا للظن والشك وهذا بيان الخسائر على ما جاء في البلاغ وقد ذكرنا سلاحها منذ يومين فلانعود الى ذكره اليوم

محمولها	سرعتها	عدد
طن	عقدة	رجالها
٢٨٠٠٠ كوين ماري	٢٨	١٠٠٠

[الشار: ج ٢ م ١٩] خسارة الاسطول الانكليزي في المعركة الكبرى ٦٣

محمولها	سرعتها	عدد
طن	عقدة	رجالها
انديفانجيل ١٨٧٥٠	٢٥	٧٩٠
افتنسبل ١٧٢٥٠	٢٦	٧٨٠
دقنس ١٤٦٠٠	٢٣٦٥	٨٥٠
بلاك برنس ١٣٥٥٠	٣٢٤٦٥	٧٠٤
ورير ١٣٥٥٠	٢٢٦٩	٧٠٤

٤٨٢٨

والبارجة كوين ماري هي من أحدث الدردنوطات الكبرى . ولا يوجد أكبر منها في الاسطول البريطاني من حيث المحمول سوى ثلاث قطع وهي البارجة «ثيجر» ومحمولها ٢٨ الف طن والبارجة « وورسييت » والبارجة « فليانت » والبارجة « كوين البراث » ومحمول كل منهما ٢٧٥٠٠ طن على أن « كوين ماري » تمتاز عن الثلاث بوارج الاخيرة بسرعتها فهي تمتاز ٢٨ عقدة في الساعة بينما « كوين البراث » و « وورسييت » و « فليانت » سرعة الواحدة منها لا تزيد على ٢٥ عقدة مثل « كوين ماري » وقد كانت البارجة « كوين ماري » من فوة الطرادات الكبرى في الاسطول الأكبر

ويظهر ان لعب القتال في هذه المعركة وقع على الاسطول البريطاني الذي كان في البحر الابيض المتوسط وهو الآن في البحر الشمالي فان الطرادات [انديفانجيل] و [افتنسبل] و [دقنس] و [بلاك برنس] و [وورير] جميعها كانت من هذا الاسطول ولضباط هذه البوارج اصدقاء عديدون في الاسكندرية وبور سعيد والسويس وغيرهما من موانئ البحر المتوسط سيحزنون لما أصابهم ويأسفون أشد الاسف لقتلهم . وقد ظل (بلاك برنس) مدة طويلة في مياه البحر الاحمر وخليج السويس بعد شوب هذه الحرب وأسر جملة بواخر من بواخر الاعداء في أوائلها أما المدمرات الانكليزية التي غرقت وهي [فرتشوف] و [سباروهوك] و [اردنت] و [تيراري] فهذه جميعها من المدمرات الاوقيانوسية وقد بنيت عام

١٩١٣ وطول الواحدة منها ٢٦٠ قدما ومجولها ٩٣٥ طنا وسرعته ٣٠٧ عقدة في الساعة وسلاحها ٣ مدافع قطر ٤ بوصات وأنبوبان للطوربيد وعدد رجال الواحدة منها مئة رجل

ولعل الثلاث المدمرات الأخرى التي ضاعت ولم يذكر اسمها في البلاغ من نوعها أيضاً، فتكون خسارة البريطانيين من الرجال في المدمرات نحو ١٧٠٠ شرح الأهرام [المنار] ظاهر البلاغ الرسمي أن خسارة الأسطول الانكليزي أكبر من خسارة الأسطول الألماني . وقد ورد في البرقيات أن الألمان تبجحوا واقتخروا بهذه المعركة وخطب قيصر خطبة قال فيها الآن ألقينا الرعب في أعناق قلوب أعدائنا . ثم وردت برقيات أخرى بأن خسارة الألمان كانت أعظم مما ورد في البلاغ الانكليزي وفي بلاغاتهم الرسمية . وقد قال ناظر البحرية البريطانية إنه جازم بأن خسارة العدو لم تكن أقل من خسارتهم وإن لم يسهل بيان ذلك بالتفصيل . وصرح هو وغيره بما لا مرأى فيه وهو أن الأسطول البريطاني لا يزال صاحب السلطان الأعلى على البحار

المنار

الدعوة الى انتقاد

حرت عادتنا بأن ندعو قراء المنار في أول كل سنة الى انتقاد ما يروونه منتقداً فيه بالشروط التي كررنا بيانها ، ونعني بقراء المنار هنا كل من اطلع عليه وقرأ شيئاً فيه لا المشتركين خاصة ، ونعد بأن نشر كل ما يكتب لنا في ذلك بشروطه وأهم الشروط أن ينتقد القاري للكلام ما يراه خطأً ويبين ذلك بالدليل من غير استطراد ولا تطويل

حجم المنار في هذه السنة

ذكرنا في الجزء الماضي أن قلة الورق اضطررتنا الى ان نجعل كل جزء من أجزاء هذه السنة ثمانية كراريس (ملازم) وإنا اذا ظفرتنا في أثناء السنة بورق كاف نجعل السنة اثني عشر شهراً فيكون حجم مجلد هذه السنة من سني الحرب كمجلد التي قبلها

مباحث هذا الجزء

ضأت هذا الجزء مما وعدنا به فيما قبله من كتابة مقالة في حال المسلمين الاجتماعية وحال أغنيائهم وسائر أصنافهم في التعاون على الأعمال النافعة ، وسنشر المقالة أن شاء الله في الجزءين الثاني والثالث

فيهم صادي الذين يستولون القول ليندون أحسه
أولئك الذين مدام الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

أولئك المسحاة من ينه ومن يرون المسحاة قد
أولئك شيئا كثيرا وما يدرك إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوي و٥ متاراه كثار الطريق

مصر ١٥ رمضان ١٣٣٤ — ٢٣ السرطان (ص ١) ١٢٩٤ هـ ش ١٥ يوليو ١٩١٦

العصية الجنسية التركية

(وعاقبة قتل نابي العرب بسورية)

لما قد سبقنا جميع الكتاب الى بيان خطر العصية الجنسية على الثورة العثمانية
في عصر الدستور فانا أشرنا الى ذلك في أول مقالة كتبناها عند حدوث الانقلاب
واعلان الدستور اذ كان جميع العثمانيين يصفقون طربا ويمسبون أنهم نالوا السعادة
صفوا من كل كدر، آمنين من كل خطر . تلك المقالة التي جعلنا عنوانها (عيد
الامة العثمانية بنعمة الدستور والحرية) ونشرناها في (ج ٦ م ١١) التي صدر في
٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٦ (٢٨ يوليو و ١٥ تموز) أي بعد اعلان الدستور
بأربعة أيام . وقد جاء فيها بعد بيان مزايها هذه النعمة ما نصه :

د ان اماننا عقبات كثيرة (منها) ما يتوقع من مقاومة بعض الحكام الظالمين
للحرية الجنسية التي يرقص لها طلاب الدستور طربا ، وبهميمون بها شغفا (ومنها)
ما هو أقرب الى الوقوع — كالنزاع بين الاحرار المستقلين وبين المتعصبين والمقلدين،

(ومنها) مسألة الجنسية العثمانية ، وما يقف في طريقها من جنسيات الشعوب التي يتألف منها جسم الدولة العلية ، فمن المطالب بالنظر في ذلك ؟
ثم أنشأنا بعد شهرمة أخرى نشرناها في (ج ٧ م ١١) أوضحن فيها خطر اختلاف الاجناس وشدة الحاجة الى تكوين جنسية عثمانية تتحد فيها جميع الاجناس والمثل ، وبيننا ان الواجب على أحرار الترك وعقلائهم ان يبدؤا بالدعوة الى ترك العصية الجنسية (القوية) ولا سيما زعماء جمعية الاتحاد والترقي منهم ، لان دعوتهم هي التي يرجى ان تسمع ويستجاب لها . ثم كررنا الكتابة في ذلك كثيرا
وقد رآى الاتحاديون عقب الانقلاب باظهار الرغبة في الوحدة العثمانية وكرامة العصية الجنسية فحمدا ذلك لم كتابة وخطابة . ولكنهم ما عتصموا ان نزعوا ثوب الرياء الشفاف بعد ان استقرت سلطتهم ، فنبذوا الجنسية العثمانية وراء ظهورهم ، ونهضوا بالجنسية التركية بفلو واسراف وعجلة خارجة عن طور العقل . فنصحنهم أولا بالكتابة وبيننا لهم أن تحويل العربي من عريية والألباني عن ألبانيته والارمني عن أرمينيه والرومي عن روميته مما يستحيل في هذا العصر ، وانه لو كان ممكنا لعذرناهم في محاولة تبريك جميع الشعوب العثمانية سياسة لا ديننا

ثم قصدت الى الاستانة للسعي الى منع التفرق بين العرب والترك وتأسيس مدرسة الدعوة والارشاد فيها ، ونشرت في جرائدها مقالات (العرب والترك) المعروفة قراء المنار فجعلتها تمهيدا للسعي في الوفاق ومنع سريان التفرق الجنسي ، اذ بينت فيها ضرورة اتحاد هذين العنصرين مع محافظتهما على لغتهما ، وانه يجب أن يكونا كعنصري الهواء أو الماء في تكوينهما حقيقة واحدة - اعني الجنسية السياسية العثمانية - وبينت فيها أسباب الخلاف ومثارها في الاستانة وما أخطأت به وزارات الدولة وجرائد العاصمة وجمعياتها في ذلك فتم العرب منها . فكان اول من شكر لي هذا السعي واهتم به ووعد ببذل نفوذه لتلافي الخلاف حسين حلمي باشا الصدر الاعظم في ذلك العهد وكان من سوء الحظ ان اجل صدارته لم يطل ، فصرت أراجع في هذه المسألة طلعت بك ناظر الداخلية الذي كانت - ولا تزال - أزمة الحكومة يسده فكان يعدني بتخصيص وقت للبحث معي في هذه المسألة

وانقضت السنة التي قضيتها في الآستانة ولم يبق بوعده ، على انه وفي لي بسدة جلسات في داره وفي الباب العالي للنظر في المسألة الاخرى — أي مشروع العلم والارشاد ، ولكن لم يكن لذلك ثمرة

وقد علمت في اواخر ايامي في الآستانة ان الاتحاديين قد صمموا على حل مسألة الجنسيات بالقوة القاهرة وانهم بدأوا بالتنكيل بالارتوط وسيتلوم الارمن والعرب والاكراد . وقد كان هذا احد الباعثين لي على تلك الحملات الشديدة التي حتمتها على جمعية الاتحاد والترقي في المنار ، والباعث الثاني هو البيني ولا يبحث فيه الآن لم اكن انا الذي قاومت الجمعية بالكلام وحدي بل كانت المقاومة لم بالقول والعمل على اشدها في الآستانة وسائر بلاد الترك حتى آلت الى تسلي الالوف من جمعيتهم ، ثم الى قيام الاحزاب في مجلس الامة عليهم ، ثم الى تأييد الجيش لحزب الحرية والائتلاف في اسقاط وزارتهم ، وبما يجب ان يذكر انهم اعترفوا في اثناء ذلك الجهاد وبمده بأنهم كانوا يريدون تريك جميع عناصر الدولة وانهم رجعوا عن ذلك ولما عادت الوزارة اليهم باغتيا نازم باشا ناظر الحرية في الباب العالي والقبض على كامل باشا الصدر الاعظم فيه هالنا الامر وخفنا من وقوع الفوضى في الآستانة والدولة في حال حرب مع البلقان غلبت فيه على أمرها ، ولكن وزارة كامل باشا لم يكن لها حزب يؤيدها ، اذ كان حزب الحرية والائتلاف غير متفق معها ، ثم عقدت الوزارة الاتحادية الصلح وأنشأت تقدم اندول الكبرى الاتفاق لتو الاتفاق على جعل البلاد العثمانية مناطق نفوذ اقتصادي لمن ، وتعرض عشرات الملايين منهم ، وبدأت العراق العربي فاعترفت للانكليز فيه باطلو من النفوذ والحقوق ، فانكرنا ذلك عليهم أشد الانكاره ولم يمنهم ذلك طبعاً من لانفاق مع فرنسا على نفوذها في سورية الخ على أننا لما رأينا البلقانيين قد انتصروا على الدولة في الحرب حتى كادوا يستولون على الآستانة علمنا ان انخطر على الدولة أقوى وأسرع مما كنا نخشى ، وأن الدولة اذا كانت قد عجزت عن حفظ الروالي وهو سياج الآستانة وحصنها امام البلقان ، ومعظم قوتها الحرية هنالك ، وباقيها على حدود الروس ، فلا بد أن تعجز بالاولى عن الدفاع عن بلادنا العربية ذاهجت عليها دولة قوية ، اذ ليس في بلادنا حصون ولا سلاح ، وكان

هذا الامر منها لكثير من أهل الذيرة والفهم من العرب الى ما سبقهم بعض أذكيا
 الترك الى الدعوة اليه وهو وجوب جعل ادارة الدولة من نوع اللامركزية لان ذلك
 ادعى الى عمران كل قطر واستعداده للدفاع عن نفسه عند عجز المركز العام عن الدفاع عنه
 تأسس حزب اللامركزية بمصر في أثناء حرب البلقان وسرت دعوته في المملكة
 العثمانية كلها ولم يكن للحكومة الاتحادية وجه للشكوى منه لانه حزب عثماني يحاول
 الوصول الى غايته من الطريق القانوني الذي ينتمي الى مجلس الامة ، وتأسست
 في أثناء ذلك الجمعية الاصلاحية في بيروت باذن الحكومة فشذت في موضوع ما
 طلبته من تعيين مستشارين ومراقبين للحكومة من الاجانب وأنكرنا عليها شذوها
 في المثار ، ثم أنشئت جمعية أخرى في البصرة صارح رئيسها طالب بك النقيب حكومة
 الاتحاديين بالإنكار بل بالعداء ، وقد كادت الجمعية له تحاول اغتياله فلم تظفر ، ثم
 حاسنته وكلفته السعي للتوفيق بينها وبين الامير ابن سمود فبذل جهده في ذلك
 ثم تعلقت رغبة كثير من أذكيا العرب بعقد مؤتمر عربي في باريس لاطهار مطالب
 العرب الاصلاحية للعالم كله ، وعهدوا بذلك الى حزب اللامركزية ففقد المؤتمر وحضره
 مندوبون من البلاد العربية والجمعيات العربية واختير لرأسته السيد عبد الحميد الزهراوي
 أحد مندوبي حزب اللامركزية ، وكان المؤتمر في غاية الاعتدال في مباحثه وقراراته
 حينئذ اهتمت جمعية الاتحاد والترقي وحكومتها بأمر العرب وأوفدت مندوبا
 من زعمائها الى باريس للاتفاق مع رئيس المؤتمر على إجابة العرب الى ما يطلبونه
 من الاصلاح المقبول ، وعقدا ذلك الاتفاق المشهور ، ثم قرر مجلس الوكلاء وصدرت
 الارادة السلطانية ببعض مواد ذلك الاتفاق مع الوعد بأن تملى العرب حقوقا أخرى
 بالتدريج ، وكل ذلك مدون في كتاب (المؤتمر العربي الاول) ونشر في المثار وفي الجرائد
 العربية المشهورة . ولكن ما قرر من ذلك لم يرض جمهور المطالبين بالاصلاح من
 العرب ، وقد عده أكرم خديعة مؤقتة من الاتحاديين ، وكان فريق منهم أشهرهم
 الزهراوي وعبد الكريم قاسم انظبل يرجحون اخلاص الاتحاديين وعزمهم على ارضاء
 العرب دائما . وقد كان من اظهار الاتحاديين الميل الى العرب أن صار أكبر زعمائهم
 كلثمت بك يحضرون الاحتفالات التي يقيمها أعضاء المنتدى الادبي في الآستانة

هذه خلاصة ما كان من أمر الخلاف والوفاق بين العرب والترك أو الاتحاديين منهم خاصة قبل هذه الحرب ، فلما وقعت الحرب بين الدول الكبرى وحمل طلاب الإصلاح من العرب أن دولتهم تريد أن تستفيد منها وتوقعوا أن تدخل فيها ، كفوا جميعاً عن المطالبة بالإصلاح ، وأظهروا الميل إلى تأييدها في كل ما قرره وإن لم يعتقدوا أنه الصواب ، حفروا من المنازعات الداخلية ، وقد حبذنا عملهم هذا بمقالة نشرناها في جريدة الاهرام التي صدرت في سادس ذي القعدة ١٣٣٢ (١٦ سبتمبر سنة ١٩١٤) أي قبل دخول الدولة في الحرب ، ثم في منار ذي الحجة أي بعد دخول الدولة في الحرب . وقد قلنا في أول تلك المقالة وهي خطاب لمسلمي سورية ما نصه : « ثم أشكر لكم ما أظهرتموه من النجدة والمهمة ، في الاخلاص والطاعة للدولة ، وبذل الانفس والاموال وشحرات لها ، والكف المؤقت عن طلب الإصلاح منها ، وتقديركم الحال الحاضرة قدرها ، حتى انكم ساهمت في هذا أرقى أمم الارض التي سكنت عن جميع مطالبها ومنازعاتها الداخلية » الخ

وماذا جرى بعد ذلك ؟ ولي الاتحاديون جمال باشا أحد زعمائهم منصب القيادة العامة في سورية فأظهر الميل التام الى العرب وصار يقرّب اليه أذكاء المتعلمين منهم ويمنحهم على الاستمسك بعروة عربيتهم وعثمانيتهم معاً ، فصدقوه وازدادوا حماسة ورغبة في بذل دمائهم وأموالهم في سبيل الدولة حتى اذا ماتم له ما أراد من الاختيار نزع عنه ثوب الرياء والمكر ، ولبس لهم جلد النمر ، وقتلهم قتيلاً ، ونكل بهم وبغيرهم تنكيلاً جاءتنا الاخبار في العام الماضي بأن جمال باشا شق في بيروت احد عشر شاباً من خيار شبان المسلمين منهم التابعة محمد المحمصاني وأخوه وعبد الكريم قاسم الخليل الذي كان رئيس المنتدى الادبي في الاسكندرية ثم اتصل بالاتحاديين وجعل جل سعيه اقناع العرب بالاخلاص لهم — فلم نصدق الخبر الا بعد ان وصل الى مصر بعض الفارين من الشنق وبعض الاسرى من الجيش واثبتوا لنا الخبر . ولكننا مع ذلك لم نكتب كلمة انكار على جمال باشا ولا على شيعته لاجل العلة التي أشرنا اليها آنفاً

ثم تواترت الانباء بشنق اناس آخرين من دمشق وغيرها بتهمة السياسة وقتل آخرين بالوصاص وفي بيوت كثيرة الى الاناضول ، فثبت عندنا حينئذ ان

الاتحاديين اغتصموا فرصة الاحكام العرفية في البلاد، والقبض على الارزاق والاعناق، لاجل القضاء المبرم على النهضة العربية واكره العرب بالقوة القاهرة على ترك لغة أمتهم ودينهم، وعدم المطالبة بحق من حقوقهم. ولكن الثابت في سنن الاجتماع وتاريخ الامم ان هذه الطريقة من الاضطهاد تؤدي الى ضد مايراد منها. وقد كنا قلنا من قبل ان الاسلام قد امارت العصية الجنسية في بلاد العرب الحضرية فلا يقدر على احيائها أحد الاحكومة الاستاة، ويمكننا ان نقول الآن انها قد كونت الجنسية العربية الجديدة وجعلتها خالدة، لانها زرعتها في البدو والخصر بسقتها بالسم، وبالدم اسقل من اسقل من جميع الامم، وكما نخاف منهم هذه العجلة في هذه الايام، لثلاثي، متافية لمصلحة الاسلام، إذ يخشى ان تكون هذه القسوة في اضطهاد العرب في سورية شيا يأس الامة العربية كلها من الدولة وجزمهم بأنه يستحيل عليهم ان يحافظوا على وجودهم تحت سيادتها، وان يحمل ذلك عرب الجزيرة على الخروج عليها، خوفا ان يجعل بهم شر محال بغيرهم، فان الترك يحاربون اليمن وعسير ونجد منذ قرون فكل حكمتها الحاضرين قد قوتلوا، وأمير مكة لا ينسى لهم ما فعله معه وهيب بك قبل هذه الحرب اذ حاول التتك به وسلب امتياز الشرفا من الحجاز وجعله كولايات الشام، ولا ظهر عليه الامير اظهرت الدولة الاستياء مما حصل ونسب الى الدقتردار. واسترضى الصدر الاعظم الشريف بالاعتراف له بجميع حقوق امراء مكة التي كانت في عهد السلطان سليم، ولكن الشريف يعرف ظواهر هذه الامور وبواطنها، بل لا يخفى على أحد من العتلاء ان الدقتردار لا يجرأ على احداث أمر كبير في الحجاز بدون أمر رئيسه (الوالي) وان الولي لا يجرأ عليه بدون أمر الاستانة، وأوامر الآستانة في عهد الاتحاديين قسيان — أوامر الجمعية وهي الحاكمة، وأوامر الحكومة وهي المنفذة، على انه يقيس وقاء الحكومة بما كتبه اليه الصدر الاعظم على وقتها العرب بالاتفاق الذي عقد مع رئيس المؤتمر العربي وما قرره في مجلس الوكلاء وصدرت به الادارة السلطانية من المطالب العربية

كان يجب على دولة الاتحاديين في هذا الوقت ان تتردد للعرب أكثر مما كانت تتودد اليهم بعد حرب البلقان، وان تم بالفعل ما بدأ به أنور باشا من استمالة

امراء الجزيرة بالكتابة . وذلك بارسال السلاح والقنينة والضباط من العرب اليهم لاجل ان يكونوا ذخرا لها اذا استظهر الروس عليها في الاناضول ، فاذا كان مثل انكلترا وألمانيا تحسب الحساب لوصول أعدائها الى بلادها وقصد الآلات والجيوش لاجل الدفاع عنها ، أفليس الترك أجدر بذلك وهم لولا الألمان لم يستطيعوا حربا في ميدان ما من ميادين هذه القتال ، وحسبهم انهم قد دوا بحرب البلقان كل ما كان هدم من ذخيرة وسلاح ، وهل يوجد لهم ملجأ يلجئون اليه اذا غلبوا في بلادهم الا العرب وبلاد العرب ، بل العرب وبلاد العرب هي الملجأ للاسلام . ولذلك جاء في الحديث الصحيح « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » وأنى بيالى بالاسلام وعز الاسلام ، من ينشرون في دارسلطنتهم امثال كتاب [قوم جديد] و [صوك كتاب] التي يفضلون فيها زعاضهم الغاوين ، على اخلفه الراشدين ، وعلى من دهنهم من الاولياء الكرام ، ومن فوقهم من الانبياء حتى خاتمهم عليهم الصلاة والسلام وأما العرب الذين أوجد الله بهم الاسلام ، فقههم أجدر الناس بالنصرة على المسلمين ودار الاسلام ، ولولا ذلك لما سكتوا على الضيق كل هذا الزمان ، ونحشى ان يكون قد زال ما كانوا يحذرون ، ويثسوا من كل خبر كانوا يرجون ، فيدو للمناقبين ما كانوا يحذرون ، كما نحشى ان تكون عاقبة ذلك نصيرهم وهم لا يشعرون انما يحرص سواد المسلمين الاعظم على حياة هذه الدولة لانه بهم كل مسلم أن يكون للاسلام دولة مستقلة قوية وهي امثل دول المسلمين في ذلك ، وان كانت لا تقوم بدعوة الاسلام ولا تحمي علومه ولا تحمي شعبه ولا أفرادهم ممن يريد بهم سوا . ولكن لا يرضي أحدا من المسلمين ان تحمي على لغة القرآن ، وان تضطهد العرب وتظلم وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » (رواه ابو يعلى من حديث جابر بن عبد الله صحيح) وهذا الحديث من معجزات النبي (ص) ظهرت في هذا الزمان ظهورا بينا . فان الدولة قد تعرضت لخطر الزوال وقد الاستقلال غير مرة ، وانما كان يقيا منه تنازع أوربية على اقتسامها ، فاذا زال التنازع بزوال التوازن عقب هذه الحرب زالت الدولة بزواله ، وأكبر المصائب على الاسلام حينئذ ان تعد بلاد العرب تابعة لها ، وممدودة فيما يقسم بين الغالبين من ترانها ، اذ

(المجلد التاسع عشر) (١١) (الفرع: ج ٢)

يكون المسلمون حينئذ أدنى حالا من اليهود ، اذ يزول استقلالهم الديني والسياسي
وم في قعر مدقع لا يستطيعون معه عملا ، ولا توجد بقعة في الارض تمثل استقلال
الاسلام غير بلاد العرب . ولولا جعل جزيرة العرب تحت سيادة الدولة العثمانية
بعضها بالاسم وبعضها بالفضل لما نسي لها ان تجعل نفسها دولة الخلافة ويمترف لها
الناس والدول بذلك

فجملته القول أن مصلحة المسلمين عامة أن تكون بلاد العرب قوية بنفسها ، غير
محتاجة الى قوة من خارجها لحمايتها ، (وقد بينا ذلك مرارا) ولاخطر في ذلك على
الدولة اذا كان فيها من جرائم الحياة ما يكفي لبقاء استقلالها ، وانما الخطر كل
الخطر في إضعاف العرب وجعل بلاد العرب عالة على غيرها ، وستظهر الايام صدق
هذا الكلام ، ونأله تعالى أن يكون بما فيه عز الاسلام .

(حاشية) كتبنا هذه المقالة لجزء الشهر الماضي فلم يتيسر نشرها فيه . ثم جاءنا روتر بنبا اظهار
أمر مكة الشريف حيث الاستقلال في الحجاز وسنقصد القول فيه في الجزء التالي لهذا ان شاء الله

حكم الصيام

وجناية تاركه على أنفسهم وعلى المسلمين والاسلام

الصيام عبادة روحية جسدية ، قد شرع لما فيه من المنافع الشخصية والاجتماعية ،
فهو يروض الاجساد ، كما تعطش الزروع وتضمر الحياء ، فيقي الرطوبات والمواد
الرواسب فيها ، التي تصلب الشرايين وتثيق حركة الدم فيها ، ويميد المعد المصابة
بالتمدد الى تقلصها وتفضنها ، حتى قال بعض الاطباء ان صيام شهر واحد
(رمضان) يصلح ما أفسده التمدد طول العام ، ويمرن المرء على احتمال الجوع
والعطش بالاختيار ، فيسهلان عليه اذا ألجأ اليهما الاضطراب في سفر أو سجن أو
مجاورة أو قتال ، ويشعر الاغنياء المترفين بحاجة الفقراء المعوزين ، ويساوي بينهم
في هذه العبادة وآثارها كما يساوي بينهم في سائر شعائر الدين

وهو فوق ذلك المربي الاعظم للارادة ، ولما يتفاضل أعظم الرجال بما في الارادة من قوة العزيمة ، فلولاها لما استسهل صعب ، ولا ثبت شجاع في حرب ، ولما أقدم المصلحون على تغيير المنكرات ، ولا سبوا مقاومة الظلم والاستبداد ، ولما ثبت عامل على عمل حتى يتقنه ، ولما صبر ذو مصاب على مصابه حتى يأمن خطره ، ولما احتفظ أمين بالأمانة ، الا بقدر ما يخاف في الدنيا من عقوبة الخيانة ، ونهايك بأمانة الاعراض ، والمحافظة على شرف النساء .

وهو فوق ذلك مراقبة لله عز وجل ، وتقرب اليه بما يرضه من تزكية النفس ، وتوجه الى السكال الاعلى ، والحياة الروحية الفضلى ، حياة النبيين والصديقين ، بل الملائكة المقربين

ان الصائم المسلم هو الذي يحكم سلطان الارادة بقانون الايمان على هوى النفس فيمنعها من التمتع بأعظم الشهوات شأنا عندها ، فينال منه الجوع والطعام بين يديه ، ويبرح به الظم والماء البارد أمام عينيه ، ويشتد شوقه الى ملازمة زوجته وهي منه على طرف النام وحبل الذراع ، فيعرض عن كل ذلك ويتركه بوازع الايمان ، ابتغاء لمرضاة الله تعالى وتحصيلا للفوائد التي شرع لها الصيام

ألم تر أن الذي يربي ارادته ويحكمها في أشد شهواته وأقواها مدة شهر كامل في كل عام على الاقل جدير بأن لا تنازعه نفسه أكل شيء من أموال الناس بالباطل ولا اللعب بشيء من أعراضهم ؟ أو ليس الذي يقدر على ترك أعظم ضروريات الحياة بما أحل الله له وقرب منه ، متاولة يكون أقدر على ترك ما حرم الله عليه من جنسها ومما هو أدنى منها ، وأجدر بأن يغلب هوى النفس الذي يفر به الى إدمان من الامثال الاسلامية المشهورة في بعض الاقطار « ان الذي يزكي لا يسرق » وهذا أمر معقول كسابقه ، فان الذي يخرج المال من جيبه أو صندوقه طائفا مختارا ويؤتيه الفقراء والمساكين ويضمه في غير ذلك من المصارف الشرعية لوجه الله وابتغاء مرضاته بنفع عبادهم - جدير بأن لا يهوي الله تعالى بتكليف مرقعة مال غيره وهو يعلم أن ذلك سبب لسخط الله تعالى ، ولو كان لا يبالى بسخط الله ولا برضوانه بل يؤثر عليه حب المال لحفظ ماله في صندوقه ولم يخرج زكاته فذلك أسهل من إحراز المال بالسرقة

على الله تعالى فرض الصيام علينا ، بأنه هو الذي يمدنا ويؤهلنا للتقوى ، فقال ('كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) وإنما التقوى ملكة يقدر صاحبها بوازعها النفسي على اتقاء كل ما يندس نفسه ويدسها من ترك واجب ، أو اقتراف محظور ، ولذلك قالوا انها عبارة عن القيام بالواجبات وترك المحرمات ، وهذه الملكة كسائر الملكات ، تكتسب بالاعمال النفسية والبدنية التي يقوى بها سلطان الارادة على نزعات الالهواء كما سبق القول . وقد فطن لهذا بعض حكماء الغرب فقال في كتاب صنفه في (تربية الارادة) انه لا مربى للارادة كالصيام ، ولا أجل هذا شرع في جميع الاديان

ان أحق الناس بتحصيل هذه الملكة وبسائر فوائدها الصيام الروحية والاجتماعية والجسدية من جموعهم ين 'حكم الله وحكمته فيه ورعوا ذلك حق رعايته ، فالاسلام علم وتربية ، بنيا على أساس الحكمة والفلسفة ، وذلك نص قوله تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) وقد يستفيد كثير من الناس حكمة العبادة ويمجنون ثمرتها ، وان لم يتلقوا بالتعليم أن ذلك هو المصلحة التي شرعت لاجلها ، كما يستفيد بعض الناس من شيء يأكله أو يشربه ، فيكون من حيث لا يدري شفاء من مرض ألم به ، أولئك هم الذين أخلصوا دينهم لله فكان لهم من العلم بكل عبادة انما ترضي الله تعالى وان تركها يؤدي الى سخطه واستحقاق عذابه

ومن الناس من يؤدي العمل تقليدا وبجارية لمن نشأ فيهم فيكون عادة له كسائر العادات الشخصية والاجتماعية ، لا ينوي به قربة ، ولا يشعر له بفائدة ، ولا يفكر في حكمة الشارع فيه ، فلا يكون لصيامه أثر كبير في عباداته ولا معاملاته ولا عاداته ، قد يصوم ولا يصلي ، وقد يصوم ويصلي وهو مصر على المعاصي ، فهو الذي يصدق على صيامه ما قاله بعض الاربيين في تعريف الصيام ، من أنه عبارة عن تغيير مواعيد الطعام ، بجعلها في الليل بدلا من النهار ، وإنما كمال الصيام بجعله جنسة ورقاية من جميع الآثام ، قال صلى الله عليه وسلم « الصيام 'جَنَّةٌ' فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان شامه أحد أو قاتله فليقل اني صائم اني صائم » رواه

الشيخان في الصحيحين وأصحاب السفن الاربعة. والرفث صريح تكلام في "نوع أو ما يتحدث به الزوجان في تلك الحلة، والصخب الجلبة والصياح، فدا كان مثل هذا مما يمنع في الصيام، فما شأن اقتراف كإثر الآثام؟ على أن مثل هذا الصائم خير من تارك الصيام ولا سيما المجاهر به، فإذا كان مثله كمن يئني قصرا ويهدم مصرا، فان مثل تارك الصيام من امثاله الفساق كمثل من يهدمون القصور والامصار

يترك الصيام في هذه البلاد أناس كثيرون من طبقتين أو ثلاث طبقات، تنفق وتختلف في بعض الاعمال والصفات: طبقة تحوت النوغاء الارذابين وطبقة أسرى الشهوات المترفين، وطبقة أدعياء المدينة المتقلدين، فأما أولئك التحوت السفهاء فاتهم لا يشعرون بقية لانفسهم يشاركون بهاسائر طبقات الامة في شعائرهم الدينية، دمع ما هو أرقى من ذلك كالشعور بما يجب من شكر رب العالمين الرحمن الرحيم والتقرب اليه والاستعداد لارضوان الاكبر في دار الكرامة عنده، وغاية ما وروثه من تقاليد الاديان التي كان عليها آباؤهم الاولون والآخرون تعظيم بعض المرقى ذوي الاضرحة التي خذلت سنة الدين بشريف بنائها، وجعلها مساجد يصلى اليها ويطاف بها، وبناء القباب عليها - واحتفالات الموالد التي هي أعياد ومواسم بحشر الناس اليها بجوار تلك القباب، وزيارة الجماهير للمقابر في ليالي الاعياد وجمع رجب وأيام أخرى من السنة، يرسل فيها الى القرافات النساء والرجال والاطفال، مشاة حفاة ركبانا على الجبر والجمال، وما في ذلك من المنكرات الكثيرة أنه دقة

وأما هؤلاء المترفون (فمنهم) ملاحظة المترفين الذين هم شرعاً: الامة من كل عدوها (ومنهم) أسرى الشهوات الذين ليس لهم من قوة الازادة ما يقدرن به على مغالبة الهوى وعصيان داعي اللذة، أو حبس النفس على عمل شاق، وهم أشد الناس حاجة الى الصيام، فان هذا الافراط في الترف يضعف البدن كما يضعف النفس. وإذا كثر هؤلاء في أمة فقدت الاستعداد لدفع الاعداء عنها، وللقيام بالاعمال المتعبة التي ترقى بها الامم والاثبات عليها، وقضي عليها أن تكون مستعبدة لغيرها، وأي عار على الهوى الجذع، أو الكهل والشيخ الذي لم يدركه الهرم، اكبر من عار

الاعتراف بعدم الطاقة على احتمال الجوع والعطش بضع عشرة ساعة يعدُّ له بعدها الشراب المبرد ولون الطعام الفاخرة؟ أيها الخدع الناشئ، أيها الكهل القارح، أولى لك فأولى، وغير هذا كان بك أولى، كان أولى بك أيها الفتى أن تغفر بالتربية على صفات الرجولية، واعتياد القشف الاختياري في المعيشة، ومنه أن لا تسرف في النعم المباح في ليالي رمضان، وأن تصوم من كل شهر عدة أيام، كان أولى بك أيها الكهل أن تكون قدوة صالحة لولدك وأولاد المسلمين، في المحافظة على شعائر الدين، وعلى الآداب والأعمال، التي يبلغون بها درجة الكمال، وأهمها ركوب الصعب، واكتساب ملكة الصبر، وتوطين النفس على مصارعة الحوادث، ومقارعة الكوارث، ألا وإن الصيام جد الصيام أول مقدماتها، وأيسر وسائلها

وأما أدعياء المدينة المغلادون فهم الذين يفترون جهرا ليقول فيهم غير المسلمين والمناقون من المسلمين انهم «متمدنون» وهذه الطبقة اخس الطبقات فلا ينتحل لها عذر ولا يوجه اليها برهان.

عذر الملحد المارق عند نفسه في ترك الصيام أنه فقد الباعث الديني، ولم يترجع عنده باعث تهذيبي، وعذر المترف الشهواني عند نفسه، عجزه عن كبح جماح لقائمه لتحكم الهوى فيها، وضعف الوازع الديني عنها، والجهول السافل من نخوت الناس له عذر هذين الفريقين وعذر آخر وراءهما — وهو انه لا يحظر في باله ولا يصلح له الى ما يمل به كثير من أفرادها من معنى كون الصيام ركنا للدين الذي ينسب اليه، وشعارا للامة التي هو منها، وإن العاقل الذي يرى لنفسه قيمة في الوجود يرى شرفه بشرفها، وذله بملأتها، وأنه مطالب دينيا وعقلا بحقوق لها عليه، وإن دين الامة من مقومات وجودها، فمن فاته الايمان الباعث على اقامته أركانها لاجل سعادة الآخرة، لم يسقط عنه احترام شعائره التي هي أقوى روابط الامة؟ فهذا العلم يؤاخذ ويطلب كل من أوتي نصيبا منه، وترفع المؤاخذة عن كان نصيبه منه الجهل المطلق حتى ان نفسه لا تتوجه الى طلبه، ومنهم من يعتذر بأن الصيام يضره وإن كانوا أصحاب الاجسام، بترك ما اعتادوا من النظام في مواعيد الطعام، والصواب ان ما يتوهمون من الضرر في ذلك هو عين النفع، لأن التزام تلك العادات أضعف أبدانهم

وأففسهم ، حتى صار تغيرها يؤلمهم أو يضجرهم ، وإنما هذا الالم والضجر عرضان لمرض الترف ، والصيام علاج له لا « مضاعفة »

إذا صح أن يكون في الاحاد عذر للملحد، وفي ضعف الارادة عذر للمترف ، وفي تغير المادة ايلام للمهفف ، فبالت شـمري يم يعذر نفسه أو يعتذر عنها من يجاهر منهم بالفطر المجاهرة بالذنب شر من ارتكب الذنب ، لان ارتكابه سرا يجعل ضرره قاصرا على من اقترفه، وأما المجاهرة به فضررها يتعدى المذنب الى غيره، لانه يكون قدوة سيئة لمن كان مستعدا لاقتراف ذلك الذنب تجرئه على اقترافه.

ولان في الجهر به 'ذا كن من الشعائر المالية - كالصيام - احتقارا لللة والامة التي ينسب المفطر اليها ، واضافا لرابطة قوية من الروابط التي تمتاز بها الامة على غيرها

ها هنا يضحك القارئ من هؤلاء الملحدين ، لا تضحكوا الا على أنفسكم بل ابكوا عليها ان أنتم تقولون: يقولون ان الملحد ليس من أهل الملة ولا من أفراد الامة فيرمى بهذا اللوم ويطالب بالاعتذار عن عمل لا يراه واجبا عليه ، وانه يعد الجهر بالافطار في رمضان من الشجاعة الادبية والاسرار به من الضعف والنفاق. وقول: كيف يصدق هذا الكلام على ملاحدة بلادنا وكلهم مناقبون يدعون الاسلام ويلتزمون من احكامه وشعائره وعادات أهله ما لا ينافي أهواءهم ، ولا يعارض شهواتهم ، كالأحكام والشعائر وكذا العادات المتعلقة بالزواج والموت والاعباد ، ويخضعون لشريعته في أحكام الزواج والارث ، فاذا ادعى أحد منهم الشجاعة المنوية بهتك شعار الصيام، فقل له كذبت في دعواك، فان كنت شجاعا فصرح على رؤس الاشهاد بالردة عن الاسلام واترك كل ما هو اسلامي ، ولا تنزوج نساء المسلمين ولا تأكل ترائمهم ، ولا تتول الأعمال والوظائف الخاصة بهم بدعوى أنك منهم . وأما اخفاء معصية الافطار فليست مع صفة المتيدة من النفاق، بل من اخفاء العيوب والعورات

قد يقول بعضهم ان الاسلام جنسية اجتماعية كجنسية اللة وجنسية النسب ، وان العقائد الدينية والعبادات البدنية من الشؤون الشخصية التي يجب ان يكون الناس أحرارا فيها ، ولا ينبغي ان يتوقف عليها تحقيق الجنسية بعد ان ينالها صاحبها بالوراثه أو بتسمية نفسه مسلما

ونحن نقول أن هذا الكلام مغالطة بديهية البطلان فاز الاسلام في الحقيقة دين وهو جنسية لمن يدينون الله به ولو في الظاهر كاقامة أركانه من صلاة وصيام وزكاة وحج وتحليل حلاله وتحريم حرامه ، فهو من حيث هو دين لا تحقق له الا بصحة العقيدة وما يتبعها من الاعمال ، ومن حيث هو جنسية يتحقق بالتزام شعائره وأحكامه الظاهرة الا ما يقع من الاختلال بها شذوذا كما كان المناقون يعملون في الصدر الاول . فمن لا يؤمن بما جاء رسوله ولا يقيم شيئا من أركانه فلا حظ له من جنسيته ، فكيف اذا كان مع هذا مجاهرا بهدم هذه الاركان بلا خوف من الله ولا احترام لاهل هذه الجنسية .

على أن كل منهم الى جنس يجب عليه ان يمدح من يشاركه فيها اخوانا له وان يحترم كل ما يشترك فيه معهم من مقومات الجنسية ومشخصاتها ، والا كان عاقا لهاء مستحقا للطرد والابعاد عنها ، بدلا من مشاركة أهلها في منافعها الصورية والمنوية ، وهؤلاء المجاهرون بالفطر في رمضان لا يشعرون بمعنى الاخوة الاسلامية العامة ، ولا يقومون بشيء من حقوقها ، كما أنهم لا يحترمون الشعائر والاعمال التي لا تعرف الجنسية الاسلامية الا بها .

الحق أقول : ان لبعض الذين يفطرون في رمضان عذرا طبعيا ولا يحمد عذر طبعي الا ان يكون شرعيا ، (كعذر المريض والمسافر والمأجور عن الصيام لحرم مثلا) ولكن لا عذر لاحد في الجهر بالافطار ، لانه احتقار للاسلام وإهانة لاهله ، لا تصدر اختيارا الا من عدوله ولطم ، أو من لا شعوره بمعنى الامة والملة وشرفها كبعض الكناسين والزبالين — لا كلهم — وكل يوجد من أمثالهم في المتدينين المتفرنجين الذين يظنون انهم ممتازون في الامة بارتقائهم في الشؤون الاجتماعية ، وأنهم يشعرون من ذلك بما لا يشعر به الجمهور ، وان الخبير للامة ان تكون مثلهم في ترك أركان الدين وامتنان شعائره والاهتمام بالتمتع بالشهوات وحسبهم شرفا وارتقاء ما يوهمون من عذبة غير المسلمين لهم من « المتدينين » أو « المتورين » ! وباشفاق أمة يكثُر فيها أمثال هؤلاء المتورين ، فانها لا تترقي بهم الا الى أسفل سافلين

حال المسلمين الاجتماعية

ومطامير الأغنياء وسائر الطبقات منها^(١)

١

الإنسان عالم اجتماعي لا يحل فرد من أفراد ولا شعب من شعوبه إلى كماله المقدّر له إلا بالأعمال الاجتماعية التي يتعاون عليها أفراد العشيرة وأهل البلد والوطن وسائر الناس، وعلى قدر هذا التعاون يكون اقرب من اكتمال الاجتماعي والبعد عنه، فالأمم بالأفراد والأفراد بالأمم، فهبتنا للامة التي تنقسم بسعي أفرادها غروب العز والسيادة، وتنقسم ربح القوة والسعادة، ود يا ويح الرجل الذي ليس أمة^(٢) وما كل جمع كبير يستحق أن يسمى أمة، لولا سمة المجاز في الكلام، كقولنا في صور الناس ونماثيلهم هذا فلان وهذا فلان

المسنون جمع كبير يطلق عليه اسم «الامة الاسلامية» بحسب صورته أو باعتبار ما كان عليه وان كان لا يقوم بالأعمال الاجتماعية التي تتحقق بهامومات الام ومشخصاتها، ونحفظ بها مصالحها ومنافعها، والمنار مقالات كثيرة في بيان هذا الموضوع يطلب أقدمها عهدا من المجلد الاول منه. ومن أشهرها مقالة في المجلد التاسع عنوانها (حال المسلمين في العالمين، ودعوة العلماء إلى نصيحة السلاطين) كان لها تأثير في الشرق والغرب، وترجمها بالتركية أحد فضلاء الآستانة وطبعها في رسالة مستقلة باللغتين

وقد نطلق على المسلمين اسم الامة باعتبار ما نرجو أن توّول إليه حالهم، فباعتبار أن ذلك الاستعمال من مجاز الكون يتناغير مرة في تلك المقالات أن الإصلاح الاسلامي ينحصر في كلمة «تكوين الامة» إذ لا أمة في الحقيقة، وباعتبار أن ذلك الاستعمال من مجاز الاول يتسع مجال الاطلاق. وكثيرا ما بيننا الكلام على تحقق الرجاء، وصرحتنا بأن الامة قد ولدت ولادة جديدة، وأنها الآن في سن الطفولة، وإن ما تنصدي له من الاعمال الاجتماعية انما كان صغيرا وعرضة للفشل في الاكثر لانه من

(١) هذه المقالة الموعود بها (٢) هذه الكلمة لتبيننا الاستاذ الامام

قابل أعمال الاطفال ، وقد شرحنا هذا الموضوع في مقالات نشرت في المجلد الثاني وغيره (٥) وذكرنا في المجلد الرابع أمثلة لطفولية الامة ، وقد حدث بعد ذلك ما هو أعظم منها ، وناهيك بسقوط جريدة اللواء العربية وأختها الفرنسية والانكليزية ، وموت مصطفى كامل باشا مؤسسين بأموال الامراء والاغنياء غارقا في الدين ، ويع أئامته ورياشه بالمراد ، ثم سقوط جريدة المؤيد وموت صاحبها غارقا في الدين أيضا ، ثم سقوط (الجريدة) وهي جريدة حزب كبير من الاغنياء

فهذه أكبر الجرائد التي أسسها المسلمون في مصر ، وكان لكل منها شركة وحزب ورأس مال مؤلف من ألوف الجنيتات وأقصار من أغنياء الامة وأصحاب الاقلام فيها ، وقد يتناوبه العبرة في شأن هذه الجرائد بعد موت الاولى وتبريح الداء بالآخرين في ترجمة الشيخ علي يوسف من المجلد السابع عشر (ص ٦٩) وما لي لا أذكر وأذكر في هذا المقام بتلك الفاتحة الوجيزة للشار التي كانت أول ما كتب منه ، ونحمد الله تعالى أنها كانت صورة مصغرة له ، قد ارسمنا مارسمناه له فيها فلم نخرج عنه ، وقد أشرنا فيها الى سوء حال المسلمين ورغبة سوادهم الاعظم عن ما قصد اليه بإنشاء المنار من الجد والاجتهد ، والى وجود أفراد تنهت أنفسهم لاصلاح الخلل ، وتوجهت همهم لمداداة الملل ، والى ان القرض من انشاء المنار ان يكون لسان حال هؤلاء وحادي ركبتهم في سبيل التجديد المطلوب . ثم ظهر لنا ان رجائنا في هذه الفاتحة كان أكبر منها في نفسها

تبسر لنا بهذا المنار أن نخبر حال المسلمين اختبارا لا يكاد يقيس بوسيلة أخرى ، وقد كان هذا الاختبار الطويل والعلم التفصيلي مؤيدا لما كنا عليه قبلهما من الوقوف بين الخوف والرجاء ، وترجيح الامل على اليأس ترجيحا يمتد على الجهاد والثبات على العدل ، وهو ما صرحنا به في فاتحة المنار في العدد الاول للسنه الاولى كان موضوع ذلك الامل الاول من أيقظتهم حوادث الزمان ، وأثر في قلوبهم آثار حكيم مصر وحكيم الافغان ، ومن على مشربهما من دعاة الاصلاح ،

(*) راجع مقالة (طفولية الامة وما فيها من الحيرة والنفة) في ص ٧٣٧ م ٢ ومقالة (الحيرة والنفة وناشئها في الامة) في ص ٧٥٣ م ٢

ثم زاد عدد هؤلاء المحيين للإصلاح بتأثير المنار، ومنهم صاحب الرسالة التي نشرناها في آخر الجزء الماضي فاستبعت كتابة هذا المقال، فهو قد اشترك في المنار منذ أنشئ وكان تلميذاً في المدارس، وقد اشرب قلبه حب الإصلاح، فهو فيه على علم ووجدان وإخلاص، ولكنه على علمه وسعة اختياره لا في هذا البلاد من الفسق وفساد الأخلاق، أقوى منار جاء في مسلميها وفي غيرهم، وانا نخشى أن يضعف ويضمحل هذا الرجاء أو يزول ويحل محله اليأس اذا رأى أن رسالته لم تؤثر، ودعوته لقومه لم تجب، فأحينا أن نذكره بما أشرنا اليه آنفاً مما نشرنا في خوالي السنين، ونؤيده بما في معناه من بيان حقيقة حال المسلمين، لعله يذهب بفرور المبالغ في التفاؤل، ويسك رمق الرجاء على المهوي الى اليأس، وينفخ نسمة الرجاء في اليأس، فقول :

ان في المسلمين كثيراً من بقايا الفضائل الموروثة، التي هي تعد من دلائل الحياة الاجتماعية، وكثيراً من الرذائل والأمراض الروحية الموروثة والحادثة التي هي سبب ماحلّ بدولهم وأممهم من الرزايا التي يئن منها كل من شعر بها بقدر شعوره، وقد استيقظ في بعضهم هذا الشعور منذ مئة سنة أو أكثر، وتصدى بعض حكماءهم وبعض أفرادهم الى إصلاح ما فسد، وتجديد ما اخلوq وبناء ما انهدم، كما بينا ذلك في فاتحة المجلد السابع عشر، واما لم يفلح أحد منهم لان الحكماء القادين على تنفيذ الإصلاح لا يعرفون طريقه، والأفراد الذين يعرفون كنه الإصلاح لا يقدرّون على تنفيذه.

إنما تنهض الأمة بالإصلاح اذا وجد الاستعداد في الجمهور، ووجد الزعيم القادر على استخدام ذلك الاستعداد، ويمكن بيان هذا الاستعداد العظيم بكلمة واحدة من اصطلاح كتاب الجرائد وغيرهم من المعاصرين وهي (التضحية) وما التضحية الا بذل الاموال والانفس في سبيل المصاحبة العامة وهو ما يعبر عنه القرآن بكلمة الجهاد ما قام أمر اجتماعي عظيم كالدين والدولة الا يبذل المال والنفس فمن لم يبذل في سبيل دينه أو دولته ووطنه ما يحتاجان اليه من مال أو نفس فلا دين له ولا دولة ولا وطن، ولذلك جاء في الله تعالى هذا الجهاد آية الايمان بمثل قوله (٢٩ : ١٥) انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل

الله أولئك هم الصادقون)

نحن لسنا بصدد إصلاح محتاج فيه الى بذل النفس ، والتعرض لإفراقة الدم ، وإنما الإصلاح الذي أسس له المنار مدرسة الدعوة والارشاد اصلاح علمي تهديبي يقوم بالمال ، وإنما أنشأنا هذه مجلة لبيان حال من دعاهم ذلك الخالص الغيور في رسالته الى الذبوع بمشروع الدعوة والارشاد ومساعدة المنار .

الا وان الاغنياء أول من يخطر بالبال ، في كل مقام يذكّر فيه بذل المال ، وان أكثر اغنياء بلادنا بل أمثنا كلها أغنياء سفهاء الاحلام ، مسرفون في الفسق ، بخلاء حتى بما وجب من الحق ، أشعة على الخير ، لا يكاد يخرج المال من أيديهم الا على مائدة قمار ، أو في حانة خمار ، أو لبني وقواد ، أو رشوة لحاكم شرير ، أو تزلفا الى سلطان أو أمير أو مدير ، فأكثر ما بذله أغنيائنا في هذا العصر للجمعيات الخيرية أو المدارس أو جمعية الهلال الاحمر أو جمعية الصليب الاحمر فهوريا ، وتزلف للحكام والامراء ، وهذا مما يطمه الكاتب وغير الكاتب علما ضروريا أو كالفرضي .

وأما غير افساق المرائين من الاغنياء فهم كسائر الناس ، والناس فيما نحن بصدهد فريقان : فريق لا يرجي منه خير للاسلام بل يخشى شره ، وفريق قلما يرجي الخير من غيره . فأما الفريق الاول فتلاثة أصناف : ملاحدة المتفرجين ، ومناهقو المعممين ، ونحوت الفقراء الجاهلين ، الذين لا يكادون يفقهون حديثا ، ولا يقولون للامة والملة معنى . وقد بينا في فاتحة هذه السنة من الجزء الاول ان من أولئك الملاحدة والمناقين من تصدى لمقاومة مدرسة الدعوة والارشاد ، بنفث سموم السعاية لمنع إعانة وزارة الاوقاف وغير الاوقاف ، كما سعى أمثالهم وأقنانهم من قبل في الجمعية الخيرية الاسلامية حتى زعموا أنها تمهددي السودان بالمال لقتال مصر والدولة البريطانية وأما الفريق الثاني وهو لوسط في شؤون العقلية أو النفسية ، أو شؤون الاجتماعية أو المعاشية . فيتألف من أصناف يقل فيها الفنى الموسع ، كما يقل فيها الفقر المدقع ، والاغنياء منه ثلاثة أصناف :

صنف تربي تربية اسلامية بحسب ما عليه جمهور المسلمين في القرون الاخيرة من مزج السنن بالبدع ، والمخراقات بالحقائق ، فهم لا يفقهون من بذل المال في سبيل

البر الا بناء مسجد ولوفي مكان تزيد فيه المساجد على حاجة المصلين ، (وإنما يكون هذا من الخير اذا لم يكن المسجد على قبر أحد من الصالحين ، والا كان صاحبه ملعونا على لسان خاتم النبيين) - أو وقف أرض تنفق غلتها على تشييد القبور والبناء عليها أو حولها وما يكون من المواسم عندها في الاعياد وجمع رجب ، وكل ذلك من المعاصي وبدع الضلالة المنكرة التي لا يجوز الوقف عليها وان تضمنت إعطام بعض الفقراء الطعام للمتدع لاجلها ، فهذا الصنف قلما يرجى منه الآن فائدة للأعمال الاصلاحية كشرع الدعوة والارشاد

وصنف آخر تربى أفراده على التفرنج ولكن لم يكونوا كجواهر المتفرجين القديين لاحظ لهم من حياتهم الا تقليد الافرنج في عاداتهم الخاصة بالزينة والطعام والشراب والتمتع باللذة واللهو واللعب كثرية السكالب والسير بها والركوب معها بل أودع في نفوسهم الميل الى الاقتداء بهم في بذل المال للمنافع العامة ، لا رياء للجمهور ، ولا نزعا لما كرم أو أمير ، بل لان ذلك عندهم من اللذات النفسية ، أو الشرف والكمال الانساني ، وبهذا ارتفعوا عن جمهور الاغنياء الاغنياء السفهاء ، ولعل هذه البلاد لا تخلو من افراد منهم ، ومن عساه يوجد منهم فقد يذل المال للمساعدة على تعليم الموسيقى والتصوير أو الألعاب الرياضية ، وقلما يحفل بالإصلاح الديني العلمي الا ان كان له نزعة دينية أو تهذيبية ، وأتى لجماعة الدعوة والارشاد بالاهتداء الى مثل هذا واقناعه بأن مقصدها الاول من مدرستها بث المرشدين في أنحاء البلاد لتعليم العوام ما يحرهم عن المعاصي والمنكرات ، ويزكيهم من أدراك البدع والخرافات ، حتى تستفيد المدرسة من مساعدته ؟

وصنف ثالث هم الوسط الصحيح ، هم الذين أوتوا نصيبا من التربية الدينية والعلم الاسلامي الصحيح ، ونصيبا من حال هذا العصر وما يحتاج اليه المسلمون فيه من الاصلاح ، وانغمس في هذا الصنف أندر منه في سائر الاصناف ، والرجاء في مثله لمساعدة الدعوة والارشاد ، أقوى وأشد منه في سائر الناس ، الا أن ينبل على دينه وعقله البخل الفاحش والشح المطاع ، وإيثار وعدا الشيطان بالفقر على وعد الله بالمغفرة والاخلاف ، وإذا كان الصنفان المذكوران قبل هذا - وهما كالمطرفين له - مما يصعب

اقتاع افرادها بوجود المساعدة على الاصلاح الديني العلمي فهذا الصنف لا يحتاج الى اقتاع ، ولا ينفى عليه وجود ما يوجد منه في البلاد ،

ومن اغنياء هذا الصنف من غلب عليهم الترف ودب الى دينهم الوهن ، فضمت غيرهم على اسلامهم الديني ، دون اسلامهم الاجتماعي والسياسي ، فهم يودون اصلاح حال المسلمين ، ويستقدون أن ذلك لا يرجى الا من طريق الدين ، وإنما يودون أن ينهض بالاصلاح غيرهم ، ولا تسمو بهم المهمة الى المساعدة عليه باموالهم ولا بانفسهم

تلك أصناف الاغنياء ، الذين يصح أن يتعلق بهم الرجاء ، بما في أنفسهم من هدي الدين أو علو الهمة ، أو العناية بأمر الامة ، وقد علم أن من يوجد في هذه البلاد منهم قليل ، وإن الرجاء في هذا القليل ضعيف .

فلم يبق من فريق المعتدلين الذين يرجى رفدهم الا المستورون الذين لا يقدرون على مساعدة الاصلاح الا بما يوفرون من كسبهم بالاقتصاد في النفقة اللاتقة بامثالهم ، كما حاب الرسالة التي هدتنا الى كتابة هذا المقال ، ولا غنا في مساعدة هذا الصنف الا اذا كثر أفراد الباذلين منه ، وفاقا للقاعدة المقررة : [القليل من الكثير كثير] وما أغفل أن الظفر بهذا الكثير عندنا ميسور ،

فلم مما شرحناه أن من يرجى منهم بذل شيء من فضول أموالهم في سبيل الاصلاح الديني والاجتماعي قليلون ، وإن ما يرجى بذله من هؤلاء القليلين في بلادنا قليل لاغناء فيه ، لأن أكثر الانفس أحضرت الشح ، واستحوذ عليها الصغار والذل ، وكذبت وعد الله بالاخلاف على المنفق ، وصدقت وعد الشيطان له بالفتن . ثم إن بذل المال الكثير في هذه السبيل إنما يصدر عن عرفان ووجدان — عرفان بالمصلحة فيه وشدة الحاجة اليها ، ووجدان ايمان راسخ تنال به سعادة الدنيا والآخرة ، أو وجدان شرف باذخ تنال به سعادة الاولى فقط ، على ان باعش الشرف وباعش الايمان ، قد يتلاقيان ويتصانغان ، وانتي أوضح هذا المقام بأمثال ، أشير بها الى أعظم من رجوت هنا من الرجال

كان أرجى أغنياء مصر عندي لمشروع الدعوة والارشاد ثلاثة أصرح باسم

واحد منهم وهو رياض باشا تفجده الله برحمته، ذلك الرجل الذي انفراد في كبرياء مصر وأغنيائها بأنه لم يكن ينبغي فيه رجاء، ولا يفوته مساعدة عمل من أعمال الخير، ولو عرف كنه مشروع الدعوة والارشاد لما اكتفى بالتبرع له بمئة جنيه، وإنما عرف منه انه مدرسة خيرية، ففجحه بمثل ما فجع به مدرسة محمد علي الصناعية، وهي المدرسة التي تولى رياسة جمع الاعانات لها، على ان الحديو وارث ملك محمد علي التي أنشئت المدرسة احياء لاسمه وتذكراً للمرور مئة سنة على ملكه لم ينفجها بأكثر من ذلك. فهذا عذر رياض باشا في عدم صدق رجائي كله في مساعدته لهذا العمل وأما اللذان لا أصرح باسمهما فقد كان رجائنا في أحدهما اكبر من رجائنا في رياض باشا، وهو أوسع منه ثروة، وفهم من كنه المشروع ما لم يفهمه، بل قال فيه كلاماً يؤثر ويدون له، (منه) انه طالما فكر فيه، وتعجب من احجام المسلمين عن القيام به الى اليوم، وانه يود لو يكون عضوا عاملا فيه، وإنما يمتنع من وضع يده في أيدي أعضاء ادارته عدم ثقته بلبائهم، اللهم الا واحداً منهم، وعلى ذلك بأن أهل بلادنا هذه يقولون ولا يفعلون، ويدوّن بالأعمال ولا يثبتون، (ومنه) أن هذا العمل سيلقى صعوبات، وتوضع في طريقه العقبات، وانه لا يقول هذا تضييلاً (أي) بل تنبيهاً، ولا تنصلاً من المساعدة فانه سيساعد بالمال، ثم انه أكد هذا الوعد غير مرة لنا، وذكره لغيرنا، وقد كان آخر عهدنا بالسعي لاستنجاه شهر رجب الماضي وأما الثالث فهو غفي معروف بالعلم والفضل والدين، وقد كان منانا أحد أصدقائه بأنه سيتبرع للمدرسة بمئة جنيه غير ما يفرضه على نفسه من الاشتراك السنوي، وذكر لنا صديق آخر له عزمه على المساعدة من غير تحديد. وقد بلغنا ان ما يجب عليه من زكاة التذكل سنة أضعاف ما يملكه صاحب الرسالة التي تتكلم في موضوعها، وقد ذكرناه في هذا العام بشدة حاجة المدرسة الى ما تنتظر من مساعدته لاقطاع اعانة الاوقاف عنها، وفقاد ما قد جمع لها، فاعتذر بما يعتذر به أكثر الناس في هذا العهد، وهو العسرة التي جاءت بها هذه الحرب

فاذا كان وعد أرجى من نرجو من أغنيائنا، واشترك من يشترك في مثل هذا المشروع من أفضل فضلائنا، لا يوثق بهما ولا يتكل عليهما في استنجاه دار

لمدرسة خيرية ، قبل يظن (م . ن) صاحب تلك الرسالة أن ما جاء به من النصيحة والتذكير بيسطان الايدي المغفولة ، وبينان^{١١} الانفس المفسولة^{١٢} ، فتدقق الدنانير على مدرسة الدعوة والارشاد اليوم كما تدقق على جمعية الصليب الاحمر بالامس ، وعلى جمعية الهلال الاحمر من قبل ؟ ان كان يظن ذلك فما نحن بظانين ، ولا نحن من فضل الله وحياة المسلمين يائسين . ولكننا بعد طول الاختبار لا ننتز بوعده واعده ولا بثبات متبرع ولا واهب ، وان كان هذا أو ذاك ، ممن اشتهروا بالسخاء ، فان أكثر أصحاب هذه المظاهر ، مصداق لقول الشاعر

يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما لكنها خطرات من وساوسه
كلالة لا يرجى في هذا القطر جمع مال كثير بالتبرع يكون رأس مال لمدرسة
كدرسنا أو مدرسة دونها الا بنفوذ الامراء والحكام ، وقد كان بعض هذا ممكنا
لنا من قبل ولم نطرق باب ، وأما اليوم فلا يرجى كله ولا بعضه ، فأما سبب بذل
المال قريبا الى الامراء والحكام فمرفوع ، وأما إمساكه عن المصالح العامة فسيبه
ضعف الايمان ، وضعف وجدان الشرف وحب الكمال . والحمران مما يولدان
من المناصب العالية والآمال العظيمة ، وليس في تربية الامة ما يحيج ذلك في نابتها
هذا وانما بعد هذا البيان قول لصاحب تلك الرسالة وقبره من أهل القبرة
ان هذا المشروع لا يرجى أن ينفذ بحسب نظامه المعروف الا اذا نجحنا فيما سعيينا
اليه في الآسنة ثم في مصر من تقرير اعانة له كبيرة ثابتة من وزارة الاوقاف فهذا
يستمر ويوثق بثباته واستمراره ويشتر نفعه في الامصار والاقطار ، ويرجى بعد
ذلك أن يتبرع له ويقف عليه العقار والاراضي كثير من أهل الخير ، ولا سيما بعد
أن يتخرج في مدرسته من يحسنون القيام بما فرضه الله تعالى على المسلمين بقوله :
(وتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك
هم المفلحون) فاذا غفرنا باعانة ثابتة من وزارة الاوقاف فذاك ، والا جطلنا المدرسة
خارجية ، وأنفقنا عليها ما آتانا الله من كسب ومساعدة أهل المروءة والا خلاص مهتدين
بقوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ،
لا يكلف الله نفسا الا ما آتاه ، سيجعل الله بعد عسر يسرا)

السنة وصحتها والشرعية ومئاتها

رد على دعاة النصرانية بمصر

٢

﴿ تنقمة واستدراك — استنكار المتأخرين لبعض متون أبي هريرة ﴾

قد دلم مما تقدم أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه راوية ثقة عدل وأنه من نوابغ البشر في الحفظ والضبط لما يحفظ وقوة الذكر (الذاكرة) وعلم أيضا أنه انفرد بأحاديث كثيرة كان بعضها موضع الانكار أو مظنة لغرابه موضوعا كأحاديث الفتن وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم ببعض المنيات التي تقع بعده ؛ ويزاد على ذلك أن بعض تلك المتون غريب في نفسه، ولو انفرد بمثله غير صحابي لعد من العلل التي يثبت بها في روايته، كما هو المهود عند قتاد الحديث أهل الجرح والتعديل ؛ ولذلك نرى الناس ما زالوا يتركلمون في بعض روايات أبي هريرة كما رأى القراء في [دروس سنن الكائنات] للدكتور محمد توفيق صديقي، وأول كلمة طرقت سمعي في ذلك كانت من تلميذ مسلم في مدرسة غير إسلامية ييلاد الشام ، وكان ذلك في أوائل العهد بطليي للعلم . ومن أعرف ترجمة أبي هريرة معرفة تامة بحزم بصدائته وبرأته من الكذب على أحد من الناس ، بله الكذب على رسول الله (ص) الذي روى هو وغيره عنه انه قال « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وقد صرحوا بأن هذا الحديث متواتر

ولعل قراء المنار يتذكرون ما علقته على كلام محمد توفيق صديقي في حديث الباب — وتطرقه فيه الى الارتباب في رواية أبي هريرة — اذ بينت بالاجاز انه لا مجال للطعن في أبي هريرة نفسه وأن حديث الباب وأمثاله مما يستبعد أن يكون مسموعا من النبي (ص) لا يظهر علة نقلها عن أبي هريرة الا اذا أحصيت تلك (المنار: ج ٢) (١٣) (المجلد التاسع عشر)

٩٨ حلل الاحاديث النرية والموقوف الذي له حكم المرفوع [المنار: ج ٢ م ١٩]

الروايات ولا سيما ما انفرد به ابو هريرة منها ، ودقق النظر في أسانيدھا ومتونها ، وما يمكن طروءه من الاحتمالات فيها ، واسمات هذه الاحتمالات أربعة :

(أحدها) أن يكون في رجال السند الى أبي هريرة من هو مجروح وان صحح

(ثانيها) أن يكون ذلك الحديث أو الأثر مرويا عنه بلفظ وقد وقع الغلط من

أحد الرواة في فهمه فقله كما فهمه

(ثالثها) أن يكون ما روي حديثا رأيا لأبي هريرة أو غيره ممن روى عنه وعده

بعض الرواة حديثا لا جتهاده بأن مثله لا يقال بل رأي ، فاقاله العلماء من أن قول

الصحابي اذا كان لا يقال مثله بل رأي له حكم المرفوع الى النبي (ص) لا يصح على

إطلاقه ، والناس يتفاوتون في فهم ذلك ، فما يئمه بعضهم منه لا يئمه الآخر منه ،

(رابعها) ان يكون رواه عن أهل الكتاب بالسماع من أسلم منهم ككعب

الاحبار أو رآه في كتبهم وهو مما لا مجال للرأي فيه فيعده من قبيل المرفوع من

ياخذ ذلك القول قاعدة عامة ، وقد ثبت ان أبا هريرة روى عن كعب الاحبار

وأن معاوية قل في كعب الاحبار انهم كانوا يبلون (أي يختبرون) عليه الكذب ، وقد

تقدم ذلك في هذا المقال قتلا عن البخاري ، واتي كنت أسبى الظن في روايات

كعب الاحبار قبل أن أرى ما رواه البخاري عن معاوية فيه ، وكذا وهب بن منبه .

ثم انني بعد كتابة ما تقدم وقبل طبعه رأيت في تفسير سورة النمل من تفسير

الحافظ ابن كثير بعد ذكر عدة روايات عن الصحابة في قصة ملكة سبأ مع سليمان

عليه السلام ما نصه :

« والاقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في

صحفهم كروايات كعب ووهب ساعهما الله تعالى فيها قتلا الى هذه الامة من أخبار بني

اسرائيل من الاوابد والثرائب والمعائب مما كان وما لم يكن وبما حرف وبديل ونسخ ،

وقد أثنانا الله عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ والله الحمد والمنة » اهـ

لجملة القول في هذه الاحاديث المشكلة اذا كانت مرفوعة الى النبي (ص)

أو موقوفة على أحد رواة الصحابة (رض) أبي هريرة أو غيره ان يدقق النظر في

أسانيدھا أولا فاذا كان في الاحتجاج ببعض رجالها مقال كفتينا أمرھا وكذا اذا

كان فيها اقطاع أو ارسال، والا فظننا في غير ذلك من الوجوه التي يكون بها المخرج كقطر الرواة بسبب النقل بالمعنى أو غيره من الاسباب ، وأدعى الدواعي أن يكون الحديث مأخوذاً من بعض أهل الكتاب بالقبول ولم يمز اليه ، ولا يفرنك قولهم ان مراسيل الصحابة حجة وان الموقوف الذي لا مجال للرأي فيه له حكم المرفوع ، فاذا ثبت ان أباهريرة مثلاً كان يروي عن كعب الاحبار وأن الكثير من أحاديثه مراسيل فالواجب أن يترقى في كل غريب لم يصرح فيه بالسماع من النبي (ص) فاذا كان من الاسرائيليات أو ما في معناها احتمل ان يكون قد رواه عن كعب وكان هذا الاحتمال حلة مانعة من ترجيح اسناد كلام الى النبي (ص) (يوقع في الاشكال . لا ينسج هذا الموضوع لتحرير هذا البحث بالتفصيل ولكننا نذكر أهل العلم بحديث يرون فيه اكبر عبرة في هذا المقام وهو حديث الجساسة الذي حدث به تميم الداري رسول الله (ص) واخرجه مسلم في صحيحه مرفوعاً من طرق يخالف بعضها بعضها في متنه ، فهذا الخلاف في المتن علة من بعض رواة الصحيح ، ولا يظهر حله على تعدد القصة ، ثم ان رواية الرسول (ص) له عن تميم الداري إن سلم سندها من الطل هل نجعل الحديث ملحقاً بما حدث به النبي (ص) من تلقاء نفسه فيجزم بصدق اصله ، قياساً على اجازته (ص) او تقريره للعمل اذ يدل حله وجوازه؟ الظاهر لنا ان هذا القياس لا محل له هنا ، والنبي (ص) ما كان يعلم الفيب فهو كسائر البشر يحمل كلام الناس على الصدق اذا لم تحف به شبهة، وكثيراً ما صدق المنافقين والكفار في احاديثهم، وحديث المرئيين واصحاب يثر معونة مما يدل على ذلك ، وانما كان يعرف كذب بعض الكاذبين بالوحي او ببعض طرق الاختبار او اخبار الثقات ونحو ذلك من طرق العلم البشري، وانما يمتاز الانبياء على غيرهم بالوحي، والمعصية من الكذب وما كان الوحي ينزل الا في امر الدين وما يتعلق بدعوته وحفظه وحفظ من جاء به، وتصديق الكاذب ليس كذباً . وحسبك ان تأمل في هذا الباب عتاب الله لرسوله إذ أذن لبعض المعتذرين من المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك وما علله به، وهو قوله (عفا الله عنك لم اذن لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)

واذا جاز على الانبياء المرسلين ان يصدقوا الكاذب فيما لا يخل بأمر الدين ولا

١٠٠ دعوى ان الشريعة لا قيمة لها . احصاء المسلمين [المار: ج ٢ م ١٩]

يترتب عليه حكم شرعي ولا شيء . يتنافي منصب الرسالة ، افلا يجوز على من دونهم ان يصدقوا الكاذب في اي خبر لا تقوم القرينة على كذبه فيه ؟ ومن صدق شيئاً يجوز أن يحدث به من غير عزو الى من سمعه منه . ولكن هذا كان قليلا في الصدر الاول من الاسلام ، فقد ظل المسلمون عدة قرون ينقلون كل شيء بالرواية وإن كان يبت شعر او كلمة مجنون

﴿ تنبيه مهم ﴾

ان الاحاديث المشككة الصحيحة الاسناد قليلة فما رواه ابو هريرة منها قليل من قليل ، وما انفرد به منه اقل ذلك القليل ، ولا يتوقف على شيء منها اثبات اصل من اصول الدين ، والحمد لله رب العالمين

﴿ المجلة الخامسة الخاتمة لكلام الطاعن ﴾

﴿ استنتاجه من جملة دعاويه أن الشريعة لا قيمة لها في نفسها ولا في روايتها ﴾
قال بعد سرد ما تقدم عن الشبهات على رواية ابي هريرة ما نصه :

هذا هو الرجل الذي وضع مع ابن عباس اساس الشريعة . ولكن ما هي قيمتها ؟ ان السؤال مهم جدا ، ويطلب الجواب عليه من الثلاث مئة مليون في الوجوديين في العالم . اه بحروجه اشتملت هذه الخاتمة على دعوى باطلة ، واستفهام إنكاري تهكمي ، ووجه هذا السؤال فيها الى ثلاث مئة مليون سني^(١) أي الى كل فرد من أفراد أهل السنة الذين يسكنون في جميع الاقطار ، ويتكلمون بعشرات من اللغات ، ولماذا ؟ لان السؤال مهم جدا في نظر القسيس المبشر التصدي هو وجمعيته لتنصير كل هؤلاء المسلمين بعد عجزهم عن هذا السؤال المهم جداً !! مخبز

الجواب عن الدعوى

هذه الدعوى ظاهرة البطلان عند المسلمين وعند من له أدنى إلمام بشريعتهم

(١) قد اشتهر منذ عشرات من السنين ان المسلمين ثلاث مئة مليون وأول أوربي اشتهر عنه هذا القول عاقل ألمانية غايوم الثاني ، والظاهر ان أهل السنة وحدهم صاروا ييلتون هذا العدد كما قالت مجلة الشرق والغرب ، ونم عشرات الملايين من الشيعة وغيرهم

وتأديهم من التصاري وغيرهم ، سواء أراد بأساس الشريعة أصول أدلتها التي تستلزم منها - وهو الأقرب - أو أصول مقاصدها وهي العقائد والاحكام والآداب ، ونستغني عن بيان ذلك بما قلناه في مسألة أركان الشريعة الذي فندنا به القضية الثالثة من قضايا المجلة الاولى من مقاله (راجع ص ٢٨ ج ١) ثم قول :

إن أبا هريرة وابن عباس ما وضعوا أساس الشريعة ولا أركانها ، ولا أصولها ولا فروعها ، وإنما رويانا كغيرهما من الصحابة الكرام الكثير الطيب من سنة الرسول ، وهي ثابتة الاسس والاصول

وقد بينا أن البخاري خرج لأبي هريرة ٤٤٦ حديثاً في صحيحه ، وتقول هنا انه خرج فيه لابن عباس ٢١٧ حديثاً . وهذا القدر من روايتهما للاصول الموصولة من الاحاديث لم يتفردا به وإنما شاركهما في رواية الكثير منه غيرهما ، ولو أحصينا ما انفرد بروايته أبو هريرة وحده من احاديث الاحكام الشرعية لرأيناه قليلاً جداً ، وعلينا انه لو لم يروه لما قصص كتب الاحكام شيئاً كثيراً ، وإن ما عسى أن تنقصه يمكن أن يعرف حكمه من قواعد الشريعة الثابتة وأصولها القطعية ، كقاعدة رفع الحرج والعسر وأثبات اليسر وترجيحه ، وقاعدة كون الاصل براءة الذمة ، وكون الاصل في كل الخباثات والمضرات الحرمه ، وفي كل الطيبات الحل ، وكون الضرورات تبيح المحظورات ، وغير ذلك مما لا مجال لتفصيله في هذا الرد

﴿ قيمة الشريعة الاسلامية ﴾

الجواب عن الاستفهام التهمكي

لا أرى شياً لسؤال القس الطاعن عن قيمة الشريعة الاسلامية الا السؤال عن الشمس ما فائدتها للعالم ؟ وعن العافية ما فائدتها للناس ؟ وعن الماء والهوا ما فائدتها للنبات والحيوان ؟ سواء كان السؤال سؤال انكار وتهكم أو سؤال استفهام ، وإنما نجيب عن هذا السؤال بجواب مجمل وجيز ، لان التفصيل لا يأتي الا بتصنيف كتاب كبير ، فنقول :

(١) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي ثبتت نبوة من جاء بها

بالبرهان العقلي العلمي الثابت الدائم، وملخصه أنه رجل أمي نشأ بين قوم أميين بلغ الكهولة ولم يقرأ كتاباً، ولم يكتب سطراً ولا حرفاً، ولا قال شعراً ولا ارتجل خطبة، ولا رأس قبيلة ولا ساس قرية، ولا اتحل كفاة ولا عرافة، ولا عرف شيئاً من شرائع الأمم وأديانها - ثم قام في سن الكهولة بدعوى النبوة، وأيد دعواه بكتاب اشتمل على أخبار الغيب الماضية والمستقبلية، وسنن الله في الدين والمدنية، وعلى أصح علوم العقائد الإلهية، المؤيدة بالبراهين العقلية والعلمية، وأصلح علوم الأخلاق والفضائل النفسية، والعبادات الجامعة بين المنافع الروحية والجسدية، وأعدل قواعد الشرائع السياسية والمدنية الخ ثم انه اجتث بهداية هذا الكتاب جرائم الوثنية، وطهر الأمم من الخرافات التقليدية وأخلاق الجاهلية، فكان للناس بذلك دين كامل وشريعة عادلة وأمة مؤلفة من جميع الشعوب والقبائل، ودولة أحييت الحضارة وامتدت من المشرق إلى المغرب في جيل واحد

فكان مثل محمد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم كمثل رجل جاء بلداً مصاباً بالآلوة المحتاجة والأمراض المعضلة، وادعى انه طبيب وأيد دعواه بكتاب في الطب والعلاج طهر به ذلك البلد كلها من الأمراض والآلوة، فأصبح أهله متمتعين بكامل الصحة والعافية

فكما يجزم كل عاقل بأنه يستحيل على غير الكامل في علم الطب أن يؤلف كتاباً في الطب يزيل بالعمل به الآلوة ويشفي المرضى - كذلك يستحيل بالاولى أن يقدر رجل أمي على الاتيان بأخبار الغيب وعلوم الدين والشرائع والآداب فيصلح بها أديان أمم كثيرة وآدابها وأخلاقها وأحكامها وسياستها، إلا أن يكون نبياً مؤيداً بوحى الله وعنايته العليا، بل يستحيل صدور مثل هذه العلوم والأعمال من واحد أو من جماعة تعلموا جميع علوم البشر وعلوم الأديان في أعلى مدارس هذا العصر الجامعة. دع إعجاز القرآن يلاغته وأسلوبه وسائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم (٧) أن هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة الجامعة بين هداية الدين الإلهي الحق، وبين ثمرات عقول العلماء المجتهدين، الواقفين على مصالح البشر وما يقوم به العدل بينهم، وما سواها فاما ديني محض لا مجال فيه لعقل ولا رأي، واما

وضعي ناقص لا يحترم في السر كما يحترم في الجهر
(٣) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي تواتر كتابها وتواتر احقيها ،
ورويت سنتها ورواية متصلة الاسناد ، ودون تاريخ روايتها تدوينا مبني على ركني
النقد والتمحيص ، الذي يميز به بين الصحيح وغير الصحيح ،

(٤) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي حررت البشر واعتقنتهم من
رق رؤساء الدين ، الذي أرهق الفارين ، فلم نجعل لأحد سيطرة روحية على
أحد ، فليس فيها كنية ولا قسيسون يمتازون بمناصبهم الدينية على غيرهم ، أو
تتوقف إقامة شيء من أمر الدين عليهم ، وإنما خوطب البشر بها على سواء ، فهم
يتفاضلون فيها بعلومهم وأعمالهم الكسبية ، لا بمناصبهم الموروثة ولا أنسابهم الشريفة ،
(٥) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي أعنت البشر من رق
الملوك المستبدين الذين اتحلوا لانفسهم حق الحكم بمحض الهوى والارادة ، وحق
وضع الشرائع والقوانين بالذات أو بالنيابة ، وحق الامتياز في الحقوق الشرعية على
غيرهم من أفراد الامة ، فجعلت أمر الامة شورى بين أهل المل والعقد ، من أهل
العلم والرأي ، الذين يولون عليها من يرونه أصلح لتنفيذ شريعتها ، ولم نجعل للخلفاء
أو السلاطين ، امتيازاً على أحد من الفقراء والصعاليك ، لا في حكم من الاحكام المدنية ،
ولا في عقوبة من العقوبات الجزائية ، وقد وافقتنا بعض الامم في بعض هذه الاصول
أو اقتبستها منها ، بعد أن ترك المتغلبون على المسلمين اقامتها ، ولكن لم يبلغ أحد شأوها
الى هذا اليوم ، وإنما صار بعضهم أقرب اليها ، ممن يسمون أنفسهم أهلها .

(٦) هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي ساوت بين أهلها المؤمنين بها ،
وبين الكافرين بها اذا تحاكموا اليها ، سواء كانوا من أهل ذمتها ، او من الاجانب
المعاهدين لحكومتها ، او الحريين الداخلين في امان احد من أهلها ، فلا فرق في
احكامها القضائية بين أبناء الرسول وامراء المؤمنين ، وبين أضعف أهل الكتاب أو
الوثنيين ، ونحن نرى أرقى الافرنج وأشهرهم بالعدل يميزون أنفسهم على غيرهم ، فلا يرون
المصري والهندي مساويا للانكليزي ، ولا الاسوي مساويا للامريكي

(٧) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي رفعت شأن النساء وأعطتهن

حقوق الاستقلال التام في التصرف بأموالهن ، وسأوت ينهن وبين أزواجهن في جميع الحقوق المعروف ، الا رياسة المنزل وزعامة الاسرة ، وإن كلمة وجيزة من كلمات القرآن الحكيم في ذلك لا يبلغ من كثير من الاسفار التي ألفت في المطالبة بحقوق النساء أو ما يسمونه تحرير المرأة ، الا وهي قوله عز وجل

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرَّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

وهذه الدرجة التي أعطيت للرجل بحق — وهي رياسة البيت — لانه أقدر على الكسب والحماية ، والمطالب بجميع النعمة ، تشبه الرياسة العامة فبا شرع فيها من الشورى كما يدل عليه قوله عز وجل في مسألة ارضاع الولد وقطامه (فَإِنْ أَرَادَ إِفْصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) وقد احدى كثير من الامم ببعض هدي هذه الشريعة في هذه المزية ولم يبلغ أحد منها شأوها ، ولكن أهلها قصرُوا في إقامتها ، حتى صاروا حجة عليها عند من يجملها

(٨) هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي وضعت للحرب نظاماً حرم فيه العدوان والتشيل والتخريب . وقتل من لا يقاتل من النساء والشيوخ والاطفال والمنقطعين للمباداة فجعلتها ضرورة تقتدر بقدرها ، وأمرت بالجنوح للسلم أن جناح العدو لها ، وقد بين المنار فضلها في ذلك على قوانين أوروبية وفضل أهلها في حروبهم على الاوربيين في مقالة نشرت في مجلد السنة الماضية . وقد انصفنا أحد حكماء الافرنج بقوله « ما عرف التاريخ فلقها أحمل ولا أرحم من العرب »

فأين منها شريعة التوراة التي بين أيدي اليهود والنصارى وهي التي أوجبت في الفصل العشرين من سفر تثنية الاشتراع استبعاد جميع أفراد الشعب المسلم الذي يختار الصلح على الحرب ، وقتل جميع ذكور الشعب الذي يحارب عند الظفر به وجعل جميع نساؤه وأطفاله وما يملكه فنائم — هذا اذا كان من المدن البعيدة جدا عن شعب التوراة التي لا يسهل عليه سكتهاها! وأما الشعوب القريبة التي يسهل عليه ابتلاك بلادهم فهذا نصها فيهم « ١٦ » وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبك فلا نستبق منها نسمة ما »

(٩) هذه هي الشريعة الوحيدة التي فرضت على الاغنياء نصيبا معلوما مما يزيد من أموالهم عن فقائهم بصرف لإعانة الفقراء والمساكين العاجزين عن كسب تكفيهم ، ولمساعدة الفارمين على ما يحملون من الفرامات للإصلاح بين الناس ، ولبناء السبيل الذين يسبحون في الارض فتند فقائهم قبل عودتهم الى أوطانهم ، ولغير ذلك من المصالح العامة ، ولو أقام المسلمون في هذا المصير هذا لركن كما كان يقيه . منهم الصالح لما وجد فيهم قدير مهين ، ولكانت حالهم الاجتماعية أفضل من حال أرقى الأمم ، ولكن السائحون منهم لاكتشاف مجاهل الارض وخرت بقاعها والاعتبار بأحوال الام فيها أكثر من سائحي غيرهم من الامم ، اذ حثهم الله في كتابه العزيز على السياحة النافعة بمثل قوله في سورة الحج (أفلم يسبروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) وقوله في -سورة المؤمن (أفلم يسبروا في الارض فيظنوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) وقوله في سورة آل عمران (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا) الخ

(١٠) ان هذه الشريعة هي خاتمة الشرائع الالهية ، وحكمة ذلك أن الله تعالى قد اكمل بها الدين الحق ، فجعلها جامعة بين مصالح الروح والجسد ، ومنع الأمة حق الاجتهاد واستنباط الاحكام ، بما وهب لها من فضيلة الاستقلال ، بعد ان أعدها لذلك بسنة الارتقاء ، وبهذين كانت موافقة لمصالح البشر في كل زمان ومكان ، خلافا لما يجنيه عليها الصديق الجاهل ، وما يتجنه عليها العدو العاقل ، وقد يناهذه المسألة في التفسير وفتاوى المنار ومقالاته مرارا كمقالات المصلح والمقلد ، والفتاوى الباريزية ، وتفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وتفسير (اليوم أكملت لكم دينكم) وتفسير (لاسألوا عن أشياء ان تبدل لكم تسؤلكم) وطالما فندنا شبهات المنكرين لذلك

فهذه بعض مميزات هذه الشريعة التي يعرف قيمتها المنصفون من غير أهلها . فان أمكن لهذا المجال فيها أن يشكك أهلها فيها بما زعمه من أرتياب بعض الناس في رواية أبي هريرة رضي الله عنه أو ينير ذلك من الدعاوي (وإن يمكن) فلا يخفى من ذلك الا انصراف ثلاث مئة مليون سني ربما يتبعهم زهاء ثلاثين مليونا من الشيعة (المنار : ج ٢) (١٤) (المجلد التاسع عشر)

وسائر الطوائف الاسلامية من الايمان بأن المسيح عليه السلام رسول الله المعصوم وكلته التي أتقاهم الى مريم الطاهرة البتول، الى مثل اعتقاد ملاحدة الاوريين من الانكبايز وغيرهم كؤلف كتاب (نشوء فكرة الله) وؤلف كتاب (اضرار تعليم التوراة والانجيل) وغيرهم من الماديين الذين يطعنون فيه وفي أمه الطاهرة ، ويزعمون ان آداب انجيله مفسدة للبشر لانها تعلم الناس النذل بالخضوع لكل سلطة وإن كانت أجنبية جائرة ، وإدارة الخديين اكل من يريد صفعهما ، وتدفعهم الى الفقر بتحريم الادخار والاهتمام بالمستقبل وحرمان الاغنياء من ملكوت السماء .. (مت ١٩: ٢٣) لو كان الشك في الشريعة الاسلامية يفضي الى تنصر الشاك فيها حتماً لكان للطاعن المشكك فيها — وهو داعية لدينه — غفر ظاهر في التشكيك ، ولكن لا تلازم بين الامرين ، بل علمنا بالتجارب والاختبار أن اكثر الذين يبرقون من الاسلام يكونون ملاحدة معطلين ، وأن الافراد القلائل من المسلمين الذين دخلوا في النصرانية لا يكاد يوجد واحد منهم كان مسلماً حقا ثم صار نصرانياً ظاهراً وباطناً ، بل هم في الغالب من العوام الفقراء الكسالى الذين يظهرون النصرانية للبشرين لاجل أن يطعموهم ، وهم على جهلهم بحقيقة الاسلام لا يفضل أحد منهم تقاليد النصرانية على ما عرف من تقاليد قومه ، ولما يفتح لاحد منهم باب الرزق عند المسلمين الا ويهرأ اليه مفضلاً له على الارتزاق بالتفاق ، وطالما سعوا الى ذلك وطرقوا له الابواب وكما فتح لاحد منهم باب من باب وأتاب ، فأين هؤلاء الفوغاء ممن يدخلون في الاسلام من كبراء الانكبايز وفضلائهم وغيرهم من نصارى الغرب والشرق كاللورد هولي

قال حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني : ان المسلم لا يمكن أن يصير مسيحياً — وعلا ذلك بقوله — لان الاسلام مسيحية وزيادة ، أي يتضمن الايمان بالمسيح (ص) وبما جاء به بالاجال ، والايمان بمحمد (ص) وبما جاء به بالتفصيل . وعلائه نحن بأن دين الله واحد في أصوله من التوحيد والاخلاص والفضيلة ، الا أنه سار كسائر الشؤون المتعلقة بالبشر على سنة النشوء والارتقاء فكان كاله في آخره (اليوم أكلت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) فالسلم

ينظر الى ملة كل من نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام كما ينظر الانكليزي الى القوانين التي كان عليها قومه في القرن السادس عشر والسابع عشر — الى القرن العشرين ، ولكنه لا يترك ما ارتقى اليه من القوانين المناسبة لحال زمنه هذا الى ما ارتقى عنه من قوانين القرون الخالية ، ولا يمد نفسه بما ارتقى اليه قد خرج عن كونه انكليزيا . وكذلك المسلم يؤمن بجميع الانبياء وبحقيقة أديانهم وشرائعهم ومناسبتها لازمانهم وبأن الشريعة المحمدية كانت هي الخاتمة المثمرة المكملة للناسخة ، والمسلمون يعظمون جميع الرسل (لا فرق بين احد من رسله) ولكنهم يقيمون الاخير منهم

واننا نرى المبشرين يحاولون اقتناع المسلمين بدلالة القرآن على تفضيل عيسى على محمد عليهما الصلاة والسلام ، ولو تم لهم هذا لما أقدم شيئا ، قالت المسلمين لا يفرقون بين الرسل من حيث انهم رسل ، وانما فضل الله بعضهم على بعض بكثرة المزايا ودرجة انتفاع البشر برسالتهم ، وقد فضّلهم خاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعموم بعثته وإكمال الدين المطلق بما جاء به وكثرة من اهتدى به ، ونعتقد أن عيسى لم يبعث الا الى خراف إسرائيل الضالة كما قال عن نفسه (مت ١٥ : ٢٤) ولو فرضنا ان عيسى أفضل بما امتاز به في خلقه وخصائصه لما كان ذلك موجبا لترك الثابت عندنا من شريعة محمد صلى (ص) العامة المكملة الخاتمة للناسخة لما قبلها الى ما لم يثبت عندنا من شريعته الخاصة المنسوخة ، وعلاء الاصول منا يفضلون ابراهيم على موسى وعيسى (ص) ولكنهم لا يقولون انه كان يجب على بني اسرائيل ترك شريعة التوراة الى ما خالفها من شريعته كما أن من يفضل محمد علي باشا الكبير على أحفاده بخصائصه الفطرية لا يرى ذلك موجبا لترك قوانينهم الى قوانينه ، على أن القاعدة عندنا أنه قد يوجد في المفضل من المزايا ما لا يوجد في المفاضل كما يفضل بعض أحفاد محمد علي جدم بالعلم وبعض الاخلاق والاعمال

الحق أقول لكم أيها المبشرون المحترمون ان مجادلانكم وطريقتكم في دعوة المسلمين الى دينكم قد جاءت الى اليوم بضد ما تريدون وتريد جمعياتكم ، فهي تزيد المسلمين استمساكا بدينهم وبمدا عن دينكم ، وأكبر ضررها الديني في

المسلمين أنها حملت كثيرا منهم على ضد ما يجب عليهم شرعا من -مب- سيدة عيسى وأمه وحوايه وانشاء عليهم بما أتى الله تعالى ورسوله (ص) فان كثيرا من العوام صاروا يعتقدون بما يسمعون منكم ويقرءون أو يقرأ عليهم من كلامكم ضد ما يقرره الاسلام من كون الرسل اخوة يجب الايمان بهم وحبهم جميعا ، بل أرى هذا التأثير قد دب الى خواص المتعلمين على الطريقة الافرنجية حتى المشهورين منهم بالتساهل الديني

ومن العجيب ان واحدا من كبار هؤلاء علما ورتبة صرح أمامي بأنكم بفضتم اليه المسيح ... فقلت له لا ينبغي لمثل سعادتك ان يستوسل مع وجدانه الى هذا الحد ، ولا يخفى عنك ان بغض المسيح عليه السلام كفر ، فقال ان هذا قد ثبت في نفسه ولا يستطيع دفعه

أيها المبشرون المحترمون انكم تريدون تشكيك الناس في الشريعة الاسلامية بالظن في عدالة أبي هريرة ، وقد علمتم ان الظن في أبي هريرة لو كان صادقا ماحط من قدر هذه الشريعة شيئا فكيف وهو باطل ، ولو لم يخلق أبو هريرة لما وقعت الشريعة شيئا ، ولكن كثيرا من المسلمين المتعلمين على المنهج الافرنجي يرون ان أكبر الشبهات على الاسلام ، ما أتى القرآن والرسول (ص) به على المسيح وأمه عليهما السلام ، حتى انني قلت منذ سنين ان أقوى الحجج للمسيح شهادة القرآن له ، وأقوى الشبهات على القرآن شهادته للمسيح ، فهل رأيتم قول القرآن فيه (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) قليلا حتى طمعتم باقتناع المسلمين بأن يقولوا كلمة أكبر من ذلك ، ورأيتم قوله فيه (وأيدناه بروح القدس) قليلا أيضا فطمعتم بأن تقول فيه كما تقولون وان لم نقل ذلك ولم يقم عليه برهان مبين أيها المبشرون التهورون انكم تعلمون أن اشتغال الناس بالفلسفة المادية والمدنية المادية قد فتن كثيرا من المسلمين بملاحدة الاوربيين الماديين الذين مرقوا من النصرانية وطمعوا فيها أشد الظن لأن تعاليم الانجيل أشد التعاليم وأقساها على الماديين اذ هي روحانية محضة ، وأما الاسلام فهو دين وسط ، جامع بين حقوق الروح وحقوق الجسد ، فلا تؤثر فيه دعوة النصرانية ، لانه كما تقدم مسيحية وزيادة ،

وأما يخشى على الجاهلين بحقيقته من تيار المادية، وحرية الشهوة الحيوانية، فدارسكم
الأفريقية الدينية منها وغير الدينية، هي التي تكفل لكم التشكيك في الإسلام،
لا الطعن في أبي هريرة ولا ابن عباس، فتمالوا تعاون على مجاهدة هذه نمايم
المادية، التي كانت آفتها شديدة على الإسلامية ولكنها على النصرانية أشد، ودليل
ذلك أنها لم تمنع كثيرا من المتعلمين الباحثين من ترك النصرانية إلى الإسلام،
وإن الملاحظة منا أقل من الملاحظة منكم

ما رأيت كلاما لاحد من الاوربيين المستشرقين في الاسلام والمسلمين نبي
على الخبرة والمعرفة ككلام الدكتور سنوك المولندي، وقد بين في خطبه التي ألقاها
منذ سنين في مدرسة كليفرية الجامعة في الولايات المتحدة أن القضاء على
الاسلام الديني بالتبشير المسيحي محال، وإن المسلمين لن يكونوا نصارى أبدا، وإن
طريقة اللاتين في بث التعليم المادي في المسلمين، أفضل في زوال الاسلام من طريقة
البروتستانت في بث دعوة الدين، واعتبروا مع هذا ما ترونه من تفضيل أكثر
المسلمين للانكليز والامريكان على اللاتين

إنا لا أخاف على المسلمين من مجلاتكم ولا من كتبكم ورسائلكم، وأما أخاف
على المسلمين من الفلسفة المادية والمذنية الشهوانية، ومن مناقبهم وعباد الشهوات
ضهم، فهم الذين يجنون على دينهم وديانهم، وأما أوصيكم بأن تتجنبوا فيما تقولون في
مجامعكم التبشيرية، وما تطبعون في رسائلكم وصحفكم الدورية، كل ما يثير العصبية
ومحشش المودة الوطنية، (٥ : ٥٢ لكل جلتنا منكم شرعة ومنهاجا، ولوشاء
الله لجلعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم، فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم
فيئبكم فيما كنتم فيه مختلفون ١٧٥ : ٨٤ قل كل يعمل على تارة بكم أعلم بمن
هو أهدى سبيلا)



المجمع اللغوي المأمول

دعوة الى هذه الامنية وخطوة جديدة على ذكرى بلوغ المتكطف سن الاربعين من حياته الثمينة

طلما تشوقت انفس أهل العلم والادب من المشتغلين بالتصنيف والانشاء والترجمة
 بلسان العرب الى انشاء مجمع لقنوي لتعاون على خدمة اللغة العربية بالطرق التي
 تقتضيها حال هذا العصر . وطلما تحدثوا بهذا في انديتهم وسارم . وكثر ما هموا ولم
 يفعلوا ، وما اقدموا ثم احجموا ، وما بدأوا ثم لم يثبتوا . وقد كان عدم تيسر المكان
 اللائق بهذا العمل من الموانع العائقة لكثير من الذين تمنوه وتحدثوا بشأنه عن
 مواصلة المذاكرة فيه ومعاودة الاجتماع لاجله . فلما انشأ الاساتذة المتخرجون من
 مدرسة دار العلوم ناديتهم منذ سنين قليلة تملقت آمال كثير من الناس بهم ، وكان
 اختيار حقي بك ناصف رئيسا لناديتهم ، مقويا للرجاء فيهم ، ثم ما عظم هذا النادي ان
 خبت ناره ، واظفئت انواره ، ولكن بعد ترك حقي بك لادارته ، ومغادرته مدينة
 القاهرة مرتقيا في منصبه

لاح لنا أمس بارق أمل جديد ، عسى أن فصل في نوره الى ما نريد ، فيكون
 ذلك من بركات المتكطف المفيد

صدر الجزء الاول من مجلة المتكطف في مثل هذا اليوم - أول مايو - (١) من سنة
 ١٨٧٦ قم له امس أربعون سنة . وقد كان مما يحظر بال كثير من أهل العلم وانصار
 النهضة العربية ان يجهلوا هذا اليوم عيداً للمتكطف يحتفلون به الاحتفال اللائق
 بخدمة للعلوم والقنون بهذه اللغة الشريفة التي لا حياة لنا الا بحياتها العلمية والفنية
 ولكن الحرب الاوربية العامة جعلت العالم كله في ماتم ولا تكون المآتم اعياداً

وقد كان في مقدمة الذين شعروا بوجوب الاحتفال بالمتكطف صدقنا الاديب
 الخطيب الشهير اسماعيل بك عاصم الحامي وقد رأى ان ما يمنع من اقامة الاحتفالات

(١) كتبت هذه المقالة في أول شهر مايو الموافق ٢٨ جمادى الآخرة ونشرت في المنظم وله
 كتبت ، ثم في المتكطف ولاجله أتتنت ، وكان المنار موقوفاً لعدم الورق ولم يتيسر نشرها في
 الجزء الماضي منه

العامة، لا يمنع من اجتماع خاص لتهنئة خاصة، فأدأ مس في دارالازاهية مأدبة لصاحبي المتطفت دعا اليها صاحب الدولة رئيس الوزارة حسين رشدي باشا وصاحب المعالي عدلي باشا يكن وزير المعارف وصاحب الفضيلة الشيخ محمد نجيب مفتي الديار المصرية وصاحب السعادة يحيى باشا ابراهيم رئيس الاستئناف الاهلي واحمد زكي باشا كاتب سر مجلس النظار وحضرة صاحب العزة احمد بك لطفي السيد مدير دار الكتب السلطانية^(١) وبعض اصحاب المجالات العربية المشهورة

انتظم عقد هذه الجماعة عشاء في تلك الدار ، الثالثة بالانوار فكانت سامراً
علياً من أرق السار، افتتحها حضرة صاحب الدعوة بهذه الايات
يا بدوراً قد تجلى في سما العليا سناكم
حاكت الافلاك دارى حين حياها نداكم
فاقبلوا مني دعه اسعد الله مساكم

وبعد مسامرات كان جلها في مناقب العرب وما سبق لهم من ترقية الصلوم والفنون تحقوا حول تلك المائدة، فأصابوا بما طيف عليهم به من ألوانها الفاخرة، ثم نهض الداعي الوفي الكريم فألقى خطبة فغيسة في الثناء على المتطفت المفيد، وحل مفشييه الفيلسوفين الكبيرين الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر، بين فيها خدمته الجليلة للعلم والعربية وذكر انه انشئ في بيروت ثم جذبه مصر اليها، وذكر مقالين نشرتا في الجزء الاول كانتا كلراة التي تجلى فيها كلاله - مقالة في عمل الزجاج ومقالة في القمر وتشكله منذ يبدو هلالا الى ان يكون بدرأ كاملا (قال) وكذلك كان المتطفت فانه كالزجاج في صفائه وبهائه، وهو كالقمر بدأ هلالا ثم صار بدرأ كاملا واسأل الله - حفله من الحاق

ثم ذكر بدء معرفته لمنشيء المتطفت من زهاء ثلاثين سنة وذكر من فضلها وأخلاقها ماهو معروف، وأشار في خطابه الى ما سبق من احتفاله المشكور بلوغ مجلة المنار عشر سنين، وذكر المنار في سياق الاستدراك على وصف المتطفت بالسبق في

(٢) انما ذكرنا الاقارب الرسمية لهؤلاء الكبراء مخافين لسة المنار لان المقالة كتبت للمعظم كما تقدم

خدمة العلوم. ثم قام كاتب هذه السطور فاستأذن الوزير الأكبر بالقاء كلمة في الموضوع هذه خلاصتها :

ورد في الحديث الشريف « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » وقد رأيت صديقنا الفاضل إسماعيل بك عاصم استدرك على وصفه المتقطف بأنه المجلة العربية الوحيدة التي قامت بما قامت به من خدمة العلم فذكر المنار وقرنه بالمتقطف وقال ان للمتقطف فضيلة السبق ، وذكر انني اعترف له بذلك ، كما اعترف لابن معط ابن مالك ، اذ قل في فاتحة الالفية :

وهو سبق حائز تفضيلا مستوجب ثنائي الجيلا

نعم : اعترف للمتقطف بالسبق والبريز في العلم ، وأزيد على ذلك الاعتراف بأنني قد استغدت من المتقطف من أول عهدي بطلب العلم ولا أزال استفيد منه . اتي لما دخلت المدرسة الوطنية في طرابلس الشام وذلك أول عهدي بطلب العلم رأيت أستاذنا الشهير الشيخ حسيناً الجسر مشتركاً في المتقطف ومواظباً على قراءته ، فكانت تلك أول معرفتي بالمتقطف وصرت استعبره بعد ذلك وقرأه ، فاستغدت من مباحثه فوائد عقلية وصحية واجتماعية ، ولا أزال اعتمد على ما يكتبه في معرفة أطرار التجدد العلمي العصري

ان المتقطف في نظري مدرسة جامعة سيارة يستفيد منها العالم العربي في كل بلد يقرأ فيه . فان الذين يتعلمون مبادئ العلوم العصرية باللغة العربية ، يحتاجون الى الوقوف على ما يتجدد فيها بالبلاد العربية . ولا سبيل الى هذا الا بالاطلاع على الكتب والمجلات الاوربية التي تصدر في كل عام وهذا لا يقيس الا لبعض الاغنياء المتنزين لبعض لغات العلوم الاوربية — فالمتقطف يلخص لنا في كل شهر ما لا يستغني عنه قراء العربية

من حق المتقطف على الامة العربية ان تحتفل به في الوقت المناسب ونرجو ان يكون ذلك على رأس الحسين من حياته النافعة

احتفل فريق من المصنفين ببلوغ مطبعة المعارف سن العشرين في خدمة الصناعة واتقانها فاذا جرينا على سنتهم كان علينا ان نقيم للمتقطف عشرات من

الاحتفالات . كان على مروجي الصناعة ان يقيموا لامتتظف مثل هذا الاحتفال لا لأن له مطبعة أخرجت للناس من المطبوعات النافعة ، ما لم يخرجها غيرها فحسب ، بل لان للصناعة باباً في المتنظف فبوشرشد الى ترفيتها بجميع فروصها . وكان على المجتهدين في ترقية الزراعة ان يقيموا له احتفالا آخر لان للزراعة باباً فيه . مثل باب الصناعة ، ومثل هذا يقال في كل علم وفن ، ولكن صديقنا اسماعيل بك عاصم جمع لنا في هذه الالية صورة بمجلة لما يجب على الامة مفصلا

ان اكبر متبقة للمتنظف ومنشئيه انها حجة الامة العربية على من يتوهمون انها لا تتسع لجميع العلوم العصرية ولا يسهل تعليمها بها . فهذان العالمان الكبيران تعلموا العلوم باللغة العربية واشتغلا بالكتابة والتأليف فيها مدة اربعين سنة فأقادا العلم ما لم يفده أحد من المعلمين منا باللغات الاجنبية

هنا ملخص ما قلته . ثم انتهى أحمد زكي باشا خطبة نفيسة في فضل المتنظف ومنشئيه في خدمة العلم باللغة العربية فتحها بما هو معروف في الفقه الاسلامي من تقسيم الواجب الى فرض عين وهو ما يطلب من كل فرد من الافراد كالصلاة والصيام ، وفرض كفاية وهو ما اذا قلم به بعض الافراد سقط الطلب عن الباقيين (كالفنون والصناعات التي لا يستغني الناس عنها في معاشهم) . وقال ان صاحبي المتنظف هما اللذان قاما بفرض الكفاية من خدمة العلوم والفنون ^(١) . ثم ذكر أول عهده بالمتنظف وانه أرسل اليه سؤالا الى بيروت ثم عهده بروية منشئيه وما يحمد من صचितه لهما

وقام أيضا الشاب النقيب اميل افندي زيدان صاحب مجلة الهلال الفراء فآثني على المتنظف وذكر انه تلميذ تلاميذ منشئيه العلامتين وذكر ان والده وهو استاذة الاول كان تلميذهما وكذلك كان استاذته في المدرسة الكلية من تلاميذهما

ثم قام صاحب مجلة المفتاح الفراء توفيق افندي عزوز فخطب خطبة اثني فيها على المتنظف بما هو أهله وذكر استفادته منه كغيره وقال ان منشئيه العلامتين

(١) ان ما يجب على المسلمين وجوبا كماليا لا يسقط عنه بقيام غير المسلمين به بل يأتمن بركة وان كان من الولايات الماشية كالطلب والصناعات

الفاضلين قد افادوا بأخلاقهما كما افادوا بمجتهما فهما باتفاقهما وتكافلهما واختلما قدوة صالحة لهذه الامة التي تشكو من التفرق والاختلاف وقلة الثبات ما هو أعظم عائق لها عن القيام بالاعمال النافعة

وبعد ذلك قام العلامة الدكتور فارس نمر فألقى خطاباً بليفاً قل في فائحه إنه بلسانه ولسان شريكه واخيه الدكتور صروف يشكر أولاً لسعادة اسماعيل بك عاصم عنايته بهذه الفكرة ويعتب عليه انه جعلها بصورة احتفال ومما قاله :

« ان حضرة رب هذه الولاية شرف ادارتنا منذ بضعة أيام وهنأنا بمرور أربعين عاماً على مجلته المتطف ودعانا الى تناول الطه' مع جماعة من علماء مصر وأرباب المجالات العربية الذين دعاهم احتفالاً بذلك فأبنا لحضرته ان الوقت لا يصلح للاحتفالات ولا خدمتنا تستحق هذه العناية ولكن ابنت مكارمه ومكارمكم أيها السادة الا ان تخصصونا بالنصيب الاوفر من محاسن هذه الليلة وان تحضفونا بهذا المذبح الذي لا نستحقه فلحضرة صديقنا الفاضل صديق العلم والادب رب هذه الدار والولة الوزير الكبير رئيس الوزراء وللمالي وزير المعارف والفضيلة مفتي الديار المصرية وسعادة رئيس الاستئناف الاهلي وسعادة سكرتير مجلس النظار وسائر الذين تكرموا بالثناء على المتطف وذكره بالخبر ولبوا هذه الدعوة اكراماً له جزيل الشكر من هذين الماجزين

ثم قال : « ان المتطف وان كان قد انشأ في التطر السوري فقد كان معظم انتشاره في القطر المصري وقد لقي من أعظم مصر أعظم عضد وأرحب صدر حتى ان وزير مصر الشهير المرحوم رياض باشا كان يكتبه منذ بدء انشائه ولما نقلناه من سورية الى مصر رحب به رحمه الله كما رحب به الوزير الكبير شريف باشا والعالم المرحوم شفيق بك منصور وغيرهم من أعظم مصر وأكبر علمائها . والامل وطيد ان خدمة المتطف على ما بها من الضعف تجد من تأييدكم أيها السادة ما يقويها ويزيدها اضعافاً مضاعفة بمؤازرة سائر المجالات والمجرائد العربية في عصر مولانا السلطان المعظم الذي حققنا ان ناهي به سلاطين الشرق والغرب ممّا على حبه للعلم وكرامه العلماء ورغبته في اعلاء مناز الادب وغيره على نشر المعارف وجوده في سبيل التربية

أدامه الله للامة العربية خيراً وأدامكم للغة العربية ذخراً
ثم دارت بعد ذلك المذاكرة في مسائل علمية ولغوية أفضت الى الكلام في
شدة الحاجة الى انشاء مجمع لغوي في مصر فقال احمد لطفي بك السيد مدير دار
الكتب السلطانية ان احمد زكي باشا كان قد اقترح عليّ ان اخصص مكاناً من
دار الكتب لذلك . واني اجبت الى ذلك فلدي الآن في المكتبة مكان لائق
كانت الجرائد ذكرت اننا فرشناه واعددناه لرغبات المطالعة من السيدات وليس
عندنا سيدات يغشن دار الكتب للمطالعة فنعد لمن مكاناً

فمر جميع الحاضرين بهذا وقابلوه بالثناء ورأوا ان قد زالت به عقبة من عقبات
الشروع في تأسيس المجمع اللغوي الذي يينا مكائته من النفوس في أول هذه امثلة
وزادهم سرورا ما رأوه من ارتياح الوزير الاكبر ووزير المعارف للشروع في تأسيس
المجمع اللغوي بدار الكتب السلطانية . وأرجو ان نبشر قراء العربية في مقال آخر
بتأسيس هذا المجمع بالفعل

وقد امتد هذا السمر المفيد الى منتصف الليل فانصرف السامرون مبتهين على
رب المنزل اطيب التناء



جمال باشا السفاك

كان جمال باشا من آحاد الضباط الكثيرين المستميين الى جمعية الاتحاد والترقي
فلما يلبث ان ترقى فوق الهام والردوس الى مقام الزعماء على حين قد تدهور أمير
الآلاي صادق بك عن منصة الزعامة العليا لها وسقط كثير من الضباط وغيرهم من
مكائاتهم العالية . وانما ترقى جمال بك ببراعته وجروته على سفك دماء خصوم الجمعية،
فهو الذي دبر مكيده المذبحة الاولى في أدنه اذ كان واليا لها بعد الدستور، وهو
الذي قتل الجرم الفظير من كبراء الآستانة الخائفين للجمعية عقب اغتيال محمود
شوكت باشا ، ولأجل هذا اختارته الجمعية لقيادة فيلق سورية بعد الحرب على كونه
لا يزال ناظراً للبحرية ، وما سمعنا في أخبار دولة من الدول أن أحد وزرائها يعطى

وظيفة دون الوزارة في بلاد بعيدة عن العاصمة فيكون فيها عدة سنين في أشد أوقات الحاجة الى قيامه بشؤونها وتنهيك بوزيري الحرية والبحرية في وقت الحرب ، ولكن زعماء الجمعية يأخذون المناصب العليا بعلومهم في الجمعية لا بنجدتهم للدولة نعم ان الجمعية اختارت جمال باشا لأجل ان يتم تنفيذ ما توعدت به سورية من بضع سنين في جريدتها طنين وعبرت عنه (باللس البارد) وإنما كانت مذمجة الكرك وتعذيب العرب برضخ وروسم بالصخور هي الرشة الاولى من هذا (الدش) واننا — على علمنا بهذا الانذار وبما هو أشد منه وأوضح وعلى ذكرنا بعض تلك التذكري مقالات (العرب والترك) وغيرها في المثار — قد ارتبنا في أول خبر بلطنا عن شق جمال باشا لبعض زباني المسلمين في بيروت . ولا يزال أكثر المصريين يكذبون أخبار القتل والنفي التي تكررت بل تواترت . وقد ظفرت جريدة المقطم ببيان لجمال باشا نفسه نشرت في اليوم السابع من شهرنا هذا بصرح فيه بعمله وبحجته له . وهذا ما نشرته :

(بيان من جمال باشا)

نشر جمال باشا القائد العثماني في سورية البيان التالي بمضائه في ٥ رجب سنة ١٣٣٤ الموافق ٧ مايو سنة ١٩١٦ وهذا هو نصه العربي كما نشر بحروفه — :
لما جرى القصاص على بعض الاشخاص المنسبين الى الحزب المتشكل في مصر والممالك العثمانية تحت غوية عنوان « حزب اللامركزية » والذين حوكموا في ديوان الحرب العرفي بعاليه كنت كتبت في البيان الذي نشرته في أوائل اوغستوس سنة ١٣٣١ ان التحقيقات جارية بصورة دقيقة بحق اعوانهم الاشرار الذين لم يكن قبض عليهم قبلا

ان الوثائق السياسية التي عثرنا عليها واعتراف عبد النفي العريسي صاحب المايد الذي ألقى القبض عليه أخيراً بعد ان ذكرنا في البيان فراره واعتراف سيف الدين الخطيب عضو محكمة بداية حيفا السابق ورفيق رزق سلوم ضابط الاحتياط ورفقاتهم الآخرين قد نورّ المسألة من جميع اطرافها وسبق الى ديوان حرب عاليه الاشخاص الذين ظهر ان لهم علاقة في هذه المسألة بدرجات متفاوتة مع من تبين

ان لهم دخلا في المساعي الخاتمة بتنفيذ ترتيبات الجمعية وتبنياتها وأعمالها . وفي ختام التحقيقات والمحادثات التي أجراها الديوان العرفي في غالبه صدرت الاحكام المقتضاة بحق المظنون فيهم من الموقوفين والفارين كل على حسب اشتراكه في ترتيبات هذه الجمعية التي غايتها ومقصدها سلخ سورية وفلسطين والعراق من راية السلطنة العثمانية وجعلها ادارة مستقلة . فحكم على شفيق بن احمد مؤيد العظم والامير عمر بن الامير عبد القادر . وعمر بن مصطفى حمد . ورفيق بن موسى رزق سابع . ومحمد بن حسين الشنطي . وشكري بن بدري علي العلي ، وعبد النبي بن محمد العربي . وعارف بن محمد الشهابي . وتوفيق بن احمد البساط . وسيف الدين بن ابي النصر الخطيب ، والشيخ احمد بن حسين طباره . وعبد الوهاب ابن احمد الانكبازي ، وسعيد بن فاضل عقل . ويزرواولي . وجرجي بن موسى الحداد . وسليم ابن محمد سعيد المزنازي . وعلي بن محمد حاجي عمر . ورشدي بن احمد الشمعة . وامين لطفي بن محمد حافظ . وجلال ابن سليم البخاري . بالاعدام ثبوت اشتراكهم في هذه التثبثات بالدرجة الاولى وبصورة فعلية . وعلى من تبين دخولهم في الدسيسة بصورة فرعية . سالم بن مصطفى مظلوم بالاعتقال بالقلعة خمس سنين وتوفيق بن محمد الناطور ويوسف بن نجيب سليمان بعشر سنين ، وحسين بن خليل حيدر بمخمس عشرة سنة وعلي رياض ابن رضا الصلح بنفي مؤبد . وعلى الامير طاهر بن احمد الجزائري بعشر سنين في انكريك . وعلى الذين مع كونهم لم يفهموا المقصد والتثبت الحقيقي وثبت وجود مساع لهم مع هذه الجمعية بصورة محسوسة اما بسائق الجهل أو بالتصلف وانما لم يوجد عليهم وثائق تنور وجدان الهيئة الحاكمة وثبت مجرميتهم واشتراكهم وهم رضا الصلح وأسعد حيدر باعادتهما الى منفاهما . وأعطى القرار بمنع محاكمة وبراة كل من محمد أفندي كامل الهانم ، ابراهيم القاسم . سامي العظم . الشيخ جمال الدين الخطيب . عبد الحميد معلم الرسم . محيي الدين فريجه . البيطار حسين صبري . رشدي الغزي . عاصم بيسو الغزي . عزت الاعظمي ، مصطفى الكيلاني . عبد الرحيم حنون ، الدقور حسام الدين . نجيب شخير . الشيخ فتح الله . الدقور احمد قدري . سليم الطيارة . جبال الحسيني . المقتي سعيد أفندي الباني . سليم الشمعة .

سلم البخاري، فائز الحوري، رشيد الحشيمي، عمر الاتامي، البكاشي على رضا، الدكتور أمين قازماء، سعيد عدوه، الدكتور عبد الحفيظ، اليوزباشي جميل، فريد باشا اليافي، عثمان العظم

ومن الذين صدر بحقهم حكم الاعدام وهم شفيق المؤيد، الامير عمر، شكري العسلي، عبد الوهاب الانكليزي، رشدي الشمعة، رفيق رزق، سلوم، جرى اعدامهم هذا الصباح في الشام، والآخرون جرى اعدامهم في بيروت، وسائر الجرمين صار سوقهم الى منقام وجوسهم وعلى هذه الصورة تقرر اذا في سورية وفلسطين السكون والامن المحتاج اليهما الى الابد

وها أنا ذا انشر الآن من الوثائق المهمة التي كانت اساساً لهذه التحقيقات ما يكشف الغطاء عن حرب اللامركزية الحقيقي وسينشر كتاب حاو جميع الوثائق على عدة مع اعترافات الجرمين المهمة وتاريخ صغير لهذه المسألة

ومن ايمان النظر في هذه الوثائق يفهم أولاً: ان هؤلاء الاشخاص قد ضحوا بلا تردد جميع مالههم من المقدسات الدينية والوطنية لقاء منافعهم الخسيسة والمادية. ان هؤلاء الاشخاص قد اشركوا مساعيهم ونفوذهم وقدرتهم اعداء الدولة وسوافي اعداد الطاعة في الداخل تجاه تجاوزات الاعداء في الخارج

ومما هو جدير بالتقدير ان ادارة هذه التثبثات لم تسع بالنظر لما جبل عليه العنصر العربي النجيب من الصداقة والطاعة والصلابة الدينية العارية عن شوائب الظنون والشكوك بأسرها، بل حصرت بين بعض اشخاص مسلمين ومسيحيين لا أهمية لهم ولا يكاد يتجاوز عددهم المائتين من المحكوم عليهم حديثاً وقديماً أوجاهاً وغيباً و بناء على الصلاحية التي تخولي اياها المادة الثانية من القانون المؤرخ في ١٤

مايو سنة ١٣٣١ المتضمن التدابير التي ينبغي للجهة العسكرية التوصل بها في وقت النفي العام ضد الخارجين على الحكومة واجراءاتها فاني ساع في ابعاد اولئك الاشخاص الذين يتخذون حقوق الدولة ومقدساتها ملعبة في سبيل منافعهم الشخصية مع من لهم علاقة معهم من اسرهم وعائلاتهم من قريب أو بعيد الى بعض ولايات الاناضول. وقد اتخذت الاسباب الكافلة لإعاشة هذه العائلات ورعايتهم في

الحال التي ينفون اليها تحت عناية الحكومة السنية وعاطفتها، وسيمطلون هناك أراضي وأملاكاً قيمتها تعادل أملاكهم وأراضيهم التي يملكونها في سورية . وفي أوصي جميع الاهلين في سورية وفلسطين بالسكينة والطمأنينة . على أنه من الآن فصاعداً لم يبق محل لاجراء التعقيبات والابعاد الى الولايات العثمانية في حق احد مطلقاً ما لم تظهر وثائق قوية تدل على خيائته

قومندان الفيالق الرابع وفاطر البحريه
أحمد جمال

[المنار] كل ما احتج به جمال باشا لسفك الدماء واجلائه الناس عن أوطانهم أباطيل . وقد قل يد من ذكرهم هنا عدداً ليس بقليل ، منهم السيد عبدالحيد الزهراوي الشهير ، وأول أباطيله تسمية القتل برأيه ورأيه ديوانه العربي قصاصاً ! وإنما القصاص في شرع الله أن يقتل الجاني بمن قتله بغير حق . ومنهائه في اللغة يدل على الساقطة والمائلة .

ثم انه يقول ان التهمة الموجبة للقتل والتفخي هي الاشتراك في جريمة قاتلها جيل المراق وسورية وفلسطين محكومة مستقلة بدسائسهم رواية الدولة ، ونحن نعتقد بطلان هذه التهمة بأدلة كثيرة (منها) أن الحزب الذي جعله أصلاً بتمتعة التي يرى بها هؤلاء الناس له برنامج معروف مطبوع ينطق بكذب تلك التهمة (ومنها) أن هؤلاء الذين اعترفوا بالانتماء لقتلهم في هذا البيان لا يوجد فيهم الا واحد أو اثنان من الداخلين في هذا الحزب (ومنها) أننا نعلم باختبارنا لبعضهم واعتبارنا من تتق به لا الآخرين انهم لا يجمعهم رأي ولا مودة ولا سكون ولا معرفة فكيف يتفقون مع ذلك على أمر عظيم كالذي اتهموا به ؟ وأنا الجرم الأكبر الذي يجمعهم وبه استحقوا العقاب هو أنهم من أذكاء العرب الذين يقولون بوجوب محافظة قومهم على انتمهم وأن يكون لهم حظ من مشاركة الحكومة في ادولة بلادهم ، وإن لبعضهم ذنوباً سابقة لا يقرها الانتماديون كاهانة شقيق بك لطالمت بك ، والسعي لهدم اقراض أو ربة للانتمادين عشرات من الملايين ، ضيعونها وتبني البلاد رهينة بها للدائنين ، وتوثيق أعضاء المنتدى الادبي في الاستانة عرى الاخاء بين طلبة العرب في مدارس الحكومة فيها ، واهانتهم لصاحب جريدة اقدم التركية في نشر تلك اللفظة التي قل فيها كاتبها ان الطريقة المثلى للتتكيل بمرج الجزيرة اغراء بعضهم بقتال بعض المال « لان العرب يتبع كل شيء بالمسال حتى الرض والاموس »

ثم انه يصرح بأنهم أخذوا بالظن فلم تثبت عليهم تلك التهمة باليقين ، ولو ثبت لما جاز قتل أحد منهم بها شرع ولا قانوناً لانها عبارة عن رأي سياسي لم يدع قتلهم انهم شرعوا في تنفيذها بالخروج على الدولة في أثناء النفي العام الذي حكمهم بقانونه . وكيف يقتل أن يقوم نفر قليل كحؤولاء بالخروج على الدولة والسواد الأعظم من قومهم بخلافهم فيه باعتراف جمال باشا نفسه والدولة تحكم بلا هم بالاحكام العرفية المناسبة وجميع شباب الأمة وكهولها جنود مسلحون بين يديها ؟ وبالنسبة لشرعي ما نيك المنافع المادية الخبيثة التي ضحى أولئك الاذكاء انفصاله عنهم ووطنهم لاجلها ؟ ان كانت ما ذكره من غاية جميعهم المزعومة ، فذلك غاية سياسية غالية لامادية خبيثة ، وان كانت غير ما ذاه ؟

باب الامر اسلة والمناظرة

الكتب المزعومة الى غير مصنفها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فكثيرا ما طبعت كتب ونسبت الى أكار علماء الاسلام - ومم براء منها - إما غلط ، وإما قصدا ، لتكون نافعة في البيع أو لإدخال أشياء في دين الاسلام ليست منه ، ولا يكون لقائلها من ثقة المسلمين به ما يؤهل قبول قوله عندم ، فيختبئ وراء اسم أحد الأئمة المقبولين عند المسلمين ، وينحله كتابه ، وذلك لما ضاق بزنادقة الامر وحصرت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في دواوين معروفة ، وبين فيها الصحيح من غيره ، فلم يتمكنوا من وضع الاحاديث عليه كما كانوا يفعلون في أول الاسلام قبل تدوين الحديث ، ومفسدة هذه الكتب ظاهرة للعيان

وأيت كل هذا فغرمت بحول الله تعالى وقوته على بيان الاغلاط الواقعة في نسبة بعض الكتب المطلوبة الى غير أهلها نصيحة للمسلمين ، ونزكية لأئمة الدين ، وخدمة للتاريخ ، فكلما عثرت بشيء منها نشرته في مجلة المنار الفراء

ثم اني لا أقصد ببيان هذا طمعا في أحد من طابعي هذه الكتب فلا يخرجهم ذلك فانما قصدي بها وجه الله تعالى والله الموفق لا هادي الا هو

(١) من الكتب الدخيلة الموضوعة قصدا كتاب يسمى (سر العالمين) (١)

ألفه أحد زنادقة من الفرقة الباطنية ، ونحله حجة الاسلام أبا حامد الغزالي رضي الله عنه ، وأدخل فيه كثيرا من عتائد الباطنية التي كان الغزالي أشد أعدائها ، ومن أكره العلماء ردا على معتقديها ، وأدخل فيه كثيرا من علوم السحر ، ثم أراد أن

يحقق نسبة الكتاب الى الفزالي فصار دائماً يحيل في بعض المسائل على كتب الفزالي كالأحياء والد على الباطنية وغيرهما، ويقول «فما كتبناه في كتاب كذا» أو نحوه، ويذكر كتاباً من تصانيف الفزالي، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يفضحه ويبين كذبه كرامة للفزالي وغيره على حجة الاسلام فانه قال في صحيفة (٨٣) من الطبعة المصرية «أشدني المرعي لنفسه وأنا شاب» الخ وهذا كذب فاضح، فان أبا العلاء المرعي مات سنة تسع وأربعين وأربعمائة، أي قبل أن يولد الفزالي بسنة أو سنتين، فانه ولد سنة خمسين وقيل سنة احدى وخمسين وأربعمائة، فليحذر الناس من الثقة بهذا الكتاب وأمثاله فهي مفسدة للدين، وليتق الله طبعوها ولا يترروا بعامة المسلمين، وليحذر أحدهم صحة نسبة الكتاب الى المنسوب اليه

(٢) ومن الكتب المنسوبة قصداً للتفأق كتاب يسمى (كتاب الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان) ^(١) نسب الى الامام الجليل شمس الدين ابن القيم رضى الله عنه، وهو كتاب لا بأس به فيه فوائد أدبية، ونكتب بلاغية، فصيح العبارة، ويظهر أن مؤلفه كان من الكتاب المنشئين، لا العلماء المحققين — أمثال إمامنا ابن القيم — فان له في بعض المسائل تحقيقات واختيارات سخيفة لا يقولها من شام للعلم بارقة

لولا يكن لشمس الدين ابن القيم بين أيدينا كتب غير هذا لقلنا كاتب يتسخر ويظن أنه محقق، وأحق يتكابر ويظن أنه عاقل، ولكن كتب ابن القيم تنادي بقوة نظره، ودقة بحثه، وكثرة علمه، وبعد غوره، والله دره من امام جليل، وحاش لله أن يقول في اعجاز القرآن كما قال مؤلف هذا الكتاب فانه قال في صحيفة (٢٥٥) بعد أن حكى الاقول في وجه الاعجاز مانصه: «قال المصنف عفا الله عنه: والاقترب من هذه الاقاويل الى الصواب قول من قال ان اعجازه بحراسته من التبديل والتغيير والتصحيح والتحريف والزيادة والنقصان» فانه ليس عليه ايراد ولا معطن، هذا اختياره وحكاية مثل هذا تفني عن رده وضرب الامثال على بطلانه ^(٢)

(١) طبع أيضاً في مصر سنة ١٣٣٧ (٢) المارونية حفظ القرآن من التثنية لم تظهر الا بجزء الزمن، فلا تتحدى النبي (ص) بها الرب

وأعرب من هذا القول قوله في الصحيفة نفسها بعد أسطر : « وقال قوم اعجازه من جهة أن التحدي وقع بالكلام القديم الذي وصفه قثمة بالذات وأن العرب اذا تحدوا بالتماس معارضتهم له ولا تيان بمثله أو بمثل بمضه كفوا ما لا يطاق ومن هذه الجهة وقع عجزهم وهذا القول أيضا حسن » هذا كلامه بنصبه واني أترك للقارى فهم معنى التحدي بالعصمة القديمة فذلك مما يقصر عني عن دركه

وقد اتصل بي أن النسخة الخطية التي طبع عنها هذا الكتاب كانت نسبت فيها الى ابن القيم مكتوبة عليها بخط جديد غير خط الاصل فقيل لطابعه لا تنسبه لابن القيم فلعل كاتب هذه لم يحرر النسبة خصوصا وان الكتاب غير معروف في كتب ابن القيم ، فأبى ونسبه اليه ، فحسبنا الله ونعم الوكيل

(٣) وما يلحق بهذا وان لم يكن منه تماماً ما وقع في مختصر البخاري لازيدي المسمى « التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح » فقد كتب على طرته في النسخ المطبوعة بالمطبعة الاميرية والمطبوعة بالخيرية والمطبوعة بالمطبعة الميمنية مانصه « للحسين بن المبارك الزبيدي » وهذا غلط فان مؤلفه هو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي المتوفى سنة ٨٩٣ هجرية . وأما الحسين بن المبارك الزبيدي فشيخ ذكره المؤلف نفسه في خطبة كتابه في اسناده الى البخاري ، وبين المؤلف وبينه ثلاثة شيوخ . والريب أن كاتب الحواشي التي بهامش النسخة الاميرية ذكر في أول صحيفه منها اسم المؤلف على الصواب ، فلا أدري كيف كتب هذا وغفل عما في طرته الكتاب . وأما المطبعتان الاخيرتان فتبعتا المطبعة الاميرية من غير تحرر ولا نظر . وحصل مثل هذا في نسخة شرح الشرقاوي عليه الذي طبع بالمطبعة الميمنية فاتهم طبعوا بهامشه المتن ونسبوه في طرته الى الحسين بن المبارك الزبيدي مع أن الشارح في أول الخطبة ذكر اسم المؤلف على الصواب انتهى

كتبه

ابو الاشبال

عفا الله عنه

دعوة اللجنة التحضيرية

(لمشروع جمعية آداب اللغة العربية بلندن)

تشرف اللجنة التحضيرية لمشروع « جمعية آداب اللغة العربية » بلندن بتوجيه نظركم الى منافع هذا العمل المسطورة بإيجاز في (ذيل) هذا الكتاب آملا من غيرتكم التضيد المادي والادبي قدر جهدكم حتى اذا اجتمعت الاعانات الضامنة للنجاح منكم ومن أمثالكم أبرز المشروع الى حيز الوجود في القريب العاجل تحت رعاية « الجمعية الملكية الأنشوية » التي هي من أعظم الهيئات العلمية الباحثة في آداب الشرق . ولا يخفى على حضرتكم المظهر الجليل والفائدة الكبرى من تحقيق هذه الامنية في أكبر عواصم العالم . وقد لاحظنا أن المصنفين ميولا مختلفة ما بين عامل أدبي أو علمي أو وطني أو ديني ، فلكم مدفوعون بعامل أو أكثر من هذه العوامل لخدمة آداب اللغة الفصيحة العربية ، والسعي في نشرها بواسطة هذه الجمعية الدولية التي تعمل اللجنة على تأسيسها وتوطيد دعائها .

هذا ولو أن الظروف الحاضرة الاستثنائية ربما عدت غير ملائمة ، لأن فلاح مثل هذا العمل كما تبين لنا بعد درسه يستدعي بذل مجهولات كثيرة تستغرق زمنا غير وجيز فن الصواب اذن عدم التأجيل . فحبذا لو ظفروا بمؤازرتكم لنا ، فجلالنا الاعمال انما تقوم بمساعي الجماعة وتساند الافراد .

كاتب سر اللجنة
أحمد نكي أبو شادي

رئيس اللجنة التحضيرية
د. س. ص. ج. م. س.

(مقاصد الجمعية)

- (١) أن نخدم آداب اللغة العربية بجميع الوسائل التي تسمح بها مائة الجمعية
- (٢) أن تشجع تعلم العربية السليمة في بريطانيا العظمى وأن تنمي في أعضاء الجمعية ملكة الترجمة من وإلى العربية وسواها من اللغات حبا في الفائدة العامة .
- (٣) أن تكون واسطة تعارف بين الناطقين بالضاد في بريطانيا العظمى والمستعمرين بها ، وكذلك بينهم وبين علماء اسرية في جميع أقطارها وبين المستعمرين في الممالك الاخرى لتبادل المنفعة الادبية . اهـ

مصابنا بالزهرراوي والكيلاني

فجعتا الجرائد المصرية في يوم واحد بنعي الصديقين الوفيين المصلحين السيدين الجليلين عبد الحميد الزهرراوي شهيد بني الاتحاديين ، ومحمد وجيه الكيلاني شيخ اسلام القبلين . جاءتنا بذلك في أثر تلك الانباء التي شقت المرأه ، واستنفدت الدموع من المهاجر ، أبناء قتيل جمال باشا لصفوة أبناء سورية وأركان النهضة الاجتماعية فيها ، فالآن الآن قد صار القواد في غشاء من نبال ، فاذا اصابته سهام أخرى تكسرت النصال على النصال

خسرت أمة الاسلام وديار الشام وحزب الاصلاح بالزهرراوي والكيلاني رجلين من أفضل رجال العصر عقلا وذكاء وأخلاقا وعلما وأدبا واهتماما بالمصالح العامة، وتقديما لها على المصالح الخاصة، وبهذه المزايا تنهض الامم ، وبعدها تسقط في مهوي العدم نبت كل منها في بيت من أكرم بيوتات القطر السوري شرقا وسوددا وعلما ومجدا ، وتربي كل منها في نشأته الاولى تربية طلية دينية ، وأوتي نصيبا من العلوم والفنون المصرية ، واختبر حال الزمان وأهله ، وعرف شدة حاجة بلاده الى التأليف بين المختلفين فيها بالاديان والمذاهب والآراء والمشارب ، فكانا ركنين من أركان الوقت ، وطاملين من أقنع عوامل الاصلاح ،

فهذا ما اتفق ممثلا فيه هذان الصديقان الكريمان ، وأما ما اختلفت فيه نشأتهما وسببتهما فهو ان السيد الزهرراوي قد تمسك بالسياسة في حدائمه فقلبت على الاشتغال بشيورها مما كان مستعدا له كالتوسع والتصنيف في الفلسفة وعلوم الاخلاق والاجتماع ، فكان أفضل ما يرجى نفقه فيه ما وصل اليه من انتخاب أهل بلاده إياه نائبا عنهم في مجلس المبعوثين ، ولا أقول ثم تعيين الحكومة إياه عضوا في مجلس الاغنيان ، لان هذا قد كان بعد جعل الاتحاديين مجلس الامة بقسميه آلة لجعل ما تقرر جمعيتهم قوانين نافذة ، وأعمالا منسوبة الى الامة ، وكان الغرض منه خديعته وخديسة العرب به ، الى أن تسنح الفرصة لتنفيذ ما قرره الجمعية من قبل من التشكيل

بالعرب والفتك بزعمائهم كما أشرنا إليه في موضع آخر وسنعود الى بيانه
وأما السيد الكيلاني فقد تخرج بالاعمال الادارية الشرعية فكان من موظفي
مشيخة الاسلام في الآستانة ، وبهذا وما سبق من مزاياه كان أفضل من يختار لما
اختبره من جعله شيخا للإسلام في جزائر الفيلين ، وكان يتقي شر السياسة بالمداواة
حتى أنه لما عرج على مصر في ذهابه الى الفيلين تجاهل معرفة النار وصاحبه ، وهو
على مذهبه الاصلاحى ومشربه ، لانه كان يرجو المساعدة من الخديو وحكومته ،
وكان الخديو مغاضبا لصاحب النار من بضع سنين . وقد اخبرني بعد ذلك انه كان
يفضل طلب النار من صديقنا السيد محمد بن عقيل المقيم في سنغافوره على طلبه من
مصر ، وانه قد تجدده من الحاجة اليه في منصبه الجديد ما لم يكن يطلبه من قبل .
وسنعود الى الكلام في سيرة هذين الصديقين ان شاء الله .



مسألة الأزياء والعادات

من مشخصات الامم

زى الامة من مشخصاتها يفني لما أن نحافظ عليه ونحترمه ونحتقر من يحتقره كما
تحترم العلم الذي هو شارة حكومتها ، فالعلم لا يحترم لشكله ولا لونه أو ألوانه ، وليس من
العقل ولا من الحكمة أن تدم الاعلام أو تمدح لشكلها أو ألوانها ، وكذلك أزياء الامم
من حيث هي أزياءها ، ولكن بين الزى والعلم فرقا واحدا وهو أن الزى يقصده من
المنفعة ما لا يقصد بالعلم ، فإذا اشترك مع العلم في أن كلا منهما مشخص لامة مهما
يكن شكله ولونه وصفته فانهما يترقان في أن بعض الأزياء لا تفني بما يقصد بها من
وقاية الجسم من أذى الحر أو البرد أو سهولة القيام بالاعمال العسكرية والصناعية
والزراعية .

ومن الناس من يرجع في اختيار الأزياء الى مراعاة النوق والجمال ، ولكن
هذا ليس له قاعدة ثابتة ، وإنما يستحسن جواهر الرجال في كل أمة ما يخاره كبارؤها
وحكامها ، وإنما يعنى بالنوق والجمال في الزى النساء وهن في كل أمة يستحدثن

زياً جديداً يعطون به ما كان قبله مستحسنًا ، ولا يرجع ذلك الى فضيلة في زي اليوم على زي أمس ثبتت بدليل علمي أو عقلي . وإنما فائدة الجديد لمن جذب الانظار الى السابقات اليه ، وقائده المادية لتجار الانسجة وصناعة الخياطة لأخفى ، ويقابل ربح هؤلاء من الأزياء خسارة السرقات فيها ، فكم من بيوت خربت بمثل هذا الاسراف من أكبر جنائلات الافراد على أمتهم أن يحترق أحد منهم زياً ، ويستبدل به زي أمة أخرى تقليداً وتفضيلاً لها ، فإذا كان بعض أزيائنا ضاراً بها ، فالواجب في استبدال غيره به أن يكون برأي أهل الحل والعقد فيها ، الذين يراعون في التغيير المنفعة دون التقليد الذي يثبت في الأمة الشعور بمهاتها وتفضيل غيرها عليها . وقد وفينا هذا الموضوع حقاً من البيان في المنار وقبل المنار في كتابنا (الحكمة الشرعية) الذي كتبناه في عهد طلب العلم ، واقتبسنا منه نبذاً في المنار اذ طرقتنا باب هذا البحث مراراً .

ولست أبحث الآن في أزيائنا هل يحسن تغيير شيء منها وكيف ينبغي أن يكون التغيير ، وإنما أريد أن أقول ان بعض الافرنج يغفرون من أزياء الشرقيين ويكرهون أن يأكل في مطاعمهم الخاصة بهم وبالأغنياء المتفرجين منا من لا يلتزم عاداتهم وآدابهم في الطعام ، ومنهم من يرى ان كل من لا يلبس الزي الافرنجي لا يقتني أن يأكل في تلك المطاعم ، ولهم في ذلك أعذار ومارب ، وقد روت جريدة (وادي النيل) الاسكندرية أن اثنين من المعممين دخلا مطعماً افرنجياً فطردها منه لانها معيان ، وقالت في لومها انه لا يبعد ان يكونا ذهبا منه الى آخر مثله لعله يقبلها . وأشارت أيضاً الى انتقاد صاحب المطعم الافرنجي . أما نحن فإنا نخص بالوم فريقين من أمتنا : فريق الذين يتعدون لمواكلة الافرنج في مطاعمهم ، وهم لا يلتزمون آدابهم وعاداتهم . ومنهم من لا يلتزم الآداب الاسلامية التي هي أرقى الآداب ، وفريق المتفرجين الذين يحترقون زي أمتهم وعاداتها وآدابها ، يستبدلون بها غيرها تقليداً للاغيار وتفضيلاً لهم على أنفسهم ، ويكونون آلة لضعاف شخصيات أمتهم ومقوماتها وهم لا يشعرون ما وراء ذلك كما يشعر به غيرهم . ومن أراد أن رف رأي الافرنج في ذلك فليقرأ خطبة الدكتور سنوك للمستشرق الهولندي في

الاسلام ومستقبله التي ألقاها في جامعة كولومبيا من الولايات المتحدة ، وقد نشرنا ترجمتها في المجلد السابع عشر من التار مع تطبيق طويل عليها ^(١) ومن أراد أن يعرف قيمة هؤلاء المتفرجين في نفس الافرنج فليقرأ ما كتبه في شأنهم لورد كرومر في كتابه (مصر الحديثة)

من أهان أمته باحتقار شيء من مقوماتها أو مشجعاتها بازاء احترام مايقابل ذلك من أمة أخرى فقد احتقر نفسه أشد الاحتقار ، وما قيمة الرجل الذي ليس له أمة محترمة في نفسه ، ومن ذا الذي يكرم من يحتقر نفسه باحتقار أمته * ومن لم يكرم نفسه لم يكرم *

إذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

يجب على كل من أوتي نصيباً من الفهم أو حظاً من الشرف أن يقاوم جهده طاقته . كل ما فيه احتقار لأمة . هما يكن رأي المحتقر وقصده ، ومن ذلك ان لا يأكل احدهم المصريين في مطعم يهين اصحابه مصرياً لزيه أو عاداته أو غير ذلك ، ولا ان يشتر واشيتاً من تاجر يهين مصرياً . ويجب على أمثال هؤلاء ان يذلولوا جهدهم لمنع الاهانة عن أمتهم وإغنائها عن معاملة كل من يقصر في احترامها ، وانما ينيسر هذا بتعاقد الاندية والجمعيات الادبية والشركات التجارية

كانت شركات البواخر الافرنجية في الخط الذي بين الهند وخليج فارس وشط العرب تحتقر المسافرين فيها من العرب والفرس ولا تسمح لهم بالاكل على مائدة الدرجة الاولى فلما أنشأ تجار العرب في يومي شركة البواخر العربية زل ذلك الاحتقار وبطلت تلك المعاملة

وافق لي منذ بضع عشرة سنة أنني دخلت طمناً سوريا في القاهرة وقت العشاء وجلست الى مائدة من مواده فطلب رجل انكليزي أن أترك تلك المائدة لانه يجلس اليها للطعام ولا يحب ان يأكل مع شيخ أزهرى ، فلم أبال بطايه ، فطلب من صاحب المطعم ذلك فاعتذرائه بأنه لا يمكنه ذلك . وقد سألت عن اسم الرجل وعمله وذكرت ذلك لصديقي مستر منشل أنس الذي كان وكيلاً لنظارة المالية

وقتئذ فاستاء من ذلك وكتب كتابا الى رئيس ذلك الرجل في مصلحة السكة الحديدية كلفه فيه ان يلزمه الاعتذار الي، واخذت الكتاب بنفسه وعدت راضيا بما كرما ولا تخفى على عاقل أن ما نحتاج الى اقتباسه من علوم أوربة وفنونها وصناعاتها لا يتغير هذا التفرنج الذي نذمه ولا يأتي من طريقه بل يتأفقه، لان التفرنج تقليد في الآرية واخذت يحدث انفرق في الامة وانحلال روابطها واقتباس العلم النافع والعمل الواقع يجب ان يكون بطريق الاستقلال لا التقليد، وان تراعى فيه حاجة الامة في العمل ويقصد به ترقية ثروتها وعزة دولتها، ولم نزهوا لاء المتفرنجين من الترك وللمصريين ساروا على ذلك الدرب ووصلوا الى هذه الغاية، بل هم الذين نسفوا ثروة بلادهم وقطعوا روابطها حتى وصلت الى ما هي عليه، وليس في بلادهم شيء من العمران الا وقد كان يعمل الاجانب ومعظم قاعدته لهم، وانما سار على ذلك شعب اليابان الذي شرع في اقتباس الفنون الآرية بعد الترك والمصريين مناه فكان طلاب العلوم منهم في أوربة يتلقون العلوم العملية، اذ يتلقى الطلاب من العلوم النظرية والسياسية، وكانوا مثال الجد والعمل والاقتصاد، اذ كان أكثر طلابنا مظهر الفسق والسرف والفساد واليك من العبرة هذا المثال: كان بعض الاوربيين والاوريين مع بعض اليابانيين في بلاد اليابان فخلع ياباني نعله في المجلس، فأنكر عليه ذلك بعض الاوربيين لان خلع النعال أو الجلوس بغير نعلين مستجن في عاداتهم ولا سيما حيث يوجد النساء. فقال الياباني: انا ياباني لا أوربي وهذه البلاد يابانية لا أوربية فبأي حق تطالبوننا باتباع عاداتكم في بلادنا والواجب عكسه؟ أو قال كلاما بهذا المعنى. فيذه هي الوطنية لا ما يتشدد به المتفرنجون الذين لا يعقلون عاقبة ما يأتون وما يدعون قلنا ان اقتباس الفنون النافعة من الغربيين - وكذا ما يستلزمه من اعترافنا بجهلنا وبما جئنا الى علمهم - لا يعد احتقارا للامة بل اصلاحا، ونقول أيضا اننا في حاجة الى الإصلاح في كثير من العادات الضارة، وأن ذلك لا يعد احتقارا للامة وظلما كتبنا في ذلك. ومن أبواب المنار الواسعة باب (البدع والخرافات والتقاليد والعادات) وانما الواجب أن نعتد في هذا الإصلاح على شريعتنا وهي أكل الشرائع وآداب ديننا وهي أكل الآداب

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة
قد أتى خبرا كثيرا وما يذكر إلا أولو
الالباب

المسحاة
١٣١٥

فيهم هبدي الذين يستمعون القول
فيهمون أحسن أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الالباب

﴿قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « منارا » كنفار الطريق﴾

مصر - ملحق شوال ١٣٣٤ - ٦ السنبلة (ص ٣) ١٢٩٤ هـ ش ٢٩ أغسطس ١٩١٦

آراء الخواص في المسألة العربية

(واستقلال الشريف في الحجاز)

في ليلالى رمضان وأيام عيد الفطر تيسر لى أن أهرق من آراء أهل العلم والرأى
بمصر فى المسألة العربية واستقلال الشريف أمير مكة فى الحجاز مالم يكن يفهم
فى وقت آخر من السنة ، لكثرة التزاور فى هذه الليالى والأيام ، وتوسع الناس فيها
بالكلام كتوسعهم بأنظام ، وقد جرت فيها بيننا وبين كثير من أساتذة الأزمهر
والمدراس العلماء وكبار القضاة والمحامين والأطباء وغيرهم من أهل الرأى مذاكرات

ومحاورات طويلة في هذه المسألة جدية بأن تنشر وتدون لأنها ربما كانت أهم مسائلنا الحاضرة ، ووقائع تاريخنا التي نحتفظها لأحقابنا الآتية ، فربما أن ننشر في المنار أطول محاورتها وأجملها للمقاصد ، ثم تلخص في الخاتمة صفوة الآراء كلها ، وبذلك تم الخاتمة من تلك الأحاديث بنهر تكرر ولا عيب وهذه المحاور كانت بيننا وبين أستاذ معروف باعتماد الفكر واستقلال الرأي ؛ وقد وقفت في اليوم الثاني بعد عيد الفطر ، وما هي ذى - ونهر من الأستاذ بحرف ذ وعن نفسها بحرف ب: ذ - ما رأى الأستاذ في استقلال الشريف أمه مكة بالحجاز ، فاني رأيت كثيراً من إخواننا ومعارفنا لا يمد ذلك أمراً ذالاً ، ومنهم من لم يصدق أخبار الجرائد ، حتى أن أخانا الشيخ أ. قال لي في إحدى ليالي رمضان عقب نشر البلاغ الرسمي عن استقلال الشريف إنه لا يعرف أحداً صدق هذا الخبر من قبل ، وإنه هو لم يصدقه أيضاً إلا بعد نشر البلاغ الرسمي ، وإن من الناس من لا يصدق البلاغ الرسمي نفسه ؛ وما أظن أن الأستاذ على رأي هؤلاء ، ولا أنك تقول إن هذا الأمر ليس بندي بل

ذ - صدقت ، أن هذا الأمر لو بال ، وأنه قد شغل مني البال وهو جالب البال . واني مخالف لمؤلف الناس الذين أصبحوا لا يهتمون بشيء من الاشياء ، ولا يصدقون من الأنباء إلا ما يلائمهم ، ولا يقبلون من الآراء إلا ما يوافق أسوأهم ، ولذلك راج بينهم رأي لقوه بالقبول ، وهو أن الشريف لم يعلن الاستقلال إلا لضرورة انقاذ البلاد من المجاعة التي أوتسها فيها الحصر البحري أو كاد ؛ فقد امتنع بذلك وصول القوات إليها من مصر والسودان والهند وجل قوتها من هذه البلاد ، حتى قيل أن أردب القمح صار في مكة بيضة جنهات ، فمدر الشريف في انتظار دعوى الاستقلال جلي ظاهراً ؛ وهو لا يزال مخلصاً للحكومة التركية في الباطن وليس له غرض في إيجاد حكومة عربية ، ولا طمع في خلافة قرشية ، ولولا ذلك لتقاتله الدولة هذا هو الرأي الراجح في البلد

أما أنا فلا أعزم بقبول هذا الرأي ولا يرده ، وإن كان مغفولاً في نفسه ؛ لأنني أعلم أنه قد وجد في طلم السياسة مسألة تسمى المسألة العربية ، ولكن لم أتف على

كنها ومبلغ قوتها ، ولا على مكانها من الشريف ومكان الشريف منها ، وأعلم أيضاً أن الحجاز ليس فيه الاستعداد المطلوب لإنشاء دولة ، ولا القوة التي يعترف عليها استقلال الخلافة ، وحياة أهل موقوفة على الدولة التي تملك التصرف في البحار والدولة ذات السيادة على بلاد الشام ، فإذا منع عنه القوت من هنا وهناك مات أهل جوعاً ، ثم إن المشهور أن أمراء جزيرة العرب وزعماءها معاصدون متباغضون بأسهم بينهم شديد ، ولولا سيطرة الدولة العثمانية عليهم لافى بعضهم بعضاً . والشريف - إذا كان يأمن بطش الدولة الآن فهو لا يجهل أنها إذا بقي لها استقلالها بعد هذه الحرب أمكنها الانتقام منه وإزالة إمارة الحجاز وجعله ولاية عثمانية محضة . وإذا زال استقلالها وفرضنا أنه أمن على استقلاله من صاحب عسيرة صاحب نجد فإنه ليس بالقي يكون الملك المستقل الذي يطلبه العرب ، ولا بالقي يجدد الخلافة الإسلامية التي يحرص على استقلالها جميع سلى الأرض ، لأن الاستقلال بأمر الملك والخلافة يعوق على الثروة والقوة وأين هما من الحجاز وأين الحجاز منها ؟

فلهذه الأفكار تراني مضطرباً في هذه المسألة ، وأنا أعلم أن عند (السيد) من أخبار هذه المسألة والاختبار فيها ما ليس عندي ولا عند أحد من المصريين ، فهو أعلم منابشؤون جزيرة العرب وشؤون أمرائها ، وأعلم منابظاير الحركة العربية وباطنها وأحوال أحزابها وجمعياتها . كما أنه أوسع منا علماً بأحوال الدولة الدولية وأوسع اختباراً لها وأكثر تنبهاً لما يتجدد من أخبارها ، يصرف له بهذا من يقرأ بروية واسان ما يكتبه في هذه المسائل في مجلته ، واني أود أن أقف على ما عنده في مسألة الحجاز من رأى ورواية بالتفصيل ، وقد تعرضت لهذا غير مرة فلم تسكن حالة المجلس أو الوقت ، أيسح السيد بالأفاضة في ذلك ؛ فسي أن نستفيد الآن ما فائنا من قبل .

د - لم أنس أن باب الحديث في هذه المسألة قد فتح بيننا رنين قبل هذه المرة ، فكان الكلام فيها وجيزاً لضيق وقته ، على أن الحديث شجون ، والإنسان يتذكر في وقت ما ينساه في آخر ، فإذا ذكره محمته تذكر ، واني لا أنجل على الاستعاذ بما عندي في هذه المسألة من رأى أو خبر أرى فيها فائسة له ، فإذا حدثته بشيء لم يره كافها فله أن يستزيدني من الحديث بالسؤال عما يريد منه ، ولا بأس

بإعادة شيء مما كنا أئمننا به من قبل ؛ وأبدأ ببيان ما عندى فى مسألة استقلال الشريف فأقول :

ان الشريف لم يدع ملكا ولا خلافة فلا كلام لنا فى ذلك وما ذكرته لى من الرأى الذى دار بين كثير من المصريين فى سبب استقلاله فى الحجاز وتلقوه بالتبول قد سمعته من غيرك أيضاً . وهو رأى كما قلت مقبول ، وعذر الشريف فيه مقبول ، ولا سيما ان كان الاستقلال صورياً كما تظنون ، فانه مسؤول عند الله وعند الناس عن إقآاذ سكان حرم الله تعالى وحرم رسوله ﷺ من الهلاك ، وإزالة الموانع التى منعت أكثر المسلمين من الحج إلى بيت الله الحرام ، ولا سبيل إلى هذا وذلك إلا بإزالة الحصر البحرى عن ثغور الحجاز ، الذى كان سببه وجود الجنود التركية فيها ، فان دولة انكثرة كانت صرحت باستثناء سواحل الحجاز من الحصر البحرى الذى ضربته على جميع السواحل الثمانية ؛ وسمحت بنقل الاقوات من الهند وغيرها إلى تلك البلاد المقدسة . ثم انها لما حلت بإرسال أنور باشا لكثير من الجنود التركية إلى الحجاز منعت إرسال الاقوات اليه لان الجنود ينصفونها منها ، وقد كان من المستغرب تموينها لبعض بلاد أهدائها ولكن تمويها لجوشها غير مقبول ، وإنما المقبول ضده ، ولولا احترامها للبلاد المقدسة لضربت سواحلها بمدافع أسطولها وجماعها من موادين الحرب أيضاً ، ولكن إزالة الشريف أمهم مكمه لسبب الذى أوجب الحصر ، ومنع القوت والحج ، مناوأة لدولة التركية أو الاتحادية لانه قصد لقتال جنودها ، ورفع سعادتها عن البلاد التى هو أميرها ، والشريف قد اضطر إلى الاستقلال بالامر فى الحجاز ونبتد سيادة هذه الحكومة الاتحادية ظهرياً ونحن نخالف من يرى من المصريين ان هذا الاستقلال صورى وانه كان بالتواطؤ بينه وبين الدولة ، ومن يرى أنه لا يزال مخلصاً لهذه الحكومة وأنها هى راضية عن فعله وحاذرة له فيه ، لأننا نعلم أن إزالة منع القوت ومنع الحج ليس هو النابث على هذا الاستقلال ولكنه من لوازمه ، وهناك بواعث وأسباب أخرى له سنلم بها فى حديثه ذ - اذ لا يزال تمرد الدولة جيشاً لقتاله ؟ ولماذا حاصر هو الجيش التركى حصاراً ولم يهاجمه القتال ؟

د — أما الشريف فيمنعه دينه من الاقدام على سفك الدم في أرض الحرمين الشريفين من غير ضرورة ملجئة لا مندوحة عنها، وأما الدولة فالمنازع لها من إرسال جيش جديد لقتاله إما المعجز وإما العقل، أما المعجز فهو الآن غيب بعيد، لأن جنود الدولة مغرقون في عمدة مهادين من أوربة وعدة مهادين في الاناضول وإيران والعراق وسورية وسيناء فهي لا تسفنى من جيش كبه يصلح ماعطل من سكة حديد الحجاز ويبقى قسم منه في مواضع متفرقة من الطريق لحمايتها، ويسير قسم سته لا تقاذ حامية المدينة ثم الزحف منها إلى مكة مع حفظ طرق مواصلاته من مركز نمونه وإمداده في الشام إلى مكة . وأما العقل فيقتضى عدم العدى لقتال الشريف الآن حتى في حال القدرة وانتفاء المعجز، لأن قتاله يضيف الدولة في المهادين الاخرى، وربما يستقيم خروج عرب الجزيرة كلهم أو جلهم عليها، فيتسع الخرق على الراقع، والسكوت عنه لا يضر الدولة الآن، فإن انتهت الحرب بظفرها مع أحلافها أمكنها أن تصصرف في اماجاز بما تشاء، وإن انكسرت مع أحلافها فلا معنى لاهتمامها بأمر استقلال الحجاز، ذ يفرق المنتصرون حينئذ شمل وحدتها، ويخشى أن يزيلا ما كان من استقلالها، بل المعقول أن يمتنى كل مسلم من ترك الدولة كرهها أن تسلط بلاد الحجاز وسائر بلاد العرب من الموقع تحت تصرف الحلفاء المنتصرين في هذه الحالة، ولولا أن الدولة في أيدي الاتحاديين لرجعنا أن العقل يمنحها من قتال الشريف إن لم يمنحها المعجز، وأما الاتحاديون فقد جعلوا من أصول سياستهم إضعاف العرب حتى لا يكون لهم حقوق مع الدولة إن بقيت، ولا استعداد للاستقلال بأنفسهم إن سقطت؛ ولسان حالهم مع العرب في هذه الحالة يقول:

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

وقد سمع من أفواههم كثير من طلاب الإصلاح من العرب ما يدل على مثل هذا من مقاصدهم عند ما كانوا يتكلمون معهم في حقوق العرب في الدولة، وفي أحوال أخرى، ألا ترى أنهم اتخذوا حالة الحرب ذريعة لتنفيذ مقاصدهم في العرب، فكان المعقول أن يشبهوا العرب الولايات صدق وعودهم بالإصلاح وبفوا لهم بهودهم التي عقدوها مع السهد الزهراوي عقب عقد المؤتمر العربي، ويزيدونهم على ذلك من

الاصلاحات الداخلية ما يمكن به قلوبهم كما ملكوا أبدانهم وأموالهم فاستعملوها في هذه الحرب كما شاؤوا ، وفي أمثالنا العربية « عند الشدائد تنذهب الاتحاد » ركن أمثالنا لا تصدق على طباعهم وأخلاقيهم ، بل تضادها وتنقضها ، فالكشف كانت عندهم مظاهرة للاتحاد في أقبح مظاهرها وأشتع مناظرها ، فبعد أن جندوا جميع شبان سورية والعراق وفرقوم في الميادين البعيدة عن بلادهم كالفرقة من البلقان والآنضول - وبعد أن صادروا الاموال والتلال في تلك البلاد ، طفقوا يقتلون أولى العلم والرفق وكبار الضباط وسائر أرباب العقول والافكار في كل من القطرين (السوري والعراقي) وينفون الكبراء والافخياء ، ويغولون على ديارهم وأموالهم .

وبعد أن رأوا مآربهم هذا قد تحقق بنهر معارضة ولا مقاومة ولوا وجوههم شطر الحجاز ، لا لاجل الصلاة إلى المسجد الحرام ، ولا لاجل الطواف بين الركن والمقام ، فأنهم لم يكونوا من الطائفين ولا المصلين ، ولكن ليفعلوا في الحجاز ما فعلوا في العراق والشام ، حتى إذا تم لهم هذا الارب ، أجهزوا على بقية جزيرة العرب ذ - إنى أعلم أن السهد سيء الاعتقاد في دين هؤلاء الاتحاديين وفي سمعهم ، وقد قرأت كل ما كتبه في السنين الاخيرة عنهم ، ولكنني رأيتهم قد سكت عن ذلك الطعن الشديد فيهم بعد حرب البلقان ، ثم تنسيت حفظه عليهم من بعض ما كتبه قبيل دخولهم هذه الحرب وفي أثنائها ، وكنت أعلم أنه كجمهور المصريين لم يصدق أخبار المقطم والاهرام ، من فظائع جلال باشا في بلاد الشام ، حتى قرأت المقالة التي تشرنوبها في الشهر الماضي فعلمت أنكم مصدقون لتلك الاخبار ، وتتوقعون أن يكون لما تأتته - في الحجاز وسائر جزيرة العرب

د - نعم انني تركت تلك الحملات على الاتحاديين بعد حرب البلقان وفي أثناء هذه الحرب لان الحملة عليهم تعد حملة على الدولة ولا ينبغي ذلك في أثناء الحرب وإن كان بنية صالحة ويقصد الاصلاح كما بينت ذلك في المقالة التي فصحت بها يمثل هذا مسلحي سورية قبيل دخول الدولة في الحرب ، ثم انني صدقت ما أتوه من التفتيح بالرب في الشام ، لانه ثبت عندي بالتواتر فكتمت تلك المقالة وأطلعت عليها

بعض إخواننا قبل أن نجيئنا البرقيات نبأ استقلال الشريف وإن نشرت به بذلك ، ثم جلت بعد نشرها أن أنور باشا مازار سورية والحجاز في أوائل هذا العام إلا ليتولى بنفسه إرسال الجند والسلاح إلى الحجاز لقضاء على سلطة الشرفاء فيه . وإن قيل أنه جاء بصنيعه جرمته الشريف على حيدر من الاستانة إلى الشام أو المدينة ليجعله خلفا لشریف حسين أو أميراً للحجاز في المدينة . فإذ أصبح هذا الظاهر فالنرض الصحيح منه أن يضربوا الحديد بالحديد لما في ذلك من المفاصد الكثيرة التي يطلبونها ، فإذا أمكن لشریف حيدر وأخيه الشريف جعفر أن يؤلبا بعض عرب الحجاز على الشريف حسين بحال الدولة التي يؤيدان به نفوذهما سهل على قائد الجنود التركية بعد اضفاف حرب الحجاز أن يستبد بالفوذ في الحجاز من غير خسارة تذكر ، ولا صيت قبيح ينشر ، ثم انهم بعد التفك بالشريف حسين وأولاده يتفكون بالشريفيين حيدر وجعفر ، ثم افتكوا بصديقي الشريف حيدر (عبدالكريم قاسم الخليل والسيد الزهراوى) إذ نولوا وساطة هذا الشريف لما أمكن لعبدالكريم أن يقنع الزهراوى بالجنس من باريس إلى الاستانة بعد أن أئذر المرة بعد المرة بأن في ذهابه إليها خطر أعلى حياته ، ولم يكن الشريف ضامنا له الأمن على حياته فقط بل كان ضامنا له الإصلاح الذي وعد به الاتحاديون وأكثر مما وعدوا ، وقد رغب إلى هو وعبدالكريم أن أكتب إلى الشريف حيدر كتاب شكر لحسن سمعه في هذه السبيل

إننى على ما أعلم من سوء نية الاتحاديين وخبيث ما أضروه للعرب قد كنت أحسنت الظن بأنور باشا عند ما جاءنا المقطم بخبر زيارته لسورية والمدينة المنورة ، ولعل الأسعاذ يتذكر أننى قلت له حينئذ : إن أنور باشا ما جاء سورية وفلسطين والمدينة إلا لصلح ما أفسده جمال باشا حتى لا يصل سوء تأثيره إلى جزيرة العرب ، وليسمعين بعرب الحجاز وغيرهم على هذه الحرب ، فإن أنور باشا هو الذى نولى في أول هذه الأزمة استئالة عرب الجزيرة بما كتبه إلى أمراءهم وزعمائهم من المكتوبات العربية ، المزينة بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وقد اطلعت على صور بعض هذه المكتوبات العامة والخاصة ، ومنها الكتيب الذى حمله رسول خاص إلى عدوهم الذى لم يعترفوا به بصفة رسمية قط - أعنى السيد الأدريسى - وهو يعظمه فيه ويوجبه له

ويظهر الثقة به ، ثم حلت في هذه الأيام أنه كان طلب من الشريف أمر مكة المكرمة
فجدة عربية لمساعدة حملة سيناء على مصر ، وإن الشريف أرسل الحملة إلى المدينة
المنورة وهي التي تحاصرها الآن ، فإن الشريف لما رأى الجنود التركية ترسل إلى
الحجاز بعشرات الألوف وتوزع في منبها وتنودها وهو يعلم كما فعل وقلم الدولة
أن الحجاز ليس عليه أدنى خوف من الدول الأوروبية ، فلم يبق لأرسال الجنود إليه
سبب يقتل - والدولة في أشد الحاجة إلى الجنود - إلا التفتك به وبه والفتك
بشرفائه انماهم لبرناج جمعية الاتحاد والترقي التي يعرفه الشريف كما نعرفه ،
وقد كانوا حاولوا البدء بالشريف قبل هذه الحرب إذ أرسلوا الضابط وهيب بك
أحد غلاتهم المحمسين خفية إلى الحجاز ، وبعد وصوله إلى مكة أظهر التقليد الرسمي
التي معه بولاية الحجاز وقيادة حاميتها ، وكان من أمر خذلان عسكري في العجروش
بقتال العرب ومحاربة الفتك بالشريف ما هو مشهور ، فلهاذه تحولت الحملة الحجازية
التي ألفت إجابة لطلب أنور باشا لقتال مع جنوده في سيناء إلى حملة تحاصر جنوده
في المدينة المنورة وتقاتلهم إذا قاتلوا

ذ - إذا كان الشريف عالما من قبل بما تضرره جمعية الاتحاد والترقي للعرب
عامة ، وله ولأهل بيته خاصة ، فلماذا كان ينصر الاتحاديين حتى أنه حارب السيد
الادريسي لأجلهم وكاد يحارب أمير نجد ابن السعود كذلك

د - لا أدري متى عرف ذلك معرفة لأتحمل التأويل ، وقد كان أولا يقول
للإتحاديين ويرجو صلاحهم حتى كان بعض رجال النهضة العربية يتهمونه بمشائهم
وبكرامة السيد الادريسي أن يكون ذامسطة في عصره ، وينقل عنه وعن أهل بيته
أنهم يقولون أنهم لا يؤيدون الاتحاديين فيما تقوم به جمعيتهم من الأعمال وإنما
يؤيدون الدولة نفسها فيما تقرر ويرون أن الاعتصام بها وإن جازت على العرب
وغيرهم أرجح من مقاومتها ولو سراً للتأقضى المقاومة إلى الفرق التي يضمع
به العرب مع الترك ، وإن الطريقة المثل لتلاف ما يرى ضاراً من أعمالها انما هي
طريقة السعي لديها والاجتهاد في اقناعها بضرر الضار ونفع النافع ، وهذا الرأي
والسلوك لم يكن مرضيا عند الأحزاب السياسية العربية من كل وجه ، بل كانوا

برون انه يجب أن يكون الشريف أمير مكة مخلصاً لدولة ومؤيداً لها فيما صار في حيز الأمور التنفيذية فقط لإفقال العرب ، وأما ما لم يصل إلى حيز التنفيذ فينبغي أن يكون حربه فيه معارفاً لحزب الاتحاديين بعد ظهور عصيتهم الجفسيه وظلمهم للعرب ، ولكن نجه مبعوث مكة المكرمة كان مع سائر مبعوثي الحجاز من الاتحاديين ، وكذلك أخوه الشريف ناصر العضو في مجلس الامهات من حزبهم ولم يفتن كل هذا شيئاً ، ولا صد الاتحاديين عن محاولة تنفيذ ما كانوا يضررون للشريف الاكبر وأهل بيته ، وإنما يكرهون هذا الشريف وأولاده لأن لهم من النفوذ في حرب الحجاز ما ليس لغيرهم من الشرفاء ، قلت آتفاً أننا لا ندرى متى عرف الشريف الأكبر حقيقة حالهم ويطس من صلاحهم ، وقد ظهر لنا أنه يفس من بقاء للدولة السانبة أيضاً ولله لولا هذا الياس ما نهض بهذا الأمر

د - ان من الناس من يرى ان الدولة ماسلت من خطر الياس وعظم الرجاء فيها إلا بدخولها في هذه الحرب ، إذ صارت بركنا من أركان أحد الحائزين العظميين الذين تتألف منهما الدول الأوروبية الكبرى ومشايكتها من الدول الصغرى ، وقد نقل إلهمنا المقطم ان من شروط محاليتها لألمانية ان لا تعجل هذه صلحاً إلا بشرط حفظ استقلالها ، والصلح لا بد فيه من رضاء الفريقين وإن كان أحدهما مغلوباً ، فاستقلال الدولة المالية مضمون على كل حال ، فكيف يفتل أن يياس منه الشريف وهو من أركان الدولة الذين هم أهل مناحلها وبشروط محاليتها التي منها ما ذكر

د - إذا كان في الناس من يرى ان استقلال الدولة مضمون وإن غلبت مع أحلافها في هذه الحرب ، وكان أعداؤها هم المقررين لشرط الصلح ، فإن في الناس من يرى ان هذا الاستقلال قد زال بالفعل ، وان انقصر الألمان مع أحلافهم وتحكموا في شروط الصلح ، أما بقاء استقلال الدولة بعد انكسارها وانكار أحلافها فهو معقول ، وأما الرأي الذي يقابله في الترابه وهو زوال استقلالها في حال انتصارها وانتصارهم فلا صحابه وجه جدير بالأمل ، وهو أن الدولة قد غرقت في بحر الجحيم من الديون وخسرت أكثر الشبان العاملين في المملكة ، وأقرت الأمة كلها بصادرة أموالها واستنزافها بأسماء متعددة ، وكان حيز ميزانيتها قبل حرب البلقان وهذه

الحرب، فكان أقرتها وأقرتها أنها بسد باقتراض الملايين في كل علم، وقد زادت ديونها الآن زيادة كبيرة حتى صاروا الذين يستغرق معظم الميزانية التي لا بد أن تنقص عما كانت تقصداً فاحشاً، ومن البديهي أنها لا تجد بعد الحرب من يقرضها كما كانت تجد قبلها، وليس أمامها من الأمم الضعيفة إلا الامه الألمانية وقد ذهبت قروض الحرب لقولها ودول أحلافها بمظم ثرونها، فلن تقرض دولة وصلت ماليتها إلى حد الإفلاس ما تلم به شتمها إلا إذا جعلت مالية الدولة وجميع موارد الثروة في المملكة تخدمت تصرف دورانها يدبرها رجال الألمان المليون والفيون — فإذا تدبرنا هذا، ولعلنا أيضاً أن الدولة قد جعلت حريتها وبحريتها في أيدي الألمان وجعلت تعلم لغيرهم إجبارياً في جميع مدارس المملكة الألمانية وغيرها، وتذكرنا أن الألمان يملكون عشرين كيلومتر على جانبي سكة حديد بغداد في خط يمتد من ضفاف البوسنور إلى بغداد، فأى استقلال يكون للدولة بعد قبض الألمان على إدارة المالية والحربية، والمعادن والمناجم مع امتلاك هذه الأراضي الواسعة التي تضاهي مساحة مملكتهم؟

كان لبعض الألمان المقيمين في بلجيكا قبل الحرب ملعب أو ملاعب كرة ملعب فيها أهل البيت والعمال، فلما اقتحم الجند الألماني بلاد البلجيكي المضمون استقلالها منهم ومن سائر الدول الكبرى ظهر أن ملعب الكرة إنما بنى بطريقة فنية هندسية ليكون مركزاً للمدافع الضخمة المكشوف خبرها من عهد أركان الحرب من الألمانين، وأن المسافة بين الملعب وبين الحصون البلجيكية هي مسافة مرمى تلك المدافع التي دمرت تلك الحصون. فإذا كنا قد استفدنا من خبر هذه الحرب أن ملعب الكرة لعمال ألمان في زمن السلم كان خطراً على الدولة التي ملك الألمان في بلادها ذلك الملعب مع أن دولته ضامنة لاستقلالها، فهل نقصور أن نعلم من الخطر دولة يملك الألمان التصرف في جميع قواها المالية والحربية والعلمية والفنية، ويملكون في قلب مملكتهم تلك الألوف من الأموال التي هي محل العمران المنتظر فيها؟

ولدينا خبرة أكبر من هذه الخبرة وأظهر وهي ماثلة بينا المتعطف في جزء مارس من هذه السنة من مقالة «كوننس ورك» (الأهيرة الانكليزية) (فنوانها) (ملك الانكليز وأمبراطور الألمان) «الت فيها عن الملك إدوارد ما نصه :

«وزارتى مرة قبل وفاته بثلاثة أشهر لتناول الشاى هندي؛ وتكلم من الادارة الألمانية فقال «لو كانت بلادنا تدار كاتدار ألمانياه لاستفدتنا فائدة كبيرة ويأخذنا لو حكمتنا الألمان المدة الكافية لاصلاح إدارتنا» قال ذلك وصمت قليلا ثم قال وهو يضحك «ولكن المصيبة أنهم إذا أتوا ليحكونا تعذر علينا انطامر منهم» وهذا آخر حديث جرى لى مع لاني لم أره بعد ذلك» اه واستقلت الامهـ بهذا الحديث على أن الملك لم يكن يضرر العداء لألمانية . وإنباب هذه القضية هو الذى كتبت لاجله مقاله

فاذا كان هذا الملك السياسى العظيم يقول إن دولته التى هى أعز الدول وأعظمها دعاء وتذميراً يهتذر عليها انطلامر من الألمان إذا دخلوا عاصمتها لتتظيم الادارة وهي فى جزيرة يحميها أقوى أسطول عرفته البحار منذ خلقها الله تعالى ، فهل يتيسر للدولة النمانية الضعيفة انطلامر منهم بعد ما ذكرنا من تعرفهم المنتظر بعد الحرب إن كان لهم الظفر ، وما تصرفهم فيها الآن بقليل ؟

هذا وإن همة الحرب الحقيقية هى الغنازع الاستعمارى ولم يبق فى البلاد القابلة للاستعمار ما يشبع مطامع ألمانيا ويتسع مجاله لشعبها السكثى ، وفنونها وصناعاتها إلا البلاد النمانيه ، وقد كانت دول الاحلاف تعارضها فى استعمارها الاقتصادى مع إبقاء للدولة النمانيه على استقلالها السياسى الصورى ، فاذا انتصرت فى هذه الحرب لم يبق لها معارض من الترك ولا من الأوربيين .

ذ - والله ان هذا الكلام مقول فى نفسه ، ونكن لا يسئل أن يجهل الاتحاديون فكيف رضوا إذا بموالاة الألمان ؟ أيسئل أن يكون فى يد أناس ملك عظيم فيبذلوا دماهم وأموالهم لاجل إضاعته ؟

د - لو كان رجال البيت السلطاني وكبراء علماء الدولة وسروانها من قدماء الوزراء والاهيانم الذين قدروا بالنشاور بينهم القتال مع الأنية وتحكيمها فى الدولة لكان هذا السؤال أكثر اتجاهاً والجواب عنه متسراً ولا أقول معذراً. أما وزعماء الاتحاديين هم القائمون بذلك وهم أوشاب لا تعرف لىهم الا اسرائيلى الأصل منهم أنساب وصلوا إلى ما وصلوا اليه من الا - بعداد بهذا الحق بمساعدة اليهود

الجرمانيين - فالجواب سهل والناس فيهم رأيان يؤخذ من كل منهما جواب
سبب تسليم الاتحاديين الدولة للامان

(الرأى الأول) رأى سمع كثرها من خصوصهم، وهو انهم جماعة من طلاب
المال والثروة علمهم العلم البئز بطرق تصيبها - وهم اليهود - كيف يكونون من أغنى
أهل مصر بسلب ثروة هذه الدولة ثم يبيعونها لدولة الألمان الفتنه ، ويستشهد أصحاب
هذا الرأى على صحته بأنهم لو كانوا يريدون بقاء الدولة وتميزها لبدوا عليهم
فيما يوضع مالهها على أساس ثابت يكرهه الدخول ويقطع الخرج، ولو أرادوا ذلك
لكانوا أقدر الناس عليه بمساعدة أسانذتهم واخوانهم من اليهود والاصليين والدعوى
(الذين منهم جاويد بك الذى جعلوه ناظر المالية وفوضوا اليه عقد القروض) ولكنهم
اغتنموا فرصة ما سموه (حركة الانحياض) فمزقوا السلطان عبد الحميد ونهبوا من
أمواله وجواهره ونجته ما تقدر قيمته بالملايين الكثيرة ، وقد حدثنى الثقات من
أهل الاستانة انهم كانوا يدخلون قصر (يلدز) فيملئون جيوبهم من نعمة المرمصة
بالجواهر حتى ان بعض ضباطهم رأى بعد امتلاء جيوبه يضع اللعب والمسدسات
المرمصة وأمة الما فى حذائه الطويل (جزمة السوارى) ثم اشتموا فرصة وصول
جيش البلغار إلى شطاحه فسلبوا ما هو أعظم من ذلك من جواهر ملوك آل عثمان
ونجفهم المحفوظة فى قصر قسطنطين إذ زعموا انهم انما يريدون اخراجها من مأمنها
وارسالها إلى الاناضول لتلايدخل البلغار الاستانة فيقتنوها ، وقد عقدوا القروض
بشراى الملايين ولمن من كل قرض سمرة مشهور أمرها وكثر الكلام فى
الاسعانة فيها ، ثم إن ما يصل إلى الخزينة منها يتصرفون فيه بضروب من التصرف
منها النفقات السرية التى لا تذكر فى الميزانية وأعظمها ما يخص للحرية
والدخالية ، وهم يشترون السلاح والذخائر والتمهات والاحذية للعسكر بشن
ويقيدونه فى دفاتر الحرية بشن آخر فيربحون من ذلك مبالغ كبيرة ، والدليل
على هذا أنهم أنفقوا فى قنطرة الحرية خبىن ملبوناً من الجنهيات قبل حرب البلقان
ثم كان أهم أسباب انكسار جيش الدولة فى البلقان قلة الذخائر وقلة الطعام وسائر
ما يتوقف عليه القتال وقد أذكرتنا مصادرهم للأمة فى هذه الايام بما كانوا

يصادرون به الاغتياض منذ صار أمر الدولة في أيديهم — إذ كانوا يهددون كل
 غنى بالانتقام منه لانه من الحزب الحميدى الاجتماعى إلا أن يقتدى نفسه بما يناسب
 مقدار ثروته ، فأخذوا من على رضا باشا الذى كان ناظر الحربية فى العهد الحميدى
 مئتى ألف ليرة ومن زهدى باشا ٣٠ أو ٤٠ ألف ليرة وعلى ذلك قس ، ثم انهم
 فوضوا على كل من دخل جميعهم دفع اثنين فى المئة من جميع دخله وذلك فوق
 ما فرضه الله من الزكاة على الاغنياء فيما فضل عن نفقاتهم وبلغ النصاب وحال عليه
 الحول ، ثم ان الالف من الدين انتسبوا إلى الجمعية كانوا يكتفون عنهم ما يمكن
 كتمانهم من دخائهم ، وما لا يمكن كتمان شئ منه رواتب موظفى الحكومة وقد دخل
 كلهم أوجالهم فى الجمعية ، وقد باعوا البوسنة والمهرسك وطرابلس الغرب بمئة ملايين
 فالدين يرفقون سهرتهم هذه بالتفصيل يمتدنون أن زعماء الجمعية لا هم لهم
 من حمايتهم إلا جمع الثروة وهم لا يضمنون بقاء الدولة لهم ولديرتهم من بعدم
 فذلك باعوا لالان بهذه الصفة التى استعملوا فيها جميع قوى الدولة فى قتال
 أعدائهم ، وستكون كذلك فى أيدي الألمان ان انتصروا يستعملون نفوذ الاتحاديين
 وقوتهم على السلطان ودوله فى استعمار السلطنة العثمانية ويؤيدون الاتحاديين على
 خصومهم السياسيين من الترك والعرب إلى أن تنشب برائتهم فى كل شئ ويستفنون
 عن الاستعادة من اسم الدولة ونفوذها الدينى ويأمنون ممارسة الدول فيهم صرحون
 بأزالة هذا الاستقلال المصردى الخلد

(الرأى الثانى) رأى أصدقاء الاتحاديين — وهو مبنى على رواية لا يكاد
 يعرفها إلا قليل منهم . سذكرها فى بيان هذا الرأى — وهو أنهم لم يبيعوا المملكة
 بيماء ولم يفرطوا بشئ من حقوقها ، وكل ما أخذوه من الاموال لجمعية تصدوا به ان
 تكون الجمعية غنية لتتمكن بقوة الثروة من الفوز على خصومها من رجال العهد القديم
 المحافظين على العقائد المعهقة المتنافية لما يريدون من التجديد المدنى للدولة والامة ،
 وخصوصا من الاحزاب السياسية المتخلفة لما فيها السياسية والاجتماعية كفتريك
 المناسير ونهركث ، وأما ما على لبعض من امة الجمعية كالدكتور ناظم وأحمد رضا
 شوقى وغيرهم من امة سهل الجمعية ، وهذا ذلك كسيرة القروى والامتيازات

فوق قانوني. ولما رأوا أن الدولة ضعيفة فقيرة لا يرجى أن تنهض بنفسها، والأمة التركية جاهلة متعصبة للقديم ولا سيما إذا كان من أمر الدين فلا يرجى أن يكون نهوض الدولة من قبلها، ولا يمكن ترقيتها هي أيضاً من قبل الدولة والدولة كلها على هذه الحالة - لما رأوا أن الدولة والأمة كما ذكر جزموا بأن الملاج الوحيد للدولة التركية والأمة التركية هو أن تعول دولة أوروبية قوية تنظم الدولة وترقية الأمة وجعلها كالديول الأوروبية والأمم الأوروبية من كل وجه، ولم يجدوا دولة من الدول العظمى ترغبي بأن تقوم بهذه الخدمة للترك إلا ألمانيا - وهي أرقاهن حداً وقوة عسكرية - فإذ اتوا يخطبون ودعاه حتى عقدوا معها اتفاقاً سرياً قبل هذه الحرب بسنتين على تكوين دولة تركية جديدة على طراز الحكومات الألمانية تتكون تابعة للاتحاد الألماني في السياسة الخارجية والحروب وغيرها مما لم نعلم تفصيله، وإيمانهم منه بالاجمال إن الترك يكونون من الألمان بمنزلة أبناء عمهم المجر من النسب، ولذلك نكثوا جرائد من المقابلة بين الترك والمجر وتبادل ما قدم أولئك وأخرهم وم من أصل واحد !

ومن المعلوم بالبداهة أن مثل هذا الاتفاق لا يمكن تنفيذه بصفة رسمية إلا إذا صديق عليه مجلس الأمة من المبعوثين والأعيان، وأن الاتحاديين ما كانوا يصحرون على عرضه على المجلس خوفاً من انتقاض أكثر أفراد حزبهم عليهم وانضائهم إلى الأحزاب المارضة وبذلك يقضى عليهم قضاء لا مرد له، فكانوا يجهدون السبيل إلى جعل مثل هذا رسمياً بأعمال كثرته لانه عادة إلا في ستين كثرته، لأن السواد الأعظم من الأمة يراه خطراً بل قضاء على استقلال الدولة وعلم دين الأمة، وقد كان المارضون في المجلس أقبوا، ومعظم الأمة على مذبحهم ولذلك أسقطوا الاتحاديين واثرتوا منهم السلطة، ولكن حزب الحرية والاتلاف الذي انضروا لم يقول أمراً ولا تيسره أن يكفل وزاري الشينغين مختار باشا وكامل باشا، فذلك تيسر للاتحاديين بقوة ثروتهم وتكافلهم ومساعدة اليهود وألمانهم لهم أن يعودوا إلى انتزاع السلطة من وزارة كامل، ومن الغريب أن انكفرت وروسية وغرضه المارضات لسياسة ألمانهم في الدولة لم ينصرون الأحزاب المارضة للاتحاديين ولا وزاري مختار

١٥٨ طلب جمل الترك من الألمان كالجبر من النمسة (النار : ج ٣٨)

باشا وكامل باشا فكان هذا ضعفاً منهم من حيث هو رجحان لسياسة الألمان في الدولة ، وقد كان الميالون الى تفضيل مودة انكلترة ومن عساه يكون معها من الدول على مودة المانية وأحلافها أكثر عدداً وأرسخ في الدولة قدما ، ولكنهم خذلوا يخلد الدول التي يميلون اليها للدولة في حرب البلقان .

والكلام في إيضاح هذا الرأي بتفصيل المسائل التي تتعلق به بطول فنكتفي منه بما لا يخرج به عن موضوعنا ، ولما خصه أن الاتحاديين متفقون مع الألمان من قبل هذه الحرب يستنبط على وضع زمام الدولة بأيديهم لهموعها بلوهم وفنونهم العسكرية وغيرها فكانت هذه الحرب وسيلة لتنفيذ ذلك الاتفاق السري الذي كان يظن أنه لا يمكن تنفيذه إلا بعد تمهيد السنين العالوال كما قلنا آنفاً . واننى قد سمعت خبر هذا الاتفاق السري في الأستانة إذ كنت فيها سنة ١٣٢٨ من يظن اطلاعهم على مثل ذلك وهم قليل ، والمحالون منهم للاتحاديين كانوا يظنون أن تنفيذه مستحيل ولهذا كنت جازما عند وقوع الحرب بأن الدولة سدخل فيها قطعا إذ كان سنبر الانكليز في الأستانة ورجال حكومتهم في لندن يظنون أن بين زعماء الاتحاديين خلافاً في ذلك وأن بعضهم يميل إليهم وإلى أحلافهم — كما هلنا ذلك من الكتاب الأبيض بعدد — فكان خداعهم للاتفاق في هذه الحال وخداعهم لفرصة قبله إذ أقرضتهم عشرات الملايين مما يفخرون به وما هم في هذا الفخر بملوهم .

مكان زعماء الاتحاديين من الدين

ذ — يظهر أن زعماء الاتحاديين قد أوتوا حظا عظيما من الذكاء فكيف خفي عنهم ما قررت من الخطر على الدولة في تسليم أزمة أمورها للألمان ، وكيف خفي عنهم الفرق بين الترك والمجر حتى طنوا أنهم يمكن أن يكونوا من الألمان بمنزلة المجر من النمسة ؟ ألم يملوا أن المجر يشاركون التسويين بأعظم المتومات الاجنبية وهو الدين فلا يمكن أن يصكون الترك المتصبون في الاسلام الذين تمثل دولتهم الخلافة الاسلامية متعدين بالألمان المتصبين في دينهم المجدين في نصرة المسلمين في مستعمراتهم الافريقية ومنع انتشار الاسلام فيها كما علم ذلك من الادراق التي اكتشفنا الانكليز هذا العام في نواحي الحكم الألمان بذلك : وقد غذكرت بها كلاما قصيرا للألمان في هذا

المعنى فشرته الجرائد منذ سنين أظن أنه في الحث على اتفاق مبشرى الألمان البروتستانت مع الكاثوليك على تنصير المسلمين (١)

د - اعلم أيها الاستاذ أن زعماء الاتحاديين الذين كلامنا فيهم ملاحدة لا يدينون دين الاسلام ولا غيره ، وهذا ثابت من أقوالهم وأفعالهم يعرفه جماهير العلماء والكبراء في الآساعة وغيرها وجميع السياسيين في أوروبا ، وهم يتمنون خروج الشعب التركي من الاسلام ولولا التدريج الممكن الى الوثنية بشرط أن يبقى تركها ، لانهم يظنون أن الاسلام هو العلة المانعة من مساواته للشعب المجري وغيره من الشعوب الاوربية . ويشادكم في هذا الرأي غيرم من ملاحدة الترك . ولما كتبت في الاستانة نشرت جريدة (إقدام) الشهيرة - وكانت معارضة للاتحاديين - مقالة في المقابلة بين الترك والمجر ، وتساءلت عن سبب ما بينهما من الفرق في العلم والمدينة مع الاتفاق في النسب ، ورغبت الترك في التشبه بالمجر وسلك طريقهم والاتحاد بهم .. وقد رغبت يومئذ الى السهد الزهراوي رحمه الله تعالى في كتابة ردعائها يقال فيه إن أعظم الفروق بينهما الدين واللقمة فهل تصيح لترك بأن يتركوها مما ليجكونوا كالمجر في كل شيء أو يتركوا الدين الاسلامي أو

(١) المنار : اننا نشرنا في ص ٧٢٠ م ٧ انه كتب اليانا من بعض المقسمرات الألمانية أن ألمانيه تكره الناس هناك على التنصر وتفرى العداوة بين العرب المهاجرين الى تلك المستعمرة وبين الاهالي لأن العرب أشد تمسكا بالاسلام وحنيا اليه ، وجعلنا هذا العمل مرشدا الى تفضيل انكثارة على ألمانيه ثم نشرنا في ص ٧٩٩ منه أنه كتب اليانا من دار السلام ان حكومتها الألمانية هدمت مسجدين للمسلمين ونقضت العرب وتمتعهم من ركوب السواوت الحسنة . ومن الغريب أن وكالة ألمانيه السماسه بمصر بلتقنا بعد نشر ما ذكر بيضمة أشهر أنها كتبت الى دار السلام تسأل حكومتها عن حقيقة ما عزي اليها وأنها أجابت بأن منع العرب من ركوب المركبات لأصل له ، وأن هدم المسجد كان بطلب المسلمين ليمده من بيوتهم ، وأنه الحكومه بدلتهم بمكانا آخر قريبا وأعطتهم مالا وافرا . ولكننا لم نكذب خبر التنصير بالاكرام القى نشر في جزء آخر.

اللغة التركية لاجل ذلك ؟ فقال ان الحكومة لا ترضى بنشر مثل هذا . وكاز الاتحاديون يتقربون الى الاوربيين بالاحاد وبمكاشفتهم باعقادهم أن البقاء على الاسلام مانع من ترقى الترك . واجتهدوا فى استئالة نصارى السوريين اليهم بهذا وبإيهامهم أن العرب المسلمين لن يصفقوا معهم لتعصيبهم الدينى

أمام مذهب الاتحاديين السياسى فهو انشاء دولة تركية محضة معقدة بالعقائد الجرمانى ، وان الترك لا يمكن أن يندغموا فى الجرمان بسبب هذا الاتحاد بحيث يغنون فيهم لأن المحافظة على اللغة التركية تمنع من فناء الشعب التركى المؤلف من عشرات الملايين فى الشعب الالمانى أو غيره

د - أين عشرات الملايين من الترك والمشهور انهم لا يكادون يبلغون
الدولة ستة ملايين ؟

د - انهم يعدون مسلمى القوقاس وتركستان منهم ويظنون انهم سيأخذوا هذه البلاد بقوة ألمانية ، وأنهم لا بد أن يكرهوا جميع الشعوب العثمانية على نرا لغاتهم إلى اللغة التركية حتى العرب وبذلك يكون لهم امبراطورية كبرى منظم على النمط الالمانى ، ومن أمانيتهم فى هذا الخيال أن يملكوا مع الالمان الشرق أو العالم كله ، وأما الخلافة الاسلامية فيستخدمون نفوذها الدينى فى سياسة وحروبهم إلى أن يتم لهم افناء الأمة العربية وتكثير النابذة التركية التى يريدونها الاتحاد وتحرير الاسلام من أصله بجعل القرآن تركياً وتغييره بمثل ما رأيتناه ككتاب (قوم جديد) وغيره من كتبهم ، ويستغفروا عن مخادعة المسلمين والاستغا منهم باسم الخلافة والاسلام ، فمذ ذلك ينفذونها نية النواة ، ويجهلون يوم النفا ههنا من الأعياد ، فحاجتهم إليها مؤقفة كحاجة أحد ظراف السوريين إلى البرنو د - بيشك فكيفنا يتغير برنيطة هذا السورى الظريف لعله يدفع عن الرء

الذى كاد يساورنى من تصور هذا الخيال التركى الاتحادى القريب

د - هو الدكتور . . قال انه يائس البرنيطة لأنها تزيد دبحه وفى آخر كما ثبت له ذلك بالتجربة ، وإنه يطمئ أن يستغنى عنها ، وقد وعد أصدقائه : بدعوم عندما يثبت عنده ذلك الاستغناء إلى احتفال عظيم حتى إذا ما انقظم

(المنار: ج ٣ م ١٩) دين الاتحاديين الجديد الذي يدعوون الترك اليه ١٦١

اجتماعهم بوقد ناراً يحرق بها البرنيطة أمامهم ويرثيها بأحسن مما رثى به الفارايق حماره ، ويسمى ذلك الاحتفال احتفال احراق البرنيطة

د - أود أن نخبرني ببعض ما لديك من الدلائل التي لا تحتمل التأويل على كفر زعماء الاتحاد ، فان بعض ما يدل على ذلك قد يحصل التأويل ، وهذه مسألة لا يجوز الأخذ فيها إلا بالهتقين

د - إن ما عندي في ذلك كثير جداً إذا أردت بسطه ودفع ما يمكن أن يورد عليه من الشبهات فلا يتم لي ذلك إلا بتأليف سفر كبير ، وإذا أردت أن أحصى في هذا الباب جميع ما أعلم من أقوالهم وأفعالهم المنافية لدين ، وما نشروه في كتبهم الجديدة وصحفهم من العبارات المنفرة عن الاسلام أو الدالة على مذهبيهم السياسي الذي ذكرته آنفاً - فلا بد لي من تأليف عدة أسفار ، ولا بد أن تكون قد قرأت ما ترجمناه من كتاب (قوم جديد) في - ص ٥٣٩ - ٥٤٤ م ١٧ - سنة ١٣٣٢ من المنار ^(١) ورأيت كيف حرف فيه القرآن وجعل الصيام والصلاة والحج والزكاة والعمل بكتبه الأئمة الأربعة هو دين قدماء المسلمين الذين يميز عنهم بكلمة (قوم عتيق) وصرح بعدم جواز العمل بكتاب الله بكتبه وعلل ذلك بأنها ملوثة بالنفاق والشقاق ، وبين في مقابل ذلك أركان دين (قوم جديد) وهي العقل وكلمة الشهادة والأخلاق الحسنة والجهاد مالا وبدناً والسعي لامتداد لوازم الحرب بالاتحاد تحت راية الخلافة الاسلامية العثمانية . وصرح بكفر جميع المسلمين من رعاء دول النصراني والذين تحت حمايتهم ، وبأن المسلمين الحقيقيين هم الذين حاربوا في البلقان تحت إمرة أنور ورضا وأسمد وجاويد ورؤف صلى الله تعالى عليهم وبقية رجال جمعية الاتحاد والترقي المقدسة ، ثم صرح بأن عدد الذين ينتمون الى الجمعية في حرب البلقان لا يتجاوز مئة ألف وهم المسلمون الحقيقيون قال : أما الباقون فكانوا من المرتدين المنتهين الى الائتلاف (أي حزب الحرية والائتلاف) والباطر كخانات ، وهو يفضل أنور وطلعت وجمال وغيرهم

(١) نشر المقطع مقالة لبعض العرب العثمانيين في هذه السنة ذكر فيها بعض الجمل من هذا الكتاب فظن بعض الناس ان ذلك قول مخترع ، وقد ذكر هذا الكتاب في الجزء الثاني من منار سنة ١٣٣٢ الذي صدر في يناير سنة ١٩١٤

١٦٢ غرض الاتحاديين من الطعن المشوه في الاسلام (النادي : ج ٣٣ : ١٩)

من زعماء الجمعية على خلفاء الراشدين وجميع الأئمة والأولياء الصالحين ، بل هو يقصد جميع الترك التابعين لمؤلاء الزعماء يمثل ما تراه في تلك النبذة المرحجة منه (من ٥٤ م ١٧) فإنه بعد مخاطبته للترك بأن الله قدسهم وبأن تعظيمهم لخلفاء العرب ووضع أسمائهم في المساجد يعد إذلالاً لخلفاء الترك « الذين قدسهم الأحاديث النبوية بزعمه ، وبعد إنكاره عليهم تعظيم الأولياء من العرب كالجيلاني والبدوي وغشهم للترك بأنه سيخرج من العرب مهدي ، بعد تفصيل هذا وزعمه إنه تمخير للترك قال « أما معنى الآية (والماديت ضيعا) فإن الله قدس بهذه الآية الجيوش التركية ، فحبل هذه الجيوش هي أشرف وأقدس أضغافاً مضاعفة من شرافة وقداسة رؤساء وأشرف الشعوب الأخرى الذين قدسوتهم وتحتروهم » اهـ وليس هناك رؤساء شعوب كثيرة يحترمهم الترك بل رؤساء شعب واحد وهو الشعب العربي - الذين ذكر انهم يعلقون أسمائهم في المساجد هم : النبي ﷺ والخلفاء الراشدون - الأربعة والحسن والحسين رضوان الله عليهم .

وقد جعل الاتحاديون عبيد الله افندي مؤلف هذا الكتاب مدرساً في جامع آيا صوفية لينشر هذه الأفسكار في شهر رمضان وجعلوا حوله الجلادزة والشرطة (البوليس والضابطة) يحمونه من اعتداء المسلمين عليه ، ولكن من يعطى في جميعهم أو بعض زعمائهم فلا جزاء له إلا القتل اغتياً أو صبرا أو بما كفة قضائية أو عرفية ، ذ - ان مؤلف هذا الكتاب مجنون أو معوه ، ونحريقه القرآن أشد تشويهاً وأظهر بطلائعاً من تحريف الباطنية ، فكيف يظن هو وزعماء الاتحاديين أن مسلمي الأتراك يتلقونه بالقبول فيؤثر في نفوسهم ؟

د - حقاً ان هذا الرجل يكاد يكون مجنوناً ، ويمحتمل أن يكون - بب غايه هذا من خبث ودهاء ، والذى يظهر لى أن لهم في مثله غرضين (أحدهما) فتح باب الجراءة لملاحدة الترك على التصريح بالكفر قولاً وكتابة ليكون مجل القول عندهم واسماً في الطعن في النبي ﷺ وفي الخلفاء الراشدين وأئمة آل البيت النبوي وأئمة الفقه والصوفية ، ولهم كذاب آخرون سلكوا غير هذه الطريقة في هذا الباب كالكذوب عبيد الله بك جردت صاحب مجلة (اجتهاد) التركية وأحد مؤسسي

جمهورية الاتحاد والترقي الأولى فانه يترجم بالتركية مطاعن (كايتاني) المؤرخ الايطالي في النبي ﷺ ونشر كتابه في هذه السيرة التي شوه بهاها وانقص كلها يميناته وسوء تأويله ، فكان له رواج وتأثير كبير عند طلبة مدرسة الطب وغيرهم في الآستانه (والفرض الثاني) نشر ذلك بين عوام الترك الذين لا يعرفون من الاسلام إلا اسمه لعلهم بأنهم يقبلون كل كلام يقرأ عليهم في كتاب ، وتؤيد فيه المسائل بما يسند إلى الله ورسوله من الآيات والاحاديث مما تكن محرفة ، والكلام في هذه المسألة يطول فذكرتني منه في هذا المجلس الذي طال علمك بروايتين من علماء الآستانه وبعض النضاة الاتحاديين (الرواية الأولى) كان اسماعيل حقي المنسترلي (رحمه الله تعالى) من أشهر علماء الترك في الآستانه وهو الذي ترجم (الرسالة الحميدة) بالتركية ، وكان واعظاً في جامع (آي صوفية) ومدرساً في دار الفنون (المدرسة الجامعة التركية) وهو الذي صلى بالسلطان محمد شاد إماماً للجمعة في (قصود) عند زيارته لها ، وكان استاءه الاتحاديون بعد الدستور بجملة عضواً في مجلس الاحوان وجعل ولده كاتب السر لطلعت بك ، فكان جمهور علماء الآستانه يصفونه بالعقاق يدعوى أنه مال إلى الاتحاديين وأنه لا ينكر عليهم فيظن العوام أنه راض عنهم ، ولكن هذا الشيخ الكبير لما عرف في حق المعرفة ووثقني كان لا يبرهن الاتحاديين في الحديث معي بداره إلا بلقب «الملاحدة» وقد سألتني عن رأيي في فطين افندي: «مسلم هو أم زنديق ملحد؟ قلت: ما الذي أثار هذه الشبهة في نفسك حتى شككت في إيمان رجل من أهل العلم؟ فقال: يا سيدي يظهر لنا أن الجمية تثق به ثقة تامة . فهذا العالم الجليل المحترم لم يحق الاختبار كان يستند أنهم لا يفتنون ثقة تامة ، ومن مسلم أضافطين افندي هذا فهو من (الصفطاء) طلاب العلوم الدينية وقدهن بالعلوم الرياضية فنصر مدبراً للرصد الفلكي الذي أفضى في ضواحي الآسقاء وهو ذو همه ونشاط ، وطى فيه أنه كان يريد استخدام نفوذ الجمية لبعض المقاصد التي يراها نافعة فيخدمها لهذا خدماً نافعة ويتوهم أنه قد يقوم بعض اعوجاجها كما يعلم من الواقع التي أقصاها عليك: أقيمت فطين افندي مرة يتكلم مع (الدكتور ناظم) المرخص المسئول للجمعية وأعظم رجالها نفوذاً فيها ، فلما أقيمت عليهما قال للدكتور هذا فلان يحكم بيننا ، ثم قص علي أنه اخلف مع الدكتور في مسألة مهمة قال: الدكتور يقول إنه يستحيل علينا

الترقي المطالبون إلا إذا نذنا كل قديم اتبعه خطوات فرنسه (١) في تجديد شباب الدولة والملة (أى الأمة) وأنا أقول أننا محتاجون إلى اقتباس الفنون عن الأوروبيين طمة لا من فرنسه خاصة لأجل ترقية صناعتنا وحرثتنا وماليتنا ، وأما الأمور المعنوية كالأدب والفنائل والشرائع فإننا نقتبسها من ديننا وما عندنا فيه أكل مما عند غيرنا وهو خير لنا ، ولكن الدكتور قال إن هذا كله قد صار وثاقاً بالياً لا ينفع فلايد من التجديد في كل شيء ، هذا ملخص حديثهما ولا حاجة إلى بيان ما أبدت به رأى فطن اقتدى بل أقول لك إننى أكرهه من ذلك اليوم ، ولكن العبرة في شك الشيخ اسماعيل حتى في عهده لأنه رأى أن زعماء الجمعية يتقون به وإن لم يعرف درجة هذه الثقة ، وقد عرفت رأى جمهور علماء الآستانة في اسماعيل حتى هذا ، وكذلك رأيت كثيماً من المحدثين يفتقدون أن زعماء الجمعية كلهم ملاحدة لا دين لهم ، ومن هؤلاء كثيرون كانوا محافظين على الانتساب إلى الجمعية يرون أن في هذا خيراً لهم أو مصالحة لسهولة والأمة ، ومنهم أوف تركوها إلى حزب الحرية والائتلاف .

(الرواية الثانية) لما جئت بيروت عائداً من الهند إلى مصر من طريق العراق وسورية زارنى طائفة من قضاة الترك الأهليين ببيروت اسمهم (شوكت بك) كان كثير التهج بالجماعية الاسلاميه وإيهاهم مسلمي بيروت وغيرهم أن الاتحاديين يرون بسواسنهم إلى هذه الجماعة ، وكان ذلك في عهد وزارة مختار باشا والناس يجوهرون بلمن الاتحاديين ولا سبيل إلى استئذانهم البهم إلا بإيهاهم انهم يخدمون الاسلام ويجهدون في جمع كلمة أهله ، فكان أول حديث شوكت بك معى - بعد مجامعة الاسلام - السؤال عن مسلمي الهند وإظهار الاهتمام شأنهم . وانتقل من ذلك إلى مسألة الجماعة الاسلاميه ما برعهم من ميل الاتحاديين إليها ، فقلت له : ان فائدة الشيء لا يسطيه ، فإذا كان الاتحاديون أنفسهم ملاحدة غير مسلمين إلا في الاسم فقط فكيف يقومون بهذه الخدمة في الاسلام . قال : إن الحكم عليهم جميعهم بالاحاد فيه مبالغته وأمل المحدثين منهم لا يزيدون من فلاحهم في الملة . قلت : الظاهر أنك أسوأ طنائهم فيهم ، فأنا أعنى بمن حكمت عليهم بالاحاد زعماءهم لا جميعهم انتمى إلى احديهم ، فان لي أصدقاء كثيرين ممن دخلوا في هذه الجمعية لا ويب عندى في إسلامهم ولا في

صلاحيهم ، منهم من تركوا بعد العلم بحقيقة حلفائهم من يرى من المصلحة العامة أو الخاصة بقاءه فيها ، وقد صرح لي بذلك كثير منهم . وذكرت له إنني اختبرت أكبر أولئك الزعماء . ينسئ في الأسفاته ووقت على ما كان من اختبار أصدقائهم وغير أصدقائهم لهم ، وذكرت له رأى الزعيم الأكبر الدكتور ناظم القدي ذكرته في الرواية الأولى قال نعم ! إن الزعماء لادين لهم «دين سر» ولكن مسألة الجامعة الإسلامية تنفيذ الدولة فائدة سياسية عظيمة فهم لذلك يهتمون بأمرها ، قلت : إنني أعلم أنهم يشتغلون بتأسيس جامعة تركية ، لاسلامية عامة . بشوا دعاتهم لهذه الجامعة في القوقاس وتركستان ... ولو كانوا يريدون الجامعة الإسلامية لاحتنوا بتعليم اللغة العربية ونشرها ولكنهم يجاهدون في إيمانهم ، وكيف يتعارف المسلمون بغير لغة يتفاهمون بها . إنني طفت كثيراً من ممالك الهند فلم أدخل بلاداً منها إلا ووجدت فيه كثيرين يتكلمون معي بالعربية ، ولا يكاد يوجد فيها أحد يعرف التركية ، ولا توجد داعية تحفزهم لعلها ، وأما اللغة العربية فداعية تملأها الدين ، وهي تزداد في هذه الأيام انتشاراً في الهند وجاوه إلخ (خلاصة المحاوره وفصل الخطاب فيها)

ذ - لقد طالت عليك وأخذت حظاً عظيماً من وقتك ، وقد اقتضت ما سمعت منك بأن هؤلاء الأنحاديين ملاحدة لا يدينون بدين وأنهم معهودون يسول لهم الضرور أنهم يستطيعون أن يهدوا بناء هذه الدولة وهذه الأمة ثم يبنونها بنسائه آخر ذنبه لهم اليهود ووضع رسمه لهم اللسان ، وأن ذلك يتم لهم في سنين معدودات ، ولذلك لم يسلكوا طريقة التدرج التي مضت بها سنة الله في خلق الأرض والسموات ، وأحب أن تلخص لي كلامك بجمل مختصرة

د - : (١) إن الشريف أمير مكة المكرمة يشهد أن الأنحاديين ملاحدة يكفرون بالدين الإسلامي على ما لهم فيه من المنافع السياسية والمالية فقتلهم كمثل المعتصم في عين لمدونه وهو يرى أنه لا بد له من تركه ويخشى أن يصير إلى عدوه فهو على نزاعه بينائه ويمافيه من الخيرات يضع الأنعام تحته ليفقهه عند ارادة تركه

(٢) انه يعلم أيضاً أنهم أشد الناس عداوة للعرب وأن بعضهم لهم أشد من جنسهم لروم والارمن السبيين ، أحدهما أنهم أعظم أركان الإسلام وأنصاره ،

وثانيهما أنهم أكبر الشعوب العثمانية وأكثرها عدداً ، وأنه قد وجد في بلادهم الحضارية كثير من أصحاب المعارف المصرية والافكار النيرة وما زالت يراهم وللبلاد التي هي أقرب إلى البداوة ذات بأس شديد وقوة حربية لا يستهان بها . فلا يتم لهم ما يخطون من تأسيس دولة تركية لادين لها لامة تركية محضة إلا إذا أبادوا هذا الشعب العربي الكبير الناصر للاسلام ، ولذلك عقدوا النية على تتركك بلاده الخصبية المتعلمة بالقوة القاهرة وعلى اذلال أهل الجزيرة العربية الاشداء باضعافهم ونزع السلاح منهم وإلقاء العداوة بينهم ، وجعل بلادهم المقدسة تحت سلطة عسكرية اتحادية لادين لها حتى لا يستطيعوا أو يقوموا بعمل ديني ولا دنيوي

(٣) أن الشعب التركي غيور على الاسلام وشديد التعصب له وقد عرف عنه من المبالغة في التعصب ما لم يعرف مثله عن العرب ولكن خضوعه لقوة التي تسود خاصة بلاده أتم من خضوع سائر الشعوب العثمانية ؛ بل هو شعب لا يعمل الا بالقوة العسكرية ولا يعمل به الا القوة العسكرية ، وقد غلب حزب ملاحة الاتحاديين حزب العلماء وجميع الاحزاب الا ياسية العثمانية بقوة الجند والمال كما علم من كلامنا السابق ، فلم يعد الشريف يرجو من اسقاط قوة الاتحاديين اهداء الاسلام والعرب بقوة الاحزاب التركية ما كان يرجوه من قبل ، فتمحصر وجوب مقاومتهم في العرب وحيدم (٤) أن الشريف يعلم كما يعلم العارفون وكل من له إلمام بأحوال الدولة ان ملاحة الاتحاديين قد سلبوا سلطان الدولة وخلقوها فوذو جميع حقوقه حتى ما هو مدون في قانونهم الاساسي ، فأصبح المسلمون بنهر امام شرعي لا حتى مستوف للشروط الشرعية ، ولا متغلب يطاع لفرضه جمع الكلمة ، وانما المتصرف في الدولة جمعية الاتحاد والترقي المملوكة ، والسلطان محمد رشاد لا نفوذ له الآن في المملكة ولا في قعره ، ويحكمه أهل الاسقانة (المهر دار) لجمعية ؛ أي صاحب الختم الذي وظيفته أن يقر ما يقره ما تأمر به من الاوراق ، ولم لا يسمحون له بأن يختار رئيس الكفيل وأمين السر له حديثي بمجدي بك أحد سرة الاساقفة الكبار عن رجل من أعضاء السلطان أنه كان يقرب السلطان في حفلة قراءة المولد النبوي الشريف في قصر (قوله بنجيه) فرأى (الباشكاتب) قد جلس معكوا والسلطان متعصب بنهاية الادب في اسمه

(المنار : ج ٣ ١٩) مجموع أسباب استقلال الشريف والرجاء فيه ١٦٧

وكبر سنه فلما رآه السلطان قد اتكأ قال متبرماً : إذا كان هذا ... (نسيت القبح القبيح الذي ذكره به) لا يحدمني أفلا يحترم حضرة نحر الكائنات صلى الله عليه وسلم ؟
(٥) أن الشريف يعلم أن هؤلاء المتهودين قد عرضوا استقلال الدولة للزوال ، وأن الخطر عليها في انتصار الألمان أشد من الخطر عليها في انتصار الحلفاء ، فإن الظاهر أن الحلفاء يرضون باستقلال بلاد العرب ، ويظن أيضاً أنهم يرضون بحمل الولايات التركية إمارة أو سلطنة تركية مستقلة ، فناية انتقامهم من هذه الدولة أن يحيطوها أجزاء بعضها مستقل بنفسه تمام الاستقلال وبعضها مستقل تحت حماية بعض الدول ، كالولايات الأرمنية ، الظاهر أنها تكون تحت حماية روسه ، ويقال أنهم لابد من أخذ شيء منها لأنفسهم وتختلف الآراء في مصير الآستانه . وليس هذا من موضوع حوارنا
(٦) أن ملاحدة الاتحاديين شرعوا في تنفيذ خطتهم بإذلال العرب التي هي مقدمه أو حله لإذلال الإسلام كما ثبت في الحديث الصحيح عند أبي يعلى « إذا فلت العرب ذل الإسلام » فبدؤوا بالعراق والشام ثم مدوا برائتهم إلى الحجاز ، فاضطر الشريف إلى دفع شرهم عن العرب بمقاومتهم في الحجاز واستقلاله بالسلطة فيه من دونهم لمجموع ما تقدم من الأسباب .

د - يظهر مما قررته أنه لا يبعد مقاومته للاتحاديين خروجاً على السلطان ولا عداوة لدولة نفسها لأنه يرى أنهم جانون على الدولة والسلطان قبل جنايتهم على العرب في الحجاز وغيره
د - نعم هذا هو الظاهر بل المتيقن ، ومن وقف على الحقائق يرى أن الشريف قام بأعظم خدمة للإسلام والمسلمين ، وذلك أنه لما رأى الخطر قد أحاط بالدولة كما هو واضح مما شرحناه كان من الضروري أن يخاف وقوع القضاء بها فجاءه فمكون حرم الله وحرم رسوله وسياجها من جزيرة العرب بما يقطع بسقوطها ، وتزول السلطة الإسلامية عنها وعن غيرها مدة فترة السقوط أو مدة أطول منها يكون الحرمان وغيرها فيها من قبيل التراث الذي يحكم فيه الفاتحون بما يشاؤون . فهو باستقلاله هذا قد جعل الحجاز تحت سلطة إسلامية خالصة ، ويرشك أن يكون هذا مقدمه لدولة عربية إسلامية كبيرة ، وما ذكره الأستاذ في أوائل حديثه من تقدمه

٢٦٨ خلاصة رأى خواص المسلمين في استقلال الشريف (المنار : ج ٣ ١٩٢٣)

أصراء جزيرة العرب وكونه يحول دون تأسيس دولة عربية عزيزة غير مسلمة ،
 فالموادة بين أصراء الجزيرة وزعمائها لم تكن منذ قرون كشيخة خهمأ منها الآن ، فلم
 يبق بين أحد منهم شيء من ذلك الداء إلا ما بين امام البن والسود الادريسي
 ويرجى أن يقدر الشريف على تلافى ذلك وعقد اتفاق بين الجميع على قاعدة (اللامركزية)
 وصفوة القول إن استقلاله هذا لا ضرر فيه على الدولة العثمانية ولا على الأمة
 التركية ، وإنما هو كبح لجناح هذه الجمعية الباغية على الاسلام والدولة والعرب ،
 فان سقطت الدولة في هذه الحرب لم يكن استقلال أمير الحجاز أحد أسباب سقوطها
 وإن سلمت من الحرب ومن هؤلاء الملاحدة وعادت دولة اسلامية قوية لم يكن ما تقدم
 من استقلال الشريف مانعاً من العودة إلى الوفاق والاعتصام ، هذا ما يخص ما عارضى
 في هذه المسألة ، فاذا كان لديك أسئلة أخرى فلتسكن في زيارة أخرى .

انتهت المحاوره مع الاستاذ بما ذكرنا من الاقتناع وكذلك المحاورات الأخرى في الجلة
 فخلاصة ما رتقنا عليه من الآراء في المسألة العربية واستقلال الشريف الأكبر
 أن المسلمين هنا لا يرتاحون إلى هذا الاستقلال إلا إذا أمكن أن يستتبع تأسيس
 دولة عربية قوية مستقلة تمام الاستقلال لانفوذها بالدولة الأجنبية يصف استقلالها ،
 وإمكن منهم من يشك في امكان ذلك ومنهم من يشك في سهولة حصوله دون امكانه ،
 ولكل منهم دلائل نظرية لا يتسع هذا الجزء ليعطها ان كان من الممكن نشرها
 ثم ان كل فرد من تكلمنا معهم أنصف الشريف في استحسان وقوفه بهذا الاستقلال
 عند عدم منع الضرر من أهل الحرمين وغيرهم من العرب علما بما ثبت عندنا - وه نهية
 الاتحاديين بمحوت كل استقلال غير مضمحل لدولة إلا بقدر ما يجنى عليها الاتحاديون
 إذا أرادوا الاستعمار على قتاله بجهوشها المنظمة وتيسر لهم ذلك ، فعلى الشريف ان يصدق
 عليه أنه إما ان ينفع فضاءها وأوصافها بالحجاز وإما أن لا يضر ، ولا يوجد عقرب منكم مثلاً
 هذا أو يذمه ، وكل مسلم عرف كنه سياسة الاتحاديين في الاسلام صار عدوهم ، وأقدم
 أعدائهم في هذا علماء الآسماء والمتدينون فيها وفي سائر بلاد الشرق ، وما كان مسلم
 العرب إلا متأخرين عنهم في ذلك . وكل عربي مصري أو غير مصري يعرف كنه
 سياستهم في العرب صار عدواً لهم ، وأقدم من عرف ذلك السوديون المسلمون وغيرهم

منهم ومن العرب ، ولو كان المصريون يصدقون أخبار المقطم والأهرام عن غنائمهم في سورية لأجمعوا على ذلك ، وقد انفتحت لم أبواب أخرى للاقتناع . وما قلت لأحد منهم ان ما أتاه جمال باشا من التفتل والقصيب والتفريب عن الوطن تمتع هندي من طريق الأسرى العثمانيين ومن طريق أمريكا وأوربه ، ثم من طريق الحجاز إلا قبوله مدعين ، ولمنوا جميع الاتحاديين ، وسأني يوم يصدق فيه ، الجميع هذه الاخبار ولله ليس ببعيد .

السيد عبد الحميد الزهراوى

كان الشهيد السعيد نابغة من نوابغ السوريين ، لا يكاد يزل به في مجموعة من إياه قرين ، ما عرفت بلاده كنهه ، ولا قدرته قدره ، على ان يلم تقصر في عظيمة وتكبره ، وفي الاحتفال له والحفاوة به أيام سفره وأيام قدومه ، ذا عرف الجمهور منه في أواخر سني حياته كما كان يعرف الآحاد ، انه أحد أشراف البلاد المنصرفين لخدمة الأمة بكفاءة واستعداد ، من معرفة المصاحبة وفصاحة اللسان ، وروعة الحجبة وجرأة الجنان ، وما كان لعقل الجمهور أن يدرك كنهه المزاي والفصائل التي بها كان الزهراوى في حقيقة جوهره من الحكمة الربانية ، والفلاسفة الاجتماعيين ، وإن تحشت عليه الأيام بالانتظام في سلوك السياسيين ، تلك الغفلة التي عرفها له كل من عرفه من القلاء المنصفين ، وهي استغلال الرأي وصدق القول وقوة الإرادة والاخلاص في العمل وإيثار الحق على الموى ، وتوجيه الهم والهمة إلى المصالح العامة ، وترجيحها عند التعارض على المنافع الخاصة ، بل لم نعلم عنه انه اشغل في طور من أطوار حياته لمناصبه الخاصة ، وإنما نعلم عنه انه بدأ حياته العملية منذ بلوغ الرشد بإنشاء (جريدة المنهر) السرية التي كان يطبعها في حصن بمطبة الجلالتين ويوزعها في البلاد السورية سرّاً لخدمة جملة الأعماد والترقي الأولى والسمى معها لاتخاذ العولة من الادارة الحمديه المستبدة ، فعملق بالسياسة من ذلك الحين وظل مستغلاً بها طول حياته

كان يمتسا وبين هذا الصديق العزيز تشابه في النشأة والتربية ، ومشاكلته

الاستعداد والفرصة ، وتغارب الفكر والرأى ، تمارفنا به بالمكتبة قبل افتتاحه ، ثم كان بعد افتتاحه كالخبة والوداد ، لم يزد بالمعاشرة إلا ثباتاً ورسوخاً ، كان كل منا موالاً إلى الاشتغال بالاصلاح الدينى والاجتماعى وعلاقة ذلك بالسياسة لا تختفى ، ولكن تبتسر لكل منامن أمر الاشتغال بالسياسة أو الاصلاح ما لم يتيسر للآخر ، إذ كانت هجرتنا إلى مصر وهجرته إلى الآستانه

وفى سنة ١٣١٥ التى أنشأنا فيها المنار كان هو محرراً وإدارة جريدة (معلومات) العربية فى الآستانه ، وكان ما يكتبه فيها موافقاً لمشرب المنار ، ووقع بيننا ما يشبه المناقشة فى المسائل الاصلاحية (راجع ص ٩٥٠ من الطبعه الثانيه لمجلد المنار الاول) ثم فنته أفكاره من الآستانه إلى وطنه ، وفى سنة ١٣١٩ كتب وهو فى دمشق الشام تحت المراقبة الساسيه رسائله الاصلاحية الثلاث (الفقه والتصوف) التى نشرناها ولها فى المجلد الرابع من المنار ثم قرظنا فيه المجموع لما طبع على حذنه فى مصر ، وقد كانت هذه الرسائل أشد ما كنا نكتبه فى موضوعها نقداً على سعة الحره هنا وشدة الضبط هناك ، فهاجت عليه حملة الهائم فى دمشق ، وأشد ما أنكروا عليه فيها القول بالاجتهاد وبطلان التقليد ، فهاجوا عليه الحكومه فاعتقلوه فى الشام ثم أرسلوا إلى الآستانه ، ولم يكن سبب ذلك إلا تشديد عليه ، والاعضاء عن انهموا بالقول بالاجتهاد وإبطال التقليد معه فخره من الحكومه على الفقهاء والصوفيه ان يوجه اليهما انتقاد ، ولا بمجرد الارضاء لمصيبة الحشويه الجامدين فى الشام ، وإنما سببه الباطن انه كان نشر فى المقلم مقالته فى اختلافه بأعضاء (ح . ز) وهو إمضاؤه الرمزى لكل ما كان يشره بمصر ، وقد رجعت تلك المقالة معه هند التقبض عليه وحاول تمزيقها . وقد أشار الاستاذ الامام إلى هذه الواقعة فى فصل (الاسلام اليوم) من كتاب (الاسلام والنصرانية) وإنما نذكر عبارته هنا لما فيها من تأييد هذا الصديق الشهيد وهى :

ألم يسبح بأز رجلا فى بلاد اسلاميه غير البلاد المصريه ككتب مقالاً فى الاجتهاد والتقليد وذهب فيه إلى ما ذهب إليه أئمة المسلمين كافة ، ومقالا بين فيه رأيه فى مذهب الصوفيه وقال انه ليس بما تمنع به الاسلام بل قد يكون مازدى . به ، أو ما قرب من هذا ، وهو قول قال به جمهور أهل السنه من قبله ، فلما طبع مقاله فى مصر تحت اسمه

هاج عليه حملة المأمم ، وسكنة الأتواب الباعب ، وقالوا إنه مرقى من الدين ، أو جاء بالافك المبين ، ثم رفع أمره إلى الوالى قبض عليه وأناه في السجن ، فرفع شكواه إلى عاصمة الملك وسأل السلطان أن يأمر بنقله إلى العاصمة ليثبت براءته مما اخلق عليه بين يدي عادل لايجهور ، ومهين على الحق لايخيف ، إلى آخر ما يقال في الشكوى ، فأجيب طلبه لكن لم ينفعه ذلك كله ، فقد صدر الأمر هناك أيضاً بسجنه ، ولم يفع منه إلا بعد شهر ، مع أنه لم يقل إلا ما يتفق مع أصول الدين ، ولا ينكره القارى ، والكتاب ، ولا الآكل والشارب ، اهـ أرسل الرجل إلى الأسفانة فاعتقلته السلطة الحديدية هناك أشهراً ، بعد جعله تحت مراقبة الجواسيس زمناً ثم أرسل إلى بلده (حصص) ليكون مقبلاً فيها تحت المراقبة لايهرحها (ويسمى مثله في عرف الدولة الرسمي « ماورائمة ») فبقى فيها إلى أن قرأ إلى مصر سنة ١٣٢٤ وبقى فيها يشغل بالتحرير في المؤيد ثم في الجريدة إلى أن أعان الدستور سنة ١٣٢٧ فماد إلى سورية فانتخب مبعوثاً عن لواء حماه وكان من أمره في المجلس ويده ما كان .

لو كان الزهراوى من طلاب المنافع الشخصية لأمكنه أن ينال منها في عهد عبد الحميد ما نال من كانوا دونه من أرباب الأفكار وحلة الأفلام الذين استألمهم السلطان عبد الحميد وأمواله وغروهم بالأموال والرتب وأوسمة الشرف ، ولم يكن جهاده القانوني للاستبداد الذي اقلبت إليه جمعية الاتحاد والترقي بعد الدستور بأضعف من جهاده للاستبداد الحميدى مع الجمعية في إيمان صلاحها ومع غير الجمعية أيضاً ، نصرها في الأيام الاولى من عهد الدستور كافتصرها قبله ، وجاهدتها بعد أن صار أمر الدولة كله في يدها ، ولو كان من طلاب المنافع الشخصية لنال بمسابقة الجمعية منها ما كان يعلم أنه لا ينال بمعارضتها ، وما كنت أرى سواناى لآسفانة .

أحداء من المعارضين للجمعية يرى قوتها فوق ما كانت عليه إلا الزهراوى ، كان من أشدم معارضة الحزب الجمعية في المجلس وفي جريدة الحضارة التي أسسها والآستاقية ، على كونه من أشدم انتصاعاً بقوة الخصم وبعداً عن الثرور بما كان يروى عن ضعفه ، فحجة القول فيه أنه بدأ حياته بخدمة الامم والدولة وثبت على ذلك طول حياته ، وإن جل عمله كان مع جمعية الاتحاد والترقي ؛ فهو بعد تلك المعارضة في زمن المبعوثية

اعتقد أن الدولة صارت بيد الجمعية ؛ وأنه لا يوجد في الأمة حزب برحى أن ينتزها منها ، فلم يبق من طريق خدمة الدولة والأمة إلا الطريقة ، وهذا الاعتقاد هو الذى حله على قبول منصب الاعيان أخيراً كما سنبينه بالبرهان ، وكان جزاؤه من الجمعية التى أنفى معواقه في خدمتها أن قتلته ذر قتلة ، وأبقت جثته مصلوبة في الشام ١٢ ساعة ، ليطلع كل عربى براها أو يسمع خبرها كيف تكون عاقبة العربى العالم المنكر ، والمخطوب المؤثر ، والكاتب المحرر ، عند هؤلاء القوم الذين جعلوا من أصول سياهم محور العربيه من سوريه والعراق ، وحتم البداة على عرب الجزيرة وإيقاع الشقاق الدائم بينهم الى أن يبديهم بعضهم بعضاً

كان قبول السيد الزهرراوى لمنصب الاعيان من الحكومة الاتحادية مثمراً لاسميائه بعبور طلاب الإصلاح وحيي الإصلاح الألة البرية العمانية وسبيل السوء الظن فيه ، وكثير القول بأنه تحول عن سيرته التى كان عليها طول عمره فأثر منفته الشخصية على مصلحة أمته العربية ، فتحول ذلك الجمهور الذى كان ينوبه ويصقله الى الخوض فيه ولو كان عقل الجمهور يدرك كنه تلك الفضائل التى وصفناه بها بحق لما صدق أن مثله يحول بعد سن الحنين من عمره الى ضد ما ثبت عليه من أول نشأته ، وما الذنب على العامة في ذلك وإنما الذنب ذنب خواص الأذكاء والمتعلمين الذين سارعوا الى الخوض فيه فعبثتهم الماسه ، وكان يحجب عليهم التروى والتثبت في أمر هذا الحدث الجديد لهذا العامل المستقل هذر فيه واجتمه أد أم لا ؟ ثم التثبت والتروى في الطعن يمثل هذا الرجل منهم إن ثبت لهم أنه مجرم سياسى متمعد ، لا يعتمد معصيب أو مخطئ ، فان أول نتائج الطعن في مثله — وقل ان يوجد مثله في طهارة سيرته الشخصية والسياسية — هي زوال ثقة الأمة من زعمائها بقولاس أنزه الصادقين على أخس المنافقين ، وما أولئك الطاعنون إلا حاسد ينم من الزهرراوى ما يمتنى مثله لنفسه ، أو نفى ساء ظنه لسوء نيته وفله ، أو غير شبيهه المعصيه ، قابل الرويه ، يبادر الى ارضاء حيمته ، ولا يحسب حساباً لعاقبة قوله وعمله لم يكن الزهرراوى من أهل الانواء الذين يحصلون مصلحة الأمة والدولة تبعاً

للاغراض ، وعرضة للمراطف والاحقاد ، بل كان يجب العمل المبني على التواعد المقولة والغالب المأدولة ، فلما رأى أن الاتحاديين يحاولون إصابتهم أغراضهم الضادة بالأمة العربية وبوحدة عناصر الدولة - بقوة مجلس المبشرين أحب أن يحاربهم بسلاحهم فكان من المؤسسين للحزب الحر المستقل ثم لحزب الحرية والائتلاف الذي تكون من هذا الحزب الذي أكثر أفرادهم من العرب ، ومن حزب الاهالي الذي أكثر أفرادهم من الترك ، وكان زهراوي وكهل الرئيس في هذا الحزب ، وقد ظفر هذا الحزب بالاتحاديين فجذب اليه الجمل النعم من مفكرهم وضباطهم ، ثم استند وزارتهم واستبدل بها وزارة مختار باشا التي لم تكن هي ولا وزارة كامل باشا التي جاءت بعدها ائتلافية ولا اتحادية ، وإنما كانتا على كراهتهما لسياسة الاتحاديين ، فهد متعصبتين بمرودة الائتلافيين ، ولا واقنتين لهم في كل شيء ، ولتلك سهل على الاتحاديين اسقاط وزارة كامل باشا ، وقد أخطأ الائتلافيون بعدم جعل الوزارة من حزبهم وقتت حرب البلقان في أيام وزارة مختار باشا فأكسرت الدولة فيها وألغيت وزارة كامل باشا بعد ذلك أمر الدولة بالصليح ، وفي أثناء ذلك جاء الزهراوي مصر تاجيدا القهاب الى الاستانة لقرب موعد فتح مجلس المبشرين وقد اقتنعه بأن لا يجعل السفر لا يمشي من وقوع الغن بالآستان ، وقد وقع ما كنا نخوفه به هجوم الاتحاديين على الباب العالي وقتلهم ناظر الحزبية فيه واسقاطهم وزارة كامل باشا والقبض على أئنة الحيكومه ، ولكن صاحبنا كان يصبر على السفر ، بظن ظنا كاد أو كاذب يسبه يهنا بأن الاتحاديين لا يثبتون أسبوعا حتى تسقطهم الامه وتسدل بهم غمهم ، ماقتنعهما بأن يصبر حتى تصدق الالام ظنه أو تكذبه ، وما اقتنع منا إلا بادلالات الصداقة على أنه كان يرجع عن رأيه إلى رأى صديقه هذا كما نص على ذلك في كتبه الآتي ، وإنما صرحت بهذا لأنه من مقدمات الحجة التي أذكرها بمبدئ نشر ذلك الكتاب .

وفي أثناء حرب البلقان تأسس حزب اللاسركزية بمصر ولم يدخل هو في الحزب ، لأنه لم يكن ينوي الإقامة بمصر ، وانعقد شرعه الحزب لرياسة المؤتمر العربي لمكاته العلوية والاجتماعية ، وموافقته للحزب في مقاصده الإصلاحية - فانتخب رئيسا في باريس ، وعقد معه الاتحاديون ذلك الاختلاق المشهور

كان فى مدة إقامته فى باريس أيام المؤتمر وبعدما يكاتب حزب اللامركزية ويعمل برأيه ، ولم يسافر إلى الأستانة إلا بعد إذنه ، فقد استشار الحزب فخير بين مصر والأستانة ، وكان هو يرجح الثانية والحزب يرجح الأولى ، وكان يكتب من الأستانة إلى رئيس الحزب كل ما يدور هناك فى مسألة إعطاء العرب حقوقهم من الإصلاح والوظائف ، ويكتب إلى صديقه (كاتب هذا) مثل ذلك ، وما وراء ذلك ما كان يكرهه من البعض أو من كل أحد كما يعلم من كتابه المطول الآتى .

كان من فضائل الزهراوى الشخصية التى تعد هيوياً فى السياسيين أنه لحسن نيته وصفاء سيرته يبالغ فى حسن الظن بكل أحد يظهر له إرادة الخير والحق ، فلما قال له الاتحاديون أنهم يمتدحون بما كان من خطأهم فى تنفيذ العرب منهم وفى محاولتهم تبريك جمع العناصر الثمانية وأنهم يرغبون فى إصلاح ما أسفدوا فى ذلك لتوقف مجديد قوة الدولة عليه - صدقهم فى ذلك لأنه يقول عنده ، وعد توجبهم منصب الاعيان إليه على ما كان من شدة معارضته لهم برهاناً على صدقهم ، وصار يرى أنه يبنى لطلاب الإصلاح المخلصين أن يمدوا أيديهم إليهم ويساعدوهم على الإصلاح ، وأنهم إذا أحجموا حل معلوم المناقون وطلاب المنافع ، وكان متفقاً مع صاحبه عبد الكريم الخليل على ذهاب صاحب المنار ورفيق بك العظم إلى الأستانة لهذا الغرض . أما أنا فكان يقلب على غلى أن جعله من الاعيان أحولة يريدون بها اصطياذ المخلصين من طلاب الإصلاح فى خارج المملكة ليفتنكوا بهم بعد جلبهم إليهم جملة واحدة ، وأن وجوده وحده هنالك واق له ، وفيه فوائد منها أنه فجرة للاتحاديين وحجة عليهم

قبل منصب الاعيان بتلك النعمة الصالحة من غير مشاورة للحزب ولا لأحد من أصدقائه ، وإنما أخبرنا بما كان وبنيت فيه ، فلما على تعجله ، ولكن الحزب أجاز عمله ، واتفق الرأى على أن يمضى فى هذه التجربة ، وأن لا ينضم إليه أحد من المتبعين خارج المملكة ، وكان أول ما كعبه إلى فى ذلك قوله من كتاب مؤرخ فى ٦ صفر سنة ١٣٢٢ (٦ يناير سنة ١٩١٤) ما نصه :

«أخوكم عين بون الله وهنائه عضو المجلس الاعيان فبشرونى بأنكم راضون

من قبولي بها ، والله يشهد إننى إنما قبلت لإتمام العمل وتسلمون قلة الرجال عندنا يا أختى ، يمتحن بعض المسلمين فالأمر فى هذا متروك لى كتبكم ومعتكم . بل أرى ان تقديم شكر للصدارة يكون مؤيداً لإتمام العمل ، ومن الله سبحانه العون والوفيق .

وقد كتب الى الحزب بنحو هذا فأجيب طلبه لان فرض الحزب الإصلاح لا المشاغبة ولا عداوة الدولة ، ولكن لم يكن يحسن الظن بالأتحاديين أحد . وقد دار بيننا وبين هذا الصديق فى هذه المسألة وما يتعلق بها مكاتبات ومعاتبات لم تخل من عدة مناقشات ، واتفق انشر الآن منها كتاباً مطولاً كعبه فى ١٦ صفر سنة ١٣٣٧ وكتب فى أحده « مكتوم كله عن كل أحد » وهذا نهى بعد العنوان

﴿ كتاب سرى من السيد الزهراوى ﴾

سعدى الاخ الرشيد الولي الحليم الحميد

نحية من الله ومن أخيك ولا برحت المكرات تحببك لقد هظم شوقى إليها الاخ ومضت الايام وأنا أحنى النفس بقرب التلاقى وما زلت راجياً ذلك

يظهر بإعزى أن عنبك على تأخرى هنا عظيم عرفت هذا من كتابك الى الاخ الأستاذ . . . ويظهر أن قطاك الكتاب حتى عهد ، استنبطت هذا من طول مدة القطع ، وقد حملت هذا على كثرة عملك التى أعرفها ، ثم تذكرت ما عهد من وفرة نشاطك والحمد لله ، وأن كثرة عملك مع تلك الوقره من النشاط لا تقف فى سبيل مانع من عليه ، فاستنتجت من هذا القياس - سامحني الله على رأى ابن حزم - أنك تعمدت عدم الدزم فى الكتابة أو هزمت على عدم الكتابة وقد ظهرت هنا شائنة أن اللامركزيين فى مصر مشتمون من بقائى هنا ، وأنهم قطعوا علاقتهم بى ومكافئتهم لى ، أنا لم أصدق هذه الشائنة وإنما خشيت أن يكون بعض الدجوليين هناك يصرح بتمه مثل هذه التصريحات وكدت أخشى أن يكون . . . مثلاً قد شاهد شيئاً من تأفككم لتأخرى فبنى على مشاهدته كلاماً كعبه الى بعض معارفه هنا فسطر ههنا وخس

هذه كلها ظنون واستغفر الله تعالى منها ، وأرجوكم مسامحتى عليها ، ومن الشرح يظهر لكم سر تقديمها بين يدي هذه التفاصيل المهمة التى جله أوانها :

كنت قد فصلت لكم إذ جئت باريس وكيف وجدت أمم مؤسسى فكرة المؤتمر فوضى وكيف تعبنا فى ستر الأمر وإيجاد المؤتمر مروقا بنوفيق من الله تعالى فوق أنامل، وبعد انقضاء المؤتمر تفرق الجمع القى لفق تلتقينا، ثم بمد قليل فند صبر الجهد، تبين فذهبوا إلى بلادهم عن طريق استانبول، وبقيت يا عزيزى وحدى أمثل الفكرة، وبقي خليل زينية وأيوب ثابت وهما لم يرشفا من مشرب الجامعة العربية ولا نظرة واحدة، حتى ولا من الجامعة السورية، وإتمامهما بهروت وحدها لا شريك لها ولكن لأنها مقبلتان سايراني وسابرتها وتواديها جيداً حتى سفرى، ولم يكن مثل هذا القواد ولا ربه بينهما وبين رقتهم البهوتيين المسلمين

لو عجبت تلك الأيام ورجعت على الفور إلى مصر لبقيت المسألة مقطوعة بقرءاء، إذاً يكثر استهزاء الأفراد والجماعات والأقوام بأشخاصا وبجماعاتا وقومنا، لكن الله سبحانه سلم من هذا، وأقدرنى على الصبر هناك مثلاً للفكرة مدة خمسة أشهر - وما عى بالقليية ولا الكثيرة - وفهمت المدة كانت، وقفت فيها على كثير، وعظم فيها اختبارى لأوروبا، وما أحوجننا إلى مثل هذا الاختبار - جئت بمد ذلك إلى استانبول لأرى ما جد فيها لان المعرفة بالقديم لا تنفى، والمعرفة من بعد كثير من ما أخذها فهدر صحيح، وما أضر العلم المبني على ما أخذ غير صحيح

بعد وصولى بقاليل عرفت كثيراً من الأحوال الحاضرة هنا، وبعد مدة أخرى عرفت أكثر وكدت أنظنى اكفيت وأحطت كل الاحاطة ولكن الآن تبين لى أنه لولا الصبر والعاقبة الآن مكفى الفاطر سبحانه منها رجعت بمعرفة غير كافية ولذلك أصبحت لا أجسر أن أقول نمت إحاطتى وإنما أقول أصبحت يجوز لى أن أقول وأشرح بشئ من العلمائنه، وان تأخير هذا التفصيل والشرح كان أغنى وجاء اليوم فى وقته.

الشرح هنا يتعلق بثلاثة مواضع (أو موضوعات) (١) أوروبا والعثمانية (٢) الاتحاديون وغيرهم (٣) رجال الإصلاح الحققى وأبناء العرب هنا وفى الجهات الأخرى. وانى أبدأ لكم بالأول فنصر البحث فيه وأشفع بانثانى وأخرت ذلك لطلوله وطولته لتوقف التفاهم وكثير من أعمالنا على الاحاطة بهذه الحقائق المشروحة فيه (أوروبا والعثمانية) لقد كشفت أوروبا آخر ستر من ستر السياسة فى المسألة

العثمانية وقررت القداخل فى سائر شئونها وإنما لايزالون مختلفين بمض الاختلاف فى كيفية هذا القداخل وكيفية وصورة توزيعه فيما بينهم ؛ وليس فى أوروبا اليوم موضوع مقدم على هذا الموضوع ، ولا يعضى ثلاثة أشهر حتى تفضض الآياتي فقلد ذلك الشكل الجديد الذى يتفقون عليه ، والذى أظنه ان الدولة ستبقى بعد ذلك وتميش أحسن مما كانت هائثة لأن بعض القداخل طب ولست مثالياً إذا ذهبت إلى أن الموت أقرب إليها مع عدم القداخل البتة منه مع شئ من ذلك ، فانا إذا قلنا بعدم القداخل البتة فحينئذ تخلق كل واحدة سبباً لانشاب الحرب عليها فتؤخذ ببدء السككة دفعة واحدة .

الاتحاديون وغيرهم : الاتحاديون معروفون فمن غيرهم ؟ لا يوجد الآن حزب سياسى آخر إلا أن يكون خفياً ولم أسمع شيئاً من هذا ، وحينئذ لانجد مقابل الاتحاديين إلا جماعات الاجناس كجماعات الروم وجماعات الارمن وجماعات العرب

أعرف أن الروم جماعات وللارمن جماعات فهل للعرب مثل هذا ؟ هل ننظر : أولاً - الروم كلهم جماعة واحدة يرأسهم البطررك ولكلها يستبد وبطوهم بجلسين روحاني وجسماني ، وهكذا الارمن ، أما العرب فليس لهم مثل ذلك وثانها الروم والارمن لهم جماعات سياسية منظمة مرتبة غفيرة وليس للعرب مثل ذلك ، اللهم إلا جماعتنا فى مصر وجماعتنا فى بيروت ، إذن غير الاتحاديين هم الروم والارمن وجماعتنا فى مصر وجماعتنا فى بيروت .

فالاتحاديون هم أولياء الامر مباشرة وهم اليوم يتسلحون بعزائم شديدة ماضية وناوون نهة قاطمة أن يجددوا شباب الدولة بقدر ما تسمح الظروف ، ويشهرون أن يخلص اليهم العرب ويساعدوا فضلاؤهم فى هذا السبيل ، ويمترفون بخضعتهم الماضية وينوون أن لا يمودوا إلى مثلها بقدر الامكان ، أن مؤمن بنيتهم وأقوالهم هذه كل الايمان لادلة كثيرة ظهرت لى ، ولكننى صرنا من جهة قابليتهم لتطابق العمل على التنية ، وعلى كل حال أرى أن عدم تركهم وحدهم خير من تركهم ، ويرجى به أن تقوى قابليتهم ، فان شئت أن نخطوون بتحسين الظن إلى هذه الدرجة - كما أشرنا إلى ذلك فى كعاب ... فالى لا أخطئكم بالخطئة لأنى أجل رأيكم أكثر

من رأيي ، وإنما أرجو أن يكون في خطأي شيء من البركة ، أرجو ذلك من مصداق قوله سبحانه « فمسي أن تكبروا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » . هذا وصف الاتحاديين بما هم عليه اليوم . أما الروم فقد قفوا في المملكة وقصرارهم أن يحافظوا على ما يديهم من امتيازات البطركية وحق المبعوثية وسبق الالتفات إليهم ، وأما الأرمن فهم اليوم آلة بيد روسية وسينم لهم في المبعوثية حظ قريب بما يأملون ، وأما نحن معشر العرب فإن أخاكم الآن يعتبر بمثل جماعتنا وقد فصلت ما تم على يدي في الكتاب الذي أرسلته إلى الأخ الرفيق في البريد الماضي وهنا سأزيد

(٣) رجال الإصلاح الحقيقي وأبناء العرب هنا وفي الجهات الأخرى :

ما أظنكم - استغفر الله - ما أعتقد أنكم في حاجة إلى بيان أن رجال الإصلاح الحقيقيين غير كثيرين ، وما أعتقد أنكم تعرفون منهم أكثر من ثلاثة أربعة ، وأني رجال الإصلاح الحقيقيين من جموعاً في موضوع الإصلاح بين صدق النظر وصدق العدل ، من كثرت تجاربهم ومرونت رويهم وصحت هزيمتهم وشهد ماضيهم ، من كثر اختلاطهم بمختلف الطبقات ، ووقوفهم على متباين النزعات ، وصبرهم على متووع العقبات ، من امتزجت روحهم بحب النظام الذي يحبه الله وكره الفساد الذي يكرهه الله ، وامتزجت سيرتهم بأخبار معامم الجهاد الإصلاحية . من اشربت أفكارهم فهم معنى الرابطة وأفقدتهم محبتها وتمسكها . فمن حزن لقله هؤلاء وقعوا أمام حاجتين عظيمين - الحاجة إلى تكثيرهم ، والحاجة إلى اشتغال هؤلاء مع من ليس من جنسهم وطبيعتهم . ثم نحن مع قلةهم وصعوبة اشتغالهم مع غيرهم أمام مشكلتين عظيمين ، الأول السبات الذي الأمة فيه والثاني الجشع الذي أوروبا فيه . أترك تفصيل هذا الأجمال لحسنتكم وحسبناهي في كل موضوع ، وأخذ الآن بحكاية حال أبناء العرب هنا لأنكم علقتم الأمل مراراً على صنف منهم هنا

العرب هنا ثلاثة أصناف : متاجرون ومتعلمون ومأمورون ، نصف الأول ولا في النفي من جهة السياسة والإصلاح ، ثم هو في غاية الغفلة ، والنصف الثاني أولاد في ناشئة العمر لا يلقون للسياسة ولا تليق لهم ، والنصف الثالث أربعة

(المنار ج ١٩ م ٣) رأى الزهرائى فى أصناف العرب العثمانين ١٧٩

أقسام الضباط والمأمورون المنصوبون فى بعض الوظائف والمأمورون المتقاعدون المقيمون هنا والمأمورون المعزولون الذين جاءوا لينصبوا :

فأما الضباط فلا تجربة لهم فى هذه المساقاة البتة والأولى عدم دخولهم فيها فان هذه التجربة القليلة التى ساقفها الآن زهدتني فى كل سياسة يشترك فيها الضباط منا: ذلك أن ... نأتم اليوم على الحكومة فيشتكى لاجل هذا زعة الدولة ونسفها نسفا، وهو لاجل ذلك نأتم على ائتلافنا مع الحكومة ومضاده لانه على زعمه يؤثر حركات العرب، ولا أدري ما هى حركات العرب وأين تسير وأين ترمى وهذا يجتهد أن يجمع حوله بعض أولئك الاولاد وينفرهم منا ومن صنيعنا ولكن لا ينجح بحوله تعالى ، ومن جهة أخرى هو يحافظ على ظاهر الصداقة بيننا ، وقد أدت اختباره فوجدته ينجح إلى مصالحه أولياء الأمور وحينئذ يرضى من كل شئ فانظر يا عزيزى الى الذين يعدون أنفسهم فى مصاف رجالنا .

أما المأمورون المتقاعدون فثلثهم كمثل المعجائز لا يرضيهن شئ ولا يستطعن حمل شئ .. وأما المأمورون المنصوبون فلا هم لهم الاحتفاظ المنصب

وأما طلاب المأموريات فجياع مساكين لا يفهمون من الإصلاح الا المأمورية، إن جاءت فقد جاءه الإصلاح وإن لم تجيء فقد منع الإصلاح ومن هذا التفصيل يظهر لك أن العاصمة فى حالتها الحاضرة ليس فيها أبناء عرب تستطيع جهاتنا أن تعتمد على أحد منهم، أو أن تعمل صلة وراطة مع أحد منهم، اللهم الا أن يكرن (فلان و فلان) وكل ما أخبركم منه (فلان) فهو سراب ببيعة جاءه أخوكم الظمآن فلم يجد حيشا . وبعض أولئك الاولاد يحسدون الشاب عبد الكريم وبعضهم لم يتمكن من انالهم أربا لا بيهم أو أخيههم أو ابن مهم مثلا ، فن هنا أكثروا عليه من قيل وقال وكله هراء وهواء

وأما العرب فى الجهات الأخرى فهم أهل سورية وأهل العراق وأهل الجزيرة الخالص والسوريون والعراقيون حضرة قد ألقوا الذل وتعودوا الاستغذاء والاستكانة لا يفهمون ولا يريدون أن يفهموا ، لا يساعدون ولا ينوون أن يساعدوا ، الا يهبون ولا يروى لهم أن يوقفوا . وأما أهل الجزيرة الخالص فهم الأهل وقام الله الخبير

١٨٠ طلب الزهراوى تضييها له فى الامم بالاستانة (المنار: ج ١٩ ص ١٩)

وشد سواهم ، أولئك يجب وصل الرابطة بهم من غير أن نقطعها من الحضرة على قلة
فنائهم . وقد فهمت من كتاب الاخ (فلان) كثره واستنبطت كثره او لو كان فى وسع
البشر أن تتوزع ارواحهم على أمكنة متعددة لكانت روى أوزاعا على البن وعصه
وألحجاز ونجد وحضرموت ولكن نظرية الصوفية فى هذا الباب لا يمكن تطبيقها (أ)
أنظر يا عزيزى أنا لازم لك كما تشير ولازم الى هنا فان هنا عمل عمل ليس
بقليل ، فأتى أرجو أن يكثر بوجدى هنا عدد رجالنا الذين يعتمد عليهم فان رضى
من هذا رأى فمليك علان معجلان وعمل يمشى مع الزمان وأنا ملك فوه على
بعد المقرر ، فالأول من المعجلين تبشيري بغيراف من رضائك خامة وهو الامم ،
ورضاء الرافق خامة وهو مهم ، والثانى منهم مالك الرافق على تقديم تفراف لصدارة
يحبذون فيه هذا الصميم ويجعلونه دليل إقدامهم على تنفيذ الرغائب كلها بعبارة
وثيقة تشويقية ، أما الثالث فهو ما بيننا من أمر إيجاد الرجال الذين يعتمد عليهم
وتوزيمهم بقدر ما يساعد الزمان والمكان لبث الإصلاح العلمى والعملى
وإن لم ترض عن هذا رأى فكتب الى مفصلا ومبيننا كل جهة من جهات
الموضوع ، وأنا من عهدت من يدع رأيه أخيرا الى رأى وليه . . .

هذه هى انطلاقة المفصلة وإليك خلاصة انطلاقة ، وهى أن الهأس لا يجوز
بمال من الاحوال ، ولكن الامة فى كل أطرافها ليست بمحلة يعتمد عليها فى شئ .
وأنه مع هذا لا يجوز اعمالها ، وكذا لا يجوز اعمال من يهدم أمر المملكة وتركمهم
وحدهم ، وأنه لا بد لنا من رجال ههنا ، وأن أكثر ما يصرف به الرواة من الاخبار
غير صحيح ، وإنى منتظر أمركم بسرعة ، وأن شئ فى عظيم

والسلام على الاخ السيد صالح وجميع المألوف سلم الله تعالى الجميع

عبد الحميد الزهراوى

(١) كنت كتبت الى الاخ ألقى أشار الله ثم اليه هو أن حرب الجزيرة هم صفة
للعرب وأعظمهم استعدادا فان كان هناك اصلاح فى فيجب أن يكون لهم حطة ، وأن
نعنى بشائهم أكثر من غيرهم

(المنار) من هذا الكتاب وكتب أخرى يعمناء بلم رأى الرجل القى بى عليه اجتهداه ، ومنه أنه مؤمن بحسن نية الاتحاديين ، وتعنيهم الاتفاق مع العرب ، وبهذا كان يحاول إقناعنا ، ولم يكن يخفى هذا على الاتحاديين ، ولذلك نجزم بأنهم ظفروا لأنه من أنجب تجباء العرب لا لذب آخر (والله عزيز ذو انتقام)

وإنما نشرت هذا الكتاب السرى من كتبه بعبه فلم أحذف منه إلا أسماء الأحياء ليكون حجة على فريقين من الناس - فريق الذين قد يظنون أن الاتحاديين ما قاتلوا مثل هذا السيد الجليل بعد أن رفعوه إلى مقام الأعيان إلا لأنهم عرفوا أنه ذنباً كبيراً كالظلمة للدولة أو للجمعية المتصرفه فى الدولة . وفريق الذين ظنوا أنه خان قومه العرب بتركه الدفاع عن حقوقهم بمسب الأعيان الذين رشا به الاتحاديون ، وإنما يتم ظهور هذه الحجة ، ببهاى ما كان يبنى وبين هذا الصديق الصديق من الصلة والرابطة

يرى قارى كتابه أنه قال لى فيه من فضه « وأنا من عهدت من بدع رأيه أخيراً إلى رأى ولية » وقد أشرت إلى هذه الكلمة فى المقدمة التى قدمتها على هذا الكتاب وأقول إنه معنى بهذا اننى إذا حجت بمناقشته مع فى الموضوع وجوب تركه لمنصب الأعيان واشغاله بعمل آخر فى غير الاستانة فانه يقبل ذلك .

وقد كانت طريقتنا فيما يختلف رأينا فيه أن يدل كل منا بحجته ، فمن نهضت منا حجته قبلها الآخر ، فإذا لم ترجح إحدى الحجتين وكانت المسألة مما يترقب عليها عمل يرجع هو فى العمل إلى رأى أخيه . ويدل على مكانة هذا الاخ عنده جعله رضاه عنه فى هذا الامر أم من رضاء الحزب القى كان سبب ذلك ، وهو صادق فى قوله هذا وقوله ذاك لا ريب عندى فى صدقه ، وما قلت هذا فى بيان كليته إلا ليعلم المطلع عليه أن الرجل لو كان يكتب ويخضع لم يكن يكتب على ولا يخضع لى ، ولو كان يفعل ذلك لحاول إرضائى بأنه يمايل الاتحاديين بمثل ما يمايلوننا به من التخلاب السياسية ليستفيد منهم فى طور ضعفهم وحاجتهم إلى استرضاء العرب بعض الحقوق ، وما كان يكتب لى - وهو معتقد اننى سأخط عليه ، ومعصم ترك الكتاب اليوم - انه مؤمن بحسن نية الاتحاديين وصدقهم فى هذه المرة ، ولكنه كتب

هذا وهو يعلم أننى أهدته سداجة منه وغلوا فى حسن الظن
وأزید على هذا اننى عاتقته على بعض ما جاء فى هذا الكتاب وغيره عتاباً تقوا
جاءت فيه كلمة جارحة فكتبته إلى رقة أودعها كتاباً قال فيها مانصه :

« كلات بيننا »

« فى كتابكم الاول كلمة لا أكنتم عنكم أنها كسرت قلبى ، إذ لو كنتم هذا
لكان خيانة للاخاء النظيف الصافي ، ذلك أنكم بفهم على نظرية إغراقى بحسن الظن
بالقوم أن هواء الاستانة طمس على عقلى وقلوبى

« وأخوكم يا عزيزى قد عرفتموه بعد أن كان عاشقاً فى هذا البلد سنين ، وعرفتموه
فى الاستانة نفسها ، فلو لا ذلك لرجمت الى ندى لآرى تغافل أثر البوسفور فيها

« ولكن كما لم أكنتم هذه الحقيقة أحدث أمامكم بما من الله تعالى به من حل
حديثكم للعلم : هذه على ما يشبهها من حديثكم الإنسانية التى نأفس بها أنفسنا بحكمكم
الذى هو أغلب وأصدق دلالة على كرم قلبكم . على اننى أؤكد بشرفكم أن انكسار
القلب الذى أشرت اليه كان آتياً ، وأعقبه تذكرة حقيقةكم المالية . أما تأخيركم كتبنا
فقد كان عاملاً حتى شمل الوالد ، فلا نحموه على ذلك السبب ولكن أبى كرمكم إلا
يطالب القلب فأخصكم بشكر على هذا ، اه

فمن كان بينهما مثل هذه الحرية فى الخطاب والعتاب لا يشش أحدهما الآخر
لو كان من دأبهما النش . وأحمد الله تعالى اننى لم أبطل بهذه الرذيلة ، واننى أبهى
منها صديقى الشهيد السعيد كما أبهى نفسى .

هذا واننى لم أكف بما دار بينى وبينه قدس الله روحه من المكاباة فى هذه
المسألة بل دهوته إلى زيارتنا بمصر فأجاب ، وكنتم أهدت معه مجلسين لمدة ثلثة فى
كل يوم وليلة : مجلساً قبل النوم ومجلساً فى الصباح . فرأيت بعد ذلك كله مقتضاً
أن الاتحاديين هازنون على إرضاء العرب ، وأنه يجب مساندة القلاء مثلاً ، على
ذلك ، واننا ننال بهذا من الحقوق ما لا يرجى أن تناله بالسعى مع مجافاة .

وقد واقفته على بقائه فى منصب الاعيان والاستمرار على هذا السبب لانه إما
أن يبتغي وإما أن لا يضر

المشانق في سورية - شفق الزهراوى

جاء في جريدة الأهرام تحت هذا العنوان ما نصه :
نلت المذمات التي يوفق بروايتها أن السيد عبد الحميد الزهراوى حوكم في دمشق أمام المجلس العسكري فحكم عليه بالموت شنقا فشنق . ولربما خفف من لوعة الاسى عليه شفق من قدموه من عطاء الأمة السورية وأمرء المسلمين على وجه التخصيص كالأمير عمر الجزائري ابن الأمير عبد القادر وشفوق بك المؤيد من أكبر رجال سورية وورشدي بك الشمة من صفوة أعيانها وشكري بك السلي وعبد الوهاب بك وعبد الحماني وسليم بك الجزائري وعبد الغنى العريسي الخ ولكن الزهراوى كان يمثل طائفة خاصة وفكرة نابذة وحياة جديدة تراوح بين طائفة علماء الدين الاسلامي وغيره من الطوائف الراقية، والبحث في شؤون طائفة الزهراوى في سورية وبلاد العرب من المباحث الخطيرة الجليلة التي تبين الصلة بين الماضي والحاضر والقديم والحديث ، بل تظهر التدرج الذي كان ينظر على يد أولئك الذين أزهدت الحبال أرواحهم ، وأودت بعلمهم وعلمهم ، وأماتت غرسهم قبل أن ينفث ويما نبت منه قبل أن يزهر ويشمر

فالمسلمون في سوريا تأخروا عن إخوانهم النصارى واليهود والدروز في طلب العلم . لأن القدماء من أكابرهم وأغنيائهم كانوا يستقدون أن طلب العلم إنما يراد لطلب الرزق ، والوجه الكبير المتوافر رزقه كان يمد من المار على أبنائه أن يطلبوا العلم للارتزاق « من شق القصبة » وضاعف في ذلك أن المدارس كلها كانت فصرانية ، إما للأجانب وإما للمسيحيين الذين تأدبوا بآداب الاوربيين فخذوا حذوم وساروا في العلم سيرتهم . وقد لقيت هذه الفكرة تشجيعا من الحكومة بل ربما غرست الحكومة نفسها هذه الفكرة في الصدور حتى يظل المسلمون على حالهم فلا يطالبون إصلاحا ولا يبايرون بحق ، وليس للمسيحيين وسواهم من يعملون تأثير أو نفوذ لأنهم الاقلية ، ولهذا السبب لم يتمتع أحد من أبناء مسلمي سورية بذلك الانعام الذي أنعم به ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا على لبنان وسورية بأن يطمع طائفة

منهم في مدارس مصر المالية، وانحصرت تلك النصة حتى عهد الاحتلال بأبناء
المسيحيين السوريين وحدهم

وظلت الحال على هذا المنوال ولا مدارس ولا مكاتب للسليق في سورية
حتى أن دخل أوقاف المدارس والمكاتب فيها كان يجبي للأسفانه إلى أن زاد
احكامك القوم بالأوربيين ورأوا بأهمهم وسوا بأيديهم قائدة التعليم فطلبوه لا بناء
إما في مدارس الأجانب في بلادهم، وإما في مدارس الأسفانه، حتى أن بعض طلبة
العلوم الدينية سبوا إلى ذك سوام أو ماشوم في هذا السبيل ولكن على غير رغبة
الحكومة وإرادتها، فتكاثرت تسبغ النعم على من يتم العلم وعلما الأجانب كالشيخ
النبهان الشهير بضم مدارس النصارى.

ومن هؤلاء الطلبة الدينيين السيد عبد الحميد الزهراوى من أشرف حصص
وسلالة يهوتها الكبيرة. بدأ علته في بلده وأتمه في الأسفانه، وتعلم هناك مدة
القسطنطينية الترك الاهتمام بالشؤون السياسية والاجتماعية، فكان أول ظهوره برسالة
ألقها في المعتد الديني لم ترق في صهون مشايخ الطرق، فسوا به إلى السلطان عبد
الحميد حتى فناه وأقصاه إلى دمشق^(١) ولكن الوسطاء توسطوا له - وكان الظلم
في ذلك العهد يدفع بالوساطة خلافا لما تراه اليوم - فتركه حراً، وأطلقه من كل
عهد، فعاد السيد الزهراوى إلى الأسفانه واشترك بالمظاهرة الودية التي نظم بها فريق
من العلماء والكتاب أمام السفارة الانكليزية بعد انقصار الانكليز على البوير
في الترفسقال فلم يفتقر لرفاقه السلطان عبد الحميد تلك المظاهرة لاتب هناؤا
انكليزاً بنصرعاء بل لانهم مثلوا الأمة العمانية والشعب ولم يكن يفضيه أمر كذا
الامر، حتى أنزقياء الصحف والمطبوعات (المكثومية) حذفوا من قوائميس الفتنة
كلمة (وطن) و (شعب) و (أمة) و (جمهورية) الخ وما شاكل ذلك من الالفاظ،
فضهر السلطان على أولئك المتظاهرين مدة ثم فرق شملهم وأرسل كل واحد منهم
إلى جهة إلى أن تمكن السيد الزهراوى من الفرار إلى مصر كما فر قبله السيد عبد
الرحمن السكاكبي وكل حر في تلك البلاد من عربي وتركى وغيرهم

(١) والمنارة الضوابع في هذه المسألة ما بيننا في هذا الجزء

ويعتاز الزهراوى وأمثاله من رجال الدين المصلحين على سواهم من المعتلين أنهم خير صلة بين طوائف الشعب وفرقة فهم يحترمون التقاليد المقدسة لكل طائفة وهم في الوقت ذاته يؤيدون المصلحين في اصلاحهم، فقد كانت طائفة الاسماعيلية في سورية تجمع المشور والتدور وترسلها الى أغاخان في الهندلان معقدها ومذهبا يقضى عليها بذلك، فحدث بعد إعلان الدستور ان هذه الطائفة الصنهرة جمعت ما تبلغ قيمته نحو عشرة آلاف ليرة فصادرتها الحكومة ولكن السيد الزهراوى الذى كان يرمئ من أعضاء مجلس النواب انتصر لتلك الطائفة وقام الحكومة وجاهد في هذا السبيل حتى قرر مجلس النواب أن تنفق تلك الاموال في تعليم تلك الطائفة ولا تصادر لخزانة الحكومة كما فعلت وزارة الداخلية ولكن القرار لم يعجوز الورق

وكان السيد الزهراوى يقول بأحد الطوائف العربية بمامل الله والمنفعة والاصل والسلالة فأنشأ جريدة الحضارة لهذا الغرض، وكان من محررى جريدته رزق افندى سالم الذى شفق في دمشق وهو فقى من حصن كان قد ترهب ولكنه خلع ثوب الرهبنة وسار الى آثار موطنه بحجة ووجد الاثنان كلتهما في هذا السبيل فكانتهما جمعا لسانين دينيين على دعوة واحدة وطنية وكان الزهراوى ككثر أديب في بلاده اتحاديا يمتحا على مذهب الاتحاديين الأولين الذين قالوا الدستور « للاتحاد والترقى والنجاح»، ولكن لما ذهب أولئك الاتحاديون الأولون ومزق شملهم وخولفت مبادئهم ومذاهبهم اتفق مع الخوجة شكرى أفندى الذى توفى في مصر منذ عهد قريب على تأليف حزب الاهالى، ثم ضمت الفرق كلها وألف منها حزب الائتلاف على قواعد ومذاهب فرقة الاتحاد والترقى كما كانت هي عهد زمامة صدادق بك واخوانه وأقرانه، إلى أن فشلوا في مهمتهم، فوجه نظره شطر العرب حيث لا أحزاب ولا فرق بل مطالب اصلاحية تأخذها انتفاع البلاد بما يجي منها من الضرائب وبواقفها، فرأس المؤتمر العربى الذى عقد في باريس - لانه لم يسمح لهم بمقده في بلاد الدولة - وهناك كتب الوثيقة المشهورة مع مندوبى الاتحاديين وعاد الى الاسكافنة مع رسول الاتحاديين عبد الكريم قاسم الخليل الذى كان أول المنشوقين في سوريا والمهاذى الذى قلامه الشيخ أحمد طباره الذى حكم عليه بالاعدام، فهين الزهراوى

في مجلس الأعيان إلى أن شق

وما امتاز به هؤلاء جميعاً شدة عصبيتهم العربية ، وشدة عصبيتهم الجينية
العثمانية ، حتى كان الزهراوى يقول عند ذكر مطمع دولة من الدول في أملاك
الدولة العثمانية : « ان هذا ينال منا بعد أن نزهق أرواحنا » وله في ذلك مناقشات
شديدة مع أصدق أصدقائه (الصواب مع بعض معارفه لا أصدق أصدقائه)

يقول هذا لاثماً يئساً للشهد الزهراوى بل يئساً للحقيقة عن تلك البلاد وأهلها
وسمول زعمائها الذين ذهبوا جلة لا لجريرة إلا أنهم طلبوا إصلاحاً يقيم البلاد واثماً
مطامع الطامعين في أرضهم وبلادهم ، حتى أن الشيخ أحمد طيارة لما عاد من أوروبا
غير متبجح سباسبه وبعد أن كان يمتنض للذكر المدنية الأوروبية أخذ يكتب ويبحث
أمنه على الانتباس من عاصمتها فكان يكرر قوله : « إننا لانفقد بلادنا ووطننا إلا
بالسهر على مناجهم » تلك طائفه ذهبت اليوم واكن لمنه الطائفة مذاهب ومبادئ
إذا بقي في قومها وعشيرتها من يحبها ويعمل بها قد تكون نتيجهتها خيراً وإلا فقد ذهبت
الرؤوس وبقي القوم كالقطيع من الأغنام بدون راع تساق فتسحق إلى حيث يراد منها
لا إلى حيث تريد لأنها بعد قطع رؤوسها باقت بلا إرادة

(المنار)

هذا ما نشر في جريدة الأهرام عند وصول نبأ شق السيد الزهراوى إلى مصر
وفي بعضه نظر أو إبهام ، تختلف فيه الأنعام ، وقد رأينا من حق صدقنا رفيق
وزق سلمو القى ذكرته الأهرام في كلامها عن السيد الزهراوى أن تقول في
نشأته كلمة وجيزة تحفظ في تاريخه ويظهر بها سبب شقته وشنق جورج الخداد من
شبان نصارى سوريه مع من شق من زعماء المسلمين ونايبيهم بنهمة السياسة العربية

﴿ رفيق وزق سلمو الحامى ﴾

نبت هذا القى في بيت من أكرم بيوت الروم الأرثوذكس في حصص وتلق
التعليم الابتدائى في إحدى مدارس الطائفة فيها ، ثم أرسل إلى دير البلند بالكور
(لبنان) فألبس لباس خدمة الدين ودخل مدرسة الدير الدينية ولكنه لم يخلو.

مسعداً للرهبانية والخدمة الكنسية ؛ وإنما خلق كبحر الاستعداد للحياة الاجتماعية السياسية ، فلم يتم مدة المدرسة بل خرج منها ودخل المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت ، ثم سافر إلى الآستانة بعد الانقلاب الثماني فدخل أحد مدارسها الإعدادية ثم مدرسة الحقوق وقد أخذ الشهادة الدراسيه منها واختار أن يكون محامياً

كان رفيق مریدا وتلميذا الزهراوى فى أفعكاره الاجتماعيه ، عاشره فلم منه وهو أنيغ رجل من أشرف بيت فى حصن أن فى سلسلى البلاد فتنه تسمى للإصلاح الوطنى سما لاشائبة فيه العصبيات والاحقاد الدينية ، ولما جاء الاستعانة بمساعدة الزهراوى رأى جميع طلبة المدارس الرسمية العاليه وكلمهم من المسلمين على هذا المشرب الذى شرب كاسه الأولى من يد الزهراوى فانتظم فى ذلك أعضاء المنتدى الأدبى وانتخب وكلاء للرئيس فيه ، وكان حظه من اللغة العربية أوفر من حظوظ جمهور إخوانه أعضاء المنتدى الذين لم يتعلموا شيئاً فى عهد مدارس الدولة ، فكان خطيباً مفوهاً وشاعراً مؤثراً ، وورغبه السيد الزهراوى فى الكتابة إنشاءً وترجمة وكان يصصح له ما ينشره فى جريدة الحضارة فحسنت كتابته

تمكنت التزعة العربية من نفس هذا الشاب المذهب بما كاد يلقى غرسها فى نفسه مما كان يسمعه من كلام مدرسى الترك وطلابهم فى مداوس العاصمة من الحث على العصية التركيه وما يقولون فى العرب والعربية ، وما كان يقرأ فى جرائدهم وكتبهم ؛ وما يقف عليه من أخبار جماعاتهم ، فكان يقابل غلو متعصبى الترك بمنكبى زخان وهلاكه خان المفسدين الذين دمروا المدنية العربية الاسلاميه بنظم القاصد فى مدح النبى العزيمى الأعظم ﷺ وإنشادها فى احتفال المولد النبوى الشريف فى المنتدى الأدبى ، فهذا هو السبب الحامل لجمال باشا السفاك الاتحادي على شتى رفيق رزق سلام مع السيد الزهراوى وإخوانه وأخذانه من مصلحي العرب ، ولا نعلم له ذنباً إلا هذا ، فانه قضى حياته السياسية كلها فى الآستانه ، وكان على رأى أستاذ الزهراوى فى وجوب السعى إلى ترقى العرب فى حجر الدولة العثمانية . وكان جورج حداد على هذا المشرب أيضاً . ولكنه كان من أعضاء حزب اللامركزية ، وكفى بذلك ذنباً عند جمال باشا يقتضى القتل والصليب

البلاغ الانكليزي الى سبي في شأن العرب والسلطة الاسلامية

أرسل قلم المطبوعات البلاغ الآن الى الجرائد في انتظار المصري

مصر في ٢٨ يوليو سنة ١٩١٦

نشر في لندن اليوم البلاغ التالي :

« منذ سنين والعرب المعذبون بسوء الحكم التركي ينتظرون اليوم الذي يتمكنون فيه من استرجاع حريتهم السابقة وقد قاوا في الماضي بثورات عديدة ضد الاستبداد التركي في البلاد العربية

« وقد أدى سوء تصرف الحكومة الحالية في الآستانه وخضوعها التام لسلطة الالمان الى دخول تركيا مضطرة في حرب مشؤومة أوصلت الاحوال فيها الى حد الكآبة ، فرأى شريف مكة وغيره من الزعماء في البلاد العربية أن الأولان قد آن طلع النهر التركي عن أعناقهم والمناداة باستقلالهم

« وكانت بريطانيا العظمى تطف دائما على العرب في أمانهم ولكن صداقتها التقليدية لتركيا اضطرتها في الماضي الى البقاء على الحياد . أما الآن وقد انصبت تركيا الى صف الدول الوسطى فقد أصبحت بريطانيا العظمى حرة في اظهار عطفها على أولئك الممرت الذين انخرطوا في جانب الحلفاء ضد العدو المشترك

« على أن بريطانيا العظمى ستبقى محافظة على سياستها الثابتة في الابتعاد عن أية مداخل في الشؤون الدينية ، وعلى بذل جهدها في بقاء الاماكن المقدسة آمنة من كل طارئ خارجي

« ومن النقط التي لا تقبل التغيير والتبديل في سياسة بريطانيا العظمى

هو أن تبقى هذه الاماكن المقدسة في أيدي حكومه اسلاميه مستقلة
« ولا يخفى ان أحوال الحرب الحاضرة تاتي القبات الكثيرة والاضطراب في سبيل الراغبين في القيام بفريضة الحج ولكن العمل الذي قام به شريف مكة يجعل

الامل كبيراً في اتخاذ التدابير اللازمة التي تمكن المجاج في المستقبل من زيارة الاراضي المقدسة بسلام واطمئنان اه

(المنار) قد أجمعنا العاصية البريطانية عدة أصوات في المسألة العربية والبلاد الاسلامية المقدسة كان أولها برقية لرونز يؤكد فيها أن انكثرة لا تنوي أن تأخذ شيئاً من بلاد العرب ، ولا تسمح لأحد بالاعتداء على شيء من البلاد الاسلامية المقدسة . ثم دار في هذا المعنى وفي مسألة الخلافة كلام كثير بين أعضاء مجلس الامهات والنواب ، ولكن لم يكن شيء من ذلك بلافاً رسمياً في معنى قطعي يوثق بعدم الرجوع عنه كالبلاغ الذي نشرناه اليوم دون جمع ما سبقه عما هو جدير بأن يحفظ أيضاً وإن لم يبلغ درجة هذا البلاغ في الاعتبار

في هذا البلاغ تصريح قفا يصدر من دولة ؛ وهو قد صدر عن أدنى الدول في تحرير العبارات الرسمية وجعلها مقيدة لنهوها قيود قلما يستطيع العنلت منها مع بقائها هي في عالم الاطلاق . ألا وهو التصريح بأن من أصول السياسة البريطانية التي لا قبل التغيير والتبديل بقاء الاماكن الاسلامية المقدسة في يد حكومة إسلامية ؛ مسقة . وسنرى كون هذا لا قبل التغيير والتبديل أنه متفق عليه من جميع أحزاب الامة لا أتدأ أي الحكومة الخافرة ؛ أو عزبها - حزب الاحرار - وحده فيكون عرضة للرجوع عنه بتغير الوزارة أو تحولها إلى حزب المحافظين . وبهذا الضخيم يظهر غلط الدين قالوا إنه لا يوجد في السوسة شيء لا قبل التغيير والتبديل ؛ فيكون هذا النص لنوا لا سق له حتى نقرر به . وقول هؤلاء حسبنا أنه لا يتغير ولا يتبدل إلا بتغير رأي الامة الانكليزية كلها وهي أثبت الالام وأبطالها بالجملة ونحوها في كل شيء .

على أن أم ما في هذا التصريح غمراه لا قصد وأغنى بضموله اعتراف الدولة البريطانية باستقلال الدولة الاسلامية التي تستولى على هذه البلاد إذ نزلت سيادة الدولة المباشرة فيها بما ينشئ أن يجعل بها من قدر الله تعالى فهو يتناول مسألة السلطة الاسلامية في هذه الحالة وهي أم ما بهم جميع مسلمي الارض ، وستكشف فيها عقلاً بين فيه ما يسمح لنا للوقت بيوته إن شاء الله تعالى

شؤون الاجتماع والعران ، ولكنكم فلما تطبقون ذلك . لا أنكر أنكم أحسنتم كثيراً
بنشر المقالات الصحفية المفيدة التي وضعها الدكتور توفيق صدقي ، كما أن لكم
جولات رائعة في غير مباحث الدين ، ولكني لا أعرف لكم أبواباً ثابتة في كل
عدد سوى باب تفسير القرآن ، بخلاف ما أشاهده في مجلات الدينية المسيحية الراقية التي تصدر
أو « الملل » ، وبخلاف ما أشاهده في المجلات الدينية المسيحية الراقية التي تصدر
بالإنكليزية ، حتى كأن تلك المجلات الدينية تخوض في كل علم وتروى إلى تطبيق
العلم على الدين . ومثل هذا التطبيق في رأى بعض المفكرين تضليل . ولكني
لا أرى ذلك إذا كان المطبق مخلصاً في عمله ، لأن رجل الدين متى اعتقد أن العلم
هو أحد أركان الدين وجب عليه أن يجمع بينهما حتى يخلص المعتقدات الدينية من
خرافات الجاهل المذهبي الذين يتاجرون باسمها أو يبتنون شهرتهم السكاذبة على
حسابها ، وقد لاحظ كثير من محاشيك ابضاح « المنار » بالصور حتى رسوم من توفروا
من علماء الاسلام فهد ذلك دليلاً على كره الاسلام للتصوير في العصر الحاضر أيضاً

وأما من دار الدعوة والارشاد التي تقصدون بها تربية أساتذة لتهديب العامة
ونشر المبادئ الأدبية النافعة والقضاء على أباطيل الأولين ، فلا محاربا رجل يمد
النظر حتى ولا من أنكر ذات الخالق ، لأن إذا قلت أن الطبقة المتصلة من الأمة
قد تجمد من تعليمها العالي المادي الأدبية الكافية لصيانة أخلاقها ولو كانت غير
متدينة بدين سماوي ، فهصب على جداً أن أنصور جواز هذا الحكم على
طامة الناس الذين لا تثمر مبادئ الاتحاد بينهم إلا فوضى أدبية مرعبة . فيجب
إذن تعضيد رؤساء الأديان الذين يسهرون بها دائماً إلى الامام وقصدهم العقليم
والتربية : وإذا عد نفر من الناس أن صلاح العالم هو في القضاء على الأديان فلا
أدري كم بعد مئات من السنين يعصفق هذا الحكم . فإذا فرضنا أن بحقيقته في حكم
المستطاع — والناس كثيراً ما يخفون حتى على البدييات . وفي خلال كل هذا الزمن
يلبث الدين قرين اللغة من مشخصات الأمة ومظهر من مظاهرها — فخرى بكل
ذي وطنية صحبته أن يعمم النظر في هذه المسألة الحيوية .

هذا وإنى لأذهب منهج مكاتبكم الفاضل في خاتمة المجلد السابق بل لا

أنتك في حسن مستقبل الشرق ؛ ولكل أمة دور من صعود وهبوط ، ولا خوف
عندي على مثل « المنار » أو « دار الدعوة والارشاد » فلا بد أن يأتي وقت
قريب يعطى فيه خليفة الامام محمد عبده جنة من الانصاف على ماخدم به الأمم
الاسلاميه من الارشاد النافع حتى صارت فتاويه مرجع كل صلح اجنامى جرى .
وبات « تفسير المنار » مدوداً أعظم نفسه لقرآن الشريف لجمه بين علوم السلف
والخلفاء ، ولما تضمنه من خلاصة العلوم الحديثة التي يجب أن تكون لدى المفسر
لكعاب يمد قاتون الله الذي خلق الكون وديره . فما العلوم الطيومية إلا خلاصة
ما وصل اليه العقل الانساني في درس سنن الكائنات بتدقيق وأمانة . لهذا
كانت تناسر القرآن التي خطوا الجاهلون بهذه العلوم أولى بالتلف منها بالصيانة ،
فأما عار العلم والدين معاً

فاسمح لي إذا يا سيدي الأستاذ أن أهشك على استقبال « المنار » لسنة
جديدة من سقى حياته المباركة ، راجياً أن تكون فاتحة رقي متواصل له ونجاح ثابت
ومصرقة فضيلة والآداب

أحمد زكي أبو شادي
(طبيب)

نادي مستشرق ساف جورج
بلندن

(المنار) نشرنا رسالتكم بمرمتها وان كان موضوع باب الانتقاد على المنار خاسماً
بانقاد مسائله دون إدارته . وفشكر لكم تهنتكم وثناءكم وكل ما كتبتم بعداد الاستقلال
والاخلاص ، ولا أذكر ما عرض من الخلل على إدارة المنار ولا سبب إعمال التحصيل ،
وأذكر من سببه خيانة بعض الوكلاء وقرى الاشراف عليها ، وتعدد من تولى
أصهارها منذ الانقلاب الثاني الذي فتح لي أبواب الاسفار الى سورية ثم الاسفانة
ثم الهند وعمان والفرانج ، والاشتغال بمشروع الدعوة والارشاد ، وسعود إلى
الانظام في هذا العام إن شاء الله تعالى

وأما سبب قلة تنوع موضوعات المنار كتشوع غيره من المجلات فهو أن محرره
واحد له اعمال كثيرة أخرى ومحرروها كثيرون . ولا يتسع هذا الجزء لغرض مك
في سائر المسائل التي أودتتموها في رسالتكم المفيدة

المسحاة

١٣١٥

بشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يقضي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي غنيها كثيرا وما يدرك أولئك إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان لاسلام سوى و «منارا» كنار الطريق

مصر ٣٠ ذي القعدة ١٣٣٤ — ٥ الميزان (خ ١) ١٢٩٥ هـ ش ٢٨ سبتمبر ١٩١٦

مناسك الحج

أحكامه وحكمه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَنْ كَفَرَ
فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيْرٌ عَنِ الْعَالَمِينَ (سورة آل عمران - ٩٦:٣)

إِنْ الصَّفَا وَالتَّرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا (سورة البقرة ١٥٣:٢)

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا
فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ. وَمَا تَعْمَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا
فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ أُولَى الْأَلْبَابِ (سورة البقرة ١٩٣:٢)

أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد صلى الله عليه
وسلم فيقول محمد رشيد بن علي رضا صاحب مجلة المنار: اتى في شهر ذي
القعدة سنة ١٣٣٤ عزمت على أداء فريضة الحج في خدمة والدي، وكنت
أتمنى ذلك منذ سنين ولم يتيسر لي، لموانع بعضها من قبلها وبعضها من
قبلي، وقد خطر لي قبل السفر من مصر ثلاث ليال أن أكتب شيئاً
مختصراً في أحكام المناسك ويحكمها سهل العبارة، مأخوذاً مما صح في
السنة، مع الإشارة إلى أقوى مسائل الخلاف، وأن أطبعه وأوزعه على

من أسافر بصحبته من الحجاج ، تعليماً للجاهل ، وتذكيراً للغافل ، ولكن لم يتيسر لي الشروع فيه الا في منتصف النهار من اليوم الثاني والمشرين من الشهر — وموعد السفر ٢٤ منه —

﴿ الحج والعمرة ﴾

الحج أحد أركان الاسلام الخمسة ، وهو عبادة بدنية مالية ، والصلاة عبادة بدنية فقط وكذلك الصيام ، والزكاة عبادة مالية فقط ، ومعناه القصد الى بيت الله الحرام بمكة المكرمة لاداء النسك فيه وفيما جاوره من الاماكن الشريفة ، وهذا نسك منه أركان وواجبات ، وسنن مندوبات ومستحبات والعمرة كالحج في أركانه وواجباته وسننه الا الوقوف بعرفة فانه ركن من الحج غير مشروع في العمرة ، وتكون في أشهره وفي غير أشهره كما سيأتي . وهي واجبة عند بعض أئمة العلم وسنة عند الآخرين ويجوز الجمع بين الحج والعمرة بأن ينويهما ويلبي الله تعالى بهما معا عند الاحرام ، ويسمى هذا [فرانا] وأن ينوي الحج . حده ويلبي به ثم يدخل عليه العمرة ، ويسمى [إفرادا] وأن ينوي العمرة وحدها أو مع الحج ثم يتحلل منها بعد أداء أركانها ، ثم يحرم بالحج بمكة ، ويسمى هذا [تمتعا] لان صاحبه يتمتع بعد التحلل من احرامه بها بما يتمتع به غير المحرم من لبس الثياب والطيب وغير ذلك من محرمات الاحرام ، وعليه فدية وهي ذبيح شاة أو صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة أيام اذا رجع من الحج أو اطعام ستة مساكين من أوسط طعامه ، ككفارة اليمين وزكاة الفطر واختلف علماء السلف والخلف في الافضل ، وأقوى الأقوال في ذلك أن التمتع أفضل مطلقاً أولن لم يسق [الهدي] الى الحرم .

و [المهدي] ما يهدي الى الحرم من الا نعام ليذبح فيه تقربا الى الله تعالى، فمن سأنه من بلده أو طريقه فالأفضل له القرآن. وعلى هذا يكون التمتع هو الأفضل والايسر لامثالنا — من الحاجاج المصريين وغيرهم ممن لا يسوق معه هديا — أن نحرم بالعمرة وحدها أو مع الحج ثم تأتي بأركان العمرة كما يأتي بيانه، ثم تحلل منها فنتسبح كل ما يباح لغير المحرم، ونذبح شاة حتى اذا كان يوم [التروية] — وهو الذي قبل يوم عرفة — نحرم بالحج من مكة، ولن أحرم بالحج وحده أو بالحج والعمرة معا أن يتحلل بعمرة ثم يحرم بالحج كذلك

﴿ الاحرام والتلبية ﴾

لكل قطر من الأقطار مكان يسمى [مبقات الاحرام] لا يجوز تجاوزه بغير احرام لحاج ولا لمعتمر، وفي غيرها كقاصد الحرم للتجارة خلاف، ففى بلغ المبقات أحرم عنده بأن ينوي الحج والعمرة أو أحدهما، ويلبي بما نواه بأن يقول: لبيك اللهم عمرة أو بعمرة، أو لبيك اللهم حجا، أو لبيك اللهم حجا وعمرة، أو بحج وعمرة. وتقدم أن الأفضل لامثالنا الاحرام بالعمرة فقط. ومن أحرم احراما مطلقا قصد النسك الذي فرضه الله تعالى في حرمه من حيث الجهة جاهلا بهذا التفصيل صبح احرامه، وعند اداء المناسك يأتي بواحد من الثلاثة التي ذكرناها. والاحرام بالمعنى الذي ذكرناه — وهو نية النسك من حج وعمرة فرض فيهما وهو ركن عند الجمهور وشرط على الراجح عند الحنفية

ويستحب الاغتسال للاحرام ولو لحائض ونفساء، وكذلك التطيب قبله، وأن يكون بعد صلاة إما صلاة فرض وإما صلاة تطوع، وأن

يحرم في توبيين نظيفين—وكونهما أبيضين أفضل—وفي نظيفين لا يستران الكعبين، وإن يكون أحد التوبين أزارا يلف على النصف الأسفل من البدن والآخر رداءً يوضع على العاتق ويستر النصف الأعلى منه دون الرأس فإن ستره حرام على الرجال. فلا يجوز للمحرم لبس العمامة ولا غيرها مما يوضع على الرأس ولا لبس القميص والقباء (التفطان) والبرنس والجبة والسرراويل والخلف والخفاء الذي يسمى الجزمة أو الكندرة. ولا ما في معنى ذلك من الثياب المفصلة المخططة ومن لم يجد الأزار والرداء أو الثعالب لبس ما وجد؛ ففي صحيح مسلم عن ابن عباس أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب بمرقات يقول «السرراويل لمن لم يجد الأزار والخفان لمن لم يجد النملين» ولا فدية عليه عند الشافعي وأحمد لأنه لبس ذلك للضرورة فإذا زالت الضرورة في أثناء الفسك بأن وجد الأزار والنملين وجب عليه تزع السرراويل والخلف ونحوهما، فإن لم يزرعهما وجبت عليه الفدية وهي شاة يذبحها. وعند أبي حنيفة ومالك تجب عليه الفدية وإن لبس ذلك للضرورة. ولا بأس بشد المنطقة أو المميان الذي توضع فيه النقود في الوسط. ولا بأس بمقد الأزار في وسطه أيضاً وإذا كان يخاف سقوطه بغير عقد يتأكد العقد

والأصل في هذه المسألة حديث ابن عمر في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عما يلبس المحرم من الثياب فقال «لا يلبس القميص ولا المماثم ولا السرراويلات ولا البرانس ولا الخفاف إلا أحد لا يجد نظيفين فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل الكعبين. لا تلبسوا شيئاً من الثياب مسه الزعفران ولا الورس» هذا لفظ مسلم. وفي حديث ابن

عباس المرفوع أنه صلى الله عليه وسلم لم يشترط في ترخيصه بنسائه، فمن لم يجد التحليل قطعهما . فبعض العلماء حل هذا الخلاف على حديث ابن عمر وقول لا بد من قطعهما، وبعضهم قل أن حديث ابن عباس ناسخ لحديث ابن عمر لانه بعده

ولا يجب على الرجل كشف غير الرأس من بدنه، ويجوز له أن يستقل بالمظلة (كالشمسية) وغيرها مما لا يمس رأسه، ولكن يستحب له أن يعرض رأسه للشمس ما لم يتأذ بذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم لم يكونوا يستظلون في الاحرام، وقد رأى ابن عمر رجلا ظلل عليه فقال له: ايها المحرم أضح لمن أحرمت له. أي أبرز للشمس لاجل من أحرمت له. يقال ضحى الرجل يضحى ضحىً، وضحا يضحو ضحواً وضحياً اذا برز للشمس أو أصابته الشمس .

وأما المرأة فلم ينهها النبي صلى الله عليه وسلم الا عن وضع النقاب على الوجه ولبس الثغابين في اليدين فاحرامها في وجهها ويديها . والنقاب ما تستر به المرأة وجهها فلا يبدو منه الا محاجر العينين ومثله البرقع . قال العلماء فان سترت وجهها بشيء لا يمسها فلا بأس . وأما ستره عن الرجال بمظلة ونحوها فلا شبهة في جوازه، ويجب اذا خيفت الفتنة من النظر . ومن أضره لباس الاحرام فله أن يتي الضرر ولو بتغطية الرأس ومتى زالت الحاجة الى ذلك تركه

وأما التلبية فصيغتها المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » وكان صلى الله عليه وسلم يلبي من حين يحرم يرفع بها (المنار: ج ٤) (٢٨) (المجلد التاسع عشر)

صوته ، فرفع الصوت سنة للرجل ، فيرفع المحرم صوته بحيث لا يجهده نفسه ، والمرأة ترفع صوتها بحيث تسمع نفسها وكذا جارتها
ومعنى التلبية المبالغة في إجابة دعوة الداعي الى الحج ، ولا يزال العرب يحییون من يدعوهم الى شيء بكلمة ليك ، وأول من دعا الناس بأمر الله الى هذه العبادة ابراهيم عليه وعلى آله الصلاة والسلام . وذلك قوله تعالى له (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) والرجال هنا جمع راجل وهو الماشي على رجله ، أي يأتوك مشاة وراكبين على الرماح الضامرة البطون التي تأتي من الفجاج والطرق البعيدة . فعنى « ليك اللهم » اتي أجيب الدعوة الى هذا النسك خاصتها لمرتكمتوها اليك مقبلاً لخدمتك المرة بعد المرة . والتلبية واجبة عند المالكية ومسنونة عند الجمهور

وهذه التلبية المأثورة هي العبادة القولية التي تتكرر من أول الاحرام بالنسك الى الانتهاء منه . ويستحب تجديدها بتجدد الشؤون والاحوال كالصعود والهبوط والركوب والنزول واجتماع الناس وتلاقي الرفاق

﴿ دخول مكة والطواف ﴾

يستحب الاغتسال لدخول مكة؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغتسل له ، وكان يبيت بـ [ذي طوى] وهو موضع عند الآبار التي يقال لها آبار الزاهر ، فمن تيسر له المبيت فيه والاغتسال فقد أصاب السنة . والافضل دخول مكة نهراً ، وان يقصدا المسجد الحرام تَوَّأً ، والافضل أن يدخل من باب بني شيبه؛ وروي في حديث ضعيف ان النبي (ص) كان يقول اذا رأى البيت (أي الكعبة المعظمة) « اللهم زد هذا البيت

تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه بمن حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبراء وروي ان عمر رضي الله عنه كان اذا نظر الى البيت قال: اللهم انت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام، واعلم أن ما يذكر في المناسك من الدعاء والثناء وما يلقيه المطوفون للحجاج قلما يصح فيه حديث مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنه ما هو من أقوال الصحابة وغيرهم من سلف الامة .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع أصحابه يدعون الله تعالى ويتنون عليه في النسك بما يلهمهم الله تعالى فيقرم على ذلك . فلم من ذلك أن ما لم يصح عن النبي (ص) من ذلك لا يكلفه أحد ولا يمنع منه ، ولكن لا يجعل شعارا عاما يلقيه كل الحجاج ويلتزمونه دائما بصفة خاصة ، لأن الشعائر لا تثبت الا بنص الشارع ، والظاهر ان الشارع ترك هذا الامر للناس يدعو كل منهم ويثني بما يلهمه الله ويخشع له قلبه . ويسن أن يصلي بعد الطواف ركعتين

والثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد الحرام يبدأ بالطواف ، والطواف الاول من الحاج أو المتمتع يسمى طواف القدوم وهو واجب عند المالكية وسنة عند الأئمة الثلاثة

ويراعي في الطواف شروط الصلاة كالوضوء وطهارة البدن والثياب وستر المورة لما رواه الشافعي والترمذي — واللفظ له — من حديث ابن عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم «الطواف بالبيت مثل الصلاة الا انكم تكلمون فيه فن تكلم فيه فلا يتكلم الا بخير» ووردت آثار في النهي عن كثرة الكلام في الطواف أي وان كان بخير لم تمس اليه

الحاجة، لانه يشغل القلب عن الخشوع في هذه العبادة
ولما كانت الطهارة شرطاً لصحة الطواف امتنع الطواف على الخائض
والنفساء فهي تؤدي جميع أعمال الحج سواء فتربص به الى أن تطهر،
ويبتدىء من الحجر الاسود : يستقبله ويستلمه ويقبله ان أمكن من غير
إيذاء نفسه أو إيذاء احد بلزاحمة والا اكتفى باستلامه بيده - أي مسحه
بها - وتقبيلها فان لم يمكن أشار اليه بيده . ثم يشرع في الطواف فيجبل
البيت عن يساره فيطوف به سبعة أشواط أي مرات . ويستلم من
الاركان الركبتين اليمانيين لانهما على قواعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام
دون الشاميين لانهما في داخل البيت

والركنان اليمانيان هما الجنوبيان ويسمى الذي فيه الحجر الاسود منهما
[الركن الاسود] اذا ذكر وحده واذا ذكر الآخر وحده قيل الركن اليماني.
والشاميان هما الشماليان فاذا ذكر كل منهما وحده قيل [الركن الشامي] وهو
المقابل لبلاد الشام [والركن العراقي] وهو المقابل لبلاد العراق، وانما يقال
في ثنيتيها اليمانيان والشاميان من باب التغليب

هذا وإن في الحج ثلاثة أطوفة : طواف التقدم الذي ذكرناه،
وطواف الافاعة وهو ركن من أركان الحج باتفاق الائمة ووقته بعد
الوقوف بعرفة، وطواف الوداع وهو واجب عند الجمهور ومندوب عند
المالكية. والواجب وغيره أن يكثر من طواف التطوع ما استطاع

﴿ السعي بين الصفا والمروة ﴾

السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة عند الجمهور،
وعند الحنفية واجب غير ركن، ويشترط أن يكون بعد الطواف. وعند

المالكية يجب ذلك وليس بشرط ، ويجب عندهم الموالاة بينه وبين الطواف، وقال الجمهور أنه سنة لا واجب. ويطلق على السعي اسم الطواف والنطوف كما ثبت في القرآن والاحاديث ؛ واختار الفقهاء اسم السعي للفرقة بينه وبين الطواف بالبيت

وكيفيته أن يبدأ بالصفا فيصعد إليها ويستقبل البيت (الكعبة) فيهلل ويكبر ويدعو الله تعالى ثم يتزاور ويذهب الى المروة فإذا انتهى إليها توجه الى جهة المسمى ليكون مستقبلاً للبيت ويدعو الله تعالى كما دعاه عند الصفا؛ فهذه مرة، ثم يعود الى الصفا ثم الى المروة الى أن يتم سبعة أشواط يرمل في ثلاثة منهن بين الميادين الأخضرين (وهما عمودان في جدار الحرم) والرمل سرعة في السعي، ولا يشترط في السعي ما يشترط في الطواف من الطهارة ولكن يستحب ، ويجوز السعي راكباً ومشياً والمشى أفضل للقادر عليه .

روى مسلم وغيره من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دنا من الصفا قرأ (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وقال « بدأ بما بدأ الله به (وفي حديثه عند النسائي « ابدؤا بما بدأ الله به ») فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى إذا رأى البيت استقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال : « لا إله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير : لا إله الا الله وحده . أنجزَ وعدمي، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده » ثم دعا بعد ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة ، — الحديث ؛ وفيه انه فعل في المروة كما فعل في الصفا . فينبغي ان يحفظ هذا وان يدعو الساعي بعده بما يفتح الله به عليه لنفسه وأهله وأخوانه وأُمَّته

(تذيه) ان المكان الذي كان يرقى النبي صلى الله عليه وسلم اليه على
الصف قد بني عليه والصعود اليه ليس شرطاً لصحة السعي فمن وصل الى
أسفل البناء هنالك وسعى ولم يصعده أجزاء ذلك ولكن الافضل ان
يصعده لموافقة السنة في الصعود

﴿ الوقوف بعرفة ﴾

يخرج الحجاج من مكة يوم التروية (وهو الذي قبل عرفة ويسميه العوام بمصر
والشام [يوم العرفة] ويسمون يوم عرفة [يوم الوقفة] محرمين لان من كان متنعاً
يحرم في ذلك اليوم كاحرامه من الميقات ، والسنة أن يحرم كل واحد من المكان
الذي هو نازل فيه ، وله أن يحرم من خارج مكة ان كان غبر مكى فان المكى انما يحرم
من أهله ، والسنة أن يبيتوا بمنى ولا يخرجوا منها حتى تطلع الشمس كما فعل النبي صلى
الله عليه وسلم ، وأن يسبروا منها الى [نمرة] عن طريق [ضب] من بين الطريق
وهو موضع في حدود عرفة بـ [بطن عرفة] . فيقيموا فيها الى الزوال ثم يسبروا منها الى
بطن الوادي وهو الذي صلى النبي صلى الله عليه وسلم فيه الظهر والعصر قصرًا وجما
وخطب ، فيصليها الحجاج كذلك ويخطب بهم الامام . وهناك مسجد يقال له
مسجد ابراهيم بنى في أول دولة بني العباس ثم يذهبون الى عرفات والعدول عن
هذه الطريق الى طريق [المأزمين] ودخول [عرفة] قبل الزوال كلاهما مخالف للسنة
ولكن لا يجب به شيء . لانه ليس تركا لشيء من واجبات الاحرام .

ويقفون بعرفات الى غروب الشمس فاذا غربت خرجوا من بين العلمين
أو من جانبيهما . ويجتهد الحجاج في الذكر والدعاء في هذه المشية فهي أفضل الاوقات
لها وأرجاها للمغفرة والرحمة . ولم يمين النبي صلى الله عليه وسلم لعرفة دعاء ولا ذكرًا
ليجتهد كل انسان في ذلك بقدر معرفته وحسب حاجته . فيقال ويكبر ويدعو
ما شاء الله من الادعية الشرعية . ويسن الفصل يوم عرفة ، ولا يسن الصعود الى
الجبل الذي هناك الذي يسمى جبل الرحمة ، - وهو جبل إلال - ولا دخول
القبة التي فوقه التي يقال لها قبة آدم ولا الصلاة فيها . والسنة أن يفيضوا من عرفات

عند الخروج على طريق [المأزمين] فإن النبي (ص) خرج منها على هذه الطريق لانه دخلها من طريق [ضب] فسكنه في المناسك كسنته في الاعمال والمواسم ، اذا جاء من طريق رجع من أخرى ، كما كان يدخل المسجد من [باب شبية] ويخرج بعد الوداع من [باب حرورة]

﴿ المييت بمزدلفة ورمي الجمار يعني ﴾

يسن المييت بمزدلفة بعد عرفة فهي المشعر الحرام الذي قال الله فيه (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) والوقوف عند [جبل قزح] أفضل ، ثم يفيضون من المزدلفة بعد صلاة الفجر فاذا أتوا رموا [جمره العقبة] بسبع حصيات ولا يرمون يوم النحر غيرها . وكيفية الرمي ان يستقبل الجمره بحيث يكون البيت عن يساره ومني عن يمينه ويرفع يديه بالرمي ويكبر مع كل حصاة . وان شاء قال مع ذلك : اللهم اجعله حجا مبرورا وصليا مشكورا وذنبيا مغفورا . ويستحب تكرار التلبية بين المشاعر كالذهاب من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى ، ولم يصح في السنة التلبية في عرفة ولا مزدلفة ، فاذا شرع في رمي الجمره اسبقه بالتكبير بالتلبية — أي جعل التكبير للمبدء بدلا من التلبية للحج ، لانه حينئذ يشرع في التحلل الذي تنتهي به المناسك . ومني رمى جمره العقبة نحر هديه ان كان معه هدي . وكل ما سبق من الانعام من الحل الى الحرم فهو هدي بالاتفاق ويسمى أضحية أيضا ، وأما ما يذبح يوم النحر في الحل فانه أضحية وليس بهدي . وأما ما يشتري في منى أو غيرها من أرض الحرم ويذبح فيها فهو ليس بهدي عند المالكية وعند الاثنية الثلاثة يسمى هديا . ويقول عند نحر الابل وذبح غيرها : بسم الله والله أكبر اللهم بك ولك اللهم قل مني كما قبلت من ابراهيم خليك .

﴿ الخلق أو التقصير ﴾

بعد رمي جمره العقبة يخلق الرجل شعر رأسه أو يقصره بأن يقه من مقدار الأملة أو أقل أو أكثر ، وقص المرأة ولا تحلق ولا تزيد على قدر الأملة . ولما لم يلق أو التقصير ركن من أركان الحج لا يتم الا به في مذهب الشافعي وعند الجمهور

واجب لاركن. وبالخلق أو التقصير يكون التحال الاول من الاحرام فيحل به للمحرم ماكان محرما عليه بالاحرام الا النساء

وبعد هذا يأتي الحاج مكة فيطوف طواف الافاضة الذي هو طواف الركن كما تقدم فاذا طاف هذا الطواف حل له كل شيء مما ذكر حتى النساء

ثم يرجع الى منى فيرمي بقية الجرات ، والانفضل ان يرميها في أيام التشريق الثلاثة وله ان يرميها في يومين لقوله تعالى (واذكروا الله في أيام معلومات فن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى)

ويستحب في رمي الجمار ان يكون بعد الزوال وان يبدأ بالاولى وان يكبر مع كل حصاة . ويدعو فيطيل الدعاء . واذا قال في دهائه : اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعيًا مشكوراً وذنباً مغفوراً — فهو حسن

﴿ طواف الوداع ﴾

تقدم حكمه وبينني ان يكون هذا الطواف آخر عهد حجاج الآفاق بمكة ليكون مسك الختام

انتهت الاحكام ولم تثنأ نشر [حكم الناسك وامرارها] في هذا الجزء من المئار لانها منشورة في [باب الفتوى] من المجلد السادس عشر فليرجع اليها من شاء في ص ٦٧٥

عَلَّمَ النَّاسَ
دَارُ الدُّعْوَةِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ

دروس من الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٣

Tuberculosis الدرن

يراد بهذا الداء تكون أجسام صغيرة في عضو أو أكثر من أعضاء الجسم^(١) ويسمي الأطباء المحدثون هذه الجسيمات بالدرنات أو الدرن^(٢) وهي تنشأ من باسيل اكتشفه العلامة الألماني كوخ سنة ١٨٨٢ ميلادية

أوصاف هذا الباسيل — هو عصيات مستقيمة أو منحنية قليلا طولها نحو ٣ ميكرونات وعرضها ٥٠٠ من الميكرن، ذات أطراف مستديرة في كل منها نقطة لامعة أو أكثر ظن سابقا انها حييات للميكروب ، والحقيقة انه لا يتوالد الا بالانقسام وهو عديم الحركة ولا أهداف له (خلافا لما ذهب اليه بعض الباحثين) ويعيش في الهواء وفي غيره من الغازات بل في الفراغ ، وأحسن حرارة تناسبه ما كانت درجتها ٣٧ ستجبراد ولكن نموه بطيء جدا

تركيب الدرن — تتكون كل درنة من خلايا تحيط بها تشبه كريات الدم البيضاء وفي داخلها خلايا تشبه خلايا البشرة وفي مركزها خلية أو أكثر كبيرة ذات نويات عديدة . وقد يوجد بين هذه الخلايا منسوج آخر دقيق جدا يؤلف بينها . ويوجد الميكروب بين هذه الخلايا أو فيها خصوصا حول الخلية المركزية الكبرى أوفيه كما في درن الحيوانات . وفي بعض الاحوال تكون هذه الخلية

(١) قد يصيب أي عضو من الجسم أو أي جزء منه وتكثر اصابته للرئتين ويقل للشفاف (الغشاء المحيط بالقلب) (٢) أصل معنى الدرن في اللغة الوسخ (المنار : ج ٤) (٢٩) (المجلد التاسع عشر)

معدومة وفي البعض الآخر تكون لخلايا بشرية كذلك معدومة فتكون الدرنه من خلايا كالكريات البيضاء فقط . وقطر الدرنه الواحدة عادة مليون واحد أو اثنان .

وتشاهد الدرنات في هذا المرض بوضوح في الرئتين أو الكبد أو الكليتين

وكما كبرت الدرنه مات وسطها وذلك اما لعدم وصول أوعية الدم إليه أو لسموم الميكروب أو للسببين معاً فإذا مات الوسط صار مصفراً وقوامه كالجلين وهذا الوسط الميت يزداد اتساعاً فيما يحيط الدرنه يُغيّر على ما أحاط به من الانسجة وهلم جرا . وهذه الدرنات تنشأ بسبب تهيج العضو بالميكروب فتكاثّر الخلايا حوله بانقسامها الى عدة أقسام . وتهرع اليها الكريات البيضاء لتقاتلها فتحيط بها فيصيرها ماذكر . وباجتماع هذه الدرنات بعضها مع بعض تتكون درنات كبرى فينشأ من ذلك أخرجه (جمع خراج) في العضو المصاب

وقد تتحول الدرنه الى مادة كلسية (جيرية) يرسوب فوسفات الكلسيوم فيها على الاكثر فيموت الباسيل ويشفى العليل

وهذه الدرنات تحدث تهيجا في الاعضاء وقد يكثر حولها المنسوج الليفى الضام . ويجوز أن يغير هذا المنسوج على الدرنه ويطبق عليها قشر وتناقص حتى تستحيل الى قطعة ليفية وبذلك يشفى الدرن أيضا

أما اذا كانت قوى المريض ضعيفة فتلتهب الانسجة حول الدرنات وتزداد حالة العليل سوءاً فوق سوء ، وفي آخر الامر تتهيج الدرنات وما حولها ويشترك مع هذا الميكروب ميكروبات أخرى فتكون أخرجه وكهوف كما يحصل كثيراً في رئة السلوانين

الاسباب - ميكروب هذا الداء منتشر كثيراً بين الناس وبعض الحيوانات.

ولمعرفة كيفية العدوى به يجب أن نقسم البحث هنا الى مسثلين :-

(الأولى) الاستعداد الشخصي : للوراثة تأثير عظيم في العدوى بهذا الداء فانه يغلب حدوث هذا المرض في أولاد السلوانين . ولا يتوهم أحد أن الذي ينتقل من الوالد الى ولده هو الميكروب بل استعداد خاص فقط اللهم الا في أحوال نادرة جداً ، ولذلك كثيراً ما يولد الولد في صحة لا بأس بها أو جيدة ثم يصاب بعد ذلك بالدرن

وهناك مهيئات كثيرة للعدوى تسبب نهاكة القوى فيضعف الشخص عن مقاومة الميكروب فيقهره ، وأم هذه المهيئات (أ) الازدحام وفساد الهواء بأي سبب كان (ب) قلة الاغذية (ج) اجهاد قوى الجسم فوق طاقته بأي عمل كان ككثرة العدو أو الانهك في الجماع أو في السهر أو جلد عميرة أو المطالعات الطويلة والمباحث العقابية الشنيعة خصوصا اذا صاحبها الفقر وفساد الهواء (د) كثرة الحمل والولادة أو الارضاع (هـ) كثرة التردد الى الأماكن الرطبة المظلمة التي يندر دخول الشمس فيها (و) الحى التفودية (ز) الاسراف في شرب الخمر (ح) البوال السكري (ط) الزهري اذا أهمل حتى أفقد البنية

هذه هي الميئات العامة وهناك مهيئات أخرى خاصة بالعضو المصاب ويسمونها بالمهيئات الموضعية مثل كثرة الغزلات الشعبية أو الرئوية ونهيج الرئة ببعض الغازات أو بغير بعض المعادن وغيرها كما يحصل في المصانع

وللمرء تأثير كبير أيضا في العدوى فترى ان الدرن كثيرا ما يصيب الصغار ففي الاطفال تشاهد كثيرا إصابتهم بدران السحايا أو البريتون أو الغدد اللعابية أو العظام أو المفاصل ، وفي الشبان كثيرا ما تشاهد الدرن الرئوي (وهو المسمى بالمرية السيل أو الهلاس) وأما الاشخاص الذين عمرهم فوق الاربعين فقلل إصابتهم بالدرن ولا ينافي ذلك أنه يصيب الشيوخ أحيانا قليلة وفي تلك الحال يغلب أن تكون إصابتهم مزمنة أي ان المرض بدأ فيهم قبل الاربعين

(المسألة الثانية) مدخل الميكروب : يدخل الميكروب الجسم من طريق الجلد أو الرئتين أو القناة الهضمية

(أ) طريق الجلد وهو نادر الوقوع غير أنه يشاهد أحيانا تؤلول في أيدي المشرحين جلث المسلولين ، وفي هذا التؤلؤل توجد ميكروبات الدرن وقد تنتشر منه الى الرئتين أو غيرها

وهناك درن يصيب الجلد يسميه الافرنج [لوپس Lupus] اخذا من كلمة لاتينية معناها [الذئب] لان هذا الداء يصيب كثيرا الوجه فتأكل أجزاء كثيرة منه تأكلا يشبه نهش الذئب . ولكن هذا الدرن الجلدي قل أن ينتشر

ميكروبه في الاحشاء . وهذا الطريق الجلدي غير مهم في الغالب
(ب) طريق الرئة وهو طريق مهم جدا . ولا يكفي لحصول الداء من هذا
الطريق مجرد استنشاق بعض نفس المسلول أحيانا ، ولكن يحدث المرض اذا كثُر
الاختلاط بالمرضى والقرب منه حتى يشقشق الانسان الهواء المشتعل على ذرات
تخرج من صدر المسلول أثناء سعاله فتنتشر في الهواء المحيط به ، أما نفسه الهادئ
فلا يوجد فيه الميكروب . واذا بصق المريض على الارض أو غيرها وجف البصاق
تطايرت منه أجزاء فيها الميكروب وتكون خطرا شديدا على مستشقيها

ويكثر وجود الذرات التي فيها الميكروب على بعد نصف متر من فم المصاب
فاذا بعدت عنه مترا ونصف متر قتل أن بصيكت منها شيء .

وهناك بعض الحيوانات الداجنة التي تصاب بالدرن كالبيضاء وتكون أيضا
سببا في العدوى بهذا الداء من هذا الطريق

ومن الحيوانات الاخرى الداجنة التي تكثر اصابتها به الخيل ويقل وجوده
في السكلاب والقطةط

(ج) طريق القناة الهضمية وهو أهم الطرق فإن كثيرا من الحيوانات التي
تؤكل يوجد فيها هذا الداء اذ انه كثيرا ما يصيب البقر والخنازير والدجاج والارانب
وخنازير الهند ، أما المزر قتل أن تصاب به وكذلك الضأن

ولبن هذه الحيوانات يشتمل كثيرا على باسيل الدرن اذا أصيبت ضرعوها به
ولما كانت معرفة الضرور المصابة عسيرة في أول الامر كان من الواجب اتقاء شرب
اللبن الا بعد غليه مدة خمس دقائق على الأقل . وقد يوجد الميكروب في لحم هذه
الحيوانات وأحشائها . ونظرا لانتشار الدرن في البقر يشاهد هذا الداء كثيرا في
بطون الاطفال الذين ير بون بلبنها . وقد دلت التجارب أن الحيوانات الصغيرة اذا
ابتلعت ميكروب الدرن فقد في جدر أمعائها وأصاب غدد المساريقا فينشأ عنه
مرض هذه الغدد . أو تدرن معوي أو يرتوني وقد يصل بعد مضي زمن الى أجزاء
الجسم الاخرى فيصيب الغدد العنقية ويحدث داء الخنازير وقليل ما يصيب رثي
الصغار . أما الشبان فاذا قد الميكروب خلال أمعائهم لم يصعبا بشيء حتى يصل

إلى الرئتين فيحدث السل الرئوي . وهذا الفرق يشاهد أيضا بين الصغار والشبان إذا حقنوا بذرات من الكربون (الفحم) فتبقى في بطن الصغار وتصل إلى رئة الكبار . ومن ذلك استدلل بعض العلماء على أن الرئتين قد تصابان بالسل من طريق البطن إذا أكل الشخص لحما أو لبنا مصابا بل رجح هؤلاء العلماء أن إصابة الرئتين بالسل من هذا الطريق هي أكثر حدوثا من طريق التنفس

وفي أكثر الأحوال تكون الاصابة بالدرن موضعية في أول الامر يعني أنها تكون قاصرة على عضو واحد ومن ثم قد تنتشر تدريجيا إلى الاعضاء الأخرى إما بسير الميكروب خلال الأنسجة أو بسيره في الأوعية اللمفاوية . وهناك درن عام تصاب به فجأة أعضاء كثيرة من الجسم دفعة واحدة ولكن يكثر في مثل هذا النوع أن يكون مسبوقا أيضا بإصابة صغيرة موضعية كدرن الخصية مثلا أو غدد العنق أو غير ذلك

ومما سبق يعلم أن أهم أنواع الدرن اثنان — الدرن العام والدرن الرئوي :

الدرن العام أو السخني

سمي هذا النوع بهذا الاسم لأن الدرنات تكون منتشرة في جميع أجزاء الجسم تقريبا وتشبه جبات الدخن إذا ثبرت فيها

الاعراض — هذه الاعراض تكون في أول الامر مبهمه فيشتكى المريض من ضعف عام ونحافة واقهء (فقد شهوة الطعام) وصدايح وحى وقد يوجد أثر من الزلال في البول وتسوء حال المريض شيئا فشيئا ثم تظهر أعراض أخرى تعين إصابة الرئتين ككثرة السعال والبصق أو يصاب الشخص بأعراض تعين إصابة البطن كالاسهال المتعاصي والمنص أو بأعراض أخرى تعين إصابة السحايا كالتهنجات والشلل . والمراد بذلك ان تكون أعراض انتشار الدرن في الاعضاء المذكورة أظهر من اقتسارها في غيرها وان كانت كلها مصابة به

ويحصل الموت في مدة تتراوح بين ٣ أسابيع إلى ١٠ ولا يعلم باليقين أن أحدا أصيب بهذا الداء وشفي منه

المعالجة — عديمة الجدوى وإنما تعالج الاعراض فقط ، ويهمل المريض السوائل الغذائية وبعض المنعشات مع بعض مركبات الافيون لتسكين الألم والسعال ، ومن المنعشات النافعة جدا النوشادر ، ويجب أيضا ان تكون سكنى المريض في الاماكن التي تكون طليقة الهواء وتنظفها الشمس كثيرا

الدرن الرئوي أو السل

هذا الداء يصيب الرئتين بسبب تبييج باسيلة لمسوجهما فتكون الدرنات ويلتهب ما حولها فيتصلب منسوج الرئة ثم يتفحج ويتحول الى تجاويف مملئة بمدة وصديد تسمى بالكهوف ، ويكون ميكروب الدرن مصحوبا بميكروبات أخرى من الانواع البزدية غالبا اذا حدثت هذه التغيرات المذكورة أخيرا فانها تساعد في احداثها

الاعراض — سير هذا الداء يختلف فبعضه يكون سريعا والبعض الآخر يكون بطيئا فيمكث عادة من ستة أشهر الى بضع سنين وأهم أعراضه السعال وضيق النفس والبصق الصديدي والنفاعة الزائدة والحى وزحف الدم من الصدر

وتبدأ هذه الاعراض بطرق مختلفة ، ففي كثير من الاصابات تبدأ بالسعال وبسحق المخاط مع الصديد زمنا ماء وكثيرا ما يثوم الشخص أن داءه من البرد فلا يعبأ به كثيرا في أول الامر ، وفي حالات أخرى تبدأ بالنزف الرئوي ، وفي هذه الحالات قد يكون الشخص متمتعا بالصحة فيندش بمفاجأة النزف الرئوي له بعد سعال خفيف فيخرج منه بضعمة دراهم أو أوقية وقد يزيد الدم الى نصف لتر وبعد زمن تظهر باقي الاعراض ، وقد يماوده النزف عدة مرات . وفي حالات قليلة يبدأ المرض بشكل التهاب رئوي أو التهاب بليوراي مع انسكاب في الصدر . وهناك بعض الحالات التي تبدأ واضطراب في الجهاز الهضمي فيصاب الشخص بالاقهاء مع القيء المتكرر والنفاعة ثم تتم باقي الاعراض المذكورة

مضاعفات هذا الداء

الجهاز التنفسي — يصاب بالتهاب الحنجرة ، فيصح صوت المريض وفي بعض

الاحوال النادرة قد يكون ذلك أول ما يلاحظ على المريض. ويصاب هذا الجهاز أيضا بالتهاب البلورا كما سبق مع الانسكاب المصلي أو الانسكاب الصديدي أو الدموي أو تخترق الرئة فيدخل الهواء في تجويف الصدر وبذلك يطل نفس الرئة المصابة الجهاز الدوري — يصاب القلب بالضعف والتمدد في الاحوال المزمنة . وقد يصيب الدرن بعض شرايين الرئة فيفجرها ويحصل بسبب ذلك نزف شديد قد يكون سببا في الموت العاجل

الجهاز الهضمي — يصاب كما قلنا بالإقياء والقيء وعسر الهضم والاسهال وهو كثير الحصول في درجات المرض الاخيرة . وقد يصاب البريتون أيضا بالدرن ، وقد تصاب الكبد والطحال والكليتان والامعاء بتغير مخصوص في أنسجتها يسمى عند الامباء [الارتشاح الشمعي Waxy degeneration] ويشاهد أحيانا ناسور في الشرج بسبب هذا الداء أيضا

الجهاز العصبي — قد يصاب بدران في السحايا وقد تصاب أعضاء أخرى بالدرن فتزيد المرض شدة فوق شدته نهاية المرض — يحصل الموت بهذا الداء بالطرائق الآتية : نهاكة القوى أو النزف أو اختراق الرئة أو التهاب السحايا أو اتقاب الامعاء أو التسمم البولي الانذار — اذا اكتشف هذا الداء في أول درجاته قد ينجح فيه العلاج ويشفي منه المريض غير أن أثر الدرناات يبقى في الرئة . وفي بعض الاحوال يسرع الموت الى المريض في أشهر قليلة وقد يمكث المصاب به عدة سنين قد تمتد الى الحسين

المألجة — لا يوجد دواء لهذا الداء محقق النفع ، وإنما يتلخص العلاج في الكليات الآتية : يوضع المريض في أصح الاحوية وأجودها وأكثرها تعرضا للشمس ، ويكثر من الراحة والنوم لتوفير قواه وكذلك يكثر من الاغذية الجيدة السهلة الهضم كالألبان والبيض واللحم بأنواعها الى غير ذلك ، وإذا اشتدت الحمى أو أصاب المريض الاسهال وجب عليه الاقتصار على الاغذية السائلة . وبالاختصار يجب اتباع جميع القوافين الصحيحة حتى تقوى البنية فتتلب على المرض

ويسهل للمريض الادوية المتقوية كزيت السمك والحديد (بشرط ان لا تكون حرارة المريض مرتفعة جدا) والزرنيخ والكينين وغير ذلك ، وهناك أدوية مطهرة تصدر يعرفها الأطباء فلا حاجة لذكرها هنا

ويجب أثناء المرض ان يبادر الطبيب بمعالجة كافة الاعراض والمضاعفات بجميع الوسائل الممكنة السريعة التأثير حتى لا تنهك قوى المريض

الوقاية — تكون بما يأتي : —

(١) يتجنب المريض البصق على الارض أو في أي مكان يمكن أن يتصل منه الميكروب الى الاصحاء . ومن أحسن الوسائل أن يكلف المريض بالبصق في مباحق خاصة (منها ما يحمل في الجيب) ويوضع فيها محلول مطهر كخامض الفينيك بنسبة ١/١٠ من الماء . وإذا بصق في متدبل وجب حرقه أو غليه غليا طويلا قبل أن يمتنه أحد

(٢) يجب على كل شخص أن يتقي القرب من المريض حتى لا يكون في طريق الذرات التي تنطير منه أثناء السعال وغيره ، فلا يجوز النوم معه في الفراش أو الجلوس بالقرب منه . ويجب على المريض أن يتحاشى الزواج خدمة لنفسه حتى لا تضيق قواه ولا يأتي بنسل ضعيف وخدمة للامة بعدم عدوى النساء وعدم إيجاد ولد له يكون ضعيفا أو مصابا بالسل مثله

(٣) يجب تهوية الاماكن التي يسكنها المسلولون وفرضها لشعاع الشمس كثيرا وتنظيفها دائما بالمحاليل المطهرة وفي كل مافيا من أواني وملأآت وغيرها

(٤) يجب ان تنهي الامهات المسلولات ارضاع أبنائهن

(٥) يجب على الناس كافة طبخ لحوم الحيوانات طبخا جيدا وتقطيع اللحم الى قطع صغيرة مع اطالة مدة الغلي حتى تصل الحرارة إلى ما قد يكون غلي الأطباء مرضى ميكروب الداء ، فقد ثبت أنه اذا زادت قطعة اللحم عن ستة أوتال فلا تكون درجة الحرارة في باطنها كافية لقتله . وكذلك يجب غلي اللبن غليا جيدا مدة خمس دقائق على الأقل . وإذا علم أن حيوانا مصابا بالدرن وجب اجتنابه وتحاشي أكله أو شربه لبته وإبعاده عن الحيوانات الاخرى السليمة . وهناك طريقة لتمييز الحيوانات المصابة

بالدورن من غيرها ، وذلك باستعمال (التيوبركيواين) وسيأتي الكلام على ذلك تفصيلا . وللاحظ عدم الغلو في غلي اللبن كأن يوضع في اناء مغلق وتطول مدة الغلي فانه قد ثبت أن ذلك يفسد بعض مواد الضرورية لحياة الجسم ، فإذا اقتصر الشخص على شرب مثل هذا اللبن المبالغ في تعقيمه كالأطباء مثلا فقد يصاب بداء الكساح أو بالاسكربوط ، فلذا يجب الاعتدال في تطهير اللبن

وإذا خيف على الطفل من هذين الداءين فيحسن تغذيته بالأشياء الآتية مع اللبن وهي القشدة وزيت السمك وعصير البرتقال المحلى بالسكر أو بالعسل ومرق اللحم ، وإذا كان للطفل بعض أسنان فلا بأس في إعطائه قليلا من الموز بعد عجنه ولو باليد النظيفة

(٦) يجب على كل شخص أن يتجنب كل ما يهلك القوى ويفسد الصحة كالسكنى في الأماكن المأهولة الهواء أو الأسماء في الدخول الى الأماكن المكتظة بمجاهير الناس كالساح و[دور الصور المتحركة] ونحو ذلك ويتجنب السهر الطويل واجهاد الجسم أو العقل وكثرة الجوع أو جلد عبدة وادمن الخمر ، وينبغي الاكثار من الرياضات البدنية مع الاعتدال واستنشاق الأهوية القوية — كالتن في الغابات والبحار — وتغاطي الأغذية الجيدة السهلة الهضم والاكثار من النوم وإتقاء شرب الدخان واستنشاق الغزات والابخرة المتصاعدة من التيران والمصانع وغيرها ، وبالجملة فالواجب التزام قواعد الصحة كافة وعدم التهاون في شيء منها .

العرب والإسلام

والترك الاتحاديون

ان قراء المنار بعد الانقلاب العثماني يطمون أن الجرائد الاسلامية الهندية أول من دعى الاتحاديين بالتعريف والإيجاد ، وان المنار كان أول الصحف الاسلامية دفعا عنهم ، ولما كثرت الخلافات في أمرهم رحلنا الى الآستانة بعد تمهيد مع جمعية الاتحاد والترقي المركزية للقيام بمشروع الدعوة والإرشاد في الآستانة والسعي في التوفيق (المنار: ج ٤) (٣٠) (المجلد التاسع عشر)

بين الترك والعرب وكانت نواحي الخلاف والتخاصم قد تجمعت وامتدت من العاصمة الى الولايات . وقد اقيمت في الآستانة سنة كاملة اختبرت فيها الاتحاديين اختبارا تاما لا أزال أرى في كل سنة من الآيات ما يؤيده وتقني بآتي قد بقيت الى إدراك ما لم يدركه كله العثمانيون ولا لأجانب

ولو كنت ممن يبيع دينه وقومه باللئالي والجذع كالشيخ عبيد العزيز جلوبوش لا يمكنني ان أنال في الآستانة من الاتحاديين أنفسهم ما لا مصلح لهم في نيل مثله ، فقد مناني الاتحاديون أعظم الاماني لانهم كانوا يظنون انني مدافعت عنهم ورددت على من سبق الى رميهم بالكفر والاحادافساد هذه الدولة الا لان اسلامي سياسي يدور مع المنفعة الشخصية اني دارت

وبدلم قراء المآثر انني قد حملت على الاتحاديين بعد عودتي من الآستانة حملات منكرة لم يحمل عليهم أحد بمثلا في الشدة ، كما يعلون انني لم أكتب شيئا يذني مصلحة لدولة العثمانية نفسها ، ولا شيئا يذني الاخاء الديني بين العرب والترك ، فأنا لم أعاد الدولة ولا الترك ببيان فضائح الاتحاديين . بل أعتقد أن كل ما كتبه كان خدمة للاسلام وللدولة ، وان المواقفين لي عليه من علماء الترك وجمهور التدينين فيهم أضعاف المواقفين لي عليه من العرب ، لان الذين كانوا يرفون مقاصد الاتحاديين الاحادية من العرب قليلين جدا ولعنهم لم يكتروا الا بعد أن رأى من رأى خواص العرب في سورية مصلوبين في أعظم مدنها عمراننا وسمع من سمع بأجرامهم ثم بما كان من أمرهم مع الشريف الأكبر أمير مكة المكرمة

وقد كتب بعض العرب العثمانيين من اسرى الحرب وغيرهم مقالات في مناصد الاتحاديين وعداوتهم للعرب وللإسلام نشرها في المقتطف والأهرام فظن كثير من المصريين انها مقالات مصنوعة اقتحراها كتاب الحريدون حتى ان منهم من لم يصدق ما نقل عن كتاب [قوم جديد] وكتاب [اتحاد اسلام] وانما لم يصدق هؤلاء هذه الاخبار لانهم لا يريدون ان يصدقوا ما لا يلائمهم صدقه . ولم يكونوا ذوي غيرة على الدولة والدين وحرص على بقاها ما كثر صبرهم على أنفسهم ورحمة بالجميع تحروا ومحتوا عن أصل كل ما يقال في هذا الموضوع ليكونوا حتى يصبروا من أمر

أعظم الاشياء موقعا من أنفسهم وأهمها لديهم
كان مقصد الاتحاديين خفيا ثم عرف رويدا رويدا، ثم اشتهر وتواترت أخباره
في جميع الامم . وانا ننقل من ذلك عن جريدة الاهرام ما يأتي :

الاسلام والجامعة الطورانية

كيف يسمى الاتحاديون للاشاة الحضارة الاسلامية (*)

كتب مراسل شركة [ستول نبوز] الخاص يقول :

في خلال بضع السنوات الاخيرة بدت في بلاد تركيا طلائع حركة جديدة
تعرف بنهضة « بني طوران » أو [الطورانية الحديثة] وغرضها هدم المدينة الاسلامية
واحياء العصبية التركية على انتقاضها والجمع بين العناصر التركية الثرية والشعوب
المتسمة اليها ومنها الامة البلغارية. أما القائمون بهذه الحركة فهم قوم مشهورون بعدائهم
للإسلام ونعصبهم عليه، وكثيرا ما يجاهرون بقولهم وكتاباتهم بذلك الكره بحجة أن
الاسلام يسعى لقتل العصبية القومية وبحمل دون نشوء المدينة التركية ولذلك فهم
يسعون لجعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام كل الاستقلال

وبما يقولونه أيضا أن الاسلام لا محل له في المدينة ولا يمكن أن يعيش طويلا
الا اذا أدخلت عليه تعديلات عديدة تلائم المذاهب التركية القومية

ولهذه النهضة وجهتان احدهما أدبية والاخرى سياسية . فغاية الوجهة الاولى
تعميد الشعوب الطورانية ونشر تاريخها المجيد . وغاية الوجهة الثانية القضاء على
العصبية العربية . فبكيتر خال هو في نظرم نموذج الملوك ورجال السياسة فكل مملكة
ينشؤونها يجب أن تقوم على المثال الذي رسمه . وأما العرب في نظرم فهم مصيبة
على الأتراك . ولذلك يجب القضاء عليهم أو ادماجهم في العنصر التركي حتى ينسى
العالم تاريخهم وتقاليدهم . أما لغتهم فلا بد من محوها واحلال اللغة التركية محلها في
كل صقع وناد

(*) نشرت في العدد الذي صدر من الاهرام في يوم الخميس ١٦ ذي القعدة

والغريب ان كتاب الانترك الحاليين الذين يدعون بأنهم وطنيون بكل معنى الكلمة ينشرون اليوم للاممالات الضافية ويحثون أبناء قومهم على الطوف بجميع أنحاء السلطة للمنادة بهذه البذعة الجديدة ومن أغرب ما يروى من هذا القبيل ان أحد الانترك طاف حديثا بسوريا وهو ينادي بهذه الضلالة

والحكومة الاتحادية تؤيد الآن جمعية « بني طوران » وتعززها بالاعانات المالية العديدة وتوسي تلك الاعانات « باعانات المالية التركية » وجميع كبار الاتحاديين أعضاء فيها وهم يمدون عن الاسلام بمد الارض عن السماء. والمسلمون ينكرونهم لما يرون منهم من الاعتداء على حدود الشريعة الغراء.

ولا يخفى ان الامان هم الذين يؤيدون الاتحاديين في هذه السياسة الخطرة فقد ثبت لهم الآن انهم لا يستطيعون اخضاع الاسلام لسياستهم ولا هم نجحوا في اثاره المسلمين الخاضعين لقرونا واكثرنا على هاتين الحكومتين. فاققلب زعمهم العطف على الاسلام الى كره شديد له وأخذوا يمدون ضده مستعينين على ذلك بالجامعة الطورانية الجديدة. وقد علم العالم أجمع ما كان من أمر المنشورات الالمانية التي اكدتها الجبال [سبطس] في موشي والتي كان غرضها سحق الاسلام في المستعمرات الالمانية. ولذلك فلألمانيا هي أكبر خطر على الاسلام مع انها تنظاهر بالغيرة على المسلمين

ليس من ينكر فضل الاسلام على العالم وما كان لمدنيته من الآثار المجيدة. أما الشعوب الطورانية فليس في التاريخ ما يدل على انها عملت عملا واحدا أفاد الانسانية بل بالعكس كانت جميع أعمالها تدميرا وتخريبا فالطورانيون لم يستبسطوا شيئا للمنفعة بل كانوا حينما حلوا أخربوا معالم المدنية ومحووا آثارها واستعبدوا الشعوب التي يقهرونها بأساليب هي في غاية الممجية

أما أدعاء دعاة الجامعة الطورانية بأن الاسلام قد حال دون نشوء المدنية التركية فقير صحيح. ولا يخفى ان المدنية العثمانية هي خليط من آثار المدنيات العربية والفارسية والبيزنطية والشعوب الطورانية التي لم تدخل في الاسلام لا مدنية لها على الاطلاق وانما هي استمرت تنبتا من عمالة الحضارة الصينية ولو ان السلطنة العثمانية قد

اعتمدت على المدينة التركية لكانت قد أصبحت في خبر كان منذ أجيال عديدة لان المدينة التركية كما قلنا هي تخريبية لا تعميرية والشئ الوحيد الذي يفوق به الطوراني غيره هو الظلم والجور واضطهاد جميع العناصر التي لا تنسج بحمد الطورانية وتحمل . وبسبب ذلك اعتقاده بأن جميع تلك العناصر وقعت حائلينه وبين تركان آذر ييجان والقوقاز .

هذه رسالة شركة سنترال نيوز وقد نشرت الصحف الإنكليزية كلها هذه الرسالة وبسطت فيها الكلام بسطا ضافيا

الاسلام والطورانية الحديثة

ما يذله الاتحاديون لقاءة الاسلام (*)

نشرنا منذ بضعة أيام فصلا عن الاسلام والطورانية الحديثة ضمنناه ما نشرته الصحف الإنكليزية قلا عن شركة « سنترال نيوز » الصحافية . وقد وقفنا الآن على مقالة ضافية في هذا الموضوع نشرتها مجلة الشرق الاذن فرأينا أن نورد خلاصتها لحضرات القراء قال الكاتب :

بدأت طلائع الطورانية الحديثة في الاساتنة في عام ١٩١٣ ثم أخذت تمتد وتزداد جلاء حتى أصبحت نهضة عامة في جميع أنحاء السلطة العثمانية . وخلاصة ما يعرف عن هذه النهضة أنها تركية محضة فرضها الاصلى الانفصال عن الاسلام ولها أغراض أخرى عديدة ينحصر أهمها في ما يأتي :

(١) جعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام

(٢) ترقية الروح العسكري في الاتراك

(٣) انشاء علاقات تجارية وفيرها مع مسلمي اذربيجان وروسيا الاميوية

وروسيا الجنوبية

(*) نشرت في العدد الذي صدر من الاهرام في يوم السبت ١٨ ذي القعدة

١٩ سبتمبر

(٤) تطهير اللغة التركية من كل ما هو عربي أو فارسي

(٥) محو الجنسية العربية وادماجها في الجنسيات الأخرى

ويرمي القائمون بهذه الحركة الى جعل التركي يمتد أنه تركي قبل كل شيء .
ومسلم بعد ذلك . ويقوم بمساعدة هذه النهضة جمعية « الملة التركية » التي تؤيدها
الحكومة الاتحادية . بالاعانات المالية . ومن مبادئ هذه النهضة تربية الاجيال
الحاضرة والمستقبل على الروح الطوراني بائشاء مدارس طورانية بحته . وبناء عليه
يجب التوسع في تعليم التاريخ باللغة التركية وانشاء فرقة كشافة (سكوتس) من
الاولاد الاتراك تحت إشراف أنور باشا . وقد أنشئت الآن هذه الفرقة وشرع
الاولاد الذين فيها يتربون تربية عسكرية توطئة لدخولهم في الجيش . أما اشارات
الفرقة وراياتها فأخوذة عن رموز ترجع الى ما قبل الاسلام . والاولاد الذين لهم
أسماء عربية تسبديل أسماءهم بأسماء تركية بحته

ولهذه النهضة وجهة لغوية أيضا ولذلك أخذ زعمائها يترجمون كثيرا من
المؤلفات العلمية والتاريخية الى اللغة التركية البسيطة وقد كان في بينهم أن يترجوا
القرآن أيضا ولكن علماء الاسلام قاوموا تلك الفكرة بكل عزم وحاولوا دون تنفيذها
ويعزى نشوء هذه النهضة الى عدة أسباب نذكر منها السببين الآتين وهما :

(١) اللغة

لا يخفى أن أحرف اللغة التركية مأخوذة عن الأحرف العربية والاصطلاحات

التركية ترداد كل يوم تمقدا وصعوبة في نظر الطبقة الساذجة

(٢) كتاب المسيو [ليون كاهون] عن تاريخ الترك والمفول من أقدم الازمنة
الى سنة ١٤٠٥ للميلاد وقد توجت الاكاديمية الفرنسية هذا الكتاب ، وافق أن
ناظم بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقي السام قرأ هذا الكتاب فوضع أساسات
النهضة الطورانية التي نحن بصدها

ولاشك أن نهضة كهذه مما تهتم العالم الاسلامي قاطبة ونهم أيضا انكلكرا
وفرنسا وروسيا وإيطاليا اللواتي يحكمن على الملايين من المسلمين . والذي يشجع
الاتحاديين على ترويض هذه النهضة اعتقادهم صحة النظرية التي ابتدعها [فييري] وهي

أن الاسلام يناقض فكرة الجنسية . فالأحماديون يقولون ان الاسلام بالانحاد مع العوامل العربية والفارسية والرومية والبيزنطية قد جعل الاتراك « مسلمين ليفاتيين » وحال دون نشوء حضارتهم . على أن هذه الدعوى هي عكس الحقيقة تماماً فان الاتراك الذين جاءوا أصلاً من حدود الصين وانتشروا في مجاهل آسيا حتى ضفاف [الاو كسوس] لم يكن لهم دين معروف أو حضارة راقية لانهم كانوا قبائل رحل يؤجرون سيوفهم لكل من يطلب معونتهم . ولم يحاول أحد من قواد الاتراك أن يخضع جميع القبائل التركية . نعم ان [جنكيز خان] كان يحلم بنشر سلطته عليها ولكنه لم يفعل . وقد اشتهر بأنه كان يقتبس عن الصين والمعجم والعربية وبيزنطة وجرمانيا كل ما كان يروقه فيها من آثار الحضارة . ولا شك أن أم ما اقتبسه هو الاسلام فالاسلام لم يحل دون نشوء الحضارة التركية اذ لم يكن للاتراك حضارة خاصة بهم وكل ما لدى الاتراك من حضارة هو بفضل الاسلام . ولما كانت التركي مشهورا بروح الخضوع العسكري لمن يقوده فقد جعل نفسه سيفا في قبضة الاسلام ان العنصر الطوراني لم يشتهر بشيء من قوة الابتداء . وما تاريخه سوى تاريخ وتدمير . قبايل [بوشي] أخربت مستعمرات بكثريا اليونانية . وقبايل [الهون] اجتاحت رومية الشرقية ورومية الغربية اجتياحا هجميا وقبايل [أفار] سعت لسحق الشعوب السلافية في مهدها ، و[هولا تور] ردم أقية بابل وجعل أخصب بقاع الدنيا بلادا قاحلة حتى الآن ، والعمانيون أبادوا الحضارة البيزنطية التي ربوا عليها واكتسبوا منها شيئا من العلم والمعرفة . هذه هي القبايل الطورانية التي تباهي « باتيلا » الذي كانت تقمة الله على العالم ، وجنكيز خان الذي سمي نفسه « غضب الله تعالى » ولما شرع الألمان بحاربون البلجيك وغيرها من دول أوروبا رأوا أن يقتبسوا أساليب جنكيز وأتيلا وتيمورلنك



وما يدل على أن العقل التركي ليس عقلا مستقلا انه لم يات بمستحدث في الاسلام . بل هو اتخذ الاسلام ودان به كما هو . ولو كان مخلوقا مكررا لرايته بعد اتخاذه الاسلامية يزيد عليه أو ينقص منه ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك لعجز مخيلته عن الاختراع

امبراطورية تركية

وبما تسعى اليه نهضة الطورانية الحديثة انشاء امبراطورية تحررية واسعة الارجاء تضم تحت الويتها جميع قبائل التتر والمغول الخاضعة لروسيا أو لآية دولة اخرى. «أما الجنسية العربية فيجب ابادتها وادماجها في الجنسية التركية المحضة لأنها خطر كبير على الجنسية التركية. ومن أمثلة الاتراك من هذا القبيل قولهم: وإذا لم تعامل العرب كما تريد عاملونا بما نستحق» لذلك نراهم يسعون «للتريك» العناصر العربية بحسب الاصاليب البروسية

وبما يستحق الذكر أن جلال نوري بك الكاتب التركي الشهير قال في كتاب حديث الفه ما يأتي: «أن بلاد العرب ولا سيما اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين. وبما لاندوحة لنا عنه للدفاع عن كياننا أن نحول جميع الاقطار العربية الى اقطار تركية لان الجيل العربي الحديث قد صار يشعر الآن بعصيته وهو يتهددنا بنكبة عظيمة فيجب أن نخطد للامر من الآن»

وكتب أحمد شريف بك مقالة في [طابن] جاء فيها ما يأتي: «لا يزال العرب ياهجون بلغتهم وهم يحملون الامة التركية جهلا تاما كأنهم ليسوا تحت حكم الاتراك. فن واجبات [لباب العالي] أن يجعلهم ينسون لغتهم ويجبرهم على تعلم لغة الامة التي تحكمهم. فاذا أهل الباب العالي هذا الواجب كان كمن يحفر قبره بيديه لأن العرب لن ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم. بل سيسعون لاسترجاع مجد مملكتهم وإعادة ترميمها على انقاض دولة الاتراك»

وجاء في نبذة وزعها الاتراك في القوقاز. «أن العرب هم بلية علينا مع أن حصان التركي خير من أي نبي ظهر في العالم»

هذا وقد علقت مجلة الشرق الادنى على هذه المقالة بتوجيه نظر العالم الاسلامي الى الخطر الذي يتهدد انهم باطأوا عن الاحتياط لدرء ذلك الخطر

منشور شريف مكة وأميرها

زمت الجرائد المصرية اليومية في آخر الشهر الماضي «منشور شريف مكة وأميرها الذي وجهه إلى العالم لاسلامي» ، وأنه منشور كتب بمداد الحكمة وإصالة الرأي وشرف الفاية . وانخصه ان الشرفاء (أمراء مكة المكرمة) كانوا أول من اعترف بسلطة سلاطين آل عثمان الكرام لما كانت أحكام دولتهم قائمة على أساس اشعر الاسلامي حيا في الوحدة الاسلامية وكراهة للشقاق وتفرق السكاهة ، وان صاحب المنشور نفسه قد بالغ في الاستسائك بروة الدولة حتى انه حمل بجنده من العرب على العرب وقتلهم لاجل الدولة

ثم انتقل من ذلك الى سيرة فئة الاتحاديين الباغية فين انها قد جنت على الدين والدولة والامة فأنحرفت عن صراط الشريعة وأبطلت بعض أركان الاسلام وغبرت أحكام القرآن ، وحجرت دلى السلطان حتى منعه من التصرف بشؤون خاصته وقصره . ونكالت بالامة ، فلم ترع حقوق الاسلام ولا جهود القمة ، وخصت العرب بالاضطهاد فدابلت في التام كثيرا من أدل العلم والرأي والفضل ، واستعلت مصادرة الاموال وخراج النساء المحاررات والاطفال من ديارهم وأموالهم ونفستهم الى بلاد الاناضول من غير ذنب وبغير قيم شرعي . ثم ذكر تقحمهم بالدولة في هذه الحرب وتعريضهم اياها للخطر وماجنوه على البلاد بذلك ، وذكر ما حل بالحجاز من جبراء ذلك وان الضيق قد بلغ بأهل الدرجة الوسطى الى بيع أثاثهم ثم بيع خشب بيوتهم حتى الابواب والسقف

ثم بين ان بلاد الحجاز اضطرت بسبب تلك الجرائم والمقاسد العمامة التي احترحها لاتحاديون الى اعلان استقلالها بنفسها دونهم حرصا على دينها وعلى جنسيتها العربية لان الاتحاديين يعمدون فساد هذا الدين ومحو هذه الامة العلية من لوح الوجود . وذكر ان العمامة التي وضعها الاتحاديون بمكة أرادت الانتقام من أهل البلاد فأنت قد ثبت مدافعهم من حصن حياذ على الحرم الشريف فأصابته الله عز وجل وقتل كثيرا من الطائفين والمصلين فيه

قل ودعينا برهاناً على ما تكنه صدورهم نحو الدين والحرب وميمم لبيت العتيق الذي أضافته المرة الاحدية لذاتها السعدانية في قوله تعالى ﴿ وطهر بيئي للطهين ﴾ وهي قبلة المسلمين وكعبة الموحدين بقيلتين من قبل مدافعهم التي يحصن جياذ أثناء قيام البلاد بالمطالبة باستقلالها وتمت احدهما فوق الحجر الاسود بنحو ذراع ونصف والثانية تبعد عنه بمقدار ثلاثة أذرع التهمت بنزرها أمتار البيت حتى هرع الاولوف من المسلمين لاطقاء لميه بالضحيج والنحيب واضطرم الحال الى فتح باب البيت والصعود الى سطاحه لانهن من اطفاء لليب ، وما انتهى أمرهم بهذا حتى عززوا الاثنين بثلة في مقام ابراهيم ، وهذا ما وقع منها في بقية المسجد الذي اتخذوه هدفهم الوحيد في غالب مقدراتهم بالقنابل والرصاص ، وما زالوا يقتنون الثلاثة والاربعة في نفس المسجد كل يوم حتى أضر على البلاد القرب من البيت ، وفي هذا من الاستخفاف والازدراء بالبيت ونفطامه وحرمة ما نترك اقول والحكم فيه أيضا لعموم المسلمين في مشارق الارض ومغربها »

وهذا المنشور يؤيد ما شرحناه مرارا في المنار من سيرة هذه الجمعية الباغية في الدولة والامة ، ومن اطلع عليه من قراء انثار يعجب اذ يرى أكثر مسائله في المحاوره التي نشرناها في الجزء الماضي ، وسبب ذلك انها حقائق يعرفها جميع خواص العثمانيين وكثير من عوامهم فكيف تخفى على أمير مكة المكرمة على مكانته في الذروة العليا من الامة والدولة ، وأهل بيته منهم الاعضاء في مجلس المبعوثين كنجله الشريف عبدالله وفي مجلس الاعيان كأخيه الشريف ناصر

وقد أعجب أهل الفضل بنزاهة المنشور ومحافظته على كرامة الدولة العثمانية وسلطانيتها العظام وكرامة الشعب التركي أيضا وحصره السيئات التي يشكو منها جميع العثمانيين وكل قلوب على الدولة في سيرة الاتحاديين فيها

ومن حكم لروية والانصاف في سيرة الاتحاديين يستدل من موقفه هذا المنشور لكثير من المطاعن التي قيلت فيهم على أن أخبارها قد بلغت حد التواتر بدرة مصادرها فالشريف الاكبر لم يستمد ما ذكره في منشوره من اخراند المصرية ولا الاوربية ولعله لم يطلع على شيء منها قبل كتابته ، بل يستمد بياناته من الاقول

والاعمال الرسمية . مثال ذلك ما ذكره من الشواهد على جنائيتهم على الدين وجرائمهم على هدم أركانه والعيش بأحكامه . فانه ذكر منه أمر سلطتهم العسكرية بالزام جنودهم انقيسة في الحجاز وغيره من الامصار الفطر في رمضان وأمرهم قاضي مكة بعدم الاعتداد بشهادة المسلمين بعضهم على بعض الا ما كتب منها في محكمته ، وأما أخبار قسكهم بأهل الفضل والنبل من مسلمي سورية تقتيلا وتصليا ومصادرة الاموال وفي النهاء والاطفال فلا شك في أخذه إياه من الجرائد السورية الرسمية وغير الرسمية وان لم يصرح بذلك . ودلي على ذلك ان أول كتاب جاني من وكيل المنار في الحجاز قد قل فيه عن تلك الجرائد اسما من قتلوا وصلبوا في الشام من كبراء العرب ومنهم السيد الزهراوي وشفيق بك المويد وغيرهما

وقد تذكرت بهذا أنه لما ذكرت الجرائد المصرية أول بناء عن صلب فضلاء العرب بيروت وم الاحد عشر الذين منهم النابتة محمد الحمصاني وعبد الكريم قاسم الظليل أرسل لي فؤاد الخطيب برقية من الخرطوم ذكر فيها ارتياعه واستنظاعه للخبر وشكه في صحته ورغبة التي في ارسال برقية اليه يبين رأي فيه وقال انه لا يثق به الا اذا كنت مصدقة له . فأرسلت اليه برقية قلت فيها اني لا أثق بشيء من ذلك . ثم جاءت جرائد أوربة فجرائد أمريكة بثبت الخبر ، وفي جرائد أمريكة العربية السورية قل له عن جرائد سورية . ثم انني كنت مارا مرة بنظارة الحربية فرأيت فيها رجلا قد أسره الانكليز من سيناء فأثته عن بلده وعن أخبار سورية فقتل انه من القدس ، وأخبرني بخبر الذين صلبوا في بيروت ، فقلت هل تعرفهم قال لا بل أعرف بعضهم بالاسم ، قلت ممن علمت بخبر شقمهم ؟ قال من جريدة القدس الرسمية . لاجل هذا قلت في المحاوراة التي نشرت في الجزء الثالث ان خبر صلب من صلب في سورية قد ثبت هندي بالتواتر

اقبت أول من أس صديقا لي من رجال القانون أعرف منه استقلال الرأي فكمكنا في هذا الموضوع فقال انه يجب ان يجعل نفسه كقاضي في هذه القضية فلا يحكم فيها . قلت بل يجب ان تجعل نفسك بمكان المؤرخ النصف الذي يحص الاحار ، ثم يجوز بالنفي أو الاثبات ، فانا لم أكن خصما للاتحاديين بل كنت صديقا

لم قبل المستور وبعده ، وكنت أول من دفع عنهم لما حملت عليهم جرائم الهند
الاسلامية ورميتهم بالكفر والاطداد ، واسعة طخيفة للمسلمين السلطان عبد الحميد لاجل
ابطال الحكم الاسلامي ، ولما شاع أمر جيشهم بالدين وتمصيبهم على العرب وغيرهم
تثبت في الحكم عليهم وذهبت الى الامانة فافت فيها سنة كاملة معهم ساعيا في
خدمة الاسلام عامة وفي التأليف بين الترك والعرب وحلت بالاختبار الطويل ان كل
ما قيل فيهم دون الواقع كما يثبته في المنار

وجلة القول ان منشور الشريف الذي كان قبل استقلاله في الحجاز أعظم
الامراء العثمانيين هو أعظم الحجج على ملاحدة الاتحاديين ، كما أنه تأييد من سيد
العرب لطلاب الاملاح من العرب ، لانهم بنوا معهم على أساس المحافظة على
الدولة العثمانية ، ومن قوه عدم ان لا يكونوا سببا من أسباب ضعف الدولة ولا تمزيق
وحدتها . وقد انسلخ من الدولة عدة ممالك وولايات بسوء سياسة الاتحاديين :
البوسنة وهرسك وطرابلس الغرب والبانة ومكدونية وكريت وجزائر الارخبيل
الرومي ، - دوع ولاية البصرة . ولولايات الازنية والناضولية التي ذهبت في
هذه الحرب - ولم يكن العرب سببا في زول شيء منها . فهذه أكبر حججنا على
هؤلاء المحرمين

باب الامر اسئلة والمناظرة

حال المسلمين الاجتاعية

(وفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)

للفاضل القيور - م . ن - صاحب الرسالة التي نشرت (في ج ١٠ ص ١٨)

حضرة حكيم الاسلام السيد الامام الاناذ السيد محمد رشيد رضا صاحب

مجلة المنار الاسلامية :

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فلست صحفيا ولا من المشتغلين بالتحريير ولا بسمع وقت فراغي كتابة المقالات ، وتسليق العبارات ، فان في أعمالي اليومية لشغلا شاغلا . فان اكتب اليكم فانما اكتب مدفوعا بمامل القيام بفريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » التي عمارها من بين المسلمين . اذ لولا صوت المنار الحلي المرتفع الذي يدوي في الآفاق فيفتق أغشية الآذان ، ويرقق حجب القلوب ويفتح الأذهان ، ويوقظ النائم ، وينبه الغافل — لولا ذلك الصوت المنعش للنفوس المحركة لهم ، لصح أن يقال ، ولا عتب في المقال : ان الامة الاسلامية شبح بلاروح

كُتبت رسالتي الماضية في موضوع الدعوة والارشاد ولم يكن لي غرض سوى العمل بهذه الفريضة واقامة الحجة امام الله تعالى على المسلمين الذين تهاونوا فيه وفي كل عمل اسلامي . وانه وان لم يكن الذي كبير أمل في أن يقدم المسلمون في الحال ، ما يحتاج اليه المشروع من المال ، فقد كان رجائي عظيما في النجاح التدريجي الذي يؤدي الى النجاح التام . ولكني ما كنت أظن أن يكون نصيب هذه الدعوة الصمت والجمود اللذان يدلان على شدة ما تمناني الامة الاسلامية من أدائها الاجتماعية .

اذلكت حديثي نفسي بعد طول الانتظار بأن أبث اليكم بهذه الرسالة الثانية زيادة في التذكير ، وتأكيذا للانذار والتحذير ، ولأبين ان المسلمين غير معذورين في البقاء في هذه البؤرة الثنتة ، وان وسائل النجاة والحياة في أيديهم والامر كله متعلق بمشيتهم . وهذه هي الرسالة :

دعوت المسلمين في رسالتي الماضية لتنفيذ مشروع الدعوة والارشاد وما كنت لأدعوم الا الى حق وأوضحت لهم خطورة الحالة التي نحن فيها وما كان لي أن أكذب . وأقت لهم الدليل على أن المشروع كافل لاصلاح الحال ، وما كنت الا صادقا . وانتظرت ماذا يكون من أمر هؤلاء وأطلت الانتظار فألفيتهم صموا عن النداء ، واختاروا البقاء في الشقاء ، وما كنت مكرها لهم على ما ثقلت عنسه نفوسهم ولا كراه في الحق

انه ليحزني أن تحجب دعوتي وليس ذلك لأنها صادرة مني فما هي الاصدى
لاصوات صاحب المشرع ومن نصره فيه من قبلي . ونما حزني وأسفي لحزبان
الامة الاسلامية من الخبر العظيم الذي كان ينتظرها ان هي اجابتهما ، ولكن ما حيتي
وقد دعوت ونصحت وما فرطت ، والامة أعرضت وجمدت واستكبرت . وقد
فشلت دعوة الكثيرين من أهل القبرة والاخلاص من قبل فلم ينقص اعراض
الناس عنها من قدر الحق ولا من قيمة مادعوا اليه شيئا ، إذ الحق حي بذاته لا يضره
أن يكفر الناس به كما لا يرفعه أن يفلوا فيه . وان في ضياع صوت أستاذنا العظيم في
فضاء غفلة هذه الامة الجهلة امبرة وذكرى للمشائين المتسرعين

انه ليقع الانسان في الخيرة ويأخذه العجب لحبيبة دعوة الحق بين المسلمين
وفيا خيرهم وفلاحهم ونجاح دعوة الشرفيم وفي اجابتهما هلاكهم وشدة وهم . في أشد
ظلمهم لأهل الحق الذين يفارون على الامة ويريدون لها الرشاد ، وظلمهم لانفسهم
باتباعهم أهل الضلال الذين يسعون في الارض بالفساد . . . ولقد رد المصلحون لو
أن الامة عرفتهم فأزلتهم فزلتهم وسمعت لقولهم واقفقت أثرهم فنهضت بهم .
لا بسأل هؤلاء الامة أجرا على علمهم فالحق والعمل الصالح أعلن أن يقوموا بشي .
من حطام الدنيا . وان أخذوا أجرا في الظاهر فليس هو في الحقيقة أجر وما هو من
قابل عن شيء . مباح ولكنهم مال يسدون به عوزهم ويستمينون به على علمهم الذي يقيمون
به ظلم الامة وسعادتها . انما أجروا على الذي فطروا وهو وحده الذي راعاهم
ويكافئهم عليه في دار غير هذه الدار . أما أهل الباطل والضلال فهم يفتنون السم
في النفوس والارواح بما ينشرون من رأي ، ويدعون اليه من عمل ؛ ويسلبون أموال
الامة أجرا على هذه الضلالات ، انهم لا يرجون عند الله ثوابا ولا بعد هذه الحياة
حياة . فهم لذلك يمتالون على جمع المال بأي وسيلة تمكنهم منه ، فهو غرضهم الذي
اليه ينتهي الامل ، والسبب الوحيد الذي يحركهم للعمل . هؤلاء هم رسل الشهوات
وأعوان الهوى وأولياء الشيطان ، وأولئك هم دعاة الفضيلة وأصروا الحق وحزب الرحمن .
فيا ليت شعري أي الفريقين خير مقاماً وأهدى سبيلاً . ومن منهما أولى
بالاتباع وأقوم عملاً وأحسن قليلاً ؟ فياخاف خبر أمة أخرجت للناس أنستدلون

الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ وتدفعون الى الاوهام والفضلالات مختارين
وتمسكون الى الشر؟

وذا كثير من الناس لو يعرفون سبب هذا الجفاء بين المسلمين وأهل الحق
والاصلاح وهم المحبون الصادقون ، وعلة هذه المودة بينهم وبين أهل الباطل والفساد
وهم الاعداء الظاهرون . فانه لابد لذلك من سبب ومقى عرف السبب زال العجب .
ليس العيب الذي تقدم ذكره هو الوحيد في المسلمين . والا فلماذا يماذي
هؤلاء المسلمون أنفسهم ويعطفون على أعدائهم ؟ ولم يعرضون عن مصالحهم
ويسارعون الى هلاكهم ؟ وما الذي حسن اليهم الباطل وبغضهم في الحق ؟ وأي
شيء سوغ اليهم ارتكاب السيئات وترك الحسنات ؟ ولأي سبب يصافحون الشيطان
وبغضون الرحمن ؟ وما السبب الذي هبط بهذه النفس الانسانية الى درك الحيوانية ؟
انه يوشك أن تكون جميع تصرفات المسلمين مخافة للعقل والنقل وأحوالهم
مردولة غريبة الشكل . وأما هذه التصرفات والاحوال هي أعراض للمرض العام
الذي سكن في جسم هذه الامة فأضعف قوتها الحيوية وأسدل الحجب على بصيرتها
قبحت ما ليس بالقبيح ورأت حسنا ما ليس بحسن . فرض الامة هو سبب كل
ما تنكر من ميوها وحر كاتها وسكناتها . فاذا عرف المرض عرف السبب
المرض أو السبب هو كما قال السيد الامام هو ضعف استعداد الامة وحرمانها
من الزعيم . وهو قول حق لا ريب فيه ، اذ لو وجد الاستعداد والزعيم معالنهضت
الامة من كبوتها وحييت حياتها الطيبة وتمارقتها الشقاء . وزال عنها ما نزل بها من البلاء
ولكن الى متى نسكت على هذا الضعف فينا ولا نباشر علاج أنفسنا ؟ الآن وقد
عرف كنه المرض الذي أصابنا وسبب الضعف الذي أنهك قوتنا فمن السهل معرفة
علاج هذه الحالة أيضا . إنه وقد أمكن تشخيص الداء فما علينا الا أن نصف الدواء .
لأعلاج ضعف استعداد الامة لا في أمر واحد وهو العلاج القديم الذي
ثبت صلاحه وتأكد نجاحه راجع في كل زمان وفي كل مكان وسار على سننه
الانبياء عليهم الصلاة والسلام في تلخيص رسالات ربهم عز وجل ، وكذلك الصالحون
من بعدهم . ذلك العلاج هو اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر »

ان الناس أفلحوا وسعدوا ما عملوا بهذه الفريضة وخابوا وشقوا ما أهملوها .
فكما أن دانا في تركها كذلك علاجنا في أقامتها . وقد جعل الله تعالى العمل بهذه
الفريضة شرطا ضروريا لصحة الايمان ولهي أعظم ما فرض العليم الحكيم على أتباع
أنبيائه عليهم السلام ، فكانت ولا تزال أقامتها عنوانا على هداية الناس وسعادتهم ،
وإهمالها دليلا على ضلالهم وخسارتهم واستحقاقهم لعنته « لتأمرن بالمعروف وتنبين
عن المنكر أو يسلمن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » (لمن
الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا
وكانوا يعبدون » كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)

تركت الامة الاسلامية العمل بفريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر »
من عدة أجيال فقدت بذلك قوتها الحقيقية التي كانت تحمي بها الاموال ولاعراض
والعقول والقلوب والاخلاق والدين من فتنك الشهوات وهجمات الشياطين . وماذا
يفعل الاعز من السلاح ، في ميدان الزوال والكفاح ؟ صار أفراد المسلمين بعد
ذلك — وقد خفت صوت الامة وارفع صوت الشهوات والهوى والشيطان ،
كالقعد الذي تبعثرت جباته أو كذرات الرمال التي تتجاوزها الرياح والاهواء المختلفة
فضل الناس في الفهم والرأي والعمل ولا منكر ولا مرشد ، وانحلت الرابطة
وفترت الكلمة ، وتناكرت العقول والقلوب ، وضاعت الفضيلة ، وحلت محلها الرذيلة ،
واعتبد الجاهل بالعلم ، وأوشك أن يكون الدين المعمول به عند الجماهير الآن .
مجموعة خرافات وأوهام وضلالات ، وبدع ومنكرات وتقاليده وعادات ، وبالجملة
ان الحال قد تحول الى ما يرى كل انسان ، وليس الخبر كالمعاين . تلك عاقبة الذين نسوا
حظا عما ذكروا به بإهمالهم هذه الفريضة فتولدت بذلك في الامة الامراض والعلل ،
التي أضعفت استعدادها لفهم والعمل ، فضل فيها صوت المصلح ، وخابت دعوة
الحق ، وما ريك بظلام للعيد

وان تعجب فمجب أن يعتذر القادرون على الإصلاح عن نفعهم ذلك الواجب
العظيم بأعراض الامة عن الحق وتخليروا أنصرف عقول أفرادها وقلوبهم الى الباطل
والشبه ، وفسوا ان الامة ما سقطت في هذه الهوة السحيقة ، الا بسبب إهمال هذه

الفريضة . كما غفلوا عن كونها أخرج الى الارشاد في هذه احالة منها في سواها !
 ان ما وقع من الامة من التفريط في جنب الله لا ينبغي ان يستل عنه
 سواها وان عليها ان تتحمل وحدها أثله وتتجرع مرارته (ولا نرز وزارة وزر
 أخرى) . فلا يصح ان يؤدي تفريط الامة في واجبها الى تفريط المؤمن في واجب
 « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » الذي فرضه الله عليه ، ولا يسقط عنه الا بأدائه
 سواء استجاب له الناس أم لم يستجيبوا . ما كان ضعف اعتماد الامة للحياة أو
 بعبارة دثة ضعف قوتها الحيوية الذي هو نتيجة طبيعة لما كسبت أيديها كما تقدم
 ليخبر من موقف المصلح أمامها ، فهو مطالب على الدوام بأن يصدع بالحق وان كان
 غريبا عن عقول وقلوب أكثر سامعيه ، وان يقرر الحقيقة وان لم يقبها الا فرقا قليل
 منهم ، وقد عوته مع ذلك حجة على الطائع والفاسق ، وما الاخير قللة استمداده بمقدور
 (كلابل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا
 ما يؤمنون » اليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء » ما على الرسول الا البلاغ)
 وقد دعا كثير من أنبياء بني اسرائيل قومهم الى الحق فكذبوهم وقتلوا . وما
 كذبوهم وما قتلوا الا لانهم لم يقبلوا دعوتهم أو لم يقبلوها . وكذلك كان شأن
 الناس مع كثير من المصلحين . فما من دعوة الى حق الا وصادفت في أول أمرها
 إعراضا عظيما ومقاومة كبيرة ممن جاءتهم ، حتى قيل انه لا أمل في قبولها . ومع ذلك
 لم يكن ذلك الاعراض وذلك التكذيب وتلك الشدائد لوثر في همه أولئك الهداة
 وعزمهم ، أو ترجمهم عن قصد ، فمن ذا الذي يجسر ان يقول ان علمهم كان لغوا
 لان الناس لم يكونوا مستعدين له ؟ كلا بل هو كل الحق والصواب وعين ما أمر
 الله به وأوجه عليهم وهو سبب كل ما وجد وما يوجد من خير واصلاح في العالمين
 وعلة الحركة والحياة في الناس أجمعين .

ان كل دعوة لحق تصيب الفرض سواء أجيبت في الحال أم لم تجب وسواء
 أدرك لدعي نجاح دعوته في حياته ، أم حصل النجاح بعد وفاته ، فهي محدثة أثرها
 على كل حل . فمثل الحكم الطيب والعمل الصالح وتأثيرهما في النفوس كشل
 التفاعلات الكيميائية سواء بسواء ، فان التفاعل الكيميائي حاصل وان كان أحيانا
 (المنار : ج ٤) (٣٢) (المجلد التاسع عشر)

يسير بطيء بما لحالة المود وطبيعتها وقوة تأثيرها بعضها في البعض الآخر. وكثيرا ما تجري الحوادث الكونية بحيث لا تدركها الابصار ولا تتناولها الحواس، فقامت الايام أو الشهور أو السنين أو القرون فوجىء الناظر بالتأرجح الصنيرة أو الكبيرة التي نشأت عنها. وبالجملة انه كما ان لكل حركة أثرا في مجموع ما يحيط بها من الاشياء كذلك لكل كلمة طية أو كلمة خيثة فعلها في ردع الناس عن الشر أو اغرائهم به. أغلب من الوجوب علينا الاكثار من الكلم الطيب دعوة للخير ومقاومة للشر التي كثرت واستفحل أمرها ؟

ان الباطل عدو الحق كما ان الحق عدو الباطل. وهذه المداوة قديمة من عهد ان عرف حق وباطل وتبقى مستمرة الى ما شاء الله تعالى. فقلنا ان فهم هذه الحقيقة ولا يطعن أحد في التوفيق بين عدوين هما أكبر خصمين في الوجود. انه لا ضرر على الحق من هذه المداوة أو الخسة التي لا مفر منها، فالباطل أضعف من ان يفت امام حق والحق أقوى من ان ينازل باطلا وما كان باطلا ان يوجد مع حق في ساحة فأين وجد حق لا يوجد باطل وان الباطل ليتضال امام أئمة الحق كلما اقترب منه كما تضال الظلة أمام الضوء. ان الحق ثابت بنفسه والباطل ساقط بذاته أو بعبارة أخرى ان حياة الحق مستقلة باستقلال الحق ولا حياة للباطل الا باستناده الى الحق فهو أشبه بالخيال منه بالحقيقة. انه لا يطلب الباطل الا الحق فالباطل قوي ما غلبته الحق وكما انه لا سلطان لحق على حق كذلك لا تفوز باطل على باطل وكما ان الباطل يذهب بتقدم الحق فانه لا يترك مكانه باطل مثله. فيلزم مواجهة الباطل بالحق على الدوام ففوت الباطل في قرب الحق منه وحياة الحق في خفاء الباطل. ان الحق حق ولا يمكن ان يكون الاحياء والباطل باطل ولا سبيل الى جملة حقا، فلا بد من الخلاف والتصادم بينهما. ولما كانت مهمة الحق ازهاق الباطل ودأب الباطل الفرار من امام الحق والانتشار في الساحات التي لا سلطان له فيها، وجب ان يتعقب الحق الباطل أينما حل وسار، ليتم له الانتصار.

لا هيب في الحق واتما العيب فيمن يدعون انهم اهل اذا قسروا في القيام به ونصره، والا فقيم يخشى أهل الحق أهل الباطل وهو لا ضغف بضغف ما ليسهم

من باطل ، وأولئك أقوياء بما لديهم من الحق ؛ لا يجوز لأهل الحق ان يدعوا هؤلاء
المبطلين آمنين مغرورين بزخرف الباطل مفتونين بظواهره الكاذبة حتى لا يكون
ذلك اقرا منهم لباطلهم ، بل ان الواجب اقلق بهم ، وقذفهم بالحق دائما بدون
رأفة أينما ذهبوا أو حلوا أو وجدوا ، في غدوم ورواحهم ، في نوبهم ويقظتهم ، في
أعمالهم وراحتهم ، الى ان يذهب نور الحق بظلمة الباطل ، ويعرفوا انهم لم يكونوا
الا واهمين . ان نور الحق متى ظهر للناس لا يستطيعون نكرانه وان استطاعوا انكاره
فلا بقدرهم على المجاهرة به . وان الاصرار على الباطل بعد أن يفصح الحق قليل في
الناس ، وإنما يصر الا كثرون منهم على ما يصرون جهلا منهم وتوهمها أنهم
على حق ، لا عذر في السكوت على الباطل فيجب أن لا يصد داعيا الى الحق صاد
مهما عظمت المهمة وبعدت الثقة ، وإذا بعد الناس عن الحق أو قل عدد الراغبين فيه
منهم أو قعدوا في بعض الازمنة أو الامكنة فان ذلك لا يجعل الحق غير حق ، ولا
ينبغي ان يكون مانعا من الدعوة اليه اذ الباطل لا يصح ان يُرضى به على أي حال .
ان الحالة قاضية بتنبية المسلمين الى الخطر المحدق بهم ، وأن يقال لهم في
وجوههم بصوت جهوري: انكم في هوة انحطاط سحيقة تجب للمبادرة الى انقاذ
أنفسكم منها . ولا يمكن أن يقال لهم غير ذلك . ينبغي أن يقال للمسلمين :
« يامعشر النساء ويامعشر الرجال انتم على باطل وضلال . وأن تعاليدكم وعاداتكم التي
تدينون بها وتحرمون غاية الحرص عليها إنما هي من مخترعاتكم ومخترعات آباءكم ،
وأن العقل ينكرها وشرع الله يبرأ منها . وهذه القبور وما حوت من عظام
والاشجار والاحجار لا يمكن أن تتخذ وسيلة الى العالم الدائم ، ولا سببا لافساد
الحاجات أو شفاء الاسقام ، وهذه الافكار الفلسفية والنزعات المادية التي اتبعتم فيها
سفها الافرنج بدعوى المدنية لم تكن الا نزعات شياطين . وهذا الفسق والفجور
والمعصيان من عمل الشيطان ولا يتفق مع رضاء الرحمن . وأن خطيتكم التي تسبرون
عليها الخطة عوجا ، وهي سبب ما نزل بكم من البلاء . فارجعوا الى أصل الدين تكونوا
من المهتدين » يجب أن يقال ذلك وما شاكله للمسلمين وأن يبين لهم ما يقال تقريرا
للمقول والافهام . فن قام بذلك فقد قام بواجبه وليس عليه أن يبحث في مبلغ تأثير

كلامه في نفوسهم فليس عليه هدام وإنما الهدى هدى الله .
 قد يفتقه المسلمون القول ويدركون الفرض المقصود منه في الجملة فيهمون أن
 يفتحوا عيونهم للنظر ويتحركوا للعمل ولكن قد تغلبت الشهوات فيعرضون .
 ويوسوس لهم الشيطان فينكصون ، وعن اتباع الحق يمدلون . انهم عصوا لضعف
 استعدادهم ولكن ما حيلة الداعي وأمر استعدادهم بأيديهم ان شاؤا أصلحوه وان
 شاؤا زادوه ضعفا ؟ وما ذنبه والمرء لا يتغنى زجر زاجر ما لم يكن له من نفسه وزن
 (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

ان الناس مسؤولون عن ضعف استعدادهم كما أنهم مسؤولون عن ضياع كلمة
 الحق بينهم . وان ضعف استعداد الامة ناشئ عما ارتكبته من السيئات ، فيكفي منها
 الاقتلاع عنها وعمل الصالحات ليبدلها الله تعالى من فضله حسنات . ما عذر هؤلاء
 المسلمين في هذا الانحطاط الذي افردوا به وفيهم كتاب الله تعالى ، وأمامهم سنة
 رسوله (ص) وبين أيديهم آثار أهل الحق ورجال الإصلاح ، وتحت أنظارهم
 الامثال الحسنة على قيمة العمل وعلو الهمة فيما يشاهدونه حولهم من المجهودات
 العظيمة التي تقوم بها الامم المزينة بالقوية ؛ ان المريض وان اشتد به المرض قد
 يجد الى الشفاء سبيلا باتباع أوامر الطبيب والعمل بأرشاده . فلماذا لا تطلب هذه
 الامة شفاءها في القرآن الذي ما فرط الله فيه من شيء فيه شفاء لقناس ؟ ولم لا
 تستوضح ما أشكل عليها من سنة الرسول (ص) والمأثور عن السلف الصالح ؟ كل
 ذلك ميسور لها سهل عليها . بل ما الذي يمنحها من الاصغاء لنداء أهل الحق
 والإصلاح الذين يمنح الله تعالى بهم على المسلمين من وقت الى آخر رحمة بهم اذا
 اشتدت الحاجة اليهم وزاد الكرب وضاع الألب وبلغت الروح التراقي ؟ لقد رزق الله
 الامة الاسلامية من هؤلاء في أقل من نصف قرن ثلاثة أقطاب كل واحد منهم يكفي
 للنهوض بالامة واسعادها لو وجدوا منها سميعا وانصرا ومطيعا . انه قضى منهم اثنان وهما هو
 ذا الثالث يتربع بالحجة ويصدع بالحق تسعة عشر عاما قبل وزن قوله بيمثانه وعرف
 له حتى الآن قدره ؛ ان صوت المنار لموحية انش الناطقة في الناس في هذا العصر وأنه
 وان ضاع حتى الآن بين أهل هذا الزمان فانه لا يضيع عند الله ولا في مستقبل الازمان

افلا ينظر المسلمون الى حالتهم ويرجعون الى أنفسهم ليجدوا أنهم ضلوا ضلالاً بعيداً وهل شيء أدل على ضعف دينهم وانحلال قوتهم من قيام قسيس في هذين اليومين يظعن في السنة وأشهر رواتها وحملتها وينشر شبته في مجلة سيارة ويدعو الى الرد عليها ثلثمائة مليون من المسلمين ؟

فأي برهان على فقر الامة من الرجال أقوى وأظهر من سكوت علمائها عن رد مزاعمه وإبطال شبهاته سوى رجل الإصلاح الاوحد ناصر الاسلام السيد الامام ؟ ان القسيس ما كان ليتحدى برساته صاحب المنار فهو يصرف من هو، وكان يتمنى طبعاً لو لم يرد عليه بحرف واحد. فهل الامة كلها صاحب المنار؟ وهل عدم المسلمون وهم يمدون بمئات الملايين من يستطيع ابطال الشبهة ورد الفرية سواء؟ قد يكون ذلك صحيحاً وباللأسف وقد لا يكون صحيحاً. ولكن الذي يلزم الاعتراف به هو ان الامة سكنت لمن ادعى انه عدم الاصل الثاني من اصول دينها وهو السنة النبوية وقد وقف أمامها يدعوا افرادها كافة الى الكلام، ويطلب منهم وهو فرد ضعيف الخرج جميعاً الى الميدان ! فهل تصدق بد هذا دعاوي من تصدروا لارشاد الامة وسموا أنفسهم رجال الدين وأئمتهم؟ وهل ينثر الغافلون بتظاهر أهل المعاصم والفرجيات من علماء هذا الزمان بالقوى والصالح والخيرة على الدين والعمل لمصلحة المسلمين؟ ألا ليت شعري بما ذا يملكون سكوتهم وقد وجب النطق واستنصر الحق؟ وبأي شيء يؤولون اهمالهم فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وهم اولى الناس باقامتها ؟ لاجواب على ذلك الان اهم مصروقة الى غير تلك السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل لم تنقد الامة الاسلامية استعدادها للعمل قديماً تماماً اذ هي لا تخطو من استعداد لقبول دعوة الخير الى حدماء والا لكانت شراً محضاً. ولا يوجد في الكون محض شر ولا ازال على النور. فالذي نشكوه وعناه السيد الامام هو ضعف الاستعداد لا فقدته تماماً. وانما ترفض الامة الضمية الاستعداد دعوة الحق ولا تلبىها في وقتها لتعصر في النظر وقلة في الفهم، وضعف في القلب. وليست معذورة في ترك العمل لضعف استعدادها وحرمانها من الزعيم أو الزعماء كما تقدم، فان ذلك الضعف وذلك الحرمان منها وهي التي ولدتها كما تلد الام ولدها

ألا ان الاستعداد لا يوجد في الامة من نفسه ولا يوهب لها كما يوهب النافع. ولكن الامة هي التي توجد بتمهيد الاسباب له كما ان وجود الزعماء تابع لحركة الحياة فيها ، فهم أبناؤها وهي التي تدهم . فالامة هي التي توجد استعدادها كما تلد زعماءها ، وقد يكون الزعيم موجودا وهي لا تراه لعله في باصرتها أو بصيرتها فاذا زالت العلة بتقوية الاستعداد للاصلاح والتوجه لطلبه وجدته بين يديها وأمام عينها فالامر كله راجع الى الامة وهي التي عليها أن تحضر الدواء وهي التي عليها أن تتمتعها . فهي المريض ومنها الطبيب . وبعبارة ثانية ان الامة متى وجد فيها الاستعداد للحياة أوجدت طبيبها واستمدت لقبول دوائه ، فهي المطالبة بأعداد الطبيب أو الاطباء وهي المطالبة بتجهيز الدواء واستعماله في مقاومة الداء . انها هي المطالبة وحدها بأقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فان عجزت فقد عجزت عن الحياة ولا دواء ولا شفاء .

لست أعني بهذا اني يشت من حياة هذه الامة ، بل مرادي أن أقول ان حياتها لا تكون الا في العمل بهذه الفريضة التي هي العلاج الوحيد لمرضها . انه ما كان للسيد الامام وهو طبيب الامة الا الواحد أن يباشر علاجها الا من هذا الطريق الطبيعي الامين ، وان يستعمل سلاحا قطع عرق الفساد من أصوله غير ذلك السلاح الماضي . فقد أحيا هذه الفريضة ونصرها بلسان المنار الذي أنشأه ولسانه على منابر الخطابة وفي الجمعيات والحفلات وفي مجالسه العامة والخاصة وقد ربي الناصر رجلا يحبون الاصلاح ولكنه على ارتفاع صوته وعظيم قوته المستمدة من قوة الحق لا يزال عدد من رباهم قليلا واستعدادهم ناقصا . ولا يدل ذلك على قصور لما ربي هو علامة على استفحال الداء في جسم الامة . ولما رأى الرجل زاده الله علما وهدى أن تيار الفساد يشتد اشتدادا ، وأعوان الضلال وأولياء الشيطان يزدادون ازديادا ، أدرك أن الامر يقضي بتربية فئة من المسلمين تربية علمية أخلاقية دينية عصرية ليحبل منهم سدا امام ذلك السيل الجارف الذي ينذر بأمر خطير وشر مستطير . انه أراد بتأسيسه [جمعية الدعوة والارشاد] أن يهب الاما كثرًا ثمينا لانفاذ له لتأخذ منه على الدول حاجتها من الرجال القادرين على اقامة

هذه الفريضة التي لا تقوم لها بدونها .

انه كان حقيقا بالمسلمين وقد أصبحوا على حافة الهاوية ان يشتروا حياتهم باحياء هذا المشروع . ان الحياة أغلا من ان تقوم بمال . فهل كثر على المسلمين ان يشتروا حياتهم بفسل لو قسم على كل فرد منهم ما أصاب الفرد بارة واحدة ؟ انهم بخلو بهذه التبرعات وذلك مات المشرع فانت بموته آمال عظام . انه مات صدقا ولكن ذلك لا يفزعنا فسيخلفه الله خلقا جديدا وما ذلك عليه بعزيز . نعم مات المشروع بعد ان عاش أربع سنين عيشة مضطربة ، ولكنه سيمود باذن الله تعالى على أيدي أناس آخرين جديرين باحراز غر القيام به . انه مات ولكنه في الحقيقة لم يمُت ، قد مات بشكله الذي انشأ عليه وعاد للحياة بعد تصوير في شكله الاول بقدر ما سمحت به الوسائل لصاحبه وسيبقى ما شاء الله تعالى حاكما على الامة بالضعف والاستاذ بلو الهممة والاخلاص . مات المشروع ليحيا المشروع . مات وحقيقة الامر انه حي لانه من الحق والحق لا يموت ابدا . ليكن مات في الظاهر ولكن صاحبه بفضل الله لم يمُت . ويبقى بتوفيق الله تعالى بالرغم من حسد الحاسدين سيفا مسلولا فوق رقاب الفسدين ، وحجة لله تعالى على المجرمين ،

ليس بغرضي الآن ان أعود قاعدوكم لى نصرة المشروع وقد رفضتم الدعوة من قبل وما أغتكم النذر ، وانه أدعوكم الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فانظروا ماذا أنتم صانعون . اني أطالبكم باقامة هذه الفريضة التي لا مجال فيها لتأويل ، ولا قتل وقيل ، انه في اقامة هذه الفريضة علاجكم الوحيد فلا يصح ان تتوانوا في طلبه والا قد تم حياتكم .

ان الحالة وان اشتدت وتماطلت لا يجوز ان ييأس بإشتدادها المؤمنون ، فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

نم أنكم قطعتم في سبيل الضلال شوطا بعيدا وسقطتم في مهواة الخلية والخسران سقوطا شديدا ، وصرتم أحط أهل الشرق والغرب ، وضجت من أفعالكم الارض واستغاثت السماء . وغضب الرب ، ولكن العلاج لازال ممكنا وطريق السلامة أراه مفتوحا أمنا . ولا يمزكم لا السرعة في العمل ، قبل ضياع الامل . فان نار الشهوات

والغوى التي أحرقت أجسامكم وأرواحكم تكاد تأكل ما بقي من رفق فيكم ، فاحفظوا هذا الرفق وانجوا بأنفسكم والأهلكتم كما هلك من كان قبلكم وما أنتم بمعجزين .
يوئلي انه اذا دعا المسلمين داع لا يعرفون من المقصود منهم بالكلام فكل يتحمل لنفسه الاحذار ويرى انه غير منفي بقول ولا مكلف بمعمل ، ذلك بأنه لا جملة تجمعهم ولا سائل ولا مسؤول ؛ ولكن الله يعلم رسوله وملائكته وأهل الحق يعلمون ان لا وظائف في الاسلام ولا رسوم ، فكل مسلم مخاطب بكلمة الحق مطالب بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والامة كلها متضامنة في مسؤولية الرضاء بالحالة الحاضرة ، وعلى ذلك فأنا أوجه خطابي الى الامة جميعها ، وأغني به كل فرد من أفرادها ، واقصد بنوع خاص أهل القتل والفهم الذين لهم آذان يسمعون بها وقلوب يقبهن بها ، اني أدعو هذه الامة الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وأخاطب في شخصها للمسلمين كافة صغيرهم وكبيرهم ، ذوا منهم الممم والمطربش ، الكبير والعقير ، الغني والفقير ، التاجر والصانع ، صاحب الملك والمزارع ، لطاعي والعامي ، البدوي والحضري ، العربي والمجبي ، اني اطالبكم جميعا باقامة هذه الفريضة فان أجبنم فان الله يبدكم من لدنه منفرة وأجرا عظيما وإن يرفع عنكم هذا البلاء ، ويفيض عليكم رزقا ورحمة من السماء ، وان تولوا نحسبكم ما أنتم فيه جزاء في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى

أدعوكم أيها المسلمون الى اقامة هذه الفريضة ولا أخيركم بين اجابة الدعوة ورفضها لانه ما كان لي أن أخيركم بين الصحة والاعتلال ، والهدى والضلال . ولكم فيما عدا ذلك أن تعدوا وسائل العمل بحسب ما يروق لكم . ولكن ذلك لا بمنعني أن أكرر التصح لكم بأن أقرب الطرق الى اقامتها على وجهها هو تنفيذ مشروع [الدعوة والارشاد] الذي دعوتكم الى تعضيده في رسالتي الماضية . فان كنتم في ريب منه فأتوا بمشروع خير منه أو مثله للقيام بهذا الواجب الاكبر ، وتخلص الامة من هذا الكرب العظيم ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاعلموا أن مادعاكم اليه امامكم هو الحق المبين واني لم أكن في ترديد دعوته غير ناصح أمين .

نصرنا هذه الرسالة ومقتضى النار قد ذهب الى اداء فريضة الحج فوجه اليها نظر المسلمين ونفص صاحب (الاتقاد على المنار) ص ١٩٠ ج ٣

بِوَقْفِ الْمَلِكَةِ مِنْ يَتَاهُ وَمِنْ بَوْنِ الْمَلِكَةِ قَبْلَهُ
أَتَى خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَوَّلَ الْأَبْيَابِ

المسحاة

١٣١٥

بِحُجْرٍ مُبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمُونَ الْقَوْلَ يُبَيِّنُونَ أَحْسَنَ
أَوَّلِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أَوَّلُ الْأَبْيَابِ

﴿ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : لَنْ لِالْإِسْلَامِ سِوَى وَ « مَثَرَا » كَثَارُ الطَّرِيقِ ﴾

مصر ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٤ — ٤ القرب (٢) خ ١٢٩٥ هـ ٢٧ أكتوبر ١٩١٦

فوائد شتى*)

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالحديث الصحيح

قال السندي في حواشيه على فتح القدير من كتب الخفية : الحديث حجة في نفسه ، واحتمال النسخ لا يضر قان من سمع الحديث الصحيح فعمل به وهو منسوخ فهو معذور الى ان يلفه الناسخ ، ولا يقال لمن سمع الحديث الصحيح : لا يعمل به حتى يمرضه على رأي فلان وفلان ، قائما يقال له : انظر هل هو منسوخ أم لا . أما اذا كان الحديث قد اختلف في نسخه فالعامل به في غاية العذر ، قان تطرق الاحتمال الى خطا المقتي أقوى من تطرق الاحتمال الى نسخ ما سمعه من الحديث . قال ابن عبد البر : يجب على كل من يلفه شيء أن يستعمله على محموله حتى يثبت عنده ما يخصه أو ينسخه ، وأيضا قان المنسوخ من السنة في غاية القلة حتى عده بعضهم احدا وعشرين حديثا ، واذا كان العامي يسوغ له الاخذ بقول المقتي بل يجب عليه مع احتمال خطا المقتي كيف لا يسوغ له الاخذ بالحديث اذا فهم معناه وان احتمل النسخ ، ولو كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسوغ العمل بها بعد صحتها حتى يعمل بها فلان وفلان لكان قولهم شرطا في العمل بها وهذا من أبطل الباطل ، وقد أقام الله تعالى الحجة برسوله صلى الله عليه وسلم دون آحاد الامة ولا يعرض احتمال الخطا لمن عمل بالحديث وأقوى به بعد فهمه الا وأضعاف أضعافه حاصل لمن أقوى بتقليد من لا يعلم خطؤه من صوابه ويجري عليه التناقض والاختلال ويقول القول ويرجع عنه ويحكي عنه في المسألة عدة أقوال

وهذا كله فيمن له نوع أهلية أما اذا لم يكن له أهلية ففرضه ما قال الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) واذا جاز اعتماد المستقي على ما يكتبه له المقتي من كلامه أو كلام شيخه وان علا فلان يجوز اعتماد الرجل على ما يكتبه الثقات من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالجواز ولو قدر أنه لم يفهم

(*) من جمع الشيخ أحمد شاكر بن الشيخ محمد شاكر والمحواشي والتاوين من وضع صالح رضا

[المآثر: ج ٥ ١٩٠م] الفقه والاجتهاد. السؤال عما لم يقع. حديث ان الله اخ ٢٣٧

الحديث فكما لو لم يفهم فتوى المفتي يسأل من يعرفها فكذلك الحديث . انتهى
كلام السندي ملخصا وقد أطال من هذا النفس العالي رحمه الله تعالى ورضي عنه
الفقه في الدين والاجتهاد

قال الامام يحيى الدين ابن دقيق العيد من أئمة الشافعية في خطبة [شرح
الامام] كما نقله عنه السبكي في طبقاته في ترجمته : ان الفقه في الدين منزلة لا ينبغي
شرفها وهلاها ، ولا تحجب عن العقول طوائفها وأضواها ؛ وأرفعها بعد فهم كتاب
الله المنزل ، البحث عن معاني حديث فيه المرسل ، اذ بذلك تثبت القواعد ويستقر
الاساس ، وعنه يقوم الاجماع ويصدر القياس ، لكن شرط ذلك عندنا أن يحفظ
هذا النظام ، ويجعل الرأي هو المأموم والنص هو الامام ، وترد المذاهب اليه ،
وترد الآراء المنتشرة حتى تقف بين يديه ، واما ان يجعل الفرع أصلا ويرد النص
اليه بالتكلف والتعجيل ، ويحمل على أبعد المحامل بلطافة الوم وسعة التخييل ،
ويرتكب في تقرير الآراء الصعب والقلول ، ويمتثل من التأويلات ما تنفر منه
النفس واستنكره العقول ، فذلك عندنا من أردأ مذاهب أو سوء طريقة ، ولا نتقدم
أنه يحصل معه النصيحة للدين على الحقيقة ، وكيف يقع أمر مع رجحان منافيه ؟
وأتى يصح الوزن بميزان مال أحد الجانبين فيه ؟ ومتى ينصف حاكم ملكته غلبة
" صبية ، وأين يقع الحق من خاطر أخذه العزة بالحية الخ (الفتوى في الاسلام
- بقية ٤٤)

السؤال عما لم يقع

قال الحافظ البيهقي : وقد كره بعض السلف للعوام المسألة عما لم يكن ولم يرض
به كتاب ولا سنة ، وكرهوا للمسؤول الاجتهاد فيه قبل ان يقع لان الاجتهاد انما
أبجج للا ، ولا ضرورة قبل الواقعة وقد يتغير اجتهاده عند الواقعة فلا ينبغي
ما مضى من الاجتهاد ، واحتج في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم « من
حسن اسلام المرء تركه ما لا ينبغي » انتهى (الفتوى في الاسلام صحيفة ٤٥)
معنى حديث ان الله خلق آدم على صورته

مثل أحمد بن عطاء أبو عبد الله الروزبادي المتوفى سنة ٣٦٩ قال الحافظ ابن

عساكر وفي مروياته أحاديث وم فيها وغلط غلطاً قاحشاً من قول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق آدم على صورته » قال : ان الله جل ثناؤه خلق تطلق مرتبة بعد مرتبة ونقله من حال الى حال كما قال (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين » ثم جعلناه نطفة في قرار مكين — الى قوله — فبارك الله أحسن الخالقين) وخلق آدم ليس على هذه الاحوال وإنما خلق صورته كما هي ثم نفخ فيه من روحه فلاجله قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته اه (مختصر تاريخ ابن عساكر جزء ١ ص ٣٩٤)

نشوء علم الفلسفة

قال الامام الذهبي في تذكرة الحفاظ في آخر الكلام على الطبقة السادسة من طبقاتهم : وكان في زمان هؤلاء خلائق من أئمة الحديث ومن أئمة المحدثين كورش واليزيدي والكسائي واسماعيل بن عبيد الله المكي القسط ، وخلق من الفقهاء كقبة العراق محمد بن الحسن وقبة مصر عبد الرحمن بن القاسم ، وخلق من مشايخ القوم كشقيب البلخي وصالح المري الراضي والفضيل والذوق لمرور الرشيد والبرامكة ثم بعدم اضطربت الامور وضعف أمر الدولة بخلافة الامين رحمه الله فلما قتل واستخلف المأمون على رأس المائتين نجم التشيع وأبدى صفحته وبرز فجر الكلام وعربت حكمة الارائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين قد كانت الامة منه في عافية ، وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة وحل المأمون للمسلمين على القول بخلق القرآن ودعاهم اليه فامتنع العلماء فلا حول ولا قوة الا بالله ، ان من البلاء أن تعرف ما كنت تنكر وتكر ما كنت تعرف ، وتقدم عقول الفلاسفة ويعزل منقول اتباع الرسل ، ويمارى في القرآن ويتبهم بالسنن والآثار وتقع في الحيرة ، فالفرار الفرار قبل حلول الدمار واياك ومضلات الاهواء ومجاراة العقول ومن يتعمم بالله قد هدى الى صراط مستقيم (تذكرة الحفاظ جزء ١ ص ٣٠٠)

كتاب المذهب للذهبي

وجدت بدار الكتب المصرية كتاب [المذهب] للذهبي بخطه وعلى ظهر المجلد

الاول مانصه بخطه رحمه الله تعالى « المجلد الاول من كتاب المذهب في اختصار السنن الكبير تأليف الامام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي رحمه الله تعالى اختصار كتابه محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي فخر الله له، ونحت ذلك بخطه رضي الله عنه أيضا مانصه

« قال ابن الذهبي : لم أختصر من أحاديث الكتاب شيئا بل اختصرت الاسانيد فان بها طال الكتاب ، وبقيت من السند ما يعرف به مخرج الحديث وما حذف من السند الا ما قد صح الى المذكور فاما متونه فأقيمت بها الألفي مواضع قليلة جدا من المكرر قد أحذفها اذا قرُب الباب من الباب وآتى ببعض المتن وقد تكلمت على كثير من الاسانيد بحسب اجتهادي والله الموفق، وقد رمزت على الحديث بمن خرج من الائمة الستة [خ م د ت س ق] ولم أتم هذا فان فسح الله في الاجل طالمت عليه الاطراف لشيخنا أبي الحجاج الحافظ ان شاء الله تعالى، وهذا أمر بين هين كل من هو محدث فانه يقدر على رمز أحاديث الكتاب من الاطراف وما خرج عن الكتب الستة قد ينت لك اسانده و يخرجها فكشف عليه ان شئت من كتب الجرح والتعديل، فالرجال ثلاثة اما موثق مقبول واما مضعف غير حجة واما مجهول، لكن كل قسم من الثلاثة على مراتب في القوة واللين والجهالة، انتهى . والنسخة فنية جدا كلها بخطه خمسة مجلدات تنقص الثاني والموجود منها أربعة وفق الله لنا من يطبعه وينشره آمين

كتاب الجمع بين الصحيحين

وجدت بدار كتب رواق الاروام بالازهر جزء من الجمع بين الصحيحين للحبيدي وهو السادس وقد أحبت قل خاتمته لما فيها من النفائس قال رحمه الله تعالى : —

« تم جميع الكتاب بحمد الله وعونه ، نسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه انه ولي التوفيق وهو على كل شيء قدير وهو حسي ونعم الوكيل » ثم قال عقب ذلك

« وهذه الاصول تتصل بآخر ما في الصحيحين من مسند الصحابة رضي الله عنهم

وهو آخر ما قصدنا اليه من الجمع بين الصحيحين وتميز ما اتفقا عليه من التوثيق
المرجحة فيها وما انفرد به أحدهما منها مستقصى على شرطنا مرتين على ما بدأنا به
دِينَاهُ مع الاختصار المعين على سرعة الحفظ والتذكُّر، ولم يبق للباحث المجتهد الا
النظر فيها والتفقه في معانيها ومراعاة حفظها وإقامة الحجة بها، فإلى هذا قصد المتقدمون
من أئمة الدين في حفظ اسنادها للتأخيرين لتكون حاكمة بين المختلفين وشواهد
صدق المتأخرين رضي الله عنهم أجمعين ووفق التابعين لهم بإحسان الى يوم
الدين . فأما اسنادنا في هذين الكتابين فقد روينا كتاب الامام أبي عبد الله
البخاري بالمغرب عن غير واحد من شيوخنا بأسانيد مختلفة تصل بأبي عبد الله محمد
ابن يوسف بن مطر الفربري عن البخاري، ثم قرأته بمكة أعزها الله على المرأة الصالحة
كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزي غير مرة لعل اسنادها فيه كأنا قرأناه
على أبي ذر عبد بن أحمد المروزي عن أبي الهيثم بن المكي بن محمد بن زُرَّاع
الكشيبني عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن شبيب بن
ابراهيم الفربري عن أبي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري رحمه الله عليه وأما كتاب
الامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فسمعناه بالنسقاط قراءة على الشيخ
الصالح أبي عبد الله محمد بن الفرج بن عبد الولي الانصاري وهو روايته عن أبي العباس
أحمد بن الحسن الحافظ الرازي سمعه منه بمكة سنة ست وأربعمائة قال : ثنا أبو
أحمد محمد بن عيسى بن عمرو بن منصور الجلودي قال : أنا الفقيه أبو اسحق
ابراهيم ابن محمد بن سفيان النيسابوري قال : سمعته من الامام أبي الحسين مسلم بن
الحجاج النيسابوري رضي الله عنه

فصل

« وقد استشرف بعض الطالبين الى معرفة الاسباب الموجبة للاختلاف بين
الأئمة الماضين رضي الله عنهم أجمعين مع اجماعهم على الاصل المتفق المسنين حتى
احتسب الى تكلف التصحيح في طلب الصحيح وقرئت على هذا الطالب معرفة
بعض المدر في اختلاف المتأخرين لبعدهم عن المشاهدة وأما تعذر عليه معرفة الوجه

في اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم مع مشاهدتهم نزول التنزيل وأحكام الرسول صلى الله عليه وسلم وحرصهم على الحضور لديه والكون بين يديه والاختذ عنه والاتباس منه ، وهذا الذي وقع لهذا الطالب الباحث قد وقع لمن قبله انطوض فيه والبحث عنه ، وخرج في هذا المعنى بمض الأئمة من علماء الامة فصلا رأينا اثباته هنا (كذا) ^(١) هذا الشبه عن هذا الطالب الباحث وعن غيره ممن يخفى ذلك عليه ويتطلع الى معرفة الوجه فيه وبهذا الفصل يتصور (كذا) لك كل ^(٢) صورة وقوع ذلك منهم وكيفية اتفاهه لهم ، حتى كأنه شاهده معهم

وهذا أول الفصل المخرج في ذلك أوردناه بلفظ مصنفه رحمة الله عليه : « قال لنا الفقيه الحافظ أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد البزدي الفارسي رضي الله عنه في بيان أصل الاختلاف الشرعي وأسبابه »
سبب القول والفتيا بما يخالف القرآن أو السنة

« طلعت النفس بعد تيقنها أن الأصل المتفق عليه المرجوع اليه أصل واحد لا يختلف وهو ما جاء عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم أما في القرآن وأما من فضله أو قوله الذي لا ينطق عن الهوى فيه لما رأت وشاهدت من اختلاف علماء الامة في ماسيله واحدة وأصله غير مختلف فبحثت عن السبب الموجب للاختلاف ولترك من ترك كثيرا مما صح من السنن فوضع لها بعد التفتيش والبحث أن كل واحد من العلماء ينسب كما ينسب البشر ، وقد يحفظ الرجل الحديث ولا يحضره ذكره حتى يقضي بخلافه وقد يعرض هذا في آي القرآن

« ألا ترى أن عمر رضي الله عنه أمر على المنبر ألا يزداد في مهور النساء على عدد ذكره ميلا الى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزد على ذلك العدد في مهور نساؤه حتى ذكرته امرأة من جانب المسجد بقول الله عز وجل (وآيتهم احداهن قطارا) فترك قوله وقال : كل أحد أعلم منك حتى النساء . وفي رواية أخرى : امرأة أصابت ورجل أخطأ . علما منه رضي الله عنه بأن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كاد لم يزد

(١) ربما سقط من الأصل كلمة هي « لازالة » أو ما ي معناها وإن « هذا » عرفت عن « هذه »
(٢) لعل كلمة « كل » زائدة من النسخ

في مهور النساء فإنه لم يجمع مما سواه والآية أعم، وكذلك أمر رضي الله عنه برجم امرأة ولدت لستة أشهر فذكره عليّ قول الله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) مع قوله تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) فرجم عن الأمر برجمها وهم أن يسعلو بمينة بن حصن اذ جفا عليه حتى ذكره الحر بن قيس بقول الله عز وجل (وأعرض عن الجاهلين) فأمسك عمر . وقال رضي الله عنه يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله مامات رسول الله ولا يموت حتى يكون آخرنا حتى قرئت عليه (انك ميت وانهم ميتون) فرجم عن ذلك ، وقد كان علم الآية ولكنه نسبها لعظيم الخطب الوارد عليه فهذا وجه عمدته ^(١) (كذا) الخلف للآية أو السنة بنسيان لا يقصد

« وقد يذكر العامل الآية أو السنة لكن يتأول فيها تأويلا من خصوص أو نسخ أو معنى ماء وان كان كل ذلك يحتاج الى دليل ولا شك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا بالمدينة حوله عليه السلام مجتمعين ، وكانوا ذوي معاش يطلبونها وفي ضناك من القوت فن متحرف في الاسواق ومن قائم على نخله وبمحضره عليه السلام في كل وقت منهم طائفة اذا وجدوا أدنى فراغ مما هم بسبيله ، وقد نص على ذلك أبو هريرة رضي الله عنه فقال : ان اخواني من المهاجرين كلهم يشغلهم الصفق بالاسواق وان اخواني من الانصار كان يشغلهم القيام على نخلهم وكنت أمرا مسكينا أصعب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مل بطني . وقد قال عمر رضي الله عنه : ألهائي الصفق بالاسواق في حديث استئذان أبي موسى ، فكان عليه السلام يسأل عن المسئلة ويحكم بالحكم ويأمر بالشئ ويفعل الشئ فيحفظه من حضره ويبسب عن من غاب عنه فلما مات عليه السلام وولي أبو بكر رضي الله عنه كان اذا نجأت القضية ايس عنده فيها نص سأل من بحضورته من الصحابة فيها فان وجد هندهم نصا رجع الله والا اجتهد في الحكم فيها ، ووجه اجتاده واجتهاد غيره منهم رضي الله عنهم رجوع الى نص عام أو الى أصل اباحة متقدمة أو الى نوع من هذا يرجع الى أصل ، ولا يجوز أن يظن أحد أن اجتهد أحد منهم هو أن يشرع شرية

باجتهاده أو يتخرج حكما لأصله، حاشي لهم من ذلك، فلما ولي عمر رضي الله عنه فتحت
الامصار وتفرق الصحابة في الاقطار فكانت الحكومة تنزل بمكة أو بغيرها من البلاد
فان كان عند الصحابة الحاضرين لها نص حكم به والا اجتهدوا في ذاك - وقد يكون
في تلك القضية نص موجود عند صاحب آخر في بلد آخر - وقد حضر المدني ما لم
يحضر المصري وحضر المصري ما لم يحضر الشامي وحضر الشامي ما لم يحضر
البصري وحضر البصري ما لم يحضر الكوفي وحضر الكوفي ما لم يحضر المدني

كل هذا موجود في الآثار وتقتضيه الحالة التي ذكرنا من مفيب بعضهم عن
مجلسه عليه السلام في بعض الاوقات وحضور غيره ثم مفيب الذي حضر وحضور
الذي غاب فيدري كل واحد منهم ما حضره ويفوته ما غاب عنه، وقد كان علم
التييم عند عمار وغيره وغاب عن عمر وابن مسعود حتى قالوا: لا يقيم الجنب ولو
لم يجد الماء^١، وبين^٢، وكان حكم المسح على الخفين عند علي وحذيفة ولم تعلمه
عائشة^٣ ابن عمر ولا أبو هريرة على أنهم مدنيون، وكان توريث بنت الابن مع
البنات عند ابن مسعود وغاب عن أبي موسى، وكان حكم الاستئذان عند أبي
موسى وأبي^٤ وغاب عن عمر، وكان حكم الاذن للحائض في أن تنفر قبل أن
تطوف عند ابن عباس وأم سلمة ولم يعلمه عمر وزيد بن ثابت، وكان حكم تحريم
المثمة والجر الاهلية عند علي وغيره ولم يعلمه ابن عباس، وكان حكم الصرف عند
عمر وأبي سعيد وغيرهما وغاب ذلك عن طلحة وابن عباس وابن عمر؛ وكذلك حكم
اجلاء أهل الذمة من بلاد العرب كان عند ابن عباس وعمر فنتسبه عمر سنين
فتركهم حتى ذكر بذلك فذكره فأجلاهم. ومثل هذا كثير. ففنى الصحابة رضي الله
عنهم على هذا

ثم خلف بعدهم التابعون الآخذون عنهم وكل طبقة من التابعين في البلاد التي
ذكرنا فاتهما تقهوا مع من كان عندهم من الصحابة فكانوا لا يتعدون فتاويهم، لا
تقليدا لهم، ولكن لانهم أخذوا ورووا عنهم، الا اليسير مما بلغهم عن غير من كان في
بلادهم من الصحابة رضي الله عنهم، كاتباع أهل المدينة في الأكثر فتاوى ابن عمر،
واتباع أهل مكة فتاوى ابن عباس، واتباع أهل الكوفة في الأكثر فتاوى ابن مسعود،
(المجلد التاسع عشر) (٣٥) (المنازل : ج ٥)

ثم آتى من بعد التابعين قهء الامصار كأبي حنيفة وسفيان وابن أبي ليلى بالكوفة وابن جريج بمكة ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعثمان اليتي وسوار بالبصرة والاوزاعي بالشام واليث بمصر فجروا على تلك الطريقة من أخذ كل واحد عن التابعين من أهل بلده وتأبوم عن الصحابة رضوان الله عليهم في ما كان عندهم وفي اجتهدهم فيها ليس عندهم وهو موجود عند غيرهم ولا يكلف الله نفسا الا وسعها. وكل من ذكرنا مأجور على ما أصاب فيه أجرين ومأجور فيما خفي عليه ولم يبلغه أجرا واحدا. قال الله تعالى (لا نذكركم به ومن بلغ)

وقد يبلغ الرجل من ذكرنا نسان ظاهرها التعارض فيميل الى أحدهما بضرب من الترجيحات ويميل غيره الى النص الذي ترك الآخر بضرب من الترجيحات أيضا كما روي عن عثمان في الجمع بين الاختين: أحلتها آية وحرمتها آية. وكما مال ابن عمر الى تحريم نساء أهل الكتاب جملة بقوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) وقال: لا أعلم شركا أعظم من قول المرأة ان عيسى ربها. وغلب ذلك على الإباحة المنصوصة في الآية الأخرى ، ومثل هذا كثير

فعلى هذه الوجوه ترك بعض العلماء ما تركوا من الحديث ومن الآيات، وعلى هذه الوجوه خالفهم نظراؤهم فأخذ هؤلاء ما ترك أولئك وأخذ أولئك ما ترك هؤلاء ، لا قصدا الى خلاف النصوص ولا تركا لطاعتها كذا، ولكن لأحد الاعذار التي ذكرنا - إيمان نسيان وأما أنها لم تبلغهم وأما لتأويل ما وأما لاخذ بخبر ضعيف لم يعلم الآخذ به ضعف رواته وعلمه غيره فأخذ بخبر آخر أصبح منه أو بظاهر آية وقد يشبه بعضهم في النصوص الواردة الى معنى ويلوح له حكم بدليل ما وينيب كذا غيره . ثم كثرت الرّحل الى الآفاق وتداخل الناس واتحدت أقوام لجمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم وضمه وتقيده ، ووصل من البلاد البعيدة الى من لم يكن عنده وقامت الحجة على من بلغه شيء منه ، وجمعت الاحاديث المينة لصحة أحد التأويلات المتأولة في الحديث ، وعرف الصحيح من السقيم ، وزيف الاجتهاد المؤدي الى خلاف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ترك عمله ، وسقط المنذر عن خالف ما بلغه من السنن يلوغها اليه ، وقيام

الحجة بها عليه، فلم يبق الا العناد والتقليد
وعلى هذه الطريقة كان الصحابة رضوان الله عليهم وكثير من التابعين يرحلون
في طلب الحديث الايام الكثيرة طالبا للسنن والتزاما لها، وقد رحل أبو أيوب من
المدينة الى مصر في طلب حديث واحد الى عتبة بن عامر، وقد رحل علقمة والاسود
الى عائشة وعمر، ورحل علقمة الى أبي الدرداء بالشام، وكب معاوية الى القبرة
اكتب الي بما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومثل هذا كثير.

(قال أبو عبد الله) قد بينا والحمد لله وجه من ترك بعض الحديث والسبب
الموجب للاختلاف وشفيتا النفس مما اعترض فيها ورفقنا الاشكال عنها والله عز
وجل للمعين على البحث والمهدي الى الرشدين

وبهذا البيان الذي كشف به هذا الامام في هذا الفصل صورة الحال في أسباب
الاختلاف الواقع بين الصحابة فن دونهم صح للأئمة المتقدمين رضي الله عنهم
أجمعين وجوب طلب التصحيح للتصحيح الواردة في شرائع الدين، لتقوم الحجة بما
صح منها على المختلفين، وقد قام الكل منهم في ذلك بما قدر عليه، وانهت
استطاعته اليه، الى أن انفرد بالمرزية في الاجتهاد والرحلة الى البلاد، في جمع هذا
النوع من الاسناد، بعد التبع والانتقاء الامامان أبو عبد الله البخاري وأبو الحسين
مسلم بن الحجاج النيسابوري رضي الله عنهما، فآذا قصب السبق فيه في وقتهما وفقرط
عنايتهما وبلوغهما غاية السعي والتشهير فيه قويت ههنا في الاقدام على تسمية
كتايبهما بالصحيح، وعلم الله عز وجل صدق نيتهما فيه ومشقة قيامهما به وحسن
انتقادهما له، فبارك لها فيه ورزقهما القبول شرقا وغربا، وصرف القلوب الى التحويل
عليهما والتفضيل لهما، والانتقاء في شروط الصحيح بهما، وتلك عادة الله فيمن أحبه
أن يضع له القبول في الارض كما جاء في الخبر الصادق عن المبعوث الحق صلى الله
عليه وسلم، فبينما هما، ولما اهدى في ذلك بهداهما، والواجب علينا وعلى من فهم
الاسلام، وعرف قدر ما حفظا من الشرائع والاحكام، أن يخلص الدعاء^(١) لهما،
ولسائر الأئمة الناطقين اليهما والينا قواعد هذا الدين، وشواهد احكام المسلمين. ونحن

نبتل الى الله تعالى في تمجيد الغفران لها ولهم ، وتجديد الرحمة والرضوان عليهما وعليهم ، وأن يوتى الكل منهم في أعلى درجات الكرامات ، من غرفات الجنات ، وأن يوفقنا أجمعين للاقتداء بهم ، والسلوك في سبيلهم ، والدعاء اليه والى رسوله ، والالتقاد لأحكام تزييله ، والتفقه في دينه ، والاخلاص في عبادته ، والاقطاع اليه ، وصدق التوكل عليه ، حتى يتوفانا مسلمين مسلمين ، غير مبديلين ولا متغيرين ، وأن يغفر لنا ولا بائنا ولجميع المسلمين .

ثم الجزء السادس وبهامة تم الكتاب . والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه . وافق الفراغ من نسخة خمس ليال بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وثمانائة

فَتَاوَى الْمُنَارِ

فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ولشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لئلا نل هذا ، ولن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(س ١ - ٧) من صاحب الامضاء باني زجبل (من التلويحية)

استاذي الفاضل الشيخ محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله أما بعد فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو وقد علمنا وعلم الناس انكم حفظكم الله خليفة الاستاذ الامام في القيام بأمر الدين الخالص ودحض الباطل عنه ، فان العلم الدليل ، وليس العلم بالكلم الطويل ، وقد طوحتني

المقادير الى بلدة ألن بلاد الله تربة، يسكنها قوم أحلامهم دقائق، ودينهم غفاق، يأخذون من العلم القشور، ومن الأخبار الموضوعة ومن العقائد الخرافية، فهم أشباه الرجال ولا رجال، يكفرون من قال بلعراج بالروح، ومن أنكر وجود الجنة والنار، ومن نفى رؤية الإله في الآخرة، ومن منع رجوع الشمس بعد مغيبها عند إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بقدوم العير، وعدم مجيء بيت المقدس بين يديه (ص) وعدم وجود الزناة وأكلة الربا بين مكة وبيت المقدس ورؤية النبي (ص) لهم ليلة الاسراء كل ذلك لحجج عنده من أن هذه عقائد لا تثبت الا بالقطع، وبعض هذه الاشياء لم يجهد (كذا) فيه دليل أصلا، وبعضها قام عليه دليل غير يقيني مع قيام دليل العقل على خلافه، ولما كنتم بلك الله فيكم أوقفتم أنفسكم على تحقيق مثل هذه المسائل فمما للامة وخدمة للدين وقد شاهدنا غزاة طبعكم وسعة فكم وكثرة اطلاعكم ورسوخ ملكتكم العلمية التي قل ان توجد لاحد من معاصريكم - رجوت أن تكشف لي ببيت أبدا (؟) عن غطاء هذه المسائل وترجعها الى أصولها وتبرزها في صورتها الحقيقية غير مشوبة بمخرافات المحرفين، بأدلتها من العقل أو الكتاب أو السنة الثابتة أو المشهورة كما هو شأنكم في جميع المسائل، لازلت ينتفع به الاسلام والمسلمون

نحريرا في يوم الثلاثاء ٥ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ
 كاتبه

والدكم محمد طهوب

[المنار] يؤخذ من هذا الكتاب بضع مسائل ينبغي بيان الحق فيها، وما نحن أولاء نتكلم عليها واضعين لكل واحدة منها عنوانا

١٠ - تكفير المسلم بما لم يصح عنده من مسائل الدين ﴿

قد اعتاد الناس المرأة على التكفير بغير علم حتى ان بعض المؤلفين في الفقه توسعوا في المكفرات فزادوا الناس جرأة على تكفير من يخالف مذاهبهم وتقاليدهم وان لم تكن من الدين في شيء. وقد بينا من قبل أن الاصل في ارتداد المسلم عن دينه هو جرده أو تكذيبه شيئا أو شكه في حضية شيء يعلم أن النبي (ص) جاء به من أمر الدين، اذ يكون بذلك غير مؤمن بما جاء به الرسول (ص) ولما كان الجهل في

دار الاسلام غير عند جبل الملأ. أمور الدين قسین [أحدهما] ما لا يضر أحد في دار الاسلام بجهله وإن كان عاميا وهو المجمع عليه المصلح من أمر الدين بالضرورة كغرضية الصلاة والزكاة والحج وكحريم الفواحش ماظهر منها وما بطن كالقتل والزنا وشرب الخمر والسرقة والكذب والخيانة . فمن جحد من هذا القسم شيئا كفر وعد مرتدا عن دين الاسلام . وإنما يندرج في بعض هذه المسائل من كان قريب عهد بالاسلام لم يعرفه من الزمن بعد اسلامه ما يكفي لوقوفه على ذلك ومن نشأ بعيدا عن دار الاسلام كشاهق جبل (كما يقولون)

[الثاني] ما شأنه أن لا يعرفه الا المشتغلون بعلم الدين من فروع المسائل وأصول الاحكام وأدلتها ، فهؤلاء الملأ يؤخذون بحسب علمهم ، فمن جحد منهم شيئا من الدين يعلم أنه ثبت في كتاب الله أو سنة رسوله أو أجمع عليه الصحابة ولم يكن متأولا في جحدته كان بذلك مرتدا كما هو ظاهر

واما من جحد أو أنكر شيئا مختلفا في أصله أو دليله أو في دلالته ذلك الدليل عليه لانه لم يصح عنده أو لما رآه أو جحد منه بضرب من التأويل فلا يعد مرتدا بذلك ، ولكنه اذا اتى به التأويل الى مخالفة جماعة السلف الصالح من أهل الصدر الاول عد مبتدعا وإن كان موحدا مقبلا لاركان الاسلام

ولم يكفر أهل السنة من أنكر خبر المراج ولا من قال إنه كان الروح فقط بل قال بذلك بعض أهل السنة ولا من قال إن الجنة والنار لم يخلقتا بعد وإنما يخلقان يوم القيامة ، ولا من قال ان المؤمنين لا يرون ربهم في الجنة ، فقد قال بذلك جمهور من الجهمية والمعتزلة ولم يكفرهم علماء السلف به كما ترونه في أشهر كتب العقائد التي تدرس في الأزهر وغيره من المدارس الاسلامية في جميع الاقطار

وإذا كان لا يكفرون من ينكر أصل المراج الا اذا انكر الابهاء المتصور في القرآن ولا يكفرون من ينكر رؤية الباري تعالى في الآخرة المصرح بها في الاحاديث المتفق عليها فكيف يكفرون من ينكر رجوع الشمس ليلي (ص) بعد غروبها والحديث فيه غير صحيح أو ينكر بحمى بيت المقدس الى الحجاز وكون المؤمنين الذين آمن النبي (ص) يمدون كانوا موجودين بإجادم بين مكة وبيت

المقدس ولا نص على هذا في كتاب ولا سنة وما عهدنا احدا من علماء المسلمين
بمجهله من عقائد الدين ، وصبرى معنى ذلك في المسائل الآتية

﴿٢﴾ - المراج روحي أم جسدي

قد فصلنا القول في مسألة المراج في المجلد الرابع عشر من المنار فبراج في
ص ٦٦٤ و ٧٣٢ منه وفيه ان عمدة من قال ان المراج كان في المنام حديث شريك
عند البخاري

﴿٣﴾ - رؤية النبي (ص) بيت المقدس

ان رؤية النبي (ص) لبيت المقدس ووصفه اياه للمشركين وهو بمكة ليس
معناه ان بيت المقدس انتقل الى مكة وانما معناه أنه مثل له كما مثل له الجنة في
عرض الحائط ولفظ الحديث في ذلك كما ورد في حديث جابر في الصحيحين أنه سمع
رسول الله (ص) يقول «لما كذبني قريش قبت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس
فطلعت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه» هذا نص حديث الشيخين ومعنى جلاء
أظهره ، وقال بعض العلماء : معناه كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته . قال الحافظ
في الفتح : ووقع في حديث أم هانئ عند ابن سعد «فجلى لي بيت المقدس»^(١) فطلعت
أخبرهم عن آياته ، فان لم يكن مغيرا من قوله «فجلى» وكان ثابتا احتمل أن يكون
المراد انه مثل قريبا منه كما قدم نظيره في حديث «أريت الجنة والنار» وتأول قوله
«جيء بالمسجد»^(٢) أي جيء بمثاله - والله أعلم . ووقع في حديث شداد بن أوس
ما يؤيد الاحتمال الاول ، فيه «ثم مررت بمبصر لقريش» - فذكر القصة -
ثم أتيت أصعابني قبل الصبح فأتاني أبو بكر فقال : أين كنت الليلة ؟ فقال «إني
أتيت بيت المقدس» فقال انه مسبرة شهر فضنه لي ، قال «فتفتح لي صراط كأني
أنظر اليه لا يسألني عن شيء الا أنبأته عنه» اه المراد من عبارة الفتح . وأما لفظ
حديث أم سلمة عند مسلم «فرجع الله لي بيت المقدس أنظر اليه» فيتفق مع

(١) خيل اليه بمعنى مثل له أي رأى خياله ومثاله . وفي رواية لها عند ابن أبي عساکر
«فأنام جبريل فصوره له في جناحه» (٢) أي في حديث ابن عباس الذي ذكره قبل ذلك
وهو عند أحمد والنسائي والبيهقي وفيه انه جيء بالمسجد حتى وضع دون دار عقيل

ما تقدم بمعنى انه رفع اليه مثاله ، وقد غفل من زعم أن بيت المقدس قتل من مكانه الى مكة عما يترتب على ذلك من استحالة وجوده عند دار عقيل كما ورد في رواية ابن عباس لان وضع الجسم الكبير في المكان الصغير الذي لا يبلغ عشره محال ، ومن كون وجوده بمكة يستلزم أن يراه جميع الناس ولو وقع ذلك لتواتر ، ومن كون قله يستلزم علم جميع أهله ومن حولهم به ولو وقع ذلك لتواتر قله عنهم . وقد غفل من مال الى ترجيح ذلك اللفظ على ما هو أصح منه وأقرب الى المقول عن كل ذلك واكتفى بأن هذا أبلغ في المعجزة وأن الله قادر عليه ، وهو لم يكن مما وقع به من التحدي ولا ترتب عليه إيمان أحد . فهل يطل الله تعالى سنته في الكون عبثاً ؟ وهذا التوجيه يحتاج اليه في رؤية بيت المقدس من اعتماد قول الجمهور ان الاسراء فقط أو الاسراء والمعراج مما كانا في حال اليقظة بالروح والجسد كمن قال ان ذلك رؤيا منامية أو مشاهدة روحية وقعت حال اليقظة ، لأن سؤال قريش النبي (ص) أن يصف لهم بيت المقدس إنما كان في اليقظة قطعاً بغير خلاف

٤ - رؤية النبي (ص) المذنبين يعذبون ﴿

إذا كانت رؤية النبي لبيت المقدس من قبيل الكشف الذي يحصل بأدراك النفس لشيء بغير واسطة العينين أو بجعل الله تعالى مثال ذلك أمام العينين فالظاهر ان رؤية من رآهم يعذبون بذنوبهم من قبيل رؤية المثال بالاولى ، لان بيت المقدس من عالم الشهادة وعذاب المذنبين بما روي في الحديث من عالم الغيب ليس له مكان في الدنيا يشاهد بين مكة وبيت المقدس . وكل ذلك من آيات الله التي أراه اياها في ليلة الاسراء . ومن هذا القبيل رؤيته الجنة والنار وهو يخاطب كما روي في الصحيحين . وتبيره عن ذلك في بعض الروايات بأنهما مثلاً له في الجدار . وقد وصفت الجنة في القرآن بقوله تعالى (كمرض السموات والارض) فهل تجتمع هي والنار في جدار المسجد ؟ وورد أن من أولئك المعذبين من تتأقل رؤوسهم عن أداء الصلوات — والصلاة لم تكن شرعت — فقد تمثل له (ص) عذابهم قبل وقوعه بالنسبة الى أمته

ان رؤية البشر الروحية لبعض الموجودات الغائبة عن أبصارهم قد ثبتت بالتجارب الكثيرة في جميع الاقطار ، ومنها ما ثبت للدكتور شبلي شميل من علماء العصر الماديين ، وقد ذكرنا في بعض مجلدات المنار خبره مع المريض الذي كان يعالجه ويسمع منه الاخبار الكثيرة مما يدركه بنفسه غائبا عن حسه كإخباره عن قريب له في الاسكندرية بأنه سافر منها الى القاهرة في القطار الذي يتحرك من الاسكندرية في ساعة كذا ثم إخباره بوصوله الى محطة القاهرة وركوبه العربة منها قاصدا دار المريض ثم بوصوله الى باب الدار ، وكان الامر كما قال

وأذكر كما وقع لي من ذلك في الصغر أنني هربت مرة من الكتاب واختبأت في بستان لجدي أم والدني وكنا نحن مصطافين في بستان لنا يبعد عن هذا البستان مسافة زهاء ربع ساعة وكانت جدي في بستاننا فتمثلت لي خارجة منه حتى كأنني أنظر اليها متتبعاً خطواتها من أول الطريق الى آخره حتى إنني ناديتها عند ما وصلت الى مدخل بستانها وقبل أن تدخله ويقع بصري عليها فأجابني وكنت أعتقد أنها تحمل الي ما يطيب لي أكله فكان كذلك . ومثل هذا كثير

ولكن ما يقع للانبياء من ذلك فوق ما يقع لبعض البشر كذلك المريض وبعض الصوفية وأكمل منه لانه يشمل عالم الغيب وما لا يصل اليه غيرهم من عالم الشهادة ﴿ ٥ - رجوع الشمس بعد غروبها أو وقوفها للنبي (ص) ﴾

يرى السائل تفصيل القول في هذه المسألة في ص ٧٠ من مجلد المنار التاسع وحسبك منه قولنا هناك « ان مسألة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم قد وردت في رواية ضعيفة من أحاديث المعراج ، ووردت في رواية أقوى منها في مناقب علي كرم الله وجهه . وهذه الرواية وثقها الطحاوي في [مشكل الآثار] وتبعه القاضي عياض في الشفاء وقد تكلم فيها بعض الحفاظ بل أوردوها ابن الجوزي في الموضوعات وتعقبه في اللائحة » فإن شئت الزيادة وما قيل في الطعن في الرواية فأرجع الى المجلد التاسع أو الى الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعات للإمام الشوكاني

﴿ ٦ - وجود الجنة والنار ﴾

ظواهر نصوص الكتاب العزيز والاحاديث الصحيحة المتفق عليها تدل على (المنار : ج ٥) (٣٦) (المجلد التاسع عشر)

أن الآنة والآار آارى الآزاء للآرار والفآار آا آلمان آلآوقان ، وآا نرى آا آمارض آهآ الفآاآار من الآلائ العقية وآالآقلىة ، آان آان لآى الآائل آا آمارض آلك فىلآآره لآالآن رآنا فىآ

٧ - رؤية البارى سآآانه وآعالى فى الآآرة

إن من أصول العقائآ القعآية المعلومة من الآىن بالآرورة أن فىآ الآآرة آسان رواقى وآآآانى لأن البشر لا آقلب آقآآآهم فى الآآرة بل فىآون بشرآ أوى أرواح وأآآاآ ولكن الرواقآة آكون آى الفالآة على أهل الآنة ، فىآون النعم الرواقآى عآآم آعلى من النعم الآآآانى. ومن الآابآ بالآآبار والآآارب أن العلماء الراسآن والآآآاء الرانآن والفلاآفة الماآبون^(١) والرؤساء السآاسآن آلهم فىآلون الذاآاآ العقية الروقىة وآلآاة المعنوىة ، على الذاآاآ الماآىة الآسآىة. وآرئى آآآم فىآه فى أطابآ الطعام ، وآآوس المآام ، وآآآانى آنبه عن مضآآه ، آاآلا عن آقوق آلآآه ، لآآا آآل مشآالات المسائل وآآنآشاف أسرار الآون ، أو بالفآ فى عآآ السآاسة ، وما آآآضآه أعباء الرآاسة ، وآا وإن آعلى العلوم العقية والآارف الروقىة فى آهآ الآنىآا آو معرفة الله سآآانه وآعالى وآالآم بمآآار أسمآانه وصآآانه فى آلقآه وآالآوق فى سنآه وأسرارآه فىآا ، وآآشف الآآآ عا أوع فىآا من الآال وآالآلال ، وفى النآام الآى قامآ بهمن آآآاآ الآالآ ، الآى آى آآلى صآآا بارآنا مآآى الآال وآالآلال والآالآ ، عالم الفآب والشآاآة الآآآر المآال ،

وما زال أصآابآهم العالآة من العلماء والآآآاء فىآآلون بما آآهر لهم من آلك السنن والآآآاآ على آال مآآآا وآمآآا وآمآآا ، وآآآل عآون عآولهم إلى آقآة صآور الآآود الممكن لآاآآ ، (وهو آآآوع آهآ العوالم العلوىة والآلفىة) عن الآآود الآزلى الواآب ، وآآآون بارآآا الآساب للوصول إلى معرفة أول مآآود ممكن منها ، وآىف آآآاآ سلسلة الآساب بمآآلك بآآول البساط وآولآ بمضآا من بعض ، قبل وآآود آهآ المرآآاآ المعروفة من السماء والآرض ، طمعا فى معرفة آقآة آلك

(١) آى وآآا الفلاآفة الماآبون. وهو آآآال بمآآا آلآا آا لآ رفآ آصوصىة فى السآاق آآآون الماآآن آنا مظآة آآآاه الرواقآن. وآآال آهآ الآآآال فى نصب ما آو فى مقام الرفآ ما نصب على الآآآصاص أو للآآ وآالآم

الوجود الاعلى ، على عجزهم عن ادراك كنهه أدنى هذه الموجودات السفلى ، وقد اختلف الحكماء في امكان وصول العلم البشري الى حقيقة الوجود الاول الازلي وكيفية صدور الموجودات الممكنة عنه - فقال بعضهم بامكان ذلك وتوقع حصوله في يوم من الايام ، وقال آخرون بأنه فوق استعداد الانام ،

والحق في ذلك ما هدانا اليه دين الله الحق ، وهو أن ادراك أبصار الخلق له سبحانه وتعالى وإحاطة علمهم به من الحال الذي لا مطمع فيه (لأن تركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير • يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) ولكن المعجز عن الادراك والإحاطة ، لا يستلزم المعجزهما دون ذلك من العلم والمعرفة ، التي ترتقي الى الدرجة التي عبر عنها بالتعالي والرؤية ، فإن كانت ظواهر الآيات في ذلك متعارضة ، فالأحاديث والآثار الصحيحة المبينة له جلية واضحة انما وقع المراء بين المتكلمين والمتفلسفين وبين علماء الآثار في كلمة «الرؤية» فأثبتها أهل الآثار لدلالة ظواهر القرآن ونصوص الأحاديث عليها ، ومنعوا قياس رؤية الباري تعالى على رؤية المخلوقات ، بدعوى استلزامها التعجز والحدود وغير ذلك من صفات الاجسام ، وقالوا اننا لا نبعث في كیفيتها كما اننا لا نبعث في كيفية ذاته ولا صفاته تعالى ، فاننا نمحزم بأن له علما وقدرة وسمعا وبصرا ولكن علمه ليس كعلمنا فاشتا عن انطباع صورة المعلومات في النفس ، ومكتسبا لها بالحواس أو الفكر ، وكذلك قدرته وسائر صفاته ، فنحن نجتمع بين الايمان بالنصوص في أسماء الله وصفاته وأفعاله وسائر شؤونه ، وبين تنزيهه عما لا يليق به من مشابهة خلقه الممنوعة بدلائل النقل والعقل ، كما قال عز وجل (ليس كمثله شيء • وهو السميع البصير)

ونفاها أهل الكلام والفلسفة بناء على قياس الخالق سبحانه وتعالى على المخلوق ودعوى منافية الرؤية للتنزيه الذي هو أصل العقيدة وركنتا الركبن . ولكنهم لا يستطيعون انكار الحقيقة التي أثبتتها أهل السنة والجماعة اذا عبر عنها بغير لفظ الرؤية كأن يقال ان أعلى نعم أهل الجنة لقاء الله تعالى بتجليه عليهم تجليا يحصل لهم به أعلى ما استعدت له أنفسهم وأرواحهم من المعرفة ، وأن أعظم عقاب لاهل النار حجبهم عن ربهم وحرمانهم من هذا التجلي والرفق ، الخالص بدار الكرامة والرضوان ،

فانهم لا يمتنون بتأويل مثل قوله تعالى في المتقين (يحيتهم يوم يلقونه سلام) وقوله في الكافرين (كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) كما يستتوب بتأويل قوله (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) بأن النظر معناه الانتظار والرجاء ، ومارد به بعضهم على بعض في الآية بطلب من الكشاف والبيضاوي وحواشيها وسائر كتب التفسير ومن كتب الكلام وشروح الاحاديث

وكم بين حذاق الجدال تنازع وما بين عشاق الجمال تنازع ومن غرائب جدلهم ان كلا منهم يستدل على مذهبه بطلب موسى عليه السلام رؤية ربه وقوله تعالى (لن تراني . .) الآية فأهل السنة يستدلون على جواز الرؤية بسؤال الكلم اياها وعدم انكار الباري تعالى عليه هذا السؤال كما أنكر على نوح عليه السلام سؤاله نجاة ولده الكافر بناء على أنه من أهله الذين وعده بنجاتهم — وبتطبيق الرؤية على جائز وهو استقرار الجبل ، والمعزلة يستدلون بالآية على عدم الرؤية بعدم اجابة الكلم اليها وتعليقها على ما علم الله أنه لا يكون واذا كانت الآيات التي استدل بها كل فريق ليست نصاً قاطعاً في مذهبه ففي الاحاديث المتفق عليها ما هو نص قاطع لا يحتمل التأويل في الرؤية وتشبيها برؤية البدر والشمس في الجلاء والظهور وكونها لامضارة فيها ولا تضام ولا ازدحام. وفي كتاب التوحيد من صحيح البخاري احد عشر حديثاً في ذلك، وجمع ابن القيم في [حادي الارواح] ماورد في ذلك من الاحاديث فكان ثلاثين حديثاً . قال الحافظ ابن حجر عند اشارته الى ذلك : وأكثرها جيد . وزاد ابن القيم ما ورد عن الصحابة والتابعين وأئمة علماء الامصار في ذلك وحلم اياه على ظاهره مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات، ولكن بعض مثبتي الرؤية من أهل السنة اختلفوا في معناها فكان بعض ما قالوه تأويلاً أبعد من تأويل المنكرين

قال الحافظ في الكلام على تفسير (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) من شرح كتاب التوحيد من البخاري ما نصه: واختلف من أثبت الرؤية في معناها فقال قوم يحصل للراي العلم بالله تعالى برؤية العين كما في غيره من المراتيات ، وهو على وفق قوله في حديث الباب « كما ترون القمر » الا أنه منزه عن الجهة والكيفية وذلك

أمر زائد على العلم . وقال بعضهم ان المراد بالرؤية العلم ، وعبر عنها بعضهم بأنها حصول حالة في الانسان نسبتها الى ذاته المخصوصة نسبة الإبصار الى المراتب . وقال بعضهم : رؤية المؤمن لله نوع كشف وعلم الا أنه أتم وأوضح من العلم . وهذا أقرب الى الصواب من الاول اهـ

ثم ذكر ماتعقب به من قال ان المراد بالرؤية العلم . وإنما قال في القول الاخير انه أقرب الى الصواب لما فيه من التفويض وعدم التحديد، وهذا المعنى هو الذي قال به الفرزالي وأوضحه في كتاب المحبة من الاحياء بما يبعد من قرأ الاحياء من ياتيه وفصاحته هذا وان احصاه ما ورد في هذا الباب مما استدلل به على الرؤية اثباتاً ونفيًا من الآيات والاحاديث وسرد كلام المثبتين والنفاة وبيان الرجوع منه والمرجوح يستغرق عدة أجزاء من المنازل ، ولن يرضى ذلك منا أكثر القراء ، وجملة القول في المسألة ان الآيات اقرآنية فيها ليس فيها نص قاطع لا يحتمل التأويل ، ولكن الاحاديث الصحيحة والحسنة صريحة في ذلك لا تحتمل التأويل ، والمرفوع منها مروى عن أكثر من عشرين صحابياً دع الموقف والآثار ، ولم يرد في معارضتها شيء أصرح من حديث عائشة المتفق عليه عن مسروق قال قالت لعائشة (رض) يا أمنا هل رأى محمد (ص) ربه ليلة المعراج؟ فقالت : لقد قف شعري ما قلت اأبين أنت من «ثلاث من حدثنك فقد كذب» من حدثك أن محمداً (ص) رأى ربه فقد كذب، وفي رواية «قد أعظم على الله الغيبة» ثم قرأت (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب (ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) ومن حدثك أنه كتم (أي أن النبي (ص) كتم شيئاً من الدين) فقد كذب ، ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) — الآية — ولكن رأى جبريل في صورته مرتين . اهـ

وقد ذكر النووي في شرح مسلم ان عائشة لم تنف وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وإنما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة الخ وذكر الحافظ في الفتح انه قال ذلك تبعاً لابن خزيمة

ذاهلا عما ورد في صحيح مسلم الذي شرحه ، وذكر أن في حديث مسروق عنده زيادة عما ذكرناه من لفظ المغاري وهي : — قال مسروق وكنت متكئا فجلست وقلت ألم يقل الله (ولقد رآه نزلةً أخرى) قالت أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله (ص) عن ذلك فقال « إنما هو جبريل » الخ

فعلم من هذا ان عائشة تنفي دلالة سورة النجم على رؤية النبي (ص) لربه بالحديث المرفوع وتنفي جواز الرؤية مطلقا أو في هذه الحياة الدنيا بالاستدلال بقوله تعالى (لا تدركه الابصار) وقوله (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ويعارض هذا الاستدلال انه ليس نصا في النفي حتى يرجع على الاحاديث الصريحة في الرؤية وقد قال بها بعض علماء الصحابة . وقال بعض العلماء ان عائشة ليست أعلم عندنا من ابن عباس الذي أثبت الرؤية للنبي ليلة المعراج ، وفي هذا القول بحث فان ابن عباس استنبط اثبات الرؤية في الدينان الآيات وقد انفرد بذلك دون سائر الصحابة . وأما من روي عنهم إثبات الرؤية في الآخرة فليس فيهم أحد يقال انه أعلم من عائشة الا والدها الصديق وعلي المرتضى وزيد بن ثابت وقد يذكر في طبقتهم منهم المبادلة . ولكن الحديث عن أبي بكر وزيد بن ثابت في هذا الباب ضعيف وعن علي موضوع حتى ان ماروي عنها نفسها فيه أقوى سنداً . ويقول النفاة لو رأى النبي (ص) ربه ليلة المعراج لما خفي بأذلك عن عائشة مع ما علم من حرصها على العلم ، وسؤالها إياه عن آية النجم ؟ وقد يقول النفاة أيضا : لو كانت الرؤية في الآخرة عقيدة يطالب المسلمون بالإيمان بها لما جهلتها عائشة . ولكن هذا القول لا ينهض لمعارضة اثبات المبتين لها بالاحاديث الصريحة ، وأما قصاره أن يمد دليلا على أن المسألة من أمور الآخرة التي كان يذكرها النبي (ص) أحيانا لبعض الخواص اذ لا يضر العامة جهلها ، فلم يقصد أن تكون عقيدة يدعى اليها مع التوحيد .

وأحسن ما يجاب به عن استنباط عائشة وأقواء عند المبتين أن يقال أنها تريد به نفي الرؤية في الدنيا كما قال بذلك الجمهور ولا تقاس شؤون البشر في الآخرة على شؤونهم في الدنيا لأن لذلك العالم سننا ونواميس تخالف سنن هذا العالم ونواميده حتى في الأمور المادية كالأكل والشرب والمأكل والمشروب . فإما الجنة غير آمن فلا يتغير كمال الدنيا بما

يخالطه أو يجاوره في مقره أو جوه، وخرها ليس فيها غول يقتال العقل ولا يصدهون عنها ولا ينزفون، ولبنها لا يتريه فساد ولا تخالطه (يكرو بات) أمراض، وكذلك فاكبتها وثمراتها هي على كونها أعلى وأشهى مما في الدنيا لا تقصد. قال ابن عباس: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء. وكذلك أمزجة أهلها، هي أصح وأسلم من أمزجة أهل الدنيا حتى أنهم يأكلون ويشربون فيكون هضمهم بالتبخر ودرشح المرق، ففي الحديث الصحيح أنه جُشَاء ودرشح لما ربح المسك. ولا عجب في ذلك فإن علماء العصر الذين يظنون أن في كوكب المریخ أحياء عتلاء كاللشمر يجهزون بأنهم لا يد أن يكونوا أكبر منا أجساما وأسرع من الخيل العادية في حركتهم العادية، هذا وعالم المریخ لا يعرف فيه من الحياة الروحية العالية مثل ما ورد في حياة الجنة، ولكن ما ذكره علماء العصر في شأنه يقرب تصور ما ورد في صفة الآخرة من الأذهان المقدسة بالمألوفات، فإن بعض الناس إنما ينكرون أخبار الآخرة لأنها مخالفة لما جردوا عليه من المألوفات، ولولائم أخبروا بما اكتشف من أسرار الكون في هذا العصر كخواص الكهرباء والراديو قبل أن يصير مشهودا مقطوعا به لما صدقوه، قال الله عز وجل في بيان جزاء المؤمنين القائمين بأعمال الإيمان حق القيام (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ووضع ذلك رسوله (ص) في حديث قلبي رواه الشيخان في صحيحهما عن أبي هريرة قال (ص) «قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» وروى أهل الكتاب مثل هذا عن سيدنا عيسى (ص) فإذا ثبت لنا أن كل ما في دار الكرامة أعلى وأسمى مما في الدنيا حتى الأجسام وصفات الناس وقرائهم وأنه لا يشارك ما في الدنيا إلا بالاسم، القدي عبره لفرونة تقريب تلك المعاني النبوية من الفهم، فهل يصح بعد ذلك أن نعد إلى أهل ما هناك من الشؤون الإلهية المعنوية فنشبهه بشؤون الدنيا فنجعل تعجيب الرب سبحانه وتعالى لأولئك العباد المكرمين الذين رقام وكلهم وأهلهم لكلال، مرقتهن وأمشابهة الخلق؟ ونجعل ما يحصل لهم من ذلك التعجيب من العلم الأكمل والمعرفة العليا التي تستغرق أرواحهم وجميع مشاهرها الظاهرة والباطنة إدراكا لكنه عز وجل وإحاطة

علم به تعالى عن ذلك ؟ ثم نمدر أنفسنا على هذا الجمل بأن ذلك قد سمي رؤية ومعاينة ولا بد ان تكون الرؤية هناك كرويتنا التي نعهدها هنا ؟ سبحانه الله ! أيكون كل ما هناك من أعيان الخلوقات وصفاتها وأحوالها مخالفا لماله اسمه منها هنا الا ما يتعلق بشأن الخالق عز وجل فهو الذي يجب ان يكون مشابها لشؤون الخلقين بعضهم مع بعض ؟ أهذا هو المذهب الذي يدعي أصحابه اتباع المقول ، ويسخرون من أهل السنة بزعمهم انهم جحدوا على بعض أحاديث الآحاد من المقول ؟ وهم الذين قد جحدوا على ما دون ذلك من الالفاظ العربية التي استعملت في صفات الباري تعالى وشؤونه وأخبار عالم الغيب قرام يصرفونها عن معانيها ويعطون مدلولاتها المقصودة لتوهمهم انها لا تكون صحيحة الا اذا كانت مدلولاتها في عالم الغيب كمدلولاتها في هذا العالم من كل وجه. ثم تحكوا فأثبتوا بعض صفات الباري تعالى بدون تأويل كالحلم والقدرة والارادة وأولوا أكثرها كالسلام والرحمة والمحبة والغضب والرضا والعلو والوجه واليدن الخ وهذا عين التشبيه ، وهذا عين التعطيل — وأهل السنة يثبتون له تعالى كل ما أثبتته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله (ص) وينزفونه فيه كله عن مشابهة خلقه ولا يرون فرقا بين العلم والرحمة والكلام فكلها من صفات الجلال الثابتة له مع التنزيه — فعلمه ليس كعلم البشر منتزعا من صور المعلومات بالحس أو الفكر — وكلامه ليس كيفية عرضية تحصل بتموج الهواء بتأثير الصوت الذي يخرج من الفم — وكذلك سائر شؤونه تعالى ، فتجليه خواص خلقه في دار كرامته ليس كظهور بعضهم لبعض ، وما يحصل لهم من رؤيته ومعرفته وسماع كلامه لا يشابه ما يكون من بعضهم لبعض ، واذا كنا قد عرفنا بالشهادة في عالم الحس ان إيقاد مصباح زيت الزيتون أو زيت البترول لا يشبه إيقاد مصباح الكهرباء بوجه من الوجوه ولا يشترط في الثاني ما يشترط في الاول — ونعجز بأن هذا الفرق لا يمكن ان يتصوره من لم يعرف الكهرباء البتة — فيجب علينا ان لا نستغرب ما هو أبعد من هذا الفرق بين عالم الغيب والشهادة في اختلاف الكيفية لحقيقة واحدة كالرؤية. ومن كان له حظ من معرفة الله تعالى في الدنيا لا يحتاج الى الامثال ، وحسب المحروم منها ان ينتفع بالامثال ، (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا المالمون)

دارالدين محمد بن عبد الله دارالدين محمد بن عبد الله

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٤

التيوبركيولين Tuberculin

زيادة الياء والنون في هذا اللفظ اللاتيني هي — كما قلنا — للدلالة على المادة أولاً أصل الفعل في الدرن [Tubercle] أهني أندامم خلاصة نستخرج من باسيل الدرن نفسه أو مما يربي فيه . فهي نوعان نوع يسمى بالتيوبركيولين العتيق والآخر بالتيوبركيولين الجديد . وأول من أدخل هذا الصنف من العلاج في الطب هو العلامة كوخ سنة ١٨٩٠ محاولاً بذلك إيجاد دواء شاف للدرن بكافة أنواعه ، ولكنه لم يتحقق غرضه الى الآن

أما التيوبركيولين العتيق فهو عبارة عن السموم التي يفرزها ميكروب الدرن في السائل الذي يربي فيه كالمرق مع الجلوسرين ، ويتحصل عليه بالتصفية خلال المرشحات لفصل الميكروب عنه فهو في الحقيقة سموم الميكروب التي تخرج من جسمه في السائل المذكور ، ويكون لونه أصفر أكن وقوامه غليظاً . وقائدة الجلوسرين حفظه من الفساد وإذا حقن هذا السائل في الشخص السليم لا يحدث منه شيء ، ولكن إذا حقن في إنسان أو حيوان مصاب بدرن في أي عضو من جسمه ارتفعت حرارته وأصابته رعدة وأحس بتوعلك وآلام في مفاصله وقد يفرز زلال في بوله أو يظهر طفح على جلده ويلتهب المكان المصاب بالدرن . ونظراً لشدة هذه الأعراض لم يستحسن الأطباء معالجة الدرن بهذه الطريقة ، وتقتصر بعضهم على استعمالها في معالجة الدرن الجلدي المسمى لويس (داء الذئب) لأن ما يصيب الجلد من الحقن (المنار: ج ٥) (٣٧) (المنار: ج ٥)

يمكن مراقبته وتلافيه . زد على ذلك ان تنبيه الجلد المريض بهذا الداء قد يكون نافعا فيه ، ومع ذلك يأبى كثير من الاطباء استعماله حتى في هذا الداء . فاقصرت فائدة التيوبريكيولين على استعماله في تشخيص الدرن في الانعام كالبقر فان السلم منها اذا حقن به لم يصبه شيء ، ولكن اذا حقنت البقرة المسلوقة ارتفعت حرارتها أي أصابتها الحمى . واستعماله لتشخيص الدرن في الانسان لامسوغ له مع ان هناك طرقا أخرى تفضله

أما التيوبريكيولين الجديد فهو عبارة عن خلاصة تستخرج من نفس جسم الميكروبات الدرية، وعبارة أخرى هو السم الكامن في أجسامها فهو غير السم الذي تفرزه في السائل الذي تربي فيه . واذا حقن هذا التيوبريكيولين الجديد أيضا في السلم لا يحدث منه شيء ، واذا حقن في المريض حدثت أعراض كالاعراض المذكورة آنفا غير أنها لا تكون عادة مصحوبة بالانفعال الموضعي في مكان الدرن فلا يتنبه ولا يلتنب . وهو قليل الاستعمال لتشخيص مرض الانعام ، ولكن بعض الاطباء يستعملونه في معالجة الدرن الانساني وان خالفهم الآخرون في فقهه ، بل منهم من يرى ان ضرره أكبر من فقهه

واذا حقن تحت الجلد حدث منه خراج ، ولذلك اضطر بعض المصانع الى ازالة بعض المواد التي تشبه الدهن منه وهي التي يظنون انها السبب في التقيح وفي عسر امتصاصه

وهناك عدة طرائق لاستعمال التيوبريكيولين العتيق للتشخيص أشهرها أربع وهي :—

(١) الحقن تحت الجلد (٢) وضعه على الملتهمة عند الموق ويبقى الجفنان متوحيين بضع دقائق فإذا كان في جسم الشخص أي درن احمرت الملتهمة الجفن الاسفل وكذلك اللحية السمعية التي في الموق بعد ثلاث ساعات ويزداد الاحتقان بعد ست ساعات وترم اللحية ويكثر الدمع وتقطط العين ببعض الافراز (الرمص) ويصل هذا الالتهاب الى أقصاه بين ٦ ساعات و١٣ ساعة ثم يأخذ في الزول بعد يومين أو أكثر ، وهذه الطريقة ليست خالية من الخطر على العين . ومحلول التيوبريكيولين الذي

يستعمل فيها يكون بنسبة ٥ ر . في المائة من الماء المقطر العقيم
(٣) بطريق الجلد وذلك بتفقيح الجلد كما يأتىح لاجل الوقاية من الجدري
فيحصل التفاعل باحمرار الجلد وتورمه في ٢٤ ساعة ويشد بعد يومين ، وفي اليوم
الثالث يبدأ في الزوال ويتم ذلك في اليوم الرابع . وهذه الطريقة نستعمل كثيرا في
الاطفال الذين يقل عمرهم عن خمس سنوات

(٤) يعمل مرهم من التيوبركولين مع [اللانولين Lanoline] ^(١) (دهن
يستخرج من صوف الغنم) بنسبة (١ الى ١) ويدهن به جزء من الجلد فيلتبب بعد
يوم أو اثنين وقد يظهر فيه دم مل أو بثرة . واعلم انه قد يتأثر الجوان من التيوبركولين
ويكون سليما اذا سبقت اصابته بالدرن وشفي منه . واذا حقن تحت الجلد بمقدار كبير
(١ . ر .) يستعمر المكعب ولم يحصل افعال دل على السلامة من المرض مطلقا أو على
الاقل من المرض الفعال في البنية فلا ينافي ذلك وجود مرض سابق شفي منه المحقون

الجرمة الخبيثة Anthrax

يعرف هذا المرض في الحيوانات بالدم (الحى الطحالية) وهو يصيب الانسان
أيضا . وينشأ من ميكروب باسيلي يوجد في العضو المصاب وفي الدم والاحشاء
والافرازات ، ولا حركة له ، وطوله يختلف من ٥ مك ^(٢) الى ٢٠ مك وقد يكون
مستقيما أو منحنيا قليلا ويتكاثر بالانقسام ويتكون في داخله أيضا حبيبات ، وهذه اذا
انفصلت منه استطالت ونشأ منها الباسيل ، ولكن التكاثر بهذه الطريقة الحبيبية
لا يحصل الا في خارج أجسام الحيوانات . وهذه الحبيبات تقاوم درجات كبيرة جدا
من الحرارة فلا يسهل قتلها ولو بالذلي الا بعد بضع دقائق

يصيب هذا الداء الحيوانات اذا لقت بالميكروب بالعض أو بلدغ الحشرات ،
وقد تصاب أيضا به اذا أكلت من مرعى تلوث ببراز الحيوانات المريضة
أما اصابة الانسان به فتكون امانا من الحيوانات الحية ، ولذلك تصاب به لرعاة كثيره
واما من جثث الموق بهذا الداء — وهو الأتبر — كما يحصل للقضاين (الجزارين)

(١) كلمة لاتينية معناها حرفيا « دهن الصوف » (٢) مك مختصر كلمة ميكرون

والدبغين بتلقيح أجسامهم بالميكروب اذا مست شيئا من جثة الحيوان . وقد تحصل العدوى من أكل اللحم المصاب أو من مس الصوف والشعر المأخوذين من الحيوانات المريضة ، وقد يصل أيضا هذا الداء بطريق التنفس بأن يستنشق ميكروبه مع التراب والنيار الذي يتطاير من البضائع الصوفية ونحوها اذا لم يطهر الصوف قبل صناعته ومن النادر ان ينتقل هذا المرض من انسان الى آخر بمجرد اللمس ، وقد

شوهد المرض بين نهار الخرق البالية التي تستعمل في صناعة الورق والحيوانات التي تصاب به هي الانسان والغنم والمز والارانب وخنازير الهند والفيران وكذلك الخيل والخنزير ، أما الكلاب والقطط فلا تصاب به

الاعراض — لهذا المرض ثلاثة أشكال (١) الشكل المرضي (٢) الشكل الداخلي الرئوي (٣) الشكل الداخلي المعدي المعوي . وفي كلا الشكلين الاخيرين قد يصاب ظاهر الجسم أيضا ، وإنما نشأت هذه الاشكال المختلفة بحسب مدخل الميكروب فانه قد يدخل من الجلد أو من الرئة في الهواء المستنشق أو من الجهاز الهضمي مع الطعام أو الشراب

أما الشكل الاول فيشاهد كثيرا في الوجه أو العنق أو الايدي بعد جرح أو سحج (خدش) فبعد زمن التفرغ الذي يتراوح بين بضعة أيام وبضع ساعات يحدث أكلان ولميب في المكان الملقح ، ويظهر دمل صغير يمتلئ بسائل رقيق ثم يتفجر ويموت قلعة هذا الدمل فتكون سوداء اللون ويتلب ما حولها من الجلد فيحمر ويرم ويتصلب ويمتد تورمه الى [بوصة] ونصف أو بوصتين أو أكثر ، ويتكون حول البقعة السوداء قطاعات صغيرة تشتمل على مصل ، وتضعف الغدد الليمفاوية القريبة وتلتهب . وقد يستمر الشخص في عمله ثلاثة أيام أو خمسة ثم يشعر بالحى مع الضعف والانحلال . وقد بعث به المذيان أو العرق التزير أو الاسهال وينتهي أمره بللوت الذي يسبقه همود شديد

أما الشكل الداخلي فتختلف أعراضه باختلاف الجهاز المصاب ، ويتقدمه اضطراب وضيق تنفس واضمحلال وآلام في الاطراف ، ثم ترتفع الحرارة فجأة مع أعراضها المروفة . فان كانت الرئتان مصابتين أصابه ضيق شديد في التنفس مع

احساس بالاختناق، ويزرق جسمه ، وتخور قواه ، ولكن يكون السعال خفيفا ، وإذا بصق قد يكون البصاق ملوثا بالدم ثم يمتزجه اللذان والنيوية فيبوت . وفي بعض الحالات قد يبقى ادراك المريض الى النهاية . وإذا كان الجهاز الهضمي هو المصاب حدث قيء وألم بالطن واسهال وخرج بالبراز دم وقد يحصل عسر في الازدراد أو نزف من الحلقوم والغم ، وتكون الحمى غير عالية ، ويزرق جسم المريض أيضا ويضيق نفسه ويصاب بالضجر وقد يتخطط للصروع قبل الوفاة

الانذار — هو سبب جدا خصوصا في الاشكال الباطنية

المعالجة — تعالج الجمة الظاهرية باستئصالها كلها وكيفية موضعها إما بالنار وإما بالادوية الكاوية مثل كلوريد الزنك (الخارصين) أو بالفنيك التي فتحن حالة المريض وقد يشفى سريعا

أما الشكل الداخلي فعلاجه قليل الجدوى . ويعالج بالكينين والمنعشات والسوائل المغذية

الوقاية — تكون بالابتعاد عن المصاب وحرق أو تطهير مفرزاته وكل ما لامسه وخصوصا صوف الاغنام وملابس المرضى ، ويقتل الحيوانات المصابة بأيسر الطرق ثم احراق جثثها أو دفنها في مكان عميق مع وضع الجير حولها وبما تحجب العناية به ان لا يؤذن للعالم في مصانع الصوف أو الجلود بمس شي منهما الا بعد تطهيره بالطرق الطبية كأن يطهر الصوف مثلا في أفران البخار وتطهر الجلود بوضعها في بعض المحاليل المطهرة التي لا تضر بها . واعلم ان كلامنا هذا في مس الجلود قبل دمجها فان الدبغ وحده كاف لتطهيرها ويجب على المريض ومن شاكلة تطهير يديه جيدا قبل الطعام والشراب وتنظيف الملابس قبل ذهابه الى منزله أو مخالطته الاصحاء

Glanders السقاوة والسراجة

مرض عرف قديما حتى وصفه أطباء اليونان والرومان في كتبهم وهو يصيب الخيل والبغال والحمير وبعض الحيوانات الأخرى الداجنة ومنها ينتقل الى الانسان

أيضا . وسببه ميكروب مستقيم الشكل اكتشف سنة ١٨٨٢ م يعيش هذا الميكروب في الهواء وفي غيره ، وطوله يختلف من ميكروزيين الى خمسة وهذا الداء قلما يصيب الانسان وأكثر من يصاب به خدمة الخيل أو الاصطبلات . وكيفية العدوى به أن يفتح أي جزء من جلد الانسان بميكروب هذا الداء في أثناء تنظيف الخيل المصابة أو كشط جلود الموتى منها ، وقد يصاب الشخص بسبب عض حيوان له وتلقيحه بلعابه ، أو يصاب بسبب عطاس الحيوان في وجهه فيدخل جزء من مخاط أنفه في عين الانسان أو أنفه أو فمه . وقيل إنه ينتقل أيضا بأكل اللحوم النتية من الحيوانات المصابة . ومن الجائز أن ينتقل هذا الداء من شخص الى آخر

الأعراض — لهذا الداء شكلان : —

(الشكل الاول) الحاد وهو المسمى بالعرية السقاوة . يتبدى ظهور أعراضه بتوسع وصداع وغثيان وآلام في الاطراف حتى قد يظن أن الداء هو الرثية [الروماتزم] أو الحى التيفودية وقد يوجد ألم بالجنب وضيق في التنفس . وإذا كان الميكروب دخل من الجلد التهاب مدخله وورم وصار مؤلما حتى يشبه الجلد مرض الحمرة ثم يتقرح وتضخم الغدد اللفاوية القرية ، وبعد اسبوع أو أكثر يظهر طفح من دامل صغيرة حمراء نسلوها قشاعات ، وهذه تكبر حتى تصير نفاخات كبيرة أو بثور مختلفة الحجم يسيل منها دم ومدة وصديده ، وتلتهب قاعدة هذه البثور وما حولها ثم تسقط قشورها فيتكون منها قروح . وقد تتكون عقد تحت الجلد تستحيل الى خراجات غالبا . وكثيرا ما تظهر هذه العقد أيضا في العضلات وقد يصيب الداء أيضا الاغشية المخاطية وتكون أعراضه سيلان مخاط رقيق في أول الامر ثم يفلظ وتصبه المدة أو الدم وتكون رائحته مثنية ، ويكون في الاغشية أيضا عقد تقرح حتى تقب بعض الاجزاء أو تأكل بعض العظام الرقيقة كما يحصل في داخل الانف . وقد تصاب أيضا المتئمة أو الخنجرية أو أغشية الشعب وغير ذلك . وتكون حرارة المريض عالية جدا مصحوبة بأعراض الحى المعتادة ، ولكن ارتفاعها قد يتذبذب ، ويفرز زلال في البول ويصاب المريض بالهذيان

والارتعاش فالنسيوبة فالمرت . ومدة الداء من أسبوعين الى ثلاثة
ويكثر وجود باسيل المرض في العقد المذكورة وفي القروح وما يسيل منها ،
فأعظم الخطر منها في العدوى

(أما الشكل الثاني) فهو المزمن ويسمى بالسراجة وتكون أعراضه قاصرة على
الاصابات الموضعية على الأكثر كأن تظهر قروح أوخراجات حول المفاصل أو تلتبب
مواضع مختلفة تحت الجلد أو في العضلات ، وإذا حدثت بشور كان تكونها بطيئا . وقد
تصاب انضية الانف المخاطية . وفي بعض الحالات ينحف المريض ويبح صوته
ويسببه السعال أو النزف الرئوي . ومدة هذا الشكل المزمن قد تكون أربعة أشهر
الانذار — غير حديد . وفي الاحوال الحادة لا ينجو الا القليل ، ويشفى نحو
نصف الحالات المزمنة

المعالجة — لا يوجد لهذا الداء دواء مقطوع بنجاحه وإنما تعالج الاعراض
كالمعاد

الرثية السيلانية أو الروماتزم السيلاني

سبق الكلام على مرض السيلان في الجزء الاول وإنما نريد أن نصف هنا
ميكروبه واعراض اصابته بالمفاصل

أما ميكروبه فهو من الشكل البزوي ويسمى بالافرنجية [Gonococcus]
ومعناها حرفيا في اليونانية [بزور المني] فهي من الاسماء التي أخطأوا في أصل وضعها .
يوجد هذا الميكروب كثيرا في إفراز الاحليل اذا كان الشخص مصابا بالسيلان
ويشاهد على الأكثر داخل الكريات الصديدية البيضاء وهو من الميكروبات التي
يتعسر زرعها في الخارج ، ويعيش بوجود الهواء أو بغيره ، وفي البيئة القلوية قليلا أو
الحضية ولكنه لا يعيش خارج الانسان الا بعض الوسائل الصناعية العلمية الدقيقة .
ولا يصيب هذا الداء غير الانسان . ويشاهد ميكروبه في إفراز الاحليل والفرج
وتقل مشاهدته في إفراز الرحم ويندرأ ولا يشاهد مطلقا وجوده في إفراز المهبل . أما في
الذكر فيوجد أولا في إحليله وقد يمتد منه الى الخصيتين أو المثانة أو الغدد الاربعة

(فينشأ منه الخبرجل) وفي بعض الحالات قد يصل الميكروب في الذكر والانثى الى الاعضاء الباطنية كليبضين أو الپليورا أو البريتون أو الغشاء المبطن للقلب أو الاغشية الزلالية المبطننة للمفاصل وغير ذلك كثير

واصابة المفاصل هي المقصودة بالكلام هنا

تبدأ هذه الاصابة بعد ١٤ يوما أو ٣ أو ٤ أسابيع من مبدأ ظهور سيلان الاحليل حينما يكون هذا السيلان قيحا أو حينما يكون صديدا (رقيقا) وهو الاكثر أي في زمن [النقطة العسكرية] ^(١)

الاعراض — في الحالات الحادة تصاب عدة مفاصل في أول الامر بالآلم والورم، وبعد قليل يقتصر المرض على مفصل واحد وهو المرفق في الغالب وقد يكون الركبة أو الرسغ أو غير ذلك . ويمتد احمرار المفصل الى مسافة بعيدة وترم المنسوجات في تلك المسافة كلها حتى قد يظن أن بها خراجا . ويتألم المريض ألما شديدا عند أقل حركة ولكن تكون الحمى غير شديدة . ويزول الانتهاب بالتدريج البطي جدا ويترك وراءه يئسا في المفصل . وقل أن يتقيح . ومن النادر أن تصاب أغشية القلب . وهذا الداء يصيب الذكور والاناث على حد سواء

وهذهك اصابات بهذا المرض أخف عما ذكر فيكون احمرار المفاصل فيها أقل وكذلك ورمها، ولكن تصاب عدة مفاصل في وقت واحد خصوصا الركبتين والمرفقين والرسفين وكثيرا ما يكون هناك آلام في الصفاقات وفي الاغشية المفلاة لأوتار العضلات ، وتقلب اصابة صفاق اخمص القدم . وقد تصاب أيضا المتحممة بالانتهاب وكذلك الصلبة وغيرها . وفي تلك الحالات الخفيفة يكون زوال الانتهاب أيضا تدريجيا وقد تطول مدته الى ثلاثة أسابيع أو اكثر ويخلفه كذلك يئس في المفاصل

وسبب تلك الانتهبات كلها هو وجود ميكروب السيلان في الاعضاء المنتهبة وقد تصاحبه أيضا ميكروبات الصديد وذلك اذا وجدت المدة

(١) اصطلاح يراة به السيلان الزمن كما يحصل لكثير من الجنود وهو عسر الشفاء جدا يكاد يكون متعذرا

حال المسلمين الاجتماعية

وملأه الأغنياء وسائر الطبقات منها *

وفيه بيان حال مشتركى المنار ومساعديه ورأى الأستاذ الامام والشيخ علي يوسف فيه

٢

قد فصلنا القول في المقالة الاولى في الفرض الاول الذي رعى اليه (م. ن.) في رسالته وهو احاطة جماعة الدعوة والارشاد . واما الفرض الثاني مما رعى اليه وهو مساعدة المنار فقد علم رأينا فيه مما علقناه على رسالته ، وهو أننا لا قبل تبرعه للجملة ولا تبرع غيره لانفسنا ، فساعدت المنار تنحصر في أمرين أدناهما أن يؤدي كل مشترك ما عليه من قيمة الاشتراك في كل سنة ، وأعلامها الدعوة الى الاشتراك فيه واقتناء مجلداته وأداء حقه الذي هو عبارة عن قيمة الاشتراك

وقد وجد أفراداً قاموا بما تيسر لهم من أعلى المساعدة كالنابغة الشهير السيد محمد بن يحيى بن عقيل في سناغفورة وشهيد المرية السيد الزهراوي الشهير وصديقه الشيخ أحمد نهبان من علماء حمص وفضلاتها في بلاد سورية ، والكاتب القوي الهادي السبيعي في تونس ، والفاضل النور محمد افندي عمر في القطر المصري . وانما ذكرت الهادي السبيعي وقد كان وكلاء المنار بالعمولة لأنه من الأفراد الذين يقل نظيرهم في علو الهمة وقوة التأثير ، وانما لم نأسف لاضطرارنا الى ترك معاملة أحد أسفنا لاضطرارنا الى ترك معاملته لتأخير المعالجة والمكاتب عن أوقاتها زماناً طويلاً على أننا لم ننته بدمه سبيلاً الى تحصيل حقوق المنار من أكثر التونسيين ، على ما فضل به من التبرع بتحصيلها الوجه الامثل عبد الجليل الزاوش

وأما أدنى المساعدة وهي أداء حق المنار فمن المشتركين السابقون بالوفاء وهم الذين يؤدون الاشتراك في كل عام وأفضلهم الذين يؤدونه في أوائل السنين وإن لم يطالبوا أو يذكروا ، ويطيهم الذين اذا ذكروا أو طولبوا أدوا ، وان تركوا نسوا أو

(*) تابع لما نشر في الجزء الثاني ص ٨٩

تاسوا ، ومنهم الذين يلون ويمطلون ، ومنهم من لا يخرج الحق من يده الى أمثاله
في حسن التقاضي الا تكدا ، وقد يكون أبسط الناس لمن يخاف أذاه أو هجوه
يدا ، وقد ينأ من قبل أحسن أقطار المسلمين وأصنافهم وفاء وأشدّها مطلا

وانما لتقاسي من مطل الناس أو هضمهم للحق ما هو أوضح برهان على
انحطاط أمّته وضمف تأثير العلم الديني والديوي في نفوس أفرادها ، فلا ينبغي
أن يفتر أحد بشرة أحد في علم ولا فلسفة ، ولا بظهوره في مظهر صلاح ولا عدا الله
بل يجب أن يزن الجميع بميزان التقد ، فالناس — كما قال الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم — معادن كمدن الذهب والفضة ، أي والنحاس والحديد والزنك وغير
ذلك ، فالظاهر العملية أو العملية كالصقال قد يجعل النحاس أو الحديد المصقولين
أبهج من الذهب أو الفضة غير المصقولين ، ولكنهما اذا تركا زمنا طويلا يغير صقل
علاهما الصدا ، وأفسدهما الطبع ، ولا يضر الحجرين الكريمين ترك صقلهما ، فان
صقلا كان مزيد كمال في جمالها وبهاثها . وأشدّ التزالي في الاحياء أحيانا في اختبار
مدعي الزهد والتصوف بالمال :

لا يفرُّنك من المر قصص رقصه

أو إزار فوق عظم الساق منه رفعه

أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

فان شئت مثلا من غير المنار ، وما اتفق لنا من منبكات الاختبار ، فأعظم
الامثال التي يجب أن تضرب في هذا المجال رجل من الاغنياء العلماء الشرفاء ،
يشرح الكتب الشهيرة ، ويتحلّى بالحجارة الكريمة ، ويركب المركبات الفاخرة ،
تجرها الخيول المطمبة ، ثم هو يلوي ويسوف في اشتراك المنار عدة سنين ، ثم يقول
لو كمل التحصيل بعد المثل الطويل ، إنه لا يدفع قيمة الاشتراك لانه عالم من
علماء الدين ! فيالله العجب هل يوجد خزفي أخري من وصف العلم أو الدين بأنه
يقضي هضم حقوق الناس وأكل أموالهم باطلا ، أليس الجبل أفضل من مثل
هذا العلم ؟ بلى وأستغفر الله من الزيادة على ما قلت

هذا وان صنف العلماء المعمين في مصر قلما يشترك أحد منهم في جريدة أو مجلة

أو جمعية خيرية، ويقل فيمن يشترك في صحيفة لغرض ما أن لا يسعى في السباح له بنصف قيمة الاشتراك أو ما دون النصف، كأنهم يرون أن الصحف يجب أن تهدي إليهم، وإن لم يفيدوا أصحابها بعلومهم ولا بمجاهداتهم، أن كان لهم علم ينفع، أوجاه يشفع، ولكن يقل فيهم أيضا من يأكل حقا ثابتا عليه لأحد ومن أقرب ما وقع لنا معهم أن واحدا منهم كان قد أعجبنا حياؤه وتدينه، فساعدناه في مصلحة من مصالحه مساعدة ذات شأن عنده، ففرض علينا جزاءها أو مكافأة عليها عدة جنبيات، قلنا اننا لا نأخذ أجرا على المساعدة فاشترى بها مجلدات من المنار، ثم أنه تأخر عليه اشتراك عدة سنوات فلما طوّل بها في هذا العام قل إنه كان دفع الاشتراك عنها سلفا في تاريخ كذا، فقبل له أن مادفعته يومئذ انما كان ثمن المجلدات السابقة فقال — والله العجب مما قل — بل كانت تلك المجلدات هدية من صاحب المنار !! فان كان قد قل هذا القول مقتدا صحتة فهل تفكر في السبب الذي حمل صاحب المنار على مساعدته مساعدة تستحق المكافأة وعلى ترك أخذ ما عرضه عليه منها ثم على اهدائه عدة مجلدات من المنار؟ لعله يتفكر فيعلم أن لا سبب يقتضي ذلك ثم ينصف من نفسه. !! على اننا مع العلم بهذا الشذوذ من هذا العالم الحبي، وذلك المؤلف النقي، نقول ان علماء الدين أمثل من علماء الدنيا وفاء، وأسهل قضاء :

ذكرت في بعض مجلدات المنار السابقة أن علماء الحقوق من القضاة والمحامين أحسن وفاء من غيرهم، وإن أقل المتعلمين وفاء كتبة الدواوين، وكمن كاتب صغير، خير من قاض أو محام كبير، وانما الناس معادن يتفاضلون بالاخلاق لا بالعلم ولا بالمناصب، أضرب لذلك مثلا قاضيا اشتهر بدقة الفهم، واستقلال الرأي، وحسن الذوق، وانتظام الفكر، وفصاحة القول، وسلاسة الانشاء، والجمع فيه بين إقناع الفلاسفة وتأثير الخيال، حتى صار يمدد المدينون من رجال الاصلاح، وكان مع هذا كله يمنع ما عليه من حقوق الافراد والجمعيات عامدا متعمدا : طلب الاشتراك في المنار بلسانه، ومات وعليه اشتراك عدة سنين اعياء وكيل المنار تحصيلها منه، وكان مشتركا في الجمعية الخيرية ومن كبار أعضائها فأمر الاستاذ الإمام رئيس الجمعية بمحو

اسمه من دفاترها بعد امتناعه من دفع قيمة الاشتراك عدة سنين .
وان لنا الآن عند بعض القضاة والمحامين اشتراك عدة سنين يتس جاني النار
منهم ، وطلب من الادارة قطع النار عنهم ، وقد ساء في ذلك لان منهم من أجل
نبوغه ومروءته ، وألمس له عفرا فيما شكوا الجاني منه ، ويمر علي ان يحشر في زمرة
الماطلين ، أو يدون في سجل الماضين ،

وأما الماطلون من الاغنياء الذين لم يصقلهم العلم الديني ولا الدنيوي فهم كثيرون
ومعظم خشن مشوه . مثاله قول في من الفيوم عليه اشتراك بضعة عشر سنة لجاني
النار في القاهرة: اني ابتليت بمصائب تمنني من المطالعة منها موت امرأتي ، ومجموعات
سني النار محفوظة عندي في الفيوم فاصلي أجرة البريد لاحتضرها لك !!

ولا يسفي السكوت في هذا المقام عن كلمة ثناء على فضل من أنبت أرض في
مصر في هذا العصر ، بل على من يندر وجود مثله في اي مصر واي عصر ، وم
الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده والوزير الكبير مصطفى رياض باشا والنايفة الهام
حسن باشا عاصم ، فأما الوزير فقد يئنت في فاتحة المجلد الخامس عشر انه كان أول
من أراد التبرع للنار فاشترك بمسح نسخ توزع على الفقراء ثم جعلها خمس عشرة نسخة ،
وقد أقرها بعده ولده محمود باشا سنة ثم قطعها ، وفضل رياض باشا على الاهرام والمؤيد
والمقتطف والمقطم مما يعرفه جمهور الادباء ، وأما حسن باشا عاصم فقد كان على وقف
حياته على خدمة الامة احسن الناس وفاء ، حتى انه كان يتحرى أن يكون أول من
يدفع الاشتراك للجمعية الخيرية في كل عام على أنه أكثر أعضائها خدمة لها ، وكان
يدفع اشتراك جميع الجرائد في أول كل عام أيضا وكان يجي في ادارة النار في
بعض السنين حاملا الدورام بيده

وأما الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فقد كان أحرص الناس على مساعدة النار
بكل ما تصل اليه طاقته ، وكان كثير من الناس يظن في مساعدته له الفنون البعيدة حتى
ان عنهم من كان يظن أنه هو الذي يكتب ويحرر أكثر ما ينشر فيه ، وقد علمنا هذا مما
كناشنا به بعض القراء حين كتبنا في المجلد الرابع ان كل ما ينشر في النار غير
معزى الى أحد فهو لمنشئه ، ومن الناس من لم يرجع عن هذا الظن الا بعد وفاة الاستاذ

[المنار: ج ١٩٨٥] رأي الاستاذ الامام في الجرائد المصرية وفي المنار ومساعدته له ٣٠١

بعد كتابة ما تقدم نظرت في مذكراتي التي كتبها قبل انشاء المنار فاذا فيها اتني جثته على موعد في مساء اليوم السادس من شبان سنة ١٣١٥ فملت منه ان سليم افندي الانسي أخبره بأن بعض الناس جاؤا من طرابلس الشام لانشاء جريدة . وأنه أجابه بقوله : هل علموا ان الجرائد هنا قليلة ؟ وكتبت يومئذ في ذلك ما يأتي :

« فعند ذلك كاشفته بمزيمي وأخبرته انه جاءني خبر من طرابلس بأن والي بيروت بلغه اني جئت مصر لانشئ جريدة أطلعن فيها بوكلاء (وزراء) الدولة . وقلت له : المقصد أعلى من الكلام في الشخصيات وان وكلاء الدولة مدحوا كثيرا وذموا كثيرا فاذا كان من نتيجة المدح والذم ؟

« فشرح لي الاستاذ حالة الجرائد في مصر (كما فهمت واختبرته) وقال ان المصريين أقامتهم الظروف في حالة جعلت أفكارهم موجهة الى شيء واحد من الجرائد وهو أخبار الحكومة المحلية وماذا يقال عن الخديو وعن الانكليز ولا يلتفتون الى ما وراء هذا . وهذا الامر قد قامت به ثلاث جرائد المقطم والمؤيد والاهرام ...^(١) واذا كتبت في المواضيع الادبية كالترية والتعليم أو آداب اللغة لا يلفت الى كلامك الناس فاني لا أعرف أحدا في مصر من طلبة الأزهر أو المدارس مشغلا باللغة وآدابها الا ان يكون في الزوايا من لم يعرف . نعم ان هذا الامر مهم ومفيد لكنه لا يأتي منه ما يكفي لثقافته ولا ينبغي التعب وافاق المال هكذا ...

(وفيها انني ذكرت له هنا ما ذكره لي صاحب الهلال من كثرة مشتركيه وأنه ارتاب في ذلك وقال ان المشتركين الذين يدفعون الدرام قليلون وما كل من يكتب اسمه في دفتر أصحاب الصحف كذلك . ثم كتبت ما نصه) :

« ثم انتقلنا الى موضوع الامة ومرضاها وان أنفع الوسائل في معالجتها التربية والتعليم ونشر الافكار الصحيحة » فقلت هذا ما احدا بي لانشاء الجريدة ، واني أسمح ان اتفق عليها سنة وستين من غير ان أكسب شيئا ... قال ان كان هكذا

(١) هذا نص ما في المذكرة بحروفه ونقطه وأتذكر انه ذكر لي مررب هذه الجرائد فأشرت اليه بالنقط لانه لا ينسى

فهو حسن ، وهذا أشرف الاعمال وأفضلها ، وأنا اذا كنت على ثقة من مشرب
الجريدة فاني أساعدها بكل جهدي » اهـ

ولما كتبت فاتحة العدد الاول أعجبه ما بينته فيها من خطة المنار ومقاصده ولم
ينتقد منها الا كلمة واحدة في حقوق « الامة على الامام » قال إن المسلمين ليس
لهم الآن إمام إنما امامهم القرآن. فتركت تلك الكلمة لاجله. ولم أطلع على شيء قبل
طبعه مما لا يتعلق بشخصه والحكاية عنه الا تلك الفاتحة. ثم كانت تزداد ثقته بالمنار
وصاحبه (ولاحل لشرح ذلك هنا) ولكنه لمرة نفسه ومحافظته على قيمة كلامه كان
يكتفي من الترغيب في المنار بما يمدحه، والشهادة بفائده وفعده، دون التصريح بالدعوة
الى الاشتراك فيه، وقلا كان ذلك يجدي لبعد أكثر الناس المومنين عن الاهتمام
بأمر الاصلاح الديني والاجتماعي، قد اشترك في المنار عند ظهوره الافراد من أصدقائه
ومريديه بترغيه، واشترك المئات من غيرهم بغير ترغيب من احد ولم يكن في ذلك
غناء ، وما زاد دخل المنار على نفقاته الا في السنة الخامسة، وقد كان لمقالاته (الاسلام
والنصرانية) تأثير في ذلك. ولم أعلم أن عشرات من المشتركين طلبوا الاشتراك
بتأثير ثنائه عليه الا في تلك السنة وكان هؤلاء المشتركون من مديرية الدقهلية
وما جاورها، سمعوا منه ذلك الترغيب في بلادم أيام كان فيها يوزع الاعانات على
الذين نكبوا بالحريق ، ولا أتذكر انني طلبت منه المساعدة تصريحاً ولا تلميحاً
الا في أوائل تلك الايام ، فاني كتبت اليه كتاباً أشرت فيه الى الشكوى من قلة
الاقبال على المنار - وكان في المنصورة - فكتب الي كتاباً قال فيه هذه الكلمة
التي كانت أحب الي من كل ما تجدد من طلب الاشتراك ، لانها بينت رأيه في
المنار كتابة وهي :

«الناس في عماية عن النافع وفي انكباب على الضار، فلامعجب اذ لم يسرعوا بالاشتراك
في المنار، فان الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر، بما هو أصلح للأجل
وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك الميل في الاغنياء قليلاً، والفقراء
لا يستطيعون الى البذل سيلاً ، ولكن ذلك لا يضعف الامل ، في نجاح العمل »

وأذكر أيضا أن وجيها من أسرة كبيرة غنية في بعض المديرية كان يعد من حزب الاستاذ طلب مني بمحضرة ارسال المنار الى بضعة عشر مشتركا من أقاربه وأصحابه على انه هو الكافل لهم ، والملتزم لتحصيل قيمة الاشتراك منهم ، فأرسلناه اليهم ، وبقي عدة سنين لا يدفع عن نفسه ولا عن أحد منهم شيئا حتى في حياة الاستاذ ، ثم بعد تكرار المطالبة وصل الينا منه ومن غيره اشتراك بعض السنين من بعضهم ، ويشنا من الآخرين فحونا أسماءهم .

وأما أصحاب النفوذ والوجاهة من أصدقائه — الذين كانوا أقدر منه على نشر المنار لو أرادوا لتصريحهم بما لا يصرح هو بمثله — فلم أعلم لأحد منهم مساعدة تذكر الا ان مصطفى بك الباجوري رحمه الله تعالى طلب للمنار لجماعة في طنطا أكثرهم من أصدقائه المحامين . على أن كثيرا من جماعة الاستاذ ما كانوا يدفعون قيمة الاشتراك ولا كنا نحن نطالبهم بها لاجله ، وهو لم يأمر بارساله الى أحد بغير نحن الا الى اثنين من أصدقائه (أحدهما) شيخ صوفي صالح مشهور في الوجه القبلي (وثانيهما) قاض شرعي من اخوانه مريدي السيد جمال الدين في الوجه البحري ، (رحمهم الله أجمعين)

وجملة القول ان الاستاذ قدس الله روحه صرح لي بما حقيقته انه لم يعمل للمنار ما يحب عمله له ، بل قال لي مرة أو أكثر من مرة : اني لم أعمل له شيئا . أي ما يعده هوشينا يذكر . ولا سيما بعد ما رأى من مقاومة أعدائه له ، وعدم قيام أصدقائه بما كان يحب من مساعدته ، على ما رأى من شدة ميله ورغبته ، وقد كان هو يقوم بموافاة رغائبهم وقضاء حوائجهم بمجرد الشعور بها ، ولا ينتظر منهم إلحاحا ولا تصريرا بطلبها ، وكان يجب ان يكون كل فرد منهم أولى بذلك منه ، لا لأن له الفضل عليهم ، ولتقام الاعلى فيهم ، بل لانه أشدهم حياء وأرقهم شعورا . فلا ينبغي لمن عرف طباعه وأخلاقه العالية ان يكلفه ما لا يليق بها ، كالتصريح بطلب الشيء بلسان المقال ، مع العلم به من دلالة الحال ، على انه هو لم يكن يكلف صديقه مثل ذلك وان كان ذلك الصديق لا يستحي منه ، ولا يقل مثله على طباعه وأخلاقه .

من أجل هذا كانت مقاومة أعداء الاستاذ للمنار أعظم من مساعدته له ، وانما

كانوا يقاومونه لتتويجه به ، وأذاعته لملحه وقضه ، وأنتي أذكر في هذا المقام كلاما للشيخ علي يوسف صاحب المؤيد عفا الله عنه فيه عبرة لصاحب الرسالة التي أوجبت كتابتنا لهذا المقال ، ولتنبهه عن يتبرون بوقائع الأحوال ،

قال لي الشيخ علي يوسف مرة: إنك أنت رجل غير عادي فقد أوتيت من العلم والبصيرة وسعة حكم الدين وأسراره وما يحتاج اليه المسلمون من الإصلاح في هذا العصر ومن حسن البيان ما جعل بمجالسك من الحاجات الضرورية التي لا غنى للمسلمين عنها إذا أرادوا أن يرتقوا في هذه الدنيا مع المحافظة على دينهم، وكان يجب أن يوجد المنار في كل بيت من بيوت المسلمين ، ومصر مستعدة لرواج هذه الافكار فيها، وأنت هنا غريب ليس لك أعداء ولا حساد إذ لا يدرك احد قيا مزاجها له في جابه وصيته. الا انك التزمت في المنار اطراء الشيخ محمد عبده والتتويه به، وهو اهل قلبك الا انه غير محتاج اليه اذ لا يزيد في قدره عند عارفي فضله الكثيرين ولا ينقص غيرهم من مبغضيه ، وان للشيخ أعداء كثيرين لهم نفوذ في البلاد، وأنت بهذا التتويه به تجعلهم خصوما للمنار يقاومونه ويتفرون الناس منه، وأكثر من يسمح ذلك منهم يأخذ به بالقبول، فغير لك أن تترك هذه الخطة وتسلك في ذكر الشيخ طريق المؤيد بأن تنبر عنه اذ لم اتضعت الحال ذكره بأحسن ما يقرن بأسماء كبار العلماء وهو لقب « فضيلة الأستاذ فلان — أو زيادة — العلامة فلان » فهذا تأمن كيد أعداء الشيخ لك المفضي الى حرمان أكثر المسلمين بمصر من الاستفادة من المنار

قلت له انني أعلم قدر ما في هذا الكلام من التصنيعة وانتي قد علمت بالاختبار ان أعداء الشيخ يصدون عن المنار وقلما يوجد من يمارضهم في ذلك . ولكن المنار أنشئ للإصلاح لا لتجارة ودعوة الإصلاح لا يرجي ان تنجح وتبقى الا اذا كان للإصلاح زعيم يرجع اليه ويسؤل عليه ، ولا أعرف أحدا في المسلمين اهلا لهذه الزعامة بملحه وبصيرته وإخلاصه وأخلاقه الا هذا الرجل، فأنا أقصد بالتتويه به ترشيحه لزعامة الإصلاح في العالم الاسلامي كله لا في مصر فقط . وهذا لا يخرج ركن من أركان الإصلاح يرجع على كثرة قراء المنار في القطر المصري. فقال اذا كان الامر كذلك فأنت أدري بشأنك

هذا — وإن هذا القول من الشيخ علي يوسف قد كان قبل اشتداد غضب الأمير على الأستاذ الامام وأظهاره للناس وما ترتب على ذلك من التقاطع الأخير بين الأستاذ والشيخ علي ، ومن سعي كثير من كبار المقربين للأمير لتفريق بين الأستاذ رحمه الله تعالى ، إذ كان ممن كلفه في ذلك الوزير الشهير بطرس باشا غالي ، ومن كلمني فيه تقيب الاشراف وشيخ مشايخ الطرق الشيخ ترفيق البكري .
ولا حاجة الى شرح ذلك في هذا المقال

لن صاحب الرسالة (م . ن) يعلم ما لا يعلمه الا الاقلون من تاريخ المنار وما بقي من المقاومة وكونها على قوتها لم تكن مانعة من اقتضائه واحترام كبار الامة — حتى خصومه — له ولشئته ، وأنه على كثرة ما كان ينتقد العلماء وبقي عليهم من تبعة فساد دين الامة ودنياها لم يتصد أحد منهم لرد عليه مع دعواته اياهم الى اعتقاد ما يرونه مستقدا فيه على رأس كل عام ، ويعلم أيضا أن مقاومة الامراء والكبراء من العلماء يزعماء الحزب الوطني وغيرهم لم تكن صادرة من دونهم في الجاه كحمد افندي عمر من الدعوة الى الاشتراك في المنار ومن استجابة كثير من الناس له ، ذلك بأن الحرية الشخصية قد رسخت في البلاد ، حتى صارت مستعدة لقبول كل دعوة واقتضاها بقدر من يتبعه باندتها من الافراد . ولكن الدعوة لا تنجح بفشر مقالة أو مقالات معدودة ، بل يشترط لتجاحها أن يكون لها دعاة دائبون ، وتأثير القول فيها أكبر من تأثير الكتابة ، ولا بد من المواظبة والتكرار كما علم من سنن الله تعالى في كل دعوة الى إصلاح أو إفساد ، فهذا هو سبب حكمتنا على رسالته بأنها لا تقضي الى نيل المراد بالاقوال والافعال العارضة الموقته ضيقة التأثير في الامور العامة ، وإنما العمدة فيها على الدعوة الدائمة فقد أيد المنار أقوى من أثبتت هذه الديار حجة وتأثيرا روحيا ولم يكن نجاحه بتأييده وتنشيطه ، وخذله وثبط عنه أعظم من فيها فخرذا ولم يجب بخذله بتشيطه ، وقد زالت والله الحمد تلك المناهضة فلا يخشى أن يلقى الداعي بعدا ، ولا مسارعة ثم ليعلم صاحب تلك الرسالة ان المنار ثابت بفضل الله تعالى وإن اقتطعت منه صفحة بدأت الحرب الاوربية كل مدد كان يأتيه من البلاد الصليبية والارمنية والمنار في الاسلامي ، وكذا من المشرق والجنوب الاقليلا ، وسواء كان المدد من أي جهة

أسماء مثات من مشتركي القطر المصري ؛ بعضهم يحق وبعضهم ينير حق بل بشهادة غير عادلة من الجباة . — وكان هذا في فترة بضع سنين لم أنظر فيها شيئا من أمر الادارة وقد قضيت كثيرا منها في الاسفار — وان التأخر من مال الاشتراك على الثابتين من المشتركين يزيد على ألف جنيه مصري . واني لا أعترف بأن جل التبعة في ذلك على تقصير الادارة وتركها مطالبة الكثيرين منهم لا هل من طولوا فلولا ومطلوا ، وانا لارجو ان توفق ادارتنا فيما شرعت فيه من الاصلاح الى اقتضاء حقوقنا بالحسن ، فقلما يوجد في مشتركي المنار من يستحل أكل ماله بالباطل وهضم حقه بغير عذر ، ولكن يثقل على بعض من عليهم اشتراك عدة سنين ان يؤدوها دفعة واحدة ، ولا يضرنا تأديتها أقساطا متعددة ، وإن منهم أفرادا يطعمون بأن ترك لهم شيئا مما عليهم برضا منا ، ومن هؤلاء من يتوصل الى ذلك بأن بعض الاجزاء لم يصل اليهم ، وحجتنا انه كان ينبغي لهم ان يطلبوها في وقتها واذاً لارسلت اليهم بغير ثمن حسب الشرط ، وانا نعلم بالاختبار ان كثيرا من المشتركين تفضل عندهم الاجزاء أو يأخذها بعض أصدقائهم من مكاتبهم أو بيوتهم من حيث يدرون أو من حيث لا يدرون ، أو تضييع باتقائهم من مكان أو بلد الى غيره ، ثم يوهمون انها لم تصل اليهم البتة وقد مررنا هل ان نبذل جهدنا في حسن الاقتضاء ، واجبين من الاكثرين حسن القضاء ، وهلى ان نكتب بعد ذلك ما نرى فيه الفائدة من الاختبار ، ومنه التصريح بأسماء المحسنين والمسيئين في القضاء ، ليكونوا عبرة للمعتبر بحال المسلمين . ونؤكد البشارة لاختينا (م. ن) الداعي الى مساعدة المنار خوفا من سقوطه بما أحدثه الحرب من العسرة ان ما على خيار المشتركين في القطر المصري وحده يزيد على ما يحتاج اليه من النفقات فلا يضره انقطاع المدد عنه من الخارج ، فاذا كان يجب زيادة انتشاره لاجل تعميم فائدته فالطريق الى ذلك هي الدعوة الى منهجه الاصلاحى ، ولكل دعوة أهل ، ولكل مجتهد نصيب ، ودعوة الاصلاح بالحق أحق أن تستجاب ، ولا سيما اذا روعيت فيها الحكمة وفصل الخطاب ، (أفن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أم من لا يهدي الا ان يهدي ؟ فالكم كيف تحكمون !)

رحلة الحجاز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله تعالى أن وقفت في هذا العام ثلثية دعوة أينا إبراهيم ، عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، بأداء فريضة الحج ، وإكمال المناسك بالمعج والتمج ، ثم أحده عودا على بدء أن وقفتي للوفاء لوالدتي بالحج معها . بعد أن حالت دونة الأقدار بالأعذار تارة من قبلي وتارة من قبلها ، بل أحده قبل ذلك كله أن حزن من سخر من الدول لازالة ما أحدثته الحرب الاوربية العامة من موافع السفر بالبحار الى الحجاز ، وتكلفت إعداد السفن لحل الحجاج ، بعد أن وفق الشريف أمير مكة للقيام بأمر استقلال العرب في تلك الاقطار ولماهدة تلك الدول المتصرفة في جميع البحار ، فسيحان من سخر من شاء لما شاء بتوفيق أقدار لأقدار ، وأظهر حجة على الخلق في كل عصر من الأعصار ، من آيات يزداد بها إيمان المؤمنين ، وبحق بها القول على المجاهدين ، — والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين ، الأبي الذي أرسل لتعليم الاميين والكاتبين ، العربي المبعوث لتوحيد الامم باللغة والدين ، وعلى آله وأصحابه الكرام ، الذين أخذوا عنه المناسك وأحيوا شعائر الاسلام

أما بعد فإن ركوب الالوف من المسلمين لتون البحار ، وجذبهم من أقصى المغرب والمشرق لاداء فريضة الحج في هذا العام ، يصح ان يعد من تأييد الله تعالى للاسلام ومن المعجزات الدائمة لخليفة ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، ومصدق الحديث « ان الله سيؤيد الاسلام برجال مامم من أهله » وقد ورد بلفظ آخر صرحوا بصحة منده .

أوليس خذلانه — جلت قدرته — لحكومة الاتحاديين الملحدين ، بما أقدموا عليه من التثكيل بالعرب وانتهاك حرمت الدين ، وتوقيفه — عمت رحمة — لأمر مكة ومن معه من المسلمين ، بالخروج على البغاة المارقين . وتسخيره — بهرت حكمته — لدولتي الفرنسيين والبريطانيين الكاتبين ، بـ. الحجاج من الغرب والشرق الى البلد

٣٠٨ كون الحج تلبية لدعوة ابراهيم وماكان من الموانع دونه [المنازل: ج ٥ م ١٩]

الامين = أليس هذا كله أقدارا تابعت ، وأسرا را تشايحت ، فأنجحت عن استجابته سبحانه وتعالى لدعوة ابراهيم خليله ، وإحياء شريعة محمد عبده ورسوله ، بعد ما كاد يظن ان أسباب الحرب الظاهرة ، حالت دون تلك الدعوة الطاهرة ، (١٤ : ٢٩) ربنا إني أسكنت من ذرتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجل أفئدة من الناس بهوي الهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) بل وإتها لتؤيد ما روي عن ابن عباس ، من تلبية الناس لتلك الدعوة في عالم الارواح ، إذ قام عليه الصلاة والسلام بعد فراغه من بناء البيت العتيق ، بمشلا قول الله له (٢٥ : ٢٢) وأذن في الناس بالمحج يأتيوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فجٍ عميق ٢٦ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من هبة الانعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ٢٧ ثم ليقضوا قمتهم ويوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) * قد روي عنه ما معناه أن الله تعالى أمره أن ينادي بذلك وقال له عليك النداء وعلى البلاغ . وأنه قام في مقامه (المعروف الى الآن بمقام ابراهيم) وقيل في الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبي قبيس فنادى يا أيها الناس ان الله قد اتخذ بيتا فحجوه — فاجابه كل من كسب الله له المحج الى يوم القيامة قائلين « ليك اللهم ليك » فان لم تكن هذه الاجابة حقيقية في عالم الارواح ، ولا عبارة عن الاجابة بالقوة ولسان الاستعداد ، فهي تمثيل لما تظهره مجاري الاقدار ، من وراء حجب الاستقبال ، فتشاهده الاجيال في كل حول من الاحوال لقد كان التعزيع الى حج بيت الله الحرام ، هوى ساكنا في القلب يمركه الموسم في كل عام ، ونحول موانع الاقدار دون جذبه البدن الى تلك المشاعر العظام ،

(*) التأذين والاذان بالتيه السداه للاعلام به . والرجال جمع راجل وهم المشاة ، والمني يأتيوك مشاة وركبانا على كل ضامر من الابل وغيرها وهو المهزول من طول السفر ، وأتئين صفة لكل ضامر . والفتح الطريق ، والملك المنفرج بين الجبال ونحوها ، والسيق البعيد النور أو المدي ، والأيام المعلومات يوم النحر وأيام التعريق بسده ، وكذا يوم عرفة في قول ، والامر بالاكل من لحوم ذبائح الهدي التي تذبح عنى في تلك الايام — سومتها الاضاحي في سائر البقاع — لانصب عند الجهور والوجوب عند طائفة . والتفت المناسك ، أو التحلل من الاحرام الذي يزال به الوسخ بالحق والطيب اذ أصل التلث الوسخ . والمراد بالطواف هنا طواف الإفاضة الذي يتم به ارتكان المحج فيتم التحلل منه .

[المنار: ج ١٩ م ٥] أوهام المصريين في حج هذا العام قبل حصوله ٣٠٩

وأهمها ما كان أولا من عدم الامن على النفس من ظلم الحكومة الحميدية ، ثم ما هو شر منه وأنكى من إلحاد الحكومة الاتحادية ومنها ما كان في بعض السنين من عدم استطاعة السبيل ، أو عجز السيدة الوالدة عن الرحيل

فلما دعت الحكومة المصرية المسلمين في هذا العام الى الحج بألسنة الصحف المنشرة ، والتزمت حمل من يحج الى جدة ذهابا وإيابا بأجرة قليلة ، تاركة ما كانت تتقاضاه من كل مريد للحج من التأمين المالي ، وعلنا أن هذه الدعوة مبنية على تأمين الشريف أمير مكة للبلاد ، وإزالته كل ما كان هنالك من أسباب العيث والفساد ، — صادفت هذه الدعوة في أنفسنا أتم الاستعداد والاستطاعة ، واتقاء جميع الموانع دون هذه الطاعة ، بل تأكدت داعية الفريضة ، بما يرجي في أثناء أدائها من واجب النصيحة ، التي تقتضي الحال الحاضرة أداءها لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، فقد علنا أن طريق الحج ، قد مهد لمسلمي الشرق والغرب ، الذين حالت بيننا وبينهم الحرب ، فلا سبيل لتواصل بيتنا وبينهم من الطاق ولا من الباب ، ولا للتناصح بخطاب ولا كتاب ، ونحن الآن أحوج ما كنا الى التناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والتعاون على ما يجب من التقوى والبر ، قبل تتواني في أداء هذه الواجبات ، وقد ابيحت لنا في أشرف الامكنة وأفضل الاوقات ، إذ تودى الناسك في بيت الله ومشاعره العظام متى والمزدلفة وعرفات ؟

نعم ان حكومة هذه البلاد آذنتنا بإباحة الحج في هذا العام ، فذكرتنا بإذنها به أذان أينما ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، فلي القلب داعي الله قبل تلبية اللسان ومسي الاقدام : « لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » فلم نكن ممن يثنيهم عن هذا التلبية إرجاف المرجفين ، ولا خرمس الخراصين ، ولا إفاك المذاعين . الذين أذاعوا في طول البلاد وعرضها ان من يقصدون الحج في هذا الاوان . يلقون بأيديهم الى التهلكة بما أعد لهم من مدافع الترك وطيارات الاماز ، ولا قولهم إن صاحب المنار مرسل مع وفد العلماء الذين أرسلهم سلطان مصر لمبايعة الشريف مكة بالخلافة . ولا قول بعضهم إنه هو الذي يريد ذلك دون العلماء ولا قول بعضهم بالعكس ، فالفرائض والواجبات لا تترك

٣٩٠ أوهام المصريين في حج هذا العام قبل حصوله [المنار: ج ٥ م ١٩]

لنقول غوغاء الناس، ولا لاوهام العوام ولا الخواص، وحسبي ان أعلم انني أحج
لوجه الله تعالى منقما من مالي الذي أعتقد حله وقد ادخرته لذلك في هيمان منفسين،
وانني ابغني زيادة الاجر عند الله تعالى بصحبة والدتي وخدمتها في هذه السبيل،
وبما أبقيه من الازدياد من العلم النافع والاختبار والاستفادة من أهل العلم والبصيرة،
وبما أنويه من النصيحة لكل من أرى الفائدة في نصحه من اخواني المسلمين في تلك
البقاع الطاهرة الشريفة، بما أرى فيه الخير والمصلحة لأممي في أمري دينها ودنياها،
لا أحابي في ذلك شريفا ولا أميرا، ولا أغش فيه سوقة ولا فقيرا، وانما الاعمال
بالبنيات وانما لكل امرئ ما نوى. كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم.
على ان جبل الكذب - كما تقول العامة - قصير، ولا سيما اذا كان في شيء
كالجج موعده قريب، فسفر الحج في هذا العام كان أقل من خمسة أسابيع، فما
أسرع ما ظهر كذب تلك الاقاويل

لم يبق أحد في مصر الا وقد علم ان حجاج بلاده قد دخلوا المسجد الحرام
بمشيئة الله تعالى آمنين، وأدوا مناسكهم وقضوا تقفهم محلقين رؤوسهم ومقصرين،
وعادوا الى أوطانهم سالمين منبوطين، وان الشريف لم يدع أحدا من الحجاج الى
مبايسته، ولا يزال الخطباء يدهون للسلطان العثماني في بلاده، وان صاحب المنار
لم يكن يئنه وبين وفد العلماء السلطاني خلاف في امر ابابطة المخنعة بمصر ولا في غيره،
وانه عاد مع والدته الى أهله وولده وموطن عمله كسائر الحجاج، اذ لم يذهب مدحوا
الى منصب قاضي القضاة ولا مشيخة الاسلام، وما هو ذا يقص خبر رحلته، على
جميع من يطلع على مجلته، بما يهدق قراؤها من صدقه وصراحته، اذ كان - ولا
يزال - يشرح ما طرأ من الفساد على الرؤساء والحكام، وما سرى من الضلال
والغرافات الى العوام، غير مبال بسخط الخاصة ولا بهم باستمالة العامة، (والله يقول
الحق وهو يهدي السبيل) :

(لما بقية)

باب الشعر والأدب

قال محمد توفيق عكي^(١) من قصيدة له في مديحه عليه الصلاة والسلام

هل مريوم لم يلح فيه أفقه شمس تضيئ لنا من القرآن
هل هزت الاجيال دين محمد فرأته غير مثبت الاركان
هل ينكر الثقلان أن نبينا كنز العلوم وكعبة العرفان
ومثبت التوحيد في أركانها بالمجرات وساطع البرهان
ولربما جعل الحسام نصيره في ردة أهل الظلم والظفان
وأعادها نورا وكانت ظلمة دهماء سائلة على الاكوان
لو أننا متمسكون بدينه لم يرض منا مؤمن بهوان
ولما هزُّ منا لو تجمعت المدا لقتانا واستظفروا بالجان
لكننا فشت المعاصي بيننا وتحكمت فينا يد الشيطان
توبوا الى الله الكريم وأصلحوا أعمالكم خافوا من الثيران
وقال في أصحاب السوء

لي أصحاب اذا عاشرتهم لا تقل ان عثروا يوما لما^(٢)
يا كلون السحت فيما بينهم ليس من جوع ولكن جشما
يمزجون الخمر بالماء فهل مزجوا أن شربوها أدمعا
فعبوا عن كل فخر وعلا وسعى للعار منهم من سعى
وهم والله في أعناقهم — لا يحبون التقى الورعا

(١) هو ضابط (يوزباشي) في الجيش المصري وكان رفيقا لنا في سفر الحج
وسياتي ذكره في الرحلة (٧) يقال للعاثر « لما لك » دعاء له - أي أمنتك الله
وأقامك من عثرك . واذا دعي عليه يقال له : لا لما لك

كم نهينام عن الخمر فلم يحدوا من دونها منتجما
 كم زجرناهم عن القحش فلم يحدوا في غيره متسما
 انهم قد ظلموا أنفسهم فاصفع اللهم عن رجعا
 ﴿وقال في ذم الخمر وضررها﴾

خذوا كأسها عني فإنا شارب ولا أنا عن ديني ودنياي راغب
 لقد حرم الله المدام وانني الى الله مما تستحلون تائب
 لئن بثت جبارا على الارض قاهرا فلست لجبار السماء أحارب
 أشرب مما ناقما في زجاجة تحوم حوالى شاريه المصاب
 لئن شهبوا كأساتها بكواكب فكأنذرتنا بالنعوس الكواكب
 وإن عصروها من خدود كواكب فكمن بلاجرهن الكواكب
 ﴿وقال في تفضيل الماء على الخمر﴾

إذا طاف بالكأس الدهاق طيكم فما أنا منكم ببرا الله منكم
 لي الماء وحدي لا أبالي بجمعكم رضىتم غضبتم ختم أو وفتم
 فصقق أباريق المدام وهاتها زلا لا فنسي أو شكت تنصم
 فتلك مدامي لا بنات دناتهم وذلك زجاجي لا لزجاج المقدم^(١)
 إذا قرقت في الكأس ألقيت فضة تدفق أو ذوبا من الدر يسجم
 يقطر ما الدن الحلال^(٢) كأنما تتابعها عقد من الدر ينظم

(١) الأناة المقدم ما وضع على رأسه القدم وهو يفتح الفاء وكسرهما ليف يصق: ١٠٠٠ يصب منه في الاكواب. يقال قدمه بالتخفيف والتشديد وأقدمه
 (٢) الدن بالدج وعاء كبير للشراب ووصفه بالخلال باعتبار ما فيه . وتقطير الماء
 لسانه قطرة بعد قطرة ولعله أراد بالدن المقدم ما وضع عليه المصفاة (الفلتر)
 واسناد التقطير اليه مجاز

يرن رنين المود في كل قطرة
 وشتان بين الماء والحرف في فم
 فمن شاء أن يلتقي جهنم قبل أن
 تجاذب روح الشارين بنشوة
 ومن خاف ناب الافوان ينوشه^(١)
 يمزق أستار النفوس لُعا به
 منابغ أدواء موارد ريسة
 وطاب لأصحابي من الحُرَّتْتها
 يقولون شرب الخربات فريضة
 فهلا ترى أنا نموت بتركها
 ألم يكفكم وردا كؤوس مزاجها
 ونضيبكم عز البلاد وهدمكم
 أقامت أطراف الدوالي وصانه
 اذا مالت الدنيا به قام ركنه
 ألا ابلغوا اهرام مصر توجعي
 وقولوا للمسيح بن سبتي أفق لنا

كأن قيانا تحتها تترنم
 ولكن ذاحلٌ وهذا محرم
 يموت قتي حان المدام جهنم
 تكاد لها أحشاؤهم تنضرم
 قتي كأسها ناب خفي مسمم
 ويلطم ناب الشارين فيبتم^(٢)
 تطول بها البلوى ويقذى بها القم
 وأومهم شيطانها فتوهوا
 طينا فلستان ان تركناه نهضم
 فقلت لهم موتوا فلا خير فيكم
 من الذل والحرمان صاب وعلم
 بناء حقيقا انه لا يم — دمم
 قرونا على الدنيا الحديد المثلم
 يناطح رُوق النجم والدهر مرغم
 وان تلك لا ترني ولا تترحم
 أتركنا في ذا الشقاء وتتم^(٣)

باب المراسلة والمنظرة

﴿ جمية آداب اللغة العربية بلندن ﴾

سيدي الاستاذ محرم « المنار »

لا أرى بداً — اذا سمحت مكارمكم — من نشر كتابي هذا في « المنار »،

(١) الافوان بالضم ذكر الافاعي وينوشه يتناوله ويأكل منه. استعمله بمعنى ينهشه (٢) يعني أن لعاب الكأس وهو الخمر يقصد الاستان ويتلقها فعبر عن ذلك بلطم الناب وهتمه أي كسره (٣) لاندري من أين علم الناظم أن رمسيس سيد ناهم (المنار : ج ٥) (٤٠) (المجلد التاسع عشر)

ولي من ظاهر عنايتكم بهذا المشروع شفيح بذلك ، ومن تكرر تحريري في المجالات الأخرى هنر في الركون اليكم ، فان من الضروريات في جميع الاعمال العامة الكبيرة كسب تضيد مجموع الصحافة لابعقة وقتية بل بصورة دائمة . فلا بد اذن لتلمي العائر من تكرر الاعلان عن هذا المشروع ، ومن أمثال فضيلتكم ترجى الموازنة الادبية الوجيبة فيما يذهب بضرر ويجلب فائدة للشعوب المستضعفة التي تذودون عن كرامتها وتناضلون عن حقوقها .

أغراض المشروع واضحة جليلة وقد سبق لكم نشرها في « دعوة اللجنة التحضيرية » ، وكلها تدور حول قطلة جوهرية وهي خدمة اللغة العربية بجميع الوسائل الممكنة ، ونحت هذا تطوي عدة مسائل أدبية اجتماعية وقومية حيوية لا يخطئ في تقريرها الفكر البصير .

ينسأل بعض النقاد: لماذا أشركتنا معنا - نحن العرب - المستشرقين في عمل كهذا جدير بنا أن نستقل به؟ وهو سؤال غريب اذ ما سمعت أن العلم مقيد بقيود الجنسية، وما من مطلع الاو قير مؤلف « تاريخ آداب اللغة العربية » على قوله في مميزات النهضة الأدبية الأخيرة منذ سنة ١٧٩٨ م الى الآن : « من العوامل الرئيسية في احياء آداب اللغة العربية في هذه النهضة اشتراك الافرنج في درسها ونشر كتبها والتتقيب عن تلك الكتب في مظاهرها . وليس اهتمام الافرنج بالآداب العربية حديثا فانه يرجع الى الاجيال الوسطى قبل نهضتهم الأخيرة لانشاء تمدنهم الحديث » تقوم هذا شأنهم وتلك آثارهم يجب أن نتعلم منزلة الاكرام ، ان لم يكن لحومة العلم والادب عامة فاحرمة لغتنا التي هي ديوان أخلاقنا وحضارتنا وأدبنا . فن الاعتراف ونكران الجليل أن ينمى علينا هذا التصرف وأن نأبى به . ومن الفكاهة المرة أن يشترط على طالب علم افادته عن سيرة رئيس « اللجنة التحضيرية » وسيرة كل عضو من أعضائها قبل أن يتبرع بعلم واحد لهذا العمل « وانت راق لديه كثيرا » ألهذا الحد بلغ بنا التحفظ والتهيب وسوء ظن بعضنا ببعض الآخر؟ يكفي في الرد على مثل هذا السؤال أن يقال: ليس بين أعضاء اللجنة التحضيرية إلا من يبار على نهضة اللغة ، وكلنا طلبة علم نريد ترقية معلوماتنا وتمرين أنفسنا

على الترجمة ثم التأليف ، وتعود أعلامنا على لغة مهذبة قديمة مع تعيين الكلمات الاصطلاحية العلمية والفنية متحدثين لغة الكتابة السليمة التي هي في كل أمة غير لغة العامة. وبعبارة أوضح إنا من أوساط المتعلمين لا مبزة لنا غير اجتهدنا واقدامنا على أداء واجب تناساه من هم أقدر منا ، فلسنا بالفلاسفة ولا بالفحول ، كما لا أعرف أننا وضعنا في درجة العوام والغواة . ولنا من يصطادون الاموال لنفع جيوبهم ، ولا ممن صدرت عليهم أحكام المحاكم الجنائية ولا غيرها ، فعلم يتخوف من يروقه الصل من التبرع ، وكل قرش وكل جنيه يرسل باسم المجنسة يودع فوراً في « المصرف الاهلي المصري » بلندن ؟

وأما الاستاذ مرجليوث فلعل شهادة سواي فيه أولى بالاعتبار . قال مؤسس « الهلال » وقد أوجز كثيراً كهاتيه : « ليس بين قراء العربية من لا يعرف الاستاذ مرجليوث لما نذكره من آثار قلته في خدمة اللغة العربية بالتأليف أو النشر . وقد تلقى علومه في جامعة او كسفورد وتولى تعليم اللغة العربية فيها من سنة ١٨٨٩ م ، وهو يمتاز على الخصوص بسمة معرفته في اللغة العربية وآدابها . يكتب أصدقاؤه من العرب بأسلوب عربي خالص من شوائب العجمة . وله فضل نشر كتب عربية هامة آخرها كتاب معجم الادباء لياقوت الحوي . وقد نشر رسائل أبي العلاء مع ترجمتها الانكليزية وهو عمل لا يستطيعه الا القابض على قاصية اللغة العربية لان هذه الرسائل لا يفهمها العربي الا بمراجعة المعاجم ، ونشر آثارا عربية تاريخية وشعرية ، وقطعة بايبروس عربي كانت في مكتبة او كسفورد . وألف في مشاهد اورشليم ودمشق كتابا حافلا بالرسوم والشروح ، وله كتاب في سيرة النبي بالانكليزية . وترجم الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي الى الانكليزي وله مقالات عديدة في المجلة الاسبوعية الانكليزية وغيرها » . اهـ

وكتب الي أحد الفضلاء يسألني عن مزية العمل من الوجهة السياسية « حيث أن مركزنا السياسي الحاضر هو في نظره أهم المسائل » . . . مع أننا أبنا مرارا أنه ليس لهذا المشروع أي صبغة سياسية ، وما تطرقت السياسة الى عمل كهذا الا أفسدته . ولن يبدل حالتنا السياسية جمعية ولا جمعيتان ، فان الليل لا يبرأ بالاعلان زورا عن غافيته ، بل

بإستئصال دأبه وعلمته . ولكن اذا كنا وعظم الافريقيين واشرقين والعرب عامة
معا ودين في نظر الاوربيين بمرتبة البهايم ، ألا يعد من الحكمة اذن تخفيف هذه
الوطأة باظهار فضلنا في أدوار نهضتنا العلمية والادبية وتصحيح الغلط الفاحش الشائع
عنا ، فكل هذا يمكن تحقيقه بهذا العمل الجامع أيضا لمزاياه الادبية البحتة .

لو كانت اسنا في هذه الديار منزلة من الاحترام لما راجت على حسابنا رواية
« قسمة » التي هي كانت ظلما وفضيحة اجتماعية وتاريخية كبرى لنا . ولئن انتقد
بشدة تمثيلها مثل القائد الانجليزي السير سمث دروين رحمة بالآداب العامة ، فلعله
ولعل كثيرين سواء من عليا القوم يمتقدون صحة ما تمثله تلك القصة الخيالية من
الكبائر آسفين على حالنا الشائنة فيا للمصائب !! واذا كانت كل من روسيا
واليابان رغما عن تخالفهما مع انجائهما يقدرا أن أصدق التحالف ما كان بين الشعوب
بعضها مع البعض لاما بين الحكومات فقط ، فأصبحت جريدة « التيس » تصدر
من حين الى آخر بفضل المساعدة المالية التي تنهبها كل من تبتك الحكومتين ملحقات
ضافية شارحة الحياة الروسية واليابانية بكل أسلوب وسيلة جذابة للرأي العام
الانجليزي ، أيعني علينا نحن المرموقين بالازدراء والسخرية الذين لا تر بطنا محالفة
ولا جامدة حرة راقية بأوروبا - أيعني علينا أقدمنا على عمل كهذا يشمل ما بين
أغراض ازالة سوء التفاهم بين الغرب والشرق أو بالاحرى بين الفرنجة والعرب ؟
يقول كولدج : « اللغة عدو العقل الانساني الجامعة لغنائم فتوحاته السابقة
وأسلحة انتصاراته المستقبلية » ويقول وليم سمث : « اللغة هي ذكرى النوع الانساني
هي عصب حياة تمدد بين جميع العصور يربطها بالوجود المشترك الطويل المتري :
وبقبل هير : « اللغة مقياس الفكر والخلق القومي » ويقول السير ه دافى : « ليست
اللغة نافذة الفكر فقط بل هي أيضا عدة عظيمة صالحة في التفكير » . وفي كل هذه
الحكم الخالية الصائبة أحسن جواب لمن تبلغ بهم المغالاة في الاتقصاد الى
« السخر » من غير الشبان على لغتهم ، قائلين ان اللغة وسيلة لا غاية « وحرام »
أن نعين بها هذه العناية . : لا أنكر أي اعتبار اللغة وسيلة لا غاية وان صلحت أيضا
لان تكوينا غاية مخلقة كفن جميل . وما لنا من يدعو الى الكلام المتورع المعقد الذي

يكلف الذهن المشقة في فهمه ويحتم العقل به ، ولكن من الواجب علينا أن نصون لغتنا عن الابتذال الذي تدلّ إليه معظم المعرّين ، ومن الفروض علينا أن نتمشى مع الزمن في ترقية الوسيلة التي نتلق بها العلم والأصبح العلم دائماً غريباً عنا ، ومن الحكمة أن نطوّر لغتنا في مظهر عزيز لائق بها « لانها مقياس الفكر والحلق القومي » على حد قول هير . وفي اغراء الشبان العرب في أوروبا بالعناية بعمل أدبي علمي اجتماعي كهذا ما يصرفهم عن مضيعات الوقت والصحة والمال ، وما يساعد في دراستهم وفي تهيئة أنفسهم لخدمة أمهم في الحاضر والمستقبل .

لا يكابر أحد في أن الامة اذا ترقّت نهضت معها لغتها ونالت احترام الاجبي لها ، ولكن اللغة كذلك من أقوى دعائم الرقي ، ونهوضها من نتائجها كما أنه من وسائل النهوض العام للامة ، فنهوض الامة ونهوض اللغة على ذلك حالتان لا تفرقان ، وأمران متساندان ونهضتان مرتبطتان .

أحمد زكي أبو شادي

نادي مستشفى سانت جورج

(طيب)

بلندن

[المنار] ان هذا المشروع جليل ونفعه للعرب ظاهر لا يماري فيه الا أصحاب الواسوس السياسية ولا يصعب إقناع المستقل منهم بالرأي والفهم فائدته وانما يستحيل إقناع أصحاب الاهواء بما يخالف أهواءهم

باب الاخبار والآراء

السيد محمد وجيه الكيلاني (راجع ص ١٢٤ من الجزء الثاني)

جا في جريدة الهدى العربية التي تصدر في نيويورك ما نصه :

شيخ الاسلام بالقبليين ووفاته

عند منتصف ايل خامس مايو قضى الى رحمة مولاه في ريتشوند من أعمال ولاية فرجينيا في الولايات المتحدة السيد محمد وجيه الجيلاني شيخ الاسلام بجزر الفيليبين وقد كان قدم هذه البلاد منذ سنة ونيف وقام أسكن هذه المدة في فيلادلفيا وتردد أحياناً على واشنطن وعلى نيويورك إلا ان صحته لم تكن حسنة فأقعدته عن

التجول كثيرا وهذا ما أخر في إتمام مساعيه

كان السيد الجيلاني عالما قويا وعلى كثير من التساهل الديني ولد في دمشق وانتقل الى الاساتنة حيث اسندت اليه مراتب ديفية عالية . ولما ان بشت حكومة الولايات المتحدة بعد احتلالها الفيليبين وفدا الى الاساتنة للاتفاق مع سلطان تركيا على تعيين شيخ اسلام يتولى رعاية المسلمين عين السيد الجيلاني لهذه الوظيفة فذهب الى الفيليبين عن طريق سوريا وبلاد العرب وبلاد العجم والمهند وكان هناك يقابل امراء وعلماء المسلمين ويستنهض همهم في مشروع تهذيبي افكر به لترقية شؤون مسلمي الفيليبين الادبية . والتقى في مكة بمجاعة من هؤلاء المسلمين قادمين للحج فعاد وایام وكانوا يؤدون له اكراما أشبه بالعبادة فيسجدون امامه شأن البرابرة فنهام عن ذلك ، وحين وصل الى بلادهم اخذ ينتقل من جزيرة الى أخرى في الارخبيل ويدعو قوم المورو المسلمين الى عقد الاجتماعات فيخطب فيهم حاثا على الافلاخ عما يفهمون من الجهاد الديني وعوان يخلق الواحد منهم شر رأسه ويحمل سلاحه ويخرج بقصد الايقاع بالبيض الكفرة ولا يعود حتى يقتل عددا مفروضا أو يقتل هو وكان السيد الجيلاني مدة اقلته في تلك الجزر على تقام تام مع رجال الحكومة الاميركية الذين كانوا يرجعون اليه في كل مشاكلهم مع الوطنيين المسلمين . وساء السيد الجيلاني ما وجد ابناء دينه عليه من الممجة فأخذ يفكر في طريقة تهذيبهم الا انه لم يوافق رجال الحكومة الاميركية هناك على انشاء مدارس عمومية للحكومة فقال ان المسلمين لا يطمشون الا اذا كان لهم مكتب . لاصق للجامع يدرون فيه كتابهم الشريف بادي ذي بدء . ولجل تحقيق هذه الفكرة قدم الى الولايات المتحدة وأخذ يذمر للمقاتلات عن أحول الفيليبين في بعض الصحف الاميركية وفي الوقت نفسه سعى الى تأليف جمعية تهذيبية تتولى أمر انشاء المدارس الاسلامية في الفيليبين يكون مركزها الرئيسي في الولايات المتحدة وذات فرع اداري في الفيليبين يتولى هو رئاسته نظرا الى اقياد المسلمين هناك اليه وتحققهم حسن مقاصده فلا تدخلهم ريبة من مساعي الاميركيين أو عمد هؤلاء الى القيام بالمشروع مستقلين وقد كان السيد الجيلاني يتردد الى ادارة الهندي حين يزور نيويورك فرفتا عنه

ما سبق يانه من مقاصده ومساخيه ولكن وطأة المرض اشتدت عليه في الاشهر الاخيرة فلم يجتمع به أو يعرف شيئاً عن مشروعه. وكان من أمره أخيراً انه اضطر لاسباب صحية الى مفادرة هذه البلاد وبينما هو في الطريق اشتدت عليه غلته في ريشمند فرجينا. وهناك توفي. فعمده الله بواسع رحمته اه

﴿ إشراف أهل سورية على الفناء والزوال ﴾

لقيت في مكة المكرمة الضابط الحر الصدوق خالد أفندي الحكيم الحمصي وكان وصل اليها قبلي بأيام قلائل فارأى بدمه من بلاده بطريق البادية، فسألته عما وصل اليها من مصادر متعددة من أخبار المهاجة والفلاء ومصادرة السلطة العسكرية للاموال والغلال في طول البلاد السورية الفلسطينية وعرضها وتنكيلها بالاهالي تفتيلاً وتصليةً ونفياً من الديار — هل هو حق كما سمعنا أم هو مبالغ فيه ؟ وذكر لي له ملخص ما وصل اليها من ذلك . فقال ان ما بلغكم دون الواقع وليس الخبر كالمائة ، وانني أقدر انه لم يبق في البلاد من أهلها الا الشر . اه فاذا طال الامل على هذه الحال ، فسورية صائرة الى الفناء والزوال ، ولا يبعد ان يقرض أهلها الذين فيها من الارض ، قبل انتهاء هذه الحرب . فلا شك في ان مصابها بحكمونها الطاغية الباغية أعظم من مصاب بلاد البلجيك والصرب والجبل الاسود باحتياج الجرمان لها ، ولها عروش ملوكها . فيجب على السوريين المقيمين في مصر وأوربة وأمريكا أن يسارعوا الى البحث عن أقرب الوسائل الى إنقاذ البقية الباقية من أهل وطنهم لعلهم يبتدون اليها ويدخلونها من بابها بعد ان علوا ان دولة الانسانية (الولايات المتحدة) لم تقدر — وكذا غيرها من الدول التي على الحياد — على ما أحببت من إغاثة هذا الشعب المسكين بالقوت والعلاج ، ولا دول الحلفاء المحاربون لدولة الاتحاديين قدروا على إنقاذه . بالحرب والكفاح ، فان كان في هؤلاء السوريين من يتفكر هذا الاتقاد بعد النصر النهائي المأمول ، فليعلم ان أمد الحرب سوف يطول ، وأن لسان حال وطنهم ينشد صاحب هذا الاصل ويقول :

فلك البقا ظرب يوم ان تسل حتى تراجعني فلا تلقاني
مضى تنتهي الحرب وكيف تنتهي

قد أكثر الناس من حديث الصلح في هذه الايام وتلت الجرائد عن ذلك

من قواد دول الاحلاف وساستهم أنهم يرون ان الحرب قنتهي بانتهاء ربيع العام القابل (١٩١٧) أو صيفه بناء على ان مدّة القوة الألمانية قد تحول الى جزر، وجزر دول الاحلاف قد تحول الى مدّ تدفق ثوابه، ولا تنتهي عجائبه،

كنت التقيت في شهرشوال الماضي بوكيل شركة روتر البرقية في القاهرة فسألني — وقد ذكرت هذه المسألة — من رأيي فيها قلت له اذا أصرت انكلترة على ما عزمت عليه من قهر ألمانيا وإرغامها على قبول ما تشترطه مع أحلافها للصلح، وحافظ هو لا الاحلاف على عهدهم بأن لا ينفرد أحد منهم بقبول الصلح، فالرأي الراجح ان هذه الحرب تستمر عدة سنين، تهد فيها قوى جميع المتقاتلين، وتختصر أوربة الملايين الكثيرة من أفلاذ كبدها، وأتوف الملايين من دنانيرها، وعشرات المدن ومئات البلاد من ممالكها. فان أصغر الامم الاوربية وأضعفها تختار الفناء، على قبول القتل والقهر والاستخذاء،

وأرى ان الاحلاف لا يمكنهم ان ينزعوا من ألمانيا ما ييدها من مملكة بلجيكة وولايات فرنسة الا ان تكون خراباً ياباً لا حجر فيها ولا مدر، ولا شجر ولا بشر، وبعد ان ينفق على تغريبها الملايين من الرجال، والقناطير المقتطوعة من الاموال، واذا كنا نرى المحاربين يخربون بلادهم بأيديهم اذا اضطروا الى تركها لا أعدائهم ولربو قنات كما فعلت روسية وغيرها، فهل ينكر على الالمان العتاة ألا يتركوا بلاد أعدائهم الا قاعاً صفصفاً؟ أما تقصير أجل الحرب فليس له طريق معقول عندي — اذا أصرت الحكومات على فرضها — الا قيام الشعوب الاوربية من الفريقين على دولها. وإلزامها بإيهن بصلح يعود فيه كل شيء الى أصله ولا يتضمن إذلال دولة لاخرى، لان كل دولة وكل أمة أوربية تفضل الفناء على القتل ونخش الاستقلال التام لا الالمان وحدهم،

هذا معنى ما قلته يومئذ ولكن قيام الشعوب على حكوماتها لا يرجي مادام كل منهم يرجو النصر التام. فصديق على الفريقين قوله تعالى (واذبريكوم) إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً)

﴿ تاخر صدور هذا الجزء من العدد ﴾

يصدر هذا الجزء بعد يوم تاريخه بشهر وأيام بسبب غيبتنا في سفر الحج مثل هذه المدة ثم اشتغالتنا بقاء المئتين أسبوعين أو أكثر وعطل حصول بالة الطبع

يقضي الملكة من بقاء ومن يؤمن الملكة قلده
أولي غيرة كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة
١٣١٥

عمر جادي الذين يستمرون القول فينبور أمة
أولئك الذين هدهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و «منارا» كنار الطريق

مصر ٣٠ الحرم ١٣٣٥ — القوس (خ ٣) ١٢٩٥ ش ٢٦ نوفمبر ١٩١٦

فَتَاوَى الْمَشْأَنَاتِ

فصننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه وقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يبرر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالباً وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لئلا يخل هذا، ولن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

٨ - الاحتجاج بأحاديث الآحاد في العقائد

ومحقق معنى الظن واليقين والتواتر *

قال المشككون ان العقائد لا تثبت بأخبار الآحاد لان المطلوب فيها القطع ، وأخبار الآحاد لا تفيد الا الظن . وقد قال تعالى (ان الظن لا يضي من الحق شيئاً) وانما تثبت بالأحاديث المتواترة لانها هي التي تفيد اليقين الذي هو شرط الايمان وقد فهم كثير من الناس من هذا القول ما لم يرده المحققون من قائله فأخطأوا في فهم المراد وفي فهم كلف الظن واليقين فظنوا ان الاحاديث الصحيحة التي رواها الآحاد من الثقات المدول في صفات الباري عز وجل وفي أمور الآخرة لا يجب الايمان بها شرعاً ولا يضر المسلم تكذيبها ، وان لم يكن عنده شك في صحتها ، بناء على ان أحاديث الآحاد لا تفيد في نفسها الا الظن القوي لا يجوز الاخذ به في

(*) هذه تمة الاجوبة عن الاسئلة المستنبطة من الكتاب الذي نشر في الجزء الذي قبل هذا

المعتقد لانه لا ينبغي من الحق شيئاً . وهذا الظن الذي فهموه من عبارة المتكلمين هو الذي لا ينبغي من الحق شيئاً ، وما أعلن ان مسلماً يمتد بطله يقول به ؛ ولعل أول من قال تلك الكلمة أراد بها ان أحاديث الأحاد لا تقوم بها الحجة في العقائد على المنكر لو ردها ، وإنما تقوم بالتواتر لانه لا سبيل الى انكاره

الظن ضرب من ضرب التصديق بغير الحسي ولا الضروري من للمدركات ، فمما تتفاوت أفرادها بالقوة والضعف ، فمئة ما يكون يقينا لا تردد فيه ، ومئة ما يكون واجبا مع ملاحظة مقابل مرجوح تارة ومع عدمها تارة ، وقيل إنه يشمل المرجوح أيضا ، فالتصديق المبني على الأدلة النظرية الذي يجزم به المستدل مع عدم ملاحظة احتمال النقيض يسمى ظنا ، ولكن ادراك الحواس لا يسمى ظنا ، ولا العلم الضروري كقولنا : النقيضان لا يجتمعان ولا يرتقان . وهذا الحد الذي شرحنا به معنى الظن هو تفسير قول الأزهري ، في التهذيب : الظن يقين وشك ، وقول ابن سبويه في المحكم : هو شك ويقين إلا أنه ليس يقين عيان إنما هو يقين تدبر : فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم . هذا قول أئمة اللغة . وأما قول الفارابي في القاموس :- : الظن التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم — فهو مأخوذ من اصطلاح علماء المعقول كالمنطقة والفلاسفة ، ومثله قول المناوي : الظن الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ، ولكن الفارابي لم يسمه إلا ان يزيد على تعريفه قوله : وقد يوضع موضع العلم : بمعنى أنه يستعمل في اللغة بمعنى اليقين . فإن أراد أنه يوضع موضع العلم حتى في الحيات والضروريات فتوبه غير صحيح . واليقين العلم وازاحة الشك وتحقيق الأمر ، وهو تقيض الشك ، والعلم تقيض الجمل . قاله في لسان العرب . ثم قال :- : وربما هربوا بالظن عن اليقين واليقين عن الظن .

وقال الراغب : الظن اسم لا يحصل عن أمانة وموتى قويت أدت الى العلم ومعنى ضعفته جدا لم يتجاوز حد الزعم . ثم ذكر أن من اليقين قوله تعالى (وظن أنه الفراق) وقوله تعالى (ألا بظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) وقوله (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) وقوله (وظن داود أنه قتاله) وإنما يظهر هذا في اليقين اللغوي وهو الاعتقاد الجازم المبني على الامارات والاستنباط والاستصحاب دون الحس.

والضرورة — لا اليقين المنطقي المبني على الضرورة أو الحس أو ما يؤدي اليها بحيث لا يحتل القيقض . وقد فسر الراقب اليقين بقوله : هوسكون الفهم مع ثبات الحكم ، وقال انه من صفة العلم فوق المعرفة والدراية .

فلم من قولهم أن اليقين في الاصل هو الاعتقاد الثابت الذي لا شك فيه ولا اضطراب . وأما قولهم بالتعبير به عن الظن والعكس فليس معناه ان كل يقين ظن يقين وأنما معناه أن الظن على مراتب منها ما يرادف اليقين ومنها ما هو دونه ، فيبينها العموم والخصوص باطلاق . والمشهور في تعريف اليقين عند علماء الدين أن الاعتقاد الجازم المطابق . واشتراط المطابقة للواقع اصطلاحى خاص باليقين في الايمان الصحيح ، ولعل المطابقة تشترط في العلم فيسمى الجازم بخبر الواقع موقتا به لا علما . اذا قهت هذا فاعلم ان كل اعتقاد يستفاد من السماع يطلق عليه في اللغة اسم الظن باعتبار مأخذ لذاته ، واسم اليقين ان جزم صاحبه به ، وكذا اسم العلم ان مدلوله حقا ، ولكن نفس السماع أي ادراك الاصوات المحقق لا يسمى ظنا بل علما . وخبر التواتر انما يفيد العلم القطعي بضرب من الاستدلال النظري ، وان اعتدوا انه يفيد الضروري فان من شروطه أن يضرب كل واحد من الخبرين الكثيرين عن حسي ، أي عما سمعه بأذنه أو رآه بينه مثلا ، وان يقوم الدليل أو القرائن على أنهم لم يتواطؤا على الكذب ، وأن يتحقق ذلك في كل طبقة من الطبقات . وقد اختلف العلماء في العدد الذي يحصل بخبر التواتر مع توفر الشروط التي ذكروها . فاكفى بعضهم بالآحاد كسبعة وعشرة واشترط بعضهم العشرات . ولكنهم اتفقوا على أن آيته حصول العلم الجازم بمدلول الخبر . ومثل هذا العلم كثيرا ما يحصل بخبر الواحد وان لم يكن متصفا بالصفات التي اشترطها المحدثون في راوي الحديث الصحيح كالعدالة وال ضبط وعدم مخالفة الثقات المشهورين فضلا عن مخالفة الامور القطعية التي عدوا مخالفتها علامة الكذب ووضع الحديث .

مثال هذا النوع من خبر الواحد الذي يحصل به الاعتقاد الجازم وان لم يكن الخبر به متصفا بمداة رواة الحديث أكثر مانسمه كل يوم ممن نعاشر ونخالط من اصدقائنا ومعاملينا وأهل بيوتنا وخدمنا من الاخبار عن أمور ميمشئنا كقولهم :

حضر الطعام، وهي: الحمام، وجاء للزيارة فلان. ومن هذا القليل كل خبر لا مجال للتمية فيه. وأما اخبارهم فيما يهتمون فيه فهي التي يُرتاب فيها، ويحتاج الى الترائن والادلة في تمييز راجحها من مرجوحها، مثال ذلك مدح النفس والدفاع عنها والظن في الغصوم، ورواية الفرائب والمجائب، فالأخبار في أمثال هذه المسائل يكثر فيها الكذب والحلط، إما بالعمد أو بعدم الضبط، أو بسوء الفهم والاعتباط، أو بضعف البيان، أو بتقليد الآباء أو الاموات، وما ينبع ذلك من الهم، ومن خطأ الحس والرأي. فن وعى ما ذكرنا وتديره يعلم منه ما يعلم من نفسه اذ هو فكر في مصادر علمه والاخبار التي يحدث بها والتي يتلقاها عن غيره، وهو أن الاصل في أخبار جميع الناس الصدق، وإن الكذب إنما يقع لاسباب عارضة، وأنه هو وسائر الناس يصدقون في كل يوم كثيراً من أخبار الآحاد حتى غير الصدول تصديقاً جازماً لا يزاحمه شك ولا احتمال، ولا يخطر لهم فيها التقيض على بال، ومنها ما يجهزون باستحالة وقوع تقيضه عادة وإن جاز عقلاً، كمض أخبار المدول الثقات الضابطين الخالية من الشبهات، ورجال الحكومة المسؤولين في الرسميات.

بل أقول أن من هذه الاخبار ما يجهز العقل بصدقه وامتناع تقيضه، وأعني بالعقل هنا العقل البشري الذي يني حكمه على الاختبار، ويزنه بميزان رعاية المصالح ودفع المضار، لعقل واضعي المنطق والفلسفة الذي يجهز وقوع كل ما يمكن تصوره، ويحصر وقوع المحال في اجتماع التقيضين أو ارتفاعهما وما يؤدي الى مثل ذلك حتماً. وقد تحير هؤلاء في تعريف العلم حتى قال بعضهم انه لا يمكن تعريفه، ومن أشهر أقوال مدققي متكلميها في ملكة العلم إنهاضه توجب انكشافاً لا يحتمل التقيض. فالعلم بالشيء عندهم لا يمكن تقضيه ولا الرجوع عنه، فلو كان هذا العلم شرطاً في كل مسألة من مسائل العقائد لكان الكفر بعد الايمان محالاً، ولكن قد ثبت وقوع الكفر بعد الايمان بنص القرآن، فالعلم الذي لا يحتمل التقيض ليس شرطاً لصحة الايمان، وإنما الشرط أن يكون المؤمن جازماً بما يستفد غير مرتاب ولا متردد، وقول الاستاذ الامام: الرجوع عن الحق بعد اليقين فيه كاليقين في الحق كلاهما قليل في الناس. - اراد به اليقين المنطقي، وأراد بالرجوع عنه اظهار الجحود والمخالفة كبراً واعتداداً لا اعتقاداً (المتار: ج ٦) (٤٤) (المجلد التاسع عشر)

قيض المتيقن ليس في استطاعة الموقن ، الا اذا اختلط عقله ، واخل فهمه ، وهذا قليل الوقوع كالرجوع عن الحق كبرا وعنادا بعد الاذهان له ، اذا كثر المعاندين للحق المستكبرين عنه الذين قال الله في بعضهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) لم يكن ذلك الجحود منهم بعد اذعان ، أو لم يكن استيقانهم على شرط علم الكلام وفلسفة اليونان واذا فكر السائل في العلوم العقلية وطريقة أدائها وتعليمها عند البشر من جميع الامم رأى ان أكثر أخبارها المقطوع بها يتلقاها الآحاد بعضهم من بعض ، فاذا اشترطنا فيها ذلك العلم الكلامي واليقين المنطقي ، وأن لانمد شيئا منها حقا ثابتا الا اذا تلقيناه بالتواتر الغفطي ، فكيف تكون حالنا في معارفنا التاريخية وما يبنى عليها من علومنا الاجتماعية وأعمالنا السياسية ، وفي سائر العلوم التي ينقلها بعضنا عن بعض ؟ بعد هذا كله أقول انه لم يعرف عن أحد من شعوب البشر مثل ما عرف عن المسلمين من العناية بقدر الاخبار النبوية وتحصيلها ، وضبط متونها وحفظ أسانيدها ، بل كانوا يقولون الاخبار التاريخية والأدبية والشعر والمجون بالاسانيد المتصلة ، ووضعوا كتب التراجم لجميع أصناف العلماء والأدباء كما وضعوها من قبل لرجال الحديث ، ليسهل طريق العلم بالصحيح وما دونه من ذلك ، ولكنهم دققوا في قدر رجال الحديث ما لم يدققوا في شيء آخر ، فاذا كان ما صح من الحديث عندهم متنا وسندا لا يجزم به فبماذا اتق من أخبار البشر ، واذا كان المسلم منا يصدقها فكيف يمكنه ان يرد مضمونها اذا كان في عقائد الدين ، بناء على كلمة عرقية للمشكلين ؟

الحديث الصحيح عند المحدثين ما ثبت بنقل عدل تام الضبط متصل السند غير مغل ولا شاذ ، وينافي العدالة عندهم ثبوت الكذب وكذا الإهمام به والفسق والغفلة وكثرة الغلط والجهالة — أي كون الراوي مجهولا عند علماء الجرح والتعديل ، ولولا هذا الشرط لا اخترع الكذابين أسانيد كثيرة لأصل لها وخذعوا الأمة بها — وكذا البدعة فن كان مبتدعا لشيء من أمر الدين لم يكن عليه أهل الصدر الاول لايحكم بصحة حديثه قبل مطلقا وقيل فيما يؤيد بدعته وهو المتمد ، بل لابد لثبوت ذلك من روايته عن غيره . والضبط عندهم ضبط الصدر وضبط الكتاب ، فالاول الحفظ عن ظهر قلب بحيث يتمكن من استحضار ما حفظه متى شاء ، فان غلط أو أخطأ في الاداء لا يمد حديثه

[المنار: ج ٦ ١٩٨] التذليل والحديث المعنى والمضطرب والشاذ والتذكر ٢٤٧

صحيحه . والثاني - حفظ الكتاب منذ سمع فيه وصححه على من تلقاه عنه الى ان يؤدي منه ، فاذا غاب عنه غيبة أمكن أن يعرض فيها التغير والتحريف أو الزيادة أو النقصان لا تعد روايته له ولا منه صحيحة .

واتصال الاسناد سلامته من سقوط فيه بحيث يكون كل فرد من رواته قد سمع ذلك المروي من شيخه ، ويقابله الاقطاع ، وهو أقسام ، فالمحدث (المقطع) وهو ماسقط من سنده بعض الرواة لا بعد صحيحه الا أنهم اختلفوا فيما سقط منه من بعد التابعي ويسمونه (المرسل) وذلك كأن يقول التابعي: قال رسول الله (ص) كذا . فالجمهور يتوقفون فيه ، وبعضهم يحتاج بمراسيل من علم من حاله انه لا يروى الا عن الصحابة أو ثقات التابعين كعبد بن السيب ، دون من يروي عن غيرهم كالحنس البصري ومن (الاقطاع) عديم (التذليل) وهو رواية الراوي عن فوق شيخه الذي سمع منه بلفظ يوم السباع منه إيهاما لا نصريحا ، كان يقول المدلس قال فلان — أو: عن فلان . وقد اختلفوا في حديث المدلس قبل لا يقبل مطلقا وقبل الا فيما صرح فيه بالسباع ، والجمهور على قبول حديث من لا يدل على الا عن ثقة كابن هبيرة .

ولاجل هذا شددوا في قبول الحديث (المعنى) أي الذي يقال فيه عن فلان من فلان . قالوا عن المدلس غير مقبولة ، واشترط مسلم في الغنّة معاصرة الراوي لمن روى عنه ، والبخاري اشترط العلم بالحق ولم يكتف بمجرد المعاصرة . فاذا قال المدلس الثقة الضابط عن فلان أو قال: قال فلان كذا — لا يعتد البخاري بروايته هذه الا اذا كان قد علم انه قد بقي ذلك الرجل واجتمع به ، ولكن مسلما يكتفي بالعلم بأنها وجدا في عصر واحد ومن الممكن ان يكون بقيه وروى عنه .

ومن أقسام الحديث عديم (المضطرب) وهو ما يقع في اسناده أو منته اختلاف من الرواة بتقديم وتأخير أو زيادة ونقصان أو اختصار أو حذف أو ابدل راو براو أو متن بمتن أو تصحيح في أسماء الرواة أو ألقابهم أو أنسابهم أو في أفاظ المتن . فان أمكن الجمع وعرف الاصل والا توقف في قبول الحديث والاحتجاج به

ومنها (الشاذ) وهو ما خالف راويه فيه من هو أوثق منه فان لم يكن المخالف لثقة ثقة سمي حديثه (المردود) وان كان ثقة رجح عليه مخالفه الذي هو أوثق منه

وسمي حديثه (المحفوظ) فهو مقابل الشاذ. ومنها (المنكر) وهو ما خالف راويه الضعيف فيه من هو أضعف منه ، ويقابله (المرؤف) وكلاهما راويه ضعيف لا يحتاج بحديثه ومنها (الطلل) وهو ما فيه علة خفية كوصل المنقطع ورفض الموقوف وإدخال حديث في آخر أو إدراج كلام الرواي في المتن أو الإدراج في سياق الاسناد .

ولوثنا أن نبين تدقيق علماء المرح والتعديل في قدروا الحديث لرأى فيها غير المطلبين عليها من القراء ما لم يخطر لاحد من أمثالهم على بال - ولعلوا منه أن أكثر من يعدونهم من الثقات الصدوقين من أهل هذا العصر لو كانوا في أزمنة أولئك النقاد لما عدوا روايتهم صحيحة ولولعلم اتقان الحفظ وال ضبط . ومن تدقيقهم أنهم يعدون بعض الرواة ثقات في الرواية عن أهل قطردون آخر، كقولهم فلان غير ثقة في المصريين أو الشاميين - لانه كان عرض له عند الرواية عنهم اختلاط في العقل ، أو هرم خالته به الذاكرة وقد جودة الضبط . وقد وضعوا كتباً يبين الاحاديث الموضوعة خاصة يتوافقوا فيها وفي غيرها أسباب وضع الحديث والكذب فيه وعلامته وأسماؤه والوضايع والكتب والنسخ الموضوعة برمتها التي لا يصح منها شيء ، كل وضعوا عدة كتب للاحاديث التي اشتهرت على الاستقوى يتنوا درجاتها ، ويميزوا بين الصحيح والحسن والضعيف والموضوع منها . ولكن عناية العلماء بنقد المتن وعرض الاحاديث القوية الاسانيد على القواعد التي يتنوا بها علامات الوضع كانت أقل من العناية بنقد الاسانيد ، وقل أن بهم المتشون الى المذاهب بنقد متون الاحاديث الا اذا كانت مذاهيبهم مخالفة لما فكان هذا من سيئات التعصب للمذاهب

نتيجة البحث وخلاصة الجواب

فنقله ما شرعنا علم أن أكثر الاحاديث الاحادية المتفق على صحتها ذاتها كما أكثر الاحاديث المسندة في صحيح البخاري ومسلم - جذيرة بأن يجوز بها جرماً لا نردد فيه ولا اضطراب ، وقد أخبها مفيدة لليقين بالمعنى القوي الذي تقدم ، ولا شك في أن أهل العلم بهذا الشأن قلما يشكون في صحة حديث منها ، فكيف يمكن لمسلم يجوز بأن الرسول (ص) أخبر بكذا ولا يؤمن بصدقه فيه ؟ أليس هذا من قبيل الجمع بين الكفر والايان ؟ ولعلم اتني أعني بالمتفق عليه هنا ما لم ينتقد أحد من أئمة العلم متته ولا سنده ، فخرج من ذلك ما انتقده مثل الدارقطني وما انتقده أئمة الفقهاء وغيرهم .

ومن غير الأكثر ما تظهر فيه حلة في متنه خفيت على المتقدمين ولم تنقل عنهم وذلك نادر. وقد عد بعضهم هذه الأحاديث المتفق على صحتها مفيدة لعلم اليقيني الاصطلاحي إذا تعددت طرقها ، قال الحافظ ابن حجر في شرح نخبه الفكر ما نصه :

(فائدة) ذكر ابن الصلاح ان مثال التواتر على التفسير المتقدم بمر وجوده الا أن يدعي ذلك في حديث « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وما ادعاه من العزة ممنوع وكذا ما ادعاه غيره من العدم لان ذلك نشأ عن قلة الاطلاع على كثرة الطرق وأحوال الرجال وصفاتهم للقتضية لا بهاد العادة أن يتواطوا على كذب أو يحصل منهم اتفاقا ، ومن أحسن ما يقرر به كون التواتر موجودا وجود كثرة في الأحاديث ان الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقا وغربا القطوع عندهم بصحة نسبتها الى مصنفها إذا اجتمعت على اخراج حديث وتعددت طرقه تعددا تحيل المادة توأمام (فيه) على الكذب الى آخر الشروط أفاد العلم اليقيني بصحته الى قائله ومثل ذلك في الكتب المشهورة كثيرا

﴿ الزار ، وهل اعتقاد تأثير الولي والمفريت فيه شرك جلي ﴾

(س ٩) من أحد المشركون في القاهرة - ع . م

حضرة الاستاذ العلامة المفضل السيد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فاني أهنئكم أولا بسلامة العودة من الاقطار الحجازية المباركة وأدعو لكم الله سبحانه وتعالى أن يجعله حججا مبرورا ان شاء الله سيدي استشكل علي أمر بخصوص ما يسمونه (الزار) الذي يستشفي به بعض (الجاهلات) من النساء من أمراضهن العصبية فأحييت أن أعرضه عليكم راجيا التكرم بالإجابة ولو تأشيرا على هذا بصفة خصوصية

« إحدى السيدات مصابة بمرض عصبي : يأتيها غالبا على نوبت ربو وآلام شديدة بالمعدة والكليتين مع صداع وسعال وضعف عمومي شديد ، وخصوصا في ابتداء كل مرة من الحبل ، هرتها هذه الحالة منذ خمسة عشر عاما بعد زواجها بقليل ، ثم إنها على صلاح وتقوى ، وقد كانت لا تمتد بمسألة الزار ولكنها تحت تأثير كلام النساء خصوصا أقاربها من والده وأخوات اعتقدت أخيرا وتوجهت ان أحد الاولياء

أو أحد العناريت هو الذي أصابها بهذا المرض الميستيري من زمن وصممت على عمل حفلة الزار بمصاريف من عند أهلها في منزلهم لا في منزل زوجها الذي عارض في ذلك بشدة لعدم اعتقاده بمثل هذه الخرافات ، ولم يرض بمسارعة دينه في مصاريف باطلة على عقيدة باطلة »

والآن ألا ترى سيادتكم أن اعتقاد هذه السيدة تأثير الولي الغلاني أو الغرير الغلاني يؤدي بها إلى الشرك الجلي . وفي هذه الحالة تصبح محرمة على زوجها المسلم الصحيح (غير الجرافي أو السياسي) الذي لا يعتقد بتأثير ولي أو نبي ؟ فضلوا يا قادي عن ذلك ولو كلفكم الجواب شيئاً من التفصيل ؟ وفضلوا قبول مزيد تشكراتي وجزيل ممنوني سلفاً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

(ج) يذكر جمهور علماء الكلام أن الإيمان بوحداية الافعال عبارة عن التصديق الجازم بأنه لا فعل لغير الله تعالى في الحقيقة، فكل ما يقع في الكون من خير وشر ونفع وضر فهو من فعل الله تعالى وحده، ويصرح الأشعرية في كتب العقائد بأن الاسباب الظاهرة للحوادث - ومنها كسب الإنسان وغير الإنسان من الملائكة والجان - لا تأثير لها في نفسها وإنما يخلق الله المسببات والمكسوبات عندها لا بها، فلا فرق بين النار والماء في حصول الاحراق والإرواء، إلا أن عادة الله قد جرت بمخلق الاحراق عند مس النار واتصالها بالجسم القابل للاحتراق وخلق الإرواء عقب خلق شرب الماء ، ولكن الشرع أمر بالكسب كالتداوي والاكل والشرب، فينبغي القيام بالمشروع منه وعموماً جرت سنة الله تعالى بحمله سيامطرداء وما كان سبباً غير مطرد كرقية المسحوق وما في حكمه قائماته، ينافي التوكل وكال الايمان والتوحيد، وأما ما كان دون ذلك مما لم يثبت كونه سبباً البتة أوقامت عليه شبهات وهمية باطلة اغتر بها بعض العوام في بعض البلاد - كالزار في بلاد مصر والسودان - فلا عذر لمؤمن في الاقدام عليه، أي لانه من الجبث (١) الذي هو عبارة عن خرافات الكهنة والسحرة، ومن اعتقد أن ولي الزار أو شيعته ينفع ولو بقدره خلقها الله فيه ومزية أعطاه إياها وأن غفريته يضر ولو بقدره خلقها الله فيه أيضاً - فهو عند هؤلاء المتكلمين مشرك بالله تعالى . فالخطر على متحلي خرافات (١) راجع تفسير (يؤمنون بالجبت والطاغوت) في ص ١٥٦ ج ٥ من التفسير

الزار وغيرها شديد في مذهب هؤلاء المتكلمين الذين ينتمي اليهم أكثر الخرافيين؛ وأما مذهب غير هؤلاء من المتكلمين وعقبي أهل الأثر من الحنابلة وغيرهم فهو أن الله تعالى جعل الأسباب مؤثرة بخواص خلقها فيها كالأحراق في النار، والإرواء في الماء، ومقاومة سبب المرض في الدواء، ومنها إرادة الإنسان وعمله الاختياري، ولكن هؤلاء يقولون كغيرهم إن الأسباب تعرف بالتجارب والاختبار، وتكون مشتركة بين جميع المجربين من الناس، وانحاذ الأسباب الوهمية مذموم شرعا وعقلا، وأنه لا تأثير لمخلوق فيها وراء الأسباب التي جرت سنة الله في المخلوق يربط المسببات بها، فمن اعتقد أن غير الله تعالى ينفع أو يضر بذاته دون ما جرت به سنته تعالى في الأسباب، أو بتأثيره في إرادة الله تعالى وقدرته؛ بأن يفعل الله تعالى بتأثيره عنده شيئا لم يكن لولاه ليفعله بمحض إرادته حسب علمه الأزلي - فهو مشرك بالله كافر بوحدة نيته، لا اعتقاده أن لغيره فعلا وتأثيرا معه بقدرته الذاتية - وهو المنفرد بذلك - أو بتأثيره في إرادته - والاله الخالق القديم لا يكون محل لتأثيرات الحادثة، ويستحيل أن تكون إرادته تابعة لإرادة أحد من خلقه، الذين هم تحت تصرف قدرته وقهره إذا تدبر السائل هذا ظهر له أن التصديق بخرافة الزار خطر على الدين، وأنه ليس من شأنه أن يقع من أهل التوحيد الصحيح، لا على مذهب المتكلمين، ولا على مذهب الأثرين، وإنما يقع مثله ممن يأخذون دينهم عن أمثالهم من الجاهلات والجاهلين، كغوغاء العوام الذين يقلد بعضهم بعضا في أمور الدنيا والدين. كالمعادن السخيفة والعلاجات الضارة، المبنية على تجارب فاسدة ناقصة،

ولكن تنامع هذا كله لا نجزم بكفر امرأة تصدق يدعة الزار، ولا نصلحها به مشركة بالله عز وجل، بل يجب أن نحاط في مثل هذا الحكم، وندفع الجزم به قبل العلم بحقيقة اعتقاد المرأة ولو بالشبهات، كما يجب أن نحاط تلك المرأة بقاء التصديق بهذه الخرافات، التي يخشى أن تكون شركا جليا أو خفيا ولو على بعض الأقوال، فنقول نحن عملا باحتياطنا: يجوز على هذه المرأة أن تؤمن إيمانا جازما بأن الله تعالى خالق كل شيء، وهو على كل شيء وكيل، وإن ما اقتضته إرادته وجرى به قدره من ربط الأسباب بالمسببات، هو عام مطرد في المخلوقات، وأنه لا قدرة لمخلوق على شيء خارج عن سنته تعالى في الكائنات، بل جميع المخلوق سواء في المعجز عما وراء

الاسباب ، كما أنهم سواء في جرياتها فيهم وخضوعهم لها ، وانحصارهم في حظيرة قهرها . ويجوز أن يمرض لها وهي على هذا الاعتقاد مرض فيخبرها من تظن فيهم الصدق وعلم التجربة والاختبار ، ان سبب هذا المرض ملاسة عفريت من الجن لها ، وأن غيرها قد أصيب بمثله قبلا ، وأنهم جربوا له كل علاج فلم ينجع فيه الا تلك الفعلة الشئمة وحدها ، وان علة فعلها أن العفريت الذي يلبس المريض في هذا المرض يزوجه ما يكون في حفلة الزار ، من الذنوب والاوزار ، حتى يلجئه الى الغرار بين تلك الاغاني والمعارف والمراثم والعزائف ، والقرايين والذبايح ، وما في التضخم بدمها من المضامخ ، — ويجوز على هذه المرأة أن تصدق هؤلاء المخبرين الضالين المضلين ، ولا سيما بعد اليأس من معالجة الاطباء المشهورين ، وأن تعتقد أن ذلك لا ينافي الايمان لان طرد الشياطين من الابدان ، كطرد الجراد ونحوه من المزارع والقيطان ، فهو من الاسباب الكسبية ، التي جرت بها السنن الالهية ، ويجوز أيضا ان تعلم أن عمل الزار حرام ، وان المستحل لما يعتقد حرمة يد مرتدا عن الاسلام ، كالجاحد للمعلوم من الدين بالضرورة من مسائل الاجماع ، ثم تقول اني لا أستعمله ، ولكنني آخذ بقول من قال ان التداعي بالمهرم جائزا اذا لم يوجد غيره ،

فاذا سبأ أن تعتقد المرأة ما ذكرنا وان كان باطلا في نفسه فكيف تنجرأ على الاقفاء بردتها ، وبطلان عقد نكاحها ، وسائر ما يترتب على الردة من الاحكام ؟ أما ما يحسن أن توعظ به امرأة تدرك ما ذكرنا فهو ان خرافة الزار القبيحة المنكرة ليست سببا من اسباب الشفاء من هذا المرض ، وان ما يدعى من التجربة المثبتة لنفعه باطل ، وأنه عمل لكثيرات فلم يفد ، وأن من اتفق أنهن شفين بعده لم يكن شفاؤهن به بل بأسباب أخرى حقيقية أو وهمية ، وأنه لو كان علاجنا نافعا بالتجربة الصحيحة لعملت به جميع الشعوب التي فاقت غيرها في العلوم والمعارف ، المبينة على إقتان التجارب ، ولكننا نرى هؤلاء يسخرون من هذه الخرافة وأهلها ، التي هي محصورة في مصر والسودان بل في الطبقة الباطلة من أهلها ، وإذا كان الامر كذلك فكيف تقدم على العمل بخرافة أدنى ما يقال فيها انها مشتتة على عدة يدع محرمة في الدين ، محترمة عند جميع المرتقين ؟

دروس سنن الكائنات

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٥

المعالجة - يجب البدء بعلاج مدخل هذا الميكروب في الجسم، بأن يعالج الاحليل في الذكر مثلاً علاجاً فعالاً، وعلاج المفاصل بالقاوليت ويودودو اليوتاسيوم .
ويجب مراعاة القوانين الصحية باستنشاق الاهوية الجيدة وتغاطي الاغذية السهلة الهضم ولقويات كمر كبات الحديد وزيت السمك ونحوهما . وبذلك الفصل ببعض المرام المسكنة أو الزنبقية، أو بدهن بصبغة اليود . ونجب اراحته من الحركة مطلقاً، ولكن بعد زوال الالتهاب الحاد ينبغي ذلك المفصل وتكيسه وتلينه باليد والعلاج بالقاح أفاد في بعض الاحوال خصوصاً في الاصابات المزمنة أي التي طالبت مدتها، والافضل أن يؤخذ الميكروب من نفس المريض، ولكن هذا العلاج يحتاج الى مدة طويلة

ويجب البدء بمحقن مقادير صغيرة من القاح ثم تزداد بالتدريج، ولا يجوز عمل الحقن الثاني الا بعد تمام زوال كافة الاعراض التي قد تنشأ من الحقن الاول . وهناك مصل لعلاج هذا الداء أيضاً لا يخلو من الفائدة

استدراكان

(الاول) جاء في مجلة [اللانست Lancet] الطبية الانجليزية الصادرة في ١٢ أغسطس سنة ١٩١٦ رأي لا حد أطباء الانجليز في عدوى الالتهاب السحائي الروماتي وملخصه هو ان ميكروب هذا الداء هو عين ميكروب السيلان - لا شبيهاً به فقط كما قلنا سابقاً - وان قل الجسم هو الذي ينقله من شخص الى آخر إما بامتصاص دم المصاب بالالتهاب السحائي وتلقيح الآخرين به اذا انتقل العمل اليهم . أو بثوث العمل (المنار: ١٦) (٤٥) (المجلد التاسع عشر)

به مما يسيل من المصاب بالسلان في ملابسه من الصديد وتقله الى غيره فيدخل الميكروب تحت الجلد ويسير في الاوعية المقاومة الى السحايا وقبرها كالمفاصل التي قد تتهب أيضا في هذا المرض ، وأنكر هذا الطبيب انتقال الميكروب في الهواء ودخوله من الفم أو الأنف . وقال: ان المصاب بالسلان ذاته عنده شيء من المناعة فلا تصاب سحابه الا قليلا. فاذا صح هذا الرأي — والفالب أنه صحيح — سهلت مقاومة هذا الداء الخبيث وتيسر اجتهابه . ومن هذا الرأي تفهم بعض حكم الاستنجاء وطهارة الثوب ونظافته، ونظافة الجسم بالفضل والحلق، وغير ذلك من شرائع الديانة الاسلامية الفراء التي شرخناها ساجا . وترى مما تقدم أن القمل يقتل بالحى التيفوسية والراجعة وبالتهاب السحائي أكثر مما يقتل العقارب والثعابين . وذلك يحقق أيضا المثل المامى القائل « وضع تعالى سره في أضف خلقه » وترى منه أيضا مقدار الخطر الذي يتهدد كل من يتردد الى مواخير الفسق ، فإن أكثر الزواني مصابات بالسلان الحاد أو المزمن وبعضهن يرى بملابسه وفراشه القمل

(الثاني) ان من أسهل الطرق لتطهير الماء والخضر ونحوها من الميكروبات أن يذاب في الماء [بي سافات الصوديوم] وتسمى أيضا [كبريتات الصوديوم الحضوية] بنسبة بيبيج . ويترك الماء مدة نصف ساعة فان حامض الكبريتيك الذي يوجد فيه يقتل تلك الاحياء الدنيئة وأجنة ديدان [البلهارسية Cercariae Miracidia] ولا ضرر من شرب هذا الماء . واذا نعت فيه الخضر مدة نصف ساعة تطهرت كذلك . ويجوز أن تطهر به الاواني الخشبية والزجاجية ونحوها ما عدا المعدنية فان الأفضل تطهيرها بالغلي . وهذه الطريقة نافعة جدا اذا اتبعت في زمن انتشار أوبئة الحى التيفودية والكوليرا والدوسنتاريا وغيرها مما يتسلوث به الماء والخضر ، فإنها كافية لتطهير بدل الغلي الذي لا يحسن لبعض الخضر والغاكة

تسمم الدم

لهذا الداء ثلاثة أشكال : —

(الشكل الاول) أن تدور سموم الميكروبات في الدم، ويسمى ذلك بالذوانية

[سبريميا Sapræmia] ومعناها حرقا، الدم الفاسد

(الشكل الثاني) أن تدور الميكروبات مع سبومها في الدم، ويسمى ذلك باليونانية [سبتيسيميا Septicaemia] ومعناها حرقا ، الدم المتعفن

(الشكل الثالث) مثل الشكل الثاني غير أنه يزيد عليه بتكون أخرجة في عدة أجزاء من الجسم، ويسمى ذلك باليونانية [بييميا Pyæmia] ومعناها حرقا الدم الصديدي

وجميع هذه الاشكال تنشأ من ميكروبات الصديد وهي على الاكثر من الشكل البرزي، ومنها ما يكون عنقوديا أو سلسليا. والسلسلة هذه أشدها خطرا كالمسبوق، ومن الميكروبات المتعددية ما يكون لونه أبيض أو أصفر، ويشاهد ذلك اذا نجمت منها جوع كثيرة في المزارع الصناعية . وهناك بعض ميكروبات لها أشكال أخرى نحدث الصديد كإسالة الصديد الأزرق [Pyocyaneus] ومن ميكروبات الامراض الاخرى، ما يحدث الصديد أيضا كالميكروب الحلى النفودية والدرن

والميكروبات البرزية المذكورة منتشرة كثيرا وهي من أكبر ما يخشاه الجراحون في عملياتهم فيقتنعونها بالتطهير التام بالغلي وغيره، فلها اذا وجدت أي مسجع أو جرح في الجلد أو الاغشية المخاطية دخلت فيه وأحدثت التهابا فقيحا، وتسبب الانسجة وتجمع بسببها عدد لا يحصى من الكريات البيضاء فينشأ من ذلك المدة والصديد ونحوهما. فاذا أصابت سطح الجلد نشأت منها الدمامل والبثور ونحوها، واذا أصابت الانسجة النائرة نشأت الاخرجة وما شاكلها، واذا أصابت الاغشية المخاطية التهبت وحدثت منها الزكام ونحوه

واذا كانت الاصابة صغيرة ومحدودة ولم يدخل الميكروب الى الدم قل حصول أي توعك أو حمى، لان السموم التي تمتص في البنية تكون حينئذ قليلة جدا، ولكن اذا كان موضع الالتهاب كبيرا نشأت الحلى بسبب امتصاص سموم الميكروبات في البنية ونشأ الشكل الاول المذكور هنا، فاذا دخلت هذه الميكروبات الى الدورة حدثت الاشكال الثاني، وقد تدخل من أي جرح مهما يكن صغيرا واذا رسب بعض هذه الميكروبات الممتصة في أجزاء الجسم المختلفة تكونت حولها وبفعلها أخرجة. وهذا هو الشكل

الثالث . وطريق امتصاص الميكروب في الشكل الثاني هو الالوعية المفاوية وفي الثالث الالودة ، وفيها يدخل أيضا بعض مواد النهاية عفنة مع الميكروب أما أعراض الشكل الاول فهي ارتفاع حرارة الجسم مع سائر الاعراض الاخرى للحى ، وكذلك أعراض الشكل الثاني والثالث، غير أن المعتاد فيهما أن تبتدى الحى برعدة شديدة ويشد المرض على المريض حتى يكون كالمصاب بالتهنوس، فيعتره الهذيان والذهول والهمود وكافة الاعراض الشديدة لتلك الحى، وتكون مدة المرض في هذين الشكلين قصيرة وتنتهي بالموت غالبا . وفي القسم الصديدي تكثر الرعدة وتحصل يوميا مرة أو مرتين، وفي كل مرة تظهر التهابات فأخرجة جديدة ويكثر العرق عقب كل رعدة ويصاب المريض بالهمود وينف جسمه بسرعة ويصفر لونه وقد يصاب بالقى الكثير أو الاسهال ، وقد تزول الرعدة بعد خمسة أيام أو ستة . وتكون الحى في هذا الشكل منقطعة مرتفعة في المساء ومنخفضة في الصباح عادة، وقد تصل الى الدرجة الطبيعية خصوصا في أول المرض. وتختلف باقي الاعراض باختلاف المضو المصاب بالآخرجة فان لكل عضو مصاب بها علامات وأعراضا مخصوصة. ومدة هذا المرض لا تزيد عن ستة أيام غالبا ولا تمتد إلى ما بعد العاشر كذلك، اللهم الا اذا أزمّن المرض وحينئذ لاتصاب الاحشاء وأما تتكون الآخرجة في المفاصل أو تحت الجلد . واذا شقت كلها وعولجت قد يشفى المريض بعد عدة أسابيع أو أشهر

ومما يساعد على حدوث تلك الاشكال المذكورة عدم الاعتدال وغيره مما يضعف البنية كعوض الامراض المزمنة مثل التهاب الكلى أو البول السكري، ولكن لا يحصل أي شكل منها ما لم يوجد في الجسم مدخل للميكروب

العلاج — فتفتح الآخرجة وتطهر وتضمد يوميا فان كانت الحى ناشئة عن امتصاص السموم فقط شفي الجرح وشفي المريض أيضا، وان كانت الميكروبات دائرة في الجسم تسمر الشفاء أو تعذر، ويعطى المريض المنعشات والمغذيات وترعى معه جميع الوسائل الصحية

أما الادوية فهي قليلة الجدوى، ولكن استعمال الحقن بالمصل المتعدد القوي

[Polyvalent] أي المحضر بمقن عدة أنواع من الميكروب أفاد في كثير من الاحوال، ونجبت تجربته اذا دخلت الميكروبات البنية سواء أحدثت أخرجة أم لم تحدث الوقاية من تسمم الدم بجميع أنواعه — أن يتقي الانسان كل ما يحدث جرحا أو سحجا في الجسم وإن كان صغيرا. فاذا حدث بالرغم من احتياط الانسان وجبت المبادرة الى تطهير الجرح وتضميده والمواظبة على ذلك يوما حتى يشفى . ويراعى في ذلك اتباع جميع قوانين علم الجراحة في تطهير الايدي والآلات والضمادات وغيرها مما يمس الجرح . واذا تكون خراج في الجسم وجب الاسراع الى شقه وتطهير جوفه وتصريف ما يتكون فيه من المدة والصديد بأسرع ما يمكن بحيث لا يترأ كم فيه شيء منها خوفا من امتصاص الميكروب أو سمه في البنية. ولعلم الجراحة في ذلك من الوسائل العلمية المعقولة ما فيه الكفاية من شر هذا الداء وقانا الله منه

السعال الديكي Whooping Cough

مرض يصيب الاطفال كثيرا بين السنة الاولى والثامنة وحدوثه للبنات أكثر منه للذكور . وتقل اصابته لمن كان عمره فوق ذلك لأن أكثر الناس يصابون به في صغرم وهو يحميهم من الاصابة به مرة أخرى بل هو في ذلك أكثر وقاية من الحميات الاخرى ذوات الطفح . ويحدث انتشاره بشكل أوبئة لا تأثير لحرارة الجو أو غيرها فيها، وكثيرا ما تكون هذه الاوبئة عقب أوبئة الحصبة

هذا المرض ينتقل من شخص الى آخر بطريق العدوى ، فاذا أكثر اختلاط الاطفال بالمصابين به انتشر المرض بينهم، وقد ينتقل بواسطة الملابس الملوثة بميكروب هذا الداء اذا أصابها شيء من بصاق المصاب

وكان القديما يعتقدون عدوى هذا الداء نظرا لما يشاهدونه من انتشاره بين من يخالط المصاب، ولكن لم يكتشف ميكروبه الا سنة ١٩٠٦ والذي اكتشفه باحثان اسمهما [Bordet] و [Gengou]

وهذا الميكروب من الشكل الباسيلي يشبه كثيرا ميكروب النزلة الوافدة غير أنه أطول منها وأغلظ ، ولا حبيبات له ولا حركة . يشاهد كثيرا في أوائل المرض في

المخاط الثخين الخارج في آخر النوبة من الشعب الرئوية الصغيرة ، وكثيرا ما يكون مختلطا بميكروب التزلة الوافدة

الأعراض : مدة التفريخ نحو عشرة أيام ويبدأ المرض باصابة بسيطة بالسعال تشبه السعال الناشئ من التعرض للبرد . وقد يكون هذا السعال مصحوبا بحمي خفيفة ويستمر إلى نحو سبعة أيام أو عشرة ، ثم يسمع هذا الصباح المخصوص الذي يشبه صياح الديك ، ولذلك شبه هذا المرض به ، فبينما يكون الطفل المصاب في ليله تنبأه نوبة من السعال تمتاز بحصول نحو ١٥ أو ٢٠ مرة من الشيق المتوالي في زمن ٧ أو ١٠ ثواني ثم يبعثها زفير له هذا الصوت المخصوص ، ويتكرر ذلك مرة أو أكثر حتى يخرج من صدر المصاب قطعة صغيرة من البلغم اللزج أو يتقيأ ما في جوفه . والسبب في حصول هذا الصوت اقتراب الحبلين الصوتيين أحدهما من الآخر فيصيق ما بينهما ، أو أنهما لا يتسمان بالسرعة المطلوبة حين حصول الزفير . وفي أثناء هذه النوبة يمتحن الوجه أو يزرق وينتفخ وتكاد تخرج العينان منه ، ويتدلى اللسان وقد تخرج اللسان قبده فيصق المريض الدم . ويكون الطفل في أثناء ذلك غير قادر مطلقا على منع هذا السعال ، وقد يصاب من شدته بنزف من الأنف (الرعاف) أو من فمه أو يحصل التعرق تحت الملتحمة ؛ وفي أحوال نادرة يصاب بنزف في مخه وهذه النوب تحصل بلا سبب معروف وإنما قد يهيجها بكاء الطفل أو إغضابه أو نزاع ملابسه . ويقال إن النوب أكثر في الليل منها في النهار . وعدد مراتها في الليل يتراوح بين مرة واحدة وستين مرة . وفي أكثر الأحوال لا تزيد عن ثلاثين في كل ٢٤ ساعة . ويكون الطفل في الفترات التي بين النوب كأنه في صحة تامة ولا حتى عنده ما لم يتضاعف المرض ، وقد تكون شهوة الطعام عنده جيدة . ومدة هذا الطور من الداء تمتد إلى ثلاثة أسابيع أو ستة بل قد تطول إلى ثلاثة أشهر أو أكثر ، ثم تأخذ النوب في القلة تدريجا حتى تزول تماما أو يهبط السعال بسيط كالسعال الأول بدون صياح ويمكث بضعة أسابيع . وهذا المرض قل أن يميت مالم يشتد تشنج المزمزم أو يحصل نزف في المخ . وقد يحصل الموت بسبب مضاعفات هذا الداء

المضاعفات والعقائل (المواقب) - من مضاعفات هذا الداء التزلة الشعبية أو

الشعبية الرئوية فترفع الحمى ويضيق نفس المريض كثيرا، وفي كثير من الاحوال يزول حينئذ هذا الصباح المخصوص كما أنه يزول في كافة المضاعفات الحمية الاخرى. ومنها التهاب الاذن والقشجات. ومن العقابيل استمرار النزلة الشعبية والامفيزيا^(١) الرئوية (أي تمدد حويصلاتها وققداتها مرونتها وانفتاح بعضها في البعض الآخر) والدرن الرئوي وهو قليل الحصول في هذا المرض

الانذار — هذا المرض قد يطول جدا ولكنه في الغالب يشفى منه المريض ومن النادر أن يموت به الشخص غير أن الموت قد يحصل بسبب بعض المضاعفات أو العقابيل المذكورة

المعالجة — يسكن المصاب في غرفة دافئة متجددة الهواء، ولا يجب عليه الترام الفراش الممتصع المرض . وهناك أدوية كثيرة لتقصير مدة المرض وتخفيف وطأته ، ومن أحسنها [البلاءدونا ^(٢) Belladonna] فيعطى من صبقتها قطعتين أو ثلاثا ثلاث مرات في اليوم للطفل الذي يبلغ عمره سنتين ولمن هو أكبر تقطأ أكثر بحسب السن ، وهناك مواد تستعمل أيضا استنشاقا لتطهير الشعب ولكنها قليلة الفائدة، ومن أحسن العلاجات تغيير الهواء والسكنى بمجوار البحار فإن ذلك مما يقصر مدة المرض

الالتهاب الرئوي Pneumonia

هذا المرض نوعان : (١) نوع يصيب حويصلات الرئة ويسمى الالتهاب الفيضي^(٢) ونوع يصيب جزءا عظيما منها ويسمى الالتهاب القضي، ويختلف النوعان اختلافا كبيرا من الوجهة الميكروية والمجهريّة والعرضية أما النوع الاول فقد يكون ابتدائيا أو تابعا لمرض آخر، وهو كثير الاصابة للاطفال والشيوخ ، وليس له ميكروب مخصوص بل يوجد فيه أنواع عديدة منها

- (١) لفظ يوناني معناه ادخال الهواء أو النفخ لانتفاخ الرئة في هذا المرض
- (٢) كلمة ايطالية معناها حرفيا «السيدة الحسنة» تطلق على نبات شهير عند الاطباء كان نساء ايطالية يستعملانه لتجميل وجوههن ، ومن أصوله التمسالة مادة سامة جدا تمدد الحديقة فتجعل العين نجلاء

ميكروبات الصديد المعتادة أو ميكروبات المرض الذي سبب هذا الالتهاب الرئوي كالكثير أو حتى التيفودية أو الانفلونزا أو الطاعون.

وأما النوع الثاني وهو كثير الحصول للشبان، وقد يصيب أيًا كان غيرهم، وهذا المرض يشبه كثيرا الحيات الأخرى العنق كالحي التيفوسية وينتهي مثلها بالبحران. وينشأ غالبا من ميكروب من النوع البري للزردج اكتشف في مغل باستور في ديسمبر سنة ١٨٨٠ وهذا المرض هو المقصود بالكلام هنا، ومنه نوع خطر ينشأ من باسيل اكتشفه [فردلندر Friedlander] سنة ١٨٨٠ ولكنه قليل الحصول فإن ٩٥٪ من الاصابات بهذا الداء تنشأ من الميكروب الاول البري

الاسباب يحدث هذا المرض لذكور أكثر من الاناث بنحو الضعف، ويجب الناس في جميع الاعمار من سن الطفولة الى سن الشيخوخة، ولكنه أكثر حصولا للشبان لي أن يصلوا الى متوسط العمر (من ٣٥ - ٥٠) ينتشر هذا المرض في فصلي الشتاء والربيع حينما يكثر تغير درجة حرارة الجو فجأة، وحينما يكون الهواء مشبعًا بالرطوبة أو البرد

ومما يساعد على حصوله كثرة التعرض لتيار الهواء وضعف البنية واجهاد العقل وقلة التغذية، والانهك في السكر أو الجماع

وهذه الاشياء تجعل المصاب به ضعيف المقاومة جدا بحيث يكون شفاؤه متعسرا، والوفاة به كثيرة الحصول. والاصابة به لا تحمي من معاودته، فقد شوهد أن بعض الاشخاص أصيب به نحو ١٥ أو ٢٠ مرة، ولكن في الغالب أن لا يصاب به الشخص سوى مرتين

يوجد ميكروب هذا الداء حتى في لعاب السليم وفي حفر أنفه، فاذا ضعفت البنية يمثل الاسباب المذكورة هاجها الميكروب وأحدث بها المرض، وقد يتصل بالانسان أيضا من شخص آخر مصاب بالالتهاب الرئوي ويكون حينئذ أقوى وأضر. وهذا الميكروب يحدث التهابات في أعضاء الانسان الأخرى مثل البلعور والشفاف والمفاصل والسحايا، وقد يحدث أخرجه بالاحشاء وتحت الجلد

ولم يجزم العلماء الى الآن ان كان وصول هذا الميكروب الى الرئة من طريق

الشعب أو من طريق الدم ، قد شوهد وجوده في نفس الدم فإذا ضعف عضو بسبب ما رُسب الميكروب من الدم فيه . وهو يصيب عدة حيوانات كالقنبران والارانب والكلاب . أما الحمام والدجاج فلا يصيبها شيء ، وطوله يتراوح بين ٥٥٠ من الميكرون و٧٥٠ منه . ويظهر تحت المجهر كأنه محاط بغلاف أو هالة تصافية اللون يكون فيها عادة بروتان أو أربع

الاعراض — يتبدئ المرض فجأة برعدة شديدة وترتفع الحمى بسرعة زائدة إلى ٣٩° أو ٤٠° مع كافة أعراضها الأخرى المعروفة وأحياناً (تشاهد النملة على الشفتين) ثم يشعر المريض بضيق في نفسه ، وآلام في الجنب المصاب ، ثم يكثر السعال ، ويكون بصاقه صديئاً — كأن به صدأ من الحديد لاجرار لونه — ويكون شفافاً خالياً من فقائيع الهواء لزجاً بحيث يشتد التصاقه بالالواني ويشاهد في هذا البصاق الميكروب

والاطباء علامات خاصة لتشخيص هذا الداء تدرك بالقرع والسمع وتغيرهما من طرق البحث الشهيرة

وتستمر الحرارة عالية مدة المرض كلها ، ويكون خد المريض وجهته محترقة يملوها قليل من انصهرة أحياناً ، ويكون تنفسه سريعاً جداً حتى قد تصل مراته إلى ٨٠ في الدقيقة ، ويسرع نبضه ويقل بوله ، وقل أن يعتريه الهذيان بخلاف الحيات الأخرى ، إلا في بعض الحالات الشديدة فقد يهذي ليلاً ، وبعد اليوم السادس أو الثامن تنخفض الحرارة فجأة في مدة ١٢ أو ١٨ ساعة ، بحيث تصبح طبيعية ، وينزل اللسان بعد الجفاف ويمس المريض بالتحسن العام ، ولكن هذا الجحان قد يصحبه اسهال أو عرق غزير وفي أكثر من نصف الاصابات تنخفض الحرارة بالتدريج ، فتصير طبيعية بعد ٤ أيام أو ٥ ، وفي كلتا الحالتين يتحسن النبض والتنفس حين انخفاض الحرارة ، وتزول العلامات الطبيعية التي يعرف بها المرض من الصدر ، ويزول لون البصاق الأحمر فيصير صفراً أو محضراً ، ويكون به صديد وتقل لزوجه ، ثم يصير بالتدريج طبيعياً

والموت يحصل غالباً من وقوف القلب ، أو من إصابة الرئة الأخرى السليمة

فيسرع التنفس والنقص ، ويزرق الوجه ، ويكثر الهذيان ويمتد الغيبوبة فالموت ، ويكون الموت عادة بين اليوم الخامس والعاشر ، ومن المرضى من يموت في اليوم الثاني أو الثالث

والالتهاب الرئوي يصيب قاعدة الرئة أكثر من قمها ، والجملة اليمنى أكثر من الجملة اليسرى ، وقد يصيب الرئتين معاً ، ولكنه يجعل باحداهما قليلا عن الاخرى وإذا أصاب الرئة احتقنت بالدم ، وثقل وزنها ، وأحمر لونها ، وصار قوامها هشاً بعد الوفاة ، وامتلاّت حوصلاتها بكريات الدم الحمراء والبيضاء وغير ذلك من مواد الدم بحيث تكون خالية من الهواء ، ثم تمتص الكريات الحمراء ، وتزدحم الحوصلات بالبيضاء ، فيتغير لون الرئة من الحمراء الى اللون السنجابي ، وفي كلتا الحالتين يكون قوام الرئة كمنسوج الكبد حتى سماه الأطباء (بالتكدس)

المضاعفات — جميع المضاعفات تنشأ على الأكثر من انتشار ميكروب الالتهاب الرئوي في الاعضاء الاخرى فقد تتهب البلورا وقد ينسكب في تجويفها مصل أو صديد . ومن المضاعفات أيضا التهاب الشغاف أو الاعصاب أو الكليتين أو البريتون أو السحايا أو المفاصل وغير ذلك

الانتذار — عدد الوفيات في هذا المرض نحو ١٧ ٪ من الاصابات . والمرض خطر جداً للمبتدئين واضعفاء البنية . وما ينذر بسوء العاقبة الهذيان الشديد أو الذي يحصل في أوائل المرض ، وضعف النبض والزرق والتهاب الرئة كلها أو امتداده الى الرئة الاخرى

المعالجة — يجب على المريض أن يلتزم الفراش في الحال . وفي وقت شدة المرض يبقى معتمداً بظهوره على شيء بحيث يكون رأسه مرتفعا على الفراش قليلا ويجب أن تكون الغرفة متجددة الهواء قية ، والغذاء من السوائل السهلة الهضم المنفذية كاللبن والرق ونحوهما ، تعطى بمقادير صغيرة متكررة . وينبغي أن تطلق الاسماء بالسهلات ، وتعطى للمريض المواد المبرقة مع قليل من المسكنات لتخفيف ألم الجنب والسعال . وما يخففه أيضا البخاخ الساخنة على الجنب المتهب أو ورق الخردل الصناعي ومن الناس من يضع على الرئة المتهبة أكياسا فيها ثلج لتخفيف الألم وخفض الحرارة

وهذا العلاج المذكور كاف في الحالات البسيطة فإذا اشتدت وطئة المرض وضعف القلب وكثر الهذيان وجب إعطاء المريض المنومات كالاستروكين والديجينالا والنوشادر أو قليلا من الجر (مثل ٣ أو ٤ أواق في اليوم) . وكلوريد الكالسيوم (١٠ قحاحات كل ٤ ساعات) يقال عنه أنه مقو للقلب فإن أكثر الخوف هو من وقوفه

فإذا ازرق المريض وضاق نفسه وخيف عليه من الاختناق أو من وقوف القلب وجبت المبادأة الى فصدّه أو على الأقل تركيب الطق على الصدر لسحب جزء من الدم . ولا خوف من سحب ١٥ أو ١٢ أوقية من الدم إذا كان الشخص قوي البنية ممثلا به . واستنشاق الأكسجين نافع جدا في هذا المرض ، وكذلك كربونات النوشادر (٥ الى ٧ قحاحات كل ٣ أو ٤ ساعات) لإخراج المواد المتراكمة في الشعب

أما استعمال المصل أو القرح فلم تظهر له فائدة كبيرة
فأجازز المريض طور البحران وجبت مساعدته بالأدوية القوية والاضحية الجيدة

بلاد العرب وأحوالها

منذ العصر الخالية

نشرت مجلة الشرق والغرب التي أنشأها دعاة النعمرية (البشرون) لبث دعوتهم بمصر مقالة تحت هذا العنوان قالت ان ما أوردته فيها هو نتيجة ما وصلت اليه مباحث العلماء الذين بنوا أقوالهم على ما اتصل بهم من اشاعات الروايات ذات الطرق العديدة القديمة « فأخذوها وطبقوها على اعتبارات جغرافية وجيولوجية - قالت - ولعل أشهر علماء الافرنج الذين عالجوا هذا الموضوع « الحائفة » فيسائي و - أو كاتيانى كما يرميه آخرون - الايطالي الذي اشتهر بتصنيفاته العديدة عن العرب .

والاسلام من وجهة تاريخية اقتصادية وقد بنينا هذه المجلة على ما جاء في مؤلف من أحدث مؤلفاته »

وقول نحن ان هذا المؤرخ الايطالي قد اشتهر عند الترك وبعض العرب بنشويبه لسيرة النبي (ص) وهي أشرف سير البشر — لان الاتحاديين قرحوها ما كتبه فيها بالتركية كما يننا ذلك في منار هذه السنة (ص ١٦٢ ج ٢) ولكن مباحث هذا المؤرخ المدقق في تاريخنا مما لا نستغني عنه ونريد لو ترجم كلها . ونحن نفعل عن هذه المجلة ما اقتبسناه من المباحث المتعلقة بمجلة جزيرة العرب الجغرافية وطبيعتها الجغرافية ، ومهاجرة أهلها منها الى حيث أتاكم بنا الخطاوة القليلة . وهذه عبارة المجلة بنصها لم فصيح منها الا عبارات قليلة : —

قد أثبتت المباحث الحديثة أن الانسان وجد على الارض قبل المسيح بألف من السنين وان بلاد العرب كانت مأهولة كأقدم بلاد العالم . فكيف كانت حالة العرب في ذلك العهد انطاكي يارى ؟ لا ريب في انها كانت تختلف كل الاختلاف عما هي عليه الآن . والمعروف عنها الآن — ومنذ عدة مئات من السنين أيضا — انها برية قاحلة ذات أواض جرداء خالية من الماء^(١) . على انها في الاعصر الجيولوجية كانت على خلاف ذلك . فقد مر على قارتي آسيا وأوروبا زمن كان فيه تساهما الشيطان أشد برداً مما هما عليه الآن . وكان الفرق بين الصيف والشتاء أشد وضوحاً مما هو الآن . فكان الهواء في الصيف أكثر امتصاصاً للرطوبة فيزداد به همال الثلج في الشمال وهطل الأمطار في الجنوب . وبناء عليه كانت أحراة هندية من آسيا وأفريقيا بقاعاً مخصبة جداً وهي الآن قفار جرداء . وما الاودية الناشئة سوى بحار كانت تتدفق فيها الانهار

ومن تلك البلاد بلاد العرب . فقد كانت سلسلة الجبال التي في غربها تنحرف رياح السوم وتجري منها أنهر على هضاب أواسط بلاد العرب وتصب في خليج الفصم . ومن تلك الانهر نهر الدواسير الذي كان يجري في وادي الدواسير . وكان

(١) المار : كمال السوابق أن يتدل قليلة المياه

[التاريخ ١٩ م] هجرة قدماء العرب واستعمارهم العراق وسورية ومصر ٣٦٥

منبعه في الهضاب المكبة . وكذلك نهر الرماح الذي كان يصب مع نهر الدوايسر في خليج المعجم

ولا ينبغي ان للحالة الجوية تأثيراً عظيماً في السكنى ، وهذا يبين لك لماذا كانت بلاد العرب مهد الشعوب السامية . وخلاصة ذلك انه في تلك الازمنة الطيبة كانت البلاد غاصة بالسكان بخلاف حالتها الآن

ثم بدأت الاحوال الجوية في نصف الكرة الارضية الشمالية تتغير بالتدريج . قتل امتصاص الهواء لارطوبة وقيل هطل الامطار . واصبحت البلاد التي بين اوروبا والمنطقة الحارة تشمر بذلك التغيير العظيم . وبتأدي الزمن بدأ شمالي افريقيا وبلاد العرب يجف ، فصارت الملايين التي تسكن بلاد العرب يعدم ملائمة البلاد لسكنائها

ولا حاجة الى القول بأن الرحيل عن بلاد العرب استغرق ألوفا من السنين وكان تدريجياً ، وهذه الطريقة يمكن تحليل توالي هجرة الشعوب السامية . ولم تكن كلها غزوات أي هجرات ناشئة عن اعتبارات حرية بل كان معظمها ناشئاً عن اعتبارات سلمية بحثة كهجرة الارلنديين اليوم الى أمريكا . وكانت آخر تلك الهجرات أعظمها شأنًا وقد حدثت عند ظهور الاسلام يوم فتحت أبواب بلاد العرب وأخذ سيل المهاجرة يتدفق منها شرقاً وشمالاً وغرباً

وكان لتلك الحركة غايتان تتفقان مع طبيعة البلاد الجغرافية اذ لا ينبغي أن شبه حجرة العرب مقسمة الى قسمين (١) البلاد العربية الغربية (وهي اليمن والحجاز) ومنفذها سورية الى الشمال الغربي بمصر والحبشة على سواحل البحر (٢) لوسط الشرقي ومنفذه الطبيعي العراق وما بين النهرين . أما القسم الجنوبي من بلاد العرب (أي حضر موت) فقام بنفسه

فقبل المهاجرة من بلاد العرب كان يتدفق اذًا شمالاً الى فلسطين وسوريا أو غرباً الى مصر والحبشة . أو شمالاً شرقياً الى العراق ووادي حجلة والفرات وقد وقعت أول هذه المهاجرات عند أول فجر التاريخ . ثم تبعها المهاجرات

٣٦٩ هجرة العرب قبل الاسلام وبعده الى حيث استعمروا من البلاد [المنار: ج ١٩ ص ٦٩]

الآخري في الازمنة التاريخية المعروفة .

(١) المهاجرة الاولى - قبيل فجر هذا التاريخ قام بهذه المهاجرة شعوب سامية نزحوا الى العراق ومعهم شعوب سومريون فتألفت منهم الامة البابلية، ويعتقد العلامة (قيطاني - أو - كاتياي) أن المصريين القدماء الذين دخلوا وادي النيل عن طريق البحر الاحمر واستعمروا أولا مصر العليا كانوا ساميين وقد هاجروا في نفس الزمن الذي هاجر فيه مواطنهم الى العراق . وما يؤيد هذا الرأي أن في اللغة المصرية القديمة آثارا سامية هدية منها الكاف ضمير المخاطب المفرد المضاف اليه (١) (٢) أما المهاجرة الثانية فقد وقعت في أول عهد التاريخ المعروف أي بين سنة ٢٥٠٠ قبل المسيح وكان أنفاج سبل هذه المهاجرة أيضا الى شمال العراق وجنوبه ويتضمن حروب سرجون الملك السامي الشهير

(٣) وأما المهاجرة الثالثة فقد وقعت من سنة ٢٥٠٠ الى سنة ١٥٠٠ قبل المسيح وفي أثنائها نزح الاشوريون الساميون من بلاد العرب وأسسوا مملكة آشور وعاصمتها نينوى على أهالي دجلة وفي ذلك الزمن عينة نزح الرعاة (الهيكسوس) من غربي البلاد العربية الى مصر وغزا الفينيقيون غربي سوريا واجتاح الكنعانيون فلسطين (٤) هجرة الاراميين بعد سنة ١٥٠٠ قبل المسيح وانتشر الاراميون في وادي الفرات وسوريا فأصبحت لغتهم لغة التجارة اذ كان يدهم طريق التجارة المار بمحلب ومن الشعوب السامية التي لم تنزع من بلاد العرب القبائل الصائبية والحيرية والعرب الذين كانوا يتكلمون العربية الحديثة . وكانت هذه اللغة قد نشأت بتداعي الزمن نشوءا بطيئا جدا . أما سبب عدم هجرة هذه الشعوب فهو لأن غربي بلاد العرب كان أكثر خصبا من شرقيها وقد كان طريقا للتجارة بين الهند والبحر المتوسط يمر باليمن والمحجاز وينتهي الى غزة وهذا يأتي بنا الى :

(٥) ظهور الاسلام . وليس هذا أول مرة ظهرت فيها القبائل المتكلمة باللغة

(١) المنار الامر أعظم من ذلك فلعل النصف أو أكثر من النصف من هذه اللغة عربي ولكن الكثير منه محرف كاعلم بالتفصيل مما نشرناه في مجلد المنار الثامن عشر عن علامة هذه اللغة أحد كمال بك

الربية لقسطنطين البلاد المجاورة فإن بعضها سبق فاستوطن غسان والحيرة والعراق ومهد الطريق للعرب الذين كانوا في أيام محمد (صلى الله عليه وسلم) فمؤدوم المهاجرة والاستيطان، وكانت بلاد العرب قد ضاقت مرة أخرى بأهلها الساميين الذين اشتهروا بالقوة والبأس والذكاء وكثرة النمو. وبما يدل على ضيق الوسائل الاقتصادية في تلك البلاد بأهلها ففرم المدقع وعوزم وعادة وأد البنات عندهم. أما قواهم المتزايدة فكانوا يفتقونها في محاربة بعضهم بعضا وفي شن الغارات والغزوات الى أن بدت طلائع تلك النهضة الدينية فجمعت بين القبائل المتخاصمة وجعلتهم يوحدون قواهم ويوجهونها الى الخارج . وهكذا فتحت ابواب المرية وخرج العرب ليغزوا البلدان في سبيل الله وسبيل الجامعة المرية

وقد كان بين أولئك العرب رجال ذوو صفات وآداب مختلفة ففهم الشديد القوي كهم، والقائد المحتك كخالد، ومنهم المجازف، ومنهم السوقي الى الحرب بطمع الاسلام^(١). على أن عامل الدين هو الذي فتح لهم السبيل ومهدهم ومنهم قوة. ولكن كان للعوامل الاقتصادية التي أشرنا اليها والتي كانت تؤثر في بلاد العرب منذ أقدم الأزمنة شأن يذكر وكان الجانب الأكبر من جيش محمد (ص) رجالا قد دانوا حديثا بالاسلام فكانوا يقبلون عليه أو يرتدون عنه بسرعة عظيمة لان معرفتهم كانت ناقصة. ولا شك أن أمثال أولئك ما كانوا ليتسكوا بمرءة الاسلام لولا ما رأوه من الانتصارات التي يؤتاها جيش المسلمين ولولا انقلابهم من ضيق العيش الى سعة^(٢). وكان في جيش البلدان التركي مئات من المكيين الذين أبدوا الامويين فيما بعد ولا يزال المسلمون يقولون حتى اليوم إنهم لم يكونوا على شيء من الاسلام

(١) المنار : يعني أن الجمهور الاعظم من العرب كانوا يقاتلون في سبيل الله وسبيل الجامعة المرية التي يقوم بها دينه وكتابه ، وادناهم منزلة أفراد يطمعون في الغنائم والاسلاب كما هو شأن أرقى الامم الآن في حروبها

(٢) هذه دعوى باطلة وتعليقها الذي عليها به باطل فإن المسلمين ما اهلوا الى سعة العيش التي يعينها في عهد النبي (ص) بل بعده اذ فضحوا الشام ومصر وفارس . وابن السعة في جزيرة العرب وابن ما وصفها به آقا من الضيق ؟

وأمثال أولئك كانوا يتبرون أنفسهم في بيثة هي حرية أكثر منها إسلامية .
 أما حروب الاسلام التي أفضت الى مزج العرب بأهالي البلاد التي افتتحوها
 من بخارى شرقا الى أسبانيا غربا فقد كانت عبارة عن مهاجرة هي آخر المهاجرات
 السامية من شبه جزيرة بلاد العرب ولم تحدث مهاجرة بعد ذلك أو بمقدار صغير
 جداً لا تزال نشاهد آثاره حتى اليوم وهو نتاج عن نفس الاسباب التي أفضت الى
 المهاجرات السابقة أي محال بلاد العرب .

أما النتيجة فهي ظهور القوة الكلمنة في الامة العربية ظهوراً بيناً وانفاذاً يجري
 جديداً وبيئة مشرة .

وقد ذكر الاستاذ هر كرونجه أن عرب حضرموت الذين هم أقصر سكان
 تلك البلاد فكوا القيود التي كانت تربطهم ببلادهم وهاجروا الى الهند وجزائر الهند
 الشرقية حيث أظهروا همة عالية ونشاطاً غريباً . فقد أصبحوا خبيرين بأمور التجارة
 مع أنهم كانوا يجهلون في موطنهم الأصلي ، ولا تزال الاعمال والاشغال تنتقل الى
 قبضة يدهم حتى لقد أصبح بعضهم من كبار الاغنياء . ولا ينحصر تفوقهم في الاعمال
 والتاجر قط بل في الامور العقلية أيضاً

وهـ صوة - حفرة للعرب الذين نزلوا بسوريا وبلاد فارس في المئة الاولى
 للهجرة . وهي تنطبق على حالة العرب عموماً منذ ألوف من السنين حتى اليوم

وقد أظهر دولة شريف مكة بنهضته الاخيرة أن العرب لا يزالون يأبون
 الخيم ويشقون الحرية والاستقلال ، وهم يبدلون كل مرتخص وقال في سبيل الدفاع
 عن كيانهم . ترى هل نحن على وشك أن نرى من جانب بلاد العرب مباحثات
 جديدة مدعشة كما رأى العالم منذ مئات من السنين ؟



المنشور الهاشمي الشريف الثاني

ذكرنا في الجزء الرابع من مآزج هذه السنة ملخص المنشور الاول الذي خاطب به الشريف الاكبر صاحب مكة المكرمة مسلمي الارض مبينا لهم سبب نهضة الحجاز بين باستقلال العرب دون متغلبة الاتحاديين . واليوم نقول لهم نص منشور آخر نشر في العدد الحادي عشر من جريدة القبلة الصادر في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٠٤ تبصير فائدته والعناية بحفظه ، لان أمثال هذه المنشورات من أهم مواد تاريخنا في هذا العصر ، وقد ضاع عنه الجزء الخامس الذي طبع الكثير منه قبل عودتنا من الحجاز ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

لقد رأينا دقما للاتباس ومنعالمنا عسو أن يحدث من العود في حقيقة قيامته ونهضتنا معاشير الحجاز بين الموضحة أسبابها في منشورنا الاول أن نردده بهذه الاسطر ليكون منها لأفاضل العالم عموما والمسلمين خصوصا زيادة الاعلاء على نباتنا وقاصدا المتانة بكياننا من حيث هو ، ملتزمين فيما أقرب المواد عهداً وأسطها دلالة

من المعلوم أن عقلاء المسلمين وذوي البصيرة من سائكي الممالك العثمانية وسائر أطوار الدنيا غير راضين عن دخول الدولة العثمانية في الحرب الحاضرة لاسباب جوهرية أجمعوا عليها منها ان الدولة العثمانية قريبة عهد الخروج من الحرب الايطالية أولا والحرب البلقانية ثانيا وقد أصاب جيوشها وخزائنها وكل مراقبها وعامة أملاكها من الضعف والضياع والفناء ما لا يخفى تأثيره على ثروة الدولة خاصة وثروة المسلمين وأهلها عامة حتى كان الجندي لا يكاد يدل الى قرية أو الى مكان دولة يتجه الى على ما يسد به رقه درهم أو لاد . وسائر أملاكه لا يكون قد بقي الى التمسيد مرة ثانية . وهكذا شأن الصانع والحال المختلط ، فالامة التي أحيت أوطانها

هذه الكوارث لا نرى حاجة الى بيان مصيرها ومصير دولتها اذا دفست بنفسها في هوة حرب جديدة لا تشبه غيرها من الحروب . لاسيما وان واردات الدولة من الضرائب (٥) المفروضة على مساعي الافراد المتكردي الحظ بين تجارية وصناعية وزراعية هذا أحد الاسباب التي حلت عقلا المسلمين على استنكار دخول الدولة في الحرب الحاضرة وهو سبب مبني على حقيقة الحالة الداخلية في كل بلاد السلطنة . وهنالك اسباب خارجية تملق بالجهة التي انحازت الحكومة الاتحادية الى الحرب معها ضد الفريق الآخر من الدول المشتبكة في الحرب . فان الدولة العثمانية دولة اسلامية وبلادها متراصة الاطراف كثيرة السواحل فكانت السياسة التي سار عليها سلاطين آل عثمان العظام من قديم الزمان تحسين الصلات والعلاقات مع الدول التي يسكن ممالكها القسم الاعظم من المسلمين والتي لا تزال صاحبة الارجحية في البحار، فلما دخلت الحكومة الاتحادية في الحرب ضد هذه الدول منعازة الى فريق آخر كثير الطمع واسع الجشع لضيق بلاده عن ساكنيها تشام من ذلك أهل النظر والروية من المسلمين لعلهم بما يكون من نتائجها السيئة قبل حدوثها

ولقد كنت من جملة هؤلاء عند ما سئلت لتغرافيا عن رأيي في هذه الحرب فأجبت بما اقتضاه واجب النصيح، وهذا مما أنخذله دليلا على اخلاصي لهذه الدولة وحرصي على سلامتها وصيانة يفة الاسلام

وها قد حصل ما كنا نخشاه، وانتهت الدولة الى ما نخوفناه، وأصبحت حدود المملكة العثمانية اليوم في أوروبا أسوار الآستانة تهريبا . وان طلائع جيوش الروس تنهطف الاهالي العثمانيين في ضواحي ولايتي سيواس والموصل، وطلائع الانكليز نسحق أوف الاسرى من أبناء هذه المملكة في بادية العريش بعد ان استولت على ولاية البصرة وشطر من ولاية بغداد، ولا شك في أن من تأمل هذه الحالة ورأى ان الحرب لا تزال قائمة على ساق وقدم لا يحتاج الى كبير عناء في استجلاء النتيجة التي لا تخرج عن أحد أمرين فاما ان نسلم الى هذا الخطر الداهم حتى نزول من يفتنه بالعلم نوس سعي الى الخلاص منه

من انصار: فيله: من الضرائب — خير إن لا يان للواردات كما يتوهم بادي بده

إننا نترك العالم بأسره التأمل في هذا والجواب عليه وليس عندنا أقل رغبة في انهم يصدرونا في نهوضنا الذي جاء في وقته قبل أن تحيط المهالك بالبقية الباقية من هذا الملك فتأخذنا على غرة . بل اننا لا نتردد في مشروعية نهوضنا ووجوبه علينا . ولو كنا نعلم بأن بقاءنا مرتبطين بهذه الدولة التي أصبحت ألعبه في أيدي المتغلبين مما ينفعها ويحفظ لها أملاكها لا تحركنا بشيء مما قنا به، ولصبرنا ونحملنا كل ما يحملوننا إياه . ولكن أئني لنا ذلك وقد صار من المقطوع به اننا لو استسلمنا لما هم سائرون بنا إليه لا دى ذلك بنا وبهم الى هوة الاضمحلال التي تسقط فيها الولايات الاخرى على مرأى منا ومسمع

نم اننا نقول هذا ونترك الحكم فيه الى إناصاف العالم أجمع، ولكننا لا نستطيع السكوت عن المجاهرة بأن السبب الوحيد لمحو هذه الدولة وابادة من بقي لها من الرعية وهم سكان الانضول وغيرهم انما هو استرسال المتغلبة من زعماء الاتحاديين وهم أنور وجمال وطلعت وأشياعهم، وخروج الدولة عن خطتها السياسية الاساسية التي وضعها عطاء سواس المانيين وهي خطة موالاة الدولتين العظميتين بريطانيا وفرنسا التي لا ينكر فوائدها الا من ينكر التاريخ ، ويكفي لمعرفة أخلاق زعماء الاتحاديين ومقدار صدقهم ووفائهم انه لم يمض غير زمن يسير على عقد القرض الذي ساعدتهم به فرنسا وهم في أشد الحاجة اليه حتى انضموا الى أعدائها وأعلنوا الحرب عليها، وانا لا نستدل على ما ذكرناه من أخلاقهم بهذا العمل دون سواء الاشهرته المستفيضة بين عموم الناس وقرب عهدنا به، أضف الى ذلك ما يلقاه الاهالي المانيون لافرق بين مسلمهم وذمهم من ضروب السف والجور اللذين يحجب ركايبها ضياء الشمس، لا سيما ما ارتكبه القابضون على ازمة الحكومة من هؤلاء المتغلبة وأشياعهم أثناء هذه الحرب من ظلم أهل ذمتنا من الروم والارمن خلافا لما جاءت به شريعتنا المطهرة، ثم نهجوا هذا المنهج في أبناء العرب بالشام والعراق وغيرهم مما هو معلوم الى يومنا هذا كإيقاعهم بأهالي العوالي التي هي احدى ضواحي المدينة المنورة من سبي مخدرات العرب وسوقين الى الثكنات العسكرية بما تأباه الشريعة الاسلامية والشامة العربية

نم اننا قنا ولا يزال قيامنا ومجاهرتنا بالمداوة والبغضاء مقصودا بهما أنور وجمال

وطلمت وشيعتهم . وانه ليشاركنا في ذلك كل مسلم عاقل حتى أفراد البيوت العثمانيه ، ودللتنا مع مشاركة هذا البيت الجليل اغتيال المتغلبه لعبيده الشهيد السعيد ولي عهد السلطنة المغفور له المرحوم يوسف عز الدين . وانا تبرأ منهم ونظهر لهمس العداوة والبغضاء ، ويشترك معنا فيها كل بروقي من مسلمي البلاد العثمانية وسائر البلاد الاسلاميه ، بسبب ما أتوه من الوبال ، وماجره على دولة الاسلام من الاضمحلال ، حتى جعلوها ضحية لاغراضهم وغاياتهم النفسية . نبرأ الى الله منهم ونعلم انها كلمة حق عليها نحيا وعليها نموت . وكيف لا نقول هذا وامانا من عبر الدهر ما نسرده على اخواننا المسلمين ليعلموه ويعروه

فان جمال باشا المتحكم في الشام واهلها قد أمر سكان ذلك القطر الاسلامي بأن يؤلفوا من مخدرات نسائهم جمعية نسائية ، ثم أوعز الى هذه الجمعية أن تأدب له مأديه في قاديها ، وقد تم ذلك بالفعل وحضرها هو ورجال العسكرية والملكية ومن دعاهم من سائر رجاله واعوانه ، وكان النسوة المسلمات أعضاء هذه الجمعية يباشرن اكرام ضيوفهن . وعندختم الحفلة شرعن في القاء الخطب والانشيد بين تلك الجماهير من الرجال كما نشرت ذلك صحف سور ياعلى اختلاف مشاربها مظهرة الاعجاب والتمغز ارضاء لجمال باشا . فسيحان الله تعالى الذي يقول في محكم كتابه الكريم (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك المؤمنات يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) (١) وقوله تعالى (٢) (قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن

(١) وقع في حريدة القبلة غلط في هذا الآية نصه : أي لا يعرفن فيؤذين . وهو غلط مطبعي يوم غير العارف ان معناه صحيح وما هو الا ضد المعنى الصحيح . فالمراد من الآية ان إدناء الجلابيب والمبالغة في الستر أقرب الى ان يعرفن أنهم حرار لا إماء فلا يؤذين أهل الرية . وسبب ذلك أن البقاء في بلاد العرب كان محصوراً في الاماء من عهد الجاهلية ولذلك قالت هند للنبي (ص) عند مبايعة النساء على ترك الشرك والسرقة والزنا : أو تزني الحرة ؛ فكان الفساق من المنافقين والمشركين يعرفون الاماء بهتكن فيتعرضون لهن فأمر الله تعالى المؤمنات بالستر ليمتازن به فلا يتعرض لهن الفساق ، ثم بطل البقاء برسوخ الاسلام حتى تركه الاماء أيضاً (٢) لعل الاصل وقال تعالى أو ويقول تعالى .

ومحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها، وليضر بن مخمرهن على جبهتهن ولا يبدن زينتهن إلا لبعوتهن أو آباءهن ... (الح ٥)

من هذا يعلم صراحة مراد هؤلاء المتغلبين ومقاصدهم بالشريعة الاسلامية والمادات العربية، وفيه عبرة وذكرى لآخواتنا مسلمي البلاد العثمانية وسائر اخواتنا في اقطار الدنيا ليتعلموا بذلك ولا يكون سبباً لاستمرار هؤلاء الطغاة في انتهاك حرمات الله والجراة على مخالفة أوامره لجاء يستفيدونه، أو راتب يستزيدونه، فانه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومن كان قد وهبه الله تعالى قوة على تغيير المنكر بيده أو لسانه أو قلبه فليفضل، ومن كان لديه ما يدافع به عن جراة هؤلاء القوم المتغلبين فليأتنا به فاتنا ان شاء الله ممن يستمعون القول فيقيمون أحسنه (وإنا أوياكم لملى هدى أوفى ضلال مبين) (١)

شريف مكة وأمرها

تحريراً في ١١ ذي القعدة الحرام ١٣٣٤

[المنار] ماخص هذا المنشور ان زعماء الاتحاد بين عرضوا الدولة للهلاك بالحرب والظلم والبنى والدوان، وعبثوا بدين الاسلام، وظلموا المسلمين والذميين، وان مسلمي الترك وفي مقدمتهم بيت السلطنة يملكون ذلك كالعرب ولكنهم غلبوا على أمرهم، وان بقاء البلاد المحجزة بقضاة لم يضرها ويضر أهلها ويوقعهم في الخطر من حيث لا ينفذ الدولة ولا يفتي عنها شيئاً، وان الواجب في هذا المقام العمل بما أمر به الرسول (ص) في قوله المروي في مسند احمد وصحيح مسلم والسنن الاربع «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فليسهه» الخ وبذلك عمل صاحب المنشور هو ومن معه من أهل المحجزة فهم في مقدمة أهل الحل والعقد في الامة ولو لم يكن معه غير اسرته الهاشمية وعصمتهم واتباعهم من العرب لكنى بهم أهل حل وعقد في مهد الاسلام وأفضل بلاد الأرض، وريبتهم في هذه الصفة سائر الامراء والزعماء في جزيرة العرب، ولم يبق في ديار الاسلام غيرهم أحرار غيرهم لان سائر علماء المسلمين وكبراهم في الامتة وشعرها تحت قوس سماء عسكريقزماها بأيدي ملاحة الاتحاديين ونصارى الألمان. راجع إلى...

(*) سقط من جريدة القبلة ما بعد كلمة (إلا) الأولى المذكورة في المتن.

(١) في جريدة القبلة « وإنا أوياكم » وهو غلط منسوخ.

ومن شايه من العرب قادرين على النهوض لمقاومة منكرات الاتحاديين قاموا بالواجب الايماني عليهم . وقد صرح في هذا المنشور بأنه اذا ظهر له خطأه في اجتهاده هذا يرجع عنه . وكفى بذلك حجة على جميع المسلمين

تقرير المطبوعات الجديدة

أهدي اليك في العام الماضي عدة مطبوعات جديدة من الكتب والصحف لم نجد فراغا من الوقت لنظر فيها فظرا يمكننا من إبداء الرأي فيها ، وان منها ما يخص حقه اذا كتب عنه في المجلات العلمية ، ما هو معنى الاعلان الذي ينشر في الجرائد السياسية ، وقد يعد طول الزمان على السكوت عنها أشد هضمًا لها وبحسب لحقها ، فلذا رأينا أن التنويه بها ، بما تملح النظرة المعجل فيها ، ربما كان كالمند يفضل ناجز المستند الصديان على القبر التسيبي يخاف عليه الفسيان ، وهو لا يمنع من إعادة النظر فيها اذا سمح الزمان ، وهذا ما جاد به الزمن الضنين الآن :

﴿ كتاب شرح البيع ﴾

(في القوانين المصرية والفرنسية . وفي الشريعة الاسلامية)

« تأليف محمد حلمي عيسى بك وكيل الادارة القضائية للمحاكم الاهلية بوزارة الحفائية » شرح فيه أحكام عقد البيع في قانوني المحاكم الاهلية والمختلطة المصرية مستمدا من مصادرهما — الشريعة الاسلامية والقانون الفرنسي — سالكا في شرحه مسلك المدقق المستقل بالفهم والرأي . فجاء سفرا كبيرا بلغت صفحاته بضع مئات . وطبعه في العام الماضي (١٣٣٤) في مطبعة المعارف طبعا جيدا على ورق جيد يليق به ، وقد أقبل عليه علماء القانون أي إقبال ، وأحسن تقيظه الصحف أي إحسان .

ان هذا المصنف من الكتب التي يرجع الى مثلها الباحثون في فلسفة الشرائع والقوانين ، ويعتمدون على قوله ومباحثه في المقابلة والتنظير بينها وتفضيل بعضها على بعض . فلو أتيج لي ان أوفيه حقه من التقيظ والنقد فيما يعني من مباحثه الدقيقة — وهو المقابلة بين الشريعة والقوانين — لكنت قرأت ما أوردته من ذلك كله أو الكثير منه ، وينت ما يريني الله من الحق فيما أوردته من الاحكام الشرعية التي اعتمد في أكثرها

على بعض كتب الحنفية ، وما فاتته من الاحكام ، في كتب غيرهم من قها الاسلام .
 قد قال في مقدمة الكتاب انه جعل المقارنة بين القانون المصري بقسمة وبين
 الشريعة على كتاب مرشد الحيران الذي ألفه قنري باشا ومجلة الاحكام العدلية
 التي أوجبت الدولة العثمانية على محاكمها المدنية الحكم بها . وذكر في أسماء الكتب
 التي كان يراجها عند الشرح عدة كتب للحنفية والمالكية ولم يذكر بينها شيئا من
 كتب قه الشافعية والحنابلة ، على أن كتب هذين المذاهبين أجمع لدلائل الكتاب
 والسنة، وكتب الشافعية منها أشد تنقيهاً وكتب الحنابلة أوسع طريقاً فلأن المؤلف
 عني بكتب الحنابلة وعلماء الحديث المستقلين كما عني بكتب الحنفية لكان علمه
 بالشريعة الاسلامية أوسع ، ومقابلته بينها وبين القوانين أصح وأقنع ، ومن أجل
 هذه الكتب كتاب المغني للشيخ موفق الدين ابن قدامة و (المحلى) للإمام ابن
 حزم و (نيل الاوطار) للإمام الشوكاني . ومن أجل الكتب الباحة في حكم الشريعة
 (اعلام الموقعين) للعلامة ابن القيم ، وأحسن ما كتب في العقود وأضعفها فلم هو
 ماكتبه شيخ الاسلام ابن تيمية ونشر في مجموعة الفتاوى التي طبعت له . فقل المصنف
 ينو بالرجوع الى أمثال هذه الكتب اذا فتح الكتاب عند ارادة إعادة طبعه —
 ان شاء الله تعالى

﴿ تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ﴾

(مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينهما من
 الملاقى التجارية والحربية وغيرها عن طريق سيناء من أول عهد التاريخ الى اليوم ،
 مؤلفه نبوم بك شفيق مدير قلم التاريخ بوزارة الحربية بمصر ، وصاحب تاريخ السودان)
 وهو مجلد ضخيم تزيد صفحاته على ٧٧٠ طبع بمطبعة المعارف طبعاً جميلاً وأجمعت
 الصحف على حسن تخطيطه والتأليف عليه ، وما وفاه أحد منهم حقّه ، ولا شرح للناس
 حقيقته وكنهه ، وقد كان اسم الكتاب حجاباً يخفى ما وراءه من الحقائق التاريخية
 والاجتماعية والسياسية والعلمية ، التعلق أكثرها بالعرب والبلاد العربية ، من
 شؤونها الفائرة ، وحالتها الحاضرة ، — ولا يزال هذا الحجاب مسدولاً على تلك

المحدثات، ماأماطه الصحف عن ذلك الوجه، ولا أظهرت كل ماوراه من الجمال والحسن، على أن كشف الحجاب عن أبكار المعاني، ككشفه عن أبكار المعاني، كل منهما يباح للخاططين، كما يباح للمحارم من الأهل والأقربين، وما أكثر من يبيحه للناس أجمعين، فما بال أبكار مؤرخنا العربي لا تزال محجوبة عن خطابها المتعديين، وذوي قرابها الكثيرين، بذلك الاسم الذي لا يدل إلا على جزء من مساهمته، كما حجب استعداد أمتنا العربية بالاستعداد الذي يشاهد وحجب ما في وطننا العربي من الآثار والمعادن بمجهول الحاكم الذي يتولاه ؟

ألا أيها الخطاب، تلك الأبقار العرْبُ الأتراب، لقد نصب الله لكم من يرفع عن محاسن وجوههم الحجاب، وإن كان يخفض من أفكار من في مصر من دعاة السفور، الذي يمجزم بأنه مزيد في التهلك والفجور، ولكنه قبل رفعه، يبين لكم سبب وضعه، فيقول :

إن المؤلف لما أتبعه الموقف على تلك الحقائق التي يجعلها الأكترون من تاريخ سيناء عز عليه أن تبقى مجهولة، كاهوشان محبي العلم الذين يتعبدون في تحصيله وتحصيله، فعمد إلى تقيده وأبداها، وقصص شواردها، بعد أن قل مسألتها بالبحث والتدقيق تقريبا، وفصل القول فيها تفصيلا، فجاء تاريخنا مطولا لهذه البقعة الفائرة، لم يوضع مثله لأعظم أقطارنا الفائرة، فكان مظنة الانتقاد بأنه اشتغال بالكالي من جزئيات تاريخ بلاد أمتنا العربية، قبل الوصول إلى ما ينبغي بالحاجة من مباحثه الكلية، وكأن مؤرخنا اللوذعي لمح بلحظ النيب ذلك الانتقاد يجهول في مطاوي الأفكار، بعد أن تمثل بين يديه تاريخ سيناء سفرا من أكبر الأسفار، فأراد أن ينظم تلك المباحث الكمالية في سلك الضروريات، فوضع للكتاب خاتمة كانت كالمقصود من الوسيلة أو كالنتيجة بعد المقدمات

ذلك بأنه لما كانت سيناء مقعد الاتصال والارتباط بين أعظم الأقطار العربية، أعني جزيرة العرب ومصر وسورية، جعل خاتمة التاريخ التفصيلي لها خلاصة تاريخ الأقطار التي تحيط بها، ولما كانت فائدة التاريخ هي العظة الاعتبار، وكان الفراغ من هذا الكتاب في إبان هذه الحرب التي خاضت غمراتها الدول السائدة على تلك

الاقطار، والتي يتبدل بها ما يتبدل من احوال الامم والاطوار، — ذكر قومه الاقربين
سوريين ومصريين، ومن وراءهم من العرب أجمين، بأن أصل أروماهم واحد
وهو الجنس العربي الكريم، والاصل الذي ينشئ اليه أنبياءهم المرسلون في ملهم
ونسبهم واحد وهو خليل الله ابراهيم، وبأن لتتهم واحدة وهي العربية، وكذلك
عاداتهم ومصالحهم الاجتماعية والاقتصادية، وهل ينذر أحد على الرضا بالخلاف
والفرقة، بعد تجارب هذه الجواذب والدواعي الى الوفاق والوحدة؟ كلا لا عذر الا
الجهل أو عصبية الجاهلية، وهاك شذرات منه في بيان هذه الحقيقة وحجبها الجلية
قال المصنف في تمهيد خاتمته المحسنة:

١ — « ان الباحث في تاريخ مصر والشام والعراق كلما تعمق في البحث
وجد أن معظم سكان هذه البلاد كانوا في كل عصور التاريخ — كما هم في هذا
العصر — عرباً أو من أصل عربي. ^(١)، وكان لتتهم العربية أواختا لها ^(٢) وعليه
فأول الصلات التي تربط هذه البلاد بعضها ببعض وأهمها هي الصلة الجنسية العربية»
ثم إنه جاء بزيادة تاريخ هذه البلاد ايضاً حال هذه الحقيقة وقد بدأ بخلاصة تاريخ العرب
مهد العرب

٢ — ذكر في بيان مهد العرب ان أوجه الآراء في مهد الجنس السامي اثنان
(أحدهما) رأي مفسري التوراة وهو انه جزيرة العراق. (ثانيهما) رأي بعض علماء
التاريخ واللغات والعاديات ^(٣) — وفي مقدمتهم العلامة روبرتس سمث الانكليزي —
وهو ان مهد جزيرة العرب (قال) « ومنها تفرق في الشرق. قبل التاريخ كما تفرق
العرب المسلمون في صدر الاسلام، ولهم على ذلك أدلة لغوية اجتماعية، ومن أدلتهم اللغوية
ان اللغة العربية هي أقرب أختائها — السكلدانية والسريانية أو الارامية والعبرانية
والحبشية — الى اللغة السامية الاصلية، وان في الارامية والعبرانية آثار الحياة البدوية العربية
وهما يمكن من أمر ذلك المهد فالتا نرى العرب قد أسسوا في جزيرتهم عدة

(١) ان الذين لم يسموا عرباً كدول القراعة والفينيقيين كانوا او كانت دول
الحضارة منهم من أصل عربي (٢) ان السريانية والعبرانية تمدان اخن للربية
لان أصلهما واحد سامي مهد الاول جزيرة العرب (٣) هي آثار الامم القديمة
نسبة الى عاد الاولى العربية ثم صارت عامة

ممالك اشتهرت قديما وحديثا، وخرجوا من جزيرتهم لفتوحات غربا الى ميناء ومصر وافريقية الشمالية، وشرقا الى العراق وتركستانه وشمالا الى سورية وآسية الصغرى، فأسسوا فيها عدة ممالك قبل الاسلام وبعده . فكان مهد العرب ومسرهم منذ القديم من المحيط الاثلاقيكي شرقا وغربا ومن أعالي الفرات ودجلة والبحر المتوسط الى أقاصي السودان شمالا وجنوبا »

العرب البائدة في العراق ومصر وسورية

٣ — ذكر من تاريخ العرب البائدة انهم كانوا يسكنون ما بين العراق والعقبة، وينقلون التجارة ما بين بابل ومصر . ثم قال : « وما زالوا حتى ظهر منهم في القرن الثالث والعشرين (قبل المسيح) ملك اسمه [حمورابي] فأسس مملكة قوية عرفت « بدولة حمورابي » بلغت اسمى ما وصلت اليه دولة في العهد القديم من الرقي الادبي والمادي . واشتهرت على الخصوص بسن الشرائع والقوانين وبناء الهياكل والقصور، واستمرت حاكمة الى أواخر القرن ٢١١ قبل المسيح »

« وذكر مؤرخو العرب ان الهلقة م الرعاة (الميكوس) الذين ملكوا مصر في مدة الدول الخامسة عشرة الى السابعة عشرة . ويظن الآن ان سكان مصر واثيوبيا الاولين الذين سكنوا النيل قبل التاريخ هم عرب هاجروا اليه من جزيرة العرب عن طريق سينا أو بوقاز باب المندب كما سيجي »

« هذا وسرى في تاريخ سورية أن معظم سكانها الاولين هاجروا اليها من جزيرة العرب وأسوا فيها دولا شتى »

ثم ذكر خلاصة مفيدة من تاريخ العرب الثرية والمستعربة من القبطانيين والاندلسيين واستلورد الى ذكر خلاصة تاريخ ظهور الاسلام وامتداد دعوته وفتوحه ودوله من العرب وقدم ختمه بالدولة العمانية، وما انتهت اليه حلما في عهد طامة الاتحاديين من اضطهاد العرب والعربية، وتحمهم بالدولة أخطار هذه الحرب الاوربية، وحكم طليم بأنهم أضاعوا بذلك ملكهم مما تكن عاقبة هذه الحرب مستقبل جزيرة العرب

٤ — وقل في شأن مستقبل جزيرة العرب بعد الحرب ما نصه (ص ٦٦١)

« وأما جزيرة العرب فالطبيعة ورجالها تعميها ، وقد أعلن الحلفاء استقلالها تحت يد أمرائها ، وأصدر (الجنرال السرجون مكسويل) القائد العام البريطاني بمصر منشورا وجهه الى « العرب الكرام » بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٤ جاء فيه ما نصه : « [ان جلالة الملك جورج الخامس ملك الانكليز قد أعلن أنه لا يتخذ إجراءات حرية برية أو بحرية في بلاد العرب أو في موانئها ما لم تمس الحاجة الى ذلك قصد حماية مصالح العرب من اعتداء الترك وغيرهم أو لإنقاذ من ينهض من العرب للخلاص من رقة الترك] »

وبد وصف جزيرة العرب ويان حلما وسكانها في هذا العصر فقد فصلنا ثانيا خلاصة تاريخ سورية (ص ٦٧٥)

• — بين للتؤرخ ان شعوب سورية القديمة هم الاراميون والكنعانيون والحثيون والبرانيون والفلسطينيون والفينيقيون (قال) « وكلهم هاجروا اليها من جزيرة العرب أو الرق الاغلسطينيين » أي والذين هاجروا اليها من العراق كانوا من جزيرة العرب فهاجروا الى العراق قبل الهجرة الى سورية . و « أو » في كلامه لمنع الظلولا لمنع الجمع فالتحقيق ان من عرب الجزيرة من هاجروا الى سورية قوا ومنهم من هاجر الى العراق قوا ثم هاجر بعضهم الى سورية وبعضهم الى مصر وبعد ان قل في كل شعب من هؤلاء الشعوب قولا وجيزا مفيدا وشكنا عدم اجتماع كلمة السوريين في كل عصر من العصور ومن ضغهم باقسامهم واختلاف أغراضهم وأدياتهم . وذكر ان عددهم الآن ثلاثة ملايين

٦ — ثم ذكر خلاصة تاريخ العراق وذكر ملكه القديمة والحديثة من السكديانيين الى السامانيين وذكر أن عدد سكانه يقدر الآن بثلاثة ملايين أيضا ثم ضغهم بدو ونصفهم حضر وكلامهم عرب الا قليل من الاكراد . (هـ)

(هـ) استطرد المؤرخ هنا الى ما لم يستطرد الى مثله في سورية من ذكر البيوتات فبدأ بذكر الفاروقين وقال انهم يسكنون الموصل وقاته أن منهم فرعا في بغداد أيضا . وثنى بذكر السادة العلويين وقال انهم يسكنون الموصل وبغداد والبصرة . وثالث بذكر السويديين من سلالة الخلفاء العباسيين قال وكلهم في بغداد . ثم ذكر الجيلانية والالوسية في بغداد . وقاته أن هذين البيتين من بيوت السادة العلوية أيضا ، =

٧ - ثم انتقل المصنف الى خلاصة تاريخ مصر فبدأه بقوله :

[« كان المشهور الذي عليه الجمهور ان سكان مصر القدماء هم أبناء مصر ام ابن حام بن نوح - هاجر اليها من آسية . ولكن بعض المتضلعين من اللغة الهيرغليفية اكتشفوا حديثاً أن هذه اللغة واللغة العربية السامية هما من أصل واحد كما مر . فاذا ثبت هذا كان سكان مصر الاولون أجداد القبط الحاليين هم من أصل عربي قديم » وكان هذا هو الفتح العربي الاول لمصر »] اهـ

ثم تكلم على دولة الرعاة الذين سباهم اليونان (هكسوس) أي الملوك الرعاة وهي كلمة محرقة عن كتي (حق شاسو) ^(١) في لغة قدماء المصريين ومعناها « ملك البوادي » وسباهم مؤرخو العرب العمالة كما تقدم أعلاه ، وذكر خلاف المؤرخين فيهم وقول ياقوت « إن العمالة امتدوا من بلاد العرب الى سورية فكانوا ملوكاً في سورية وفرائعة في مصر » ثم قال

[وخلاصة القول أنهم قوم رحلة أو عرب أتوا من المشرق » فاذا ثبت ذلك كان هذا هو الفتح العربي الثاني لمصر ، والظاهر أنهم كانوا من جنس عرب سورية لان في أيامهم عم السلام بين مصر وسورية ، ونزع كثير من السوريين الى مصر] اهـ

٨ - ثم ختم المصنف خاتمة الكتاب بالكلام على مهاجري قومه السوريين

= وكان ينبغي أن يبدأ بذكر السادة العلوية ويقولون أنهم يوجدون في جميع الولايات العراقية كما يوجدون في جميع الولايات السورية وغيرها وان أشهر يوتهم في العراق بيت النقيب وبيت الالوسي في بغداد وبيت النقيب في البصرة . وقد ذكر من آل الالوسي السيد محمود شكري وقال انه مروج مذهب السلف (الوهاية) في العراق وذكر الوهاية هنا غلط مبني على أغلاطه أخرى عند ذكر هؤلاء في الكلام على نجد فانه جعل الحنابلة غير الوهاية ونسب الى الوهاية ما لا يقوله أحد ممن يطلق عليهم هذا القب . ولا تعجب قد اغتر كثير من الناس بما كتبه دحلان وغيره عن هؤلاء الناس ، وما ذاك الا من فتن السياسة أعاذنا الله من إفكها وتضليلها .

(١) يحتمل أن يكون كلمة شاسوا من مادة شاس يشوس فهو شاسوس وهم أشاسوس . والاشوس يطلق على المتكبر وأصله من يصغر عينيه وينظر بمؤخرها أو من ينظر الى الشيء نظراً حقاراً - وعلى الشجاع والطويل القامة ، وكذلك كانت العمالة ورعا كانت كلمة حق بمعنى ملك بكسر الميم كما يستعملها أهل الحجاز الآن

بمصر فأشار إلى اليهود والمسلمين منهم إشارة وجيزة في صفحة واحدة قلعة عددهم وتوسعة في ذكر النصارى - قل - (ومم بن نعي بالنصر السوري عند التخصيص) أي عند الاطلاق، فذكر قدامهم وتأخيرهم وقدر عددهم بسبعين ألف نسمة وذكروهم بخمسة وعشرين مليوناً، وذكر أنديتهم وجمعياتهم الخيرية وصحفهم الحية والميتة. ورؤسائهم الروحانيين ويوت الثروة فيهم ومحال التجارة الواسعة لهم ومكتباتهم ورجال الجيش والقضاء والكتاب وكبار الموظفين منهم وأصحاب الفنون

مستقبل سورية بعد الحرب

وقفي على ذلك بالكلام على مستقبل سورية بعد الحرب فقال ان السوريين على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم السياسية يتفق كلهم أو جلهم على أربعة أمور (١) السخط على الاتحاديين سرا وجبرا لفسوهم في الحرب الماضية (٢) الميل الصادق إلى الحلفاء في هذه الحرب (٣) إنشاء حكومة جديدة على مبادئ اللامركزية الشورية تضمن لهم الامن والراحة والنجاح في بلادهم مع المحافظة على لغتهم وقائدهم وعاداتهم ووحدةهم القومية (٤) شعورهم بالحاجة إلى دولة من دول الحلفاء العظام يستعينون بها على تنظيم حكومتهم الجديدة. ولكنهم يختلفون في كيفية إنشاء الحكومة وتنظيمها، ثم في نوع المساعدة التي يطلبونها ومقدارها

قال « نعم ان هناك فئة لا يهمهم الاحتفاظ بقوميتهم مادامت البلاد ممتعة بأسباب الامن والراحة والرفق. ولكن هؤلاء هم فئة قليلة جداً، والسواد الأعظم من أهالي سورية من مسلمين ونصارى ويهود متسكون بقوميتهم ولغتهم وعاداتهم كل التسك. وأهل الخبرة منهم يقولون انه لا يكون للسوريين كلمة نافذة ولا مكانة سياسية ولا شأن ولا مقام ولا راحة ولا سلام في بلادهم أو خارج بلادهم الا اذا احتفظوا بقوميتهم، ونحذوا في الرأي على اختلاف المذاهب والاديان

» واهم الاسباب التي تدعو إلى اتحادهم ثلاثة - ١ - أن يتخذوا أساس المعاملة المصلحة العامة الوطنية ليس الا - ٢ - ان يتذكروا انهم كلهم من أصل واحد عربي أو سامي، وانهم كانوا عرباً أو ساميين، قبل ان كانوا يهوداً ونصارى ومسلمين، - ٣ - أن يحافظوا على لغتهم العربية لانها لغة راقية، ولانه لا شيء

يقرب العناصر المتنافرة، مثل الاجماع على لغة واحدة»
وتكلم بعد ذلك في مسألة تمجس السوري بالجنسية المصرية فينب المرغبات فيها وأضدادها، وأهمها ان هواء مصر شديد الوطأة على المهاجرين الى مصر من البلاد المتعدلة كسورية فهو لا يزال يضمهم الى ان يقرضوا، والنصارى منهم وان كثروا يبقون عنصرا ضعيفا منفردا بسبب الفارق بينهم وبين العنصر الاكبر - وم المسلمون - في الدين وعدم الاختلاط بالزواج.

ثم نصح للسوريين بعشر نصائح، قال انها منتهى ما بلغ اليه اختباره بعد ان جاوز الحنين، وقضى في مصر منها أكثر من ثلاثين، وهي

(١) ان لا يتسبوا الى الاصول السائدة في مهاجرهم مستحيين بأصلهم السوري وم احفاد الحشيين والفينيقيين السابقين الى الاختراع والاكتشاف « وأنصار ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد الذين كانوا أول من نادى بوحداية الله وهذب الاخلاق وشاد الادبان التي تسود العالم الآن » ٢ - قوله « ليكن ارتباطكم بوطنكم لاصلي حيا ما لم يكن تبدل الهواء أو تجديد الدم بالزواج » وأدرج في هذه الحش على الزواج الباكر والرياضة البدنية - ٣ - قوله « اتم في مصر عنصر ضعيف فاستعينوا على ضعفكم بقوات ثلاث : العلم الشريف والمال الحلال والحلق الحسن، واحذروا آفات ثلاثا : المسكر والمسكر والقمار » ٤ - اخش على الحرف الراقية من علمية وادبية وزراعية وصناعية وخاصة التجارة مع النهي عن الربا - ٥ - الترغيب عن خدمة الحكومة وقال في الموظفين منهم : ربما كان مجموع ثروتهم في القطر المصري كله لا يساوي ثروة تاجر أو مزارع واحد من تجارهم أو مزارعيهم الكبار - ٧ - تكريم نوابهم وإجلال أفاضلهم وتقويم المعوج منهم تحقيقا لتضامن القدي يحلمهم كأنهم أسرة واحدة - ٨ - التعاون على المنافع والمصالح العامة كانشاء المعابد والمدارس والمستشفيات وعدم تكريم النفي القدي يقصر في ذلك - ٩ - قوله « لاتدعوا الاختلافات المذهبية التي أوشتكم الشقاق والشقاء في بلادكم ترافقكم الى دار هجرتكم فتكدرو صفاءكم وتحرمكم لغة التمتع بالالفة الجنسية » يذكر من وسيلة ذلك كثرة الاندية وارتباط بعضها ببعض - ١٠ - طاعة السلطان بقانون البلاد والعمل لغف الامة المصرية والحرم على كرامتها. وختم الكلام أو

الكتاب بايات في الجمع بين حب مصر والشام وجعل قلبه شطرين بينهما ونفى
تماقهما عناق الاخاء الى المتعنى

﴿ جريدة القبلة ﴾

« جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر مرتين في الاسبوع ، لخدمة الاسلام
والعرب » مديرها المسؤول محب الدين الخطيب

أنشئت هذه الجريدة بمكة المكرمة في شهر شوال سنة ١٣٣٤هـ ، ومحب الدين الخطيب
المدير لثروتها وها هو صديقنا المشهور في عالم الصحافة باشتغاله عدة سنين بالتحريير والترجمة
في جريدة المؤيد بمصر ، ومن المحررين لها صديقنا فؤاد الخطيب الشاعر الاديب المشهور
الذي كان استاذ الفقه والآداب العربية في مدرسة فردون الكلية في السودان

واننا نرى ان أنفع ما ينشره محب الدين فيها بعد منشورات سيدنا الشرف
الحكيم هو ما يترجمه عن الكتب والصحف التركية مما يثري في الشعب التركي كتابه
من الثابتة الجديدة المتفرجة (حزب تركية الفتاة) الذين تعتمد عليهم جمعية الانقاذ
والترقي في تحويل الترك عن الاسلام بالتشكيك في عقائده وشرعيته ، والتشويه
لآدابه وفضائله ، والمحو لصبقته من القلوب واستبدال صبة جنسية تورانية بها .
وستقتبس بعض ما نشرته من ذلك

قيمة الاشتراك في هذه الجريدة المفيدة زيل مجيدي ونصف في الحجاز وعشرة
فرنككت في سائر الاقطار ، وهي قيمة قليلة لعلها لا تخفى بتفقات الجريدة ، الا اذا
كثر المشتركون فيها فصار ألوفا كثيرة . لان الورق والحرير قد تضاعفت أثمانها في
هذه السنين كما تضاعفت أثمان أ كثر ما تصدره أوروبا من مصنوعات ، بعد ان شغلها
الحرب بأوزارها عن كل ما عداها

ونحن نحث الشعب العربي والمارفين باللغة العربية من كل من يصلي الى القبلة من
سائر الشعوب على الاشتراك في هذه الجريدة وشد أزرها ، ونحث أرباب الاقلام منهم
على مواصلة ما نجود به قرأهم من المقالات والاخبار والآراء المفيدة للجامعة العربية
أوللأمة الاسلامية ، ونحمد لله تعالى أنه لا تنافي بين المصلحتين لاسلامية والعربية
كما بينا ذلك في مقال في كنه المسألة العربية ضاقت عنه أجزاء المنار الماضية وهذا

الجزء أيضا ، وسينشر عند أول فرصة ان شاء الله تعالى ، وأما العصبية التركية الطورانية التي قام بها الاتحاديون وقومال الدولة وقودها على تأييدها فهي تنافي الاسلام وتعارضه وذلك يديهي في نفسه وسنعيد ما نشرناه في تأييده بما يزيد به أيضا ، وظهرنا وقد كان الواجب على المثار ان يادر الى قريظ هذه الجريدة في أول جزء صدر منه عقب ظهورها خلافا لعادته في إرجاء قريظ المطبوعات ، ولكن لكل أجل كتاب ، وإنما صرحنا بهذا ليعلم قراء المثار في الاقطار أن تأخيرنا لقريظها لم يكن لقلة العناية بشأنها ، اذ نبينا الى ذلك ما كتبه الينا بعضهم في السؤال عنها حتى من بعض مهاجري السويين في أمريكة
(مجلة الاحكام الشرعية)

مجلة قضائية شرعية مشهورة ومنشئها حسن بك حماده المحامي الشرعي مشهور أيضا فلا حاجة الى التعريف بهما ، وقد كانت المجلة حجت عن قرائها في أثناء سنتها التاسعة بسبب تعيين منشئها منشئا بنظارة الاوقاف في الأستانة ثم انه أعاد اصدارها في العام الماضي فآتم مجلد السنة العاشرة واستمر على اصدارها وقد صدر العدد الاول من مجلد السنة الحادية عشرة في منتصف المحرم مشتملا على مقدمة مختصرة وتسع قرارات شرعية وجديين وثلاث قرارات للمجلس الحسبي العالي وسبع منشورات من وزارة الحفائية وقد صارت المجلة وافية بحاجة المحامين الشرعيين وأصحاب القضايا والمباحث القضائية الشرعية بما تستوعبه من نشر الاحكام الشرعية ومنشورات الحفائية للمحاكم الشرعية وقرارات المجالس الحسبية ولذلك كثر الاقبال عليها من جميع جهات القطر فنهى صديقنا منشئها وتنمى له دوام التوفيق والارتقاء
(الثمرات)

جريدة أسبوعية أدبية انتقادية لمنشئها حسن أفندي السندوبي المشهور في عالم الادب بمقالاته في المؤيد وبكتابه (أعيان البيان) أصدرها في العام المنصرم ولم يعض في سيره لاسباب ذكرها ، وقد أعاد اصدارها في هذا العام فترجوها الرواج .
وقية اشتراكا ١٠٠ قرش في القطر المصري

(رحلة الحجاز)

صاق هذا الجزء عن نشر شيء من رحلتنا الحجازية وموعدا الاجزاء الآتية

بشر جادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

يقضي الحكمة من بناء ومن يؤمن الحكمة فقد
أزقى شربا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و «منارا» كثر الطريق

مصر ٢٩ صفر ١٣٣٥ — ٤ الجدي (ش ١) ١٢٩٥ هـ ش ٢٥ ديسمبر ١٩١٦

فَتَكُنْ مِنَ الْمُنْذَرِينَ

فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ولتقو على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب حاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لخل هذا، ولما مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ هل البسمة آية من كل سورة أم لا ﴾
(س ١٠) من صاحب الامضاء في العلاقة (شرقية)

بسم الله الرحمن الرحيم
تحية الله مباركة طيبة وسلامه عليكم . وبعد فلما دلتني فضلكم وهدايتي الاطلاع على ما خط بواعكم الى ساحة بحكم الذي يغتفر منه القاصي والداني سجلال العلوم والمعارف قروى به الظأى ويسترشد به المسترشدون — تلك مجلة المنار الفراء التي تنجز يتابع الحكمة من بين سلورها — بشت اليكم رسالتى هذه أستفتيكم في مسألة متعلقة بالبسمة طال بين الائمة النزاع والمجادلة فيها ، وتلك المسألة هي هل « بسم الله الرحمن الرحيم » آية من الفاتحة ومن كل سورة أم لا ؟ اختلفوا فيها فذهب كل فريق الى شق من شقي ذلك الاستنهام ونصب على ما يدعيه الدلائل، غير أنه بالاطلاع على شواهد كل يعلم أنها لا تتج مدعاء ، فقد تركوا الامر حريجا وظل كل يقول على ترجيح مذهبه كأننا ما كان ، غير مبال بسررد الاحاديث المتعارضة ، وتقل الاكار المتناقضة، صحيحة كانت أم ضميعة . قالوا افقد الاجماع على أن البسمة آية من لقرآن ، ويروى ضمن أدلة فريق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما « من ترك لبسمة فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله عز وجل » مع قصرهم بهم بأنه لاخلاف في أن البسمة ليست آية من (براءة) حتى لقد قلوا الاجماع على ذلك ، فبين ماروي عن ابن عباس وبين ذلك التصريح التناقض الظاهر ، إذ مقتضى قوله

مائة وأربع عشرة آية أنها آية حتى من (براعة) وفي الأدلة من ذلك التناقض كثير لهذا لم يهتد طالب الحق اليه فبحث اليكم عسى أن توافوني ببيان شاف وقول فصل قطعتن اليه النفس، كما هو المهود فيكم لمثل هذا الموقف، أمدكم الله بسديد الرأي، وأعانكم على ما يرفع الاسلام وينفع المسلمين و يبرز الحق، إنه هو العزيز الحكيم ما

احمد عطية فوره

(ج) في المسألة أدلة قطعية وأدلة ظنية، والقاعدة في تعارض القطعي مع الظني أن يرجح القطعي اذا تعذر الجمع بينه وبين الظني، ولولا التمسك بالمذهب من قوم ولا سائدين من آخرين لأجمع المحدثون والعقلاء والمتكلمون على أن البسمة آية من كل سورة غير (براءة) (التوبة) كما أجمع الصحابة على كتابتها في المصاحف وكما أجمع القراء البسمة المتواترة قراءاتهم على قراءتها واقرأها عند البدء في كل سورة غير براءة— فهذا دليلان قطعيان أحدهما خطي متواتر والآخر قولي متواتر يؤيدهما كثير من أحاديث الانبياء الصحيحة، فوجب الرجوع ما ورد من أدلة النفي الظنية الى الانبياء والا فلا يمتد بها، وإن صح سندها. ومنها ترك بعض القراء البسمة لتلاوتها في السورة التي توصل بها قبلها. أما دعوى أنها كتبت في المصاحف للفصل بين السور فلو كانت صحيحة لكتبوها بين سورتي الاغال وبراءة (التوبة) أيضا. ومن المعلوم بالقطع ان الصحابة ومن اهتدى بهديهم لم يكتبوا في المصاحف شيئا غير كلام الله تعالى. وأما حديث ابن عباس كان رسول الله (ص) لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم رواه أبو داود والحاكم وصححه على شرط الصحيحين والبزار بسندين رجال أحدهما رجال الصحيح — فهو حجة على أن البسمة كانت تنزل مع كل سورة، لأنها آية كتبت للفصل بين السور بالاجتهاد، وقد توفي صلى الله عليه وسلم ولم يأمر بكتابتها في أول سورة براءة، وعطلوا ذلك بنزولها بنقض عهود المشركين وبالسيف.

وأما أحاديث الانبياء (فمنها) حديث «نزلت علي آها سورة — قرأ — بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكون والخلق رواه مسلم والنسائي عن أنس. (ومنها): سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله (ص) فقال كانت مذكرا. ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم — يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم. رواه البخاري. وفي معناه حديث أم سلمة عند أحمد وأبي داود والدارقطني وقد قرأت الفاتحة كلها بالبسمة. (ومنها) عدة أحاديث لأبي هريرة — قال نعم الجمر: صليت وراء أبي هريرة قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بام القرآن — الحديث وفيه — ويقول اذا سلم: والذي نفسي بيده اني لأشبهكم صلاة برسول الله (ص) رواه النسائي وصححه ابن خزيمة

وابن حبان والحاكم وقال على شرط البخاري ومسلم، وقال البيهقي صحيح الاسناد وله شواهد (ومنها) قوله عن النبي (ص) كان اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح بسم الله الرحمن الرحيم رواه الدارقطني وقال رجال اسناده كلهم ثقات، ولكن اختلف غيره في عبد الله بن عبد الله الاصبغي من رجاله. ومن الاثر في المسألة أن عليا كرم الله وجهه سئل عن السبع المثاني فقال: الحمد لله رب العالمين. أي سورة الحمد لله اعطى. فقيل له: انما هي ست، فقال بسم الله الرحمن الرحيم. رواه الدارقطني وقال رجال اسناده كلهم ثقات. ومنها انكار الصنعبة على معاوية ترك الجهر بها رواه الشافعي عن انس والحاكم في المستدرک وقال على شرط مسلم قال: صلى معاوية بالناس بالمدينة صلاة جهرا فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يذكر في الخفض والرفع فلما فرغ ناداه المهاجرون والانصار: يا معاوية قهضت الصلاة، أين بسم الله الرحمن الرحيم وابن التكري اذا خفضت ورفعت؟ فكان اذا صلى بهم بعد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكبر. ولعل المراد الجهر بذلك والالغاء الصلاة اذا لا يذكر مثله بجمل كون البسمة منها. ويحتمل ان يكون أعادها وان لم يذكر في هذه الرواية. وأما احاديث النفي فاقوا احاديث أئس: صليت مع النبي (ص) وابي بكر وعمر وعثمان فلم اسمع احدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم. رواه احمد والشيخان واصحاب السنن وله ألفاظ أخرى، ومنها: فكانوا لا يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم. رواه احمد والنسائي باسناد على شرط الصحيح وابن حبان والدارقطني. وفي رواية أخرى نفي السماع لا القراءة. وفي لفظ لابن خزيمة: كانوا يسرون الخ وقد اعل المثبتون حديث أئس هذا بالاضطرار في منته، وباروي من اثبات الجهر بها عنه وعن غيره. وقال بعضهم انه كان نسي هذه المسألة فلم يجزم بها. قال ابو سلمة سالت انس اكان رسول الله (ص) يستفتح بالحمد لله رب العالمين او بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال انك سالتني عن شيء ما احتفظه وما سالتني عنه احد قبلك. الحديث رواه الدارقطني وقال هذا اسناد صحيح ومن أدلة النفي ما صبح في الحديث القدسي من قسمة الصلاة بين العبد والرب نصفين وفسرها (ص) بقوله «فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله عز وجل حمديني عبدي» الخ الحديث رواه مسلم واصحاب السنن الاربعة. والاستدلال بتلك ذكر البسمة فيه على عدم كونها من الفاتحة ضعيف ولو صرح لصح أن يستدل به على كون سائر الاذكار والاعمال ليست من الصلاة

والقول الجامع ان النبي (ص) كان يجهر بالبسمة قارة ويسر بها تارة. وقال ابن القيم ان الاسرار كان أكثر. وذهب القرطبي في الجمع بين الأحاديث الى ان سبب الاسرار بها قول المشركين الذين كانوا يسمعون القرآن منه: محمد يذكر له الحيامة. يعنون مسيلة الكذاب لانه سمي الرحمن أو أطلقوا عليه لفظ الرحمن بالتكبير كقول مادحة: وأنت غيث الوري لا زالت رحما فانه وكانوا يشاغبون النبي (ص) بانكار تسمية الله عز وجل بالرحمن كما

علم من سورة الفرقان وغيرهما ، فأمر (ص) بأن يخافت بالبسملة . قال الحكيم الترمذي فبقي الى يومنا هذا على ذكر الرسم وان زالت العلة . روى ذلك الطبراني في الكبير والأوسط ، وذكره النيسابوري في التيسير من رواية ابن جبير عن ابن عباس ، وقال في جمع الزوائد ان رجلاه موثقون

وصفة القول ان أحاديث الاثبات أقوى دلالة من أحاديث النفي . وأولى بالتقديم عند التعارض وإذا فرضنا أنها تعادلت وتساقت أو رجح المنفي على اثبات خلافا للقاعدة جاء بعد ذلك إثباتها في المصحف الامام في أول الفاتحة وأول كل سورة ماعدا براءة (التوبة) وهو قطعي يهزم أمامه كل ما خالفه من الظنات وقد أجمع الصحابة على ان كل ما في المصحف فهو كلام الله تعالى اثبت كما نزل سواء قرئت الفاتحة في الصلاة بالبسملة جبراً أم سراً لم تقرأ ، ولا عبرة بخلاف أحد بعد ذلك ولا برواية أحد يزعم مخالفة أحد منهم لذلك . ولا حاجة مع هذا الى تتبع جميع ما ورد من الروايات الضعيفة والاثار والآراء الخلافية ، ومن ذلك اثر ابن عباس المذكور في السؤال . ولولا التطويل الملل بغير طائل لأوردنا كل ما ورد في المسألة رواية ودراية .

﴿ تصحيح وتنقيح في مجلد هذا العام ﴾

صفحة سطر خطأ	صواب	صفحة سطر خطأ	صواب
٢٠١ ٣ وكلا	وليا	٢٣٦ ٢٥ في طريقة	في اطراد ومطابقة
» » تأمررتي	تأمررتي	٣٣٧ ٤ تعقلون	يعقلون
٢٠٢ ٢ ففتقناها	ففتقناها	٣٣٨ ١٨ وهو	(وهي
» ١٨ الرسل	الرسول	٣٤١ ٢٤ أحدا	أحد
٢٠٥ ٥ كان ماضره	كان ضره	٣٤٤ ٧ أن	أنه
٢٠٧ ١٤ تدعو	تدهوا	» ١١ مأخذ	مأخذه
٢٠٨ ١٢ على	عليه	٢٤٦ ١٦ يقيمون	يقومون
» ١٣ بكل وصف	بكل ما وصف	٢٤٧ ١٦ هو	ضصف
٢٠٩ ٢١ يا آباانا	يا آباانا	٢٤٨ ٣ : صوت الامة	صوت الحق الذي كان له السلطان
٢٣٣ ٢٣ : الصمد للوصف الموصوف للصفة	» ١٤ الي		

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٢٣٩	٧	ثالثة	ثانية
٢٥٢	٢٢	ومطعما	مطعما
»	٢٤	الناطقة	الناطقة
٢٥٣	٢٢	الضعيفة	الضعيفة
»	١٢	يدعوا	يدعو
٢٥٤	٢٧	علبة	علبة
٣٨٩	٧	الى الكذب	الى رواية الكذب
٣٩٢	٢	ان كانت	اذ لم تكن
»	»	آية	أول ما نزل
»	»	والا	
»	٤	فهي	أوهي
»	٦	قد	وقد
»	٢٢	لاذى	لاذى
٣٩٩	١٣	المؤمنون	المؤمنين
»	١٤	عن	بذلك عن

ذكرى المولد النبوي

كتبنا رسالة في ذكرى المولد النبوي الشريف ينال فيها كيفية نشأة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ومعنى اصطفاؤه الله تعالى له ولاهل بيته ولقومه ولأمته، وحكمة ظهوره في العرب الاميين دون شعوب المدينة في عهده، وخبر البثمة والدعوة الاسلامية. وسنعمل لها مقدمة نين فيها ما ينبغي ياله نطلعها معها على حدة — وهذا نص الذكرى —:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محمَّدُكَ اللَّهُمَّ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، أَنْ بَعَثْتَ فِينَا مُحَمَّدًا خَاتَمَ
النَّبِيِّينَ وَالرَّسُلِينَ، وَأَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً عَامَةً لِلْعَالَمِينَ، وَأَخْتَصَصْتَ بِمِثْلِكَ
بِهِ الْأُمِّيَّينَ وَسَائِرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَسْتَجِبْتَ بِهِ دَعْوَةَ إِبْرَاهِيمَ، وَحَقَّقْتَ
بِهِ بَشَارَةَ عِيسَى وَالنَّبِيِّينَ (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ
وَإِسْمَاعِيلُ: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا
مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَإِرَانَا مَتَّاسِكَةً وَتُبْ عَلَيْنَا
إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ • رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ •) وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ
اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي
مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ • وَإِذْ
أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَضُكُمْ عَلَى ذَلِكُمْ
إِضْرِي؟ قَالُوا أَقْرَرْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ • لَقَدْ مَنَّ
اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ

(المجلد التاسع عشر) (٥٢) (المثار: ج ٧)

مُيِّن * هُوَ الَّذِي بَشَّرَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَقَامُوا الدِّينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فِي هَدَامٍ وَهَذِيهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَحْتِمَالَ بِذِكْرَى الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ، عَادَةً أَحَدَهَا فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ أَبُو سَعِيدٍ صَاحِبُ إِرْبِلَ، مِنَ الْبِلَادِ التَّابِعَةِ الْآنَ لَوْلَايَةِ الْبُوصَلِ، ثُمَّ انْتَشَرَتْ هَذِهِ الْعَادَةُ فِي الْأَقْطَارِ، وَقَدْ بَدَتْ بِمِصْرُهَا جَمِيعَ الْأَمْصَارِ، وَالْفَائِدَةُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُتَوَخَّى ^(١) فِي هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي فَضَّلَ الْأَيَّامَ، هِيَ التَّذَكُّيرُ بِمُخْلَصَةِ تَارِيخِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، لِتَذَكُّرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتُهُ، وَتَتَغَذَّى أَرْوَاحُهُمْ بِزِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَكَمَالِ مَحَبَّتِهِ، وَيُخْرِصُوا عَلَى إِقَامَةِ دِينِهِ وَإِحْيَاءِ سُنَّتِهِ. وَهَذَا نَحْنُ أَوْلَاءُ نُشْنَفُ الْأَسْمَاعَ بِفَرَائِدٍ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَحَسْبِهِ ^(٢)، وَمَزَايَا قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَأَخْبَارِ مَوْلِدِهِ وَتَرْبِيَّتِهِ، وَكَيْفِيَةِ مَعِيشَتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَزَوَاجِهِ وَسِيرَتِهِ مَعَ أَهْلِهِ، تَهَيِّدًا لِيَانِ الْمَقْصِدِ الْأَعْلَى، وَهُوَ نَبَأُ بَشْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُسْتَمِدِّينَ ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَالسُّنَّةِ الثَّابِتَةِ

(١) تَوَخَّى تَعَمَّدَ وَنَحْصَ بِالطَّلِبِ وَالْمَقْصِدِ (٢) الْحَسْبُ مَا يَمْدُ مِنْ مَفَاخِرِ الْأَبَاءِ

عند المحذنين ، وما تمس الحاجة إليه مما أثبتته ثقات المؤرخين ،
مُرضين عن الروايات الموضوعات ، والواحيات والمنكرات ؛
التي عني الكثيرون بنقلها لما فيها من الخوارق والفرائب ، مبالغة فيما
أجازَه العلماء من قبول الأخبار الضعيفة في المتأقب ، ولما يرجى من
حسن تأثيرها في قلوب العوام ، مع الأنفلة عما يُخشى من ضد ذلك في
نابذة هذه الأيام ؛ على أن لنا فيما لا يحصى من الفضائل والمناقب
المشهورَة والمتواترة ، ما يُبني عن جميع الروايات الضعيفة والمنكورة ،
وبذلك يُعرف قدر الإصلاح العظيم ، الذي أرسل الله به هذا
النبي الكريم ؛ عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم

قوم ونسب صلى الله عليه وسلم

(إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على
العالَمين) إذ جعل فيهم النبوة والهداية للمتقين والمتأخرين ؛
ثم اصطفى كنانة من آل اسماعيل بن إبراهيم ، واصطفى قريشا من
كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفى سيد ولد آدم من
بني هاشم ؛ فكان آل اسماعيل أفضل الأولين والآخرين ، كما كان
بنو إسحاق أفضل المتوسطين ، إذ كانت هداية الانبياء من بني
إسحاق وغيرهم خاصة ، وهداية هذا النبي من آل اسماعيل عامة ،
فيه أكل الله تعالى الدين ، وأتم نعمته على العالمين ، كما اقتضته سنته
تعالى في النشوء والألرافاء ، التي كانت في البشر أظهر منها في
سائر الأحياء .

كَيْفَ كَانَ اصْطِفَاءُ اللَّهِ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأَصُولِ مِنَ الْأُمَّةِ الرَّيِّعَةِ ،
الَّذِي ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ السُّنَنِ السَّيِّئَةِ ؛ وَبِمَاذَا أَمْتَاَزَ
قَوْمُ خَاتَمِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ ، فَضَلُّوا بِهِ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَقْوَامِ ، حَتَّى اسْتَعْمَدُوا
بِهِ لِهَذَا الْإِصْلَاحِ الرُّوحِيَّ الَّذِي تَدْنِي الْعَالَمَ ، الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَيْهِ دِينُ
الْإِسْلَامِ ، عَلَى مَا طَرَأَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأُمِّيَّةِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، وَمَا أُحْدِثَتْ
فِيهِمْ غَلَبَةُ الْبِدَاوَةِ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالْإِقْسَامِ ؟
الجواب :-

كَانَتِ الْعَرَبُ مُمْتَازَةً بِاسْتِقْلَالِ الْفِكْرِ وَسَعَةِ الْحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ ،
أَيَّامَ كَانَتِ الْأُمُّ تُرْسَفُ ^(١) فِي عِبُودِيَّةِ الرِّيَاسَتَيْنِ الدِّينِيَّةِ وَالْدُّنْيَوِيَّةِ ،
مَحْظُورًا عَلَيْهَا أَنْ تَتَمَّهَ غَيْرَ مَا يُقْنِنُهَا الْكُهْنَةُ وَرِجَالُ الدِّينِ مِنَ الْأَحْكَامِ
الدِّينِيَّةِ ، وَأَنْ تُخَالِفَهُمْ فِي مَسْأَلَةٍ عَقْلِيَّةٍ أَوْ كَوْنِيَّةٍ أَوْ أُدْبِيَّةٍ ، كَمَا حُفِرَتْ
عَلَيْهَا حُرِّيَّةُ التَّصَرُّفَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ

كَانَتِ الْعَرَبُ مُمْتَازَةً بِاسْتِقْلَالِ الْإِرَادَةِ فِي جَمِيعِ الْأَعْمَالِ ،
أَيَّامَ كَانَتِ الْأُمُّ مُذَلَّلَةً مُسَخَّرَةً لِلْمُلُوكِ وَالنَّبَلَاءِ الْمَالِكِينَ لِلرُّقَابِ
وَالْأَمْوَالِ ، يَسْتَعْمِدُونَهَا كَمَا يَسْتَعْمِدُونَ الْبَهَائِمَ ، وَيُصَرِّفُونَهَا كَمَا
يُصَرِّفُونَ السَّوَائِمَ ^(٢) لَا رَأْيَ لَهَا مَعَهُمْ فِي سَلَمٍ وَلَا حَرْبٍ ، وَلَا إِرَادَةَ
لَهَا فِي عَمَلٍ وَلَا كَسْبٍ

كَانَتِ الْعَرَبُ مُمْتَازَةً بِعِزَّةِ النَّفْسِ ، وَشِدَّةِ الْبَاسِ ، وَقُوَّةِ
الْأَبْدَانِ ، وَجُرْأَةِ الْجَنَانِ ، أَيَّامَ كَانَتِ الْأُمُّ مُؤَلَّفَةً مِنْ رُؤَسَاءِ

(١) ترسف تمشي مشية المقيد - يشبه تصرفها في استعباد الرؤساء لها بمشي الاسير
في قيوده (٢) السوائم المواشي الراعية

أفسدَهم الإسرافُ في التَّرفِ، ومروَّسِين أضْمَمَهُمُ البؤسُ والشَّظْفُ^(١)
وسادةَ أبطَرهمُ بَنِي الاستبداد، ومَسُوْدِين أَذْلَمُ قَهْرُ الاستِعباد
كانت العربُ أَقْرَبَ إلى فضيلةِ المساواةِ بين الأفراد، من غير
شرائع تُحْتَرَمُ بِإِلْإِعتقاد، ولا قوانينَ تَكُنْهَلُها قُوَّةُ الأجناد. أَيَّامَ
كانت الأمُّ تنقسمُ إلى طبقات، يرتفعُ بعضها على بعضٍ عِدَّةَ دَرَجَاتٍ:
لا بفضائلٍ ذاتيةٍ، من علميةٍ أو عمليةٍ، بل بحكم وِرَاثَةِ الخلفِ الطالحين^(٢)
للسلفِ المستكبرين، باستبداد الملكِ أو قبايلِ الذين

كانت العربُ ممتازةً بالذكاء واللوحية، وكثيرٍ من الفضائلِ
المزروثة والكسبية. كِقِرَى الضيوف، وإغائَةِ الملهوف، والنَّجْدَةِ
والإباء^(٣)، وعلوِّ الهمَّةِ والسَّخاءِ، والرَّحمةِ والإيثار^(٤) وحماية اللاجيءِ
وحرمة الجار. أَيَّامَ كانت الأمُّ مِنْ مَقَمِّهَ بِالْأَثَرَةِ وَالْإِنَانِيَّةِ^(٥) وَالْإِنَانِ
مِنْ ثَقَلِ الصَّرَائِبِ وَالْإِنَاوَى^(٦) الْأَمِيرَةِ، وَرُؤَسَاؤِهَا مُنْفَسِّينَ فِي
الشَّهَوَاتِ الْبَهِيمَةِ، وَفَسَادِ الْإِخْلَاقِ قَدَمَ الرَّاهِي وَالرَّعِيَّةِ

(١) الشظف فضحين ضيق المعيشة

(٢) الخلف بسكون اللام الذين يختلفون غيرهم في الشر. والطالحون بالطاء
الفاسدين فهو ضد الصالحين(٣) النجدة مضاعف عزم يبعث على المضي فيما يسجز عنه غيره. والاباء الترفع
عن الخسائس

(٤) الإيثار تقديمك غيرك على نفسك بما تحتاج إليه مما تملك

(٥) تقديم نفسك على غيرك ولو بما هو أولى به منك فهي ضد الإيثار، والإنانية
المبالغة في حب النفس الحامل على الأثرة، وهو نسبة إلى كلمة «أنا»(٦) الصرائب جمع ضريبة وهي ما يضرب على العبيد ونحوهم من المال يؤدونه
أقساطا، ومنها الجزية، وضريبة الأرض الخراج. والإنأوى جمع إناوة وهي
الرشوة، وتطلق على الخراج ونحوه

كانت العربُ قد بلغت أوجَ الكمال ، في فصاحةِ اللسان
وبلاغةِ المقال ، وكادت تتحدُّ لغاتُ قبائلها وأوطانها العربية ، وتسودُ
المُضَرِّيَّة منها على الحِمْيَرِيَّة ، بما كان لِقُرَيْشٍ وغيرِها من الرِّحالاتِ
التِّجاريَّة ، والأسواقِ الأدبيَّة ؛ فاستعدَّت بذلك لِلوَحْدَةِ القوميةِ ،
وللتأثيرِ والتأثيرِ بالبراهينِ العقليةِ ، والمعانيِ الخطائيةِ والشعريةِ ، وللتعبيرِ
عن جميعِ العلومِ الإلهيةِ والشرعيةِ ، والفنونِ العقليةِ والكوْنِيَّةِ .
أيامَ كانت الأممُ تنفصمُ عُرَى وحدتها بالتعصباتِ الدينيَّةِ والمذهبيَّةِ ،
وتتفرقُ وشائجها^(١) بالمدائِنِ الجنسيَّةِ ، وتتمزقُ دُولُها بالحروبِ
الأجنبيَّةِ والأهليةِ .

فتلكُ أمَّاتٌ مزايا الامَّةِ العربيةِ ، التي أعدها اللهُ تعالى بها للبعثَةِ
المحمديَّةِ ، والسيادةِ الدينيَّةِ والمدنيَّةِ ، بعدَ أن طال المهدُ على مدَنيتهمُ
الماديَّةِ ، واستعمارهمُ للبلادِ الكلدانيَّةِ البابليَّةِ ، والبلادِ الفينيقيَّةِ
(السورِيَّة) والمصريَّةِ ، التي تشهدُ لها سيادةُ لغتهمُ للغاتِ الساميَّةِ ،
وبقاياها في الألسنةِ الهبريَّةِ وغلبيَّةِ^(٢) ، وبعدَ أن غلبتْ عليهمُ الأمِّيَّةُ ،
وخرَّافاتُ الوثنيَّةِ ، وعصبيةُ الجاهليةِ

وجملَةُ مزاياهمُ أنهم كانوا أسلمَ الناسَ فطرةً ، على كونِ أمِّ الحضارةِ
كانت أرقى منهم في كلِّ فنٍّ وصناعةٍ . والإصلاحُ الاسلاميُّ مبنيٌّ على

(١) الوشيج والوشيجة اشتباك القراة وتداخل بعضها في بعض وأصله شجر
الرماح ونحوه مما يشبك (٧) أقدم مدينة وحضارة عرفها التاريخ مدينة الكلدانيين
والبابليين في المِصرَاق والمصريين في مصر والفينيقيين في سورية وقد ثبت لدى
بعض علماء العاديات (الآثار القديمة) أن أهلها من بلاد العرب

تقديم إصلاح الانفس باستقلال العقل والارادة وتهذيب الأخلاق،
على إصلاح ما في الارض من معدن ونبات وحيوان، أي أن الله تعالى
كان يُعد هذه الامة لهذا الإصلاح العظيم، الذي جاء به محمد عليه من
الله أفضل الصلاة والتسليم

اصطفاه كنانية وقريشي وبني هاشم

أما اصطفاه الله لكنانة الشيخ الجليل، من سلالة نبيه الذي يسبح
إسماعيل، فيفسره ما كانت تحفظه العرب من أخبار كرمه ونبله، ومنها
انه كان على سنة جدّه إبراهيم الخليل لا يأكلُ وُخْدَه. وقد نقل الحافظ
في شرح البخاري أنهم كانوا يحجون اليه لعلمه وفضله. ومما يؤثر عنه
من الحكم الجليلة، كإرويه في السيرة الحلبية: رُبَّ صُورَةٍ
تُخَالِفُ الْمُخْبَرَةَ، قَدْ غَرَّتْ بِجَمَالِهَا، وَاحْتَبَرْتُ فُجِحَ فَيَالِهَا، فَأَحْذَرُ
الْصُّورَ، وَأَطْلُبُ الْخَبَرَ. فهذا دليل على ما وُصِفَ به من العلم والحكمة،
وأما حج العرب اليه فهو دليل على أنه كان مثابة التعارف، وتمعّد
رابطة الأجماع والتألف.

*

وأما اصطفاه الله تعالى لقريش الميامين القرء، وهم ذرية فهر بن
مالك وقيل جدّه النضر. فقد كان بما آتاهم الله من المناقب العظيم، ولا
سيما بعد سكنى مكة وخدمة المسجد الحرام، إذ كانوا أصرح ولد إسماعيل
أنسابا، وأشرقهم أحسابا وأعلام آدابا، وأفصحهم لسنة، وهم
المتهدون لجمع الكلمة. — فقد قل أهل السيرة، أن مالك بن النضر

كان ملك العرب، وأن كعب بن لؤي كان يجمع قومه ويعظمهم يوم الجمعة، وكانوا يُسمونه يوم الروبة، وأنهم كانوا يجلبونه في حياته، ثم أنهم أُرخوا بموته، وأن قصيًا هو الذي جمع شمل قبائل قريش بمكة، إذ كان هو الوارث لمن كانوا يتولونه من خزاعة^(١) وقد تملك عليهم فلكوه، إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه. وذلك أنه كان يراه دينًا في نفسه، لا ينبغي له تغييره ولا لنبيه من بعده (قال ابن اسحق) وهو الذي أنشأ الندوة، وجعل بابها إلى الكعبة، وقد أجمعت قريش على طاعته وجبه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، ثم وزعت المناصب بعده على الزعماء^(٢)

(١) قد كان ذلك بزوجه لحبي بنت حليل الذي كان آخر من ولي منهم . قال ابن اسحق : فلما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل ، فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وبني بكر . وان قريشا قرعة اسماعيل ابن ابراهيم وصريح ولده ، ثم قال بعد بيان ما كان في ذلك من أمره . فولي قصي البيت وأمر مكة . الخ

(٢) كان قريش من المناصب غير تلك الخمسة . الاشتاق والعمارة والسفارة والأعنة والقبعة ، والأموال الحجرة للمعبودات كالاصنام ، والايثار الذي منه الاستقسام بالأزلام ، الذي يرجع به بين الاقدام والاحجام . وقد طابهم عليها الاسلام : (فالحجابة) هي السدانة أي خدمة المسجد الحرام . (والسقاية) توزيع الماء الحلي والبراق على جميع الحجاج . (والرفادة) إسفاف الفقراء والمساكين . ولا سيما الحجاج المنقطعين . (والندوة) الشورى لاجل الرأي في الامور النظام . التي اجتمعوا فيها بعد البعثة للاختار بالنبي عليه الصلاة والسلام . (واللواء) راية قريش وكانت تسمى العقاب ، (والاشتاق) تحمل الديار والمعارم . لمنع انتشار التصادي والصخاصم . (والعمارة) حفظ بناء المسجد الحرام قيل وحفظه من اللفظ وهجر الكلام . (والسفارة) المراسلة بين فريقين . في شأن من الشؤون العامة ، كالقتال أو المفاخرة . (والاعنة) قيادة الفرسان في أيام الطمان أو الزمان ، (والقبعة) الخيمة الرسمية التي تنصب وقت الحرب . ويجمع فيها ما يجهز به الجيش

وأفضلُ من ذلك كله ما وثَّقوا له في حَدَاثَةِ الرَّسُولِ. مِنَ التَّحَاظِّفِ
الَّذِي عُرِفَ بِحَيْفِ الْفُضُولِ، إِذْ تَعَاهَدُوا وَتَعَاهَدُوا أَنْ لَا يَجِدُوا بِكُمْ
مَظْلُومًا إِلَّا قَامُوا مَعَهُ، وَكَانُوا عَوْنًا لَهُ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ، إِلَى إِنْ تُرِدَّ
مَنْزِلَتُهُ. وَفِي حَدِيثِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ، وَمِثْلُهُ حَدِيثُ
أُمِّ هَانِئٍ فِي مَجْمَعِهِ الْأَوْسَطِ كِتَابِ رِجَالِ الْبُخَارِيِّ، «فَضَّلَ اللَّهُ قُرَيْشًا بِسَبْعِ
يَخَصَالٍ: فَضَّلَهُمْ بِأَنَّهُمْ عَقَدُوا اللَّهَ عَشْرَ سِنِينَ لَا يَمُودُ اللَّهُ إِلَّا
قُرَيْشِيًّا»^(١) وَفَضَّلَهُمْ بِأَنَّهُ نَصَرَهُمْ يَوْمَ الْفِيلِ وَهُمْ مُشْرِكُونَ. وَفَضَّلَهُمْ بِأَنَّهُ
نَزَلَ فِيهِمْ سُورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ يَدْخُلْ فِيهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ. — وَهِيَ
لَا يُلَافِ قُرَيْشٍ — وَفَضَّلَهُمْ بِأَن فِيهِمْ النُّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ، وَالْحِجَابَةَ
وَالسَّقَايَةَ»

كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ أَرْتِقَاءِ قُرَيْشٍ وَاسْتِعْدَادِ الْعَرَبِ لِلْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّ
هَذِهِ الْقَوَى الْمُؤْنِيَّةَ كُلَّهَا وَجَّهَتْ لِمَادَاتِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ

•

وَأَمَّا اصْطِفَاءُ اللَّهِ تَعَالَى لِإِنِّي هَاشِمٍ، فَقَدْ كَانَ بِمَا أَمْتَا زَوْا بِهِ مِنْ
الْفَضَائِلِ وَالْمَكَارِمِ، فَقَدْ رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ مِنْ حَدِيثِ الْمُسْتَوْرِدِ الْقَهْرِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «إِنَّ فِيهِمْ خَلِصًا أَرْبَعًا: إِنْهُمْ أَصْلَحُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ،
وَأَسْرَعُهُمْ إِقَامَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ. وَأَوْشَكُهُمْ كُرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمُسْكِينٍ
وَيَتِيمٍ، وَأَمْنُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمَمْلُوكِ». وَكَانَ جَدُّهُمْ هَاشِمٌ صَاحِبَ إِيْلَافٍ

(١) أَي لَا يَمُودُهُ وَيُوحِدُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَنَاسٌ مِنْهُمْ إِذْ كَانُوا عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَكَانَتْ
الرُّثِيَّةُ قَدْ شَمَلَتْ الْعَرَبَ كُلَّهَا كَمَا شَمَلَتْ غَيْرَهُمْ
(المنار: ج ٧) (٥٣) (المجلد التاسع عشر)

قُرَيْش، الذي أَخَذَ لَهُمُ الْعَهْدَ مِنْ قَيْصَرِ الرُّومِ عَلَى حِمَايَتِهِمْ فِي رِحْلَةِ الصَّيْفِ، وَرُوي أَنَّهُ هُوَ الَّذِي سَنَّ الرَّحْلَتَيْنِ، وَأَخَذَ الْيَهُودَ بِهَا مِنَ الْحُكُومَتَيْنِ، حُكُومَةِ الْيَمَنِ الْعَرَبِيَّةِ، وَحُكُومَةِ الشَّامِ الرُّومِيَّةِ، فَاتَّسَعَتْ بِهِمَا مَعِيشَةُ قُرَيْشٍ، وَأَمْنُوا فِي تِجَارَتِهِمْ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ، وَقَدْ آمَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ، بِمَا عُدَّتْ بِهِ التِّجَارَةُ مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْإِنْسَانِ، وَإِنَّمَا أُطْلِقَ لِقَبِ هَاشِمٍ عَلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ هَنِمَ الثَّرِيدَ لِلْمُسْتَنِينَ الْعِجَافِ^(١)، وَكَانَ يُشْبِعُ مِنْهُ كُلَّ عَامٍ أَهْلَ الْمُؤَيِّمِ كَافَّةً، كَمَا أَشْبِعَ مِنْهُ قَوْمَهُ فِي سَنَةِ الْقَحْطِ وَالْمَجَاعَةِ، عَلَى أَنْ مَا يَدْتُهُ كَانَتْ مَنصُوبَةً لَا تَزْفَعُ فِي السَّرَّاءِ وَلَا فِي الضَّرَّاءِ، وَزَادَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فَكَانَ يُطْعَمُ الْوَحْشَ وَطَيْرَ السَّمَاءِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَحَنَّنَ بِفَارِ حِرَاءِ، وَرُوي أَنَّهُ حَرَّمَ الْحَرَمَ عَلَى نَفْسِهِ، وَجَعَلَ مَاءَ زَمْزَمَ لِلشُّرْبِ حَرَّمَ أَنْ يُغْتَسَلَ بِهِ،

جَعَلَهُ مَا امْتَازَ بِهِ آلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ قَوْمِهِ الْأَخْلَاقُ الْعَالِيَّةُ، وَالْقَوَائِلُ وَالْفَضَائِلُ النَّفْسِيَّةُ، وَكَانُوا أَبْعَدَ مِنْ سَائِرِ قُرَيْشٍ عَنِ الْكِبَرِ وَالْأَثَرَةِ وَالْأُمُورِ الْحَرِيَّةِ، وَلِذَلِكَ تَغَلَّبُوا عَلَى الرِّيَاسَةِ حَتَّى بَعَدَ الْإِسْلَامَ، وَرَحِمَهُ ذَلِكَ ظَاهِرَةً لِأَوْلِي الْأَحْلَامِ، فَهُوَ أَتْنَى لِلشُّبْهِ عَنْ رَسَالَتِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ

(١) المستنون اسم فاعل من أسنت القوم أصابتهم السنة والقحط والعجاف جمع أعجف وعجفاء وهم الذين ضعفوا وهزلت أبدانهم، العبارة مؤخوذة من قول ابن الزبير يري في مدح هاشم:

عمرو الملا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف

سرد نسب صلى الله عليه وسلم

بَعْدَ هَذَا التَّذَكِيرِ بِمَنَاقِبِ قَوْمِهِ ، وَالتَّفْسِيرِ لِأَصْطِفَاءِ اللَّهِ
تَعَالَى لِقَبِيلِهِ وَآلِ بَيْتِهِ ، كُتِبَتْ الْأَسْمَاعُ بِنَسَبِهِ الْمُحْفُوظِ بِالتَّفْصِيلِ ،
الْمُنَوَّارِ أَتْصَالُهُ بِنَبِيِّ اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ ، فَنَقُولُ : هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَسْمُهُ شَيْبَةُ الْحَمْدِ ، ابْنُ هَاشِمٍ وَأَسْمُهُ الَّذِي
سَمَّاهُ بِهِ أَبُوهُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ وَأَسْمُهُ الْمُعِيرَةُ ، ابْنُ قُصَيٍّ وَلَقَبَ
بِمُجَمِّعٍ إِذْ جَمَعَ قُرَيْشًا فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ ابْنَ حَكِيمٍ الَّذِي لَقَبَ بِكِلَابٍ
وَالْكِلَابُ مُصَدَّرٌ كَالْمُكَالَةِ ، وَمَعْنَاهُ الْمُجَاهِرَةُ بِالْعَادَاةِ وَالْمُنَاصِبَةِ ،
ابْنُ مَرَّةٍ وَالْمُرَادُ بِهِ الْجِلْدُ الْقَوِيُّ ابْنُ كَعْبٍ وَهُوَ مَقُولٌ مِنْ كَعَبٍ
الرُّمَحِ الرُّدِّيَّةِ ، بَنُ لُؤَيٍّ ، وَهُوَ تَصْغِيرُ لُؤَاءٍ أَوْ لَأَى أَوْ لَأِي (١)

ابْنُ غَالِبٍ بَنُ فِهْرٍ وَمَعْنَاهُ الْحَجَرُ الصَّغِيرُ (٢) وَهُوَ قُرَيْشٌ عَلَى الْمُعْتَمَدِ عِنْدَ
الْجُمَاهِرِ ، ابْنُ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ وَأَسْمُهُ قَيْسٌ ، وَالنَّضْرُ هُوَ الْحَسَنُ
الْمُشْرِقُ الْوُجْهِ ، ابْنُ كِنَانَةَ وَمَعْنَاهُ وَعَاءُ السَّهَامِ مِنَ الْجِلْدِ ، ابْنُ خُزَيْمَةَ
وَهُوَ تَصْغِيرُ اسْمِ الْمَرَّةِ مِنَ الْخَزَمِ (٣) ، ابْنُ مُدْرِكَةَ وَأَسْمُهُ عَامِرٌ أَوْ عَمْرُو ،
ابْنُ إِلْيَاسَ وَهُوَ مُحْفَفُ الْيَاسَ ، ابْنُ مُضَرَ وَهُوَ مَقْدُولٌ عَنْ مَاضِرٍ ،
وَمَعْنَاهُ اللَّبَنُ الْأَبْيَضُ أَوْ الْحَمِضُ الْخَالِطُ ، ابْنُ زَرَّارٍ مِنَ الزَّرِّ

(١) اللواء معروف واللاى الثور الوحشي ويكنى به عن حسن العينين. واللاى البطء

(٢) الفهر الحجر الذي يؤخذ باليد عادة ويدق به الشيء وقيل مطلقا

(٣) الخزم نظم اللاكى فى السلك

وَمَعْنًا، الْقَلِيل، وَلَمَّا سُمِّيَ بِهِ تَقَاوُلًا بَقِيَّةَ وُجُودٍ مِثْلِهِ فِي ذَلِكَ
الْجِيلِ، أَنَّ مَعْدَ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْمَعْدِ، وَهُوَ الْجَذْبُ السَّرِيعُ
وَالذَّهَابُ فِي الْأَرْضِ، وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الرَّفُوعُ وَفِي نَصِيحَةِ عُمَرَ
لِلجَيْشِ، «تَمَعَّدُوا» أَي تَشَبَّهُوا بِمَعْدٍ فِي خُسُونَةِ الْعَيْشِ، ابْنُ
عَدْنَانَ، وَهُوَ مِنْ عَدَنَ بِمَعْنَى أَقَامَ فِي الْمَكَانِ

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ «كَانَ عَدْنَانُ وَمَعْدُ وَرَبِيعَةُ وَمُضَرُّ وَخَزَنَةُ
وَأَسَدٌ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَلَا تَذْكُرُوهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ» (١) وَرَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ
بَسَّارٍ مِنْ وَجْهِ آخَرَ مَرْفُوعًا «لَا تَسُبُّوا مُضَرَ وَلَا رَبِيعَةَ فَإِنَّهُمَا كَانَا
مُسْلِمَيْنِ» (٢) فَهَذَا مَا كَانَ يَسْرُدُهُ الرَّسُولُ مِنْ نَسَبِهِ كَالَّذِ الرَّسُولُ، وَهُوَ
وَاسِطَةٌ عِقْدِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ،

نَسَبٌ تَحْسَبُ الْعُلَا بِحَلَاةٍ فَلَدَتْهَا مُجُومًا أُجُوزَاهُ
حَبْدًا عِقْدُ سُودَدٍ وَفَخَارٍ أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْقَصَامَةُ

نواجع عبد الله بآمنته والحمل بالنبي وولادته

صلى الله عليه وسلم

انْخَصَرَ نَسْلُ هَاشِمٍ فِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَاهُ، وَوُلِدَ

(١) عزاه الحافظ في فتح الباري الى تخرج أبي جعفر بن حبيب في تاريخه المحبر .

قوله وربيعة ومضر أي ابن نزار بن معد ، قوله وأسد هو ابن خزاعة

(٢) قال الحافظ وله شاهد عند ابن حبيب من مرسل سعيد ابن المسيب ، أي

ومراسيله أصبح المراسيل

لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَبُو طَالِبٍ وَالْعَبَّاسُ وَحَمْرَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ . وَقَدْ زَوَّجَ عَبْدُ
 اللَّهِ أَمَنَةَ ابْنَةَ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ، وَزُهْرَةُ أَخُو جَدِّ قُصَيٍّ
 ابْنِ حَكِيمِ بْنِ مُرَّةٍ ، وَقَدْ بَنَى عَلَيْهَا فِي بَيْتِ أَهْلِهَا وَأَقَامَ مَعَهَا فِيهِ ثَلَاثَةَ
 أَيَّامٍ ، فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ حَمَلَتْ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَلَمْ تَحْجِدْ فِي
 حَمْلِهِ ثِقَلًا وَلَا وَجَعًا كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمُحْصَنَاتِ الصَّحِيحَاتِ الْأَجْسَامِ ،
 وَقَدْ رَوَى الْأَحَكِيمُ وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي مَرَّاسِيلِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، أَنَّ
 الصَّحَابَةَ سَأَلُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذَا الشَّأْنِ ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ
 اللَّهِ خَبَرْنَا عَنْ نَفْسِكَ ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ وَأَحْمَدَ
 وَغَيْرِهِمَا : مَا كَانَ بَدْءَ أَمْرِكَ ؟ فَقَالَ « دَعَاؤُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ »^(١) ، وَبُشْرَى
 عِيسَى ، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلْتُ بِي كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ بُصْرَى
 مِنْ أَرْضِ السَّامِ ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ هَذِهِ رُؤْيَا كَانَتْ فِي الْمَنَامِ ، وَلَكِنَّهَا
 رُؤْيَا صَادِقَةٌ لَا أَصْنَافُ أَحْلَامٍ ، وَصَحَّحَ أَبُو حَبِيبٍ أَنَّ ذَلِكَ
 النَّورَ تَمَثَّلَ لِعَيْنَيْهَا حِينَ أَخَذَهَا الْمَخَاضُ فَوَضَعَتْهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ

فَارْحَمْ وَلادته وفهر رطعنه ومهناته

صل الله عليه وسلم

وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوِيًّا خَلَقَ ، جَمِيلَ الصُّورَةِ صَحِيحَ
 الْجِسْمِ ، وَكَانَتْ وَلَادَتُهُ فِي عَامِ الْفِيلِ ، فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ أَوْ

(١) أي أنا مصداق دعوته التي حكاها الله عنه في قوله (ربنا وابحث فيهم

رسولا منهم) الآية — ومصداق بشرى عيسى برسول يأتي من بعده

التاسعة من شهر ربيع الأول الموافقة للعشرين من شهر إبريل ،
وكان ذلك العام ، هو الحادي والستين بعد ائتمس مئة من مولد المسيح
عليهما الصلاة والسلام ، وقد توفي والده وهو حمل ، فكفله جده
شعبة الحمد ، فأرضعته أمه ثلاثة أيام ، وكذا ثويبة مولاة أبي لهب
عدة أيام ، وكانت نساء قرشي لا يرضعن إلا أولاد فهد جده
بإرضاعه إلى حليمة السعدية ، وجعله في قبيلتها بالبادية لينشأ في
العيشة الخلوية ، ثم ردت حليمة إلى أمه بعد أربع سنين ، فحضنته
إلى أن توفيت وله ست سنين ، فأصبح ﷺ يتيم الأبوين ،
فكفله بعدها جده عبد المطلب سنتين ، ثم توفي بعد أن أوصى به
أبا طالب عنه ، فحاطه يميناته كما يحوط ولده وأمله ، إلا أنه كان
لفقره يمشي عيشة القشف ، فلم يتعوذ صلى الله عليه وسلم نعم
الترف ، وذلك من عنايته تعالى بزيينة هذا المصلح العظيم ، عليه
من الله أفضل الصلاة والتسليم

معبشة في المراته وكسبه وزواجه

صلى الله عليه وسلم

وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتِيمًا ، وَلِنَشَأَ فِي قَوْمِهِ فَقِيرًا ، وَمَاتَ
وَالِدُهُ فِي سِنِّ الشَّبَابِ ، لَمْ يَبْرُكْ لَهُ مَالًا إِلَّا خَمْسَةٌ جَلَالٍ وَبَضْعُ نَعَاجٍ ،
وَكَانَ قَدْ أَلِفَ رَعْيَ الْغَنَمِ مَعَ إِخْوَتِهِ فِي الرِّضَاعِ ، فَصَارَ يَرْعَى لِأَهْلِ

مكة ، فيؤقر على كافله أبي طالب بما يأخذ على ذلك من الأجرة ، ثم سافر مع عمه أبي طالب في تجارتِهِ إلى الشام ، وله من العمر اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام ، وهناك رآه بحيرا الراهب ، وبشر به عمه أبا طالب ، وحذره من اليهود عليه ، بعد أن رأى خاتم النبوة بين كفيه ، ثم إنه سافر إلى الشام مرة ثانية ، متجرا ببال خديجة تجارة المضاربة ، فأعطته أفضل ما كانت تُعطي غيره إذ جعلت تلك التجارة بأرباح مُضاعفة ، بل جاءت بسعادة الدنيا والآخرة

كانت سمية بنت خويلد بن عبد العزى بن قصي ، أَعقلَ وأَكملَ امرأة في قرشي ، حتى كانت تُدعى في الجاهلية [الطاهرة] ، لما لها من الصيانة والفضائل الطاهرة ، ولما حدثها غلامها ميسرة بما رأى منه عليه الصلاة والسلام ، في رحلته معه إلى الشام ، من الأخلاق الناعية ، والفضائل السامية ، وما قاله بحيرا الراهب ، لعنه أبي طالب ، تملكت رغبته بأن تتخذه بعلا ، بل رقت أفكارها إلى ما هو أعلى (*)

(*) روى الفاكهي في كتاب مكة عن ألس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أبي طالب فاستأذنه أن يتوجه إلى خديجة ، فأذن له وبعت بعده جارية يقال لها نبعة ، فقال انظري ما أقول له خديجة ، قالت نبعة فرأيت عجا : ما هو إلا أن سمعت به خديجة فخرجت إلى الباب فاخذت يده فضمته إلى صدرها ونحرها ، ثم قالت بأني أنت وأمي والله ما أفضل هذا الشيء ، ولكي أرجو أن تكون أنت النبي الذي سمعت ، فان تكن هو فاعرف حقى ومنزلي وادع إليه الذي يبعثك لي ، =

قَمَّ ذَلِكَ الزَّوْاجُ الْمَيْمُونُ، وَكَانَ هُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَهِيَ ابْنَةُ
 أَرْبَعِينَ، وَتَوَفَّيَتْ بَعْدَ الْبَيْعَةِ بِعَشْرِ سِنِينَ، وَلَمْ يَزَوْجْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 عَلَيْهَا، وَلَا أَحَبَّ أَحَدًا مِثْلَهَا، وَكَانَ طَوْلُ عُمُرِهِ يَذْكُرُهَا، حَتَّى كَانَتْ
 عَائِشَةُ تَعَاوَرُ مِنْهَا وَلَمْ تَرَهَا، قَالَتْ مِنْ حَدِيثِهَا: فَذَكَرَهَا يَوْمًا مِنْ
 الْأَيَّامِ، فَأَخَذَتْنِي النَّبِيرَةُ فَقُلْتُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: هَلْ كَانَتْ
 إِلَّا عَجُوزًا قَدْ أَبْذَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا؟ فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا
 أَبْذَلَنِي خَيْرًا مِنْهَا، آمَنْتُ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي
 النَّاسُ، وَوَأَسَّيْتَنِي فِي مَالِهَا إِذْ حَرَمَتَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ مِنْهَا
 الْوَلَدَ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ^(١) وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهَا: «لَمْ يَنْهَا

== قَالَتْ قَالِ مَا وَاللَّهِ لَكَ كُنْتُ أَنَا هُوَ قَدْ اصْطَنَمْتُ عِنْدِي مَا لَا أَضِيغُهُ أَبَدًا،
 وَأَنْ يَكُنْ غَيْرِي فَإِنَّ إِلَهَ الَّذِي تَصْنَعِينَ هَذَا لِأَجَلِهِ لَا يَضِيغُكَ أَبَدًا» وَيُؤَيِّدُ هَذَا
 مَا وَرَدَ فِي كَيْفِيَةِ بَدْءِ الْوَحْيِ فِي الصَّحِيحِ، أَنَّ خَدِيجَةَ قَالَتْ لَهُ حِينَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ
 عَاقِبَةَ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْجَهْدِ، عِنْدَ مَا ظَهَرَ لَهُ الْمَلَكُ، «كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا،
 إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ»، وَتَكْسِبُ الْمَدْمُومَ، وَتَقْرِي الضَّعِيفَ، وَتَمِينُ عَلَى
 نَوَائِبِ الْحَقِّ، وَكَذَا مَا بَيَّنَّتْ مِنْ أَنَّهَا كَانَتْ تَعُدُّ لَهُ الْوَادَّ، لِيَنْطَلِعَ إِلَى الصَّحْنِ فِي
 غَارِ حَرَاءٍ، وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى قَيْسَةَ بِنْتِ أُمِّيَّةَ أُخْتِ بَيْتِهَا قَالَتْ: كَانَتْ خَدِيجَةُ
 أَمْرًا شَرِيفَةً جَلَدَةً كَثِيرَةَ الْمَالِ، وَلَا تَأْتِيَتْ كَانَ كُلُّ شَرِيفٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَجِيئُ أَنْ
 يَزُوجَهَا، فَلَمَّا سَافَرَ النَّبِيُّ (ص) فِي تِجَارَتِهَا وَرَجَعَ بِرَيْحٍ وَافِرٍ رَغِبَتْ فِيهِ، فَأَرْسَلَتْنِي
 دَسِيسًا إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُوجَ؟ فَقَالَ «مَا فِي يَدَيَّ شَيْءٌ» فَقُلْتُ فَإِنْ
 كَفَيْتُ وَدَعَيْتُ إِلَى الْمَالِ وَالْجَمَالِ وَالْكَفَاةِ؟ قَالَ «وَمَنْ؟» قَالَتْ: خَدِيجَةُ، فَأَعْجَابَ
 (١) وَفِي رِوَايَةٍ إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادُ النِّسَاءِ. رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْإِسْتِيعَابِ وَكَذَا
 الدُّوَلَابِيُّ فِي الذَّرِّيَةِ الطَّاهِرَةِ مِنْ طَرِيقِ وَائِلِ بْنِ دَاوُدَ - وَقَدْ وَفَّقَهُ أَحْمَدُ - عَنْ
 عَبْدِ اللَّهِ الْبَهِيِّ - وَهُوَ مَقْبُولٌ - عَنْهَا. قَالَتْ عَائِشَةُ قُلْتُ فِي نَفْسِي: لَا أَذْكُرُهَا بِسِنَةِ أَبَدٍ

[المثار: ج ١٩ م ٧] دروس سنن الكائنات . الالتهاب الرئوي الباسيلي ٤٢٥

مَا غَارَتْ عَلَى أَمْرٍ كَمَا غَارَتْ عَلَى خَدِيجَةَ وَهِيَ لَمْ تَرَهَا، وَعَلَّاتِ
ذَلِكَ بِكَرَمَةِ ذِكْرِهِ إِنَّا هَا. قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ يَقُولُ: «أَرْسِلُوا إِلَى أَمِيقَةِ خَدِيجَةَ،
فَأَغْضِبْنِي يَوْمًا وَقُلْتُ خَدِيجَةَ فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حُبًّا» وَفِي رِوَايَةٍ
عَزَاهَا أَخْلَافُ فِي الْإِسَابَةِ إِلَى الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي لِأَجِبُ حَبِيبَهَا»^(١)
— فَهَذَا هُوَ الْوَقْفُ الْكَارِلُ اللَّامِقُ بِذَلِكَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، عَلَيْهِ مِنَ
اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ
(له بقية)

دُرَرُ الْمَدِينَةِ وَالْأَنْشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٦

الالتهاب الرئوي الباسيلي

ذكرنا فيما سبق أن من الميكروبات التي تحدث التهاب الرئة باسيلات اكتشفه
[فردلندر Friedländer] وهذا النوع من الالتهاب شديد جدا خطر على الحياة،
وبشاهد ميكروبه كثيرا في حويصلات الرئة، وقد تنجح منه أو تصاب بالفنرنية
(الموت)

(١) كذا في الإصابة . ورواية الاستيعاب عنها: وإن كان ليذبح الشاة فيفتح
بذلك صدائق خديجة يهديها لمن . والصدائق جمع خديجة
(المثار: ج ٧) (٥٤) (المجلد التاسع عشر)

الدوسنتاريا Dysentery

كلمة يونانية وضعها أبقراط ثم عربت ومعناها [مرض الامعاء] ويسمى بالعربية انطالصة (الزحار) لانه يحدث الزحير
وهذا الداء عبارة عن التهاب الامعاء الغليظة أو القولون ، وهو نوعان : —
(الاول) يحدث في جميع بقاع الارض خصوصا في زمن الحرب أو التقطع
وينشأ من باسيل مخصوص ، وهو النوع المراد بالكلام هنا
(والثاني) كثير الحصول في بلاد الشرق ، ويمتاز بطول مدته وبتضاعفه
بخراج الكبد وبكونه ينشأ من نوع من الاميبا (خلية حيوانية وليست نباتية كيكروب
النوع الاول) . وهذا النوع ستحكم عليه ان شاء الله في باب الامراض التي تنشأ
عن الميكروبات الحيوانية

الدوسنتاريا الباسيلية

تنشأ — كما قلنا — من باسيل اكتشفه [شيجا Shiga] في بلاد اليابان سنة
١٨٩٧ وبمد ذلك وجد مثله [كروس Kruse] في ألمانيا، ولذلك يسمى ميكروب
[ميكروب شيجا كروس] ثم وجد غيرها أنواعا أخرى من باسيل الدوسنتاريا
مثل [فلكنسز] و [سترنج]

هذا الباسيل عديم الحركة ولا حييات له ، والحرارة التي درجتها ٥٨ — ٦٠
ستفترد قتله سريعا وكذلك المطهرات ويميش في الهواء وفي غيره . ويقتصر
وجوده في المرض على أغشية الامعاء المخاطية ولا يصل الى الدم . ومن الجائز أن يبقى
في الامعاء مدة بدون أن يحدث ضررا فيها ولكنه في المادة يفرز سما يتص في الدم
ثم يفرز منه بواسطة الأغشية المخاطية للامعاء فيحدث فيها المرض ، ومن هذا السم
جزء يؤثر في المجموع العصبي فيحدث التهابا في الاعصاب

الاسباب — هذا النوع من الدوسنتاريا وإن كان كثير الحصول في البلاد
الحارة الا انه قد ينتشر في أوقات مختلفة بشكل وبائي في أي بقعة من بقاع الارض .
ومما يهيئ الجسم لقبول المرض كل ما يضعف البنية كالتعرض للبرد أو البيئة الفاسدة

الهواء أو الإصابة بحمى التافض (الملاريا) أو إدمان الحجر أو أكل المواد السامة
 الهضم كالفواكه غير الناضجة أو التعفنة وكذلك الإزدحام ، ولذلك يكثر انتشار
 هذا المرض بين الجنود وفي السجون والتكاي ونحوها . ومن مضعفات البنية التي
 تهين لهذا المرض ضعف العقل - ولذلك ينتشر بين المجانين - والامساك المتعاصي
 ينتقل الميكروب من المصاب بواسطة البراز الملوث به الى الشرب أو الطعام أو الى
 الاواني وغيرها فيصل الى أمعاء الآخرين ويحدث فيهم المرض ، فهو في عدواه يشبه
 الحى التيفودية سواء بسواء . ومما ينشره أيضا بين الناس القباب والواصف ، فانها
 تنقل الميكروب من البراز وتنتشر مع القبار الى الطعام أو الشرب وغيرها . ولهذا
 الداء أيضا حلة أصحاء كالذين ذكروا في باب الحى التيفودية والدفتيريا

الاعراض - مدة التفريح تتراوح بين بضعة أيام وأحد عشر يوما ، ويبدأ
 المرض بالاسهال فيبرز المصاب من مرتين الى ست برازا سائلا مصفرا أو يحيل الى
 السمرة ويحس بألم في بطنه وتوعك عام وقد في شهوة الطعام . وبعد ثلاثة أيام أو
 أربعة تكثر فجأة مرات التبرز حتى تصل الى عشر أو عشرين بل أربعين فستين
 أو أكثر . ويكون قدر البراز في كل مرة قليلا جدا يخالطه مخاط ومصل ودم وصديد
 وبعض أجزاء من الغشاء المخاطي للأمعاء ، وقل أن يشاهد فيه شيء من مواد البراز
 الطبيعية ، وقد يكثر النزف حتى يبرز المصاب دما خالصا بسبب احتقان الغشاء
 المخاطي وتمزق عروقه في أول الامر ثم بسبب تهرجه بعد ذلك ، ويكون له رائحة
 مخصوصة ، ويشد الغص ويكثر الزحير ويلتهب باب البدن (الشرج) ويكثر
 بسبب ذلك التبول أيضا أو يحصل فيه الزحير أيضا فيبيل المصاب الى إخراج بوله
 قطرة فقطعة بحيث لا يمكنه الصبر على تجميع القدر المتباد من البول في المثانة

وهذه الاعراض تؤثر في بنية المريض فينحف ويضعف ويصفر لونه ويبيض
 لسانه وترفع حرارته ويصيبه الصداع والدوار والإقياء والمغش
 وفي الحالات البسيطة تخف وطأة المرض بعد ثمانية أيام أو عشرة ، أما في الحالات
 الشديدة فتزداد الاعراض حتى تنهك قوى المريض ويتقرح الشرج وما حوله من
 المقعدة ، ويصاب بالعمود فتقور عيناه وترزق أطرافه ويضعف صوته ونفضه حتى يموت

ويكثر في أول الاغراض أن يصاب الشخص بالقيء ويستمر معه بشدة حتى النهاية . ويقل البول أيضا ولكن لا يوجد فيه زلال غالبا
وفي بعض الاصابات يزمن المرض فيكون البراز أحيانا طبعيا وأحيانا مركبا من غائط وصديد ودم مع الرائحة المحصورة المذكورة ، وتستمر تلك الحال أشهراً عديدة ، أو سنوات كثيرة فينحف المريض ويضعف وقد يموت — إذا لم يعالج — بنهاكة القوى أو بالمضاعفات كالالتهاب الپريتوني من انخراق الامعاء ، أو يصاب بضيق فيها بسبب اقتراب آثار التحام القروح

وقد وصف [القصاصلاني Castellani] (وهو عالم إيطالي شهير له مؤلف ضخيم في أمراض البلاد الحارة باللغة الانكليزية) نوعاً من هذا المرض سماه [البارادوسنتاريا] وهو أخف من الدوسنتاريا المعتادة وله بأسيل قريب من بأسيلها
ويحدث المرض بسبب تأثير رسم الميكروب في أنسجة القولون كما قلنا أثناء افرازه من البنية تموت أجزاء من النشاء الحطائي ويتدخل بعض الانسجة العضلية التي في جدر الامعاء فتتقرح وقد يصل الالتهاب والقرح الى النشاء الپريتوني فيلتبس ويلتصق بأجزاء أخرى أو يمترق ويكُون سبباً في الموت السريع
زد على ذلك ان المعدة والامعاء الدقاق قد تصاب أيضا بقرحة وتلتبس عند المساريقا وتتفتح الكبد وتحتقن

المضاعفات — التهاب الاعصاب بسبب تأثير السم فيها والتهاب المفاصل والخراجة في أجزاء الجسم المختلفة والالتهاب الپريتوني من الالتقاب والتزف المعوي الشديد

الانتذار — عدد الوفيات من ٣٠ الى ٨٠ ٪ وما ينذر بالخطر سقوط أجزاء كثيرة من أغشية الامعاء في البراز والتزف الشديد وكثرة القيء والحمود . والمرض قتال للأطفال والشيوخ والضعفاء ومدمني الخمر

المعالجة — يجب على المريض أن يلتزم الراحة في الفراش ويتدبر جيداً حتى يدفأ وتخصص له آية تبرز فيها لكيلا يتم نفسه في الانتقال . ويكون غذاؤه سائلاً سهل الهضم مشتملاً على المواد التي يحتاج اليها الجسم ، فيعطى له اللبن خالصاً

أو ممزوجا بماء الحليب ويعطى له المرق، ولا بأس من تحلية اللبن بالسكر أو خلطه بقليل من النشاء الصافي القوي يطبخ به، أو اعطاه اللبن الحاضر (لبن الزبادي) ولا يجوز أن تكون هذه المواد شديدة البرودة فإنها تهيج الأمعاء، والأفضل أن تدفأ وتبدأ بالمعالجة الدوائية بإعطاء المسهلات كزيت الخروع أو الملح الانكليزي وهو الأفضل، ومن الأطباء من يعطي هذا الملح بمقادير صغيرة كدريم كل ساعة ليلا ونهارا حتى تكثر مواد البراز ويقل منها الدم والحمض وتنخفض الحرارة ويقل الألم والزحير. ويمكن الاستمرار على تعاطي الملح بهذه الكيفية يوما أو ثلاثة، ومن النادر أن يحتاج إلى أكثر منها، ثم يكمل العلاج بإعطاء مركبات البزموت^(١) والافيون وبعض المطهرات كالساول

ويجوز في الحالات الشديدة حقن المريض بالمصل المضاد للزحار كمصل ممل [لستر Lister] فيحقن منه ٣٠ سنتيمترا مكعبين مرتين في اليوم في الأحوال المعتادة وفي الأحوال السيئة يجوز الحقن إلى ثلاث أو أربع مرات، ويكرر ذلك مدة يومين أو ثلاثة. وقد اكتشف حديثا بعض كباري مصر حقنة أخرى يقال إنها نافعة كثيرا والحقن في الشرج نافع في كثير من الحالات، فيحقن الماء المغلي بعد أن تصبر حرارته فوق حرارة الجسم الطبيعية بقليل جدا، ويحقن كذلك دافئا بمحلول البوريك ١٪ أو محلول حامض الصنفايك بنسبة واحد إلى خمسين وغیرها. وحقن محلول ملح الطعام الدافئ بنسبة ٧ إلى ألف نافع جدا، ومقدار ما يحقن في كل مرة لتر. وهناك حقنات كثيرة لأحاجة إلى استقصائها

فإذا اشتد الألم والزحير يلبس في الشرج أقناع مركبة من الافيون أو المورفين^(٢) مع زبدة الكاكاو، ومحلول ملح الطعام المذكور نافع أيضا لإزالة هذا الزحير، والجلوس في الماء الساخن مرج أيضا من الزحير، وكذلك وضع الميخ والكادات الساخنة ونحوها على الشرج. والافيون يسكن ألم البطن والبلغ الساخنة. وإذا

(١) اسم لعنصر معدني شهير، وهو مشتق من كلمة ألمانية مجهولة الأصل

(٢) اسم لمادة فعالة في الافيون وهي ما فيه، والكلمة يونانية مشتقة من

اسم له النوم أو الاحلام عندهم

أصاب المريض الحمودُ أعطي المنشآت المنبهات كالقهوة والشاي والتمر، وغير ذلك مما ذكر مرارا

فاذا تحسنت الحال يزداد طعام المريض تدريجاً كأن يأكل قليلا من الخبز المش الاسفنجي الجاف والحم المفروم جيدا، وهكذا يزداد الطعام حتى يصير كالعتاد. وفي طور النقاهة يعطى له مركبات الحديد والمواد المرة كالكينين بمقادير صغيرة لتقويته

الوقاية — تكون بما يأتي (١) بعزل المرضى وتطهير مواد برازهم بالمطهرات القلبية أو بحرقها ويجب أن تغطى أوانيها بخرق مبللة بمحلول مطهر منعا من نقل الذباب للمدوى (٢) بمنع الناقمين من الاختلاط بالناس حتى تعلم طهارة برازهم من الميكروب بعد البحث البكتيريولوجي ثلاث مرات في ثلاثة أسابيع (٣) بالبحث عن الحلة الاصحاء اذا انتشر الوباء في مكان وعزلهم ومعالجتهم بالمطهرات للامعاء أو بالحقن بالقاح ونحو ذلك حتى يزول الميكروب منهم . وهؤلاء الحلة هم من كانوا أصيبوا بالزحار أو اختلطوا بمصاب به (٤) بامتناع الاصحاء من شرب أي ماء الا بعد غليه أو ترشيحه ومن أكل أي شيء الا بعد غليه أو إزالة قشره أو غسله جيدا بالماء المغلي أو المذاب فيه كبريتات الصوديوم الحفضية كما سبق. ولا يجوز استعمال الماء غير المغلي حتى لغسل الاواني أو للوضوء (٥) بتجنب المواد المسرة الحمض والسببة لاعتقال البطن ، وكذلك يتقى البرد . (٦) بإبادة الذباب بقدر الامكان، وتنظف الطرق وترش جيدا حتى لا يثار غبارها (٧) من الملاء من يشير على الاصحاء اذا خافوا المدوى بعمل القاح ، وهو عمل محمود وقد افاد في كثير من الاحوال ، وأشهر من أشار بذلك القمصلائي

أمراض الفطر

داء مادورًا — أو — قدم مادورا Madura Disease

هو داء منسوب الى مدينة مادورا في جنوب بلاد الهند ويوجد كثيرا في غيرها من البلاد الحارة والمعتدة وينشأ من دخول فطر مخصوص في القدم غالبا (وأجانا في اليد) وقد يصعد

الداء من القدم الى الساق، ومن النادر أن يصيب الجذع، فينمو هذا الفطر في الجزء المصاب وينشأ من تمييزه للمكان أنسجة مخصوصة تشبه الانسجة الحمراء التي تكون في الجروح ويسمى الاطباء المحدثون (بالازرار اللحمية) ويتقيح المكان المصاب وتلف أجزاؤه وتتأكل، وقد يصل الداء الى نفس العظام فيحدث بها النخر وتكون نواصير يخرج منها صديد وحييات سوداء أو سمراء وقد تكون يفضاء أو بيضاء مصفرة تبعاً لنوع الفطر فإن له أنواعاً كثيرة. ويكون حجم الحبيبة ك رأس الدبوس وقد يكون كبيراً كحبة الحمص. وتتألف الحبيبة من خيوط كثيرة متفرعة ملتف بعضها ببعض الآخر وهي خيوط الفطر نفسه

فاذا أصيب القدم بهذا الداء ورم واتفخ أخمصه كثيراً حتى يتحذب وترتفع الاصابع بسبب ذلك عن الأرض ويسود الجلد وتظهر به حلقات متعددة ونواصير كثيرة، فاذا سبرت قد تجدها واصله الى العظام النخرة واذا أصيبت اليد أصابها ما أصاب القدم. ولا علاج لهذا الداء في أول الامر الا باستئصال الاجزاء المصابة، فاذا أزم من وجب استئصال القدم كلها وتكون الوقاية منه بتجنب كل مسح أو جرح للقدم بقدر المستطاع وتنظيفها دائماً (ومن هنا تظهر بعض حكم الوضوء) ودوام الاحتذاء. فاذا أصيبت القدم بأي جرح وجب تطهيره بالمطهرات الطبية ومعالجته بحسب الاصول الجراحية حتى يشفى تماماً ابقاء هذا الداء ولغيره مما ذكر سابقاً كالتيتانوس

السل الكاذب - الأسبار غلوس ^(١) Aspergillosis

الاسبار غلوس يطلق على فطر ينتشر في بعض أعضاء الجسم فيتلها. ويشاهد أحياناً في الرئة فيحدث بها مرضاً يشبه الدرن حتى قد تتكون فيها كهوف، ولذلك يسمى هذا الداء بالسل الكاذب. وتكون أعراضه ضيقاً في التنفس وسعالاً وبصقاً ونفث دم. ولا ينتشر الفطر من الرئة الى الأعضاء الاخرى. وقد يشفى من تلقاء نفسه بموت الفطر

(١) كلمة لا يقينية معناها المنبت أو المنتشر

يصيب هذا الداء أحيانا مربي الحمام ومطعميه بأفواههم لوجود الفطر في بعض الحبوب التي يضعها المربي في فمه لاطعام الحمام ، وهذا الفطر قد يصيب أحيانا العين أو الأذن أو الألف أو الجروح والقروح وغير ذلك كأنسجة القدم فيشكون به نوع من أنواع الداء السابق (داء مادورا)

الفطر الشعاعي Actinomycosis

أول من وصف هذا الداء في الانسان هو اسرائيل الالمانى من أهالي برلين سنة ١٨٧٧ م وفي سنة ١٨٧٨ أثبت [بوفيك Ponfick] أن النوع الذي يصيب الانسان هو عين ما يصيب الانعام

هذا الفطر يكون قطعا ترى بالعين المجردة صفراء أو سنجابية لامة مستديرة قطرها نحو ١ سم من البوصة وقد يكون أحيانا ١ سم منها فإذا نظرت هذه القطعة بالمجهر رؤي في مركزها خيوط مشبكة مع بزور ويتفرع من هذه الخيوط خيوط أخرى فتكون كأشعة النور النبعثة من السراج وتنتهي باتساع أطرافها . وهذا الداء يصيب الحيوانات الداجنة ولا ينتقل منها الى الانسان ، وإنما يصاب به الانسان والحيوان من أكل بعض الحضر أو الحبوب كالشعير

فإذا دخل الفطر الى الجسم لصق بالغشاء المخاطي للامعاء أو الشعب ثم يتقربها ويصل الى الاعضاء الفائرة فيحدث المرض في أجزاء مختلفة من الجسم ، وذلك بتسببه للمكان المصاب فيلتهم ما حول الفطر وتتكون أنسجة غريبة كالازرار اللحمية ثم تتيج وتآكل وتستحيل الى مدّة فينشأ في أول الامر في العضو المصاب أورام يكون قطرها نحو ثلاث بوصات أو أكثر ، وهذه تآكل حتى تفسد العضو . ويتنشر الداء بالمجاورة من وضع الى آخر ، ولكن الفطر قد ينتشر بالاروعية الى أجزاء الجسم البعيدة أحيانا

الاعراض — تختلف باختلاف العضو المصاب وكثير ما يبدأ المرض بالضم فيحدث فيه ورم تحت الجلد فوق الفك الأسفل أو فوق حافته يكون صلبا بطيئا النمو ثم ينتقل تدريجيا الى العنق .

وقد يضر جزء من هذا الورم ولكنه يزداد في الأجزاء الأخرى ويمتد حتى يصيب

الجلد نفسه، ويتكون فيه ما يشبه الخراج فينخر ويخرج منه صديد به حبيبات الفطر، ويتمسر شفاء هذا الجرح بل يختلف عنه ناسور. والظاهر إن الفطر في هذه الأحوال يصل إلى الفك من الأسنان النخرة. وقد يصيب اللسان الفك الأعلى ومنه يصل إلى قاعدة الجمجمة، وقد يمتد إلى المريء فيتقرح منه وتتأكل الفترات أيضا

وإذا أصاب اللسان الامعاء ظهر على سطحها الخاطي بقع مبيضة منطاة بحبيبات صفراء أو سمرراء، ويكون قطر البقعة نحو ١ بوصة وسمكها ١/٢ بوصة. وقد يثقب هذا اللسان الامعاء ويصل إلى البريتون. ومن الفطر ما يصل إلى الكبد، ومنه ما يصيب الرئة فتثقب شيئا أو أنسجتها، ومنه ما يصيب الجلد فيدخل من أي جرح أثناء مس الحبوب أو القش، ولكنه قليل الحصول

المعالجة — أحسن دواء لهذا اللسان هو [يودور البوتاسيوم] فقد ظهر فحمة فيمن استعمل له من الناس والافنام، ويجب إعطاؤه بمقادير كبيرة حتى تصل إلى أربعة دراهم في اليوم. وإذا كان الورم في مكان يمكن الوصول إليه أمكننا أن نعاون اللسان في فعله بالعمليات الجراحية كالكمح أو الاستئصال

القلاع Aphthae

هو أشهر أدواء الفطر وأكثرها حصولا للبشر في جميع الاقطار. يشاهد هذا اللسان في الاطفال الضعفاء خصوصا من يربون تربية صناعية أو الذين أصابهم اسهال مدة طويلة، وقد يشاهد أيضا في الشبان والكهول إذا أصابهم داء أنفك قوام كالسل والسرطان والحمى التيفودية

ويشاهد في المصاب بقع بيضاء لينة على الأغشية المخاطية للفم أو اللسان أو اللثة أو اللسان، وتكون مرقمة قليلا عن سطح اللسان وبخاطة بمخط أحمر دقيق، فإذا نزع هذه القطع البيضاء وجد اللسان المخاطي الذي تحته حمرا وسال منه قليل من الدم، وبعد زمن قصير قد تتكون البقع عليه ثانية. وهي تتألف من خلايا بشرية مع كريات دهنية ومن بزور الفطر وخيوطة. ينمو هذا الفطر في طبقات الايثيليم الوسطى ومنها يمتد إلى الطبقات العليا والسفلى. ويصاب الطفل بسببه بالحمى (التار: ج ٧) (٥٥) (المجلد التاسع عشر)

والاسهال ويكثر لما به ويتغير أو يتعذر إرضاعه ، وكثيرا ما يتقبح الشرج بسبب كثرة الاسهال

المعالجة — يجب تحسين صحة المنصاب بجميع الوسائل الممكنة. ومن أول ما يجب العناية به معالجة الاسهال. ويجب مسح واطفل بمحرقه مطهرة مخموسة في الماء البقيم أو في محلول البوريك، ثم يوضع في فم طفل نحو نصف ملعقة صغيرة من غلوسرين البودق مرتين في اليوم أو ثلاثا ، فانه قتل لهذا الفطر

الوقاية — يجب على الام أن ترضعها بعد كل رضاعة وقبله، وأن لا تضع شيئا في فم الطفل مطلقا الا اذا كان مطهرا بالقي أو غيره كأدوات اللب وكالحلمات الصناعية، كذلك لا يجوز مس فم بالاصابع الا بعد تطهيرها، وإذا كان الطفل ينفذ بنهر لبن أمه ويجب تطهير حلمامه أيضا بالتلي . ويجب المبادرة الى معالجة كل ما يفسد صحة الطفل كالاسهال أو القيء وغيرها

الارضة Tinea

تسمى الارضة بالافرنجية تينيا . وهي أنواع كثيرة تنشأ كلها من فطر يصيب الجلد . وهاء أشهر أنواعها : —

(١) الارضة المتنوعة الالوان [Versicolor] تصيب الجلد وتنمو فيه بالقرق والتدفئة، وهي كثيرة الحصول للذكور، ولا تصيب الا الاجزاء المغطاة بالملابس فيشاهد في الجلد بقع مستديرة سمراء مصفورة مرتفعة قليلا عن سطح الجلد وتمتد في اجزاء كثيرة منه، ولا يحدث منها ضرر سوى بعض أكلان

المعالجة — تكون بالاستحمام بالصابون (وأحسنه الفينكي) مع ذلك بشيء خشن ثم يدهن الجسم ببعض المرامم الكبريتية أو الزئبقية ولكن يلاحظ في المرامم الزئبقية أن لا يدهن بها سطح منسع من الجلد خوفا من التسمم. ويجب غلي الملابس وتطهيرها بعد الاستحمام وكذلك أدواته كالفوط وغيرها

(٢) الارضة الخائقة [Tonsurans] وهي تصيب رؤس الاطفال خصوصا الفقراء، وتنتشر في المدارس ونحوها باستعمال الامشاط والقبعات الملوثة بالفطر. وينشأ من

هذا المرض صلع بالرأس ويتعصف . أشعر المصاب ، وتكثر بالرأس القشور والحبوب .
وتطول مدة الداء ، وبعد عدة سنين يشفى من تلقاء نفسه

(٣) الأرضة الحلقية [Circinata] أنشاهد حلقات الداء غالبا في الوجه والعنق
والذراع ، وتكون الحلقات قرنفلية مرفعة قليلا عن سطح الجلد مغطاة بقشور رقيقة
(٤) الأرضة القننية [Sycosis] تصيب شعر اللحية على الأكثر ففسده

وتستطه وتلتبب الذقن بسببها ، وهي عسيرة الشفاء

وعلاج هذه الأنواع يكون بتف الشعر واستعمل النظافة التامة والتطهير بمثل
البود أو الكبريت أو مركبات الزئبق . وعلاجها بأشعة روتجن مؤكدة ففعه
سريع التأثير

القراع Favus

داء مشهور يصيب أي جزء من أجزاء الجلد خصوصا فروة الرأس . وينتقل من
شخص إلى آخر بالعدوى ، وقد ينتقل إلى الإنسان من بعض الحيوانات الداجنة كالقطط
والارانب والكلاب . وعلاجه يكون بالتف والتطهير وأشعة روتجن كما سبق .
وينبغي الاعتناء بصحة المصاب بإرشاده إلى القواعد الصحية ، وإعطائه الادوية
المقوية

مبايعة شريف مكة واميرها

على ملك العرب

جاء في جريدة القبلة التي صدرت ، كذا في : ان الحرم قائم هذا العام مانسه :
امتلات قاعات قصر الديوان الهاشمي العالي صباح أمس بمجاهد الاشرف
الكرام والعلماء الاعلام والاعيان المظام بحيث لم يبق في بلد الله الامين ذو حنية
ومكانة عالية الا وحضر هذا الاجتماع الفخيم ليعرضوا على جلالة سيدنا ومولانا
المعظم أمنية طالما تمنوا اظهارها من حيز القوة الى حيز الفعل ألا وهي اقناع جلالة

بقبول يعتمهم له ملكا على العرب ومرجما دينيا لهم ريثما يقر قرار العالم الاسلامي على رأي يجمعون عليه في شأن الخلافة الاسلامية

ولما غصت أنحاء القصر العالي بمحضرات الاعيان القادمين لهذا الغرض تشرف بالثول بين يدي جلالة سيدنا المظلم في غرفة أعماله الخاصة حضرة العلامة الورع الشيخ عبد الله سراج رئيس علماء بيت الله الحرام وقاضي القضاة ونائب رئيس الوكلاء الفخام وأبنا جلالتهم بحضور هذه الجماهير لمرض بعض المعروضات على مسامحه الكريمة ولما شرف جلالتهم قاعة الاستقبال الكبرى في الديوان الهاشمي العالي استقبل رجال الامة تلك الطلعة الهاشمية المقدسة بقلوب طافحة بالحب والاحترام والاحلال والاعظام . ثم تمثل حضرة العلامة قاضي القضاة بين يدي جلالتهم نائباً عن وجوه الامة كما هي عادته في مثل هذه المواقف من التقديم فرض على جلالتهم الغرض من تشرف المجتمعين بالوقوف بين يديه وأنهم قد كتبوا عريضة في هذا المعنى يريدون تلاوتها على مسامحه الشريفة فأجابهم جلالتهم بالكلمات الملوكة الآتية : « اني لم أكن أرى ضرورة شديدة لهذا العمل الذي جئتم من أجله وذلك لما أعلمه من نهوض بلادي بالامر الذي نهضنا به وشدة إخلاصها له وعضها عليه بالثواب ، ولم تنحصر هذه العوطف في بلادنا وحدها بل ان لعرب الشام وعرب العراق مثل ما لأهل بلادنا من الحرص على استرداد مجدهم وجمع كلمتهم . وقد وردت لي الرسائل من أعيانهم بذلك ، على أن هذا الامر الذي جئتم اليوم من أجله سينفي كل ما ربما يخطر على بال الذين يجهلون حقيقة أحوالنا من الخطاير البعيدة عن مبادئنا وشيئتنا وأصول ديننا وقوميتنا

« واقتي أقسم لكم بالله العظيم إنني لم أرد هذا الامر الذي تكلفوني به ولم يخطر على بالي عند ما قمت معكم بنهضتنا السعيدة ، ولكني رأيت كما رأيتم انا امام خطر عظيم وخطب جسيم ربما قفى علينا القضاء المبرم اذا لم نبادر الى ازالته »
وهنا ارتفع ضجيج الحاضرين بالدعاء لجلالتهم ، والالحاح بقبول الذي جاؤا لاجله ، فقال جلالتهم :

« انكم حملتموني أمرا أنا أعرف الناس بما يستلزمه من الجهد ، وطالما قلت لكم

اني واحد من جمهور الامة أبرم ما يبرمون من حق، وأرفض ما يرفضون من باطل، وأمد يدي لكل من يتفقون على اسناد أمرهم اليه على كتاب الله وسنة رسوله. وإذا كان لا مناص مما أردتموه فاني أشترط عليكم أن تعينوني على أنفسكم، وتساعدوني بأرائكم وأعمالكم في كل ما يحقق آمالنا وآمالكم من الخدمة العامة للعرب والمسلمين، واننا نستمع بالله تعالى في كل ما يحبه من قول وعمل وعليه الاتكال في كل حال، ولا اتمنى جلالاته من الخطاب الملوكي الذي كان يتخلله دعاؤ الناس وثناؤهم أخرج حضرة قاضي القضاة المريضة التي أشرنا اليها وأعطاهها لحضرة الشيخ عبد الملك مرداد ليتلوها على مسامع جلالاته وهذه صورتها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ملك الحق المين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الامي العربي سيد الخلق أجمعين ، وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الطيبين ، وسلم تسليما كبيرا أما بعد فان العرب المنزلة الرفيعة بين الامم لاهم في مقدمة الاقوام الساميين ، الذين نشروا في الارض حقيقة التوحيد وهداية الدين ، فدانت الدنيا كلها في كل أزمانها الى ما أراد الله أن يتمه على ألسنة أنبيائهم المعظم من الشرائع الالهية ، والسنن القوية والمحامد الاخلاقية والفضائل والكمالات ، حتى استنارت الامم بنورهم ، واحتدت بهديهم . ولقد فضل الله في كتابه الكريم ولد اسماعيل وآل ابراهيم على العالمين جميعا ، وانه قد ثبت في صحيح مسلم أن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفى من بني هاشم نبينا ونحرنا . وذرنا جدكم الاعظم المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم

فبعدكم الاعظم خرجنا من الظلمات الى النور ، وببيتكم الاقدس كان رشادنا بند الجبل ، وأن البيت الذي عدل بنا عن طريق النوايا الى طريق الهداية لا يزال ملزما بلمشعنا . وقويم أودنا ، واستلام زمام أمورنا ، مهما تحسنت من العناء لاجل هئائنا ، ومهما محسنت من الجهد لاجل سعادتنا ، وما كان لنا أن نلجأ لغير البيت الذي اختاره الله عز وجل ، ولأن نعطلي قوما غير الذين اصطفاهم لنفسه . وقد ثبت في صحيح

البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« ان هذا الامر في قريش لا يعاديه أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين »
وانه قال صلى الله عليه وسلم :

« لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم ^(١) اثنان »

فأنتم قريش بل أنتم الصفوة من هاشم ، وأنتا ندين الله تعالى يوم الواقعة الكبرى
بين يديه بأننا لا نعلم اليوم أميرا مسلما أتى الله منكم وأشدخوفا منه ونمسكا بأوامره
واقامة لشعاره قولا وعملا ، وأقدر على النظر في أمورنا بما يرضي الله عز وجل ، ونحن
الذين عرفناكم في أيام الرخاء وأيام الشدة وفي حالتي السر والعلن

وان حولكم أمة برعنت في أدوار كثيرة من أدوار التاريخ على انها عظيمة
المدارك ، عالية الهمة ، كثيرة الاقدام ، حازمة عادلة صبور ^(٢) رحيمة منصفة ، ولوان
صفحات التاريخ قدت من الوجود لكفى في الدلالة على عقلها لغتها التي حبرت
أسرارها العقول ، وآدابها التي هي خزانة المعارف ، وأشعارها التي نظمت لآلى الحكمة
في البوادي القاحلة أيام جاهليتها الاولى ، فضلا عما أقامت من معالم الحضارة في كل
بقاع الدنيا القديمة مما لا يزال أثره ماثلا للانظار

ان أمة كهذه أثبتت العلوم الحديثة أن تكوين دماغها وارتقاء عقلها لا يقل عن
مثله في أرقى الامم ، وبرهن تاريخها على انها أمة جد وعمل وتقن وحسن سلوك
ومكارم أخلاق ، تحفظ الجليل لمن يسديه اليها ، وتعرف معروف كل من له يد عليها ،
لهي أمة تستحق أن تنتشل من قيودها الثقيلة وتتغذ من وصاية فئة مسفاكة مخربة
جاهلة مفرودة ، ليس فيها استعداد فطري للتخلي بشيء مما تحلى به العرب من المزايا
والخصائص ، والأخلاق والفضائل ؛ وان من مظالم عصرنا الفادحة رضاء الامم بقاء
العرب محكومين لتلك الفئة الوضيعة التي تحتاج الى الحجر عليها ، لا أن تكون أمة
كأمتنا ذات مجد أثيل وتاريخ مجيد وآداب عالية وفضائل سامية راضخة لوصاياها خاتمة

(١) سقط من القبلية لفظ منهم . وفي رواية لمسلم : ما بقي في الناس اثنان

(٢) صبور يستوى فيه المذكر والمؤنث ولعله قال صبوراً للتناسب بين ما قبله

لجودها، حتى ذاقت صنوف النذل وأنواع الهوان باسم الاسلام الذي تنقص هذه الفئة كل يوم دعامة من دعائمه. وقد ورد من حديث جابر عند أبي يعلى بسند صحيح :

« اذا ذلت ^(١) العرب ذل الاسلام »

فنحن يا سيد العرب ومنتقد الاسلام من أيدي أعدائه المارقين، نحمد اليك الله الذي أعزنا بك، ونصر جند الله يركتك وروحانية جندك صلى الله عليه وسلم، وتتقرب الى الله سبحانه وتعالى بمحاربة من حاربك وموادة من وادك، وإن مودة آل بيت الرسول عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام هي الاجر الذي سأله على ما هدانا اليه من سعادتي الدنيا والآخرة حيث قال عز من قائل :

(قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) ^(٢)

فانهض ياسيدنا الى ما شاء الله أن يجريه على يدك من اصلاح شؤنا وولاية أمورنا نحن معانير العرب الذين يعاقبون آمالهم على اصلاح دينهم وديارهم على ثبوتهم صرير ملتهم

واننا نبايع سيدنا ومولانا (الحسين بن علي) ملكا لنا نحن العرب يعمل يتنا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وقسم له على ذلك بين الطاعة

(١) في جريدة القبلة ذل وهو غطاء فلفظ العرب مؤنث والرواية ذلت
(٢) جرى الشيخ حفظ الله مودته في هذا على قول مشهور في كتب التفسير وفي الآية أقوال أخرى أصحها ما رواه الشيخان والترمذي وأكثر رواة التفسير المأثور عن ابن عباس قال « لم يكن بطن في زمن قريش الا كان له فيهم قرابة فقال : الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة . وفسر ذلك في رواية أخرى بأن يحفظوا حق قرابته فيهم بنصره ومنعه ممن يؤذيه (ص) كما دلتهم في حفظ القرابة بدلا من إهدائه . وجعل بعضهم النصرة بالايمان به واتباعه ليكون بمعنى (قل لا أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) أي بطاعته كما قال قتادة وصرح بعضهم بان الاستثناء ، هنا منقطع وقد نفي زوال الأجر بغير استثناء في قوله تعالى (وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين) وقد حكى سبحانه مثل هذا عن المرسلين في هود والشعراء وغيرهما من السور

والاخلاص والالتقاد في السر والعلانية، كما اننا نعتبره مرجعاً دينياً لنا أجمعاً عليه ربنا
يقر قرار العالم الاسلامي على رأي يجمعون عليه في شأن الخلافة الاسلامية
نيابك على هذا يا صاحب الجلالة وقسمك بالله العظيم على طاعتك والرضا
بك والالتقاد اليك في السر والعلانية . ولك علينا في ذلك عهد الله وميثاقه ما أقت
الدين، واجتهدت فيما فيه صلاح حال العرب والمسلمين (فن نكت فانما ينكت على
نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً)

غرة المحرم الحرام سنة ١٣٣٥

ولما انتهت تلاوة العريضة أقبلت جماهير أهل الحل والعقد من الاشراف والعلماء
والاعيان وكبار التجار وسائر ذوي الحيات فبايعوا على ذلك بوجوه مستبشرة
وقلوب طافحة بالسرور . ثم تقدم حضرة الفاضل الشيخ فولاد الخطيب فبسط لدى
جلالته آمال سورية العربية وذكر أن أولئك الشهداء الذين سارت بذكركم الركبان
انما ماتوا من أجل الوحدة العربية ، ولتغنيهم في الدفاع عن شئنا هم الاسلامية ،
وقال ان سكان تلك الديار جديرون بأن يكونوا من جملة العرب المستقلين للمستعين
برعاية جلالة سيد العرب وملوكها . وبايحه بعد ذلك أسوة بسائر العرب على كتاب
الله وستة رسوله

ثم تقدم حضرة الشيخ عبد العزيز مرداد فدعا لهذه الدولة بالعز والسؤدد والارقاء
والفلاح بناية سيدها ومتقدها جلالة ملك البلاد العربية ، فأمن الحاضرون على
كل جملة من دعائه

وقبل انقضاء هذه الحفلة الكبرى بفضل جلالة سيدنا الملك المعظم فأجاب
استرحام القوم بتعميم البيعة في المسجد الحرام في وقت مخصوص سنمّن عنه في العدد
القادم . وذلك اكراما لخواطر طبقات الشعب الذي أظهر الرغبة بالاشتراك مباشرة
مع من قام عنه بالبيعة وناب منابه في أداء واجباتها

وفي آخر الحفلة تلا حضرة الشاعر الاديب الشيخ عبد المحسن الصحاف خطبة
أنيقة بصوت جهوري وأتبعها بقصيدة غراء تناسب المقام اه

[المنشأ] ان سبق أهل العلم والمكانة والرأي في مكة المكرمة الى هذه المبايعة

وما تلاها من مباينة وفود سائر بلاد الحجاز الذي فصلت خبره جريدة القبلة في عدد آخر مبني على ثلاثة أسباب (١) اعتقاد ان فئة الاتحاديين الملحقة بالباغية قد تغلبت على الدولة العثمانية بقوة الثورة والاعتماد على الالمانيين العالمين في البلاد ويضع الدولة تحت وصايتهم حتى لم يد سلطان أدنى استقلال في حكم ولا رأي (٢) ان اعتداء هذه الفئة الباغية على العرب ومحاولتها اهلاكهم كما اهلكت الارمن بضوا فيهم وفي دينهم وامتداد بنفها من الشام الى الحجاز وما ترتب عليه من الحصر البحري قد اضطر أهل الحجاز الى إعلان الاستقلال التام كما بيناه من قبل ، وذلك لا يتحقق الا بمباينة الامة المستقلة لحاكمها أو بتقليه هو عليها بالقوة وحكومة الحجاز من النوع الاول المشروع (٣) ان صاحب الحجاز وأهل الرأي فيها يائسون من بقاء استقلال الدولة العثمانية، ورازمون بأنها اما ان تكون تحت سيطرة الالمان القاسية واما ان تنحصر سلطتها في بعض ولايات الاناضول، فبينا وجب على العرب أن يسارعوا به الاستقلال بما استطاعوا من بلادهم الى تعيين شكل حكومتهم المستقلة ويطلبوا الدول الحليفة لهم بالاعتراف باستقلالهم قبل عقد الصلح لئلا تقدم الدول من أتباع الترك. ونحن قد بينا رأينا في هذه المسألة في خطبتنا التي ألقيناها بين يدي الشريف الاعظم وعلى منبر كبيراء الحجاز والحجاج في منى وسنشرها في المنار

﴿ مباينة وفود الاقطار الحجازية ﴾

جاء في العدد الرابع والعشرين من جريدة القبلة الذي صدر في ١٠ المحرم
ماله :

« شهدنا في صباح أول أمس. جموع العرب من سلاسل مضر وريضة وقضاة وقحطان، وأخوانهم من مختلف الامم والاطقان ، يهرعون من باب الصفا الى بيت الله الحرام ألوفا بعد أوف، ملين دعوة دينهم وبقينهم ، ومحيين نداء وجداناتهم وضائفهم ، في تقليد أموم لاقدر المسلمين على القيام به

« ولما كانت الساعة الثانية عرية كان جلالة الملك المعظم قد جاء من القصر

(الكتاب ٧٩٩م) (٥٦) (المجلد التاسع عشر)

الموكي الى مدرسته. الملاصقة لبيت الله الحرام فدخل اليه منها يحف به آل البيت
الاطهار ، وعلماء الشريعة الابرار ، ووجوه الامة الاخيار . فتحت المجموع العظيمة لقرة
عينها ، وسبب عزها وسعادتها ، وحينئذ أعطى حضرة العلامة صاحب المالى قاضي
القضاة ونائب وكيل الوكلاء عريضة أهل الحل والعقد لحضرة الفاضل الشيخ عبد
الملك الخطيب ليتلوها على سامع من لم يسمعا من جمهور الامة فيكونوا على بينة
بما تضمنته من الحقائق الدينية والدنيوية ، فسمع حضرة الخطيب على دكة أقيمت
أمام رواق الحرم الشريف وقرأها على الجماهير فقابلوها بالجلل والجلور والفرح
والسرور . ثم أقبل حضرة قاضي القضاة على يد حضرة صاحب الجلالة الهاشمية
ملك البلاد العربية قبايحه بالصيغة التي نشرناها ضمن العريضة في العدد الماضي من
القبلة^(١) وتبعه حضرات الاشرف والسادة ورجال الدولة والعلماء والاعيان ووفود البلاد
فجماهير الامة على اختلاف طبقاتها . وكان رجال الشرطة يحافظون على النظام بكل
دقة وأتباء . وقد رأى حضرة قاضي القضاة بعد أن تشرف بضمعة أوف من الناس
بشرف المبايعة السعيدة أن الوقت لا يتسع لاستمرار الألوف الكثيرة في ذلك فطلب
منهم أن يجهزوه في أخذ البيعة عنهم فأجازوه اجازة اجماع عام مطلق ، فبايع عنهم على
مسمع منهم ، ثم صعد حضرة الشيخ عبد الملك مرداد على الدكة فدعا بدعاء يبلغ
خشيت له القلوب وأمنت عليه اللسان . وعند ختام الدعاء عاد جلالة ملكتنا المحبوب
الى المدرسة فلبث فيها برهة ثم صار موكب الفخيم الى الديوان الهاشمي المالى وجماهير
الامة تهتف له بالنصر والفرح والتأييد ، وتلاميذ المدارس مصطفة تحت الاعلام العربية
المنصورة تشد أناشيد الحماسة والاستبشار بالمستقبل الباهر السعيد . ولما وصل الموكب
الفخيم الى القصر الموكي المالى أقبلت ألوف الناس من العطاء الاعيان والتجار
ومن في طبقتهم للشرف بالاعتاب الهاشمية . وأخذ الخطباء والشعراء يقارون في بيان
عواطف الامة بهذا العيد الاعظم للعرب والاسلام .

[المئزر] قد نشرت جريدة القبلة ما وصل اليها من تلك الخطب والقصائد
فاستغرق السدد كله . وقد ذكرت أسماء أشهر رجال الوفود من جده والطائف

وغيرها . وقد علمنا أن كثيرا من زعماء العرب وفضلائهم في الجزيرة ومصر قد رفعوا الى ملك الحجاز رسائل الثنائي بالبرق وبالبريد

احتضار سورية

— شهادة جريدة المانية —

ترجم أحد مراسلي الجرنال دي كير في جنيف مقالة نشرتها جريدة المانية في زيورخ — هي (نيوزدريغزيتونج) — في ١٢ اكتوبر الماضي وصفت فيها شقاء سورية ويأسها أو اليأس منها، وأتت تنشر ترجمتها بالعربية قلا عن جريدة الاهرام الصادرة في ٣٠ المحرم لان شهادة الالمان في هذه القضية — وهم أعوان الاتحاديين على تغيير العرب كالارمن — لا تنجح بالكذب ولا الغلو كشهادة غيرهم . وهذا نصها : « ان الجرائد السورية التي يرقبها الالمان رقابة شديدة صارمة نصف تعاسة تلك البلاد وشقاءها المر المفسر للاكباد ، فاذا ضربنا صفحا عن قتل الحرب وجرحاها نجد ان الجوع والابوة كالكلوا والطاعون والتيفوس الخ قد أفتت عشر الالهالي ملكيين وعسكريين

« قسورية الموضة لكل هجوم برأ وبحراً والمتصلة بالآستانة بخط حديدي واحد وهو خط « حلب — أطله » تحملت من ويلات الحرب ما لم تتحملة بلاد أخرى محاربة وإن لم تكن سورية مبدأنا للقتال ولم تر المعارك الدموية الا في حدودها الجنوبية ، وهذه المعارك التي جرت لم تغير شيئا من حالة قناة السويس ولا حالة الحرب بوجه من الوجوه وحال من الاحوال

« ولا يذكر التاريخ ان هذه البلاد رأت من النواثب والبلايا منذ غزوها للمول^(١)

(١) هم التتار السلف الطالح هؤلاء الاتحاديين الذين تهمتهم جميعا منهم الداعية الى النصيب التركية الطورانية حتى صاروا يدعون بالجنكيزيين نسبة الى جنكيز خان الطاغية الملعون الذي دفع قومه الى تدمير بلاد الاسلام ومحو المدينة العربية

الى اليوم بما رآه في هذه الايام . فكثير من الارض لم يزرع والمحصول لا يكفي لسكان

« وفي شتاء عام ١٩١٥ قبل بعض السوريين المسلمين والمسيحيين بعض الجهد ليخلصوا من الحكم التركي الذي يهكمهم ولكنهم لم يفلحوا وكانت النتيجة انهم ذهبوا جميعا (يدرك القارئ أن الجريدة الالمانية تريد أن تبهر القبح بزعمها ان انكساراً ثاروا على الحكومة مع ان الحكومة التركية لم تقل ذلك)

« و زاد في فناء الاحالي واستنصالحهم الجوع والمطعون وسعت السلطة العسكرية أن تمنالج الداء (١) ولكن العلاج جاء متأخرا وبعد فوات الوقت فلم يكن بالإمكان استخدام دواء ينفع ويقيد . وفتحت في القدس ودمشق وبيروت وباقا قاعات قشاي^(٢) جل فيها عن الشاي والجزء والماء الساخن قليلا أو بلائمن الفقراء والباثسين . وتألفت جمعيات لقيام مقام الابطاء في معالجة المرض وتنظيف المنازل والحارات والشوارع وعزل المرضى وتوزيع الادوية التي يستطيعون الوصول اليها .

« ولكن المستشفيات العسكرية ذاتها ليس فيها أضددة ولا موازين لقياس الحرارة ولا أبر للحقن ولا غير ذلك مما يحتاج به المرضى . ثم ضاقت الادوية وجعلها عامة شاملة للجوع والضعف . وقد كانت عائلات كثيرة تسقي حياتها بضعة ايام بقشور الليمون والبطيخ والطالم الى أن يمرضوا جميعا وتبينهم احدى جمعيات البر

« وقد صدق أحد مراسلينا في القدس بقوله « ان اورشليم المقدسة تقرض الآن للمرة الثالثة ولكن اقراضها في هذه المرة هو آثم منه في المرتين السابقتين »

« والحكومة الحالية التي هي ليست مسؤولة كل المسؤولية عما هو واقع (١) تبذل الآن ما يوسعها لتدارك هذه الحالة (٢) ويحاولون جمع الناس من جميع المذاهب والجنسيات وقد أجهل الناس جميع فروضهم الدينية خوفا على حياتهم كصوم رمضان عند المسلمين وصوم الصيف عند اليهود وكذلك صلات المسيحيين

« وتجتهد السلطة العسكرية في ان توزع الحبوب بالتسوية والعدل والمساواة بين المدن والقرى وتمنع الناس من تخزين الاقوات حتى لا تصعد الاسعار . ووزع جمال (١) لعل الذين قصحوا هم اليهود لأن أكثر السكان منهم أو الجمعيات الخيرية

باشال حديثاً على قراء دمشق بعض الاكل ولكن الجوع والضيق في المدن الكبرى في حال هائلة لا يستطيع قلم الكاتب وصفها وتصويرها لقارئ

« فلا يمكن بحال من الاحوال ان تحول هذه المسكنات الوقفية التي يعالجون بها تلك البلاد دون احتضار الموت والنزع الاخير. فسورية هالكة مائة لاحالة ، ولا مرد لهذا القضاء عنها ، وسواء بقيت يد دولتها أو صارت الى يد دولة أخرى فان يشأ من مدفنها أمر مستحيل » .

[المبدأ] هذه شهادة الامان لخلقهم بل عليهم . والتبعة والمسئولة في هذه الجنايات الفظيعة على هذا الشعب العظيم ليست كلها على حكومتهم الطاغية الباغية وحدها وان كانت أهلك الحرث والنسل عددا ، بل يقع سهم كبير منها على استاذتها ألمانية التي علمتها كيف تأخذ من البلاد جميع الرجال القادرين على العمل والصالحين للنسل من سن البلوغ الى سن الشيخوخة وتستعبد بهم في أشق أعمال الحرب — وكيف تأخذ ما تنتجها لارض بسمل الشيوخ والنساء والاولاد لسلطة العسكرية مصادرة ونهبها ، ولم تعلمها ان تبقي للاهالي الضعفاء الباقين ما يسد رمقهم وان توزعه عليهم كما توزع هي الاطعمة في بلادها ورضيت منها بالفظائع التي لا تحتاج فيها الى تعليم لانها غريزة ورثائية فيها قتل العلماء والكاتب ورجال الادارة حتى لا يبقى في البلاد من يعرف مصلحتها ويطالب بها ، وكفني ارباب البيوتات ونهب أهوالهم حتى لا يبقى في البلاد غني يلجأ اليه الفقراء والباثسون في وقت الضراء . ولماذا يموت السوريون جوعا ولم يمت أحد من الامان جوعا وغلات سورية أكثر من حاجتها وغلات ألمانية دون حاجتها ؟ ولماذا تقطع الغلات المائية الفيافي والقفار والجبال والبحار حتى تصل الى ألمانية في قلب أوربة وأهلها يموتون جوعا ؟ ولما نستنزف ألمانية قوة الدولة العثمانية وثروة شعوبها ونسخرها كلها لخدمتها في هذه الحرب ولا نتجود عليها بالادوية التي تعالج به مرضاها وعندها من الادوية ما يكفي أعما كثيرة ؟ ألا ن تذكر الصحف الألمانية سورية بالرائء ، والاعتذار عن أحلافهم السفهاء ؟ أمثل هؤلاء الملاحظة الكثرة الفجرة تريد أن تجذب اليها العالم الاسلامي الى الاتحاد بخدمتها ؟ لقد صدق من قال أن الامان اقتنوا جميع العلوم والفنون ، الاجل طباع الامم واخلاق الشعوب .

باب الشعر والادب

متى يذكر الوطن النوم

للشاعر الاجتماعي السوري المقيم في امريكة وقد نشرت في صحفها الشهيرة

جلست وقد جمع النافلون	أفكر في أمسنا والغدر
وكيف استبدّ بنا الظالمون	وجاروا على الشيخ والامرد
نقلت اللواصع بين الجفون	وأنت جهم في مرقدي
وصاق الفؤاد بما يكتم	فأرسلت العين مذارها

.....

ذكرت الحروب وويلاتها	وما صنع السيف والمِدفع
وكيف تجوز على ذاتها	شعوب لها الرتبة الارتفاع
وتخضب بالدم راياتها	وكانت تدمم الذي تصنع
قبأت بما شيدت تهتم	صروح العالوم وأسوارها

.....

نساء تجود بأولادها	على الموت والموت لا يرم
وجند تنود بأكيادها	عن الأرض والأرض لا تعلم
وتغزو الطيور بأجسادها	فان عطشت فالشراب الدم
وفي كل منزلة مأتم	تشق به النيد أزارها

.....

لقد شيع الذئب والاجدل	واقفرت الدور والاربع
-----------------------	----------------------

فكم يقتل الجحفل الجحفلُ ويقتك بالاروع الاروع
ولن يرجع القتل من قتلوا ولن يستعيدوا الذي ضيعوا
فبئس الألى بالوغى علموا وبئس الألى أججوا نارها

.....

أمن أجل أن يسلم الواحدُ تآلُ الدماء وتقى الالوف
ويزرعُ أولاده الوالدُ لتحصدّم شفرات السيوف
أمر يحاوُ بها النافدُ وتدمي فؤاد اللبيب الحصيف
فيا ليت شعري متى تفهم معاني الحياة وأسرارها؟

.....

وحولت طرفي الى المشرق فلم أر غير جبال الفيوم
تحول على بدره المشرق كما اجتمعت حول تسمى النجوم
فأسندت رأسي الى مرقعي وقلت وقد غلبني المهوم
يربك أيها الانجمُ متى تضع الحرب أوزارها؟

.....

كما يقتل الطير في الجنة ويقتنص الظبي في السبب
كذلك يجنى على أمتي بلا سبب وبلا موجب
لخام توخذ بالقوة ويقتنص منها ولم تذب
وكم تستكين وتسلم وقد بلغ السيل زنارها

.....

وسيت الى النظم سوق الدّم مناوئرها ورجال الادب

وكل امرئ لم يمت بالخنزم فقد قتلوه بسيف السنب^(١)
فما حرك الضيم فيها التسم ولا رؤية الدم فيها النضب
تبدلت الناس . والانجم ولا تبدل^(٢) أطوارها

.....

أرى الليث يدفع عن غيخته بأنيابه وبأظفاره
ويجتمع النمل في قريته اذا خشي القدر من جاره
ويجشئ الهزار على وكتته^(٣) فيدفع عنها بمنقاره
فلا الكامرات ولا الضيغم ولا الشاة تمدح جزأرها^(٤)

.....

عجبت من الضاحك اللاعب وأهلوه بين القنا والسيوف
يبيتون في وجل ناصب فان أصبحوا الجأوا للكهوف
وممن يصفق للضارب وأحابه يجرعون الختوف
مى يذكر الوطن النوم كما تذكر الطير أوكارها



(١) الخنزم وزن كصف السيف القاطع من الخنزم وهو التقطع بسرعة وقطعه بوزن ضرب يضرب . والسنب الجوع

(٢) لو قال تبدل بنون التوكيد لاستغنى عن ضرورة رفع الفعل المنجزوم . والانجم في البيت اما الكواكب وصفها بالتبدل مبالغة أو انواع النباتات الذي لاساق له (٣) الوكنة بالضم عش الطائر (٤) يشير الى بعض المناققين الذين يمدحون هؤلاء الخمرين ويستندون عن فظائهم

بسم الله الرحمن الرحيم
والله اعلم بالصواب

المسحاة

١٣١٥

بقي الحكمة من يناله ومن يزل الحكمة فقد
أوفى غيبا كثيرا وما يذكر إلا أوفى الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « متارا » كثر الطريق

٢٩ ربيع الاول ١٣٣٥ — ٤ الدلو (ش ٢) ١٣٩٥ ش ٢٤ يناير ١٩١٧

رحلة الحجاز

(تابع لما في الجزء الخامس)

ضربت وزارة الداخلية يوم السبت الخامس والعشرين من شهر صفر (الموافق لأول میزان ٢٣ سبتمبر) موعدا لسفر ركب العمل المصري من القاهرة الى السويس وأذنت مريدي الحج بأن يكونوا قبل ذلك اليوم في السويس ليأخذوا فيها أهبتهم ويقبضوا أمكتهم من الباخريين الذين أعدتها لحلمهم الى جدة. وينا أنا منهمك في الاستعداد للسفر بشراء ما ينبغي شراؤه وترتيب ما تقرر رحله، واعداد ما تحتاج اليه الدار، وإدارة المنار، خطر في بالي أن أكتب رسالة في مناصك الحج أين فيها أحكامه وحكمها بعبارة سهلة مأخوذة مناصح في السنة، وأن أطبعها وأحلبها معي هدية للحجاج الذين أصبحهم وأقامهم. فترعت في ذلك وقت الظهر من يوم الاربعاء فكتبت أكتب عدة أسطر ثم أترك الكتابة عدة دقائق للاشتغال بشيء ضروري. ثم انني اضطررت

الى ترك الكتابة من ظهر يوم الخميس الى ضحوة يوم الجمعة، ثم قضيت أصيل ذلك النهار وغسق الليل خارج المكتب والدائر، فتمتد الجم بين اكل الناسك والسفر في يوم الجمعة فأكلت كتابتها في هذا اليوم (الجمعة) فكانت أكثر من كراستين وقد ضاق الوقت على طبعهما قبل السفر، اذ تعين أن يكون آخر موعد له قبل الظهر بساعة من يوم السبت، فاضطرت بعد جمع حروفها ليلا الى اختصار الاولى بالحذف من عدة مواضع منها، وعلبت بعد ان نمت فلم أتمكن من تصحيحها، فلذلك كثرت أغلاطها، وتضر على المطبعة أن نجهز لنا ضحوة السبت جميع النسخ فاكثفنا بحمل مئات منها ركبنا القطار الحديدي مع السيدتين والدة والشقيقة قبل انتهاء الساعة الحادية عشرة من يوم السبت بوضع دقائق، وكان ركب المحمل قد سافر في قطار خاص في أول هذا اليوم، وودعنا في المحطة الاهل والاخوان، وخاصة من علم بموعد سفرنا من اطلاق، وقد كنا بلونا لوعة الوداع بتعدد الافار، وكان أشعها وداع والوالدين والاقربين والاصدقاء عند الهجرة الى هذه الدبار، ولكنني لم أذق قبل هذا اليوم لوعة توديع اهل والاولاد لانني لم أكن في حال سفر من أسفاري السابقة زوجا ولا والدا.

﴿ نبذة فلسفية شرعية في الوداع وما فيه تهذيب الطباع ﴾

قرأت قبل سفري الاول كثيرا مما قال الادبا- والشعراء في الوداع، وحفظت من أشعارهم ما لايسهل علي أن اتذكره الآن، ولا أحب أن اشغل بالتظويل في هذا الموضوع قراء هذه الرحلة، ولا أن أترك الالام به وهو من أهم مسائل علم النفس التي تنيد بصيرة في علم التربية.

إنني عند وداع والوالدين وذوي القربى والاصدقاء في سفر الهجرة الى مصر وجدت في نفسي وفيمن ودعت منهم مصداقا لقول الشاعر :

لو كنت ساعةً بيننا ما بيننا ورأيت كيف 'نكرر' التوديعا
لرأيت أن من الدموع محمداً وعلت أن من الحديث دموعا

فقد كان الحديث للدموع وحدها لأن لسان الفم حيس فخرس، ولسان العينين انطلق بالكلام المنسجم، وقد كتبت الى بعضهم بعد الوصول الى مصر عبارة شرعية كنت شمرت بأنها حقيقة وجدها في نفسي، وهي أنني وجدت وجد المودع

ولوعته يساويان وجه جميع من ودعوه وإن كثروا لأن كل واحد منهم فارق محبوبا واحدا وهو قد فارق أحبابا كثيرين يجد في نفسه من الألم لفراق كل منهم مثل ما يجده ذلك الفرد لفراقه هـ : "صواب أن لكل نوع من أنواع الوجدان والشعور حدا يختلف باختلاف أمرجة الناس ويتفاوت في الأفراد بفارقت به يثيره في قلوبهم ، ولو أمكن أن يوضع للأدراكات النفسية موازين كوازين الحرارة والرطوبة والقلل لعلمنا بها أقصى حد لألم الفراق في نفس العاشق الواله ، وفي نفس مثل الزوج : لوادة والوالده وهو إنما يبلغ حده الأقصى إذا كان الفرق بعيد الشقة ، أو عرضة للهلاك : شدة المشتة ، كسفر ابن زريق من بغداد إلى المغرب في ذلك العصر ، فهو لولا الخوف من الفراق الأبدي لمن أحب لما قف في دأبه يومئذ قول العاشق المثل لما في قواده ، لا قول الشاعر المصور لما في خياله :

ودعه وبودتي لو يودعني طيب الحياة وأني لا أودعه
كم قد تشفع بي ألا تفارقه والغرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث في يوم لرحل ضحي وأدومي مستهلات وأدععه
لا أكذب الله ثوب العذر ، نخرق هني بفرقه لكن أرقعه

ذلك بأن وداع الأحباب عند سفر قاصد (قريب) إلى خير مرجو في حرم آمن ، ليس كالوداع في سفر بعيد يضعف فيه الأمل ، فيما يثيره من الوجد والألم . بل أقول إن النفس تهوى بعض الآلام الحسية ، وتجذبها لها فذة خفية ، كأنه العاشق المستكة في هجر محبوبه يياه هجر دلال أو هجر أمل ، بما فيه وما يتلوه من تهييج عواطف الحب والوجد والاشتياق ، الذي يشبه نكد الذهب واتعابه في حل المسائل العلمية العويصة ، أو اجهاد البدن في بعض الأعمال الواجبة أو الرياضات المستحبة ، في أن كلّا من ذلك جامع بين الألم والفذة : أو بما يترتب عليه من فلة الشكوى والتألم كآفة على بنت المهدي وأعذب أيام الهوى يومك الذي ترؤّع بلعجران فيه والتعب إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضاء فأين حلاوات الرسائل والكتب وإذا كان لكل شعور ووجدان نفسي غاية وحد فسواء كان السبب الذي يبلغ به متعته واحدا أو متعددا ، وإذا كان التلذذ في حب الولد أو العشق أو غيرها

من شأنه ان يترتب عليه بلوغ تلك "غاية وهو قلما يكون الا في حب الآحاد من الاولاد والاحباب فان الحب المتفرق على المحبوبين المتعدد من جنس واحد كالاولاد أو من عد أجناس لا يكاد يكون الا دون الحد الاقصى - اذا كان ما ذكر كما ذكر وهو ما نره - فذلك القاعدة الشرعية التي كنت كتبها لاتصدق بالاطراد بل الاكثر أن لوعة الفراق المتفرقة على الكثيرين تكون دون اللوعة المتصورة على الافراد هذا وان سفرنا الى الحجاز سفر قاصد لا داء فرض لازم في عام يقل فيه عدد الحجاج فتسهل فيه مراعاة الحكومة لصحتهم والبلاد سالمة من الاوبئة فالرجاء قوي بأن تؤدي الفريضة فيه بالسوية في مدة شهر واحد ، فراق الاهل والصحب في مثل هذا السفر ليس من شأن وداعه ان يشتر متعيا الاشجان ، وينطق الدموع ويخرس اللسان ، وناهيك بمن كان مثلي مسافرا مع أشد الناس حبا له - والدته وشقيقته ، ومكدغ الناس بعضهم بعضا في مثل هذه الحال صاحبين مسرورين ، وكذلك ودعنا الاهل والاصدقاء في محطة مصر ودخنا القطار ، ولما وقفت في النافذة وقدم الي محمد شفيق ودُعي لاجل القبة الاخيرة ، اضطربت عاطفة الابوة في جميع أعماق النفس ، فاضطربت لوعة فراقها في سويداء القلب ، ففاضت العينان ، واحتلت اللسان ، وخافني تلك الارادة التي كنت أكبر بها الاشجان ، والمزمنة التي تعودت أن أملك بها أزيمة الوجدان ، حتى عند الصدمة الاولى بموت الاخوة والاخوان ، وما ذاك الا أن ألم توديع الاولاد مشوب بلفظة ، لاتستجيع لمة ومته كل قوة الارادة ، وألم مثل تلك الصدمة ، هو الذي توجه لاحتماله كل العزيمة

تذكرت في هذا المقام ما قاله صديقنا عبد الحيد الرفاعي شاعر طرابلس الشام في توديع أولاده عند سفره الى الآستانة ، وهو قوله من قصيدة :

لست أنسى ساعة الين وما	هي الافك روح من جسد
ومت فيها العبر لكن لم أطق	وحبست الدمع لكن لم يكد
ويروحي غرأ قبلته	لجين الحسن منها مستمد
من صغار كاللاكي للجبحت	منهم اللبني والجفن الطرد
بعضهم أبكاه مرأى من بكى	ليس يدري قط ما اليوم وغد

والذي لاح له معنى النوى أطبق الدرع عليه فارتعد
 هل سمعتم بالقومي عاشقاً أنس الطيبي به وهو شرد
 ليتني فارقت عيني والخشا قبلما فارقت أهلاً وولد
 أودعوني عند ما ودعهم حسرة كانت من الموت أشد
 كلهم يشدني قرب القفا حاسباً للعود أياماً تعد
 والذي لا يعرف النطق غداً نطقه الإيما بمين أو يعد

وما ينبغي وبين هذا الصديق إلا أن سفري خير من سفره ، ولدي أصغر من ولده ، فقد كان بعض ولده يفهم معنى الفراق والسفر، فعسى لم تكن أنمت السنة الثالثة وشفيح كان في أول الشهر الخامس عشر، وكان سبب سفره أن الشيخ أبا الهدى الشهر غضب عليه غضبة مضرية ، قطعت عليه موارد الرزق بمنزله عن أعمال الحكومة ، فرحل الى الآستانة يستعطفه ويسترضيه ، عسى أن يمود بجاهه الى عمله أو عمل يفوقه أو يدريه ، معلق القلب بين الفوز بالأمل، وبين الخزي والفشل ، لا يدري أيود كما رجا أهله بعد أيام تعد ، أو بعد شهور أو سنين لا تعد ، حسب القاعدة المطردة في كل عمل يطلب من حكومة الآستانة، فأين السفر الى تلك العاصمة، لطلب الرزق من أولئك الباخلين الخلفين؟ من السفر الى مكة المكرمة، لطلب المغفرة والرحمة من أرحم الراحمين ؟ لقد كان ذلك الشاعر جديراً بأن لا تعود اليه السكينة ، الا بعد أن ينقلب الى أهله بما يرجو من الوظيفة ، وأما هذا الكاتب فقد عادت اليه سكنته بعد سير القطار بساعتين، وأما كان يفكر أحياناً بما يرجو من الاهتمام بصحة ولديه في غيته ، واستشارة الطبيب حتى عند الحوادث التي لم يكن يستشير في مثلها ، وقد ضعف التفكير في ذلك وفي غيره من أمور الدنيا منذ الاحرام الى التحلل التام منه بأداء المناسك كلها ، حتى كأن الانسان يدخل بمجرد الاحرام في عالم آخر

والعبوة فيما يتيه من فلسفة الوداع أن تذكر القارىء بأن الله هو أول فوائد السفر الملهمة للنفس ولا سيما نفس الوالد، وقد فغل عنها من حصر ذلك في خمس فوائد .
 واتي رأيت بعض من آثار العزبة وبعض من حرم النسل يظنون ان الولد من منقصات المشي في الدنيا، لأن غبطة النفس به، وقررة العين برؤيته، ولذة الأمل بطول عمره وحسن

مستقبله لا توازي آلام وداعه عند السفر، والخضر عليهم الموت أو المرض والضرر، دعهم الولد في تريته وتطيعه في حياته، والخوف من سوء حاله بعد مماته ولا سيما إذا كان قليل المال، وكثر عليه العيال. وما هذه الفنون، إلا من أوهام الكسالى والمهرولين، إلا أن عدم اقدام قاصد المال أو قبله على الزواج، له وجه في هدي الشرع وآراء الناس. وأما ما يدخل في موضوعنا منها وهو لوعة الوداع ومرارة الفراق، وما يتلوهما من حرارة الاشتياق، فهو من أعظم فوائد نعمة الاولاد على الوالدين في تهذيب أنفسهم، وتثقيف عواطفهم، وإعلاء همهم، وتقوية أريحياتهم، وهي على ما فيها من الفوائد، حلوة العظم في ذوق الولد، كما يستحل العشاق فحفي الحبيب، ويقولون ضرب الحبيب زيب، ولوقيل للمشتاق أحب أن تخذ حرارة هذا الشوق في قلبك فتسبي لا تذكر من تشتاق ولا نحن إلى لقاءه - لقال لا، وفي معناه قول قيس العامري :

وقالوا لو تشاء سلوت عنها قللت لهم وأني لا أشاء

ذلك بأن ما يهيج الوجد مما ذكر يشبه ثبات اللحن، المثيرة للاشجان، والمحرقة للاحزان، على شهاد الحق في سبيل الايمان أو الاوطان، الحافزة الى الاخذ بثأرهم والرجعة في اقتفاء آثارهم، وهي مما يرغب فيه الفضلاء، ويبحث عليه الحكماء، وان بكاء الفراق، الذي يرجى بعده التلاق، كالبكاء من خشية الله عز وجل بحسبه من لم ينق طعمه عذاباً وألماً، وما هو الا نعيم وغبطة، ولذلك قال من ذاق ف عرف: أهل الليل في ليهم، أطيب نفساً من أهل النهي في لهم. وقال بعضهم: لو يعلم الملوك ما نحن فيه لقاتلونا طيلة بالسيف. ولا تكل تربة أحد الا يركوب الصماب وحمل الآلام والاعمال وأبعد تلك الفنون بل الوساموس عن الخنقة وأوقلها في الوم ما توسوس به النفس لبعض المهرولين: ان خوف الوالد أن يموت قبل أن يرشد ولده ويستقل بنفسه في معيشته، أو يكون له مورد واسع من الرزق يمش به، ينقص عليه غبطته وسروره بوجوده. وقد سمعت مثل هذا ممن يمد نفسه ويده بعض الناس من علماء الاخلاق، وما هو الا من أسرى الوساموس والاوهم، فان تفكر الناس في مستقبل اولادهم من بعدهم أو احتمال موتهم من قبلهم، ما كان لينقص عليهم هئاهم وغبطتهم بهم، الا من شذ من غلاة الموسوسين، الذين وصلوا أو كادوا أن يصلوا الى درجة

المجاهدين، وكل نعمة يخولها هؤلاء تكون عليهم قعة بجرمونة وجودها، ويمذبون بثوبهم قفدها، وأحياناً حدوث مصاب بسببها، ومن غلاة هؤلاء المساكين ذيك الجن الذي قتل وصيفه ووصيفته لأشدداد شغفه بهما وخوفه أن يموت ويتبع بهما غيره، ويقرب منه ذلك العاشق المنسكين، الذي خلق من ماء الدموع وصلصال الانين، لامن الماء والعطين، فاستوى عنده القرب والبعد، والوصل والصد، فهو يبكي من يحب في كل حال، كما وصف نفسه قال:

فأبكي ان فأوا شوقا إليهم ^ب وأبكي ان دنوا خوف الفراق

انتاهد توديع من ذكرنا وكنا وحدنا في مخدع من مخدع مركبات الدرجة الاولى من القطار الحديدي، ولكننا لما انتقلنا مع سائر الركاب في الاسماعيلية الى القطار الآخر أفتناه قطاراً رديئاً وقد اكتظ بالجنود البريطانية حتى ان المخدع الخاصة بالنساء المحدثات لم تكن تحظ منهم، فاضطرت الى وضع السيدتين في مخدع منها رأيت فيه مواضع لي ولهما، وإنما بأننا لانرى من هؤلاء الجنود ما نكره، وكذلك كان وقف المحمد، وآداب الجنود الانكليزية تخلص مرفوعة عند جميع المصريين يندر أن يرى أحد من سكران منهم تعدياً او اساءة فكيف يكون ادبهم في حال الصحو؟ وقد وقف القطار في محطات جديدة كثيرة خاصة بالجنود المسكرة على جانبي الطريق قريبة من الخط الحديدي او بعيدة عنه، وبسبب ذلك يتأخر القطار قليلاً عن مواعده المتعاد

وصلنا الى السويس قبل المغرب وكان قد سبقنا إليها امس مع جواهر الحاج المصريين محمد نجيب افندي المماون في مديرية الجيزة وهو صهرنا على بنت اخي، والشيخ خالد العشبندي، فكانا رفيقين لنا في السفر في كل حل وترحال، وكل منزل من منازل الحاج، وقد بننا تلك الليلة في دار اختارها لنا الرفيقان من دور الاهالي التي يأوي إليها الحاج في هذه الايام، وهم يتقاضون من الاجرة في كل ليلة فوق ما يمهّد في الفنادق الكبيرة التي تهوّلها خدمة ونظافة، وكذلك اصحاب المركبات في السويس يزيدون أجورها على الحاج اضعافاً

وفي ضحوة اليوم التالي ذهبنا الى مكتب الصحة لاجل ما فرضته الحكومة على كل حاج من تلقيح أطباؤها إياه بالمصل الواقي من الميضة الباثية (الكوليرا) (لما بقية)

ذِكْرُ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ

٢

البعثة النبوية ومحمد سيرة صلى الله عليه وسلم قبلها

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسْطًا فِي قَوْمِهِ وَأُمَّتِهِ، وَلَسَكِنَّهُ أَرْقَاهُمْ
بَلْ أَرْقَى أَنْبَشَرَ فِي زَكَاةِ نَفْسِهِ وَسَلَامَةِ فِطْرَتِهِ، نَشَأَ يَتِيمًا شَرِيفًا،
وَسَبَّ فَقِيرًا عَفِيفًا، ثُمَّ كَانَ زَوْجًا مُحِبًّا لِزَوْجِهِ مُخْلِصًا لَهَا، وَلَمْ يَقُولْ
هُوَ وَلَا وَالِدُهُ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ قُرَيْشٍ فِي دِينِهَا وَلَا دُنْيَاهَا، وَلَا كَانَ
يَعْبُدُ عِبَادَتَهُمْ، وَلَا يَحْضُرُ سَائِرَهُمْ وَلَا تَدْوَنُهُمْ، وَلَمْ يَنْظِمِ الشُّعْرَ كَمَا
كَانُوا يَنْظِمُونَ، وَلَا هَمِّي بِالْخُطَابَةِ كَمَا كَانُوا يَحْمَدُونَ، وَلَمْ يُؤَثِّرْ عَنْهُ
قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ يُدُلُّ عَلَى حُبِّ الرِّيَاسَةِ، أَوْ الْبَحْثِ فِي شُؤْنِ السِّيَاسَةِ؛
وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ خُرَافَاتِ أَجْلَاهِلِيَّةٍ وَصَلَالَاتِ الشُّرْكِ،
وَلَا مِنْ الْمُفَاخَرَاتِ الْكَلَامِيَّةِ وَشُؤْنِ الْغَزْوِ وَالْحَرْبِ، بَلْ كَانَ يَحِبُّ
الْعَزْلَةَ، وَيَأْلَفُ الْوَحْدَةَ؛ وَرُويَ أَنَّهُ فِي حَدِيثِهِ حَضَرَ سَمَرَهُمْ مَرَّتَيْنِ،
أَلْقَى اللَّهُ فِيهَا عَلَيْهِ النُّوْمَ؛ وَحُبُّ الْعَزْلَةِ وَالْإِنْكِمَاشِ، مَعْرُوفٌ
عَنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْتَنِزُ فِي

(*) تابع لا نشر في الجزء السابع ص ٤٠٩

نَشَأَتْهُ الْأَوَّلَى عَلَى الْأَثَرَابِ، بِاتِّزَامِ الصَّدَقِ وَالْأَمَانَةِ وَعُلُوِّ
الْأَدَابِ، قَبْلَ ذَلِكَ كَانَ لَهُ فِيهِمْ الْمَقَامُ الْمُسْكِنِ، حَتَّى تَقْبُوهُ بِالْأَمِينِ.
عَلَى هَذَا الْحَالِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَلَغَ أَشَدَّهُ وَأَسْتَوَى،
وَكَلَّتْ مِنْ جَسَدِهِ السَّيِّئِ وَنَفْسِهِ الزَّكِيَّةِ جَمِيعُ الْقُوَى — لَا طَمَعَ
فِي مَالٍ وَلَا سُمْعَةٍ، وَلَا تَطَلُّعَ إِلَى جَاهٍ وَلَا شُهْرَةٍ. وَكَانَ أَوَّلَ مَا بَدَأَ
بِهِ مِنَ الْأَوْحَانِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ
فَلَقِ الصَّبْحِ^(١) وَارِضَةٍ؛ ثُمَّ حُبَّ إِلَيْهِ الْخَلَاءِ^(٢)، وَكَانَ يَخْلُو بِنَارِ
حِرَاءٍ^(٣)؛ فَيَتَحَدَّثُ فِيهِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْمَدَدِ^(٤)، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ
فَيَتَزَوَّدُ^(٥) حَتَّى جَعَلَهُ الْخَلْقُ وَهُوَ عَلَى هَذَا الشَّانِ، يَنْزُولِ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ

- (١) الفلق بالتحريك يطلق على الصبح وهو من فلق الشيء بمعنى شقه وفرقه
فوقين فان ضوء الصبح يشق الظلام اذ يظهر مستطيلاً ثم مستطيراً ومنه (فالق
الاصباح) وبهذا المعنى أضيف الى الصبح، والمعنى انه كان يرى الرؤيا قطع كما
رأى اذ تنطبع المعاني في مرآة روحه الصافية كما هيء، فهذا ضرب من الوحي وكانت
مدته قبل وحيي البقرة الصريح ستة أشهر من ربيع الاول شهر ولادته الى شهر
رمضان الذي أنزل فيه القرآن (٢) الخلاء بالمد الاختلاء والاهوار
(٣) النار قرب في الجبل وحراء بالكسر أحد الجبال المحيطة بمكة على يسار
الذهاب منها الى منى. والنار في أعاليه مشرف على مكة، بحيث ترى منه
الكعبة، كما يشرف على ما دونه من تلك القلاع، فهو حسن الموضع جيد الهواء،
ينسج للمختلي فيه مجال الفكر، والشعور بعظمة الرب،
(٤) أصل الصحت توقى الخفت أي الانهم وتجنه وفسره الزمهرى في الحديث
بالتميد، قيل كان يعبد الله على ملة ابراهيم وقيل بالفكر خاصة، واختلف في عدد
الليالي التي كان يقيمها ويتزود لملها (٥) التزود انخاذ الزاد من طعام وماء

فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ بَانَ تَمَثَّلَ لَهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ جِبْرِيلُ ، وَلَقِّنَهُ عَنْ رَبِّهِ
أَفْضَلَ التَّنْذِيلِ : قَالَ لَهُ أَفْرَأُ فَقَالَ « مَا أَنَا بِقَارِيءٍ » كَرَّرَا ذَلِكَ ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ ، وَهَذَا مِنْ أَمْرِ التَّكْوِينِ لِأَمِنْ تَكْلِيفٍ مَا لَا يُطَاقُ ، وَكَانَ
الْمَلَكُ بَعْدَ كُلِّ جَوَابٍ يَفْطُلُهُ أَيُّ بَضْئِهِ إِلَى صَدْرِهِ وَيَنْصُرُهُ ، حَتَّى
يَبْلُغَ مِنْهُ الْجَهْدُ مَبْلَغُهُ ، وَحِكْمَةُ ذَلِكَ أَنَّ تَقَلُّبَ فِيهِ الرُّوحَانِيَّةَ
عَلَى الْبَشَرِيَّةِ ، وَيَسْتَعِدُّ لَتَلْقَى الْآيَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، فَيَسْكُونُ وَاسِعَةً
بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ ، وَمُنْتَهَى الْخَاضِرِ وَمَبْدَأِ الْغَائِبِ ، وَلَمَّا أَرْسَلَهُ فِي
التَّالِيَةِ قَالَ (أَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ
عَلَقٍ • أَفْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَلَمَّ •) أَيُّ كُنْ قَارِئًا بَعْدَ أَنْ كُنْتَ أُمِّيًّا ، بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي
خَلَقَ الْإِنْسَانَ النَّاطِقَ مِنْ عَلَقٍ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ، لَا بِأَسْمِي وَلَا
بِأَسْمِكَ ، وَلَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي وَلَا بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى
جَمْعِكَ قَارِئًا لآيَاتِ رَبِّكَ ، الَّتِي أَقْتَضَى جُودُهُ وَكَرَمُهُ أَنْ يَرْسُمَهَا
بِالْوَحْيِ فِي لَوْحٍ قَلْبِكَ ، وَعَلَى تَعْلِيمِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ مَا لَمْ
تَكُنْ تَعْلَمُ ، كَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ وَغَيْرِ الْقَلَمِ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ، —
فَرَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى خَدِيجَةَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ ،
وَقَدْ أَرْتَمَدَ بَدَنُهُ وَلَكِنْ حَفِظَ رَشَادَهُ ، فَقَالَ « زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي »
فَزَمِّلُوهُ ، أَيُّ لَفِّوهُ بِالْثِيَابِ وَدَثِّرُوهُ ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ أَخْبَرَ
خَدِيجَةَ الْخَبْرَ ، وَقَالَ « لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي » أَيُّ الْهَلَاكِ أَوْ الضَّرَرِ ،

فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يَحْزُنُكَ ^(١) اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، ^(٢)
وَتَحْمِلُ الْكَأَلَ ^(٣) وَتَكْسِبُ الْمُدُومَ ^(٤)، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى
نَوَائِبِ الْحَقِّ ^(٥). ثُمَّ فَرَرَ الْوَحْيُ ثَلَاثَ سِنِينَ، قَوِيَ فِيهَا الْإِسْتِعْدَادُ
وَأَشْتَدَّ الشَّوْقُ وَالْحُزْنُ. قَالَ «يَبْنَأُ أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ
السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِجَابٍ، وَذَكَرَ أَنَّهُ
رُعِبَ مِنْهُ أَيْضًا. وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ دُونَ الرُّعْبَةِ الْأُولَى، فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ
فَتَزَمَّلَ وَدَنَدَنَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ (يَا أَيُّهَا الْمُدْمُونُ) قُمْ فَأَنْذِرْهُ. وَرَبُّكَ فَسَبِّ
وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْهُ. وَالرَّجْزَ فَأَهْجُرْ) ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعِ، وَبَلَغَ صَلَّى اللَّهُ

(١) يحزنك من الحزن وهي رواية أبي ذر، وعند غيره ما يحزنك من أخزاه
بمعنى فضحه وأهانته (٢) أي تحسن للآقارب بما يليق بكل منهم
(٣) الكل بالفتح الثقيل حملا أو عبلا أو طبعاً والمتعب، أي تحمل أثقال الناس
أو تحمل المتعب على ما يركبه من الأبل أو الدواب (٤) أي تكسب اعتاج ما هو
عادم له (٥) النوائب النوازل بالمصائب والحوادث أي تعين الناس في كل أمر غير
باطل وهذه كلمة جامعة في بيان فضائله «ص» وهو يدل على فضل خديجة وعقلها
واعتقادها أن من يلتزم الحق وعمل الخير لا يحزنه الله ولا يحزبه. والخبر في
الصحيحين، وتتمته باختصار قليل: فانطلقت به خديجة حتى أتت زينة بن
نوفل ابن عمها وكان قد تنصر في الجاهلية، ويكتب من الإنجيل بالعبرانية، وكان
شيعيا كبيرا قد عمي. فقالت له اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة يا ابن أخي إذا
تري؟ فأخبره «ص» خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على
موسى. يا ليتني فيها جذع «أي شاب» ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك.
فقال له رسول الله «ص» أو يخرجني؟ قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت
به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن
توفي وفتر الوحي

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةَ رَبِّهِ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ أَذَى الْمَشْرُكِينَ وَتَنَاجَى^(١) فَمَازَا
النَّبَأُ الْعَظِيمُ الَّذِي جَاءَهُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا الْمُرُّ الْعَظِيمُ الَّذِي
دَعَا إِلَيْهِ بَعْدَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ، فَصَبَّرَ اللَّهُ بِهِ عَلَى يَدَيْهِ تَارِيخَ الْبَشَرِ
أَجْمَعِينَ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛

تبلغ الدعوة الإسلامية وغمرتها

إِنَّ ذَلِكَ الْيَتِيمَ الْمَائِلَ فِي حَدَائِثِهِ، الرَّابِعِي شَرِيفَ النَّاجِرِ الْقَنُوعِ فِي
شَكَايَتِهِ، الزَّوْجَ الْمُخْلِصَ لِرَوْحَتِهِ، الْوَالِدَ الْمُطَوِّفَ عَلَى بَنَاتِهِ وَرَضِيئَتِهِ^(٢)
الْأُمِّيَّ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ سِيفًا، وَلَا كَتَبَ سِطْرًا، وَلَا قَالَ شِعْرًا، وَلَا
أَرْجَلَ نَزْمًا، النَّاشِئُ فِي تِلْكَ الْأُمَّةِ الْأُمِّيَّةِ، الَّتِي فَرَّقَتْهَا تَرَاعَاتُ الْعَصَبِيَّةِ،
وَأَسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهَا تِنَابُتُ الْوَنَائِيَّةِ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهَا حِمْيَةُ الْجَاهِلِيَّةِ،
وَأَمْسَتْ عَاصِمَتُهَا الدِّيْنِيَّةُ الدُّنْيَوِيَّةُ، ذَاتُ حُكُومَةٍ شَبِيهَةٍ بِالْعُرْفِيَّةِ،
لَيْسَ لَهَا رَئِيسٌ مَتَّبُوعٌ، وَلَا قَانُونٌ مُشْرُوعٌ؛ قَامَ فِيهَا يَدْعُوها إِلَى
تَوْحِيدٍ يَمْتَنُّ جَرَائِمَ الْوَنَائِيَّةِ، بِتَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ وَالْأُلُوْهِيَّةِ؛
وَالِإِسْتِبدَالِ الْكِتَابِ وَالْعِلْمِ بِتِلْكَ الْأُمِّيَّةِ، وَاسْتِبدَالِ الْحِكْمَةِ
بِتِلْكَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِلَى تَرْكِهَةِ الْأَنْفُسِ مِنْ تِلْكَ الْخَرَافَاتِ وَالتَّقَالِيدِ
الْوَرَائِثَةِ، وَإِلَى اسْتِغْمَالِ عُقُولِهَا وَخَوَاسِئِهَا فِي الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ،

(١) التناجى (بالياء قبل الهمزة) التهاافت والاسراع في الشرا أو التتابع (بالياء
الموحدة) فيه (٢) صبيته القاسم وعبدالله والطيب والطاهر وقيل الطيب والطاهر
لقبان لعبدالله وهؤلاء من خدجته كبناته الاربع، وابراهيم من مارية القبطية

وَأَلَّا تَنْفَعُ بِجَمِيعِ مَا فِي الْأَكْوَانِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَخَّرَهَا لِلْإِنْسَانِ
بَلْ قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ شَأْنًا ، وَأَعْمُ فَايْدَةً
وَقَمًّا ، - قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى كِتَابِ مُهَيِّمٍ عَلَى الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ ،
وَيَدِينُ أَنْزَلَ لِإِصْلَاحِ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ ، وَشَرِيعَةٍ عَادِلَةٍ سَمَاوِيَّةٍ
أَجْنَبَادِيَّةٍ ، تَسْتَأْمِلُ تِلْكَ الْقَوَصَى الْإِجْتِمَاعِيَّةَ ، وَتَكْفُلُ لَهُمُ السَّعَادَةَ
الْإِنْسَانِيَّةَ ، بِإِعْتِنَاقِهَا الْبَشَرِ مِنْ رِقِّ السَّيْطَرَةِ الرُّوحِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ ،
وَجَعَلِيهِمْ أَحْرَارًا مُسْتَقِلِّينَ فِي فَهْمِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ ، وَأَدَاءِ الْعِبَادَاتِ
الَّتِي يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى الْعِزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ . وَجَعَلَ أَمْرَهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ
فِي الْأَحْكَامِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ ، وَجَعَلَ دَرَجَةَ الْعَفَاسِدِ وَحَفَظَ
الصَّلَاحِ أَسَاسًا لِلْأُمُورِ الْأَدَبِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ ، وَجَعَلَ الْإِخْلَاصَ وَحْشِنَ
النِّيَّةِ ، فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالْعَادِيَّةِ ، بِمَا يَسْتَعِدُّ بِهِ الْإِنْسَانُ لِلْحَيَاةِ
الْأَبَدِيَّةِ ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرَضًا يَقُومُ
بِهِ الْأَفْرَادُ وَتَتِمَّكُونُ عَلَيْهِ الْجَمَاعَاتُ ، لِأَنَّهُ سَبَاجُ الْفَضِيلَةِ وَمَقْوَمُ
الْإِخْلَاقِ وَالْعَادَاتِ . وَجَعَلَ الْقِتَالَ ضَرُورَةً تُقَدَّرُ بِقَدَرِهَا ، وَيُجْتَنَبُ فِي
إِضْعَافِ ضَرَرِهَا وَشَرِّهَا ، فَلَا يُقْتَلُ فِيهَا النِّسَاءُ وَلَا الْأَوْلَادُ ، وَلَا
الْأَجْرَاءُ وَلَا الْعِبَادُ ، وَلَا يُسَلُّ فِيهَا بِالْقَتْلِ ^(١) وَلَا يُذْفَقُ عَلَى
الْجُرْحَى ^(٢) وَمَتَى رَجَحْتَ كِفَتُنَا بِالْإِيْمَانِ ^(٣) فِي الْأَعْدَاءِ ، نَكْنِفِي

(١) التمثيل بالقتل تشويهه بقطع بعض أعضائه كجذع الألف وصلم الأذنين
وقلع العينين (٢) التدفيع على الجرح الإجهاز عليه أي إماتته (٣) الإيْمَان
في الأعداء إضعافهم بكثرة من يقتل منهم . ومن رحمة الإسلام وإصلاحه =

بِالْأَسْرِ عَنْ سَفَكِ الدَّمَاءِ ، (فَلِمَا مَنَا بَمَدٍ وَإِلْمَا فِدَاءَهُ حَتَّى تَصْنَعَ
 الْكَرْبُ أَوْزَارَهَا) ، ^(١) وَتَزُولَ الضُّرُورَةُ الَّتِي أَوْفَدْتَ نَارَهَا ،
 وَإِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ جَنَحْنَا لَهَا ، ^(٢) لِأَنَّنَا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا ؛ - إِلَى
 غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضُرُوبِ الْأَصْلَاحِ ، وَأَسْبَابِ الْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ . وَمِنْ
 أَهْمَّتِ أَحْكَامِ الرِّقِّ ، بِمَرْغَبٍ وَأَوْجَبَ فِيهَا مِنَ الْعَتَقِ . وَأَحْكَامُ
 الْيَتَامَى وَالنِّسَاءِ ، فِي الْخُفُوقِ وَالْإِزْثِ وَالْتَصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ ،
 وَحَسْبُكَ مِنْ هَذَا الْأَصْلَاحِ الْعَظِيمِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَكِنْ مِثْلَ الَّذِي
 عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَى نِجَاتِ دَرَجَةٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)
 قَامَ يَنْبَغُهُمْ بِأَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ ، مِنْ
 الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَأَنَّهُ أَوْحِيَ إِلَيْهِ هَذَا الْقُرْآنَ لِيُنذِرَهُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ، ^(٣)
 وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ

= ابطال ما كانت الامم تستبيحه من استئصال اعدائها . ولم يكف بمنع قتل
 من لا يقا تل منهم حتى امر بان يكف عن قتل المقاتلين اقمهم اذا ضمفوا وامنا
 شرمهم ، وان تكفي حينئذ باسرمهم ، وخيرا في الاسرى بين المن عليهم باطلاقهم وفك
 اسرم بلا مقابل ، وبين فداء اسرانا عندهم ان كان لنا عندهم اسرى . وذلك قوله
 تعالى (حتى اذا انجستهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد) الخ

(١) الاوزار جمع وزر وهو الحمل الثقيل ويطلق على الذنب ، والمعنى حتى تنفضي
 الحرب بوضع الحاربين لأثقالها من السلاح والنخائر عن اقمهم - وقيل بترك
 الكفار للديوان والذنوب الموجبة لها . (٢) السلم ضد الحرب وكلاهما مؤنث
 اللفظ (٣) أي وينذر به كل من بلته ووصلت اليه دعوته من سائر الامم

لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) ؛ وَيُخْبِرُهُمْ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ سَيَنْصُرُهُ عَلَيْهِمْ ، وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ ذِعْوَتَهُ إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيَفْتَحُ لَهُمْ مِصْرَ وَالشَّامَ ، وَيُعْطِيَهُمْ مَلِكًا كَسْرَى وَيَقْصِرَ ، وَأَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ هُمُ الْأَثَمَةُ الْوَارِثِينَ ، (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)

فَإِنَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ الْكُبْرَى ، وَذَكَرَ بِهَا قَوْمَهُ فَأَعْرَضَ الْأَكْثَرُونَ عَنِ الذِّكْرِ ، وَلَمْ يَقْبَلْ إِذْ كُنِيَ قُرَيْشِي وَأَعْقَلْتُمْ لَهَا سَبَبًا إِلَّا الْجُنُونَ ، أَوْ نَبَزَ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بِلقبٍ شاذٍّ أَوْ كَاهِنٍ مُفْتُونٍ ، إِذْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَسْبَابِ وَالْوَسَائِلِ ، لِمَا هُوَ دُونَهَا بِمَرَّحِلٍ ، — لَا حَوْلَ لَا قُوَّةَ ، لَا مَالَ لَا عَصِيَّةَ ، لَا سَلِيْقَةَ فِي الشَّرِّ تَجْذِبُ الْقَلْبَ ، لَا تَمَرُّنَ عَلَى الْخَطَايَا يُؤْتَرُّ فِي اللَّبِّ ، كَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ طَبِيعٌ عَلَى الصِّدْقِ ، وَعَاشَ طَوْلَ عُمْرِهِ عِيشَةَ الْجِدِّ ، فَكَانَ أَقْرَبَ مَا تُوصَفُ بِهِ تِلْكَ الدَّعْوَةُ إِلَى الظُّنُونِ ، أَنَّ قَالُوا إِنَّمَا تَزْعُمُ مِنْ زَعَايِ الْجُنُونِ ، وَلَوْلَا مَا آيَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ ، وَأَعْظَمَهَا هَذَا الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ . وَلَوْلَا تَصْدِيقُ اللَّهِ

تَمَلَّيْ إِيَّاهُ بِالْفِعْلِ ، كَمَا صَدَّقَهُ بِذَلِكَ الْقَوْلِ الْفَصْلُ . لَقَدْ بَقُولِهِمْ ذَلِكَ فِي كُلِّ حِينٍ ، مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَى تِلْكَ الدَّعْوَةِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ ، (ت) ، وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ^(١) * وَإِنَّكَ لَلْأَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِآيَتِكُمُ الْمُنْتُونُ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ^(٢)

«أَيُّ بُرْهَانٍ عَلَى النُّبُوَّةِ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا ، أَمْيَ قَامَ يَدْعُو الْكَاتِبِينَ إِلَى قَهْمٍ مَا يَكْتَبُونَ وَمَا يَقْرَءُونَ ، بِعِيدٍ عَنْ مَدَارِسِ الْعِلْمِ صَاحٍ بِالْعِلْمِ لِيُتَحَصَّوْا مَا كَانُوا يَلْمُونَ . فِي نَاحِيَةٍ عَنْ يَتَابِعِ الْعِرْفَانَ جَاءَ بِرُشْدِ الْعُرَفَاءِ ، نَاشِي بَيْنَ الْوَاهِمِينَ هَبَّ لِنَقْوَمِ عِوَجِ الْحُكَمَاءِ غَرِيبٍ فِي أَقْرَبِ الشُّعُوبِ إِلَى سَدَاجَةِ الطَّبِيعَةِ ، وَأَبْعَدَهَا عَنْ قَهْمِ نِظَامِ الْخَلِيقَةِ وَالنَّظَرِ فِي سُنَنِهِ الْبَدِيعَةِ ، أَخَذَ يَقَرِّرُ لِلْعَالَمِ أَجْمَعَ أَصُولَ الشَّرِيعَةِ ؛ وَيَخْطُ لِلْسَّعَادَةِ طُرُقًا لَنْ يَهْلِكَ سَالِكُهَا ، وَلَنْ يَخْلُصَ تَارِكُهَا

«ما هذا أَلْخَطَابُ الْمُفْجِمِ؟ مَا ذَلِكَ الدَّلِيلُ الْمُلْجِمِ؟ أَأَقُولُ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ؟ لَا ، لَا أَقُولُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَقُولُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَصِفَ قَسَهُ : إِنْ هُوَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيْهِ . نَبِيٌّ صَدَقَ الْأَنْبِيَاءُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَأْتِ فِي الْأَقْنَاعِ رِسَالَتِهِ بِأَيْلَهِي الْأَبْصَارِ

(١) أي غير مقطوع (٢) النبذة الآية التي اولها «أي برهان» وآخرها (تنزيل

من حكيم حميد) مقتبسة من رسالة التوحيد لشيخنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى

(المجلد التاسع عشر)

(٦١)

(النار : ج ٨)

أَوْ يُحَيِّرُ الْخَوَاسَّ، أَوْ يُدْهِشُ الْمَشَاعِرَ، وَلَكِنْ طَالَبَ كُلُّ قُوَّةٍ بِالْعَمَلِ
فِيمَا أُعِدَّتْ لَهُ، وَاخْتَصَّ الْعَقْلُ بِالْخُطَابِ وَتَحَاكَمَ إِلَيْهِ الْخُطَطَاءُ
وَالصُّوَابُ، وَجَمَلَ فِي قُوَّةِ السَّلَامِ وَسُلْطَانِ الْبَلَاءِ وَصَحَّةِ الدَّلِيلِ،
مَبْلَغَ الْحُجَّةِ وَآيَةَ الْخَلْقِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا
خَلْفَهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ »

كَانَ مِثْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِبْتِهَا مَا جَاءَ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ
فِي بَلَدٍ كَثُرَتْ فِيهِ الْأَمْرَاضُ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَى أَهْلِهِ طَبِيبٌ وَلَا عِلَاجٌ،
فَادَّعَى أَنَّهُ طَبِيبٌ يُبْرِئُ الْعِلْمَ، فَكَذَّبُوهُ فَأَنْبَتَ دَعْوَاهُ بِالْإِلْمِ
وَالْعَمَلِ، إِذْ جَاءَ بِكِتَابٍ بِعَالِجٍ بِهِ أُولَئِكَ الْمَرَضَى الَّذِينَ أُعْضِلَ
دَاوَاهُمْ، وَاخْتَلَفَتْ أَمْرَاضُهُمْ، فَشَفَوْا وَعَادَتْ إِلَيْهِمْ صِحَّتُهُمْ؛ إِلَّا مَنْ
أَعْرَضَ عَنْ دَوَائِهِ، حَتَّى هَلَكَ بِدَائِهِ، بَلِ الْأَمْرُ أَغْطَمَ مِنْ ذَلِكَ
أَلَّا يَنْ مَدَاوَاةَ أَمْرَاضِ الْأُمَمِ الرُّوحِيَّةِ وَالْإِجْمَاعِيَّةِ، أَعَزُّ
وَأَعْسَرُ مِنْ مَدَاوَاةِ الْأَمْرَاضِ الْجَسَدِيَّةِ، وَتَتَوَقَّفُ عَلَى عُلُومٍ كَثِيرَةٍ
لَا عَلَى عِلْمٍ وَاحِدٍ، يُدْرَسُ الْآنَ مَنْقُولُهَا وَمَعْقُولُهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ
الْمَدَارِسِ، وَمَا أَكْثَرُ مَنْ دَرَسَهَا فِي كُتُبِهَا، وَلَقَّاهَا عَنْ أَسَاتِذِهَا،
يَقْدِرُ عَلَى إِصْلَاحِ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ بِالْعَمَلِ بِهَا، فَمَا أَقُولُ فِي أَمْرِ نَشْأَةِ
بَيْنِ أُمَّتَيْنِ، قَامَ بِذَلِكَ الْإِصْلَاحُ الَّذِي تَعَيَّرَ بِهِ تَارِخُ الْبَشَرِ أَجْمَعِينَ،
فِي الشُّرَائِعِ وَالسِّيَاسَاتِ وَسَائِرِ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْدِينِ، وَأَمْتَدَّ مَعَ لُغْتِهِ

فِي قَرْنٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى آخِرِ حُدُودِ أَرْبَعَةِ مِنَ الْقُرْبِ، وَإِلَى حُدُودِ بِلَادِ الصِّينِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ، حَتَّى خَضَعَتْ لَهُ الْأُمَمُ، وَدَالَتْ لِدَوْلَتِهِ الدُّوَلُ، وَكَانَتْ تَتَّبِعُهُ فِي كُلِّ فُتُوحِهِ الْحَضَارَةُ وَالْمَدَنِيَّةُ، وَالْعُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ وَالْكُونِيَّةُ، عَلَى أَيْدِي تِلْكَ الْأُمَمِ الْحَدِيثَةِ الْعَهْدِ بِالْأُمِّيَّةِ، الَّتِي عَلِمَهَا الْقُرْآنُ أَنَّ إِصْلَاحَ الْإِنْسَانِ، يَتَّبِعُهُ إِصْلَاحُ الْأَكْوَانِ، فَهَلْ يُسَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا إِلَّا بِوَحْيٍ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ، وَتَأْيِيدٍ مَتَاوِيٍّ مِنَ الْإِلَهِ الْعَزِيزِ الْقَدِيرِ الرَّحِيمِ، أَخْنَصَ بِهِ ذَلِكَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الْكَرِيمَ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ الْفَضْلُ الصَّلَاحُ وَالتَّسْلِيمُ؟

مناهضة الدعوة، وإلجاء الرسول إلى الهجرة

بَدَأَ دَعْوَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِثَارَةِ عَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ، مَنْ فِي مَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَمِنَ الْمُؤَالِي وَالْمُؤَافِدِينَ، فَلَقِيَ أَشَدَّ الْجُحُودِ وَالْإِبْدَاءِ مِنْ قَوْمِهِ، حَتَّى صَدَّوهُ عَنْ تَبْلِيغِ دَعْوَةِ رَبِّهِ، عَمَلًا بِقَوْلِ أَبِي لَهَبٍ: خُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، قَبْلَ أَنْ تَجْتَمِعَ الْعَرَبُ عَلَيْهِ؛ وَقَدْ أَخْرَجُوا عَمَهُ أَبَا طَالِبٍ وَآلَهُ مِنْ مَكَّةَ، لِأَنَّهُ لَمْ يُخَلِّ يَنْتَهُمْ وَيَنْتَهُ، فَجَمَعَ أَبُو طَالِبٍ بَنِي هَاشِمٍ وَالْمُطَلِبَ، وَدَخَلَ بِهِمْ وَمَعَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّعْبِ، وَاجْتَمَعَ قُرَيْشٌ مُقَاطِعَتِهِمْ، وَعَدَمَ مَصَاهِرَتِهِمْ؛ وَأَنْ لَا يَلِيْعُوهُمْ وَلَا يَتَنَاعُوا مِنْهُمْ شَيْئًا، وَلَا يَقْبَلُوا مِنْهُمْ صُلْحًا، إِلَّا

أَنْ يُسْلِمُوا مُحَمَّدًا لِلْقَتْلِ ، فَسَكَنُوا ثَلَاثَ سِنِينَ فِي الشَّعْبِ ، وَهُمْ فِي أَشَدِّ الْبَلَاءِ وَالْجُحْدِ ، وَكَانَ بَعْضُ مَا مَسَّهُمْ مِنَ الضَّرَرِّ ، أَنْ أَكَلُوا وَرَقَ الشَّجَرِ ، ثُمَّ أَشْتَدَّ إِذَاكَ قُرَيْشٍ لَهُ وَلَمَنْ آمَنَ بِهِ بَعْدَ وَقْدِ خَدِيجَةَ وَأَبِي طَالِبٍ ، وَقَدْ تَوَفَّيَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ ، فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ فِي مَوْسِمِ الْحُجِّ ، لَعَلَّهُ يُجِدُ مَنْ يَحْمِيهِ لِلْقِيَامِ بِهَذَا الْأَمْرِ ، فَلَمْ يَجِدْهُ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَدٍ ، وَلَكِنْ آمَنَ بِهِ فِي مَوْسِمِ الْحُجِّ سِنَةً قَرِيبَ أَهْلِ يَثْرِبَ ، ثُمَّ آمَنَ بِهِ آخَرُونَ مِنْهُمْ فِي مَوْسِمِ آخَرَ ، وَصَارُوا يَدْعُونَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَعْلَمُهُمُ الْقُرْآنُ . فَفَشَا الْإِسْلَامُ فِيهِمْ ، وَجَاءَهُ فِي الْمَوْسِمِ الثَّالِثِ أَمْرَانِ وَثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَبَايَعُوهُ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ لِرَبِّهِمْ وَإِلَهِهِمْ ، وَأَنْ يَسْتَعُوهُ — أَيْ يَحْمُوهُ — مِمَّا يَتَعَوَّنُ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ، فَتَهَدَّتْ لَهُ بِذَلِكَ أَسْبَابُ الْهَجْرَةِ ، وَكَانَ قَدْ هَاجَرَ جُمْهُورٌ مِنْ آمَنَ بِهِ إِلَى الْخَبَشَةِ ، فَأَمَرَ مَنْ بَقِيَ أَنْ يَهَاجِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مُحْتَفِينَ ، فَكَانَ الْقَادِرُونَ يَهَاجِرُونَ أَرْسَالًا مُتَتَابِعِينَ ، وَقَدْ عَلِمَ أَكْبَرُ قُرَيْشٍ بِالْأَمْرِ ، وَأَنَّ الرُّسُولَ سَيَتَّبِعُ أَصْحَابَهُ بِالسَّرِّ ، فَفَزَعُوا إِلَى الْحِيلَةِ وَالسَّكْرِ ، وَبَيْنَمَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَهَيِّئُ رَاحِلَتَيْنِ وَزَادَا وَدَلِيلًا لِلْهَجْرَةِ مَعَ الرُّسُولِ مِنْ مَكَّةَ ، كَانَتْ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ يَأْتِيَرُونَ^(٢) بِالرُّسُولِ ﷺ فِي دَارِ النَّدْوَةِ ، فَبَعْضُهُمْ يَرَى نَفْسَهُ وَبَعْضُهُمْ

(١) هي المدينة المنورة (٢) ينشاورون في الأمر

يَرَى حَبْسَهُ وَبَعْضُهُمْ يُرْجِعُ قَتْلَهُ ، ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ شَابًا جَلَدًا ، ^(١) يَقِفُونَ أَمَامَ دَارِ دَلِيلًا ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ صَرَبُهُ بِسُوفِهِمْ صَرَبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ، لَيْتَفَرَّقَ دَمُهُ فِي جَمِيعِ الْقَبَائِلِ ، فَيَرْضَى بِدَيْتِهِ بَنُو هَاشِمٍ ، فَلَمَّا وَقَفَ أُولَئِكَ الشُّبَّانُ عَلَى بَابِهِ ، أَمَرَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي نِيَّامٍ فِي فِرَاشِهِ وَتَدَثَّرَ بِرِدِّهِ ، وَخَرَجَ ^(٢) مِنْ بَيْنِهِمْ ، وَلَمْ يَنْظُرْهُ وَلَا شَعَرَ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، بَلْ كَانُوا يَنْظُرُونَ مِنْ فُرُوجِ الْبَابِ ، فَخَرَوْنَ النَّائِمَ فَيَظُنُّونَ أَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْتُبِينَ (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ^(٣)) وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرُ الْمَاكِرِينَ (^(٤))

مدرسة دار الدعوة والدراسات

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٧

الامراض التي تنشأ من الميكروبات الحيوانية

النافض أو الملاريا Malaria

لفظ ملاريا أصله بالإيطالية كلمتان [mal aria] ومعناها «الهواء الفاسد»

سميت به هذه الحى لتوهم الناس في زمن التسمية أن سببها فساد الهواء

(١) القوي الصابر (٢) المكر التدبير الخفي الذي يفرض بالمدكور به الى ما لا يعلم ولا يحتسب و يكون في الشر غالباً وقد يكون لابطال الشر أو للخير ومنه مكر الله عز وجل . والانهبات الاعطال ، والاخراج النفي

يطلق هذا المصطلح على أنواع من الحلي تتشأ عن ميكروب حيواني من نوع [البروتوزوا Protozoa] (راجع صفحة ٢٨ من هذا الكتاب) يعيش في دم الانسان وينتقل من شخص الى آخر بقل بعض أنواع البعوض (الموس) ويسمى هذا الميكروب بالفرنجية [Plasmodium] أو [أبيا الدم Icemamocha] واتفاقا لانه يعيش في دم الانسان لانه لم يعرف الى الآن انه يعيش في دم أي حيوان آخر من ذوات الثدي، ماعدا نوعا يشبه يعيش في دم بعض أنواع القردة ويحدث لها حمى تتماز أخت أنواع هذه الحلي التي تحدث في أكثر البلدان الممتدة بتقطعها بمعنى أن نوبها تتفصل بعضها عن بعض بقرات يكون فيها للصاب كأنه سلم منها أعني أنها لا تكون مستمرة كالجليات الفتة الأخرى، فحسب التوبة يضم ساعات ثم تزول وتعود في اليوم الثاني أو في الثالث [Tertian] أو في الرابع [Quartan]. والنوع الذي يعود في اليوم الثالث هو الأكثر حدوثا في الاقاليم الممتدة. أما الذي يعود في اليوم الرابع فيكثر حصوه في بعض بلدان إيطاليا والمند. وهناك أنواع أشد مدة الحلي فيها أطول وخطرها أكثر وتعرف في إيطاليا بالحلي الصيفية الحرجية [Aestivo - autumnal] وفي البلاد الحارة (الحلي للسررة أو الحية) ويكثر انتشار هذه الحلي في الاقاليم التي بين خطي ٦٣° شمال خط الاستواء و٥٧° جنوبه

الاسباب — قلنا إن الذي يقتل ميكروب هذه الحلي هو البعوض فكذا توجد هذه الحلي حيث يوجد البعوض ويكثر، ونحتفي أو نعدم حيث لا يوجد، أعني أن حرارة الجو وكثرة الرطوبة والمستنقعات التي يتوالد فيها البعوض هما أعظم الاسباب لانتشار هذه الحلي. وجميع الاجناس البشرية عرضة للإصابة بها، ولكن السرد أقل في ذلك من البيض - وهي تصيب الانسان في جميع الاعمار. وما يجيء للمرض ضعف الصحة والتعرض للرطوبة أو لحرارة الشمس الشديدة أو للانزطاف أو التفریط في الاكل أو الشرب

وقد يمكن الميكروب في الدم ولا يحدث الحلي وإنما يسبب ضعف الصحة وقر الدم أو ضخامة الطحال، ولا يستمر بقاءه في الدم الى أكثر من ثلاث سنين

لذا لم تكرر العدوى ٥

ولهذا الميكروب أنواع ، ثلاثة منها على الأقل تعيش في دم الانسان ، والاخرى في دم الطيور . وقد اكتشف ما يعيش منها في الانسان بين سنة ١٨٨١ و ١٨٩٠ . وهذه الانواع الثلاثة تعيش داخل كريات الدم الحمراء وتتغذى بها فتتغذى مادتها الميسونلويينية ويحولها الى حبيبات ملونة (سوداء أو سمره مصفرة) (١) . يمكن اعتبارها كأنها برازها فلذا كبرت خلية الميكروب انقسمت الى عدة أقسام (تراوح بين ٦ — ١٥ أو ٢٠) وانفجر فشاء الكرية الحمراء فتخرج هذه الاجسام وتسيل في الدم ثم تحترق كريات حمراء أخرى وتسكنها وتقتل بها ما قبلها في الاولى . وكثير منها تقتله خلايا الطحال أو غيرها أو خلايا الدم البيضاء

وبعد تمام نمو خلية الميكروب وانقسامها الى عدة أقسام ترتفع حرارة المصاب ، لان الميكروب حينئذ يخرج سمه فيدور مع الدم . ومن ذلك ترى أن هذا الميكروب اللعين يفسد الصحة بآلافه الكريات الحمراء التي عليها مدار التنفس وبافرازه مما يحدث الحلي ، وهناك ضرر ثالث وهو افرازه مما آخر يذيب كريات الدم الحمراء فينصب الكبد ويكثر من افرازه الصفراء ويكثر الاسهال ، وقد يبذل المريض بولا أخر مشتملا على مادة الدم القاذبة فيه — كما سيأتي — فتتلب الكلى بسبب ذلك ولا يلزم من دخول هذا الميكروب الى الدم أن يحدث للمصاب ما ذكرناه قد يقتل ولا يصاب الشخص بشيء ، وقد يمكن في الطحال الى ان تضعف قوة مقاومة الجسم له فظهر حينئذ أعراض الحلي ، وقد تتطلب البنية بعد ذلك على الميكروب فتقيد وتفصل للجسم مناعة تقيه شره مرة أخرى . وهذا الميكروب قد يعيب الاجنة في أرحام أمهاتها غير أن ذلك نادر جدا

أما البعوض الذي ينقل العدوى من شخص الى آخر فهو من النوع المسى [Anopheles] وميكروب الملاريا لا يضره شيء ، اذا دخل جسمه . واعلم ان ذكر هذا البعوض لا يمس الدم بل الانثى فقط . هي التي تحمل العدوى ومدة حياتها (١) هذه تشاهد سابعة في الدم أو داخل الكريات البيضاء التي تلتصقها أو داخل منسوج بعض الأعضاء كالطحال والكبد والمخ وغيرها

تزيد عن شهر في الغالب . وتضع كل انثى نحو ١٠٠ بيضة على سطح ماء طول كل بيضة نحو نصف المليمتر أو المليمتر كامل . وبعد يومين أو ثلاثة يفتس ، وإذا كان الجو حاراً قست قبل ذلك ، وتقوم الاجنة في الماء وهي المسماة بالطق ، وبعد عدة أيام (١٣ — ٢٣) تصير بالتطور بوضعة

ويمتاز هذا النوع من الانواع الاخرى بما يأتي : —

(١) ان اثنائه لا تلسع الانسان غالباً ولا تمص دمه الا ليلاً (٢) أن شواربها [Palpi] طويلة مثل منقارها [Prboscis] الطليط (٣) أنه توجد في أجنتها قط مسودة بخلاف أجنة الاخرى فانها راقعة (٤) أن جسمها أطول وأنحف . هو مستقيم بخلاف الاخرى فانها أعظف وإذا وقعت على الحائط رأيت ظهرها محدباً وأعلم أن بوضعة الملاريا لا تنقل العدوى الى بوضعة أخرى ، فلا يوجد الميكروب فيها الا اذا أخذته من الانسان بامتصاص دمه

وإذا امتصت البوضعة دم المصاب قمت (١) بعض خلايا الميكروب انطاليا الاخرى التي تتطور وتصل الى غدد الغالب في البوضعة لتخرج منها أثناء وخز شخص آخر فتعدي به للملاريا ، ومدة هذا الطور الذي يقضيه الميكروب في جوف البوضعة تختلف من ٦ — ١٦ يوماً بحسب حرارة الجو . والبوضعة لا تطير عادة من موطنها الى أبعد من نصف ميل انكليزي

الاعراض — تكون نوب هذه الحى في أول الامر غير منتظمة غالباً ، ولعل السبب في ذلك أن الميكروبات التي تدخل الجسم تكون من انواع مختلفة ، فتتطلب البنية على أقلها عدداً وتقتلها وبذلك ينفر بالجسم نوع واحد وهو الاكثر عدداً ، وفي بعض الاحيان يبقى نوعان أو ثلاثة . طور التفريخ يتراوح بين ٣ أيام و ١٢ يوماً وهو طويل في الاشكال المنتظمة ، قصير في غيرها ، وقد يحصل المرض بمجرد التلقيح وفي بعض الاحوال تتقدم الحى بعض أعراض أخرى كالنوعك والصداع وآلام بالاطراف وغثيان وغيرها .

المنشور الهاشمي الشريف الثالث

نشر في العدد الحادي والثلاثين من جريدة القبلة الذي صدر في ٤ صفر

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي

الحمد لله الذي أخرجنا من الظلمات الى النور، والصلاة على سيدنا محمد صاحب الهداية (الباقية لما جيت المصور وكرت المصور، وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بهزائم الامور، وسلم تسلياً كثيراً)

وبعد فقد حان لنا أن نخطب أبناء بلادنا - خاصتهم وعامتهم، وكبيرهم وصغيرهم، وحاضرهم وباديههم - في حقائق الامور التي كنا فينا، والحالة التي صرنا اليها، والواجبات التي حتمت علينا مقتضيات الدين والقومية والانسانية أن نقوم بها حق القيام

فانه لم يبق فيهم والله الحمد من يخفى عليه أمر هؤلاء الاغوار الذين تسلطوا على المملكة العمانية فأحلوا فيها ما أحلوا وحرموا ما حرموا، مما قدمت الاشارة الى بعضه في منشورينا السابقين. واتخذوا دين الله لهواً ولعباً، وسلبوا السلطة من أيدي أهلها. وتصرفوا بالمملكة تصرفاً أضاعوا به من بلادها في بضع سنوات ما يزيد مساحتها على مساحة بضع ممالك عظيمة في أوروبا. وأدوا عباد الله باقتل والشق والتعذيب والتفريب ومصادرة الاموال وانتهاك الاعراض بما لا يحيط به العد والحصر. ولعل أرض الحرمين الشريفين كانت أقل الممالك العمانية ابتلاء بمصائبهم ومفاسدهم. لا عن تكريم منهم لمشاعرهم المقدسة، ولا رافة منهم بأهلها، أولاً من المحجازيين أحب اليهم من سكان الرومي والافاضول والشام والعراق، بل لما سخرنا الله لهم الوتوف لهم موقف النصيح تارة والدفع بالتي هي أحسن أحياناً، على أمل أن يصبح الذي بيننا وبينه عداوة كأنه ولي حميم

بذلنا مافي الوسم لدفع الاذى عن هذه الديار بالطريقة المتقدمة ، ولم نأل جهدا في تخفيف ظلمهم عن المسلمين وأهل ذمتهم في كل انحاء المملكة ، وحلهم على اجتناب كل ما ينكره الناس عليهم ، واقناعهم بمخاطر أعمالهم وما ستؤول اليه من ضياع البلاد وهلاك العباد ، وكنا نخلص النصح لرجلهم في الآسنة بمكاتبات محفوظة لدينا صورها وأعدادها وتوارى بها ، لاسيا في السنين الاخيرة . ومن المتيسر لكل انسان ان يظلم عليها ، وكذلك كنا نصصح لولايتهم هنا بطريق المشافهة والمحاطة ، وأوفدنا بعض أولادنا الى الآسنة والشام لهذا الغرض . ولكنهم لم يزدحم دعوتنا الا ظما : طغيانا ، وبغيا وعدوانا

وما زاد مسؤوليتنا بين يدي الله عز وجل ، ثم امام واجب الوطنية والقومية ، ما وقع فيه قومي وأبناء جلدي من الشدة التي لا تحتل ، حتى أمست بلادنا بسبب أولئك الاغوار المجاهدين منقطعة عن كل أقطار الدنيا ، وان قلب المؤمن لا يرضى في حال من الاحوال رؤية جيران بيت الله الحرام وهم يموتون من الجوع والعري على قوارع الطريق . وذلك مما هو معلوم لدى الخاص والعام والبدوي والحضري ، ولا ريب أن أهل بلادنا لم ينسوا تلك الحالة المؤلمة والمهلكة التي لمستها الايدي وعانتها الابصار . لان الحول لم يحل عليها بعد . وما كانت شدتها بالذي يستحق أن ينسى

حينئذ استغفنا الله عز وجل لقيام في وجه الأئمة الظالمين ، والمحررين للمحدين ، فرارا من عاقبة قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه في حديث صحيح (ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الطبراني (خذوا على أيدي سفهائكم من قبل أن يهلكوا أو يهلكوا) وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني أيضا بحديث صحيح (أيما وال ولي شيئا من أمر أمي فلم ينصح لهم كنصبته لنفسه كبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة في النار) وقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني أيضا بحديث صحيح (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) وقوله صلوات الله عليه وصلاحه فيما رواه أبو داود في سننه (خيركم المدافع عن

عشيرته) وقد خار الله لنا ان نهض بأمتنا للاخذ على أيدي الظالمين ، واجلاء السفهاء المارقين ، عن البلاد والعباد . طالبين لهم ما طلبناه لانفسنا من جعل هوانا تبعا لما جاء به صلى الله عليه وسلم ، ودفع السوء عن عثائنا وجماعاتنا العربية التي صارحها هؤلاء الاغرار بمداوة جنسيتها ولفتها وتقاليدها وراحتها وهنائها في كل ما ظهر وما بطن من أقوالهم وأعمالهم

وها ان ما كنا نسمعه وتسمعونه من ضروب ظلمهم وبغيهم في عرب الشام والعراق ، لم يسلم منه أهل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فقد تواترت الانباء بمضاعفة بغيهم وظلمهم فيها ، وأخذوا في شق النفوس البريئة وصلبها ، مستعملين ضروب الوحشية الطورانية ، وشرعوا بتشغيل بعض من وقع في أيديهم من سكان الموالي بالاشغال الشاقة بعد الفظائع الشنيعة التي أجروها لهم من قبل . ثم شنقوا أخيرا ثلاثة من أعيان المدينة المنورة ، وبدأوا بجنيد الاهالي بالقوة ، حتى استنجد بعض أهالي المدينة المنورة باخوانهم المكيين لينقذوهم مما هم فيه

فأي مروءة ترضى لحاكم مها كان ظلما أن يسلم سيف حقه وضغنه وانتقامه في سكان المدينة المنورة الذين أثروا جوار النبي الاعظم صلى الله عليه وسلم على كل لئاذن الدنيا وصاروا أمانة الله في يد من يحكمهم ، واذا كان حقد المتغلبة وضغنه قد وصل بهم الى حد أن يمدوا أيديهم بالاذى امانة سكان المدينة المنورة الذين لا حول لهم ولا طول في جانب القوة العسكرية المتسلطة عليهم فان أولى بهم أن يخرجوا لقتال أولادي الاربعة ومن معهم من أفلاذ أكباد العرب ، فهناك موضع الشجاعة والقوة لا في قتل الاهالي الابرياء والمجاورين الضعفاء ، وها ان جيوش الحق زاحقة عليهم من أربع جهات لا من جهة واحدة ، بحجة داعي الله بالاخذ على أيدي الظالمين ، وتأديب الملاحدة المارقين

وانه لا يفوتنا بهذه المناسبة أن نعلن أمتنا المخلصة بسرورنا من غيرتها الاسلامية وحيتها العربية ، وشكرنا لها على ما أبدته حتى الآن من البساطة والرجولية والشمم العربي ومشاركها الفعلية في طرد المتغلبة المارقة من عقر دارنا وحصون بلادنا . فسطرت بذلك صفحة ذهبية جديدة في تاريخ البلاد العربية المجيدة ، واستحققت ان

تكون صاحبة الفخر الاعظم باسترداد الاستقلال التام الدائم لبلادها مادامت السماء والارض ان شاء الله تعالى

وان نظرة واحدة فيما كانت بلادنا عليه بالامس وما صارت اليه اليوم بمحول محول الاحول كافية لترديد شكر الله تعالى منا جميعا على جزيل آلائه وعظيم نعمائه، فقد أبدلها من العسر يسراء ومن الخوف أمانا ومن الضعف قوة، وكانت مقدراتهم تحت تصرف وصي جاهل لايراعي فيها إلا ولا ذمة فازاحه الله عنها. وصارت حكومتها منها وفيها، وفتحت لرجالها على اختلاف طبقاتهم أبواب العمل لادائها، واستعمال عقولهم وذكايتهم ومواهبهم في تحسين أحوالها، كما فتح لابنائهم الطريق القويم اذا جدوا في احراك "فضائل وتخصيل الكالات"، حتى يبلغوا بقدرة الله عز وجل سعادة الدنيا بتولي المراتب العالية في دولتهم، والمناصب الجليلة في حكومتهم، ويحصلوا على سعادة الآخرة بإيفاء ما يجب علينا من خدمة وفود الله وحجاج بيته الحرام، واستحصال جميع الاسباب التي تستلزمها راحتهم من كل الوجوه، وان عزائم حكومتنا معقودة فتنهوض بأمر المعارف على أساس قويم يضمن تهذيب ناشئة البلاد ان شاء الله تعالى على الوجه الذي أشرنا اليه. وان كل ما حصل حتى الآن ليس الا جزءا قليلا مما ستعاليه البلاد من الخير التدريجي الدائم، وان كان كثيرا بالنسبة الى ما نحن فيه من التدابير الحربية، وبالنسبة الى الوقت القصير الذي تمتت فيه الامة بالاستقلال

وما لا يختلف فيه اثنان أن تأسيس الممالك يحتاج أن تبذل فيه كل طبقات الامة ما تستطيعه من السعي والجهد والعمل، وأن يقوم كل فرد من أفرادها بما يحسنه من وسائل المساعدة للهضة العامة، حتى يتم الخير المسم على أيديهم جميعا فتشترك الامة كلها في نتائجها بعد اشتراكها في مقدماته. وبهذا تقيم الامة صروح المجد، وتسمى للملكها اسباب الهناء والحمد

وأهم ما ينتظر من الامة اخلاص النية والتناصح والتعاقد والدفاع عن الحق والمصلحة القومية والوطنية، وقد ورد في صحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي ومسنند أحمد (ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) وفي صحيح

مسلم (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدايروا ولا يبيع بعضكم على بيع
بعض وكونوا عباد الله اخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذب به ولا يحقره ،
التقوى هاهنا (ويشير الى صدره ثلاث مرات) بحسب امرئ من الشر أن
يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) وفي سنن الترمذي
عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (يد الله على الجماعة) فالتعاون والتأزر والتناصر
تنجح الامم وتفوز في معترك الحياة وتكتسب رضى الحق ورضى الخلق ، وبهذا
يأمرنا ديننا الاسلامي الخفيف فليكن مسلمين حقيقة ، ومن كان مع الله كان الله معه ،
وان مآلاته جيوشكم حتى الآن من النعم والفوز لم يكن الا بالاخلاص والنية الصالحة
واستئصال شأفة الاحلاد والفساد ، وشتان بين من يؤسس بنيانه على التقوى ومن
يؤسس بنيانه على شفا جرف هار . وان من باب التحديث بالعلم الالهية والتوقيفات
الصدائيه ماترونه من أني لم أضن بنفسي وراحتي وحياة أولادي ، على الدقاع عن
راحة أبناء جلدني ومصلحة بلادني ، وذلك لما علمته من أن الخدمة لا تم الا بأن
يعمل لها كل بما يستطع

ومن نعم الله تعالى على بلادنا هذه الحرية اتفاق مصالحتها مع مصالح من والاها
من حلفائها واهلهم العطف عليها في آمالها وأمانها ، وتصريحهم بأن من النقط التي
لا تقبل التغير والبدل بقاؤها في أيدي حكومة اسلامية مستقلة أمينة من كل طارئ
خارجي . وان من مقتضى أخلاقنا الاسلامية التي منها الاعتراف بالجميل شكر حادتنا
الكرام على اخلاصهم في صداقتنا وحسن سيرتهم معنا وبذلهم الوسع فيما فيه خير هذه
البلاد . وانا سنحرص على دوام ما يؤيد هذه المنافع المتبادلة الى ما شاء الله
ونستنهض همه أمتنا في الختام الى العمل على حفظ ما بأيديهم من نعم الله
السابعة ، والاستمرار فيها أخذوا به من أسباب النهوض والتقدم ، لان الزمان الحاضر
زمان جد وعمل ، وقد خاضت كل الامم في معامع الحروب والخطوب تأمينا لمصالحها
وبقاءها ، وضحت كل مرتخص وغال في سبيل عزها ومجدها ، وانا لجديرون بأن
نكون في مقدمة الطامحين الى احياء الاجداد ، والسير في سبيل الاجداد ، ورفع شأن
البلاد ، واجتباب كل ما يخل بنعمة حاضرة ، ومعادة مستقبله ، ومن جهة ثانية فاني

أحث قومي على الاقتصاد والاخذ بأسبابه وترك البطالة المنهي عنها في الدين الاسلامي، ولنا معتبر في الحث وشدة الابرام على الثابرة في وسائل الاكتساب مهما كان حكتنا على حالة بلادنا في الوقت الحاضر من جهة ما يظهر في النظرة الاولى من قلة أسبابها الاقتصادية، ولكن مباشرة العمل متبين لكم أنها تأتي بشموات لم تكن في الحسبان، فيكون بها تعديل الحاجة وهوين الضرورة التي أحست البلاد بها في الشهر الاول بل في الاسبوع الاول من وقوع الحصر

وانه لم يبق لأحد عندي في التقصير بشي من أسباب الارتقاء بعد ان فحنت أبواب الاكتساب الخارجية للرجال، وأبواب المدارس للأطفال، وسوف نتمتع حكومتنا في هذا السبيل ان شاء الله حتى نستكمل كل أسبابه، لاسيما المدارس المساعدة على ذلك بكل أنواعها، كالمدارس التجارية والزراعية والصناعية والطبية والمهندسية، وصائر ما يحتاج اليه في حياتنا الجديدة والعمران الحاضر على الطرز والوجه المناسب لقدمية بلادنا، حتى يسهل استثمار ما أعد الله تعالى فيها من لوازم الحياة على أيديكم وبواسطتكم في عهد قريب ان شاء الله تعالى، وليس ذلك بميزر عليكم بالنظر الى ما خصكم الله تعالى به من الذكاء والفطنة، وان خطتنا الاسلامية هي المحافظة على ما نحن فيه والسعي لتثنيته والتقدم به بالتدريج الذي تقتضيه حالة البلاد (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) شريف مكة المكرمة

وملك البلاد العربية

الحسين به علي

[الكتاب]

كان المنشور الماشي الاول خطا باخاسا بالمسلمين وقد نشرنا خلاصته في الجزء الرابع، والمنشور الثاني موجها الى الناس عامة والمسلمين خاصة وقد نشرناه بنفسه في الجزء السادس، وهذا المنشور الثالث خاص بأهل الحجاز وحدهم وكلهم مسلمون كما يعلم القراء، الا أنه يوجد في جدة أفراد من أهل الكتاب المعادين تساهل الحكام من قبل بالسماح لهم بالاقامة فيها. وسبب جعل الحرمين وما يحيط بهما من جزيرة

الحرب خاصا بالمسلمين مع ما هو معروف من تساهل الاسلام هوانها أعظم المعابد الاسلامية وما حولها حرم لها . ومن المساواة في الاسلام انه لا يجوز للمسلمين في دار الاسلام دخول معابد غيرهم ولو مؤقتا الا أن يكون باذنهم ، فهل يجوز الاقامة فيها ؟ ولو كان لهذا الملك الشريف رعية من غير المسلمين لخصهم بخطاب يعلم منه القاصي والداني انه أوسع صدرا وأشد تسامحا من خلفاء العباسيين ، وانه لو حكم بينهم بما يأمره به دينه واجتهاده لكان حكمه خيرا لهم من دستور العثمانيين في دينهم وديارهم . وقد كنت مع جمهور من المسلمين السوريين في مجلسه الشريف من دار حكومتهم بمكة المكرمة ومعنا عبد العزيز بك المصري المشهور فذكرت في سياق الحديث عن الحرب اخلاص القائمين بالتهنئة العربية من المسلمين والنصارى وضربت الدكتور أمين الملوغ مثلا وشاهدا فقال حفظه الله تعالى : يا حضرة السيد اني لا أحب أن يفرق في هذا المقام بين مسلم وغيره ، وإذا كان أصل شرعنا في القمي الغريب هنا ان له مالنا وعليه ما علينا ، فكيف اذا كان من أبناء جنسنا ، ثم أتى على الدكتور وأهرب عن رضائه عنه ، فسر الحاضرون بقوله سرورا عظيما .

عاقبة الحرب

ومكانة بريطانيا العظمى منها

كتبنا في أول العهد بالحرب مقالة نشرت في (ج ١٢ م ١٧) الذي صدر في آخر ذي الحجة سنة ١٣٣٢ بينا فيها من استعداد الفريقين المتقاتلين ومن مقاصدهما ما ظهر لنا بعد سنتين أنه أصبح من كل ما نشر في الصحف مخالفا له . وقد رأينا أن نعيد وأخر تلك المقالة للمقارنة بينه وبين كلام حديث العهد نشر في جريدة التيمس . وهذا نص عبارتنا في تلك المقالة :

« نجلية القول في المجموعتين المتقاتلتين أن انكسار فرنسا وروسيا وبالجملة والحرب والجيل الاسود أكثر من ألمانة والفة والعثمانية رجالا ومالا وأساطيل بحرية وهوائية ، ولكن ألمانة وحدها أعلى منهن استعدادا ونظاما ، ولولا الاسطول

الانكليزي رجحت على الجميع رجحانا ظاهرا ، بل لامكنتها أن تحارب أوبة كلها وتقتصر عليها

« بيد أن هذا السبق في الاستعداد ليس مما ينتظم في سلوك الخوارج والآيات بل يمكن لدول التحالف أن يلحقوها به ، إذا عجزت في أول المهد عن بطشة فاصلة في فرنسة . أما إذا وقف مدحا عند تدويع بلجيكة والاستيلاء عليها وعلى بعض ولايات من شمال فرنسة وجانب من بولاندة الروسية ، فما بعد المدد الا الجزر ، فاذا أمكن للحلفاء أن يزيدوا عدد جندهم ويمدوه بما لم تستطع هي مثله عاد لهم الرجحان عليها في البر ، كما سبق لهم الرجحان عليها من قبل في البحر
فحل الرجاء للحلفاء انما هو التغلب بالكثرة بقاعدة قول الشاعر العربي :

ولست بالأكثر منهم حصي وأعمى العزة لكأثر

« أما هذا المدد الذي يكون به الرجحان البري فلا يرجى الا من قبل بريطانية العظمى ، لان الفرنسيين قد بذلوا كل ما في وسعهم ، والروس — وان كانوا أكثر عددا — لا يجهدون من القناطر والسلاح ولا من الضباط ما يمكنهم من تجميد العدد الذي تسمح لهم به كثرتهم . فالانكليز وحدهم هم القادرون على مضاعفة جنودهم ، وعلى إيجاد ما يحتاجون اليه من السلاح والقذيرة لكثرة معاملهم ومعالهم وما لهم ، وليس عندهم جندي اجبارية تستغرق المال ، وتوقف حركة الاعمال ، وانما يميز عليهم التمجيل بالجهاد ضباط أكفاء لجيش كبير يجهدون تنظيمه تجهيدا ، ولكن الانكليز أهل صبر وأناة ، فلا يدركونه في سنة يرضون بأن يدركوه في سنين ، وتاويهم مرة أخلاقهم في ذلك . وقد قدر لورد كلفشر ناظر الحريسة القائم تجهيز الجيوش الانكليزية مدة هذه الحرب بثلاث سنين

« تبين لنا ما تقدم ما يراه كل الواقفين على الحقائق من أن هذه الحرب ليست الا المظهر الاجلى لتنازع على السيادة والتفوذ والاستلاء في الارض بين الانكليز وأبناء صهم الالمان ، وسائر الدول تبع لها في علها ومعلولاتها ، ومقدماتها وتبعيتها

« دع البحث في المقدمة اتتهى أمره وسيحكم التاريخ حكمه العادل فيها وأما النتيجة فهي ان السيادة العليا في الغرب والشرق ستكون لانكلتة أولا لمانية

لاحتمال، ويكون أحلافهم تابعاً لها، فكون لانكثرة اذا فازت هي وأحلافها بالنصر التام، لانهم لن ينالوا ذلك الا بها، ولا تنهي الحرب الا وقد انتهكت قواهن من دونها، واستحدثت هي من القوة فوق ما كان لها، اذ شرعت بتأليف قوة بريئة يمكن لها مثلها في وقت من الاوقات، كما انها تزيد الاسطول قوة على قوة، وحينئذ تكون أعظم الدول ربها وأقلهن خسارة، واذا كان من بواكر هذا الربح مصر وقبرص والبصرة ومعظم مستعمرات ألمانية في أفريقية أو جميعها كما هو المنتظر فكيف تكون أواخره؟ وأما اذا كان النصر التام لألمانية وأحلافها فقد طالما لمحت الجرائد الانكليزية والفرنسية وغيرها بأن ألمانية حينئذ تبجل أودية كلها تحت سيطرتها، وتنتزع منها جميع مستعمراتها، وانها بذلك تسود العالم كله، ولما نود الى تفصيل القول في نتيجة الحرب على كل تقدير، بقدر ما تسمح به المراقبة الرسمية على الصحف، ونظم في ذلك بأمانتي الشرقيين عامة والمسلمين خاصة^(١) ٧

هذا ما كتبناه منذ سنتين وهدية أشهر وأما ما جاء في جريدة التيمس مؤيداً له فهو ما نشر في جزء المخطف الذي صدر في آخر ديسمبر من السنة الماضية الموافق صفر الماضي وهذا نصه بحروفه الا ما غيّرته لمطبعة من تأنيث أسماء الدول وأوردية بالهاء: رأي الانكليز في عاقبة الحرب

« ان الامان لجأوا الى الدفاع ضد الهجوم في كل الميادين تقريباً والحلفاء يفوقونهم في كل شيء عداً ومادة ما عدا القوة العقلية، وفي يدهم زمام البحار فهم يضيّقون على الامان تضيقاً لا يضعفه علم ولا تقوى على احتماله حجة وطنية مهما عظمت. وما من دولة محايدة يؤبه لها الا وهي تفضل الانضمام اليها على الانضمام اليهم. وستكون العاقبة لنا حتماً ولكنها قد لا تزال بعيدة فان ألمانية لم تقر حتى الآن. تجنبنا بوارجها القتال قبل ان يقضى عليها. نعم أقلت أسواق المسكونة في وجهها وأوصدت أبواب البحار أمام سفائنها؛ وقد حدث مثل ذلك لنوبوليون بونابرت في معركة الطرف الاخر ولكنه بقي في اوج مجده وبقيت ملوك الارض تخطب وده وتسابق الى نيل رضاه

(١) قد وفينا بهذا الوعد ونشرنا في الاجزاء الماضية ما اذن لنا بنشره

« والانسان يعيش في البر لا في البحر والدولة البرية التي تتسلط على نصف أوربة وتمتد سلطتها من البلجيك الى الاناضول لا يمكن اذلالها بقوة بحرية لانها لا تزال تستورد ما تحتاج اليه من البادان الواسعة التي تحت سلطوتها
 « ولا مشاحة في ان ايجاد البحار دون ألمانية قد أضر بها كثيراً ولكن الضربة القاضية لا تكون الآن في البر. هذا ما حدث في الماضي وما سيحدث في المستقبل (المقتطف : وقد مثلت ذلك مجلة لندن بصورة وقف فيها الجنرال جوفرو الفرنسي امام أمير البحر جاليكو الانكليزي وقال فها ما فعلت ولكن الضربة القاضية تكون في البر لا في البحر. كما ترى في الصورة التالية)^(١) »

« ولقد أخطأنا في إلقاء اعتمادنا كله على قوتنا البحرية وإهمالنا قوتنا البرية فكنا كالخراف امام الدثاب لما ذهبنا لمحاربة ألمانية في فرنسا لانا اعتدنا الراحة والرفاهة فأسأنا الى أنفسنا وإلى أوربة كلها بإهمالنا قوتنا البرية

« وسيلنا الآن ان نعلم ان قوة ألمانية الحربية لم تضعف حتى الآن ولادليل على انها لا تستطيع مواصلة الحرب وامتداد جنودها بالرجال والسلاح سنة أخرى أو سنتين
 « من المحتمل ان قيادة جيوش الالمان جعلت منذ الربيع الماضي تخفي عدد قتلام وجرحام ولا تذكر الا القليل منه حالاً رأيت اننا نفى بذلك وبني عليه أحكامنا . ولها غرض آخر أهم وهو ان لا يعلم الشعب الالمانى ما حلّ برجاله . ومع ذلك فاتها لم ترسل الى ميدان القتال حتى الآن الا القليل من مجندي سنة ١٩١٧ ولم ترسل أحداً من مجندي سنة ١٩١٨ . وهي تستطيع ان تجند كل سنة نحو نصف مليون من الشبان . وكثيرون من الجرحى يشفون ويعودون الى ميادين القتال . وقد يكون عندها الآن مليونان من الرجال المستعدين لحمل السلاح وانجاد الجنود المقاتلة . ولا جدال في انها خسرت هي والنساء خسارة فادحة في الصيف الماضي ولكن خسارتهما هذه لا تستلزم أن يطرحا سلاحهما حالاً ويطلبوا الصلح فاهيك عن أن التزامهما خطة الدفاع تقلل خسارتهما من رجال وتمدد أجل الحرب كثيراً
 « فلا ينبغي لنا ان نتوانى بل يجب علينا ان نزيد همّة وإقداماً ونوالي لهجوم

نحن وحلفاؤنا ونكثر من سبك المدافع والقنابل وأعداد الجنود ونستعين بكل رجال الامبراطورية البريطانية . وما دامت حكومتنا قد أقرت التجنيد الجبري ووزعت ادارة الاعمال على الاكفاء من الرجال فلا يهنا بعد الآن من يدخل الوزارة أو من يخرج منها

« وستنتهي هذه الحرب حينما تتأكد ألمانيا انها تخسر كثيراً باطلائها ولا تستفيد شيئاً منها، ولكن ما من أحد يعلم متى يكون ذلك . من المرجح ان أولي الامر في ألمانيا حلوا الآن هذه الحقيقة ولكن يصعب عليهم ان يجاهروا بها قبلما تدور الدائرة على قوادم في معركة كبيرة فاصلة لا سيما وان الشعب الألماني قد استهوى وأقنع ان الفوز في يده فيصعب عليه ان يصدق الآن ما يناقض ذلك »

(المتكلم) : واستطرد الكاتب الى ما يجب على الامة الانكليزية فعله بعد ان يعقد النصر الحلفاء فقال :

« ان الحرب ستنتهي يوماً ما فكيف يكون حالنا حينئذ ؟ اذا اعتبرنا قوانا البرية والبحرية وخبرات بلدنا فنصير أعظم دولة حريسة في المسكوة ، ونكون متمدد حلفائنا ونمتلك ما مساحته مليون ميل مربع من مستعمرات الالمان، ويكون عندنا جيش يحرك من الجنود والضباط يعد باللايين ، ويزيد تفوقنا البحري عما كان قبل الحرب، وتتحقق الامم كلها ان امبراطوريتنا مرتبطة بعضها ببعض، مراها لا تنقسم، وشعوبها لا تنهر ، وفعلها خليق بماضيها المجيد

« ولقد كان ضعفنا العسكري شوكة في جنب جنودنا في السنوات الاخيرة وهو من أكبر الاسباب لتشوب هذه الحرب الا ان ذلك قد مضى واقضى . لكننا قد نخسر كل ما اكتسبناه الآن اذا قامت فينا وزارة تطلب ان نطعم مسيوقنا سنكناً ورماحنا مناجل قبل ان يمين الزمان الصالح لذلك . فيجب علينا ان نكون على حذر مدة خمسين سنة إلى ان تزول رزايا هذه الحرب وما أثرته في النفوس ويعود الأمن والسلام الى نصابها

« علينا ان نحذر الفرور كما نحذر الحول لئلا نضيع ثمار الغفر، فقد اعطينا زعامة حلفائنا فصارت زعامة أوربة لنا بحق مكتسب، فلا ينبغي لنا ان نحل محل ألمانيا

فكون قوة حربية مستبدة مثلها لاننا أصعب البوارج والرجال والاموال وقنوخى التفوق الحربي على خبرنا. بل يجب ان يكون غرضنا النفع العام وخدمة نوع الانسان . أما البحر فيجب ان يبقى لنا التفوق فيه وأما البر فيجب ان يكون هدنا من القوة ما يكفي لحماية ثغورنا وبلداتنا مهما اختلفت تصارييف الزمان . ولا نخدعن أنفسنا بأن القوة البحرية كافية وحدها كما فعلنا فيما مضى

« يجب ان نمرن شبابنا كلهم على استعمال السلاح ، لا لكي يضرهموا نار الحرب به بل لكي يمنوا اضطرامها ويحموا كل أملاكنا ومستمراتنا وبمفظوا تاريخ أسلافهم المجيد

« والنور في الحروب والغلب على المكافه مفروسان في نفوسنا حتى ان جنودنا الذين دارت الدائرة عليهم في أول الحرب واضطروا أن يمودوا القهقري أمام العدو لم يكن يضطر لهم ان يفكروا أو يتكلموا الا بأن الفوز سيكون لهم أخيراً ، وقد دامت هذه العزائم كل مدة الحرب وسبقني أشرف ميرلث ثورته لقريننا من بعدنا »

(المقتطف) : هذا ولم نكد نتهي من كتابة هذه السطور حتى طبر الينا البرق ان ألمانية عزمت ان نجعل بلادها كلها مملالا للسلحة والذخائر الحربية أون نجسب البلاد كلها محلا تجارياً كبيراً ونستخدم كل ما في بلادها من الايدي العاملة ومعدات العمل لخدمة الجيش وان لا تكتفي باستخدام الرجال والاسرى بل نستخدم النساء أيضا ، ويقال انها عزمت على تجنيدهن أيضاً. وان ابتكاره قررت انشاء ادارة لتتوّن برآسة رجل مطلق التصرف يحق له ان يرغم الناس على الاقصاد واتها حظرت على السكان اكلان المواد الغذائية واستعمال السكر في الكاليات وطحن الدقيق على الاسلوب القدي يزيل منه المادة السمراء فتقتل ففديته ا ما تقتلاه عن المقتطف من ترجمته وتمايقه .

ومن قابل ماقله عن جريدة التيمس التي هي أعظم الجرائد الانكليزية مكانة ومعرفة بماقلناه في أول المهد بالحرب في شأن ظفر ابتكاره وحلقاتها يجده شيئا واحدا

الحركة الطورانية الجديدة

في بلاد تركيا^(١)

نقل هذه المقالة عن العدد ١٨ والعدد ١٩ من جريدة القبلة الغراء مع تصحيح بعض الالفاظ :-

قرأنا في جريدة (نيراست) الانكليزية الصادرة في أول ذي القعدة مقالا خطبياً (١) تحت عنوان الحركة الطورانية الجديدة ترجمتها (٢) الى لغتنا العربية الشريفة ونشرناها على صفحات القبلة لعل فيها عبرة ومزدجراً فان أسرار الانحاديين والحمد لله قد ذاهت وشاعت حتى أصبحت حديث الشرق والغرب. وان رواها لأشد منها وأفظع، وأدهى وأمر، وسيلم التازحون عن المملكة العثمانية من حقائق الانحاديين الطورانيين ما دله العرب العثمانيون قبل ذلك أعوام فاستمدوا للدفاع عن كيانهم وعن دينهم، وبعضهم سادرون في غفلاتهم هائمون في أودية الاوهام ولا ضاليل واليك ترجمة المقال المذكور

ظهرت في تركيا حركة جديدة عرفها القوم باسم (بني طوران) أعني طوران الجديدة وقد نبئت في الاستانة سنة ١٣٣١ ثم أخذت تنتشر في أجزاء كثيرة من الساطة، وقد انتازت هذه الحركة بكونها مقصورة على فئة مخصوصة غلبتها توحيد القومية التركية بالانصبة الجنسية دون الربط الدينية الاسلامية. واليك بيان النيات التي ترمي اليها في مساعيها وأعمالها :

(أولاً) ان تجعل الاتراك أمة قائمة بذاتها مستقلة عن الدين الاسلامي تمام الاستقلال حتى يتبأ لها أن تربي فيهم ذلك الشعور القومي الذي ذكره الدكتور الفردنوخ في مقالة نشرها تحت توقيع في جريدة (اندرونخ) الالمانية على أثر حديث

(*) قد غلبت هذه المقالة صاحب المختطف ناسبا اياها الى أحد أدباء الانكليز وابقى كلمة الطورانية بالهاء

دارينته وبين زعماء الاتحاديين . (١)

(ثانياً) ترقية الروح العسكري التركي فقط (٢)

(ثالثاً) انشاء العلاقات التجارية وغيرها من الصلات بين مسلمي بلاد المعجم الشمالية (آذربيجان) وبلاد روسيا في آسيا والاعزاء الجنوبية منها .

(رابعاً) تطوير اللغة التركية من الالفاظ العربية والفارسية ومن آداب هاتين اللغتين .

ولهذه الجمعية التركية مطبع آخر ترمي اليه وان لم يجهز به رسمياً وهو تنريك العرب وإدغامهم في الترك حتى لا تبقى لهم قومية قائمة بذاتها . وأكبر آمال هذه الجمعية ان تجعل التركي السني بعد نفسه تركياً قبل كل شيء ، وأما كونه مسلماً فيعد عنده من المسائل الثانوية التي لا تهمه كثيراً .

أما هذه الجمعية فانها تقوم بتلك الاعمال بايعاز من السلطة الحاكمة التي تؤيدها بكل وسيلة ممكنة وتدفع لها كل ما يلزمها من المال لاجل بلوغ هذه الغاية وهم يسمونها (ترك أوجاغي) أي حمية الوطن التركي . وهي تقوم الآن بنشر دعوتها والقيام في أعمالها بهمة قاتقة . أما الاطفال الترك فإن المدارس الطورانية التي شرع في انشائها كفيلة بأن تنرس في نفوسهم تلك الروح التركية الجديدة

وقد بذلوا غاية الجهد في تدريس التاريخ القومي للطورانيين وأفرغوا كل عناية لنشره في المدارس العالية وحضوا الطلاب على التنافس فيه والتهافت عليه ، وأخذوا بتأليف قوة كبيرة من فتيانهم سموها بالتركية (ابنجي) أي قافة الاثر . ووضعوا تحت رعاية أتور باشا وهم يدرسونها على الفنون العسكرية حتى تكون قادرة على الانضمام للجيش العامل وتفوق غيرها من أبناء العناصر الاخرى كالعرب والاكرد واللاز ونحوهم . ولهذه القوة الضخمة علامات مخصوصة وشارات معينة وألقاب معروفة وكلها تركية قديمة يرجع تاريخها الى ما قبل العصر الاسلامي . أما الاولاد الذين

(١) عبارة المختطف : وهذه العبارة هي عبارة الدكتور الفردي نوسيج من حديث دارينته وبين زعماء الاتحاديين ونشر في جريدة درتاج الالمانية اه (٢) ترقية الروح العسكرية بين الترك اه م

أسماءهم مأخوذة من العربية فقد استبدلوا بها ألفاظا تركية محضة بدعوى أن الكشافة تركية خالصة وأن أسماءها يجب أن تكون كذلك اتعاقبا للقومية ورعاية للجغسية ، ومن الاسباب التي عملت على ايجاد هذه الحركة أمور علمية ولغوية لان الاتحاديين شرعوا في نقل كتب كثيرة من علمية وتاريخية الى لغتهم فكان لها في نفوسهم تأثير . وقد تفاؤوا في ذلك حتى عزموا على ترجمة القرآن الكريم الى التركية واستعماله في العبادة بها لابلسان العربي، ولكن العلماء المسلمين من جميع النحل حتى بعض الترك أنفسهم عارضوا في ذلك أشد معارضة

وقد طبع الاتحاديون كتبا كثيرة لتأييد المبدأ العنصري ومن ذلك الروايات الكثيرة التي وضعوها وأسمها (بني طوران) وهي الرواية التي كتبها احدي نسايم المطالبات بمقوق الانتخاب واسمها (خالدة خاتم) وقد حذت فيها تلك الحركة الجفسية ونوعت بمطالب السيدات وحقوقهن ، ولا ريب ان مشكلة المطالبة بمقوق النساء وما يقوم به الاتراك من نشر دعوتهم والحث على العودة الى مدينة طوران من شأنه ان يعيد الى مخيلة الانسان ذكرى ما هو معروف عن الاقوام الطورانية وما كانت عليه من الاحوال الاجتماعية لان استبدادهم بالنساء وما ألحقوه بهن من ضروب القسوة والظلم يفوق ما فعلته جميع شعوب الارض في العصور المظلمة يقال ان الحركة التركية بدأت بالظهور تحت صور شتى واسباب مختلفة أولاها اللغة التركية ومحاولة كتابتها بما يخالف الاحرف العربية حتى تعذرت قراءتها على كثيرين . على ان هذا الامر لاشأن لنا به على الاطلاق . وهنا لك أسلوب آخر أعني به توطيد العلاقات مع مسلمي روسيا والقوقاس دون غيرهم من سائر المسلمين بحجة أن هذه الاقوام ربما كانت من أصل تركي أو ان تتركها ممكن في الاقل ولكن ذلك لم يتقدم من خطر الاندماج في العرب وخسران قوميتهم مادام للاسلام سلطان على النفوس ^(١) ولذلك عالجوا أمرهم باحياء اللغة التركية والسعي في استقلالهم عن سواها .

(١) عبارة المقتطف : والا لا يتبع العرب انترك العثمانيين في آخر الامر ولو فاز هؤلاء باستخدام الجامعة الاسلامية لبلوغ غاياتهم

أما "بابث الثالث الذي شدد عزائمهم فهو كتاب تلاه^(١) الدكتور ناظم المرحص المنزل لجمعية الاتحاد فكان كالجذبة أصابت هشيمًا يابسًا لانه أوقد في نفوسهم نار الحماسة والحمية . وذلك الكتاب مؤلف تاريخي وضعه الموسويون كوهين بالفرنساوية عن آسيا والأتراك في منغوليا وأصلهم منذ سنة ١٤٠٥ ميلادية وقد صدر ذلك الكتاب سنة ١٨٩٦ وبما ان الجمعية العلمية الفرنسية قرضته وخصته بالعناية فقد حلّ عند الاتحاديين مكانا رفيعا فنقلوه الى التركية ببارات بالقوا فيها ما استطاعوا ولم يلتفتوا اليه الى صحة بعض الاحكام والآراء المذكورة في الكتاب بل عدوا ذلك أمراً نوياً بالنسبة لحظتهم المرسومة . ومن البديهي ان من مقتضيات تلك الحركة استقلال العنصرية التركية دون الاسلام تمام الاستقلال وافضلها عنه أشد الانفصال . وان ذلك لا مخطر عند المسلمين وغيرهم من الدول العظمى مثل روسيا وفرنسا وإيطاليا وانكلترا لان لهذه الدول هدداً كبيراً من الرعايا المسلمين وذلك ما يجعل لهذا الانقلاب أهمية كبيرة في الشرق والغرب . وهذه الحركة كما يقولون مقصورة على جميع الاتحاد والترقي ومبنية على نظرات استاذهم المجري فبري لما علق في ذهنه من المزامع القديمة . بالية من ان الاسلام ينافي الوطنية^(٢) . ويزعم الاتحاديون أن الاسلام باختلاطه مع التقاليد والمؤثرات العربية والفارسية واليونانية والبيزنطية قد حول الترك الى عنصر شرقي مسلم ليس له مدينة (كانتور) خاصة به، وهم يقولون ان هذه الحقائق نهمهم على الاهتمام بمصيرهم والتفكير في عاقبة أمرهم وزيادة العناية في تمييز الحياة الوطنية التركية عن الاسلام

أما تيار المهاجرة التركية فقد بدأ منذ أوائل عهد التصرانية في آسيا من بلاد الصين والاكسوس . وكانت ديانتهم في ذلك الزمن على افترض أنهم كانوا يدينون بدين خاص ما يسمونه اليوم (السامازم) أي العبادة الوثنية^(٣) . وكانت مدينتهم

(١) أي اطلع عليه وقرأه (٢) عبارة المختطف : ويقال ان احرار الترك يميلون اليها . بوجه خاص بناء على القاعدة التي وضعها فبري اليهودي المجري المعروف وهي أن «لاوطن في الاسلام» (٣) المختطف : كانت القبائل التركية تقطن بلاد آسية من حدود الصين الى نهري جيحون (او كسوس أو موداريا كما يسميه التتر) وكانت ديانتها - ان كان لها ديانة - ما يسمى «بالشامانية» أي عبادة قوى الطبيعة بالشعوذة والسحر

مؤلفة من المبادئ البسيطة المعروفة عند قبائل الرحالة المنتشرة في أواسط آسيا كإقضي بذلك مركزهم الجغرافي وحالتهم الاقتصادية المحيطة بهم. ولم يكن لهم من الزايا غير الصفات الحربية، ولم يكن لهم من الشرف القومي أيضا سوى ما يستمرونه من شرف الامة التي تستخدمهم بالدرهم للمحاربة في صفوفها، وكانوا يعرفون بالطاعة لكل من أطعمهم وتولى قيادتهم في ساحة القتال. ولا مشاحة ان التركي لم يستطع تجاوز تلك الحدود من ثقافته. ولم يكن للتركي دين خاص به ولم يعمل شيئا لترقية شؤونه وبلوغ درجة رفيعة من المدنية، ولم يحاول الترك قط أن يخرجوا بقية اجناس قومهم، وان كان جنكيز المغولي قد حدث نفسه بهذا الامر وجعله نصب عينيه وأكبر آماله. ولم يكن للتركي يقتبس من المدنية الاماتلجته الاحوال الضرورية اليه لاحتكاكه بها كرها كالموقع له مع المدنية الصينية فالفارسية فالعربية فالرومية فالالمانية. ولا يقع في وهم أحد أن ما استعاره التركي من مدنات أولئك الاقوام ولا سيما مدينة الاسلام قد حال دون بلوغه (كثثور) مدينة خاصة به^(١) وان التركي لم يظهر في عصر من العصور مقدرة خاصة أو امتدادا طبيعيا لاجل النهوض واطهار مدينة يستقل بها عما كان يقترضه اقراضا ويقلده تقليدا مضحكا وفي الحقيقة ان العثمانيين من ين قبائل التركن أقل الناس لياقة لتمثيل أمة. بذلك على ذلك ان الاناضول عدا ما فيه من قبائل اليهودك والتركن خال من آثار القبائل التركية الاصلية. لان القومية التركية فيه ليست اللفظة أوجدتها الاحوال السياسية. وليس الدم التركي فيها سوى قطرة صغيرة في بحار تلك الدماء المتحدة من الاقوام والشعوب القديمة الراجعة في تاريخها الى ما وراء تأسيس القسطنطينية باجيال كثيرة كالليونان القدماء والفريجييين والفلاطيين والاشوريين والكلاريانس والحثيين، وتلك الدماء هي التي تحركت في اعصاب ذلك المزيج المسمى بالعثماني فاجلجت فيه ميلا للزراعة وحرمة الارض، ولا سيما العناية بالبحرية في القرن السادس عشر. وقد كان من جملة العوامل التي حفظت وجود الأتراك حتى اليوم بصفة شعب معروف أمران: الدين والطاعة العسكرية. فاذا ذهب الاسلام من تركيا فاذا عسى أن يبقى لها. وقد أجاب عن ذلك أصحاب (قوم جديد) فقالوا انه سيبقى لهم

(١) كذا في القبلية والمراد: دون انشائه مدينة خاصة

اتراك طوران والاسلام بصورة جديدة فيكون ديننا وطنيا أهليا. على ان شعب طوران لم تظهر عليه دلائل الابتكار والاختراع فيستطيع قلب الاسلام رأسا على عقب وجعله كما نشاء عنصره الطورانية وكما يزعم اقطاب القوم الجديد، وكل ما في الأمر ان الطورانيين سبقا في التدمير والتخريب والقتل كما فعل جدهم هولاء كو قد دمر النرع المائية التي كانت في المراق وجعل بقاعه الحصبة مجدبة حتى اليوم. أما الطورانيون العثمانيون فقد نسفوا المدينة البنظلية الزاهرة، ومثلهم جنكيز السفاح الذي ملأ بخاري بانيا وظلها. وقد لا يصدق الناس أن تيمور كان من الفرسان وان جنكيز من اقطاب السياسة. ولقد أفاض المسيو كوهين في وصف المزايا العسكرية الطورانية ولكنه لم يذكر شيئا عن قضاها الا ان انا كوريسلر أصلح ذلك الخطأ في ما كانت تستعمله تلك البطون الطورانية من ضروب القسوة والظلم مع جميع الامم الخاضعة لاحكامهم، وليس لتركى لغة أو اهتمام خاص في الامور الدينية ولذلك لم يبدل شيئا في خدمة الاسلام الذي جدينه بيده فلم يتقدم خطوة ولذلك يستصعب العارفون قدرة (قوم جديد) على جعل الاسلام تركيا محضا وما لا ريب فيه ان التركي يخاف العرب اشد خوف ويدأب في استعمال كل الوسائل لجعلهم اتراكا ومحو قوميتهم تقليدا لما فعله شورلويك هولستين مع ولايات الدانمرك التي انضمت لالمانيا وقد صرح بذلك جلال نودي بك في احد كتبه فقال «ان البلاد العربية بأسرها ولاسيما العراق واليمن يجب ان تكون تركية في اللغة والجنس وان تكون لغة الدين عندهم تركية أيضا، والاسراع في تركى البلاد العربية من أهم الامور لحفظ وجودنا لان روحا جديدة بدأت تدب في نفوس العرب ورجال نهضتهم وأخذت تهدد وجودنا السياسي بضربة تقضى علينا قضاء مبرما فالضرورة والحالة هذه توجب علينا ان نكون على تمام الاهبة والاستعداد لاقاء هذا الخطر.» وكتب احمد شريف بك في جريدة طين ما ياتي « يتحدث العرب كثيرا في هذه الايام عن قسم وقوميتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلا تاما كأن بلادهم ليست خاضعة للترك، فالواجب يقضى على حكومة الباب العالي أن تهتم اهتماما فليا في جعلهم يفسون هذه النعمة وتضطرهم لتعلم اللغة التركية الرسمية. فاذا أهمل الباب العالي ذلك كان كن يحفر قبره يديه. واذا بقي العرب على يقتلهم هذه

فلا يبعد أن يهوا لاسترجاع ملكهم وفي ذلك القضاء على السيادة التركية في آسيا،
وهناك أدلة أخرى عديدة على أن الأتراك يسعون بكل جهدهم للقضاء على أمة شريفة
كالأمة العربية ومحو أثرها من عالم الوجود ولكن الحلفاء يدافعون عن مبدأ القومية ويؤيدونه
وهم لا يسعون ببناء أمة كريمة تريد البقاء ولا سيما إذا كانت أمة أخرى طاغية تريد سحقها.
وذلك ما يجعل يبول الحلفاء عريضة محضه وهو أمر لا يرتاب فيه أحد من المسلمين المتمتعين
بالعيش في ظل انكسار وفرنسا. فالحلفاء أنصار العرب وهم يسعون لتأييدهم لأنهم أصحاب
الدين الإسلامي الخفيف ومنهم النبي الأعظم (صلى الله عليه وسلم) وفوق ذلك كله فإن
هناك صلة قرابة قوية بين العرب والمسلمين التاجين لحكومة فرنسا في شمال إفريقيا.

باب المراسلة والمناظرة

تأثير الصحافة في أخلاق الأمة

سيدي الأستاذ صاحب (المنار)

بمناسبة مقالكم الصريح عن حال المسلمين الاجتماعية ومكان الأغنياء وسائر
الطبقات منها رجا جازلي أن أعرض بكلمة وجيزة لمسألة حيوية مرتبطة بهذا الموضوع
وهي تأثير الصحافة في أخلاق الأمة.

بديني أن الصحافة من الموازين التي تقاس بها درجة الرقي في شعب من
الشعوب كما أنها إحدى الميكانيكات له وأحد عوامل الإصلاح إذا قبض على زمامها
من لهم خبرة به. ليس من الصعب على الإنسان إذا فحص حالة الجرائد في قطر
من الاقطار أن يقرر حكما تقريبا عن مبلغ نهضة أهل ذلك القطر وشكل مزاجهم،
كذلك ليس من الصعب التنبؤ بمستقبل الحركة الفكرية في أمة ما استنتاجا من
مشرب صحافتها التي هي أشبه بمربى ومهذب لها. والدارس لحال الصحافة في وادي
النيل لا يتيسر له التناول الحسن عن تقدمنا في الآداب والأخلاق.

عودت الصحافة المصرية الرأي العام على قبول المدح يُزف لمستحقه ولغير مستحقه
بغير حساب، وهودت الجمهور على أن لا يعمل عملا بغير جزاء مادي أو غير مادي
أقله المدح سطورا لا نعد، فأصبحنا وليس بيننا من يعرف مبدأ التضحية ويعمل به

الاشواذ شقوا بسوء أخلاقهم وضاعت أتماهم ومجهوداتهم الثمينة. وصار لا يعرف لاحسان الا الاقلية الضئيلة الصالحة ومن عداها من المتظاهرين بالبر فناققون تضطرمهم الى ذلك الرهبة من الرؤساء والحكام أو متناحرون يرغبون في الاعلان عن أنفسهم بما يفتقونه. وليس من الغريب بعد هذا اذا أصبحت جميع مشروعاتنا الخيرية عرضة للفشل، كما أنه ليس من المدهشات أن يتصدى بعض الناس لقيام بعمل خيري دون أن يكون لهم في الواقع غيرته عليه بل كل قصدهم لاعلان عن أنفسهم سواء نجح العمل أم لم ينجح. وينبع كل هذا بطبيعة الحال اساءة الظن من بعضنا لبعض، وتسننا في أعماننا، وتساقنا الى شهرة كاذبة وغرور باطل، وإغراق أخلاق الأمة ومصالحها في هذا التيار. لم يقتصر كرم الصحافة بالاطراء المتناهي على العمد والاعيان بل شمل أيضا رجال مهنة الطب الشريفة وخلطت الشخصيات فيه بالعموميات فأصبحت أنهار الصحف مزدانة يوميا بالاعلانات الفخمة عن الاطباء مما يندى له جبين الحر، وما ضر سعة هذه المهنة الجليلة في القطر المصري. وبعد هذا وذاك تشكر الصحف من المتساجرين بالطب من أهله ومن غير أهله. فكم قرأت من أوصاف المدح لاطبائنا ما لا يقال مثله لاوزلر أو رولستون أو أراخ أو كولرس أولين أو أوجل أو غيرهم من فضائل علماء الاطباء بأوربا، وأتذكر أني زوت وطلتي منذ ثلاث سنوات وكنت لا أزال حينئذ طالب علم فكتبت عني وقتئذ إحدى الصحف المرية الكبرى بالقاهرة مالا يجوز أن يكتب الا عن ذي منزلة عليية كبيرة واضطرت على كره مني أن أحرر كتاب عتاب شديد الابهجة الى صديقي المحرر..... ولا تزال الصحف تعود طلبة العلم الناشئين حب الظهور الضار ولا سيما الطلبة في أوربا. واتي مع اعترافي بأن منابض الحاصلين على شهادات عليية عالية جليلة المترتبة ومقلدون، وأن منا بعض المتفوقين على اقربائهم الاوروبيين في امتحانات المسابقة للجوائز العلمية بهادات الشرف ومأقل وأندره—أرى أن كل هذا لا يميز للصحف أن تبلغ في فوز وتتمتع بأكبر التعوت التي لا

يح مؤد الى فساد اخلاق

فهذه يا سيدي الامانة كثيرة سيبتها الصحافة بتهاونها

بدل أن تقضي عليها وعلى أمثالها بالموعظة الحسنة والقودة الصالحة، وأدت الى الكثير من تشكو ويشكونه الفيورون المصلحون الذين لا يعرف أقدارهم الا متى حرمانهم من مساعدتهم فتقدم برهة على التفریط حين لا ينفع الندم، ثم نستمر في ضلالتنا، ومعظم الصحف تجرنا في ذلك حرمنا على مودتنا لها، بدل أن تزجرنا وترشدنا بحافى فنعنا. فحبذا لو وجهتم عنايتكم بالاصلاح شطر صفاتكم الافاضل مرة قبل أن يستفحل الداء فقد أشرقنا على عهد لا يكاد يستطيع شريف النفس أن يضمن النجاح لعمله بقله وجده في هذه الفوضى ما لم يقرن ذلك بالاعلان عن نفسه والسسرة في هذا السبيل . واذا كان أحد أسباب هذا المصائب الجبل وضه - الاخلاق قاتني الاسباب هو انحطاط الصحافة

نادي مستشفى سانت جورج بلندن احمد زكي ابو شادي (طيب)
[المآر] أحسن الكاتب وأصاب ، ولارضاء في ارجاع الصحف بالنقد الى مجمة الصواب، لان أكثر اصحابها لا يقصدون الاصلاح، وجميعهم يقصدون الكسب والجاء، والذين يميلون الى الاصلاح منهم يتحرون في كلامهم ما لا يسوء القراء كالمسائل النظرية والارشاد المجمل . ثم هي تمدح من يستحق القم ، وتسكت عما يجب من النقد . ولا ينسج هذا التعليق الوجيز للإطالة في تأييد رأي الكاتب في جنابها على الاخلاق، ولكنني أقفل فيه كلمة نقضي عن مقالات :

حدثني شيخنا الشيخ حسين الجسر عن حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني وكان قد قبه في الآساتة بعد انشاء جريدة طرابلس الشام التي كان الشيخ شريكا ومحرمرا فيها ولكن مقالاته فيها لم تكن ترمز اليه قال

قال لي السيد ان جريدتكم « طرابلس » قد جمعت بين الكفر والاعماء، نرى في صدرها مقالة في مدح الصدق وذم الكذب مثلا وأكثر ما فيها بعد تلك المقالة كذب — وأشار الى ما يذكر كل عدد من اطراء رجال الدولة والحكومة وغيرهم من الوجهاء — فقلت له ان مديبر الجريدة يفعل هذا على سبيل التقية (وذكر الشيخ انه متصل من مهنة الصحافة) فقال له السيد: التقية مذهب الشيعة... وأنكر على الشيخ اتصاله من الصحافة وقال أنا صخني ثم قال وهو المراد : إننا لا نخطو خطوة واحدة الى الامام الا اذا أعطينا كل ذي حق حقه فسميتا العالم عالما والمصلح مصلحا والمفسد مفسدا...

جمعية النهضة النسائية بمصر

اجتمع عدد من كرائم السيدات الوطنيات في ٢٧ يناير الماضي في منزل حضرة السيدة الفاضلة حرم صاحب العزة اسماعيل بك عاصم الحامي الشهير فآلن جمعية أدبية فآلتها السعي في ترقية المرأة الشرقية والاهتمام بمسئلتها بعد هذه الحرب وقد افتتحت الحلقة حضرة ربة المنزل بالكلمات الآتية

أبدأ قولي بحمد الله والصلاة والسلام على من اصطفاه

وبعد فآني ياسيداتي وبأخواتي الأعزاء أرآني وآآني في موقعي هذا منشرفة الصدر بتشرىفكم منزلي آجآبة لدعوتي بالحضور آلى هذه الحلقة المرآد بها البحث في ترقية المرأة الشرقية لتساوى آختها الغربية في الحضارة والآرتقاء

أقول الآرتقاء ويعلم الله آني لا أريد بقولي هذا آنها في انحطاط أو مهضومة الجانب أو آنها لا تصلح للرقىء حآشآ فالمرآة الشرقية كانت ولا تزال عززة الجانب أهلا لكل فضيلة غير آنها يتقصها الآن آهآن العلم والعمل به آتفآنا ينهض بها آلى منزلة اسمى مما نحن عليه لأن العلم وحده لا يكتفى. مثال ذلك ان كثيرآ من أهل الطبقات الراقية أمثال حضراتكن ادخلن بنآتهن المدارس وصرفن المصاريف الجمة ولكن ذلك لم يآت بالفرض المروم لآهن اقتصرن على تعلم العلم من دون عمل فآهن يمكنن بالآفات وبآيديهن الشهادات ولكنهن آذا آجمنن فلا حديث لهن آلا الآزياء وآغيطآت وآلحائر وآلتيلآت والآعجاب والآزياء الحديثة

هذا هو الموضوع الآ كثر رواجآ بينآ الآن . فآذا يؤخرنا آذا يآحضرات الفاضلات وكلكن من التعلعات الراقيات وآله آلمد عن النهوض نهضة علمية عملية وآلآعاضد جميعآ على البحث فيما يلزم لهذا الرقىء ونحن الآن في عصر النور والآصلاح. فلهذا قد آجتمعتنا لهذا كآرة في هذا الشأن الخطير وآهرير ما يلزم للهدآية آلى الطرق التي توصلنا آلى هذا الغرض الشريف كقوله تعالى (ولكن منكم أمة يدعون آلى الخير) وآني آسأل آله ان يكآل عملنا هذا بالنآجح وان يؤقنا جميعآ لما فيه النفع والآصلاح . وان شاء الله سآلني في الآجتماع القادم محاضرة أدبية آين فيها الآدواء وما يلزم لها من الآدواء لترقية الآخلاق والآفكار وآله المستعان

ثم دعت الكآبة آلميدة صاحبة مجلة فتآ الشرق الزهراء للخطابة في موضوع ترقية آخلاق المرأة الشرقية فآلفت خطآبا مفيدا كان له آجل وآفع في نفوس السيدات ووصفكن لها مرآرا وما زلن يتسامرن ويآجاذبن الحديث في مواضع أدبية مفيدة ثم انصرفن شاكرآت ربة المنزل على السعي في هذه النهضة المفيدة وقد وعدن بالمداومة على الحضور فيها

تقریظ المطبوعات الجديدة

﴿ تصحیح کتاب الاغانی ﴾

كان علامة اللغة وإمامها في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي قد صحح في نسخته من كتاب الاغانى المطبوعة بالمطبعة الاميرية كثيرا من الاغلاط التي كان يصر عليها عند المطالعة والمراجعة وزاد عليها في بعض الاجزاء بعض الفوائد والايات من الشعر كتبها على المواءش فني (محمد أفندي عبد الجواد الاصمعي) بجمع تلك التصحيحات والزوائد من نسخة الشنقيطي بعد ان صحح بها نسخة المكتبة الزكية باذن واقها احمد زكي باشا وارشاده وأضاف اليها تصحيحات وزوائد أخرى لاحد زكي باشا من نسخته وطبع ذلك كله ميثا مكان الغلط وتصحيحه من طبعة المطبعة الاميرية وطبعة الساسي وأضاف الى ذلك استدراكات على فهرس الكتاب ، فبلغ المطبوع سبعين صفحة كبيرة كصفحات الاغانى ، وكل من ينظر في كتاب الاغانى المطبوع من أهل العلم باللغة وفنونها يجزم بأن فيه من الغلط الكثير الذي لم يذكر في هذه التصحيحات ما لا يخفى مثله على الشنقيطي ، لذلك جازمت بأن الشنقيطي لم يصحح الكتاب كله بل بعض ما كان يصر عليه عند المراجعة أو المطالعة ، ولكن جامع التصحيحات ظن أنه صححه كله بقصد ، وأن تصحيح زكي باشا جاء كاستدراك عليه ، فهو ما خفي عليه أو مما ذهل عنه ، واتي أزيد رأيي بشاهد واحد بل شواهد كثيرة في قصيدة واحدة وهي قصيدة أبي دلالة الفتيحة المنشورة في ص ١٣٠ من جزء الاغانى التاسع من طبعة الساسي ، ففي هذه القصيدة أغلاط لا تحتمل التأويل ، وهي منشورة في الجزء الاول من المقد الفريد ، ومن راجعها عليه يرى بين ما فيه وما في الاغانى اختلافا كثيرا وزيادة وقصا ، والشنقيطي كان مطلعا على المقد الفريد فلو كان ملتزما تصحيح الاغانى لصحح غلط القصيدة وأشار الى ما خالف رواية الاغانى فيه رواية المقد ، ومن التصحيح فيها قول الشاعر

وطالما اختلفت صيفا وشاتية الى مذهبها بالوحد والكف

صحفت كتابا « صيفا وشاتية » في الاغانى بمحطها « ضيفا وشاتية » ومن التحريف فيها قوله

« والحق في طرف والعين في طرف » حرفت فيه كلمة العين المراد بها القند بكلمة العين؛ هذا ونا نشكر للإديب الأصمعي هذه الخدمة التي لا يتقص من قدرها ما ذكرنا من الحقيقة، ونصح لكل مقنن لكتاب الأغاني بتصحيح نسخته على هذه الجداول تصحيح كتاب لسان العرب

كتاب لسان العرب لابن منظور الأفريقي أعظم معاجم اللغة التي أنصفتنا بها المطابع ولكن فيه غلطا طبعيا كثيرا، على كونه قد طبع بالمطبعة الأميرية التي هي خير المطابع العربية تصحيحا، وأذكر أنه لما سافر الأستاذ الامام سفره الأخير إلى تونس والجزائر وصقلية وأوربة أنابني عنه بتصحيح كتاب المخصص مع الشيخ محمد محمود الشنيطي (رحمهما الله تعالى) فكان هذا يذكر لي في أثناء التصحيح كثيرا من أخطاء لسان العرب التي اعتمد عليها مصححو المطبعة الأميرية في تصحيح المخصص فأخطوا، وقليلًا من الأخطاء التي أخطأ فيها ابن منظور نفسه في النقل أو الإهداء على بعض الروايات المرجوحة في اللغة. وقد اتدب صديقنا أحمد بك تيور الباحث القوي الشمر بتدقيقه وسعة اطلاعه لجمع ما تبسره من تلك الأخطاء وتصحيحها وكان ينشر ذلك في مقالات متفرقة في جريدة المؤيد ومجلى الضياء والاستار، ثم جمع شمل تلك المقالات وزاد عليها ما عثر عليه بعد نشرها، وأذن لمحمد أفندي عبد الجواد الأصمعي بطبع ما جمعه وحرره منها - وهو القسم الأول من التصحيح - فطبعه ووعد بنشر ما اطلاع عليه من تصحيحات الامام الشنيطي والشيخ حمزة فتح الله والشيخ إبراهيم اليازجي والشيخ محمود مصطفى والشيخ محمد البليسي أيضا، فتشكره هذه العناية.

الكوكب

جريدة سياسية أدبية أسبوعية تصدر في القاهرة بشكل كراسة من قطع الكتب الكبيرة ثمانى صفحات مطبوعة طبعا جيلا بحروف الطبعة الأميرية الجديدة، موضوعها تنشيط الحركة العربية ودعوة سائر عرب الجزيرة إلى القيام بمثل ما قام به عرب الحجاز القضاء على سلطة الترك وتقليص ظلمهم - غير الظليل عن سائر البلاد العربية - والظاهر أن لها موارد خاصة تستقي منها أخبار مساوى الترك وفتااتهم في سورية والراق وكذا فتاظم حقاظهم اللان في أوربة، وأنها كانت توزع في بلاد العرب دون مصر، وأول عدد ظهر منها في مصر هو السابع عشر قرطه المقطم، ثم اطلنا عليه وعلى أعداد مما صدر بعده، ونحن كل عدد من هذه الجريدة قرش مصري صحيح (١٠ ملهات)

أولئك الذين عدلهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فليس عبادي الذين يستمعون القول فينبون أنه

المسحاة
١٣١٥

أولئك الذين عدلهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فليس عبادي الذين يستمعون القول فينبون أنه

قال عليه الصلاة والسلام: ان لا سلام سوى و «منارا» كتنار الطريق

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٥ - ٢ الموت (ش ٢) ١٢٩٥ ش ٢٢ فبراير ١٩١٧

فَسْأَلُكَ الْمَلِئِكَةَ

فصحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لايسع الناس عامة، ولشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بمدد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بماشاء من الألقاب ان شاء . واتنا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا، ولن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ ربح صندوق التوفير ﴾

(س ١١) من صاحب الامضاء بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الاستاذ الجلال حفظه الله

السلام . اياكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد قانا كثيرا ما سمعنا من الناس الباحة وضع الاموال في صناديق التوفير بالبريد وأخذ الفوائد منها وذلك بما لا نشك أنه الربا المحرم باجماع المسلمين لا نعلم بينهم خلافا ثم اذا ناظرناهم فيه استقدوا الى ان الاستاذ الامام رحمه الله وغفر له قى بمجوازه في فتوى رسمية ولما كنا لم ر هذه الفتوى ولم نعلم وجهها وكتمنا أخص الناس بالامام وأعلمهم بأقوله وفتاويه لجأنا اليكم

ثبينا لنا فتوى الامام أولا وهل هي لا تارض الكتاب والسنة ثانيا خصوصا وأن المجالس الحسبية قررت وضع أموال القاصرين في هذه الصناديق بناء على هذه الفتوى المزعومة كما يقولون وليكن يأنكم شافيا وأفيا كما هو دأبكم إن شاء الله تعالى؟
كتبه

أبو الاشبال

عفا الله عنه

(ج) ان كان للاستاذ الامام فتوى رسمية في مسألة صندوق التوفير فهي توجد في مجموعة فتاويه بوزارة الحفانية ومنها تطلب ، وأتألم أرله فتوى في ذلك ولكنني سمعت منه في سياق حديث عن مقاومة الخديوله ما حاصله: ان الحكومة أنشأت صندوق التوفير في مصلحة البريد بذكر يتو خديوي (أمر عال) لييسر للفقراء حفظ ما زاد من دخلهم من ممتلكاتهم وتشير لهم وقد تبين لها ان زهاء ثلاثة آلاف فقير من واضعي الاموال في صندوق البريد لم يقبلوا أخذ الربح الذي استحقوه بمقتضى الدكرتو. فسألتني الحكومة هل توجد طريقة شرعية لجعل هذا الربح حلالا حتى لا يتأثم قراء المسلمين من الانتفاع به فأجبتها مشافهة بإمكان ذلك بمراجعة أحكام شركة المضاربة في استغلال القود المودعة في الصندوق، فذاكر رئيس النظارة الخديوي في تصوير الدكرتو الخديوي ونطبقه على الشرع فأظهر سموه الارتياح لذلك . ولما قال له رئيس النظارة اننا اسئرنه المقتي في ذلك غضب غضبا شديدا وقال كيف يبيع المفتي الربا ؟ لا بد أن أستشير غيره من العلماء في ذلك . ثم جمع سموه جمعية من علماء الأزهر في قصر القبة وكلفهم وضع طريقة شرعية لصندوق التوفير ليظهر امام العامة بأنه هو المحامي عن الدين والعطبق للمشروع على الشريعة ، وان الحكومة كانت عازمة على إكراه المسلمين على أكل الربا بمساعدة المفتي لولا تداركه الامر . وقد وضع له العلماء مشروعا قدمته المعية لنظارة المالية . (قال) وان نظارة المالية عرضت عليّ ذلك المشروع لاقراءه - أو قال لتصديق عليه - فوجدته مبيا على ما كنت قلته للحكومة شافها . هذا ما سمعت منه رحمه الله تعالى وأظن انه قال ان لو انك العلماء كانوا من قهواء المذاهب الاربعة أو الثلاثة ولا أجزم بذلك

وهما تكن صفة الطريقة التي وضعها العلماء لاستغلال أموال التوفير فلا يظهر عدما من الربا المجمع على تحريره وهو ربا التسيئة الذي كان في الجاهلية وقد بينه الامام أحمد لما سئل عن الربا الذي لا يشك فيه يمثل ما بينه غيره من أخذ الزيادة في مقابلة التأجيل قال: هو أن يكون له دين فيقول له — أي اذا حل أجل الدين — اما أن تقضي ولما أن تربي ، فان لم يقض زاده هذا في المال وزاده هذا في الأجل . وذكر الفقيه ابن حجر في الزواج ان الإنساء فيه كان بالشهور ، ولهذا كان يتضاعف ويغرب البيوت

﴿ شق صدر النبي (ص) وتطهير قلبه من حظ الشيطان ﴾

(س ١٢) من صاحب الامضاء في الاسكندرية

سيدي الحكيم قدوة العلماء وتاج الفصحاء

من لا أسبه اجلالا وتكرمة قدوره المعالي من ذاك ينفي

أطفال على مائدتك العلية التي أبهرت العقلاء وأعجبت الفصحاء لما طعنا من أصناف المعارف الحية وأنواع التعاليم الصحيحة — راجيا من علو آدابكم ومكارم أخلاقكم أن تفسحوا لي المقام فان لي قلبا يصبو الى ما يفوه به فؤكم من الدرر وما ينطق لسانكم من الحكم والمبروما ينثره قلمكم من الفكر

في هذه الايام كثر الجدال حتى كاد يفضي الى الهلاك في مسألة (انشقاق صدر الرسول عليه الصلاة والسلام واخراج قلبه وتطهيره من حظ الشيطان الذي وجد معه من يوم أن ظهر على الارض ونزل من بطن أمه وامتلأته حكمة) — اختلفت آراء القوم وتباينت في تلك المسألة فمن مصدق عليها مقر بحديثها ومن مكذب لها مفند لا يلوي الا على ما يثبت البرهان ويقبله الوجدان ويقره العقل الرجيع — أما المصدق لما فادله ما جاء في البخاري بما معناه . ان النبي بينما كان يلعب في الصغر مع أقرانه اذ نزل عليه جبريل فصرعه وشق صدره فأخرج قلبه وطهره من خبائث الشيطان أو بالأحرى من موضع يوسوس له فيه الشيطان وملأ قلبه نورا وحكمة

ولم يكف جبريل بشق صدره مرة بل شقه مرات تبعا لازدياد الحكمة ونموها

(المنار: ج ٩) (٦٧) (المجلد التاسع عشر)

فيه كلما كبر - حتى كان ليلة الاسراء وهو نائم ناداه من أحد الثلاثة مناد (كما يقول البخاري) فقام اليه وآتى فاذا هو جبريل وقد أفرج صدره ونظف قلبه ثم أسرى به - وقد قال النبي بما معناه كل مولود يستهل معه الشيطان . فستل حتى أنت يا رسول الله ؟ قال « حتى أنا ولكنني فنلت على شيطاني » قال الله تعالى في سورة الحج (وما أرسلنا من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) الآية

وأما المكذب لما قاته بلق على تكذيبها ، وما هو قد كتب اليكم ليسترشد بوزر علمكم الساطع لا اعتقاده بأنك الزعيم الأكبر للمسلمين . تلك هي المسألة التي أرجو من حضرتكم إما تأييدها لتسبر على مقتضاها ، وإما نفيها وبذلك تنفي الشبه والباطل التي تشوه سمعة الرسول عليه الصلاة والسلام - والامل وطيد في ان يكون اليد مريعا لازلت محفوظا من الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته آمين

تليذك الخاضع

اسماعيل حسن خليل

(ج) لا بد أن يكون مرادكم بتكذيب المسألة تكذيب الرواية أو الروايات الواردة فيها التي أوردتم بعضها بالمعنى مخالفتكم اللفظ والمعنى ، وقرنتم به آية الحج وليست من معناه في شيء . بل معناها ان الرسل والأنبياء اذا تمنوا لا يتم لهم موضوع أمانتهم بسبب وسوسة الشيطان فتناس ولا محل لتفصيل ذلك هنا . وقد صرحتم بأن سبب التكذيب اعتقادكم ان مضمونها يمد طعنا في سمعة الرسول صلى الله عليه وسلم يجب ان ينزه عنه . ولكن لا ينبغي لمسلم أن يرد حديثا مرويا لا يملكه في سنده أو معارضته ما هو أقوى منه لئلا يشكك بشرطه ومن أشكل عليه فهم شيء من الأحاديث فعليه أن يبحث ويسأل لأن يرد بهواه ، ويكذب من لا يعرف سيرته من الرواة . واننا نورد هنا ما ورد في هذه المسألة أصحها سنداً وثبت ما في أسانيدها ومتونها مما يمكن أن يتعلق به من ينفي وقوع شق الصدر حقيقة ، ثم نبين ما ينبغي ان توجه به المسألة على تقدير صحة وقوعها فنقول

روى حديث شق الصدر في الصغر مسلم - لا البخاري - قال : حدثنا شيبان ابن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك (رض) ان

٥٣٢ رواية البخاري المصرفة بأن المراج كان رؤيا منامية [المثار: ج ٩ م ١٩]

بمنصب النبي (ص) فقد علم أيضا أن في سنده مقالا ، وليس هو من عقائد الدين ولا من أحكامه القطعية

وقد ورد خبر شق الصدر في أحاديث المراج أيضا المروية في الصحيحين والسنن وغيرها وقد استشكلها بعض العلماء فتورد منها ما لا بد منه لبيان هذه المسألة

أحاديث قصة المراج في الصحيحين مدارها على أنس بن مالك فنها ما رواه بنفسه ومنها ما رواه عن غيره . وقد ذكر في بعضها شق الصدر دون بعض فأما حديث أنس فلم تذكر قصة شق الصدر في طريق من طرقه الا طريق شريك بن عبد الله بن أبي نمره وهو في صحيح البخاري وتفسير ابن جرير ، قال أنس : ليلة أسري برسول الله (ص) من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرم ، وقال أحدهم خذوا خيرم^(١) ، فكانت تلك الليلة فلم يرم حتى أتوه ليلة أخرى^(٢) فبا يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه حتى احتلموه فوضموه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبرئيل فشق جبرئيل ما بين نحره الى بطنه حتى فرغ من صدره وجوفه ففسله من ماء زمزم يده حتى أتى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا^(٣) إيمانا وحكمة فحشى به صدره ولغاديدته — يعني عروق صدره — ثم أطبقه ثم عرج به . الخ الحديث وفي آخره « واستيقظ وهو في المسجد الحرام » وهذه الرواية صريحة في أن ذلك كله كان في النوم وليس فيها ذكر لحظ الشيطان واحتج بها من قالوا أن المراج كان رؤيا منامية وأولها من قال أنه كان في اليقظة بالروح والجسد ، ولا يحتاج الى تأويلها من قالوا انه مشاهدة روحية . وفي نسخة من صحيح البخاري « فاستيقظت » بدل واستيقظ ، وهي كما قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري الثقات من الفية الى حكاية قول النبي (ص) والتور الذي ذكر انه كان في الطست انا صغير يشرب فيه

وفي رواية شريك هذه مخالفة لغيرها في عدة أمور استشكلوها وأنكروها عليه

(١) ورد انه كان نائما بين عمه حمزة وابن عمه جعفر (٧) كانت هذه بعد البعثة بلا خلاف (٢) حال وفي غير هذا الحديث ذكر وصف الطست نعمت لاجالا وليس فيه ذكر التور

[التارخ ج ٩ م ١٩] رواية البخاري المصرفة بأن المراج كان رؤيا منامية ٥٣٣

وغلطوه فيها أهمها قوله « ثم دنا الجبار رب العزة قتلنى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى » مع أن الثابت في الصحيح أن آية (ثم دنا) نزلت في جبريل عليه السلام .
وهالك ما في فتح الباري الحافظ ابن حجر في ذلك :

قال الخطابي : ليس في هذا الكتاب — يعني صحيح البخاري — حديث أشنع ظاهرا وأبشع مذاقا من هذا الفصل فإنه يقتضي تحديدا لمسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر وتمييز مكان كل واحد منهما — هذا الى ما في التذلي من التشبيه والتثيل له بالشيء الذي تعلق من فوق الى أسفل (قال) فمن لم ييلغه من هذا الحديث الا هذا القدر مقطوعا عن غيره ولم يتبره بأول القصة وآخرها اشتبه عليه وجهه ومنه وكان قصاره إما رد الحديث من أصله وإما الوقوع في التشبيه وهما خطئان مرغوب عنهما . وأما من اعتبر أول الحديث بآخره فإنه يزول عنه الاشكال فإنه مصرح فيها بأنه كان رؤيا لقوله في أوله « وهو قائم » وفي آخره « استيقظ » وبعض الرؤيا مثل يضرب ليتأول على الوجه الذي يجب أن يصرف اليه معنى التعبير في مثله وبعض لا يحتاج الى ذلك بل يأتي كالمشاهدة .

(قال الحافظ بعد قل ما تقدم) قلت : وهو كما قال ولا تغات الى من تعقب كلامه بقوله في الحديث الصحيح ان رؤيا الانبياء وحى فلا يحتاج الى تعبير .
لانه كلام من لم يحسن النظر في هذا المثل . قد تقدم في كتاب التعبير ان بعض رؤى الانبياء يقبل التعبير . وذكر الحافظ الامثلة من الصحيح على تأويل النبي (ص) لبعض الرؤى بتبر ظاهرها . ثم ذكر أن الخطابي تعقب في جزئه بأن ما ذكر كان في المنام وقوله أن القصة بطولها إنما هي حكاية بحكيها أنس من تلقاء نفسه لم يمزها الى النبي (ص) ولا قلها عنه ولا أضافها الى قوله ، فحاصل الامر في النقل أنها من جهة الراوي إما من أنس وإما من شريك فإنه كثير التفرد بمناكر الالفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة انتهى — أي كلام الخطابي ثم أمال الحافظ البحث فيه ولا ينبغي من بحثه هنا الا قوله بأن الحديث حكم المرفوع لانه مرسل صحابي فيما لا مجال للرأي فيه ويفسر هذا ما يأتي

وأما ما رواه أنس عن غيره مشتتلا على مسألة شق الصدر فليس في الصحيح

منها الا حديث مالك بن معصعة الانصاري المرفوع الذي رواه أنس عنه ولم يرو أحد عنه غيره. وأوله كما في البخاري: «يينا أنا في الحطيم - وربما قال في الحجر - مضطجما [قال الحافظ : زاد في بدء الحديث « بين التام واليقظان] اذا أتاني أت قد قال سمعته يقول - فشق ما بين هذه الى هذه ...»^(١) فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل « الخ الحديث . والظاهر أن أنساً روى هذه القصة غير مرفوعة عن مالك هذا فصرح باسمه مرة وأرسلها مرة أو مرارا عند ما كان يحدث بها وذكر في بعض المرات ما سكت عنه في بعض . وهذه تؤكد أن القصة كانت في النوم وتضعف تأويل المؤولين الا من قال بمصولها مرة في اليقظة ومرة أو أكثر من مرة في الرؤيا ان أثبت ذلك

وقد روى أنس مسألة شق الصدر في أحاديث المراجع عن أبي ذر مرفوعة في الصحيحين قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله (ص) قال « فرج عن صفتي يتي وأنا بمكة فتزل جبريل فرج صدري ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فرج بي الى السماء » الحديث فهذه الرواية لم يصرح فيها بأنه كان نائما ويمكن حملها على المصرحة بذلك دون العكس . ولذلك جزم الحافظ بأن القول بتعدد المراجع في اليقظة بعيد جدا تنافيه المراجعة في مسألة فرض الصلاة منافاة ظاهرة . واذا كان الجمع بين تعارض الروايات الصحيحة السند متخذاً بدون القول بالتعدد، وكان القول بالتعدد في اليقظة بعيداً بل غير معقول - فلا مندوحة عن القول بأنها كانت رؤيا منامية اما كلها أو يستثنى واحدة منها كانت في اليقظة ، والا كثرون على هذا ، فيمكن أن يقال اذاً ان شق الصدر كان في الرؤيا المنامية التي تكررت دون واقعة اليقظة الا أن تكون هذه مشاهدة روحية كما قال بعضهم

وأما حديث مس الشيطان للمولود فهو مروي في الصحيحين عن أبي هريرة باستثناء عيسى في بعض الروايات وعيسى وأمه في بعض الحديث واحد وسبأني نصه في (١) يعني من ترقوته الى آخر مراق جلته وقصر في هذه الرواية بلفظ آخر

تليخيص الجواب. وقد استشكل بعض العلماء معناه قال الحافظ في شرحه من الفتح مانعه:
 « وقد ظن صاحب الكشف في معنى هذا الحديث وتوقف في صحته فقال
 ان صح هذا الحديث فعناء ان كل مولود يطلع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها
 قاتهما كانا معصومين. وكذلك من كان في صفتها قوله تعالى (الا هبذك منهم
 المخلصين) قال واستهلال الصبي صارخا من مس الشيطان فخيّل لعله فيه كأنه
 بمسه ويضرب يده عليه ويقول هذا من أغويته. وأما صفة النخس كما يترجمه أهل
 الحشو فلاء ولومك ابليس على الناس أنفسهم لامتلات الدنيا صراخا انتهى. وكلامه
 متعقب من وجوه والذي يقتضيه لفظ الحديث لا إشكال في معناه ولا مخالفة لما ثبت
 من عصمة الانبياء بل ظاهر الخبر ان ابليس ممكن من مس كل مولود عند ولادته
 لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلا واستثنى من المخلصين
 مريم وابنها فإنه ذهب بمس على عادته فجعل بينه وبين ذلك، فهذا وجه الاختصاص
 ولا يلزم منه تسلمه على غيرها من المخلصين. وأما قوله لومك ابليس الخ فلا يلزم
 من كونه جليل له ذلك عند ابتداء الوضع ان يستمر ذلك في حق كل أحد. وقد
 أورد النضر الرازي هذا الاشكال وبلغ في تقريره على عادته وأجل الجواب فإزاد في
 تقريره على ان الحديث خبر واحد ورد على خلاف القليل لان الشيطان إنما يغوي
 من يعرف الخير والشر والمولود بخلاف ذلك وأنه لو ممكن من هذا القدر لنقل أكثر
 من ذلك من أهلاك وفساد وأنه لا اختصاص لمريم وعيسى بذلك دون غيرها الى
 آخر كلام الكشف. ثم أجاب بأن هذه الوجوه محتملة ومع الاحتمال لا يجوز دفع
 الخبر انتهى. وقد فتح الله تعالى بالجواب كما تقدم والجواب عن اشكال الاقواء يعرف
 مما تقدم أيضا وحاصله ان ذلك جليل علامة في الابتداء على من يتمكن من اغوائه
 والله أعلم. انتهى كلام الحافظ

وأما حديث قرئنا الناس من الشياطين الذي ذكر فيه اسلام شيطان النبي (ص)
 أو سلامته من وسوسته فهو مروي في صحيح مسلم من حديث عائشة وعبد الله بن
 مسعود ولفظ هذا « ما منكم أحد الا وقد وكل الله به قرينه من الجن » قالوا وإياك
 يا رسول الله ؟ قل « وإياي الا ان الله أعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بخير » وقد

ضبط بعضهم « فاسلم » برفع الميم واختاره الخطابي ومعناه فأنا أسلم من شر وسوسته، وضبطها بعضهم بفتح الميم ومعناه فصار هو مسلما وقيل مستسلما . وهما روايتان وقوله « فلا يأمرني الا بخير » يرجع الثانية بل يوجب الجزم بها . قال النووي في شرحه: قال القاضي (أي عياض) واعلم أن الامة مجتمعة على عصمة النبي (ص) من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه وفي هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين وسوسته واغوائه فأعلمنا بأنه معنا لنحذر من وسوسته بحسب الامكان اهـ

أقول وفي رواية أخرى لهذا الحديث «وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة» ويوضح هذا حديث ابن مسعود عند الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه « ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإبعاد بالشر وتكذيب بالحق » الخ وهذا الملك الذي يقابل الشيطان يسمى ملك الالهام وهو الذي عبر عنه النبي (ص) بقوله « واعظ الله في قلب كل مؤمن » وقد يتنا مسألة اتسام الخواطر النفسية الى شيطانية وملكية في الجزء الاول من التفسير وفي هذا الجزء (السابع) منه أيضا فليراجع السائل تفصيل ذلك في تفسير (و) ولوجله ملكا لبعثناه رجلا من جزء المنار الثالث من هذا المجلد (ج ٣ م ١٩) فهو يقرب لذهنه ما له يراه بعيدا عنه اذا لم يكن قرأه

ولمخلص الجواب ان حديث شق صدر النبي (ص) في طفولته وقطعه به من حفظ الشيطان منه في سنده مقال ومنته ليس مرفوعا الى النبي (ص) وليس له حكم المرفوع . وليس منه لاينا في عصمة النبي (ص) لان حاصل معناه ان روح القدس قد طهر قلبه وقدمه منذ الطفولة وقبل ان يصل الى السن التي تكون فيها الوسوسة ، وان حديث شقه في قصة المراج كانت رؤيا منامية في الراجح ولا ذكر فيها لحظ الشيطان فحاصل معناها انها رمز وتمثيل لتأييد الروح القدس والملائكة له (ص) واعدا دام يا ملناجة الله عز وجل مناجاة خاصة . وأما حديث مس الشيطان للمولود منذ ولادته فسنده صحيح لا عبرة بمن تكلم في صحته ولكن استثناء عيسى وحده مرة فيه واستثناءه هو وأمه مرة أخرى ان كانتا غير متعارضتين فلا عموم في الصيغة ، ويتأني ذلك قولهم الاستثناء ميار العموم . وان كانتا متعارضتين سقط

الاستدلال بهما أو يقوم الدليل على ترجيح احدهما . وقد علمت ما قاله الزمخشري في الحديث وأقواه معارضة قوله تعالى (الاعداء منهم الخاطئين) له فانه صريح في ان الشيطان لاسطان له على اقواء عباد الله الخاطئين . وعلمت ما أوجب به الحافظ عن هذه المعارضة وهو ان هؤلاء الاعداء لا يضرهم ذلك المس اذا لا يدل الحديث على أن كل من مسه الشيطان يفويه . وقول انه يجوز ان يكون المراد بالمس بيان توجه الشيطان الى التعرض للوسوسة للمولود واستعداد المولود لقبول الوسوسة التي هي تزيين الباطل والشر في النفس ، وكيفية المس على القول بأنه حقيقة لا تمثيل بمثل في عالم الغيب وهو ما أجمعوا على تفويض كفيته الى الله تعالى اذا صبح الخبر به وكان ممكنا في نفسه . وأما حديث القرين من الشياطين والقرين من الملائكة فهو أصح سندا وأقوى متنا لان له شاهدا من القرآن (ومن يعشُ عن ذكر الرحمن قبيضُ له شيطاناً فهو له قرين) والاحاديث التي وردت في توضيحه تدل على ان الانفس البشرية فيها ذاهبتان إحداها للحق والخير والاخرى للباطل والشر ، وان الاولى ترجح بالالهام ملكيها الاخرى باقواء شيطاني . ولكن الانسان هو القدي يزكي نفسه وبهذهها حتى ترتقي الى التناسب مع روح الملك وتلقي الهام الحق والخير منها — أو يدسها ويفسدها حتى تنحط الى التناسب مع روح الشيطان وتلقي وسوسة الباطل والشر منها ، فمثل ملك الالهام كمثل القرين الصالح من الناس لا يماثر الا من يشاكله ، ومثل الشيطان كمثل قرين السوء لا يصاحب الا من يشابهه ، فكل قرين بالمقارن يقتدي ، و « الارواح جنود مجنونة فما تعارفت منها اثقلت ، وما تناكرت منها اختلف » كما ورد في الحديث الصحيح ، واذا قارف الرجل الصالح خطيئة كان تأثيرها في نفسه معدا للوسوسة الشيطان أو يمحوه بمصلح يضاده « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » (ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)

﴿ بدع الجمعة والاذان وختم الصلاة والجنائز ﴾

(س ١٣-٢٠) من صاحب الامضاء بطملاي مركز متوف مدبرية المتوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فهذا من عبد الرحمن احمد الصبيدي الى دار الدعوة والارشاد بمصر
يتشرف بالاقادة عما سيذكر: في هذا العهد ظهر عندنا رجل ينهانا عما سيأتي

١ قراءة سورة الكهف جهارا داخل المسجد يوم الجمعة

٢ والاذان المسمى عندنا بالاول من يوم الجمعة

٣ والاذان الثاني داخل المسجد بين يدي الخطيب

٤ الترقية

٥ التبليغ في الصلاة

٦ ختام الصلاة جهارا في المسجد

٧ الصلاة والسلام على النبي عقب الاذان

٨ السبر مع الجنائز بالذكر جهارا وقراءة البردة

وحيث اننا نفعل كل ما ذكر من منذ وجدنا بالدنيا وهذا الرجل يجتهد في ابطال
ذلك ولا نعلم اذا كان عمل هذا من البدع فتركه أم من الدين فتنبه

نرجو الاقادة مع التوضيح وإفنانا عما ذكرناه لان في قفوسنا (ريبا) من ذلك:
وقال الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وصلى الله على سيدنا محمد

مقدمه

وعلى آله وصحبه وسلم

عبد الرحمن احمد الصبيدي

الجواب عن هذه الاسئلة^(١)

١- قراءة سورة الكهف جهارا داخل المسجد يوم الجمعة - بدعة ليس لها دليل

من كتاب الله ولا من سنة رسوله (س) ولا تؤثر عن سلف الامة الصالح . ولكن

قرايتها يوم الجمعة بدون تهديد بلجر وبكوبها - المسجد أصلا ضعيفا ، قال الحافظ

(٢) حذفتنا سؤالا من هذه الاسئلة يتعلق بعادة مصرية بين العروسين

ابن حجر في تخریج أحاديث الأذکار: «ن أقوى ماورد في قراءة الكف يوم الجمعة حديث أبي سعيد الخدري عند الحاكم في التفسير والبيهقي في السنن « من قرأ سورة الكف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين » وقد أوردده الحاكم من طريق فعيم بن حماد عن هشيم عن أبي هاشم وصححه ولكن قال الذهبي في الميزان: بل فعيم ابن حماد ذو مناكير. أقول بل جرح بأكثر من هذا وقد وردت أحاديث أقوى من هذا في قراءة آل عمران وهو في يوم الجمعة، فلماذا لا يعمل بها هؤلاء الناس الموابنون على قراءة الكف ان كان غرضهم العمل بالأحاديث لا اتباع الهداة

ثم ان الاتيان بالعبادة المشروعة على وجه مخصوص وفي وقت معين لم يرد في الشرع ما يدل عليها بدعة في كيفية الاداء المبينة على الاتباع، واطهار ذلك يجعل ما ليس من شعائر الدين شعارا. وهذا ما يسميه الشاطبي في الاعتصام بالبدعة الاضافية وسيعاد ذكره قريبا، دع ما في رفع الصوت بقراءة الكف أو غيرها في المسجد عند اجتماع الناس للصلاة من التهويش على المصابين وهو غير جائز وقد صرح الفقهاء بمنع الجهر بالتلاوة في المسجد اذا كان فيه من يصلي وأنه حرام. وفي حديث أبي سعيد الخدري: «اعتكف رسول الله (ص) في المسجد فسمعهم يبجرون بالقراءة فكشف السر وقال «ألا ان كلكم مناج لربه فلا يرد بعضهم بعضا ولا يرفع بعضهم على بعض في القراءة» رواه أبو داود

٢ — الاذان الاول يوم الجمعة — أحدثه عثمان في خلافته وأقره الصحابة (رض) وما رواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر انه قال: الاذان الاول يوم الجمعة بدعة — فالأظهر انه استعمل البدعة هنا بمعناها اللغوي لا للانكار ومعناه انه لم يكن في عهد النبي (ص) قيل ويحتمل انه للانكار أي لان مقتضى إكمال الدين في عهده (ص) ان لا يزداد في العبادات ولا سيما الشعائر بعده شيئا ونما الاجتهاد في مسائل المعاملات والمصالح التي تختلف باختلاف الزمان والمكان لا العبادات وشعائر الاسلام التي لا يدخل فيها القياس الذي احتجوا به لفعل عثمان (رض) ويمكن ان يجاب عن هذا بأن الاذان للاعلام بالوقت وسيلة للصلاة اجتهادية لاعبادية مقصودة لذاتها وان النبي (ص) استشار المسلمين في أمر هذه الوسيلة واستحسن ما كان منهم من رأي ورؤيا فلاجل

هذا رأى عثمان والصحابة ان هذه المسألة يصح العمل فيها برأيي أولي الامرا اذا احتج الى ذلك. فلما حدثت الحاجة بكثرة المسلمين وعدم تبكيرهم الى المسجد على نحو ما كانوا يفعلون في عهده (ص) أمر عثمان المؤذن أن يؤذن أن يؤذن بهم للجمعة على الزوراء — وهي موضع أو دار له بسوق المدينة — وأبقي ما كان من أذان المسجد عند جلوس الامام على المنبر كما كان إبقاء للعبادة كما كانت. قال السائب بن يزيد (رض) فيما رواه عنه البخاري وأبو داود والنسائي: كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء ولم يكن للنبي (ص) غير مؤذن واحد. وفي رواية أخرى لمزيدة فثبت الامر على ذلك. والمراد بقوله النداء الثالث هو الاذان الاول فهو أول بالنسبة الى تقديمه في العمل وثالث بالنسبة الى حدوثه بعد الاذنين المشروعين لكل صلاة أعني الاذان والاقامة وكانوا يطلقون عليهما «الاذنين» على طريق التبليغ أو لان الاول اعلام بوقت الصلاة والآخر إعلام بالشروع فيها، ولكنهم اذا ذكروا الاقامة وحدها لا يسمنوها أذانا بل إقامة. والمرجح المختار عندنا في هذه المسألة ان يقع الناس في كل حالة ما كان عليه السلف الصالح فاذا علمنا ان المصلين اجتمعوا في المسجد على نحو ما كانوا عليه في زمن النبي (ص) وأبي بكر وعمر (رض) اكتفينا بأذان المسجد، واذا كانت الحال كما كانت في عهد عثمان وعلمنا ان الاذان الاول على المنارة أو في السوق مجلبة للمصلين فطاه. ولا ينبغي لمسلم ان ينكر على أهل مسجد ما يختارونه من هذين الفعلين، اذ لا يصح ان يكون ما حدث في عهد عثمان ناسخا لما قبله ولا ان يكون ضلالة من بعض الراشدين أقره عليها الصحابة، فليثق الله من تحدثه نفسه بهذا الانتكار. وليعرف قيمة نفسه أولا. وأما قول السائب: لم يكن له (ص) غير مؤذن واحد فهو خاص بأذان الجمعة

٣ -- الاذان الثاني داخل المسجد بين يدي الخطيب — فيه أن قوله بين يدي الخطيب و بالتلقين المهود في بعض المساجد بدعة لا فائدة فيها ولا نعرف الحامل لمبتدعها عليها. وقد علم مما قلنا، أننا في مسألة الاذان الاول أن الاذان الثاني وهو الذي كان على عهد الرسول (ص) إنما يكون اذا جلس الامام على المنبر كما

صرح به السائب في حديثه الصحيح . وأما مكانه فقد روى الطبراني فيه أن بلالا كان يؤذن على باب المسجد . وذكره الحافظ في فتح الباري محتجا به وهو المشهور ٤ — الترقية المعهودة في يوم الجمعة بدعة لا تعرف لها أصلا من كتاب ولا سنة ولا اجتهد أحد من الأئمة وإنما أحدثها بنو أمية وأنكرها الفقهاء من جميع المذاهب (راجع المنار ص ٣١ م ٦)

وقد استفتي شيخ الجامع الأزهر منذ بضع عشرة سنة في بعض المسائل المتعلقة بالجمعة مما تقدم فأقنى بأنها بدع منكورة . وقد أشار الاستاذ الامام الى هذه الفتوى ومقاومة بعض أصحاب النفوذ السياسي لها بقوله في كتاب الاسلام والنصرانية (ص ١٣٩ من الطبعة الثانية) فقال :

«سأل سائل من الاستاذ شيخ الجامع الأزهر عن حكم عمل من الاعمال الجارية في المساجد يوم الجمعة — ومنزلة الشيخ من الرياسة في أهل العلم بالدين منزله — فأقنى بما ينطبق على السنة وما يعرفه العارفون بالدين وقال ان العمل بدعة من البدع يجب التنزه عنها . أظن ان المستفتي أمكنه العمل بمقتضى الفتيا ؟ كلاً ، حدث قيل وقال ، وكثرة تسأل ، ودخلت السياسة ، ثم قيل ان الزمان ناصر الحقيقة وقد وجدنا الامر كذلك من قبلنا ، وسكت السائل وماذا يصنع الجيب ؟ اهـ

٥ — التبليغ في الصلاة هو رفع المؤذنين اصواتهم بالتكبير للاحرام وأذكار الانتقال لاعلام من يسمع صوت الامام ولا يراه عند إحرامه وانتقاله من ركن الى آخر : وله أصل في السنة بما كان من صلاة رسول الله (ص) في مرض موته آخر جماعة اذ صلى قاعدا والناس خلفه قيام وأبو بكر (رض) يلثمهم تكبيره . وقد صرح علماء المذاهب المشهورة بمجواز التبليغ اذا احتيج اليه فان لم يحتج اليه كان بدعة منكورة . على أن المؤذنين فيه بدعا كثيرة كمنعهم له جماعة ورفعهم اصواتهم أكثر مما ينبغي متحرين فيها حسن النغم وإطالهم المد حتى يضطر الامام الى انتظارهم أو سبقهم فينتقل الى السجدة الثانية قبل فراغهم من تكبير السجدة الاولى مثلا وقد بين الفقهاء ذلك وأطال فيه وفي غيره من هذه المسائل صاحب الدخول رحمه الله تعالى .

٦ — ختام الصلاة جهارا في المساجد والاجتماع ورفع الصوت من البدع التي

أحدثها الناس فإذا التزموا فيها من الأذكار ما ورد في السنة كانت من البدع الإضافية وقد تساهل فيها كثير من مقلدة الفقهاء وأطال العلامة الشاطبي الكلام في أنكارها في كتابه الاعتصام وقتلناه عنه في المنار فليراجعه من شاء.

وهذه البدعة قد انتشرت في الأقطار الإسلامية منذ بضعة قرون حتى عمت الغرب والشرق والجنوب والشمال، ولما أنكرها من أنكرها في الاندلس كثر فيها القيل والقال، وقد كنت فطنت لما قبل أن أرى لاحد من العلماء كلاما فيها فكرتها في أواخر زمان الطلب ولكنني لم أترك الأذكار الواردة بل كنت أقولها وأنا، نصرف من الصلاة، ولم يخطر في بالي أن أنهي عنها أحدا، ولأنها أصبح أن تسمى بدعة. ولما كنت في عليكه من الهند سنة ١٣٣٠ قدموني للخطبة وإمامة الجمعة فلما فرغت من الصلاة لم أستطع الانصراف ولا التحول من شدة الزحام في المسجد ولا رأيت أحدا من الناس انصرف ولا قام لصلاة ولا غيرها، ثم خلص الي شاب من طلاب العلوم الدينية فأخبرني أن الناس ينتظرون أن يسمعونني أذكار ختم الصلاة ليتبعوني فيها ويقوموا الى صلاة السنة البعدية وغيرها من شؤونهم، قلت ان هذا غير مشروع، قال ألم يرد في الصحيح أن النبي (ص) كان يقول بعد السلام «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» قلت نعم قد صح أنه كان إذا سلم لم يقرأ الا بمقدار ما يقول ذلك (رواه مسلم) ولكن لم يصح أنه كان يقول ذلك وأصواته ليسمعه الناس ويقولونه بقوله، وأنا قد قلت ذلك سرا. ولما جئت بيروت عند منصرفي من الهند أقف فيها أياما كنت أقرأ درسا بعد الظهر في مسجد المجيدية من كل يوم، فشغل المؤذن بعد صلاة الجمعة يوما عن الأذكار والادعية التي جرت العادة برفع صوته فيها واتباع جمهور المصلين له، شغلته عنها صلاة جنازة، فظل كثير من الناس ينتظرونه متلفين الى اليمين وإلى الشمال، فبدأت الدرس ببيان الحق في هذه المسألة وهو أنه ليس من السنة أن يجلس الناس بعد الصلاة لقراءة شيء من الأذكار والادعية المأثورة ولا غير المأثورة برفع الصوت وهيئة الاجتماع كما اعتادوا في الأقطار المختلفة وإن هذه العادة صارت عند الناس من قبيل شعائر الدين التي ينكر على تاركها والنهي عنها، وإنكار تاركها هو المنكر. وإن ما ورد في بعض الأحاديث من الأذكار كقول «اللهم أنت

[المنار: ج ١٩ ص ٤٣] الصلاة والتسليم على النبي (ص) عقب الاذان وبدء الجنازة ٥٤٣

السلام « الخ والاستغفار والتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل يستحب أن يقوله الأفراد سرا في أي حالة يكونون عليها بعد الصلاة من قيام وقعود ومشى ، وإن الاجتماع لذلك والاشتراك فيه ورفع الصوت بدع هونها على الناس التودد ، ولو دعاهم أحد الى مثل هذه الصفات في عبادة أخرى كصلاة نعمة المسجد مثلا لا نكروا عليه أشد الانكار. ولما عدت الى مصر وشرعت في طبع كتاب الاعتصام للشاطبي رأيته وفي هذه المسألة حقها ، فحمدت الله تعالى

٧ - الصلاة والسلام على النبي (ص) عقب الاذان - هي بدعة أيضا والقول فيها كقول فيا قدسها . قال صاحب المدخل : يطلب من امام المسجد أن ينهى المؤذنين عما أحدثوه من صفة الصلاة والتسليم على النبي (ص) عند الاذان وإن كانت الصلاة والتسليم على النبي (ص) من أكبر العبادات ولكن ينبغي أن يسلك بها مسلكها فلا توضع الا في مواضعها التي جعلت لها ، ألا ترى ان قراءة القرآن من أعظم العبادات ومع ذلك لا يجوز للمكلف أن يقرأه في الركوع ولا في السجود ولا في الجلوس - أعني الجلوس في الصلاة - لأن ذلك لم يرد والتحير كله في الاتباع ، وهي بدعة قريبة الحدوث جدا بما تقدم ذكره فيا أحدثه بعض الامراء من التغني بالاذان . الخ

٨ - السير مع الجنازة بالذكر جهارا وقراءة البردة - كل ذلك من البدع التي لم يسكت عنها المشتغلون بعلوم الشرع كما سكت جماهيرهم على الاذكار التي اتصلت بالاذان والصلاة . على ان جميع ما ذكر في هذه الاسئلة والاجوبة من البدع قد بينه انصار السنة وخافلو البدعة من العلماء منذ أحدثت الى هذا العصر .

وبالبلاء كل البلاء في جعل عمل الناس حجة على كتاب الله تعالى ودواوين السنة مع أن بعض الائمة قال بالاحتجاج بعمل أهل المدينة في زمن الصحابة والتابعين فخالفه في ذلك سائر الائمة وجهور الامة وخص بعضهم ذلك بزمن الراشدين فقط ، والآن يحتاج الناس بعمل العوام الطغام وبسكوت من لاحجة في قوله فضلا عن سكوته من المميين ، أو يتأويل بعض المناقبين الذين يتقربون الى العامة بما يرضيهم طمعا ببعض الحطام أو الجاه الكاذب عندهم .

وقد استفتي شيخ علماء الاسكندرية لهذا العهد في المسألة الاخيرة من هذه المسائل وفي مسائل أخرى مما أحدثه الناس في أمور الموتى فنذكر ذلك بنصه :

﴿ السؤال ﴾

ما قولكم فيما يفعله الناس الآن من الصياح أمام الجنازة بنشيد البردة وغيرها ، والاجتماع للتعزية بنصب الخيام ، وقراءة القرآن فيها أياما مخصوصة ، وقراءة الصمدية بعدد مخصوص يسمونه (عائنة) ويزعمون انها تعق الميت من النار وتفريق الخبز للقراء على القبور ، وأخذ القراء الخبز والتفود أجرا على قراءة القرآن — فأهل العلم فينا بين محرم لذلك ومحلل ، وقد لجأنا إليكم كي تقيّدونا ، هل هذا من الدين أم لا ؟ وماهي طريقة نبينا صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح من الأئمة في ذلك ؟ وما حكم الله فيمن يخالف طريقتهم أقيّدونا بأدلة تشفيينا ، فلا زلتم هداة الخاطئين

﴿ الفتوى ﴾

« الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد فما يفعله الناس الآن من الصياح أمام الجنازة بنشيد البردة وقراءة القرآن ونحو ذلك غير جائز شرعا ، وهو خلاف السنة ، وخلاف عمل السلف الصالح ، لان السنة في اتباع الجناز الصمت والتفكير والاعتبار وعلى ذلك جرى العمل من السلف الصالح ، وقد قال الامام مالك رضي الله عنه (لن يأتي آخر هذه الامة بأهدى مما كان عليه أولها) وكذلك الاجتماع بنصب الخيام في التعزية مباهة واقتخارا ، وقراءة القرآن بالكيفية الجاري العمل بها الآن في هذه المجتمعات ، وأخذ القراء الخبز والتفود أجرة على ذلك واتخاذ ذلك سنة وعادة ، فليس من السنة ، ولا من عمل السلف الصالح ، وإنما شأنهم انهم كانوا يذهبون الى صاحب المصيبة في يته لجله على الصبر وعدم الجزع ، من غير اطالة مكث ، ويدعون لصاحب المصيبة بالصبر ، ولعليت بالمغفرة والرحمة ، ثم ان الذي ينفع الميت انما هو الصدقة على روحه ، والدعاء له بالمغفرة والرحمة ، اما اهداء ثواب الفاتحة وغيرها مثل قراءة القرآن بغير الطريقة التي أخرجته الى حد الغناء فبعض العلماء رجح حصول الثواب الى الميت ، وبعضهم قال بعدمه »
شيخ علماء الاسكندرية

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٨

أما نوبة الملاريا فلها ثلاثة أطوار: —

(١) طور البرودة — يشعر المريض بنصب وسامة وصداغ وآلام في الظهر وبرد، وتبدئ الرعدة فينكمش في فراشه ويرتجف جميع جسمه وتصلب أسنانه ويذرق وجهه وأظفاله ويتصب شعر جسمه كما يحصل من شدة البرد أو الفزع ويصغر النبض ويسرع ويضطرب ويتوتر، ويكون التنفس سرهما غير عميق ويكون سطح الجلد بارداً حقيقة ولكن إذا وضع مقياس الحرارة في الفم أو في الدبر أو تحت الإبط وأينا للحرارة مرتفعة، فإنها تبدأ في الزيادة قبل الرعدة بدقائق يل بساعة أو ساعتين أحياناً، وإنما نشأ الاحساس بعودة سطح الجسم من انقباض أوعية الدم فيه

ويكون مقدار البول كثيراً ولونه راتقا وكثافته قليلة. ويستمر هذا الطور نصف ساعة أو ساعتين. وترفع الحرارة بسرعة في آخره إلى ما بعد ٤٠° ستيجراد (٢) طور السخونة — يبدأ بالاحساس بالسخونة التي تعم الجسم كله فترداد الحمى، وتتمدد الشرايين، ويتوتر النبض ويسرع ويمتلئ، ويمتحن الوجه، ويتصدع الدماغ. وفي بعض الحالات يهذي المريض أو يستريح القهول. ويكون البول في هذا الطور قليلاً قاتماً كثيفاً. وكثيراً ما تظهر [الحمية Herpes] حول الفم. ويستمر هذا الطور ٣ — ٤ ساعات

(٣) طور العرق — يقتدى الجسم أولاً بالعرق بعد شدة جفافه ويمس الجسم كله ثم يصغر غزيراً ويستمر ساعة أو ساعتين أو ثلاثاً فيشعر المريض حينئذ بالراحة ويترطب لسانه، وتنخفض الحرارة أولاً بالتدرج ثم تسرع حتى تصبح طبيعية [المنار: ج ٩] (٦٩) (المجلد التاسع عشر)

ويعود المصاب الى حالته الصحية الاولى . ويكون البول في هذا الطور كثيفا جدا وتروصب فيه أملاح كثيرة من حامض البليك

ولا تحصل جميع هذه الاطوار لكل . ماب ، بل قد تقتصر النوبة على واحد منها أو ثين ، فثلا قد يشمر ببرودة - خفة تعقبها - سخونة مدة ساعتين أو ثلاث ولا يحصل عرق ، وقد يبرد ويعرق ولا يشمر بسخونة ، وقد يعرق فقط مع ارتفاع خفيف في الحرارة

أما الاطفال فيندر أن يحصل لهم رعدة بل يصابون بدلها بتشنج خفيف (قد لا يلاحظ) أو بتشنج شديد

وفي الاحوال المعتادة يكبر الطحال في طور البرودة والسخونة حتى قد يحس به تحت الضلوع

وتحصل أول نوب الحمى هذه إما في الصباح أو وقت الظهر ، أما النوب التي تليها فلا تكون دائما في وقت النوبة الأولى بل قد تأخر عنها شيئا فشيئا حتى تحصل في المساء أو في الليل ، وقد تتقدم عنها شيئا فشيئا حتى تحصل قبل الفجر ، ويسمى النوع الاول بالمتقهر والثاني بالمتقدم

والاحوال المعتادة من هذه الحمى غير مميتة في الغالب إلا للاطفال الصغار أو الشيخوخ أو السقام . وقد يمتد الطحال منها حتى يفجر وينسكب الدم في تجويف البطن ، وقد ينفذ الدم في منسوج الطحال نفسه ويتكون فيه خراج فينفجر في تجويف البريتون . ومضاعفات مثل هذه الاحوال ليست بكثيرة ، وأشهرها النزلة الشمية والرعاف والبل الزلالي والآلام العنقية فوق الحاجب

أما الاحوال الحيدة المسماة [بالصيفية الحريقية] فلا تكون نوبها منتظمة ولا متقطعة الأحيان قليلة تكون الفترة فيها قصيرة ، ويقل حصول الرعدة للمصاب ، وكثيرا ما يعتريه البرقان والغثيان والقيء والإسهال ، حتى قد تشبه هذه الحمى بالحمى التيفودية ، وقد تطول مدتها الى ثلاثة أسابيع وتنتهي كثيرا بالموت الذي يسبقه الهذيان أو الفيبوبة أو الاضطرابات الهضمية أو البول الزلالي أو النزف الدموي أو الهمود (المبوط)

ومن الانواع التي يتأثر منها المجموع العصبي بشدة نوع يمتاز بطول النيوبيّة فيه حتى تمكث نحو ١٢ ساعة أو أكثر ويكون الشخص كأنه مصاب بنزف في مخه ، ومنها نوع يشتد فيه الهذيان والهيجان . وقد شوهد بعض أحوال يكون فيها المصاب كأنه ميت حقيقة فيقف تنفسه ويضعف نبضه وضربات قلبه حتى لا يمكن إدراكها واعلم ان هذه الحمى اذا تكررت نوبها جعلت الشخص سقيا عليلا مصفرا (لا بادة ميكروبها للكريات الدموية الحمراء) ويعتريه الدور وتلة الميل للطعام وآلام بالمضلات والمفاصل والضعف والاستقاء ، و يضخم الطحال والكبد أو يكثر منسوجه اليفي ويقيس ويضمر ، وقد يصاب الشخص بالجنون أو بالتهاب الاعصاب أو بطنين الأذان أو الصم أو فقدان الشم أو الذوق

التشخيص — إن أحسن الطرق للتحقق من تشخيص هذه الحمى البحث في الدم عن ميكروبها بواسطة المهر . وليختص من اعطاء الكينين للمريض قبل عمل هذا البحث فإن هذا الدواء يذهب الميكروب من الدم . ويحتفي للميكروب أيضا من الدم في الانواع الخبيثة وقت انخفاض الحرارة أعني في الفترات التي بين نوب الحمى ، وأحسن الاوقات لشاخصته في تلك الانواع هو ان يبحث في الدم عند ابتداء النوبة وقت صعود الحرارة . أما في الانواع الحميدة فيكون الميكروب أكبر وأظهر في الفترات التي بين نوب الحمى

المعالجة — الفرض الذي يرمى اليه هو قتل الميكروب واخراج سمومه من الجسم وإراحة المريض مما يحدثه من أعراض الداء . وأحسن الادوية وأشهرها لقتل هذا الميكروب هو [الكينين Quinine] ^(١) وأشهر أملاحه الكبريتات ،

(١) هذه الكلمة مأخوذة من لغة أهل بيرو Peru بامريكة الجنوبية ، ومعناها (القشر) لأن هذه المادة تستخرج من قشر شجرة « السكونا Cinchona » وسميت هذه الشجرة بهذا الاسم لأن أميرة « شكون Chinchon » زوجة حاكم بيرو عولجت بها من حمى فشفت في سنة ١٦٣٨ وفي السنة التالية احضرتها الى أوروبا ، وبعد ذلك ادخلها الجزويت الى رومية ، ولذلك سميت أيضا « قشر الجزويت »

وهي مادة بيضاء خفيفة شديدة المرارة قليلة الذوبان في الماء فتذوب فيه بفسبة ١: ٨٠٠ ولكنها سهلة الذوبان فيه بأضافة أحد الحوامض اليه . ومقدار تعاطيا في اليوم ٢٠ — ٣٠ قحمة تقسم على ثلاث دفعات ، والافضل أن تكون الدفعة الأخيرة قبل ميعاد حضور النوبة بنحو ست ساعات ، ولا مانع من إعطائها بعد طعام الفطور والغداء والعشاء ككثير من الادوية الأخرى . وإذا قامها المريض مزجت بقليل من الأفيون أو حقنت في المستقيم أو تحت الجلد ، والافضل أن نحقق داخل عضلات الالية ، وأحسن الاملاح للحقن في الشرج أو تحت الجلد هو [هيدرو بروميد الكينين الحفصي] فانه سهل الذوبان في الماء ولا يتهيج منه المكان المحقون ، وجعته من قحنتين الى عشر أو ١٥ قحمة

[و [اليوكينين Euquinine] وهو إنبيل كربونات الكينين يكاد يكون عديم المرارة ولا يضر أنعمدة ولا الاعصاب ، ولذلك كان أحسن دواء للأطفال والنساء . وجعته تخفف من ٥ الى ١٠ قححات بحسب السن

ويجب الاستمرار على تعاطي الكينين مدة بعد زوال الحمى لان بعض الميكروبات قد ينجو من فعله ويختفي في الطحال ثم يعود الى الظهور ويكثر فيحدث النكس ، فلذا يجب الاستمرار على تعاطيه بعد الشفاء بمقادير يعينها الطبيب (كخمس قححات في اليوم) لمدة ثلاثة أشهر على الأقل

وهناك بعض أدوية أخرى نافعة في الملاريا ولكنها أقل قيمة من الكينين مثل مركبات الزرنيخ

وكثيرا ما يحدث من الكينين أعراض ضارة مثل طنين الأذن والصداع والعمى ، وقد تنفي هذه الأعراض بتقليل مقداره أو إبطاله مؤقتا أو إعطاء حامض الهيدرو بروميك أو الجويدار لمنع الاحتقان الناشئ من الكينين

الوقاية — تكون (١) بدم المستنقعات و (٢) بإيادة البعوض وذلك بصب زيت البترول على المياه التي توجد فيها البويضات والعلق لقتلها ، ويكون ذلك بنسبة أوقية لكل ١٥ قدما مرة من سطح الماء و (٣) بإتقاء لدغ البعوض بمثل الكحلة (الناموسية) وخصوصا بالليل وهو وقت لدغ هذا النوع من البعوض في

الغالب و(٤) بدوام استعمال الكينين في الاقاليم التي تكثر فيها الملاريا (بمقدار خمس قمحات يوميا)

حمى البول الاسود Blackwater Fever

تحدث هذه الحمى في الاقاليم الحارة التي تكثر فيها الملاريا لمن اقام بتلك البلاد ضنة على الاقل فأكثر أو لذين أصيدوا بالملاريا ، ويقل حصولها لتبر هذين السنين بمبحث الاسباب تفصيلا — ذهب العلماء في حقيقة سبب هذه الحمى مذاهب أهمها :- (١) أنها نتيجة احادة شديدة بالملاريا (٢) أنها ملاريا متضاعفة باصابة الكلبيين (٣) أنها نتيجة ميكروب مجهول (٤) أنها ملاريا مع عامل آخر كتقسم الجسم بمثل الكينين أو بسُم مرض من الأمراض كالفرنجي وغيره ، أو كالتعرض للبرد

الاعراض — تتقدمها آلام في الاطراف والدماغ وتوعك ثم رعدة قتي صفراوي فبول أحمر أو أسود بسبب ذوبان مادة الكريات الحمراء فيه ويكون فيه زلال كبير، وترتفع الحرارة الى : ° ستجrad فأكثر ثم تنخفض قليلا بعد بضع ساعات، ثم ترتفع مع رعدة أخرى، وهلم جرا. ويصاب المريض بالبرقان، ويضخم الطحال والكبد ويتألم المصاب من جسمها

وفي الحالات البسيطة تزول الاعراض بعد نحو أسبوع، وأما في الشديدة فيستمر القتي، ويقل البول أو يعطل إفرازه ويصاب المريض بالقيح أو الحمود ويموت وعدد الوفيات بهذا المرض هو من ١٦ الى ٥٠ في المئة

المعالجة — تكون بحسن التريض والتناية بالمصاب والاكثر من شرب السوائل لادرار البول ، وتعمل المشات المقويات للقلب ، ولا يعطى المريض الكينين الا اذا وجد ميكروب الملاريا في الدم ، وحينئذ يعطى أي ملح من أملاحه غير الكبريتات فاتها تساعد على اذابة الكريات الحمراء، ويكون مقدار أي ملح قليلا متكررا

الدوسنتاريا الاميبية Amœbic Dysentery

قلنا ان الدوسنتاريا نوعان : نوع ينشأ من ميكروب نباتي (وقد سبق الكلام

عليه في صفحة ١٠٢ من الجزء الثاني من هذا الكتاب) والاخر ينشأ من ميكروب حيواني وهو المراد بالكلام هنا

وكلمة [أميبا Amœba] يونانية معناها « المتغير » تطلق على حيويين دقيق ذي خلية واحدة دائم التغير لشكله بما يرسله من جسمه في جميع الجهات من الارجل [الكاذبة ^(١) Pseudopodia] التي يتحرك بها حركة ذاتية ، وهو من أبسط الحيوانات المسماة [الحيوانات الاولى Protozoa]

يفسق الانسان ثلاثة أنواع من الاميبا: (١) نوع يوجد في فمه اذا أصاب أسنانه النقد (التسويس) (راجع ص ٦٨ من الجزء الاول) (٢) ونوع يسكن الجزء الأعلى من الامعاء الغلاظ، والظاهر أنه لا ضرر منه (٣) والثالث هو أميبا الدوسنتاريا هذه وهذا الاميبا يشاهد في براز المصاب وفي المدة التي قد تتكون في الكبد ^(٤) بسبب هذا المرض ، وأكثر وجوده يكون في المواد المخاطية التي يتبرزها المريض وقت اشتداد المرض أي في زمن حدته. قطر هذا الميكروب الحيواني هو من ٢٥-٣٥ ميكرونا ، أي ان حجمه كحجم ثلاث أو أربع كريات حمراء من كريات الدم . وهو يشقب الفشاء المخاطي للامعاء الغلاظ ويسكن تحته ويتكاثر ويحدث المرض وقد يصل الى الأوعية المغاوية أو الأوردة فيسببها

اسباب الدوسنتاريا الاميبية — يوجد هذا النوع من الدوسنتاريا في الاقاليم الحارة والمعتدلة كصر ، ولا ينتشر بشكل وبائي كالنوع الآخر السابق . وتنقل الاميبا بواسطة الماء الذي يتلوث ببراز المصاب أو بواسطة الاطعمة الملوثة به أيضا خصوصا الخضر . ويصيب المرض جميع الاجناس البشرية اذا تعرضت للمدوى وكذلك الصغار والكبار بلا تمييز بينهم ، غير أن الظاهر أنه يصيب الذكور أكثر من الاناث لقلة تعرض هؤلاء له من أولئك . ولهذا النوع أيضا حملة كالنوع الاول يوجد الميكروب في أمعائهم ولا تحدث لهم أعراضه

الاعراض — لا تختلف أعراض هذا النوع كثيرا عن أعراض النوع الباسيلي

(١) سميت بذلك لانها ليست دائمة بل تنبعث وتنقبض (٢) خصوصا بعد فتح خراج الكبد هذا بثلاثة أيام حينما تنقبض جذرته

الذي سبق ذكره الا في اشياء قليلة ، وهي أنه لا يكون ابتداءه مفاجأة بل تدريجيا في الغالب ، وتكون مدته أطول فانه يميل لأن يكون مزمنًا ، وتكون الحمى فيه أقل وكذلك الاضطراب العام وتكثر نكساته ولا يمنع ذلك من أن يكون أحيانا شديدا جدا ومبينا بسرعة ، فترفع الحمى ويقل البول ويكثر الزلال فيه . ومن الناس من توجد في أمعائه قروح ناشئة على هذا الميكروب ومع ذلك لا تظهر عليهم أعراض المرض ، ولكن ذلك قليل

المضاعفات — تمتنع الكبد أحيانا وتلتهب وكذلك الكليتان ، ويندر حصول النزف المموي في هذا الشكل . وأهم المضاعفات خراج الكبد الذي يكون غالبا واحدا أو على الاكثر لا يزيد عن ثلاثة ، والسبب فيه وصول الميكروب الى الكبد بطريق لوريد الباب فميت بسمه مفسوجه

ومن العقاقير ضيق الامعاء بسبب انقباض آفاق القروح التي تحدث فيها
الانذار — يراعى فيه مسألة خراج الكبد وشدة الاعراض . ونخشى النكسة والازمان . والفواق علامة سيئة في الحالات الحادة لانه ينذر غالبا بقرب الاضمحلال والموت
المعالجة — لا تختلف عن معالجة النوع الباسيلي الا في نفع [عرق الذهب] وشدة تأثيره في هذا المرض ، وهو جذور شجرة في بلاد البرازيل بأمر يكة الجنوبية في هذه الجذور مادة مقببة تسمى لذلك باللغات الافرنجية [Emetine] ولكنها شاقية لهذا الداء . والمجرعة من مسحوق هذه الجذور هي ٢٠ - ٣٠ قحمة ، ويستحسن اعطاء قليل من الافيون أو أحد مرباته قبلها بنحو نصف ساعة ويستلقي المريض على قناه ولا يعطى له شيء آخر سوى قليل من الثلج لمسه ، وذلك كله لمنع القيء الذي يحدث من الدوام وتكرر الجرعة بعد ٨ أو ١٠ ساعات ، وإذا كانت الاعراض شديدة أعطيت الجرعة ثلاث مرات في اليوم ، وبعد زوال أعراض الدوسنتاريا يكمل العلاج بمركبات الزنك والافيون ونحوهما

ويفضل استعمال [الامتين Emetine] حثنا نمت الجلد أو في داخل الدضلات ^(١) بمقدار نصف قحمة مرة ليلامرة مائة وعندما تحسن الحال يحقن المريض

(١) ذلك أفضل لعدم إحداث ألم وورم وتيسر في مكان الحقن

مرة واحدة فقط في اليوم ، ولا يحدث التي بهذه الطريقة كما يحدث من اعطاء مسحوق عرق الذهب نفسه بالغم . وهذا الدواء نافع أيضا في منع التهاب الكبد وخراجها لانه قتل الميكروب الدوسنطاريا بسرعة عجيبة

والمعاجة بالامتين أو يبرق الذهب نفعه أيضا في الحالات المزمنة ، وذا نفاست حقن المريض أيضا بالمحاليل المطهرة أو القابضة في المستقيم ، ويكون مقدار الحقن نحو لتر من المحلول الدافئ

الوقاية — تكون بتطهير الماء بالنلي أو غيره ، وبالاتناع عن أكل الخضر وغيرها الا اذا ظهرت ، وبإبادة الذباب بقدر الامكان أو منعه من الوصول الى الطعام أو الشراب

الحى الراجعة او ذات النكس Relapsing Fever

مرض معد شهير ينتشر عادة بشكل وبائي وليس له طفرح مخصوص كبعض الحيات الاخرى وانما يمتاز بحصول حى بضعة أيام تنتهي فجأة بعد نحو اسبوع ثم ترجع ثانية بعد مضي بضعة أيام وهكذا . وهي كثيرة الوجود في مصر وغيرها وقد كانت تنشر بشكل مريع في السجون وغيرها حيث يكثر الازدحام

ينشأ الشكل المعتاد منها في مصر من ميكروب حيواني طرزوني الشكل اكتشفه [أبرمير Obermeier] في الدم سنة ١٨٧٣ وله أنواع يختلف بعضها عن بعض قليلا كما في بلاد الهند وأمريكا . طول هذا الميكروب يختلف من ١٦ — ٤٠ ميكرونا وعرضه ميكرون واحد . وهو يشاهد في دم المصاب بهذه الحى بين كرياتة لا في داخلها . ويقول بعض الباحثين انه يمكن مشاهدته في طور التفرخ قبل حصول الحى بنحو ٤٨ ساعة ويقول آخرون انه يشاهد أولا في اليوم الثاني للحى ويكثر عدده كلما تقدمت الحى ولا يقل إلا اذا بلغت الحى أقصى شدتها وارتفاعها قليل البهران ، فاذا انخفضت الحرارة لا يشاهد الميكروب في الدم الى ان تترب التوبة الثانية . وقد أمكن تلقيح الانسان والقرود بهذا الميكروب اذا حقن فيها جزء من دم المصاب . وشاهد بعض العلماء أن الميكروب اذا اخفى من الدم ذهب الى الطحال وهناك يتلمه بعض الكريات البيضاء . وقد استنتج انه اذا أقلت بعضها من

القتل وعاد الى الدم تكثر فيه فتتكسر الحى
والاصابة بهذه الحى لا تحمي الشخص من عودتها بعد زمن الا قليلا
ولكنها تحمي غالبا من الاصابة بالتيغوس . ومن الاسباب المهيئة للمدوى الفاقة
والجوع والازدحام والقذارة . وذلك لانها تنتقل من شخص الى آخر بواسطة قل
الجسم فقد شوهد فيه نفس الميكروب ، وهو لا ينتقل الى الانسان بلسع القمل
لجسمه ، وأما ينتقل بطريقة أخرى ، وهي أن المصاب بالقمل يكون كثير الحلك لجسمه
فيقلخ جلده قليلا من أغافره أو غيرها فإذا سحقت قلة في أثناء الحلك أو غيره
كانتوم عليها وأصاب دمها بعض تلك الجروح التي بالجلد دخل منها الميكروب الى
الدم وأصاب الانسان بالحى . ويبقى الميكروب في جسم القملة مدة حياتها بل يصل
الى بويضاتها (الصببان) فتلقح به أيضا ، ولذلك وجب الاحتراس من القمل
والصببان فانها ينقلان هذه الحى

وهي تصيب الانسان في جميع الاعمار ولا تميز بين الذكر والانثى الا قليلا
فان نسبة المصابين بها من الذكور الى الاناث تكون عادة كنسبة ٣ الى ٢ وهي
كثيرة المحصول للفقر والشحاذين ونحوم لكثرة ضعفهم ووجود القمل فيهم ، وقل
أن تصيب الاغنياء الا اذا صادفتهم قلة انتقلت اليهم من مصاب بها اقربوا منه
وهناك نوع من هذه الحى يحصل في افريقية ينتقل من شخص الى آخر بواسطة
القراد ولكن مدة هذه الحى أقصر فاتها تكون عادة يومين أو ثلاثة ، ويوجد أيضا
ميكروبا حتى في بويضات القراد ، ويموز أن ينتقل الى الجيل الثالث من نسله
الاعراض — يتراوح طور التفريخ بين يوم ١٦ يوما ولكن في أكثر الاحوال
يكون أقل من تسعة أيام . وتبدأ الحى فجأة بشعريرة أو برعدة يقبها سريرا
صداع في الجبهة وآلام في الظهر والاطراف . وبعد زمن يسير تزول الشعريرة
ويحلها احساس بحمارة في الجسم ويزداد الصداع والآلام المذكورة . وتكون درجة
الحمارة في اليوم الاول ٣٩ أو أكثر فيضطر المريض الى الترام الفراش ويشد به العطش
والاقهيا وقد يمتريه القتيان والقيء ويحترق الوجه ويبيض اللسان وتزداد درجة الحرارة
في الليل فتكون ٤٠ أو ٤١ وتنخفض قليلا في الصباح فتكون أقل بدرجة غالبا
(المثار: ج ٩) (٧٠) (المجلد التاسع عشر)

وقد تكرر الرعدة ويكثر العرق . ويسرع النبض وكذلك مرات التنفس . ويعتري المريض في بعض الاحوال اليرقان الشديد حتى يتكون البول بلون المرة (الصفراء) وتكبر الكبد والطحال خصوصا وتظهر [النملة Herpes] أحيانا على الشفتين وقد يحصل رعاف (نزف من الانف) . وتستمر هذه الحالة الى نحو من أسبوع، ويقل نوم المريض ويشتكى كثيرا من آلام المفاصل والمعضلات ولكنه يبقى حافظا لقواه العقلية إلى قبيل النهاية وعندئذ يعتريه الهذيان، وتشتد الحى جدا حتى قد تصل إلى ٤٢ و ٤٩ وحينئذ تفرج الازمة فجأة ويحصل البخران فيكثر العرق وتقل مرات النبض والتنفس وتنخفض الحرارة بسرعة ويشفى المريض غير أنه قد يعتريه همود خصوصا اذا كان شيخا وقد يصعب البخران اسهال أو رعاف وتكون الحرارة أقل من الدرجة الطبيعية ثم يتحسن الحال بسرعة وتشتد شهوة الطعام وقسود قوة المريض في ثلاثة أيام أو أربعة . وبعد أن يظن أنه شفى تماما تعود اليه الحى فجأة كما بدأت ويكون ذلك بعد مضي اسبوع تقريبا، فيصير المريض في حين الحالة التي كان عليها في المرة الاولى ، وبعد بضعة أيام تنتهي النكسة بالبخران أيضا . وقد ينكس المريض ثانية وثالثة ورابعة وكذا خامسة في النادر . ومن المرضى من لا ينكس البتة . وتكون مدة النكس في الغالب أقل من مدة المرض الاولى فتكون عادة أربعة أيام أو خمسة وقد تكون يومين أو ثلاثة ، وتكون النكسة في الغالب أخف وطأة من الحى الاولى ولكنها أحيانا تكون أشد بل قد يموت منها المريض

واعلم أن جميع المدد المذكورة سابقا هي قريبية فانها متفاوتة باختلاف الاشخاص فقد رأينا في السجون المصرية أن مدة الحى الاولى قد تتراوح من يوم الى ثمانية أيام أو تسعة والفترة الاولى من يومين الى واحد وعشرين يوما ومدة النكسة الاولى من يوم الى عشرة والثانية من يوم الى سبعة وعلم جرا في الاختلافات العظيمة في مدة الفترات وأيام النكس، ومن المسجونين من نكس أربع مرات ^(١) وعدد الوفيات يختلف من ١٤ الى ١٨ في المئة ويحصل الموت عند اشتداد

(١) راجع تقرير جناب الدكتور (كرتون Kirton) رئيس القسم الطبي بمصلحة السجون المصرية عن سنة ١٩٠٧ م

الكرب في الحى الاولى أوعقب البهران مباشرة من الممود خصوصا في الشيوخ كما تقدم . وقد يحصل الموت بسبب التسم البولي والتشنج أو بالالتهاب الرئوي أو بالزحار أو غيره

ومن المضاعفات غير ما ذكر ضخامة الطحال وتمزقه ، والحمرة بالاطراف السفلى، والتهاب الغدد اللمفاوية أوقيحها ، والتهاب العين الذي يعيبها ، واجهاض الحبالى والنزف الرحمي الخطر

الجمعيات الاتحادية

تكوينه العصية التركية

كتب بعض شبان العرب المتعلمين في مدارس الدولة العثمانية بالاستانة مقالات في الجرائد في موضوع هذا العنوان ثم رأينا في كتاب (ثورة العرب) الذي صدر بالعمرية من عهد قريب كلاما مختصرا مفيدا في ذلك فتقلناه عنه لأجل الاعتبار به وإثبات ما يحتاج الى الرجوع اليه من تاريخ هذا الانقلاب الخطر. قال المؤلف تحت عنوان (المحول الاتحادي العظيم) ما نصه :

أنشأ الاتحاديون جمعية تركية عظيمة سموها جمعية « ترك أوجلقي » — أي طائفة الترك أو العائلة التركية — وجعلوا غايتها محو الاسلام وتزيك العناصر العثمانية ومركزها في الآستانة ومصاريفها من تخصيصات وزارتي الاوقاف والداخلية ومن المشيخة الاسلامية أيضا وهي منتشرة في كل بلدة وقرية في الاناضول والقوقاس وتركستان وراقية ومكدونية ولها أربعة فروع لكل منها مهمة خاصة به وهذه الفروع هي

أولا « ترك بوردي » — أي المملكة التركية — ومهمته العناية بالآداب التركية بطرق شتى أهمها « تطهير » اللغة التركية من الكلمات العربية وجعلها لغة مغولية بحتة وتأليف الكتب القومية بهذه اللغة وتعليمها في المدارس ونشرها في البلاد

التركية وكتابتها بحروف منفصلة لكي لا يبقى بينها وبين اللغة العربية أقل شبه (١)
 ووظيفة أعضاء جمعية « ترك بوردي » مقاومة كل كاتب تركي أو غير تركي
 لا يرى رأيهم ولا يعتقد معتقدهم ونشر الكتب القومية والانشيد الحماسية بين
 الترك وتدريسهم التاريخ التوراني القديم وافهامهم ان الترك أعظم أمة في العالم اختارتها
 الاقدار لسيادة الامم . وقد جرى لهم حوادث عديدة مع فريق من عقلاء الترك
 أنفسهم كعلي بكال بك والدكتور رضا نور بك ولطفي فكري بك وغيرهم فاتهموا
 هؤلاء بالخيانة وتهديدوم بالقتل وقالوا ان العنصر التركي يتبرأ منهم وانهم من أصل
 يوناني وانه لا وطنية لهم ولا قومية ولا شرف

ثانيا « ترك درنكي » - أي ثبات الترك - ومهمته بث الفكرة القومية في
 الترك العثمانيين وغير العثمانيين بشكل لم يسبق له مثيل في تواريخ الامم (٢)
 وأعضاء ترك درنكي من غلاة الاتحاديين وأشدكم كرهاً للعناصر ورغبة في
 تهريكها والقضاء على الفكرة القومية فيها . وهم على جانب عظيم من الهمة والنشاط
 ولكن الغرور أعمى أبصارهم وأسدل ستاراً من الجهل على عقولهم فكانت ثمرة نشاطهم

(١) المنار: قررت وزارة الحرية في عهد ناظرها أنور باشا استعمال الحروف
 المنفصلة في الامور العسكرية فقط ، ثم هلت اليها الجرائد أخيراً ان الاتحاديين
 قرروا كتابة التركية بالحروف الافرنجية ولا تدري كيف ينفذون ذلك

(٢) المنار: اذكر ان هذه الجمعية تشغل بتفسيح اللغة التركية وانها هي التي
 دعنتي الى مجلس ادارتها في الاستانة لما بلغها ان بعض المسلمين كتبوا الي من
 جاءوه انه بلغهم أن الدولة العثمانية تضطهد اللغة العربية وتصرح بانها تظهر التركية
 منها وانهم لا يصدقون هذا الخبر الا اذا أكدته أنا لهم وانهم حينئذ يحذفون اسم
 السلطان من الخطبة ، ولما اجتمعت بهم وتذاكرنا في المسألة قال لي رئيس الجمعية
 ان عملنا في محض لادخل له في السياسة ولا الدين فتوسل اليك ان تستعمل
 بغفوك الديني لازالة التهم السيئة التي حومت حوله . وجرى بيننا محاوره ليس
 هذا عملها

شراً على الدولة ووبالا (١)

ثالثاً : ترك بكليشي — أي العلم التركي — ومهمة أعضائه ترجمة الكتب العلمية الى اللغة التركية القديمة ونشر هذه اللغة بين الترك وبث الفكرة القومية التركية في تركستان والقوقاس وربطهما بدولة الاتحاديين برباط سياسي متين رابعا « ترك كوجي » — أي القوة التركية — ومهمته العناية بصحة الترك وتقوية أجسامهم ونشر الألعاب الرياضية بينهم .

ويشترط للدخول في جمعية « ترك أوجاني » أوفي احد فروعها ان يكون طالب الدخول تركيا وان يدفع رسماً شهرياً وان يتعهد ببذل حياته ونشاطه وماله لاعلاء شأن الترك وبسط سيادتهم على الامم الاخرى وان يذير اسمه باسم توراني يعرف به بين أصحابه فن كان اسمه انور مثلاً صار يعرف اليوم بين أصحابه باسم ايشلدق — أي انور بالتركية القديمة — ومن كان اسمه محمداً أو سليماً أو حسيناً أو سعيداً صار اسمه اليوم تيوراً أو جنكبزاً أو هلاكوا أو غوزالخ

وقد بذل كل الضباط الاتحاديين أسماءهم بأسماء تورانية وكذا رجال الحكومة الحالية لانهم كلهم من جمعية « ترك أوجاني » ويعرفون بين أصحابهم الترك بأسماء تورانية غير أسمائهم التي يعرفهم بها غير الترك .

وقد أنشأت جمعية ترك أوجاني وفروعها أندية عديدة في جميع المدن والقرى التركية لتدريس تاريخ الترك القديم ولا سيما تاريخ هلاكوا وغوز وجنكبز خان وبث الفكرة التركية في الامة التركية وجعلها تمتد بتفوقها على الامم الاخرى في كل شيء . وعينت هذه الجمعية ثلاثة أيام في الاسبوع لتعليم النساء التركيات التاريخ القديم وبث الفكرة النصرانية فيهن وحملن على العناية ببرية أطفالهن تربية قومية تركية . وتبرعت وزارة أوقاف المسلمين أخيراً بخمسين ألف ليرة عثمانية لجمعية « ترك أوجاني »

(١) بلغ منهم الفرور مبلغاً لا يتصوره العقل فينبأ كانت جيوش البلقانيين امام شطليجه تهدد كيان الدولة كان أحدهم — أحمد أغايف بك — ينشئ سلسلة مقالات في جريدة تصوير أفكار جاء فيها ما ترجمته « يجب ان نتم تركيا بشؤون ايران أعظم اهتمام لان ايران طريقنا الى الهند والصين ! »

لأجل تأليف تواريخ مفصلة لهلاك وواغوز وجنكيز و تيمورلنك
وأندية « ترك أوجلغي » محرم دخولها على غير الترك فكل من يود ان يدخل
الباب يجب عليه ان يظهر البواب ورقة عليها اسمه و رسمه وتاريخ ولادته وقد سعت
جمعية ترك أوجلغي أخيراً في ترجمة القرآن الكريم الى التركية القديمة مع خطبة الجمعة
والادعية الدينية وغيرها مما يوجب الدين الاسلامي تلاوته باللغة العربية وعزمت على
نزع أسماء الصحابة من الجوامع لاعتقادها أن وجود هذه الأسماء العربية في الجوامع
والاماكن المقدسة مما يضعف الفكرة القومية في الترك
ولست المدارس العثمانية رشدية كانت أو اعدادية ملكية أو عسكرية إلا
فروعاً من فروع جمعية « ترك أوجلغي » وكذلك جمعية الاتحاد والترقي وجميع
الجمعيات السياسية والعلمية والدينية والادبية التي تأسست في الآستانة والاناضول
قبل الحرب الاوروبية وبمدها

وقد أدخلت الحكومة في برنامج مدارسها العالية ولا سيما المدرسة الحرية
ومدرسة اركان الحرب في الاساتنة درس تاريخ الثورانيين وعلومهم الحربية وأدابهم
ونظاماتهم وعهدت الى احمد اغايف بك وأمين بك وخالد ضيا بك وحمد الله بك
في إلقاء محاضرات يومية في هذه المواضيع على تلامذة المدارس الحربية ومدارس
الحقوق والطب والمهندسة وغيرها وترسيخ الفكرة التركية في نفوسهم . واستعاض
التلامذة في جميع المدارس الابتدائية والاعدادية والعالية من الكتب المصرية
بمجموعة « ترك يوردي » — المملكة التركية — وكتاب ترك قليجي — السيف
التركي — وتاريخ توران وتاريخ تيمورلنك وهلاك وواغوز وجنكيز خان وغيرهم .

وفي كل يوم يجتمع تلامذة المدارس الحربية في ساحات مدارسهم ويستلون
سيوفهم وينشدون نشيدهم الوطني الذي يتتدي بهذه الايات :

جنكز خانك بايراغي آتلي شانلي صانلاندي

آيت خانك بايراغي حريد بويله اكلاندي

أي : لقد تموجت أعلام جنكيز خان في جو المجد والشرف وأرشدتنا أعلام

آيت خان الى نهج هذا الطريق المجيد في الحرب . الخ

والاغرب من هذا كله الدعاء الجديد الذي الفته جمعية «تورك يوردي» وجعلت الترك يستعملونه في منازلهم ومدارسهم، وقد قررت أخيراً استعماله في الجوامع في الاستانة والاضول وهذه ترجمته :

«أيها الله القادر على كل شيء أقسم على الترك بالصحة والعافية وأحسن اليهم بذنب أبيض^(١) واشملهم برهاية مولانا السلطان الاعظم
«وأنت يا ملكة توران الجميلة المحبوبة ارشدينا الى الطريق المؤدية اليك لان جدنا اوغوز الكبير ينادينا

«أيها الله القادر على كل شيء ارطريق توران أماننا واجعل امتنا كالورد الناضر واهدنا الصراط المستقيم»

﴿الاناشيد الحماسية في الجيش﴾

أما الجيش العثماني فمعظم ضباطه وجنوده الترك من الاتحاديين ومن المنتسبين الى جمعية ترك أوجاقي وهم يحتفرون الضباط والجنود من أبناء العناصر العثمانية الاخرى ولا يسمون الدولة الا الدولة التركية وينفرون من تسميتها الدولة العثمانية لا اعتقادهم ان البلاد العثمانية غير التركية ليست الا مستعمرة فتحها الترك بالسيف . وهذا نموذج من الاناشيد الحماسية التي يتغنمون بها في الجيش :

بوتر كزسن تركك امانتسك

هيج قورقه هب اولورسى ويرميز

أي: نحن ترك وأنت (يا آسبا) أمانة بيد الترك فلا تخشي شراً لاننا نفديك بارواحنا

اي ترك كنجي يتشير ارتق أو يومه

قوش كو يلينك امدادينه دورمه

أي: أنفض أيها الفتى التركي قد نمت طويلاً وأسرع في الحال الى امداد

بلاد اجدادك

جنگيز خانك بايراني انلى شانلى صانلاندي

ايت خانك بايراني حربه بويله اكلاندى

(١) الذنب الابيض اله من آلهة الترك الاقدمين وقد كان شعاراً لهم أيضا

وقد سبقت ترجمته
انتقامي آله منسك تركك بزه نافله
صوصترة لم باقوشلري يتيشر بولوله
أي : لا يحق لنا ان ندعى اتراكاً ما لم ننقم من أعدائنا . فلنسكت اليوم عن
نعيه ، وليكننا ماسمعناه من الضجيج والنحيب
يوريلم ايلري يه اتلايه لم طلاغ تبه
باطالاتام بومبارلي جانلر كيرسون يرله
أي : هلدوا إلى الامام قنيسط امامكم الجبال والاكام وتنفجر قنابل الديناميت
وتفجر الارض فاما لا بتلاع النواقيس والاجراس
آل بايراغك التنده انا كرم يورودي
كوك بايراغك التنده يكي توران يودي
أي لقد سار اجدادنا إلى المجد تحت العلم الاحمر الذي هو مصدر عظمة
توران الجديدة

يورين طاغرا ينسين التون اردوشان ويرسون
آل بايراق ! يانغينلر اوزرنده يوكلسك
أي : سيروا لتنبسط الجبال وتكسبنا جيوش التاي^(١) الشرف فان مجدنا
سيشاد تحت العلم التركي على الاقتاض والحرائق
بزايغورز دونغيز قوناغمز طاغ اوه
توكز بزمدراسيا تركز تركز هبمز
أي : نحن سعداء فلا نرجع عن سيرنا إلى الامام لان مسكننا الجبال والبطاح
نحن ترك وآسيا كلها لنا نحن اترك اترك كلنا

﴿ كيف يعلمون الامة ﴾

هذا نموذج من الاناشيد التركية الوطنية التي يتروم بها الترك في ميادين القتال
على مسمع من جنود العرب وضباطهم
(١) اسم الجبل آلتون طاغ الذي يعده الترك التورانيون بلامهم الاصلية

لا يمكن الاغضاء عنها وقد حفظت الجنسية العثمانية هذه التقاليد وكفلت سلامة الدولة الى الآن. فتريك العناصر العثمانية أو انكار قوميتها عليا يؤدي الى اضمحلال الدولة في القريب العاجل . فأنا أحتج على هذا الكلام وأقول بكل صراحة ان الرابطة الاسلامية العثمانية هي الرابطة الوحيدة التي تربطنا بالترك . ولما كنت حضرتك تعلمني الآن ان هذه الدولة دولة تركية وان هذا العلم الذي عهدت الي في الدفاع عنه هو علم تركي أي علم أجنبي عني فقد قضيت على قوتي المعنوية قضاء مبرما وأخذت كل عواطفني الوطنية لاني أنا وأبناء العرب وجميع أبناء العناصر غير التركية لانحارب في جنب الترك الالحاق صيغة واحدة وذبا عن حياض الاسلام والعثمانية. فأجاب القائد قائلا : « اعلم أن الحقيقة غير العواطف وأنتك وان تكن عربيا فأنت وعنصرك من تبعة تركيا. ألم يستعمر الترك بلادك ؟ ألم يفتحوها بالسيف ؟ ان العثمانية التي تتخذها حجة لك هي حيلة اجتماعية يستعملها الضعيف للوصول الى غايته . أما الدين فلا شأن له في السياسة، وسننقض قريبا بامر التركية ونمت العلم التركي وتترك الدين جانبا لانه من الامور الشخصية الثانوية، أما أنت وأبناء جنسك فعليكم أن تعرفوا انكم ترك وأنك ليس في العالم قومية عربية أو وطن عربي » (١) وقد احتج ضباط العرب الذين سمعوا هذه الخطبة الى وزارة الحربية وطلبوا منها عزل القائد الاستاذ فلم تعبأ باحتجاجهم ولا أجابتهم الى طلبهم بل اتخذت التدابير اللازمة لتخلص منهم قذفت بهم الى ميادين القتال وعرضتهم لرصاص العدو بلا سبب الا رغبتها في محوم لينسى لها بعد ذلك قتل الفكرة القومية في بلادهم . وهذه الرغبة — رغبة قتل العرب — قديمة الهدى في الترك الاتحاديين . فقد عثر ضباط العرب سنة ١٩١٢ في بولايير على كتاب من أحد زعماء الاتحاديين الى قائد اتحادي كبير جاء فيه « عرضوا العرب لرصاص العدو واعلموا على التخلص منهم لان قتلهم يفيدنا . أما الكرد فاحتفظوا بهم لانهم يلزمون لنا في بلاد الارمن » (٢)

(١) جرت هذه المناقشة على مسمع مئات من ضباط العرب في المدرسة الحربية في الاستانة وقد قللها الينا غير واحد منهم فمررتاها للقراء اه من هامش الاصل
(٢) نشر هذا الكتاب في حينه في معظم الصحف العربية اه من هامش الاصل

رحلة الحجاز

٣

﴿ باخرتا الحجاج - المنصورة والتجيلة ﴾

استأجرت الحكومة للحجاج باخري (المنصورة والتجيلة) وهما من أقدم سفن شركة البواخر الخديوية - وأما المحل المصري فقد حمل مع أميره وعسكره على سفينة حرية انكليزية - ولما كنا آخر من جاء السويس من الحجاج علمنا من أصدقائنا للموظفين في هذا الشأن ان المنصورة أسرع الباخريتين وأنه لم يبق في الدرجة الاولى منها موضع لي وللسيدتين لأن وفد العلماء المرسل الى الحج على نفقة سلطان مصر المعظم قد ركب المنصورة قبل مجئنا وتسايق اليها الناس وقد يوجد فيها موضع واحد لي ، وان التجيلة تفضل للمنصورة بأنها أقل منها نودانا وأنه يمكن أن نجد في الدرجة الاولى منها بيتا أو نحوها (قره) خاصا بنا. فنزلنا فيها مع رفيقنا في يوم الاحد لأربع بقين من ذي القعدة ، وقد علمنا بعد سفرها أنها أبطلت بواخر الدنيا سيرا قبل لنا أنها تقطع ثمانية أميال في الساعة ولعلها لا تقيم السنة الا بالهجد ، وهي قديمة وسخة ليس فيها ضوء كهربائي ولا أجراس ولا مقاعد للاستراحة الاكرامي المائدة في الدرجة الاولى، ولكن المخدع الذي خصص لنا فيها واسع جدا قليلا يوجد في البواخر الكبيرة مثله في سعته وهو معد لنوم ستة أو سبعة ، وفيه عدة نوافذ. ثم أن ربانها سالم افندي البدن من أحسن الناس أخلاقا وعناية بالحجاج ، وهو من أقدم المستخدمين بهذه البواخر وقد حج مرارا ، وطيبها مهذب حسن المعاشرة وهو طلياني يتكلم بالعربية العامية بطلاقة ولهجة فيها سورية ، فنشكر لهذين الرئيسين في البخرة حسن عشرتهما وعنايتهما بنا خاصة وبأسر الحجاج أيضا ، ولا نبخس خدام البخرة حقهم من الثناء على حسن خدمتهم . ولعل باخرتنا كانت تفضل المنصورة فيها عدا سرعة السير. وقد زارنا في البخرة قبل سفرها محافظ السويس ثم صار الى المنصورة لزيارة وفد العلماء السلطاني فيها

(حجاج باخرتنا النجيلة)

وأنا في الباهرة بصحبة كثير من ركاب المرتجتين الاولى والثانية وجدنا صحبتهم وعشرتهم وأخص بالذكر منهم طالا من أكبر علماء القطر المصري وأديبا من أفضل أدبائه . أما العالم فهو الاستاذ الشيخ عبد الفتاح الجمل شيخ علماء بورسعيد وقد كنت أسمع له ذكرا حسنا فرأيتُه فوق ما كنت أسمع علما وفضلا وهديا وأديبا وانصافا في المذاكرة واستقلالا في الفهم ، وله مشاركة حسنة في التاريخ والادب ومعرفة أحوال مصر ، ولعله يندر وجود مثله في علماء مصر . وأما الاديب فهو محمد توفيق علي (البوزباشي) في الجيش المصري ، وهو يفضل من نرف من أدباء مصر وضباطها في الاخلاق الدينية والمحافظة على العادات ، وكثرة النظم في ذم التواخش والمنكرات . وقد كان معه والدته وهي امرأة تقية زكية الفطرة واتفق ان كان مخدعها ملاحقا لمخدعها فكانت الدني وشقيقتي تأنسان بالمالهما بهما وصحبتهما لهما وهي أقل منهما دوارا ، واختبر على مشقه البحر اضطرابه وقد حجت قبل هذه المرة . وكذلك كنت أنا آنس به ، فقد كنا أكثر الرقاق نلأزما قلما ففترق الا في وقت النوم ، وكان أكثر حديثنا وصمرنا أول الصحبة في الشعر والادب وأقلها في المسائل الدينية والعلمية والشؤون الاجتماعية ، الا اذا حضر المجلس الاستاذ الجمل فان الحديث يكون بمكس ذلك ، كما كان في أواخر العهد بالصحبة

وقد وزعت بعض نسخ المناسك على حجاج الباهرة قبل أن أقرأها وأصحح أغلاطها وبعضها بعد ذلك ، ولما علم الناس أنها بغير عن كثرة الطلب لما حتى من الاميين فصرت أشرط على من يأخذها من القارئین ، ان يقرأها لمن يجاوره من الرفاق الاميين ، وكان انتشارها في المركب سببا لكثرة اختلاف الحجاج البنا للسؤال عن أحكام التسك ولا سيما واجبات الاحرام

كان سفرنا من مصر في أول الميزان وقد بدأ هواء الخريف المعتدل يطرد هوا الصيف الحار ويحلبه عن أفق مصر ، وكأن ما كان يرسل منه من مصر يذهب الى الحجاز ليحل محل هواء صيفه الذي هو أشد منه حرارة ، لذلك كنا كلما أوغلنا في الجنوب نشعر بأن جونا يرجع بنا التهقرى الى الصيف فكان عامة من في السفينة لا

يكادون يبرحون ظهرها الا الى حلة غير النوم اذ كان جميع ركلب الدرجة الثالثة ينامون على الظهر وكذلك بعض ركلب الدرجة الثانية، وكان جل ركلب الدرجة الثالثة من أدنى طبقات المصريين قد دعهم الى الحج دعا ماكان من نهاية الحكومة يبعث حجاج يهجون وحملها الاغنياء على مساعدة الفقراء على الحج بالمال، فوق ماكان من تسهيل مآثر الاسباب، فكان أكثرهم يقطعون أوصال الليل باللهو واللعب، والغناء والطرب، ومنه ما يسمونه في اصطلاح أهل الطرق بالذكر، وهو ان يقف جماعة يتذنون ويرقصون ويصيحون بأصوات منكزة: ^١هـ ^٢هـ، أو: هو هو، أو حي حي، على صوت من يفتنيهم ببعض الاغاني الحديثة أو الاشعار القديمة، فيكونون بذلك من الذين اغنوا دينهم لهو ولعبا، وأقبح اللهو وأنكره وأقر به من غضب الله وأبده عن مرضاته ما جبل دينه، فهو لا الدين يسمون أنفسهم ذاكرين لله يظنون أنهم خير من الذين يتننون ببعض الاغاني لاجل التسلي عن فراق الأهل والولد مثلا، وما ذلك الله الذي سواه ذكرنا الامعية، وما هذا الله الا غلوه حراما أو مكروها الا مباح، ولم في ذكركم هذا شر مكانا ممن قال فيهم بعض العلماء

أقل الله حين عبدتموه كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

ولقد كرم هذا دون الذكر مع النفلة أو النية الذي قال فيه الشيخ محي الدين ابن العربي بذكر الله تزداد الذنوب وتطمس البصائر والقلوب

ومن مظاهر الدين الباطلة في هؤلاء العوام ما كان يمثل رجل منهم شر تمثيل: كنا نسمع كل ليلة صوتا منكرا أجش ينادي به صاحبه السيد البدوي بألقابه المشهورة في هذه البلاد، ويذكر من ذلك ويلج فيه بند نوم الناس، متقللا على ظهر السفينة من مكان الى مكان، وكثيرا ما كان يقف بالقرب من بعض نوافذ غندها فيزعج السيدتين وينقص عليهما نومهما، ولما تكرر ذلك منه بمشاعته فاذا هو يزي أهل الطريق المتصنعين الذين يراءون الناس بلحام وثيابهم وحركاتهم وأصواتهم، فتلططنا في وعظه واقناعه بترك ذلك الضياح ولكنه أقل منه ولم يتركه البتة.

هذا واننا لما حاذينا رابع آذن ربلت السفينة المجاج يلوح ميقات الاحرام فلتقوا بهرمون، واننا نرجى الكلام على الاحرام الآن لذكره في هذه الرحلة مع

غيره من أعمال المناسك متصلاً بعضها ببعض ، ونستمرس في وصف السفر فنقول :
 ﴿ الوصول الى جدة ﴾

وصلت المنصورة الى ثغر جدة ضحوة يوم الاربعاء وهو التاسع والعشرون من ذي القعدة ولم يلبث ركابها أن نزلوا منها ، وأما باخرتنا النجيلة فوصلت عشاء ليلة الخميس فلم تستطع التقدم الى موقف البواخر من الميناء لكثرة الصخور الخفية هنالك فأرست في مكان بعيد عنه ، وأما دخلت الميناء وأرست فيه ضحوة يوم الخميس فكان تأخر ركابها عن ركاب أختها ٢٤ ساعة ، والسفن تُرسى على بعد شاسع من البر في ذلك الثغر لقرعة الماء وكثرة الصخور ، فلما رأت الوالدة والشقيقة ذلك عرلها الغم لأن الدوار يشتد عليهما في الزوارق الصغيرة ذات الشراع أو المجاذيف ويؤلها طول المسافة فيها ، وخافتا أن لا تصلا الى البر الا بحالة لا ترضيهما ، ولكننا لم نكد نستعد للنزول الا وكان صديقنا الكريم الشيخ محمد نصيف وكيل سيدنا الشريف الاعظم صاحب المجاز^(١) قد جاء الباخرة في زورق كهر باني أو بخاري (لنش) مع جماعة من سرة جدة وكبرائها لاجل استقبالها ، وقد أخبرونا بعد السلام انهم قد نزلوا أمس للسؤال عنا في باخرة المنصورة ، ثم اتنا بعد استراحة الزائرين نزلنا وأنزلنا معنا في الزورق ما خف من متاعنا وصغر حجمه وأرسلنا ما بقي في مراكب النقل الشراعية - وكان الرفيقان الشيخ خالد ومحمد نجيب افندي قد نزلا في بعضها ، - فسار بنا الزورق كالسهم فوصلنا بنابة الراحة ، ونزلنا ضيوفاً مكرمين في دار صديقنا الكريم الشيخ محمد نصيف ، وهي دار فسيحة واسعة الحجرات كثيرة النوافذ ، تفيض عليها الشمس أشعتها من الشرق والغرب ، ويتخلل النسيم حجراتها من كل صوب ، فهي في الذروة من دور جدة ، وكان الهواء معتدلاً في هذا الثغر ، لا يشتكي برده منه ولا حره ، وقد بلغني الصديق المضيف تهية سيدنا الشريف ، وصدور أمره العالي اليه بالعناية بنا ، وكان قد بلغ الديوان الهاشمي العالي موعد وصولنا كما بلغه مندوبه بمصر خير سفرنا بالبرق ثم بلغ مضيفنا بمكة خير وصولنا بالمسرة (التلفون) وتكلمت به مع (١) يعلم القراء ان هذا وقع قبل مبايعة اهل الحجاز للشريف بالملك ونشر الرحلة بعد المبايعة لا يقتضي استعمال لقب الملك فيما يحكي فيها عما كان قبل ذلك

[المثار: ج ٩ م ١٩] عناية سيدنا الشريف وحفاوة اهل جدة بنا ٥٦٧

اخواننا محمدي جريدة القبلة . وفي صبيحة اليوم التالي ورد على مضيفنا في البريد من المقام الهاشمي الاعلى رقة شريفة هذا نصها :

نومرو ١٩٥

وكل شرافة مكة المكرمة وامارتها بحجده

متممنا الاعز

كتابك رقم ٢٧ الجاري وصل وعلم مآله لاسيا من خصوص السيد رشيد رضا فقد أرسلنا قبله وباريحه كان قصدا نشعرك بالاستعداد لمقابته بما يقتضي له من الحفاوة وللملومية نحرر في ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٣٤ شريف مكة وأميرها الحسين بن علي

لم نكد نستقر في الدار الا وأقبل الزائرون المهنتون يندون علينا أفرادا وجماعات وفي مقدمتهم الشيخ مصطفى فهمي مامون نائب الحضرة الهاشمية في جده جاء بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن سيادة رئيسه الشريف محسن معتذرا عنه بالاشتغال بشؤون الحمل المصري . وقد تذكرنا فتذكرنا بدد التحية والسلام ، فيا كان من تلاقينا أول مرة منذ بضعة أعوام ، ذلك اني زرت سورية عقب اعلان الدستور الثاني سنة ١٣٢٧ فأقمت فيها أشبرا ثم عدت الى مصر على سفينة فرنسية من شركة المساجري وافق ان كان في هذه السفينة مصطفى بك فهمي هذا قاصدا بور سعيد للسفر منها الى الحجاز فرأى اسمي بين ركاب الدرجة الاولى ولم يرني على مائتها ولا على ظهرها مع الركاب لاتي أصبت بدوار خفيف رمت لاجله نخدي ولم يكن معي أحد فيه ، فسأل عني فدل علي فالتفتنا وتعارفنا ، قلبي إن سيادة أمير مكة الجديد سيدنا الشريف حسين طابني لأكون كاتب السر له — وكان موظفا بولاية حلب في عمل لا أذكره الآن — واتي لما علمت بوجودك هنا رغبت في لقائك واقتام الفرصة في الاستفادة من رأيك فيما ينبغي لبلاد الحجاز من الاصلاح في عهد الدستور فان أميره الجديد لا بد ان يوجه همه الى إصلاح عظيم في هذه البلاد المقدسة وأنت أولى من يستنار برأيه في هذا الامر ... فذكرت له ما خطر في بالي في ذلك الوقت القصير من وسائل حفظ الامن ونشر العلم واصلاح حال البدو وسكة الحديد الحجازية ، وتواعدنا على المكتبة في كل ما يتجدد من الشؤون بتجدد الاعمال ،

وقد بدأ بالوقاف بوعده بعد وصوله الى مكة المكرمة بمدة وجيزة فكتب الي كتابا ذكر فيه انه عرض ماسمعه مني من الآراء على سيد الجميع فصايف القبول والارتياح ، وقد أجبته بما اقتضته الحال ، وكان من غرائب عهد الدستور اتي أرسلت اليه كتابا مسجلا فيه كلام يتعلق بخدمة الدولة وتمكين سيادتها في البلاد العربية فأعيد الي هذا الكتاب ولم توصله اليه ادارة البريد التركية ولا يزال عندي وقد وعدته باطلاعه عليه عند ما التقينا في جده لأنه كان في أوراقى ولكن لم ينسر لي اخراجه في ذلك الوقت

أقنا في جده من ضحوة يوم الخميس الى أصل يوم السبت ولم أخرج من الدار في هذه المدة الا الى صلاة الجمعة في أقرب المساجد اليها ، وقد سمعنا خطيب المسجد يدعو للسلطان محمد رشاد في خطبته كالعادة . ولم أرد الزيارة لأحد لان الزائرين كانوا لا يكادون يفارقوننا الا وقت النوم ؛ وكان جل حديثنا معهم في المسائل الدينية والعلمية ، والمبرة الاجتماعية والساسية ، وانما اختلست منهم ساعات متفرقة كتبت فيها نبذة من التفسير للمنار ومكتوبات أرسلتها الى مصر

كنت أتمنى لو ملكت وقتا أرد فيه الزيارة للزائرين الكرام فلما غلبت على الوقت قلت لملي أملك بعد العودة من مكة المكرمة ما لا أملكه الآن ، ولكن وقت العودة كان أضيق كما يعلم في محله ، ولذلك طلبنا من صديقنا ان يكتب الينا أياما من نوادي لهم الشكر بالكتابة ، جزاء ما استحقوه علينا من الزيارة ، فكتب الينا زهاء ثلاثين منهم وهم الذين تذكروهم فن أهل العلم منهم الاساتذة الشيخ محمد حسين ابراهيم والشيخ أحمد الزهره والشيخ أحمد طه رضوان والشيخ اسحق بن حسن الباسمي والشيخ محمد سعيد دردير خطيب مسجد عكاش ،

ومن رجال الحكومة عدا من ذكرنا مدير الشرطة مساعد اليافي ومدير الصحة الدكتور امين معلوف وقائد حامية الثغر عبد الرؤف عبد الهادي ورئيس كتاب الطحجر الصعي رشيد باغفار ومحمد راغب الصنعاني من الكتاب ، وحسين ملوخية مأمور نقل البريد ، وكل هؤلاء يطلق عليهم لقب الشيخ للتكريم ، وقد أعجبتني من الدكتور معلوف وعبد الرؤف ومساعد زيهم العربي فكانوا به أبهج في عيني منهم في زيهم الافرنجي التركي

ومن كبراء الوجه والتجار في الثغر الشيخ سليمان قائل رئيس البلدية والمشايع
زينل علي رضا وعبدالله علي رضا ومحمود زاهد ومصطفى درويش عبد ربه ومحمد بن
احمد الهرزاز ومحمد يا حفظ الله. وعبد الله الحمد الفضل ومحمد المبد الرحمن الفضل
ومن أصحاب الحرف ووكلاء الاعمال المشايخ حمزة جلال قبيب وكلاء المطوفين
وحسين مجبري من المطوفين وبكر وخميس وسليان عزابه من وكلاء المطوفين ومحمد
سعيد كيال شيخ السامرة وعبد الرحمن فائق من كتاب شركة البواخر العمانية
فقد شكر هؤلاء ولسائر من فضلوا بزيارتنا (كاشيخ عبد الرؤف الصبان من طلبة دار
العلوم المصرية وقد فاتنا ذكره مع علماء جدة) مودتهم وفضلهم، وقد علموا ما حال دون
ما كنا نبغي من زيارتهم، وان التقصير من الزمن لامتنا، والعذر عند كرام الناس مقبول
(عبرة للمعتبرين * وجناية المفسدين على المصلحين)

أظهر لي صديقي المضيف سروره وارتياحه لرؤيته إياي بثوبي الاحرام (الازار والرداء)
وقد أثار عجبني وحزني أنه ظن أن من المحتمل أن أترخص بترك لباس الاحرام اجتماعا
على الغدبة. وقال لي لو رأيتك لباس ثياب الخل لمرمت عليك أن لا تترك جدة الا
لباس الاحرام، لئلا يظن بعض الناس أنك من قبيل هؤلاء المتهاونين الذين يمشون
هذه البلاد غير محرمين بحج ولا عمرة، وذكر لي شيئا يسيرا عما علمت به بذلك تفصيلا
من حال بعض الشبان الذين جاؤا الحجاز ودخلوا مكة المكرمة ففسها، وكأنهم لا يعرفون
شيئا من مكاتها، ولا حق بيت الله وشعائره فيها، فدخلوها غير محرمين، ومروا ببيت الله
تعالى غير طائفين ولا مصلين، وترددوا بين الصفا والمروة غير ساعين ولا مرملين، فكانوا
مضفة في أفواه الحجازيين، ومثالا مشوها لشبان المدينة المصريين، وحجة قاطعة
لألسنة القدين يفلطون منهم بتكفير الانحاديين، لانهم يساؤونهم في ضلالتهم، وعدمهم
لشعائرتهم، ولكنهم يقصرون عنهم في الفيرة والاخلاص لانهم، والتفاني بخدمة
دولتهم، وبذل النفس والنفيس في احياء جنسيتهم

لقد احزنتني وامضني وساءني وأسفني ما قاله هذا الصديق الذي اعتقد أنه ما أحبني
في الله تعالى الا لاجل اعتصامي بديني وغيرتي عليه، ودعوتي الى احياء كتابه وسنته.
وقلت في نفسي يا سبحان الله! اذا كان مثل هذا الحب الحسن الاعتقاد قد بلغ
(المتار: ج ٩) (٧٢) (المجلد التاسع عشر)

سوء تأثير بعض أولئك الشبان في نفسه أن تصور ذهنه في مثلي جواز دخول جدة بغير ثياب الاحرام ولو على سبيل الرخصة ، والقيام بما يجب بدل ذلك من الفدية ، فكيف يكون رأيه واعتقاده فيمن لا يعرف لأحد منهم خطا من علم أو عمل ، ولا يحفظ لأحد منهم في قلبه بعض ما يحفظ لي من الظن الحسن ؟

وقلت له محاولا كتمان اسفي ومكابرة امتاضي: لو كان هذا اللباس (لباس الاحرام) مستعجا لا واجبا لما تركته تهاونا ولا إيثارا لما في اللباس المعتاد من الحشمة أو الزينة أو الرفاهة ، وأنا أرجو أن اكون من أعلم الناس بفوائده وأحرصهم على إدراكها بالعمل ، ولو تركته لما استطعت أنت ولأحد من الناس ان يقتني بلوتائه ، لانني لا أتركه — لو تركته — إلا لعذر شرعي ملجئ ، كأن اعتقد أنه يضر بصحتي ضررا يجعل الواجب محظورا ، وأكون بلبسه عاصيا لله تعالى لأحائما ، وأما نظركم فلا بالي به في أمر الدين ، وأعوذ بالله ان أكون من المرائين ، بل تعودت — والله الفضل والمنة — ان لا أنصنع للناس ولا ادهن لهم ولا اتحرى مدحهم ولا أخاف انتقادهم في المصالح الدنيوية والامور العادية بحيث يحملي ذلك هل ترك شي - أراه حقا أو مصلحة أو فعل شي - أراه باطلا أو مفسدة ، وأقول مستطردا إنه قد عادني كثير من الناس في هذا الخلق وأذوني لأجله ولم أؤذ أحدا منهم ، وأرى اني غير مغبون معهم ، وأن هذا الخلق خبر لي من مودتهم ، ولا سيما من أهرق منهم سوء النية ، وفساد الطوية ، ولكن بسوءني أنه لا بد ان يوجد في أمثال هؤلاء من هو حسن النية يُخدع بالشبهة أو يقلد غيره فيما لأعلم له به ، وأنه يسر السوء على هؤلاء ، والتناصف معهم باقتناع كلامنا بحسن نية الآخر وإخلاصه ، ورجوع المحطى الى رأي المصيب ان ظهر صوابه ، وعذره إياه فيما لم يظهر له . ولم اذكر هذا التفصيل كله للصديق وإنما خطر في بالي عند الكتابة ان يانه مفيد لأن مثله يقع لكل صادق مستمسك بمرء الحق لا يحابي ولا يدهن الناس فيه .

ومن دقائق هذا البحث ان الانسان كثيرا ما تنفسه نفسه وتخدعه بتسمية العجب والكبر والاصرار على الهوى اعتصاما بالحق وصلابة فيه وقلة اكثرات بالمبطلين ، فينبغي للمخلص في اعتقاد نفسه ان يمتحن نفسه ويناقشها الحساب فيما يباب به ويتقدم منه وهذا أمر عسير غير يسير اذ يقل في الناس من يبلغ من يحب ما ينتقده

هزأ وغيره عليه ويظلمه على عيوب نفسه ، كما يقل فيهم من يسلم من غيبة صديقه .
واكثر ما يبلغ الناس من الانتقاد عليهم او انتقاصهم ما ينقل اليهم عن خصومهم واعدائهم
وقل من ينظر في مثل هذا نظر الروية والانصاف فيستفيد منه ، وإنما يستحوذ على
الاكثرين عند سماعه ثوران الغضب وخواطر الدفاع أو الانتقام . واجهد الله تعالى
أن وقتي في ريعان الشباب واثائل العهد بالرشد الى حل اصدقائي على ارشادي الى
عيوبي ومكاشفتي بما يروونه أو يسمعون من الانتقاد علي ، ولا ازال أسأل عن ذلك
من أتوسم فيه النصيح وان كان اصغر مني سناً واقل تجربة ومعرفة ، واني لاحوج الى
نصيحة واحدة استعين بها على اصلاح نفسي ، من سبعين مسألة استعين بها على
إصلاح غيري . وقد توجد هذه النصيحة عند عامي يزيد ما عندي من العلم والاختبار
على ما عنده منها سبعين ضعفاً ، فيكون أعلم مني بما أنا احوج اليه مما أفضله به
واما ما اكتبه فاني أطالب الناس بالانتقاد على ما يروونه من خطأ أو باطلا ،
أطالبهم بذلك كتابة بما انشروه في المنار كل عام ، وكل ما يكتب الي من ذلك أنشره في
المنار على حسب الوعد الذي أعد به عند طلب الانتقاد ، فان تعمدت اغفال شيء —
وذلك نادراً — قائماً أغفله لتكريم غيري ، لا لإخفاء عيبي ، ولا اذكر من ذلك
الآن الا رسالة ارسلها الي صديق مخلص من اشهر علماء الاقطار هفا فيها هفوات تزري
بقدره لو نشرت وقعدت وان تلفت الناقد جهد الطاقة ، وبالغ في الادب حتى بلغ
حد الاستطاعة ، فرأيت من الوفاء له ان اراجعه فيها ، واستأذنه بنشرها بعد التنبيه
لما فيها فلم يأذن . من أجل هذا أعتقد كما يعتقد جمهور قراء المنار أن آية الاخلاص
في انتقاد ما ينشر فيه ان يكتب ويرسل اليه ، لأن يقال أو ينشر في غيره من الصحف ،
فان نشر النقد في المنار نفسه هو الوسيلة لتمحيص الحقيقة عند من اطعموا على الكلام
المنتقديه ، وأما فائدة الانتقاد عند المخلص فيه بيان الحق والصواب لمن ينتقد عليه
باطله او خطأه ، ولئن اطعم على ذلك وخشي ان قد يكون قد ضل به وهم قراء كلامه ،
وأما انتقاد ذلك في بعض البيوت او الأندية او الصحف التي لا يطلع اكثر قرائها
على ما يدعي المنتقد انه باطل وضلال فهو إذاعة للباطل ضارة لا يحمل عليها الا هوى
النفس ، وذلك من شأن المرائين المفسدين ، لا من شأن الصادقين المصلحين ،

وقد ذكرني مقاله الشيخ محمد نصيف في مسألة الاحرام والسبب الحامل له على هذا القول ما انبأني به اخي في الله عز وجل العلامة الشيخ محمد مكّي بن عزّوز التونسي في الاساتنة سنة ١٣٢٨ قال رحمه الله تعالى ما حاصله : كتب الي أحد اخواني من علماء تونس بعد العلم بتلاقينا هنا : اتنا عرف قيمة السيد محمد رشيد رضا العلمية ومواقفه الاصلاحية من مناره ... ولكننا نرى بعض الذين يلهبون بطلب الاصلاح حتى الديني منه لا تنطبق أعمالهم على اقوالهم فهم لا يؤدون فرائض الدين ولا يقيمون أركانها فضلا عما دونها من آداب وأحكامه ، فكيف رأيت صاحب المنارة بعد المعاشرة والاختبار؟ قال فكثبت اليه بعض ما رأيت ومنه ان زيارته الاولى لي في داره كانت بعد العصر فصلى صلاة العصر عندي وكنت قد صليت قبل قدومه مفردا فأعدها مقتديا به ، فلم أر صلاة أكمل انطباقا على السنة من صلاته . وزرته مرة مع بعض الاخوان فقدم لنا الشاي ولم يشرب معنا لانه كان صائما . الخ

أليس من آية ضعف الدين ، وإسلاء الصادقين بالناقضين ، وغمة الامر على المؤمنين ، ما دار من المكائبة بين العالمين التونسيين في الصلاة والصيام ، ومن الحديث يني وبين محمد نصيف في مسألة لباس الاحرام ؟ بلى واتي تذكرت في هذه المحظة مسألة اخرى من هذا القبيل اذكرها اماما للمبرة

دخلت مرة على الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد في نهار رمضان فرأيت عنده ابراهيم بك المويلحي جالسا يدخن بلفيفة من التبغ (سيكارة) فذكر النار ومنع الحكومة الحيدية إياه من دخول البلاد العثمانية فجعل المويلحي يرميها بالجهل ويقسم ان النار خير لهما من فيلق من العسكريين من خدمة الدين الذي لا تنهض الامة بدونه ، وأطنب في مدح الدين وتأثيره في الاصلاح وعدم الرجاء في نهضة المسلمين بدون ما يدعوا اليه النار من الاصلاح الديني . علم بهذه الواقعة ابراهيم بك الهلباوي فاشار اليها في مقالة ارسلها الى المؤيد من أوربة يذكر فيها بعض عبر السفر مستطردا الى العبرة بها على سبيل التشبيه والمثل ، قال في وصف وجل - على ما أذكر - : كذلك الرجل الذي كان يكلم صاحب المنارة في مدح الدين ... في شهر رمضان ولفيفة التبغ بيده يدخن بها . - او ما هذا مؤداه - فهم بعض الناس من عبارته ان الذي كان يدخن هو صاحب النار المحاطب لا المتكلم

الذي يخاطبه، وان كان المتبادر من العبارة العكس وهو الذي يجري عليه الكتاب عادة في مثل هذه المسألة ، اعني أنهم لا يصرحون باسم من ينتقدونه في مقام الاعتبار، فاذا صرح احدهم باسم المنتقده عليه أو بوصفه بما يعرف به لهوى له وقصد الى ذمه، لا تواتيه الجرائد المعبرة (كالوئيد) ولا تنشر ذلك له، فلوان صاحب الوئيد فهم من العبارة ما فهم بعض الناس او خطر في باله انه قد يظن منها ذلك لتصرف فيها بما يحول دون هذا الفهم بلغني وبلغ صاحب الوئيد رحمه الله ذلك في وقته فلم يحفل به ، وقال هو ان هذا الفهم لا يخطر الا ببال بعض العوام ، وهو لا يؤثر أدنى تأثير في سمعة صاحب المنارخى عند من لا يعرف مكاتبه من هداية الدين ، واذا كتب شيء لا يوضح الحقيقة ربما كان سبباً لقبول والقل. ثم علمنا ان هذا الفهم قد سبق الى اذهان بعض الناس في ذاتي الاقطار، جاءني يوما برقية من بمباي الثغر الهندي المشهور من محمد باشا عبد الوهاب شيخ دارين أحد ثغور نجد الجنوبية يقول فيه انه مسافر الى السويس في باخرة كذا بقصد الحج، فلما كان موعد وصول الباخرة رأيت من المروءة أن أذهب الى السويس لقائه وان لم أكن أعرفه أو أعرف عنه شيئاً من قبل، فوافيته فيها وكان معه جمهور من العرب ومسلمي الهند جاء بهم ليعجبوا على ثقته. فقدم لنا لقائف التبغ (السكاير) على حسب العادة فاعتذرت، فعرضوا عليّ النارجيلة (الشيشة) فاعتذرت أيضاً. فسألني الباشا عن السبب فقلت اني أكره هذا المخان وقد حفظني الله تعالى من اعتياد التدخين في الصغر، فلا أتكلفه بعد العلم بضرره في الكبر، فقال إذا أنت لم تدخن في حياتك قط، قلت الامر كما ذكرت ، فالتفت الى أصحابه وذكرهم بما دار من الخلاف في عبارة الملباوي وكيف ظهر ان الصواب ما قاله من نزه صاحب النار عن ان يكون هو المفطر في رمضان . على ان المسألة مسألة مجاهرة بالفطر ، وهي أغشى من الفطر في السر ، لما خيام من سوء القدوة ، وانتهاك الحرمه ،

بعد هذا الاستطراد الطويل أقول ان بعض شباننا الذين أفسدت المدارس التركية أو الافرنجية عقائدهم ، وشوهت حرية الكفر والفسق أخلاقهم وآدابهم ، ولم يكن لديهم من التجربة والخبرة، ولا من حكم العقل وصحة الفكر ، ما يفرقون به بين الحجاز وبين الاسنانة ومصر ، لم يقفوا عند حد ترك الاحرام ، قبل دخول

البلد الحرام ، وترك الطواف والصلاة والصيام ، بل تجرأ أحدهم على التصريح بالاعتراض على القرآن. وتجراً آخر على الطعن في بعض الخلفاء الراشدين، بل على ما هو أكبر من ذلك من الضلال المبين ،

من أجل هذا صار بعض المحجابين يسمي الفتن بجميع أفراد هذه النابتة الجديدة وبعضهم يجعل سيرة هؤلاء الفاوين، حجة حتى على من ظهرت عدالتهم من الوافدين، أما طبيعة الحرم بل طبيعة جزيرة العرب، فلا تطبق الصبر الطويل على إلحاد الملحدين، ولا على توسيد الأعمال إلى الفساق المجاهرين، وأما ما عدا الجزيرة من البلاد العربية فتستحذو نابتها حذو النابتة التركية، وإن فيها من يود تقليد جمعية الاتحاد، في السياسة والعصبة والاحاد، ولكن آمالهم أدنى من آمالهم، ومآلهم شر من مآلهم، فانهم لا يرجون أن يكون لهم دولة كالدولة العثمانية ينقلبون على أمرها، ويتمتزون بقوة مالموا قوة جنداء، وسيظهر حالهم ومقصدهم، وما يكون من تأثيره في بلادهم وأمتهم.

تقريظ المطبوعات الجديدة

كتاب الحرب الاوربية—أو فلسفتها—

لا أعرف أحدا من العامة ولا من الخاصة يصدق جميع ما ينشر في الجرائد من أخبار الحرب والسياسة ولا أكثره، وإنما يصدق أناس ما يوافق عقولهم، وآخرون ما يوافق أهواءهم. وأهل البصيرة يملكون أن أصحاب الجرائد في بلادنا لا يعرفون جميع الحقائق التي يعرفها أصحاب الجرائد في أوربة، وأنه لا يباح لهؤلاء ولا لا وثلك أن ينشروا كل ما عرفوا، فإن ما ينشر في الجرائد في هذه الحال يراد به عند جميع الأمم ما يترتب عليه من التأثير، لا تمحيص الحقائق ولا تدوين التاريخ، وإنما يجرى أن تدون الحقائق بعد الحرب بسنين، بأقلام أركان الحرب وأحرار المؤرخين. وأجدد الناس بإظهار الحقائق في كل زمن هم الحكماء ورجال الإصلاح الاجتماعي والتحقيق التاريخي، وإذا قلت أن (غوستاف لوبون) هو أشهر حكاء الاجتماع وفلاسفة التاريخ في هذا العصر لا أكون مبالغا، فإنه قد اشتهر في الشرق كما اشتهر في الغرب بما تُرجم من كنهه الاجتماعية باللغات الشرقية ككتاب تطور الأمم وكتاب

روح الاجتماع ، وبما كتبه في تاريخ أعظم أمم الشرق ، ككتاب حضارة العرب وكتاب حضارة الهند . وقد كتب كتابا في فلسفة هذه الحرب بين فيه مناقشتها النفسية ، وأسبابها الخفية والجلية ، وكيفية تولدها ونماها وسيرها في كل أمة من الأمم المتقاتلة ، وكونها معلولة لعل خفية ما كان في استطاعة أحد أن يحول دون ترتبها عليها ، ولم تكن بارادة دولة من الدول ولا ملك من الملوك ، خلافا لكثيرين الذين غلطوا في ذلك . ومن مباحث الكتاب بيان انقلاب الطرق الحربية والمواطف التي توظف داعية الحرب ، وتأثير الاغلاط النفسية والحربية فيها ، وإيقاظها للشعور الديني ، والطرق الحربية الألمانية وتأثيرها ، ونتائج الحرب المجهولة وعقبات الصلح ، وغير ذلك من الفوائد ، مستنبطا مسائله وقواعده من الوثائق الرسمية ، وأجدر الاخبار بالثقة

مثل هذا الفيلسوف الكبير يكتب ما يستعد ، وقد بدأ التمهيد الذي جعله مقدمة للكتاب بقوله : « ليس غرضي من هذا الكتاب درس حوادث الحرب الاوربية وإنما الذي أرمي اليه استقصاء الظواهر النفسية التي أدت اليها والتي رافقتها منذ نشأتها . فان تدوين وقائعها بانصاف واخلاص ليس بميسور لنا اليوم . وان الاهواء لا تزال منسلطة على نفوسنا ، ولا يتسنى للأجيال التي تخلق التاريخ أن تدونه . ولا بد من فترة تمر بعد انتهاء المآسي البشرية حتى يتمكن الانسان من اكتشاف مرها وادراك حقيقتها ، فان التاريخ لا ينصف الا الموتى »

ومن أراد أن يستفيد من هذه الحرب علما وفلسفة وهبرة وبصيرة فعليه بهذا الكتاب وهو قد ترجم بالعربية وطبع في مطبعة الهلال

﴿ كتاب ثورة العرب — مقدماتها وأسبابها ونتائجها ﴾

ألف هذا الكتاب عضو من أعضاء بعض الجمعيات العربية ، هو سوري أقام في الأسبانية عدة سنين وفي مصر عدة سنين لا عمل له الا الاشتغال بالسياسة ، والاقطاب التي تدور عليها مباحث الكتاب تنحصر فيما يأتي :

الحرب الاوربية والشرق . المسألة الشرقية وفروعها . المسألة العربية وأدوارها . العرب والترك في الماضي . العرب والاتحاديون . تأليف الجمعيات العربية وأسبابه . المؤتمر العربي الاول ونتائجه . نيات الاتحاديين ومعداتهم ؛ الاتحاديون والاسلام

والعرب ، تقام الخطب ، انفجار البركان . المباشرة بالملك على العرب . مستقبل العرب . ما من مسألة من مسائل هذا الكتاب الا ولدينا علم تفصيلي فيها . وقد قرأت نبذا متفرقة منه لاقف على منهاج مؤلفه فيه ، فظهر لي بما قرأت وما أعلم من أخلاق المؤلف وآدابه أنه اجتهد ونجى الحق فيما كتبه بحسب ما وصل اليه علمه وفهمه مما رأى وروى ، وما سمع وقرأ . وما بينه في كتابه أن أذكاء العرب قد ألبأنهم سيرة الاتحاديين وسيهم بالسلوة والاحداث التي حدثت في عهد دستورهم الى تأليف الجمعيات والاحزاب للمحافظة على مقومات أمنهم وترقيتها في عهد الدستور في ظل الدولة العثمانية مع الاخلاص لها والحرص على دوام الارتباط بها . وقد صدق . نقلنا في هذا الجزء فصلا من فصول الكتاب وربما نقل عنه غيره ، وقد بلغت صفحاته ٢٤٦ صفحة من قطع النار ومن النسخة منه عشرة قروش صحيحة

﴿ المذابح في ارمينية ﴾

كاتب الشيخ فائز الفصين بين فيه مآرآه بعينه وسمعه بأذنيه من رجال الحكومة الاتحادية الطورانية وضباطها من حوادث واخبار الفك بالارمن . والكاتب من أبناء رؤساء عشائر العرب في حوران تخرج في مكتب الدولة الملكي بالاستانة وانتظم في سلك حكومتها الادارية ، وقد كان حظه من تكييل حكومته بأشأله من نجباء العرب النفي الى أرضروم ، ولكنه سجن في ديار بكر بضعة اشهر وهي قطب الرحي تلك الاحداث وفي طريقها رأى وروى مادونه في كتيبه من الفظائع التي تشعمر منها الجلود ، ثم تيسر له الفرار الى البصرة ثم الى الحجاز فصر وغرضه من الكتاب تبرئة الاسلام والمسلمين من قتل احد بغير حق ولا سيما النساء والاطفال وبيان ان تبة مذابح الارمن في اعتاق الحكومة الاتحادية دون سواها .

﴿ الكثز المفقود ﴾

قصة خيالية كتبت ببعض اللغات الافرنجية وترجمتها بالعربية الكاتبة المشهورة (ماري نجار) وغاية مؤلفها مبيان شأن المرأة المهذبة وان جمال المرأة وذكاها واثروتها لانفنى عناشيتها اذالم تكن مقرونة بالتهذيب . ولذلك قدمتها المترجمة الى الصحف العربية التي يعنى أصحابها « برفع شأن المرأة ومساواتها بالرجل وتشجيعها على رفع صوتها والسماح لها بنشر أفكارها على صفحاتها » وصفحات القصة ٢٣٥ من القطع الصغير ومن النسخة منها «قروش .

المسحاة

١٣١٥

في شهر عبادي الذين يستعملون الدول فينبور أحسن
أولئك الذين مدام الله وأولئك هم أولو الألباب

بوقت الحكمة من بناء ومن يوت الحكمة قد
أوتي شيئا كثيرا وما يدرك إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و «متار» كتنار الطرش

٢٩ جادى الآخرة ١٣٣٥ — ٥ الحبل (را) ١٢٩٥ هـ ١٨ إبريل ١٩١٧

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فصحتل هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لايسع الناس عامة، ولشقطر على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بماشاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا، ولن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ استدارة الزمان والنسبة في الحج ﴾

(س ٢١) من أحد قراء المثار من كبراء مكة المكرمة
الذي أحبط به علم حضرة الفاضل الاستاذ اني أستفسر عما رسخ بفكري عند تلاوة قوله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك للذين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) قال صلى الله عليه وسلم « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » قال أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن حجر السقلافي في فتح الباري بشرح صحيح البخاري : المراد بالزمان النسبة وقوله كهيئته أي استدار استدارة مثل حاله ... ولفظ الزمان يطلق على قليل الوقت

وكثيره والمراد باستدارته وقوع تاسع ذي الحجة في الوقت الذي حلت فيه الشمس
 برج الحمل حيث يستوي الليل والنهار ، فلا يخفى ان مفهوم منطوق الحديث الشريف
 استدار كميته يوم خلق الله السموات والارض مع ما تضمنه شرح ابن حجر بقوله
 المراد باستدارته وقوع تاسع ذي الحجة في الوقت الذي حلت فيه الشمس برج الحمل
 حيث يستوي الليل والنهار ان وقت الوقوف بعرفة لا يكون الا في ذلك اليوم
 الذي نحل فيه الشمس برج الحمل لا يقدم ولا يتأخر وإذا تقدم أو تأخر دخلت
 النسيئة معنى اذا لاغرو ان وقت الوقوف من بعد ذلك اليوم لم يقع في ذلك الوقت
 لانه لا أقل من تأخر الوقوف كل عام عشرة ايام بحسب الفصول على حساب
 الاشهر الهلالية. فان قلّم هذا امر مقرر مشى عليه الصحابة والتابعين من بعده صلى
 الله عليه وسلم وهم جرا الى الآن وعليه جاء في تفسير قوله تعالى (يستلونك من
 الالهة قل هي مياقبت للناس والحج) ان الاعتبار في الحج الاشهر الهلالية . قلنا
 حينئذ يترتب على هذا انه لا فائدة لما افهمه منطوق الحديث الشريف وهو لا ينطبق
 من الموى ، ولا معنى لما شرحه ابن حجر في قوله في ذلك اليوم الذي حلت فيه
 الشمس برج الحمل . وهذا اذا كان السؤال في الآية الشريفة عن الهلال فقط وأما اذا
 جرينا على ان السؤال كان عن جميع الالهة حيث دخلت الشمس في هذا الجمع
 فيثبت السؤال قد توجه بلا اشتباه ، حيث ان ما ذكر من مفهوم الآية والحديث المتقدم
 ذكرهما يؤيدان المراد بقوله والحج أن ميقات الحج الشمس حينما تحل في برج الحمل
 اقنونا مأجورين أمين

(ج) ليس في منطوق الحديث الشريف ولا مفهومه أن استدارة الزمان هي
 وقوع تاسع ذي الحجة في أول يوم من برج الحمل ، ولا ذلك مطابق للواقع . وانما
 أخذه الحافظ من قول بعض العلماء لا من حديث آخر فقد قال في شرح الحديث
 من كتاب بدء الخلق من الفتح : وزعم يوسف ابن عبد الملك في كتابه تفضيل
 الازمنة ان هذه المقالة صدرت من النبي (ص) في شهر مارس وهو آذار وهو برمات
 بالقبطية وفيه يستوي الليل والنهار عند حلول الشمس في برج الحمل . اهـ ومنه يعلم
 انه ذكر هذا لبيان الواقع ، ولا أدري من اين اخذ الحافظ ان تاسع ذي الحجة واقع

في تلك السنة دخول الشمس في برج الحمل فهو لم ينقل عن يوسف بن عبد الملك ذلك. والواقع ان أول ذي الحجة من تلك السنة وهي العاشرة كان يوم الخميس كما ثبت في كتب الحديث وهو يوافق ٢٧ فبراير وثاني برمهات ، وفي بعض كتب التوقيم ان أوله الجمعة ٢٨ فبراير ٣ برمهات وعلى كل من الحساين يكون دخول الشمس في برج الحمل بعد اليوم التاسع ، وهب انه كان فيه فما ذكرهم له الا بيان للواقع. وكل من موافقة وقوع لوقوف في أول يوم من برج الحمل وموافقة عام حجة الوداع لأول عام انتظم فيه حساب السنين في أثر تكوين السموات والارض بهذه الحالة لادخل له في فريضة الحج. على أننا ان سلفنا أن هذا المفهوم المنع في السؤال هو مفهوم الحديث تقول أنه مفهوم مخالفة اشتراط من يمتنعون به ان لا يعارضه ما هو أقوى منه من منطوق أو مفهوم موافقة ، وهذا المفهوم يعارضه الكتاب والسنة اذ لو جعل الحج في فصل الربيع نابعا للحساب الشمسي لخرج من الاشهر الحرم المعلومات عند العرب بالتواتر من عهد ابراهيم واسماعيل اللذين فرض الله الحج على ألسنتهما وهو قوله تعالى (الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج) الخ وهن الاشهر المتواليات في حديث الاستدارة. وكانت حكمة جعل الحج في الاشهر الحرم ان يأمن الحجاج على انفسهم في ذهابهم الى مكة وايابهم منها الى اوطانهم فلا يغير عليهم احد من الاعراب كما ذنبهم .

واما فائدة الحديث فهي تقريرا بطلان النسيء ولوازمه . قال تعالى بعد الآية المذكورة في أول السؤال (٣٧ : ٩) انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله) وهو ما جروا عليه من تأخير بعض الاشهر الحرم الى غير ما أي استحلال الشهر الحرام نفسه وتحریم شهر آخر بدلا منه لما كانوا يرون من الحاجة الى الاغارة في الشهر الحرام . مثل ذلك انهم كانوا يؤخرون تحریم القتال في الحرم الذي يعودون فيه من الحج الى صفر ويمتنون ذلك في (منى) قبل انصرافهم من الحج ، واذا احتاجوا اخروا صفر الى ربيع وهلم جرا حتى امتدار التحريم على شهور السنة كلها . وروي ان القميس بن امية بن عوف نسأ لهم الشهور اربعين سنة فترتب على ذلك انهم أحلوا جميع ما حرم الله واخروا

الحج عن وقته الذي شرعه الله فيه حتى ان السنة التاسعة التي حج فيها أبو بكر بأمر النبي (ص) كان الوقوف فيها في شهر ذي القعدة كما قال بمجاهد، وتلتها حجة الوداع فكان فيها الوقوف في ذي الحجة وهو الشهر الذي فرض الله الوقوف فيه . فكانت استدارة الزمان أن رجع حساب الحج الى أصله وحرم النفس البتة فزال السبب الذي كان يتأخر فيه الحج من الأشهر المعلومات التي فرضه الله فيها . وافاد الحديث أن هذا الحساب حقيقي صحيح في نفسه ليس فيه من خطأ التسيي شيء . وقد قرأت بعد كتابة ما ذكر ما كتبه الحافظ على الحديث في تفسير سورة براءة فإذا به قد نقل هذا المعنى عن الخطابي

وأما ما ذكرتم من الفرق بين الملل والالهة فلا نعلم له مأخذا من اللغة ولا أصلا من الرواية فالالهة جمع هلال وهو اسم للقمرة عند ما يدنو في أول ليلة من الشهر الى ثلاث ليال وقيل الى سبع وفي القيلتين الأخيرتين أو الثلاث الأخيرة منه . فإذا كان هذا اللفظ لا يطلق مفردا على الشمس فكيف تدخل الشمس في مفهوم جمعه ؟

(تصحيح في تفسير هذا الجزء من المنار)

بعد ان طبع تفسير هذا الجزء وأردنا طبعه على حدته أعدنا النظر فيه فرأينا فيه ما يحتاج الى التصحيح والتنقيح . ومما صححناه فيه ما يأتي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٨٧	٢٤	القياس الجلي	القياس
«	٢٥	أو السنة هو	أو السنة وما قطع فيه بنى القاروق هو
«	«	الصحيح	الصحيح الذي لا وجه للخلاف فيه
٥٩١	١	والله أعلم بالظالمين ^(١)	أليس الله بأعلم بالشاكرين
٥٩٦	١٠	عاقبتهم عنه	عاقبتهم عنده
٥٩٧	١١	من طردهم	عن طرده

(١) سبب هذا الخطأ انه نقل عن كتاب الدر المنثور المطبوع بلا تأمل

ذِكْرُ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ

٣

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ دَارِهِ إِلَى دَارِ أَبِي بَكْرٍ،
ثُمَّ خَرَجَا مُتَوَدِّعِينَ مِنْ خَوْخَةٍ ^(١) فِيهَا وَاسْتَخْفِيَ فِي الْغَارِ الْمَعْرُوفِ بِغَارِ
تُورٍ ^(٢)؛ وَكَانَا قَدْ اسْتَأْجَرَا دَلِيلًا مَاهِرًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِيَرْحَلَ بِهِمَا،
وَأَعْطِيَهُ رَاحِلَتَيْنِهَا وَأَمَّنَاهُ عَلَى سِرِّهِمَا ^(٣) وَوَعَدَاهُ غَارَ تُورٍ بَعْدَ ثَلَاثِ،
فَكُنَّ أَمْرَهُمَا وَوَأَفَاهُمَا فِي الْيَمْعَادِ، وَلَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِخُرُوجِهِمَا،
خَرَجَتْ بِالْقَافَةِ فِي طَلَبِهِمَا ^(٤) حَتَّى إِذَا مَا أَنْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْغَارِ، صَرَفَ
اللَّهُ عَنْهُ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ؛ وَفِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى مَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَا بَصَرْنَا، فَقَالَ «يَا أَبَا بَكْرٍ
مَا ظَنُّكَ بِأَنْتَيْنِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا؟ لَا نَحْزَنُ إِنْ اللَّهُ مَعَنَا، وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ
ثَلَاثِ جَلَّةِ الدَّلِيلِ فَرَحَلَ بِهِمَا، وَأَرْدَفَ أَبُو بَكْرٍ مَوْلَاهُ عَامِرَ بْنَ قُيْبَرَةَ
فَهَاجَرَ مَعَهُمَا، وَكَانَتْ نَارُ الطَّلَبِ قَدْ خَدَعَتْ عَنْهُمَا، وَجَعَلَ الْمُشْرِكُونَ

(*) تابع لما نشر في الجزء الثامن ص ٤٧٣

(١) الخوخة الكوة النافذة والباب الصغير في الباب الكبير

(٢) تور اسم جبل معروف من جبال مكة والغار لا يزال فيه الى اليوم

(٣) فيه من العبرة ما كان غند العرب من الامانة والصدق والوفاء

(٤) القافاة جمع قاتف وهو الذي يسرف الآثار فاذا رأى أثر الاقدام أو

الاخفاف أو الحوافر في الارض استدل بها على عددها ووجهه سيرها

لَعَنَ جَاءَهُمْ بِهَا دِيَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَقَدْ كَانَ مَا كَانَ مِنْ حِفْظِ
اللَّهِ وَإِكْرَامِهِ لَهُمَا ،

وَلَمَّا بَلَغَ الْأَنْصَارُ خُرُوجَهُ ﷺ مِنْ مَكَّةَ ، كَانُوا يَخْرُجُونَ
صَبِيحَةَ كُلِّ يَوْمٍ يَنْتَظِرُونَهُ فِي الْحَرَّةِ ، ^(١) وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى
الدِّيارِ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَغْلِبَهُمُ الشَّمْسُ عَلَى الظَّلَالِ " سَقَى وَأَقَامَهُمْ
بَقِيَّةَ ^(٢) يَوْمٍ أَلَمِ ثَنَيْنِ نَأْمِنَ رَيْبِ الْأَوَّلِ فَتَلَقَوْهُ بِالْأَكْرَامِ ، وَأَقَامَ فِيهَا
مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، وَكَانَ زَوْلُهُ فِي بَيْتِ عَمْرِو ابْنِ عَوْفٍ ، وَبَنَى فِيهَا
مَسْجِدَهَا الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ
يَوْمَ الْجُمُعَةِ عِنْدَ دُخُولِ الشَّمْسِ فِي بُرْجِ الْبِزَانِ ، وَهُوَ أَوَّلُ الْأَعْيَادِ
الْخُرَيْجِيِّ فِي الزَّمَانِ ، فَكَانَ ذَلِكَ رَمْزًا لِمَا فِي شَرِيعَتِهِ مِنَ الْأَعْيَادِ ،
وَكُونِهَا آخِرَ الشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي يَبْلُغُ بِهَا الدِّينُ غَايَةَ التَّامِّ
وَالْكَامِلِ ، وَقَدْ أَدْرَكَتْهُ الْجُمُعَةُ فِي بَيْتِ سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ فَجَمَعَ بَيْنَ
فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِ ، ثُمَّ رَكِبَ فَأَخَذُوا بِحِطَامِ نَاقَتِهِ :
هَلُمَّ إِلَى الْعُدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْمُنْتَعَةِ وَالسَّلَاحِ " ، فَقَالَ « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَلَمْ يَكُنْ
مَأْمُورَةً » ، وَكُلَّمَا مَرَّتْ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ رَغِبُوا إِلَيْهِ فِي التَّزْوِلِ

(١) الحرة موضع ظاهر المدينة من جهة مكة فيه حجارة سود

(٢) أي عند ما يقرب وقت الظهر ويفلص ظللال الجدر حتى كأن الشمس
تغالب المستظل بها عليها (٣) موضع ظاهر المدينة فيه قرية واصله اسم لبركان كانت

هناك فهو مؤنث ممنوع من الصرف ويصرف بمعنى الموضع ، ونصرا أيضا

(٤) الحطام الحبل الذي يوضع في عظم الراحة أي أنها لتقاد به و : هلم

الغ حكاية لقولهم أي قائلين هلم أي أقبل : تعال الى قوتي الكثرة والاستعداد

عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ «دَعَوْهَا فَإِنَّهَا أُمُورَةٌ» وَمَا زَالَتْ تَمُرُّ بِدَارٍ بَعْدَ دَارٍ،
إِلَى أَنْ بَرَكَتْ فِي مَوْضِعٍ سَجَدَ بِهِ الْيَوْمَ مِنْ دُورِ أَخَوَالِهِ بَنِي النَّجَّارِ^(١)
فَبَكَدَرِ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى رَحْلِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي بَيْتِهِ ، فَجَعَلَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ» ، وَأَقَامَ فِي مَنْزِلِ أَبِي أَيُّوبَ
حَتَّى بَنَى حُجْرَتَهُ وَمَسْجِدَهُ ، وَاسْتَحْضَرَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ أَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ
مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ^(٢) ، وَلَمْ يَفْرَجِ إِلَّا أَنْصَارُ بَشِيرٍ كَفَرَجِهِمْ بِقُدُومِهِ ﷺ ،
وَمِثْلُهُ عَوْدَتُهُ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ^(٣) وَأَيُّ شَرَفٍ وَفَخْرٍ وَسَعَادَةٍ
فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ ، أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ الَّتِي أَفْتَحَرِ بِهَا شَاكِرُهُمْ
بِبَيْتِهِ الْأَبْيَاتِ :

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يَدَّ كُرَّ لَوْ يَلْقَى حَبِيبًا مُوَابِيَا^(٤)
وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمُوَابِسِ نَفْسَهُ قَلَمَ يَرْمَنْ يُوْدِي وَلَمْ يَرْدَاعِيَا^(٥)

(١) هم قبيلة من الانصار وهم أخواله (ص) من جهة جده عبد المطلب فان
أمه سلمى بنت عمرو منهم (٢) أرسل (ص) زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما
بمعيرين ومخساة درهم فاحضرا فاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجة
التي تزوجها بعد خديجة وأسامة بن زيد وأمه أم أيمن. وأما بنته زينب فلم يمكنها
زوجها أبو الماص بن الربيع من الخروج . وقد خرج مع هؤلاء عبد الله بن أبي
بكر بعيال أبي بكر ومنهم عائشة فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان (٣) هوفج مكة
(٤) ثوى أقام والحججة بالكسر السنة والبضع ما بين ٣ الى أي أقام ثلاث عشرة
سنة بحكة يد كرو يعظ بالعرة الى الله في أثْنائها وانما دعا في عشر منها (٥) المواسم
مجمع الحج . فلم يرمَنْ أي يجعل له مأوى أي منزلا يامن فيه على نفسه ولم
يرداعيا الى ذلك أو الى الله بمساعدته ونصره

فَلَمَّا أَتَانَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهِ النَّوَى وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بَطْنِيَّةَ رَاضِيَا^(١)
 وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى ظِلَامَةَ ظَالِمٍ بَعِيدٍ وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ أَغْيَا^(٢)
 بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ حِلٍّ مَالِنَا وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَعَى وَالنَّاسِيَا^(٣)
 نُمَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ

جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْخَلِيبَ الْمَصَافِيَا^(٤)
 وَتَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنْ كِتَابَ اللَّهِ أَصْبَحَ هَادِيَا^(٥)

أهم فرقه وسيرة بحر الهجرة مع المؤمنين

وحاله مع أهل الكتاب والمشركين

كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَكْرَمَ الْخَلْقِ أَخْلَاقًا، وَأَعْلَاهُمْ فَضَائِلَ وَآدَابًا، امْتَنَزَ
 بِذَلِكَ فِي عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ يُدْرِكُ كُنْهَهُ بَعْدَ النَّبُوءَةِ، وَقَدْ
 خَاطَبَهُ النَّبِيُّ الْعَلِيمُ، بِقَوْلِهِ (وَإِنَّكَ لَتَلِي خُلُقِي عَظِيمٍ)، كَانَ جَاءِمًا يَنْ
 اللَّعْفِ وَالْتَوَاضُعِ وَالْدَّمَائَةِ، وَيَتَنُ الْعِزَّةِ وَالْوَقَارِ وَالْمَهَابَةِ، مَنْ رَأَاهُ

(١) النوى وجهة المسافر التي يتوجه إليها سفره. وطية المدينة. ويروى البيت في سيرة ابن هشام هكذا: فلما أتانا أظهر الله دينه فأصبح مسرورا بطنية راضيا

(٢) الباغي المعتدي ويروى البيت هكذا

فأصبح لا يخشى من الناس واحدا قريبا ولا يخشى من الناس نائيا

(٣) الوعى الحرب والتأسي مثل التعازي ما يتسلى به المرء عن المكروه

(٤) أي نمادي الذي عاداه من جميع الناس وإن كان من قبل حبيباً لنا لا تؤثر عليه أحدا

(٥) يروى هذا البيت بالفاظ أخرى في سيرة ابن هشام وفيها أيات

أخرى أيضا

بِدِيهَةِ هَابِهِ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ،^(١) وَجَامِعًا بَيْنَ الرَّافَةِ وَالرَّحْمَةِ
وَالْحَبِيَاءِ، وَبَيْنَ الشَّجَاعَةِ وَالْحَزَمِ وَالْمَضَاءِ، فَكَانَ فِي حَوْمَةِ أُلُوغِي
أُنْبَتَ النَّاسَ، وَكَانُوا يَلُوذُونَ بِهِ إِذَا اشْتَدَّ الْبَلَاءُ^(٢)، حَتَّى إِنَّهُ نُبِتَ
وَحْدَهُ فِي يَوْمٍ أُحْدٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ بِيَدِهِ غَيْرَ أَبِي بَن خَلْفٍ^(٣)، وَإِنَّمَا
كَانَ يُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ دِفَاعًا، وَيُرْشِدُ الْمُقَاتِلِينَ بِالْتَدِيرِ
وَالْتَنْبِيهِ إِزْشَادًا، وَلَمْ يَكُنْ يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَجَانِي فِي الْحَقِّ
عَشِيرَتَهُ وَلَا أَبْنَاءَ جَنْسِهِ، وَكَانَ عَلَى جِلْمِهِ أُلُوَاسِعٌ، لَا تَأْخُذُهُ فِي
اللَّهِ لَوْمَةٌ لَا يَمُ، وَكَانَ أَجْوَدَ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ، وَالسُّحْبِ الْمُنْمِلَةِ،
وَكَانَ أَعْظَمَ النَّاسَ صَبْرًا، وَأَحْسَنَهُمْ قُلَّةً لِلنَّاسِ شُكْرًا،^(٤) وَكَانَ

(١) البسمة الفجاءة أي من رآه مفاجأة من غير سابق معرفة خافه او وقره
واجله لما يصح في شمائله من الروعة والهيبة ، ومن خالطه اي عاشره خلطة معرفة
احبه لحسن خلقه وكآل آدابه وشدة رحمته وعنايته بأمر معاشره . وهذا الكلام من
وصف علي رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم (٢) البأس بالهزم ويخفف هنا
للتناسب وهو الشدة والمكروه والمراد هنا الحرب ونحوها من المكآره الشديدة
(٣) كان أبي من رموس المشركين وصناديدهم وكان يملف فرساً له بكبة اسمه العود
ويقول اقتل عليه محمدا فبلغ النبي «ص» خبره فقال « بل انا اقتله ان شاء الله »
فلما كان يوم احد ونكب المسلمون واكتشفوا عن النبي «ص» اقبل ابي مقتناً
بالحديد لا يرى من بدنه شيء وجعل يقول ابن هذا الذي يزعم انه نبي فليبرز لي
فانه ان كان نبيا قتلتني ، فلما دنا من النبي «ص» اخذ النبي حربة من الحارث بن
الصمة فطعن بها طعنة جاءت في رقوته من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة التي
على الراس فمكر الخبيث منهزماً ومات من ذلك الجرح في طريقهم الى مكة قيل
بسرف وقيل برايع (٤) قال «ص» « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » رواه احمد
والترمذي عن ابي سعيد

يُحِبُّ الْيُسْرَ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَيَكْرَهُ الْعُسْرَ وَيَنْهَى عَنْهُ^(١)، يَأْكُلُ مِنْ
الطَّعَامِ مَا وَجَدَ، لَا يَأْتِي الْمُسْتَلَذَّ مِنْهُ نُسْكَاً. وَلَا يَتَعَرَّأُ تَنْمًا وَيَقَامُ
وَلِكِنِّهِ كَانَ يَغْتَنِّي بِأَمْرِ الْمَاءِ^(٢)، وَيُحِبُّ الطَّيِّبَ وَالنَّسَاءَ، وَكَانَ
يُكْثِرُ الْوَصِيَّةَ بَيْنَ وَبِالْيَتَامَى وَالْأَرْفَاءِ، لِيَسْتَحُو مِنْ أَنْفُسِ النَّاسِ
أَحْتِقَارَ الضَّعْفَاءِ،

كَانَ ﷺ يُرَبِّي الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُرْآنِ، وَبِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ الْخَلْقِ
الْعَظِيمِ وَالْعِرْفَانِ، فَآخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا
يَتَقَاسَمُونَ الْمَالَ وَالْعَقَارَ، وَأَتَى اللَّهُ بِهِ بَيْنَ ثُلُوبِ الْأَنْسِ وَالْخَزَرَجِ
فَامْتَبِعُوا بِنِعْمَتِهِ تَعَالَى إِخْوَانًا، وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَعْدَاءً لَا يَأْتُوا
أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بَنِيًّا وَهَدَوَانًا، وَكَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ فِي الْأَمْرِ،
وَيَسَاوِي بَيْنَهُمْ فِي الْأَمْرِ الْقَبَالِ وَالْبِشْرِ، وَيُؤَقِّدُ كَبِيرَهُمْ وَيَرْحَمُ صَغِيرَهُمْ،
وَيُكْرِمُ فَقِيرَهُمْ، وَيَعُوذُ بِرِيشَتِهِمْ، وَيُشَيِّعُ مَيِّتَهُمْ، وَيَقْبَلُ هَدِيَّتَهُمْ،
وَيَجِيبُ دَعْوَتَهُمْ، وَيَكُونُ مَعَهُمْ كَأَحَدِهِمْ

فَأَمَّا الْيَهُودُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ كَانُوا فِي تِلْكَ الرَّحَابِ،
فَقَدَّ وَادَعَهُمْ وَأَقْرَبَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَأَمَّنَّهُمْ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ،
عَلَى أَنْ لَا يَحَارِبُوهُ، وَلَا يَطْغَرُوا وَلَا يُوَالُوا^(٣) عَدُوَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنَّ لَهُمْ

(١) من وصاياه « يسروا ولا تعسروا، ویشروا ولا تنفروا » رواه البخاري
ومسلم وغيرهما (٢) كان أحب الشراب إليه الخلو البارد كما في حديث عائشة في
الشَّيْثَانِ وَكَانَ يَسْتَعِذُّ بِهِ الْمَاءُ مِنْ بَيُوتِ السَّقِيَّا كَمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالسَّقِيَّا بِالضَّمِّ
عَيْنٌ عَلَى بَعْدِ يَوْمٍ مِنَ الْمَدِينَةِ أَوْ أَكْثَرَ (٣) أَي لَا يَمُوتُوا وَلَا يَنْصَرُوا

النَّصَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَيَنْفِقُونَ مَعَهُمْ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَأَنْ لَّهُمْ دِينُهُمْ
وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ
مَا لَبِثُوا أَنْ تَقَضُّوا عَهْدَهُ، وَظَاهَرُوا عَلَيْهِ عَدُوَّهُ،

وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَأَشَدَّتْ عِدَاوَتُهُمْ لَهُ، وَكَانُوا حَرْبًا لَهُ وَلِمَنْ
آمَنَ بِهِ، فَلَمْ يَسْتَفُوا بِإِخْرَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ،
وَمَا كَانَ مِنْ تَعْدِيهِمْ لِمَوَالِيِهِمْ وَضَعْفَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، لِأَجْلِ إِرْجَاعِهِمْ
عَنِ الْإِسْلَامِ، إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، حَتَّى صَارَ حَوْصُهُمْ
الْبَيْتَ وَالْعُدْوَانَ، فَلَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِ أَمَانٌ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَكَانٍ، إِلَّا
أَنْ يَنْتَمِعَهُ أَحَدُ الْأَقْوَامِ، أَوْ يَصُدَّهُمْ عَنْهُ الشُّرُوحُ الْحَرَامُ أَوْ الْمُسْعِدُ
الْحَرَامُ؛ عَلَى أَنْ قُرِيشًا صَدَّتْهُمْ عَنِ الْبَيْتِ، بَعْدَ أَنْ قَلَدُوا الْهَذِي
وَأَحْرَمُوا بِالْمُعَرَّةِ سِتَّةَ سِنٍ^(١)، حَتَّى صَالَحَهُمْ ﷺ فِي الْحُدُودِ^(٢)،
— وَالْإِسْلَامُ عَلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنَّةِ وَالْقُوَّةِ^(٣) —، عَلَى وَصْنِ
الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ، يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ مِنْ مُؤْمِنِينَ وَكَافِرِينَ، وَأَنْ
يَرْجِعَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْعَامَ، وَيُخَلُّوا يَتَهُ وَيَبْنَ مَكَّةَ فِي الْعَامِ الْمَقْبِلِ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ، وَأَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ مَنْ أَتَاهُ مِنْ أَصْحَابِهِمْ وَلَوْ بِقَصْدِ الْإِسْلَامِ،

(١) الاحرام وتقليد الهدي أي ما يهدي الى الحرم من الانعام دليل على عدم
ارادة القتال (٢) الحديبية بالتخفيف كدوية ويشدده أكثر الحدين بالاسمي
باسمها الموضع الذي حولها (وقيل واد هناك) وهو على نحو مرحلة من مكة من
أسفلها عن طريق جدة. وكان هناك قرية، قيل هي في الحل وقيل في الحرم وقيل
بعضها في الحل وبعضها في الحرم وهو أبعد عن مكة

(٣) كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ١٤٠٠ رجل أو ١٥٠٠

وَلَا يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ بَنَ أَتَانِهِمْ مِنْ أَصْحَابِهِ الْكَرَامِ، وَكَانَ يُحِبُّ
 قَدْ رَأَى فِي الْمَنَامِ، أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ لِلْحَجِّ الْحَرَامِ، فَظَنَّ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ
 تَأْوِيلَ الرُّؤْيَا يَكُونُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، وَلِذَلِكَ أَشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْإِسْتِيفَاءُ
 مِنَ الصَّلَاحِ حَتَّى خِيفَتْ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةُ، "لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ
 عَلَيْهِمُ السِّكِينَةَ، وَجَعَلَ لَهُمْ بَعْضَ مَا وَعَدَهُمْ ثُمَّ مِنَ الْمَغَانِمِ
 الْكَثِيرَةِ، ^(١) وَذَلِكَ بَرَهَانٌ عَلَى إِتْبَارِهِ ﷺ لِلْإِسْلَامِ، وَمَا كَانَتْ
 حُرُوبُهُ إِلَّا دِفَاعًا وَتَأْمِينًا لِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ أَكْثَرُ قَوَائِدِ
 ذَلِكَ الصَّلَاحِ اخْتِلَاطُ الْمُسْلِمِينَ بِالْمُشْرِكِينَ، وَإِسْمَاعُهُمْ لِقُرْآنِ
 وَتَبْلِيغُهُمْ حَقِيقَةَ الدِّينِ، وَإِرْسَالُ الرُّسُلِ لِيُبَلِّغَ الْمُلُوكَ الْجَبَّارِينَ، ^(٢)
 فَصَارَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِيهِ آمِنِينَ مُقْتَنِينَ، وَأُظْهِرَ الْإِسْلَامُ فِي هَذِهِ
 الْهَدَنَةِ، مَنْ كَانَ يُخْفِيهِ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ تَعَالَى
 أَنْزَلَ سُورَةَ الْفَتْحِ، فِي تَنْظِيمِ شَأْنِ هَذَا الصَّلَاحِ؛ مَبِينَةً مَا فِيهِ مِنْ
 الْحُكْمِ وَالْمَعَالِغِ، وَمُشْتَمِلَةً عَلَى أَخْبَارِ الْغَيْبِ وَالْوَعْدِ بِالنَّصْرِ وَالْمَغَانِمِ،
 فَسَمَاءُ فَتَحْنَا مَبِينًا، وَأَعْقَبَهُ كَمَا وَعَدَ نَصْرًا عَزِيزًا، إِذْ كَانَ تَمْهِيدًا لِقِتْعِ

(١) لا صالح (ص) المشركين أمر المؤمنين بالتحلل من عمرتهم فلم يادروا الى الامتنال لا عراهم من دعول الحزن ، فدخل (ص) على أم سلمة وقال لها هلك المسلمون ، وذكر لها ما كان فاشارت عليه بأن يخرج ولا يكلم أحدا حتى يخرج هديه ويحلق رأسه ، فخرج فعمل ذلك فبعوه ففجروا وصار يحلق بعضهم بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا من التمس

(٢) عجل لهم فتح خير قد عاد (ص) من المدينة في ذي الحجة فاقام في المدينة زهاء عشرين ليلة ثم خرج الى خيبر ففتحها في الحرم أول سنة سبع (٣) ملوك جزيرة العرب والشام ومصر وقارس

مَكَّةَ ، الَّذِي أَتَمَّ بِهِ النِّعْمَةَ ، وَأَزْدَادَ الْمُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ لِيَتَأَنَّا ، وَصَارَ
النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ،

وَكَانَ فَتْحُ مَكَّةَ سَنَةً تَمَانٍ ، وَفِي سَنَةِ عَشْرِ حِجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
حُجَّةَ الْوُدَّاعِ ، الَّتِي هَدَمَ فِيهَا قَوَاعِدَ الشِّرْكِ وَالْجَاهِلِيَّةِ وَقَرَّرَ قَوَاعِدَ
الْإِسْلَامِ ، وَعَلَّمَ الْأُلُوفَ أَحْكَامَ الْمَنَاسِكِ (١) ، وَأَمَرَ بَانَ يُبَلِّغَ
الشَّاهِدَ مِنْهُمْ الْقَائِمَ ، وَأَشْهَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّهُ بَلَغَ
مَا نَزَلَ إِلَيْهِ وَيَنْتَهَ تَبْيِينًا ، وَأَنْزَلَ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي مَسَاءِ عَرَفَةَ (الْيَوْمَ
يَسِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا)

وَكَانَ ﷺ قَدْ أَقَامَ فِي مَكَّةَ بَعْدَ بَدْءِ التَّبْلِيغِ عَشْرَيْنِ ، يَدْخُلُو
إِلَى أُصُولِ الْأَيْمَانِ وَكَلِمَاتِ الدِّينِ ، وَتَرْكِهَةِ النَّفْسِ بِتَطْهِيرِهَا مِنْ
أَذْرَانِ الرَّذَائِلِ ، وَتَحْلِيلَتِهَا بِأَحَاوِينَ الْأَخْلَاقِ وَعَقَائِلِ الْفَضَائِلِ ،
وَأَسْتِعْمَالِ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ بَدَنِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ ، وَسَمَآوِيَّةٍ وَأَرْضِيَّةٍ ،
فِيمَا تَظْهَرُ بِهِ حِكْمَتُهُ وَتُشَاهِدُ آيَاتُهُ فِي الْخَلْقِ ، وَتَتَسَّعُ بِهَا الْخُلُومُ
الَّتِي يُعْرِفُ بِهَا الْخَلْقَ وَتَكْتُمُ مَوَارِدَ الرِّزْقِ ، صَابِرًا مَعَ السَّابِقِينَ مِنْ

(١) المناسك أحكام الحج، وقد اختلف في عدد من حج مع الرسول (ص) حجة
الوداع من ٤٠ ألفا الى مئة وعشرين ألفا . وسبب هذا الاختلاف انه خرج من
المدينة بجماهير المسلمين فيها وفيها حولها وكان الناس ينضمون اليهم في الطريق عدا
من حج من سائر بلاد العرب

الْمُؤْمِنِينَ، عَلَى الْأَصْطِحَادِ وَالْأَذَى مِنَ الدُّشْرَكِينَ، ثُمَّ دَسَلَ الْإِسْلَامَ
بِالْهَجْرَةِ فِي عَهْدِ الْحُرِّيَّةِ، وَتَكَوَّنَتْ لَهُ قُوَّةُ الْعَصَبِيَّةِ، وَجَاءَ الْوَحْيُ فِيهِ
مَفْصَلًا أَجِيلٌ فِي السُّورِ الْمَكِّيَّةِ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَيَبَيِّنُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ،
وَيَنْتِ السَّنَةُ النَّبَوِيَّةُ جَمِيعُ فُرُوعِ الْعِبَادَاتِ. وَكُلُّ مَا يُنْجِ إِلَهُ مِنْ
النُّصُوصِ وَالْقَوَاعِدِ لِلْسِّيَاسَةِ وَفُرُوعِ الْعِمَالَتِ، فَبِذَلِكَ كَلَّهَ أَكْمَلَ
أَلَهُ الدِّينَ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ تَرَبَّى عَلَى ذَلِكَ الْأَلُوفُ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَنَشَرُوا هَذَا الدِّينَ الْقَوِيمَ فِي الْأَقْطَارِ وَالْأَنْصَارِ،
فَارَوْا أُمَّ الْخَضَارَةِ وَالْأَذْيَانَ الْقَدِيمَةَ، مِنَ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالسَّيِّئَةِ
الْقَوِيَّةِ، مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ بِأَعْيُنِهِمْ، وَلَا رَوَوْا نَظِيرَهُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ
قَبْلِهِمْ، وَقَدْ كَانَتْ مُدَّةُ التَّشْرِيعِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، كَمُدَّةِ التَّبْلِيغِ بَعْدَ
الْبَعْتِ^(١) فَبِمُدَّةِ حُجَّةِ الْوَدَاعِ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ^(٢) قَبَضَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ نَبِيَّهُ
الْمُصْطَفَى، وَرَسُولَهُ الْمُجْتَبَى، وَرَفَعَ رُوحَهُ الطَّاهِرَةَ إِلَى الرَّفِيقِ
الْأَعْلَى، فَتَوَفَّى ﷺ تَارِكًا لِلْأُمَّةِ مَا إِنْ تَمَسَّكُوا بِهِ لَنْ يَضِلُّوا مِنْ بَعْدِهِ،
كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتَهُ فِي تَبْيِينِهِ وَغَيْرَتَهُ الْعَالَمِينَ بِهِمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ^(٣)،

(١) أي عشر سنين (٢) توفي (ص) يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة إحدى
عشرة وكذلك كانت ولادته وبعثه وهجرته في يوم الاثنين. وفي ذلك إشارة إلى
أن الإيمان به على الإيمان بالله تعالى، والشهادتان شاهدتان على ذلك (٣) روى مسلم
في صحيحه من طرق عن زيد بن أرقم قال: قام فينا رسول الله (ص) خطيباً جاء
يدعى نَجَّاراً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أرأيتكم
ألا أها الناس فأنا أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين
أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتب الله واستمعوا به — فحث
على كتاب الله ورغب فيه ثم قال — وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، —

وَكَذَا خُلُقَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ، ^(١) وَعُلَمَاءُ أَصْحَابِهِ الْعَامِلُونَ ^(٢)، مُؤَسَّسَا

= أذكر كرم الله في أهل بيتي، أذكر كرم الله في أهل بيتي « وفسر زيد أهل بيته بمن حرم عليهم الصدقة قال وم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . ويقول آخرون هم علي وذريته من فاطمة عليهم السلام . ولعمري انهم كانوا أحفظ الناس لهدية حتى عند ظهور البدع وفتن الدنيا ولا يخلو عصر من طائفة منهم أو أفراد من الهداة المصلحين ، وإن فتن الكثيرين منهم بطلاة الحبسين ، فكانت فتنهم لهم أعم وأدوم من فتنه الامراء الظالمين، إذ كان من أثرها في ذريتهم أن تركوا كبرهم العلم والاعمال النافعة استغناء عنها بشرف النسب، غافلين عن قول جدم علي المرتضى كرم الله وجهه: قيمة كل امرئ ما يحسنه . ولقد دريت الامامة في اليمن منهم فانهم لم يتركوا الاجتهاد في علوم الدين والحفاظة على الامامة الى اليوم. والنقل بالضم ويصحتين الشيء النفس المصون وكذا متاع المسافر وحشمه . قال النووي قال العلماء سميا ثقلين لعظمهما وكبير شانهما وقيل لثقل العمل بهما . وروى الترمذي من حديث جابر قال رأيت رسول الله (ص) في حجة يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطف فسمعتة يقول « اني تارك فيكم ما ان تمسكن به لن تضلوا بعدي — أحدهما أعظم من الآخر — كتاب الله جبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يزدا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » وروى احمد والظهيراني من حديث زيد بن ثابت مرفوعا « اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله جبل ممدود بين السماء والارض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » وعلم عليه السيوطي بالضعف . وروي نحوه من حديث أبي سعيد وحذيفة بن اسيد ورواياته كثيرون وطرقه متعددة ذكرنا أصحابها . وروي حديث بمعناه عن أبي هريرة وفيه لفظ السنة بدل العترة ومعناه صحيح ولا معارضة بينه وبين الآخر الذي هو أصبح منه رواية . ويؤيده حديث مرسل في الموطأ

(١) ورد في مناقب الخلفاء الاربعة أحاديث كثيرة في الصباح وغيرها وورد لفظ الخلفاء الراشدين في حديث الرباض بن سارية عند أبي داود والترمذي « فليكنم بسني وستة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » الخ

(٢) ورد في فضل أصحابه « ص » أحاديث كثيرة منها في صحيح مسلم انهم أمانة لأمتهم فاذا ذهبوا أمانهم ما يوعدون . ومعنى أمانة حفظة على الدين ، ومنها الحديث الصحيح « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الخ رواه الشيخان وغيرهما . والقرن المصر طال أو قصر

لَهُمْ أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَدَوْلَةٌ عَادِلَةٌ رَحِيمَةٌ، وَحُكُومَةٌ شَوْزَوِيَّةٌ حَكِيمَةٌ،
 قِيدَتْ فِيهَا سُلْطَةُ الْفَرْدِ، بِالشَّرِيعَةِ الْعَادِلَةِ وَسَيْطَرَةِ أَهْلِ الْحَلِّ
 وَالْعَقْدِ، ^(١) مُبَشِّرًا بِأَنْ مُلْكُهَا سَيَمُّ الشَّرْقَ وَالْقَرْبَ، وَيَنْتَظِمُ مُلْكُ
 كِسْرَى وَقَيْصَر، وَأَنَّهُ يَظَلُّ عَزِيزًا مَا أَقَامُوا الْحَقَّ وَأَعْتَصَمُوا بِالْعَدْلِ،
 فَلَمَّا وَاسَدُوا الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَلْيَنْتَظِرُوا سَاعَتَهُمُ الْمَضْرُوبَةَ
 لِقَعْدِهِ، ^(٢) وَبِأَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ ظَاهِرَةٌ عَلَى الْحَقِّ قَوَامَةً
 عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، إِلَى أَنْ تَوُفَّ السَّاعَةُ وَيَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ^(٣)
 وَقَدْ تَمَّ كُلُّ مَا بَشَّرَ بِهِ وَأَنْذَرَ، وَلَا تَزَالُ آيَاتُ نُبُوَّتِهِ تَتَجَدَّدُ
 وَتَتَكَرَّرُ، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ قَوْمِهِ، وَرَسُولًا
 عَنْ أُمَّتِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، ^(٤) وَسَلَامٌ
 عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) الاسلام هو الذي شرع للناس شكل الحكومة التي يسمونها الديمقراطية
 فاقامها الراشدون بالعمل ثم هدمت بالتدريج (٢) اشارة الى حديث أبي هريرة عند
 البخاري « اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظروا الساعة » (٣) اشارة الى ما ورد
 في الصحيحين والسنن من الاحاديث كحديث ثوبان « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين
 على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » وحديث المغيرة « لن
 يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى ياتيهم أمر الله وهم ظاهرون » واللفظان
 هنا مسلم وليس في البخاري « على الناس » وفي احاديث أخرى ذكر عصاة تغافل
 على الدين أي على حفظه. وذكر النووي ان الطائفة لا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل
 يجوز اجتماعهم في قطار أو بلد ويجوز تفرقهم، وذكر ان منهم الفقيه والحدث والمفسر
 والمقاتل والقائم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والزاهد والعايد . اي لان اقامة
 الحق تكون بالعلم بالكتاب والسنة وبهما بالعمل بهما بالدفاع عنه بالحجة والقوة
 (٤) ذكر المباركة هنا مع الصلاة لمواقة الصلاة الابراهيمية المشروعة في الصلوات،
 والحمد لله على نعمه التي تم بها الصالحات

علماء بغداد في القرن السادس

ومكاتبهم في الوعظ والتذكير

قال الرحالة ابن جبير الاندلسي بعد ان وصف بغداد بأنها أمت بالقسبة الى ما كانت كالطلل الدارس وانتقد أخلاق أهلها ومعاملتهم وغرورهم يلدنهم ما نصه :

استمفر الله الافقهاء المحدثين ، ووعاظهم المذكرين ، لاجرم ان لهم في طريقة الوعظ والتذكير ، ومداومة التنبية والتبصير ، والمثابرة على الانذار المخوف والتحذير ، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ما يحيط كثيرا من أوزارهم ، ويسحب ذيل الغفو على سوء آثارهم ، ويمنع القنطرة الصماء أن تحل بديارهم ، لكنهم معهم يضربون في حديد بارد ، وبرومون تعجير الجلامد ، فلا يكاد يخلو يوم من أيام جمعاتهم من واعظ يتكلم فيه ، فالوفى منهم لا يزال في مجلس ذكر أيامه كلها لهم في ذلك طريقة مباركة ملتزمة ، فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية ، وفقه المدرسة النظامية ، والمشار اليه بالتقديم في العلوم الاصولية ، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور ، فصعد المنبر وأخذ القراء امامه في القراءة على كراسي موضوعة ، فتوقفوا وشوقوا وأثوا بتلاحين معجبة ، ونمات محرجة مطربة ، ثم اندفع الشيخ الامام المذكور نخطب خطبة سكون ووقار ، وتصرف في آفانين من العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل ، وايراد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتكلم على معانيه ، ثم رشفته شآبيب المسائل من كل جانب ، فأجاب وما قصر ، وتقدم وما تأخر ، ودفت اليه عدة رقاع منها ، فجمعها جلة في يده وجعل يجاب على

كل واحدة منها وينبذها الى أن فرغ منها، وحان المساء فزل وافترق الجمع.
فكان مجلسه مجلس علم ووعظ وقورا هينا لينا، ظهرت فيه البركة والسكينة،
ولا سيما آخر مجلسه، فانه سرّت خيا وعظه الى النفوس حتى أطارنها
خشوعا، وفجرتها دموعا، وبادر التائبون اليه سقوطا على يده وقوعا، فكم
ناصية جزء، وكم مفصل من مفصل التائبين طبق بالموعظة وحز، فبمثل مقام
هذا الشيخ المبارك رحم المصاة، وتغمد الجناة، وتستدام العصاة والنجاة،
والله تعالى يجازي كل ذي مقام عن مقامه، ويتغمد ببركة العلماء الاولياء
عباده العاصين من سخطه وانتقامه، برحمته وكرمه انه المنعم الكريم لارب
سواء ولا معبود الا اياه

وبعدنا له مجلسا ثانيا اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من
الشهر المذكور، وحضر ذلك اليوم سيّد العلماء الخراسانية، ورئيس
الأئمة الشافعية، ودخل المدرسة النظامية بهزّ عظيم وتطريف أمان تشوق
له النفوس، فأخذ الامام المتقدم الذكر في وعظه مسرورا بحضوره
ومتعجلا به، فأتي بأفانين من العلوم على حسب مجلسه المتقدم الذكر،
ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الخجندی المتقدم الذكر في هذا
التقيد المشتهر المآثر والمكابر، المتقدم بين الاكابر والاعاظم،

ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه الامام الواحد
جمال الدين أبي الفضائل ابن علي الجوزي بازاء داره على الشط بالجانب
الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقره من باب البصلية
آخر ابواب الجانب الشرقي، وهو مجلس به كل يوم سبت، فشهدنا مجلس
رجل ليس من حمرو ولا زيد، وفي جوف القرا كل الصيد، آية الزمان،

وقرة عين الايمان، ورئيس الخبيلية، والخصوص في العلوم بالرتب العلمية، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهور له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة، مالك أزمة الكلام في النظم والنثر، والفائض في بحر فكره على قناص الدر

فأما نظمه فرضي^١ الطباع، مهياري الانطباع، وأما نثره فيصدع بسحر البيان، ويعطل المثل بقس وسحبان، ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المنبر ويتدبّر القراءة بالقرأة وعددهم نيف على العشرين قارئاً، فيتنزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القرآن يتلونها على نسق بطرب ونشويق، فإذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات، الى ان يكملوا قراءة وقد أتوا بآيات مشبهات، لا يكاد المتقد الخاطر يحصليها عدداً أو يسميها نسقاً، فإذا فرغوا أخذ هذا الامام الغريب الشأن في اراد خطبته سجلاً مبتدراً، وأفرغ في أصداف الاسماع من ألفاظه درراً، وانتظم أوائل الآيات المقروآت في أثناء خطبته قراء، وأتي بها على نسق القراءة لها لا مقدماً ولا مؤخراً، ثم أكل الخطبة على قافية آخر آية منها، فلو ان أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء به آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك، فكيف بمن ينظمها مرتجلاً، ويورد الخطبة القراء بها عجلاً؟ (أفسح هذا أم أتم لا تبصرون؟) ان هذا هو الفضل الممين. فحدث ولا حرج عن البحر، وهيبات ليس الخبر عنه كالخبر، ثم انه أتى بعد ان فرغ من خطبته برقائق من الوعظ، وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الانفس احتراقاً، الى ان علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيح، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا

عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يلقي ناصيته يده فيجزها، ويمسح على رأسه داعياً له؛ ومنهم من ينشئ عليه، فيرفع في الأذرع إليه، فشاهدنا هؤلاء يملأ النفوس انابة وندامة، ويذكرها هول يوم القيامة، فلوم تركب ثبج البحر، ونعتسف مفازات القفر، والمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفة الراجحة، والوجه المفلحة الناجحة، والمحمد لله على أن من بقاء من يشهد الجمادات بفضلها، ويضيق الوجود عن مثله، وفي أثناء مجلسه ذلك يتبدرون المسائل وتطير إليه الرقاع فيجابب أسرع من طرفة عين، وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل، والفضل يد الله يؤتيه من يشاء لا إله سواه .

ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر ياب بدر في ساحة قصور الخليفة ومناظره مشرفة عليه، وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة، وخص بالوصول إليه والتكلم فيه ليسمه من تلك المناظر الخليفة ووالده ومن حضر من الحرم، وفتح الباب للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضع، وقد بسط بالحصر وجلوسه بهذا الموضع كل يوم خميس، فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور، وقدنا إلى أن وصل هذا الخبر المتكلم فصعد المنبر وأرخى طيلسانه على رأسه تواضعاً لحرمه المكان، وقد تسطر القراء امامه على كرسي موضوعة فابتدروا القراءة على الترتيب، وشوقوا ماشاءوا، وأطربوا ما أرادوا، وبأدوت العيون برسال الدموع، فلما فرغوا من القراءة وقد أحصينا لهم تسع آيات، من سور مختلفات، صدع بخطبته الزهراء الفراء وأتى بأوائل الآيات في أنشائها مستطيات، ومشي الخطبة على فقرة آخر آية منها في الترتيب إلى أن أكلمها، وكانت الآية (الله

الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس) فمادى على هذا السين، وحسن أي تحسين، فكان يومه في ذلك أعجب من أمسه، ثم أخذ في التناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته، وكنى عنها بالستر الاشرف، والجناب الارأف، ثم سلك سبيله في الوعظ، كل ذلك بديهة لاروية، ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقرآت على النسق مرة أخرى، فأرسلت وابها العيون وأبدت النفوس سرشوقها المكنونه، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين، وبالتوبة معلنين، وطاشت الاباب والمقول، وكثر الوله والذهول، وصارت النفوس لا تمكك تحصيلها، ولا تميز معقولا، ولا تجمد للصبر سبيلا، ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرحة التشويق؛ بديهة التريق، تشعل القلوب وجداء ويمود موضوعها النسيبي زهدا. وكان آخر ما أنشده من ذلك وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام، وأصابته المقاتل سهام ذلك الكلام

أين فؤادي أذابه الوجدُ وأين قلبي فاصحها بمدُ

يسعد زدي جوى بذكرهم باقة قل لي فديت ياسعدُ

ولم يزل يرددها والاتعمال قد أثر فيه، والمداوم تكاد تمنع خروج الكلام من فيه، الى أن خاف الاخفام فابتدأ القيام، ونزل عن المنبر دها عيلا، وقد أطار القلوب وجلا، وترك الناس على أحر من الجمر، يشيعونه بالمداوم الجمر، فن معان بالاعتباب، ومن متمفر في التراب، فياله من مشهد ما أهول مرآه، وما أسعد من رآه، قمنا الله ببركته، وجعلنا ممن فاز به بنصيب من رحمته، بمنه وفضله.

وفي أول مجلسه أنشد قصيدا نيرا القبس عراقي النفس في الخليفة أوله

في شغل من الغرام شافل من هاجه البرق بسفع عائل
يقول فيها عند ذكر الخليفة

يا كلمات افقه كوني عوذة من الميون للامام الكامل
قلما فرغ من انشاده وقد هز المجلس طرباً ثم أخذ في شأنه، وتمادى
في ايراد سحر يانه، وما كنا نحسب أن متكلماً في الدنيا يعطى من ملكة
النفوس والتلاهب بها ما أعطى هذا الرجل، فسبحان من يخص بالكمال
من يشاء من عباده لا إله غيره

وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواه من وعاظ بغداد ممن نستغرب شأنه
بالإضافة لما شهدناه من متكلمي النرب، وكنا قد شاهدنا بمكة والمدينة
شرفهما الله مجالس من قد ذكرناه في هذا التقييد فصغرت بالإضافة لمجلس
هذا الرجل القذ في قوسنا قدراء، ولم نستطع لها ذكراً، وأين تقاض بما أريد،
وشتان بين اليزيديين، وهيبات القتيلان كثير، والمثل بمالك يسير،

ونزلنا بعده بمجلس يطيب سماعه، ويروق استطلاعه، وحضرنا له مجلساً
ثالثاً يوم السبت الثالث عشر لصفر بالموضع المذكور بازاء داره على الشط
الشرقي فأخذت معجزاته البليانة مأخذها، فشاهدنا من أمره عجائب صعد
بوعظه أقداس الحاضرين سحبا، وأسأل من أدمعهم وأبلا سكباً، ثم جعل
يردد في آخر جلسته أياتاً من النسيب شوقاً زهدياً وطرباً، إلى أن غلبته
الرفة فوثب من أعلى منبره والمها مكتئباً، وغادر الكل متندماً على نفسه
متحجاً، لهفان ينادي يا حسرتا واحربا، والنادبون يدورون بتحميم دور
الرحى، وكل منهم بعد من سكرته ماصحاً، فسبحان من خلقه عبرة لأولي
الالباب، وجعله لتوبة عباده أقوى الأسباب، لا إله سواه.

الدكتور شبلي شميل

في اليوم الاول من هذه السنة الميلادية سنة (١٩١٧) اغتالت النية الطيب
التطاسي، الحكيم الاجتماعي، العالم الطبيعي، الاديب الكاتب، الناظم النادر،
الدكتور شبلي شميل الشهير بتصانيفه ومقالاته العلمية والاجتماعية في المجلات والجرائد
العربية والفرنسية

كان شبلي قد نادر المثل في مجموعة علومه واماله وافكاره وأخلاقه والذي
يحملنا على ترجعته انه كان من طلاب الاصلاح المدني والتجديد الاجتماعي المخلصين
— وقليل مام — لامن الذين اتخذوا العلم ذريعة لجمع المال ولا وسيلة لهجاء كما هو
شأن السواد الاعظم من المتعلمين، فهو لم يدخر مالا ولم يتأكل عقارا، ولم يصرف
جل أوقاته للكسب، بل كان اشتغاله بالامور الاجتماعية أكثر من اشتغاله بالطلب،
ومثل هذا يكون مؤثرا في أهل جيله تأثيرا فافزا أو ضارا لا كالذين يعدون من العلماء
بورقة شهادة يحملها كل منهم بيده ونرى أنه يعيش عرا طويلا ثم يموت كما يموت
المصفور لا يترك أثرا في جيله ينسب اليه. لهذا نذكر عن هذا الرجل أم ما نرى فيه
العبرة من ترجعته فنقول:

كان أول من نشر مذهب دارون باللغة العربية وانتصر له وناضل دونه اذ كان
رجال الدين ولا سيما الكاثوليك الذين نشأ شميل على مذهبهم يعدون هذا المذهب
من دعائم الكفر، ولم يكتب الرجل بذلك بل كان يصرح قولا وكتابة بأنه متعيل
والاحاد، ولم تجرب أحد قبله على ما تجرباً عليه من ذلك فيما نعلم مع كثرة الذين زاغت
عقائدهم من المتعلمين على الطريقة الاوربية الحديثة. ومن الغريب أن نرى الهامين
عن النصرانية وكتبها الدينية كاليسوعيين (الجزويت) لم يتصدوا لرد على الدكتور
شميل كدأهم في الرد على أمثاله من كتاب الشرق والغرب، وقد كانت مجلتهم
(المشرق) وافقة بالمرصاد للمقتطف والهلل وغيرهما من الصحف المنتشرة كلما نشر
فيها شيء يخالف الدين أو المذهب الكاثوليكي ردوا عليه أشد الرد. فاذا كن

(المنار: ج ١٠) (٧٩) (المجلد التاسع عشر)

المجوزيت لم يشنعوا على الدكتور شبلي شميل كما شنعوا على من لم يجهر بمثل ما جهر به فلا عجب اذا سكنت عنه من دونهم عصبية وعناية بهذا الامر ، وأكبر ما بلغنا من مقاومة بعض القسيسين له أنهم كانوا ينهون بعض الناس سرًا عن دعوته لمعالجة مرضاهم - وجمهور المتعلمين على الطريقة المصرية من السوريين في مصر وسورية وأمريكا يحبون الدكتور شبلي ويمدونه من دعاة الاصلاح الاجتماعي المحصلين ومنهم من يغلو فيه ، أما النصارى منهم - وهم الاكثرون - فلا يرون عدم تدينه ما فعا من اصلاحه الاجتماعي اذ لا علاقة للدين بذلك عندهم ، ولا شك في كون هذا من تساهلهم الذي قاربوا به الافرنج ، وأما المسلمون فلا يرون مروقته من عقيدته التي نشأ عليها مبداءه عنهم لانها ليست عقيدتهم فهو في نظرهم طيب عالم اجتماعي غير مسلم ، ولكنته أقرب من غيره من المخالفين لهم الى التساهل والانصاف لحرية واستقلال فكره . وله أصدقاء من مسلمي مصر لهم يزدون على أصدقائه من مسيحيي سورية الذين لا يعرفه أكثرهم الا بالسماح

وأما مذهب دارون فقد تكلم بعض علماء المسلمين فيه وفي مخالفته لظواهر النصوص في خلق آدم عليه السلام ، ولم يحصل ذلك ردا على الدكتور شبلي لانه لم يكن صاحب المذهب ، وقد سبق أنشاخا الى الرد على مذهب دارون وأول ما رأيناه في ذلك ما أبرزه لنا الاستاذ الامام في ترجمته رسالة استاذة الحكيم السيد جمال الدين التي سماها الرد على الدهريين . ثم ما كتبه استاذي الذي فخرت على يديه الشيخ حسين الجسر في الرسالة الحميدية فهو قد خلص هذا المذهب وبين أن دلائله في أصل البشر غشبية لم تصل الى درجة القطع ، وأنها لو ثبتت وصارت يقينية لا تكون حجة على الاسلام لا يمكن تأويل ظواهر النصوص الواردة في الكتاب والسنة في خلق آدم . وقد أقر أكابر علماء سورية شيخنا على تلك الرسالة وترجمت بالتركية فأقرها علماء الترك ، وكافأه السلطان عبد الحميد على خدمته للاسلام بها برتبة علمية عالية وراتب شهري . ورفب اليه ان يكون من شيوخ قصره فاعتذر وعاد الى طرابلس الشام بعد ان أقام في قصر بلدز عدة شهور ضيفا مكرما عند السلطان . وأما علماء الازهر فقد اطلع كثير منهم على الرسالة الحميدية وأعجب بها . ولكن لم

نسمع ان أحداً منهم كتب في موضوعها شيئاً
 يتنا رأي المسلمين الذين يعرفون الدكتور شيلي فيه وانهم كانوا يرونه أقرب إلى
 التساهل والانصاف، ويبان ذلك انه كان يقول انه لا يوجد دين اجتماعي يتفق مع
 مصالح البشر المدنية الا دين القرآن. سمعت هذا منه غير مرة. وأخبرني أنه طالما خطر
 في باله ان يجمع ما في القرآن من الآيات الواردة في المسائل الاجتماعية والاقتصادية
 ويشرحها تفسيراً علمياً اجتماعياً. وأنه قد حاول هذا الجهد فصعب عليه فحري ما أراد
 لما في القرآن من المزج بين هذه المسائل والمسائل الروحية الاخرى. وقال لي
 انك أقدر مني على فهم ما أريد فلو فعلت لكان تفسيرى نافعا لك فيما توخاه
 من التوفيق بين الاسلام والعلم المصري والحضارة المصرية ومن نشر بحاسن
 الاسلام بين الناس لان الوفا من الناس يقرؤون تفسيرى ولا يقرؤون تفسيرك
 وأما رأيي في بيتنا صلى الله عليه وآله وسلم فهو انه كان يفضل على جميع البشر
 وقد كتب الي منذ تسع سنين كتاباً أودعه أياً من الشعر في ذلك : هذا نفسه :
 الى غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار
 أنت تنظر الى محمد كنبى فتجعله عظيماً وأنا أنظر اليه كرجل واجعله أعظم . ونحن
 وان كنا في الاعتقاد (الدين أو المبدأ الدينى) على طرفي قبيض فالجامع بيتنا العقل
 الواسع والاخلاص في القول وذلك أوثق بيتنا لمرى المودة .

من صديقك الدكتور شميل

﴿ الحق أولى أن يقال ﴾

دع من محمد في مدى قرآنه	ما قد نحاه لجمعة الغايات
أني وإن أك قد كفرت بدينه	هل أكفرن بمحكم الآيات
أوما حوت في ناصع الالفاظ من	حكم روادع الهوى وعظاات
وشرائع لو انهم عقلوا بها	ما قيدوا العمران بالمادات
نعم المدير والحكميم وانه	رب الفصاحة مصطفى الكلمات
رجل المحاجل السياسة والدها	بطل حليف النصر في القارات
يلاعة القرآن قد خطب النعى	وبسيفه أمهى على الهامات

من دونه الابطال في كل الورى من سابق أو لاحق أو آت
وقد نشرنا هذا الكتاب والايات في (ج ١١ م ١) في معرض الرد على
البرنس كايثاني في زعمه أن نجاح النبي (ص) كان في كفايته من حيث هو سياسي
محض أكثر من نجاحه من حيث هونبي، وإن حنكته وسياسته أفادا أكثر من افادة
القرآن. رددنا على صاحب هذا القول وعلى المؤيد الذي نقل كلامه وأقره وعلى
الدكتور شميل فيما زعمه من أن النبي (ص) أفضل من حيث كونه رجلا منه من
حيث كونه نبيا. وسألنا الله تعالى أن يهديه الى الباقي من مزايا كتابنا ورسولنا (ص)
وهو المهم الاعظم المتعلق بأمر الدين والآخرة الذي أشار اليه في البيت الاول وكفر
به في البيت الثاني، وقد صرح لنا بأن مراده بلحة الغايات أمور الآخرة
ان الدكتور شبلي شميل قد اهدى بالاطلاع على القرآن الحكيم الى ما فيه من
لذات الروادع للهوى والشرائع المراقبة لاصول العمران حتى في هذا الزمان.
وبالاطلاع على سيرة النبي (ص) الى كونه قد فاق جميع أبطال البشر وعظائهم —
ويدخل فهم عنده أكابر الانبياء عليهم السلام وكبار الساسة وقواد الحروب وأهل
الفصاحة والادب. فلوان الدكتور تأمل فيما اهدى اليه من هذين الامرين وكان
مؤثما بالله تعالى لجزم بكونه نبيا مرسلًا من عنده عز وجل، لان ما امتاز به كتابه
وما امتاز به شخصه على جميع البشر من سابق أو لاحق أو آت إنما كان بعد ان
بلغ أربعين سنة في الامية بين أهل الشرك والمجاهلية فلم يعقل أن تحدث هذه المزايا
العظيمة العملية الادبية العمرانية الحربية السياسية الاجتماعية لرجل في سن الكولة دفعة
واحدة، كلا ان هذا لا يعقل أن يكون الا بوحى وتأييد من الله عز وجل. ولكن
كثيرا من الباحثين في مثل هذه المسألة يبحثون فيها من جهة واحدة منصرفين عن
سائر الجهات فلا يحيطون بسائر أطراف المسألة، والصوارف عن أمثال هذه
المباحث كثيرة أظهرها كون انكار الاديان عندهم من القضايا المسلمات، وكنت أرى
أن للدكتور شبلي شميل مانا قلما يشاركه في غيره في بلاده وهو عده الجراءة على التصريح
بالتعطيل مزية من المزايا العظيمة التي اغتربها، وحسب الامتياز من مزايا البشر الراسخة
فن رأى نفسه قد اغتردت بشي منه قلما فكر ويبحث في شي من شأنه أن يذهب

بما انفرد به . على ان رجال الدين الذين على مذهب أمرته الذي نشأ عليه ثم ارتد عنه قد حكموا بأنه تاب من ردة وعاد قبل الموت الى دينه ومذهبه الاولين ولذلك جُتِزوه وصلوا عليه في كنيستهم ودفنوه في مقابرهم ، وجاهير الناس يرتابون في ذلك أو يميزون بخلافه ويمدون هذا من غرائب تساهل الكاثوليك

كان الدكتور شبلي شميل من دعاة الاشتراكية وهو مستقل برأيه فيها غير مقلد لمطائفة من طوائفها ، وكان ماديا في آرائه وأفكاره الا انه كان متعلما بكثير من الاخلاق الحسنة المحمودة التي يضاد بعضها ما تقتضيه الافكار المادية التي غلبت على عقله وخياله ، كالزفة والسخاء والصدق والوفاء والنجدة والمروءة والشجاعة وغير ذلك . وان تحلي بعض المصلين بالفضائل من أقوى الشبهات على الدين في هذا العصر ، فانا نسلم كثيرا من المرتابين أو الراسخين في الكفر يقولون أي حاجة للناس في الدين وانا نرى كثيرا من المصلين الصائمين منغمسين في المعاصي والردائل ، بل نرى كثيرا من رؤساء الاديان الرسميين كذايين طماعين أدنيا ، بخلاف لا يرجي منهم معروف ، ونرى فلانا وفلاناما لادين لهم متعلين بالاخلاق الفاضلة والآداب العالية والسبق الى عمل المعروف وقد أجبت عن هذه الشبهة في المنار غير مرة وانخفضت تأييد الدكتور فرصة لبيان ذلك لاجهور

في اليوم المتمم للاربعين من تاريخ وفاته أقام النادي السوري في القاهرة حفلة تأييد للدكتور الذي هو من نوابغ السوريين بلاخلاف أجاب الدعوة اليها مئات من أهل العلم والادب والوجاهة من سكان القاهرة على اختلاف مذاهبهم ونحلهم فنص النادي بهم ، وافتتح الجلسة رئيسها احمد حشمت باشا بخطبة وجيزة أطرى فيها المؤيدين اطراء كبيرا . ثم دعي الدكتور يعقوب صروف الى الكلام في علم الدكتور شميل وهو أعلم الناس به ويعلمه فجاء من ذلك بخلاصة جمعت فأوعت . ثم دعيت الى الكلام على أخلاقه فقلت ماخلاصته على ما أتذكر الآن :

« أشكر لادارة النادي السوري اختيارهم اياي للكلام في أخلاق الدكتور شبلي شميل فان الكلام في الاخلاق أحب اليّ لان أثرها في حياة الناس العملية أعظم من أثر العلم ، لان العلم يبين طرق العمل ، والاخلاق هي التي تبعث عليه وتهدي

الى الغاية منه ، فحسن الاخلاق هو الذي يجعل العلم نافعا وسوء الاخلاق قد يجعله ضارا ،
ولذلك شبه حكماؤنا علم فاسد الاخلاق بالسيف في يد المجنون ، واننا نرى مبلغ
تأثير ضرر العلم بسوء استعماله في الحرب الاوربية الحاضرة التي كان الموقد لنيرانها
بعض الاخلاق المذمومة من الطمع والكبر وحب المال واستعباد الاقوياء للضعفاء
على ان العمل النافع لا يرتقي الا بالعلم ، وما ساد بعض الامم على بعض الا بالعلم ،
(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وانما تظهر حقيقة المرء وتعرف
توجهه ببيان علمه وأخلاقه وأعماله ، وقد أحسن النادي باختيار العلامة الدكتور
صروف للكلام على علم الدكتور شميل فهو أعلم منا بهذه العلوم ويمكن الرجل منها
وقد جاء بفصل الخطاب في ذلك

كان الدكتور شميل متحليا بمدة من الاخلاق الحميدة التي لا يرتقي العمران
البشري الا بكثرة المتحطين بها في الامم كالصدق واستقلال الرأي والشجاعة والثبات
والسخاء والوفاء والنجدة والمروءة والراقة ، يعرف له ذلك كل من عرفه ، وكل خلق
من هذه الاخلاق له تأثير في أعمال الناس ومعاملاتهم ولا يمكن بيان ذلك بالتفصيل
في وقت قصير محدود كوقتنا هذا وانما أشير الى بعض ذلك بالابحاز فأقول :

ان من أضر مفساد الكذب طمس الحقائق وإبطال ثقة الناس ببعضهم ببعض
فالكذاب لا يوثق بخبره ولا بعلمه ولا برأيه ولا يمكن أن يرتقي قوم فقدت الثقة
من بينهم . ومن أكبر بواعث الكذب الجبن ولولا ما أوتي الدكتور شميل من
الجرأة والشجاعة لما أمكنه أن يكون صادقا يقول ما يعتقد وان كان مما ينكره
عليه ويكرهه منه أهله وقومه والسواد الاعظم من أهل وطنه ، والشاهد على هذا
تصريحه قولاً وكتابة بالآراء التي تخالف عقائد هؤلاء الذين يعيش معهم ، والمعروف
أن الخوف من عقوبة قول الصدق ، هو الذي يحمل الناس على الكذب ، ولذلك
يكثر في عهد الاستبداد والظلم ، ولكننا نرى كثيرا من كبراء الحكام ورؤساء الناس
في بلاد كثيرة يكذبون على رعاياهم ومرءوسيههم ، فلا يتجربون على التصريح لهم
بما لا يرضيهم ، وان كان التصريح خيرا لهم ، وهكذا يعيش كثير من أكابر الناس
وأصاغرهم عيشة الكذب والفنش والرياء والتناق لجبنهم وضعف ملكة الاستقلال

فيهم ، ولم يكن شميل مرآيا ولا مناقيا بل كان مستقلا شجاعا يقول ما يستدعيه حق وصوابا غير هيب ولا وجل

وكان على جرأته وشدة في آرائه رقيق القلب سخي النفس، فكان اذا دعي الى معالجة قدير يضاف اليه مراتحا ومعالجة مجانا وربما اشترى له القواء ، وزاده من الغذاء ، هل انه لم يكن ذا فضل من المال ، واننا نرى كثيرا من الاغنياء البخلاء ، يحتالون على أكل أموال الناس حتى الفقراء والادباء ، ونحن أصحاب الصحف قد جربنا جميع أصناف الناس فوجدنا في كل صنف منهم (حتى علماء الدين وكبار الحكماء من قضاة وغيرهم) انما يعتمدون هضم الحق فيمدون جاني الحقيقة ويحطون ، حتى تمر الشهور والسنوات ، ولا يصدقون ولا يثبون . فهل يمكن ان ترقى أمة الا بزوال هؤلاء أوزوال النعمة من أيديهم ؟ ان السخي لا يمنع حق أحد ، لان من يعطي الناس من ماله ما ليس لهم ، لا يقل ان يسلك عنهم ما هو لهم ، وفي مثل شائع بين كثير من المسلمين : ان الذي يزكي لا يسرق .

وهنا مسألة مهمة تفتي على كثير من الناس ، وهي ان أكثر مكارم الاخلاق لا تتطبع في النفس الا بالتربية الدينية ، وتكون هزيمة لفساد بالتعطيل والافتكار المادية ، فكيف اتصف الدكتور شميل بتلك الاخلاق الحسنة مع كونه كان ماديا معطلا ؟ يحتاج بهذه الشبهة بعض الملاحدة على عدم الحاجة الى الدين قائلين اننا نرى فلانا وفلانا ممن مرقوا من الدين أفضل أخلاقا وآدابا من المتدينين الذين نرى من رؤسائهم وعلمائهم من فشا فيهم الكذب والطمع والفساد والبخل والجبن والرياء والتناق ، والجواب عن هذه الشبهة ان قاسدي الاخلاق من المنسوين الى الدين لم يربوا تربية دينية صحيحة بل لم يكن لهم حظ من الدين الا الاسم أو تمرد بعض العبادات من غير فهم لحكمها ولا قيام بحققها ، وان أولئك المبطلين الحسني الاخلاق قد تربوا تربية دينية تكونت بها أخلاقهم الفاضلة ثم طرأت عليهم فكرة التعطيل في الكبر فلم تخلص ماطع في النفس من أخلاقهم ، قد حدثني الدكتور شميل عن نفسه انه كان في نشأته الاولى مبالغا في التدين مواظبا على العبادة ، وان فكرة التعطيل ما طرأت عليه الا بعد سفره الى أوروبا ، فقد لقي في فرنسا عالما ماديا قال له كلمة هدمت عقيدته الدينية

هؤلاء ولم يذكر لي تلك الكلمة. وأقول انها لم تهدم تأثير التربية الدينية في نفسه، ولا ماورثه من أخلاق أهل بيته ، ولا هب قد ثبت في العلم الحديث ان لكل نوع من المدركات الفكرية والوجدانية مركزا خاصا في دماغ الانسان ، وما كل فكر يأخذه المرء بالتسليم يؤثر في أخلاقه وآدابه الصلية بل لا بد في هذا التأثير من التربية الصلية أو كونه عقيدة بهزم صاحبها فضلا ووجدانا بأن العمل بمقتضاها سعادة، وتركها شقاوة لا فعلها شقاوة ، وفكرة الإلحاد ليست كذلك ، فهي قد كانت محصورة في مركز صغير من دماغ الدكتور شميل له صلة بلسانه ولا سلطان له على قلبه ، ولذلك كانت تظهر أحيانا في كلامه ولكنها لم تنزع من نفسه ما تربى عليه في بيته من الاخلاق الدينية كالصدق والرحمة والسخاء وغير ذلك »

ثم ذكرت في التآيين رأي الدكتور في الاسلام وفي نبينا عليه الصلاة والسلام وقرأت كتابه وأبياته في ذلك وقد تقدم ذكرها في هذه الترجمة

هذا ما أتذكره من كلامي في أخلاق الدكتور شميل لم أترك منه شيئا ولكنني زدت مسألة الشبهة الأخيرة أيضا حالاتي رأيت بعض الناس لم يفهموا حتى قل لي بعضهم ان التآيين يقصد به المدح وأنت ذمت الرجل وجعلته مجنوناً ، وإنما أخذ جعلي إياه مجنوناً من قولي ان فكرة الكفر والإلحاد قد طرأت على دماغه في الكبر ، وقد عبرت بكلمة المنح بدل الدماغ ففهم ذلك الرجل وغيره من ذلك ما فهموا ولغطوا به ثم دعي الدكتور كحيل الى الكلام في سيرة شميل الطيبة قرأ خطبة طويلة بالفرنسية بين فيها ذلك . ودعي محمد حافظ بك ابراهيم فأنشد قصيدة بلغة استعاد الجمهور كثيرا من أبياتها مرارا. ودعي أيضا كل من اطلون جميل الاديوب المشهور وحسن افندي الشريف وهو شاب من أيار وأميل افندي زيدان صاحب الهلال فألقى كل منها خطبة فصيحة أطرى فيها التقيد إطرأ الشاب المنلى اعجابا بأرائه وأفكاره ونشاطه وحمته ، فدل ذلك على تأثير الرجل في أنفس النابتة الجديدة . ثم قام ابن أخيه رشيد بك شميل صاحب جريدته البصير فشكر للنادي السوري وللمؤننين عليهم ، وانضمت الحلقة

عمران بغداد في القرن الثالث

(وصف دار الخلافة فيها)

نشرنا في هذا الجزء اثارة من تاريخ بغداد الطبع الديني في القرن السادس بعد تخريب التار لممراتها ونفخر هنا اثارة أخرى من تاريخ عمراتها قبل ذلك سبق لنا نشره في (ص ٢٨٥ م ١٣) منقولاً عن تاريخ مدينة السلام للخطيب الحافظ قال

حدثني أبو الحسين هلال بن الحسن قال كانت دار الخلافة التي على شاطئ دجلة تحت نهر ملقاً قديماً للحسن بن سهل ويسمى القصر الحسيني فلما توفي حارث لبوران بنته فاستترها المعتض بالله عنها فاستنظرته أياماً في قريتها وتسليمها ثم ومنها وعمرتها وجصصتها وبقيتها وفرشتها بأجل الفرش وأحسنه وعقدت أصناف الستور على أبوابها وملأت خزائنها بكل ما يخدم الخلفاء به ودرجت فيها من الخدم والجواري ماتدعو الحالة اليه . فلما فرغت من ذلك انتقلت وراسلته بالانتقال ، فانتقل المعتض الى الدار ووجد ما استكبره واستحسنه ، ثم استضاف المعتض بالله الى الدار مما جاورها كل ما وسعها به وكبرها وعمل عليها سورا جصها به وحصنها وقام المكتفي بالله بعده ببناء التاج على دجلة وعمل وراءه من القباب والمجالس ما تآهى في توسعته وتطيشه ووافق المقدر بالله فزاد في ذلك وأوفى مما أنشأه واستحدثه وكان الميدان والرياب وحوار الوحوش (بستانها) متصلاً بالدار كذا ذكر لي هلال بن الحسن أن بوران سلمت المعتض الدار الى المعتض وذلك غير صحيح لأن بوران لم تنش الى وقت المعتض وذكر محمد ابن أحمد بن مهدي الاسكافي في تاريخه انها ماتت في سنة احدى وسبعين وميتين وقد بلغت ثمانين سنة ويشبه أن تكون سلمت الدار الى المعتض على الله والله أعلم

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي قال حدثني أبو الفتح أحمد ابن علي بن هرون المنجم قال حدثني أبي قال قال أبو القاسم علي بن محمد الجوارري في بعض أيام المقدر بالله وقد جرى حديثه وعظم أمره وكثرة الخدم في داره : قد اشملت الجريدة الى هذا الوقت على أحد عشر ألف خادم خصي وكذا من صقلي ورومي وأسود وقال هذا جنس واحد مما تفضيه الدار فدفع الآن الغلمان المجرية وم ألوف كثيرة والهاوشي من الفحول . وقال أيضا حدثني أبو الفتح عن أبيه وعنه عن (المثار: ج ١٠) (٨٠) (المجلد التاسع عشر)

أيضا أبي القاسم علي بن يحيى أنه كانت عدة كل نوبة من الفراشين في دار التوكل على الله أربعة آلاف فراش ، قال فذهب علينا أن نسأله كم نوبة كانوا . حدثني هلال بن الحسن قال حدثني أبو نصر خواشادة خازن عضد الدولة قال طفت دار الخلافة عامرها وخرايبها وحرماها وما يجاورها ويتأخها فكان ذلك مثل مدينة شبراز قال هلال وصممت هذا القول من جماعة آخرين هارفين خيبرين

وقد ورد رسول لصاحب الروم في أيام المقتدر بالله ففرشت الدار بالفراش الجميلة وزينت بالآلات الجليلة وربت الحجاب وخلفاؤهم والحواشي على طبقاتهم على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها ووقف الجند صفين بالباب الحسنة وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة وبين أيديهم الجنايب على مثل هذه الصورة وقد أغلروا العدد الكثير والاسلحة المختلفة فكانوا من أعلى باب الشامية إلى قريب من دار الخلافة وبعدم الغلمان الحجرية والخدم الحواشي الدارية والبرانية إلى حضرة الخليفة بابتداء الراتمة والسيوف والمناطق المحلاة وأسواق الجانب الشرقي وشوارع وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامة النظارة^(١) وقدما كتري كل دكان وغرفة مشرفة بدارم كثيرة . وفي جملة الشذائات والطيارات والذباب والذلالات والسمريات^(٢) بأفضل زينة وأحسن ترتيب وتبشئة وسار الرسول ومن معه من المواكب إلى أن وصلوا إلى الدار ودخل الرسول فمر به على دار نصر القشوري الحاجب ورأى صفقا كثيرا ومنظرا عظيما فظن أنه الخليفة وتداخلت له هيئة وروعة حتى قيل له أنه الحاجب ، وحمل من بعد ذلك إلى الدار التي كانت يرسم الوزير وفيها مجلس أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات يومئذ فرأى أكثر مما رآه (عند) نصر الحاجب ولم يشك أنه الخليفة حتى قيل له هذا الوزير ، وأجلس بين دجلة والبساتين في مجلس قد علفت ستوره واختبرت فروشه ونصبت فيه الدسوت وأحاط به الخدم بالأحمة والسيوف ، ثم استدعي بعد أن طيف به في الدار إلى حضرة المقتدر بالله وقد جلس وأولاده من جانيه فشاهد من الأمر ما حاله ثم انصرف إلى دار قد أعدت له

حدثني الوزير أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن المسلمة قال حدثني

أمير المؤمنين القائم بأمر الله قال حدثني أمير المؤمنين القادر بالله قال حدثني جدي
 أم أبي اسحاق بن المتندر بالله أن رسول ملك الروم لما وصل إلى تكريت أمر أمير
 المؤمنين المتندر بالله بحبسه هناك شهرين ولما وصل إلى بغداد نزل دار صاعد
 ومكث شهرين لا يؤذن له في الوصول حتى فرغ المتندر بالله من تزيين قصره
 وتزيين آفته ثم صف العسكر من دار صاعد إلى دار الخلافة وكلّف عدد الجيش
 مئة وستين ألف فارس ورجل ، فسار الرسول بينهم إلى أن بلغ الدار ، ثم أدخل
 في أزج^(١) تحت الأرض فسار فيه حتى قبل بين يدي المتندر بالله وأدّى رسالة
 صاحبه ثم رسم أن يطاف به في كل الدار وليس فيها من العسكر أحد البتة وأنما فيها
 الخدم والحجاب والغلمان السودان وكان عدد الخدم اذ ذاك سبعة آلاف خادم
 منهم أربعة آلاف يبيض وثلاثة آلاف سود وعدد الحجاب سبع مئة حاجب وعدد
 الغلمان السودان غير الخدم أربعة آلاف غلام قد جعلوا على سطوح الدار والعلالي
 وضعت الخزائن والآلات فيها مرتبة كما يفضل بمخزائن المرائس وقد حقت السور
 ونظم جوهر الخلافة في قلايات على درج غشيت بالدياج الاسود .

ولما دخل الرسول إلى دار الشجرة وراها كثر تعجبها منها وكانت شجرة من
 الفضة وزنها خمس مئة ألف درهم عليها أطيار مصوغة من الفضة تصغر بحركات قد
 جلت لها فكان تعجب الرسول من ذلك أكثر من تعجبها من جميع ما شاهده .
 قل لي هلال بن الحسن وجدت من شرح ذلك ما ذكر كاتبه أنه قلّه من خط
 القاضي أبي الحسين بن أم شيان الماشي وذكر أبو الحسين أنه قلّه من خط الأمير
 وأحسبه الأمير أبا محمد الحسن بن عيسى ابن المتندر بالله قال كان عدد ما علق في
 قصور أمير المؤمنين المتندر بالله من السور الدياج المذهبة بالطرز المذهبة الليلية
 للصورة بالجامات والغزيلة والخليل والجمال والسباع والطيور والسور الكبار البصائية
 والارمنية والواسطية والبهنسية السواذج والمنقوشة والديقية المطرزة ثمانية وثلاثين ألف
 ستر — منها السور الدياج المذهبة المقدم وصفها اثني عشر ألفاً وخمس مئة ستر —
 وعدد البسط والنخاخ^(٢) الجهرية والدرابجودية والعمروكية في المرات والصحون التي

(١) بيت مستطيل أحسن من النفق (٢) الصواب الانفاخ وهو ضرب من البسط

وطي عليها القواد ورسل صاحب الروم من حد بله العامة الجديد الى حضرة المقتدر بالله سوى ما في القاصير والمجالس من الاماط الطبري والديقي التي لحقها النظر دون المحوس اثنان وعشرون ألف قطعة، وادخل رسل صاحب الروم من دهليز بله العامة الاعظم الى الدار المعروفة بخان الخليل وهي دار أكثرها أروقة بأساطين رخام وكان فيها من الجانب الايمن خمس مئة فرس عليها خمس مئة مركب ذهب وقضة بنير أخشية ومن الجانب الايسر خمس مئة فرس عليها الجلال الديقاج بالبراقع الطوال وكل فرس في يد شاكري بالبنة الجميلة ثم أدخلوا من هذه الدار الى الممرات والدهاليز المتصلة بمجر الوحش وكان في هذه الدار من أصناف الوحش التي أخرجت اليها من الحبر قطمان تقرب من الناس وتشمهم وتأكل من أيديهم. ثم أخرجوا الى دار فيها أربعة فيلة مزينة بالديقاج والوشى على كل فيل ثمانية فغر من السند والزرايقن بالثار فقال الرسل أمراء، ثم أخرجوا الى دار فيها مئة سبع : خسون بمئة وخسون بكرة كل سبع منها في يد سبع وفي رؤوسها وأعانها السلاسل والحديد

ثم أخرجوا الى الجوسق المحدث وهي دار بين بستانين في وسطها بركة رصاص قلبي حوالها نهر رصاص قلبي أحسن من القضة المجلوة ، طول البركة ثلاثون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، فيها أربع طيارات لطاف بمجالس مذهبة مزينة بالديقي المطرز وأخشيها ديقي مذهب وحوالي هذه البركة بستان بميادين فيه نخيل قبل ان عدده اربع مئة نخلة وطول كل واحدة خمس أذرع قد ليس جميعا ساجا متقوشا من أصلها والى حد الجُمُارة بمخلق من شبه مذهبة وجميع النخل حامل بثرائب البسر الذي أكثره خلال لم يتغيره ، وفي جوانب البستان اترج حامل دسنتوب ومقع وغير ذلك ثم أخرجوا من هذه الدار الى دار الشجرة وفيها شجرة في وسط بركة كبيرة مدوّرة فيها ماء صاف والشجرة ثمانية عشر غصنا اكل غصن منها ساحلت كبيرة عليها الطيور والمصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة وأكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب وهي تتمايل في أوقات ولها ورق مختلف الالوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجرة وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر وفي جانب الدار بمئة البركة تتمايل خمسة عشر قوساً على خمسة عشر قوساً قد أبسوا الديقاج وغيره وفي أيديهم

[المنازع ١٠م ١٩] قصر الفردوس والآلات وعدد الحرب فيه وخدم الخليفة ٢٣٧

مطارد على رماح يدورون على خط واحد في الناورد خبيا وتقريبا وفي الجانب الايسر مثل ذلك ،

ثم أدخلوا الى القصر المعروف بالفردوس فكان فيه من القرش والآلات ما لا يحصى ولا يحصر كثرة ، وفي دهاليز الفردوس عشرة آلاف جوشن مذهبة معلقة ثم أخرجوا منه الى ممرطوله ثلاث مئة ذراع قد علق من جانبيه نحو عشرة آلاف درقة وخوذة ويضة ودرع وزردية وجمبة محلاة وقسي ، وقد أقسم نحو التي خادم يضا وسودا صفيين مئة ويسرة ثم أخرجوا بعد ان طيف بهم ثلاثة وعشرين قصرا الى الصحن التسميني وفيه العلمان الحجرية بالسلاح الكامل والبزة الحسنة والهيئة الرائعة وفي أيديهم الشروخ والطيزينات والاعمدة . ثم مروا بمصاف من عليه السواد من خلفاء الحجاب والجند والرجال وأصاغير القواد ودخول ادار السلام . وكانت عدة كثير من الخدم الصقالية في سائر القصور يسقون الناس الماء المبرد بالثلج والاشربة والفقاع ومنهم من كان يطوف مع الرسل ولطول المشي بهم جلسوا واستراحوا في سبعة مواضع واستسقوا الملهفسقوا وكان أبو عمر عدي بن أحمد بن عبد الباقي الطرسوسي صاحب السلطان ورئيس الثغور الشامية معهم في كل ذلك وعليه قباء أسود وسيف ومنطقة ووصلوا الى القنطرة بالله وهو جالس في التاج ممالي دجلة بعد ان لبس بالتياب الديقية المطرزة بالذهب على سرر آبنوس قد فرش بالديقي المطرز بالذهب وعلى رأسه الطويل ومن يمينه السرير تسعة عقود مثل السبح معلقة ومن يسرته تسعة أخرى من انحر الجواهر وأعظمها قيمة غالبية الضوء على ضوء النهار وبين يديه خمسة من ولده ثلاثة مئة واثنان يسرة . ومثل الرسول وترجمانه بين يدي المقتدر بالله فكفرت له (اي سجد) وقال الرسول المؤمنين نظام وفسر القشوري وكانا يتحجان عن المقتدر لولا اني لا آمن ان يطالب صاحبكم بتقيل البساط لقبيلته واسكنني فعلت ما لا يطالب رسولكم بمثله لان التكفير من رسم شريعتنا ، ووقفا ساعة وكانا شابا وشيخا فالشاب الرسول المتقدم والشيخ الترجمان وقد كان ملك الروم عقد الامر في الرسالة للشيخ متى حدث بالشاب حدث الموت ، وناولوه المقتدر بالله من يده جواب ملك الروم وكان ضخما كبيرا فتناولوه وقبله إعظاما له وأخرجوا من باب الخاصة الى دجلة واقعدا وسائر اصحابهما في شذا من الشداوات الخاصة وصعدا الى حيث أنزلا فيه من الدار المعروفة بصاعد وحمل اليهما خمسون بدرة ورقا في كل بدرة خمسة آلاف درهم وخلع على أبي عمر عدي الخلع السلطانية وحمل على فرس وركب على الظهر وكان ذلك في سنة خمس وثلاث مئة ٥٠٠

خاتمة السنة التاسعة عشرة للمنار

بحمد الله تعالى فختتم المجلد التاسع عشر جاعلين حجمه وعدد أجزائه كما يئنا في خاتمة المجلد الذي قبله لأن الورق قد قل ووروده وزاد غلاء ثمنه حتى ان ما كنا نشتريه قبل الحرب بمئة قد صار ثمن مثله أو بمائة أو خمسمائة

وقد جرى لنا في إصدار أجزاء هذا المجلد على ترتيب الشهور الذي اضطررنا اليه في العام الماضي حتى اننا بدأنا بطبع هذا الجزء في الشهر السادس من سنة ١٣٣٥ إذ كان هو الشهر العاشر لسنة المجلد التي كان بدؤها شهر شعبان سنة ١٣٣٤ ولكننا اضطررنا بعد طبع أكثره الى تأخير إصداره الى شعبان، وكان من أسباب ذلك وعكة عرضت لنا، وتلبث وثأة أصابت يدنا البني، ومنها مرض عرض لمن يتوقف عليه العمل في المطبعة، وأقوى الأسباب التي لم أكن أكره مثل هذا التأخير في هذه السنين النحسات التي حجب فيها المنار عن قرائه في بلاد كثيرة قللت الاستفادة منه وقل دخله من حيث كثرت نفقته وفتنتا، لم أكن أكره هذا ولم أكن أتمدده، فلما عرضت الأسباب له لم أجتهد في مقاومة ما يمكن مقاومته منها، فاذا رحم الله تعالى البشر فصرف عنهم شر هذه الحرب عن قريب وعادت المياه الى مجاريها فلنا الرجاء بأن تتدارك ما فات بإصدار جزئين في كل شهر الى ان تعود سنة المنار الى ما كانت عليه من غير ان تنقص مجلداته عن عدد سنه القمرية، واذا أراد الله ان يطول أجل الحرب فلا يرجع ان تعتمد تأخير بعض الاجزاء من المجلد العشرين الى ينتهي بانتهاء سنة ١٣٣٦ فيضيم بذلك مجلد من حساب السنين القمرية، ولانثلث مجلدات المنار أن توافق عدد سنه الشمسية، ونحن إنما نتقاضى اشتراك المنار عن المجلدات لا عن السنين فلا يضر المشتركين تأخر بعض الاجزاء. على ان بدء المجلد العشرين سيكون في التاريخ الذي بدء فيه المجلد التاسع عشر فلا تأخير جديد

هذا وان ما كنا قد ادخرناه من الورق لهذا المجلد قد اضطررنا الى استعمال بعضه لمطبوعات أخرى (كذكرى المولد النبوي) فلم يكن كافيا، وقد وقفنا لا نبتاع

طائفة أخرى من ورق خبر من ورقه لاجل المجلد العشرين تكفيه اذا صدر بمصر هذا المجلد فلا يخشى ان يتوقف صدوره من عدم الورق وان انقطع الوارد من مصر انقطاعا تاما ، وليس هذا الانقطاع بعيد اذا اشتدت وطأة الحرب فقد علمنا من أخبار أوربة أن أعظم دول الصناعة تشكو من قلة الورق وقد قصت صحفها من عدد أوراقها وقيل ان بعضها سيحتجب أو يعطل صدوره، فما اقول في بلادنا التي تجلب كل الورق الذي نحتاج اليه من أوربة وقد تضاعف ثمنه هنالك وتضاعفت اجرة نقله ، وما كل ما ينقل يصل بل تفرق الفروقات بعض السفن التي تحمله. فسي ان يكون علم المشتركين بهذه الاحوال باعنا لهم على أداء قية الاشتراك بلا مغل ولا تسويق ونذكر المشتركين الكرام بشيء ربما ينفذ الكثيرون عنه، هو نفقة الحياة أو وكلاء التحصيل فان الذي كان يرضى بعشرين في المئة مما يجمعه أصبح لا يرضى بخمسة وعشرين ، وقد طاف بعض اخواننا في بعض البلاد طوفة للحصول على نفقتنا فبلغت نفقته أربعين في المئة مما جمعه ، ويأليته جمع من كل مدينة أو قرية جميع ما يطلب من مشركيها واستغنى عن العودة اليها بقية العام . كلا ان بعضهم لوى وسوف يطلب النظرة مع الميسرة لا اليها ، فاذا كان أهل كل بلد لا يؤدون ما عليهم الا بعد أن يسافر اليهم الجاني مرارا بمثل تلك النفقة أو بما دونها قليلا فاذا بقي اصحاب الصحيفة في مقابلة سائر النفقات ثم ماذا يبقى له بعدها في مقابلة عمله لاجل نفقته ؟ فن تأمل هذا نهاء قلبه (ضميمه) أن يسوف في أداء ما عليه ، وأن يلجئ الجاني الى تكرار العودة اليه ، وان كان قد اعتاد الارجاء والتسويق

الانتقاد على المنار

لم يكتب البنا في هذه السنة انتقادا ما على شيء من مباحث المنار إلا ما كتبه بعض اخواننا من إخبارنا بكرهة كثير من الناس لما يكتب في المنار من الفلسفة السياسية (كذا كتب بعضهم) وقد كلنا غير واحد من الاخوان في ذلك مشافهة وصرحوا بأن ما يكرهون من المنار هو طمعه في الحكومة التركية الاتحادية على هلايتها التي يصدق اخبارها السوءى بعضهم دون بعض، وتأيدته للحركة العربية المجازية . وقد أجبت عن هذا الانتقاد بأني كتبت في ذلك ما أعتقد انه حق

وان يانه واجب علي لمتي وأمتي وسيعلم من لا يكره أن يعلم اتقي كنت ناصحاً مخلصاً
وهي حق ومصواب، وقد كنت كتبت لهذا الجزء مقالة تاريخية طويلة لمسألة العربية بينت
فيه اخلاص العرب للدولة الى ان اضطرتهم الحكومة الانحادية الى ما اضطرتهم اليه من
مقاومة بغيرهم، ضاق عنها هذا الجزء، وستنشر في الاول من المجلد العشرين ان شاء الله تعالى
وانتقد بعض الاخوان والمحبين شدة العبارة التي انتقدنا بها بعض الشبان الذين
ذهبوا الى الحجاز وأخلوا فيه بالواجبات وفأهوا بالمنكرات قائلين ان بعض الناس قد
أولوها بغير ما قصد بها من النصيح ثم علمنا ان ذلك التأويل كان في بلد نحن من
أشد الناس اخلاصاً له وغيره عليه اذ عد الانتقاد طعناً في حكومة الحجاز نفسها .
واقترح علينا ان نصرح بفرضنا من ذلك النقد فتول :

إننا لم نكن نظن انه يخطر ببال أحد يقرأ المنار أو يعرف مشربنا في الجلة اننا
قصد بتلك العبارة غير النصيح لمن اعتادوا التهاون بأمور الدين ان يراهوا الفرق بين
البلاد المقدسة وغيرها وان لا يجعلوا أنفسهم حجة لاهل الحجاز — ولا لغيرهم —
على رجال النهضة الجديدة وطلاب الإصلاح للامة العربية فتبطل الثقة بهم ، وربما
يكون سبباً لسوء الظن بالحكومة العربية الجديدة اذا انتظم أولئك المنتقدون فيها
على ان ما حكينا به عن بعضهم كان قبل تأديس هذه الحكومة فليس في عبارة الانتقاد ذكر
لها ولا لكون المنتقدين انتظموا في سلك خدمتها ولا مناصرين في هذا لا يكاد يبادر الى
الذهن غيره ، وقد كنا نسدي مثل هذه النصيحة لمن نراه من أولئك الشبان قبل
مفرهم ولكن يتمرد رؤية كل من يسافر لهذا الغرض فتعين النصيح بالكتابة، ونحن العرب
أحوج الناس الى الوحدة والاتفاق ونبذ الخلاف والشقاق والاجتهاد في جعل الحكومة
التي مجددت لنا في أحسن حال ممكنة، وهذا ما قصده من نصيحنا والله يعلم حسن نيتنا
وقتل اليانا ان بعض الناس استنبط من عبارة المنار في هذا الموضوع اننا نقول
بوجوب لباس الاحرام على كل من يسافر الى مكة ولو بقصد التجارة وهذا من سوء
الفهم، ومعاذ الله أن نقول بذلك، وإنما يجب لباس الاحرام على من قصد الحج أو
العمرة دون غيره. ومن شأن المتدين أن يتنعم فرصة ذهابه الى الحرم فيحج أو يعتمر،
وأسأل الله تعالى ان يوفق كلاً منا للإتيام بما يجب عليه، والاخلاص فيه، والمجد لله أولاً وآخرأ.

المجلة

١٣١٥

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الوجود وتتوحد الاجتماع والعمران
لتنشأ

السيد محمد الشيد أيضاً

ناظر مدونة دار الدعوة والأرشاد

﴿ عنوانها (مصر - إدارة مجلة المار) والطرافي « المار بمصر » ﴾

المجلد العشرون

سنة ١٣٣٥ - ١٣٣٦ ق ١٢٩٥ - ١٢٩٦ هـ

قيمة الاشتراك عن ستة ثمانون قرشاً مهيماً في مصر والسودان

وسائر البلاد العربية و٢٤ فرنكاً الخارج و١٤ روية

في الهند و٩ روابل في روسيا والدفع سلفاً

﴿ الطبعة الأولى ﴾

﴿ حقوق إعادة الطبع والترجمة لكل أو البعض محفوظة لمنشئ المجلة ﴾

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتوبون أحسنه
ولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

آتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
آتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

﴿ قل عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و «مناراً» كثر الطريق ﴾

١١ شوال ١٣٣٥ - ٧ الأمد (ص ٢) ١٢٩٥ هـ ٣٠ يوليو ١٩١٧

فاتحة السنة العشرين للمنار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله تعالى واشكر له توفيقه وتأييده، حمدا يوافي نعمه وشكرا يكافئ مزيده . وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه ورسله ، ورحمته العامة
المرسلة وحجته القائمة على خلقه ، محمد النبي الامي العربي الذي بدت في
الامين ، ليعلمهم الكتاب والحكمة ويحملهم الأئمة الوارثين ، ويصلح بهم
فساد الامم والشعوب المتعلمين وغير المتعلمين ، وعلى عترته آل بيته
الطاهرين ، وأصحابه الذين نشروا دعوته بين العالمين ، وعلى التابعين لهم
في هدايتهم وهدىهم الى يوم الدين

أما بعد فقد دخل النار في العام العشرين ، داعياً الى الاعتصام بحبل الله المتين ، والاهتداء بنوره المين ، والآستمسك بستره رسوله الامين ، والسير على منهج السلف الصالحين ، — ناهيك عن الأحداث والبدع ، وتقليد الاحزاب والشيخ — مبيتاً أن الخير كل الخير في اتباع من سلف ، وان الشر كل الشر في ابتداع من خلف ، لأن الله تعالى قد أكل الدين فلا يقبل زيادة كمال ، فالزيادة فيه كالنقص منه خزي وضلال ، وانما الناقص الذي يحتاج دائماً الى الاكمال والاصلاح ، ما كان من أوضاع البشر عرضة للنقص والفساد — ثبتاً أن ضعف الشعوب الاسلامية ، انما جاء من عملهم بعكس هذه القضية ، أعني الابتداع في الامور الدينية ، واتباع من قبلهم في الامور الدنيوية . فالأثم في ارتقاء دائم ، وهم في جود ملازم ، غلب عليهم الجهل المركب فهم للعلم يدعون ، ورزوا بالفقر المدقع وهم في الدنيا طامعون ، وخضعوا للضمير والذل وهم معجبون متكبرون ، وخضعوا لظلم المتغلبين وهم بالملك والسيادة مفتونون ، (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آيَاتَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ)

خسروا أقسم خسروا كل شيء ، وهل خسران النفس ، الا فقد استقلالها في الفهم والعلم والحكم ، وتقليد الآباء والاشياخ المتأخرين ، في جميع أمور الدنيا والدين ، فالتحقيق انهم مقلدون حتى في الابتداع ، لانهم فقدوا ملكة الاستنباط والاختراع ، وقد ساروا بحسب الظاهر على الطريقة الثابتة بالعقل والاختبار ، وهي كون علوم المتأخرين وفنونهم أجدر بالثقة والاعتبار ، سنة الله في التدريج والارتقاء ، على أنهم يمتقدون بحق أن متقدمي هذه الامة خير من متأخريها في جميع العلوم والاعمال ، لان

الخلف لم يسبروا على سنة السلف في الاجتهاد والاستقلال ؛ ولو ساروا عليها لفاقوهم في كل ما هو من كسب الناس . وهم انما يقلدون المتأخرين ، لانهم لا يرون أنفسهم أهلا لتابع المتقدمين ، اذ يزعمون أن المتأخر أضعف من المتقدم عقلا ، فبهاء وربما اعتقدوا أنه أقل قوة وانحف جسما ، وأن هذا التفضيل منحة إلهية وهبية ، لا يمكن ادراكه بالاسباب الكسبية ، غافلين عن سنة الله تعالى في سائر الامم والاجيال ، وسبق المتأخرين للمقدمين في جميع العلوم والاعمال ، حتى ان الله تعالى سخر لراكبهم الهواء ، كما سخر لها الماء ، وسخر لها من البحار لجحبا وأعماقا ، كما سخر لها مبنوها وأمواجها ، بل سخر الله تعالى لهم ما في السموات وما في الارض ، فما كان مسخرا لغيرهم بالقوة صار مسخرا لهم بالفعل . فما بال جماهير المسلمين لا يسمعون ولا يبصرون ، ولا ينظرون ولا يفكرون ، (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَنَ كَوْنَهُمْ قُلُوبٌ يَعْمَلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) كل ما هو مسخر للبشر ، وكل ما هو من كسب البشر ، فهو قابل للارتقاء ، اذا لم يحمدا الابناء فيه على ما ورثوه عن الآباء . وكل ما ينفع الناس من العلوم والفنون والاعمال ، فهو مما يتناوله كسبهم وتصرفهم بمقتضى الاستعداد الخاص والتسخير العام ، الا الدين الإلهي ، والوحي السماوي ، وقد أكمل الله لنا الدين ، كما ثبت بنص الكتاب المبين ، فما بالنا قد ابتدعنا فيه كثيرا من الشوائب ، كواسم الايام الفاضلة والموالد ، وكثيرا من العبادات التي لا أصل لها من السنة والكتاب ، كأذكار أهل الطرق وما استحدثوا من الاوراد والاحزاب ؛ بل ما بالنا نبني المساجد على ما

فشرّف من القبور ، ونوقد عليها السرج والشموع ؛ ونحن نعلم أن فاعلي ذلك ملمونون على لسان الرسول؛ بل ما بالنا نطوف بهذه القبور كما نطوف بيت الله ، وندعوها مع الله أو من دون الله ، ونحن نعلم من كتاب الله ومن سنة رسول الله ، أن هذا عبادة لها من دون الله؟ أتتبع في هذا عمل الآباء المتأخرين ، ونحن نتلو ويُتلى علينا قول الله تعالى في المشركين ، (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)

إنا ندعو الناس الى عقيدة السلف ونحن بها موقنون ، وزشد من بلغت الدعوة الى سبرتهم الدينية ونحن على طريقتها ان شاء الله مستقيمون؛ وانما نورد في باب التفسير وغيره من النار، بعض تأويلات الخلف للآيات والاخبار؛ وما قد يخالف مذهبهم من الآراء العصرية ، وخاصة في مقام الدفاع عن القرآن والسنة النبوية ، لأن الضرورة ألجأت اليها ، بتوقف إقامة الحجة او دحض الشبهة عليها، فان النار ليس خاصا بالمذيعين للكتاب والسنة من المؤمنين ، بل يكتب لهم ولغيرهم من المبتدعين والمتأففين والكافرين ، ومنهم المنكر الجاحد ، والمجادل المماند ، ومنهم المشتبه المذمور بشبته ، والرتاب المتردد في ريبته؛ وحسبنا من الفلج أن نمنع بتأويل الخلف ، من تعذر اقناعه بتفويض السلف ، وأن ندحض الشبهة برأي جديد ، اذا أعيا دحضها برأي تليد، اذ يكفي في صحة الايمان الجزم بأن كل ما جاء به الرسول عن ربه فهو حق ، وفي صحة الاذعان موافقة السلف في مسائل الاجماع العملية وما لا يحتمل التأويل من النص، ولا خرج في دين الفطرة فيما اقتضته الفطرة من تفاوت الافهام ، مع صحة

قواعد الايمان وإقامة أركان الاسلام ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقر أصحابه على مثل ذلك في مسائل الأحكام ، كتارك الصلاة والمضي بالتيمم للجنب ، والمختلفين في صلاة المصري يوم بني قريظة .^(١) ورب فهم جديد ، يؤيد دين الحق أعظم التأييد ، ومن مزايا القرآن انه لا تنتهي عجائبه ، ولا تنقضي غرائبه ، وإن من آياته ما يظهر في زمان دون زمان ، وهل يظهرها إلا أفهام أهل العرفان ، الذين هم حجة الله في أرضه ، على الجاهلين . والجاهدين من خلقه ، ولن يخلو عنهم عصر من الأعصار ، وإن خات منهم بعض البلاد والأمصار ، وكل من علم ينتفع بعلمه الغائب البعيد ، وبحرم منه القريب العتيد (قُلْ فَذَهَبَ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)

تلك دعوة المنار ، التي رددت صداها الاقطار ، فكانت كالبرق المبشر بما يتلوه من المطر ، في نظر سليمي العقول صحيحي الفطر ، وكالصواعق المحرقة على أهل البدع ، وستمصبي الأحزاب والشيع ، وقد آذانا لأجلها الظالمون فصبرنا لله بأفقه ، ولم نكن كمن أودى في الله فجعل فتنة الناس كمداب الله ، وجعل علينا بعض أحداث السياسة المرورين ، وبعض أدعياء العلم الجامدين ، ققلنا « سلام عليكم لا نبغني الجاهلين » وكاد لنا أعداء الدعوة كيدا خفيا ، أضر بنا ضررا جليا ، إذ حجب المنار عن كثير من قرائه الاخيار ، وحرمتنا بذلك وبغيره كثيرا من المال ، وحسبنا أن حمد الدعوة كل من عرفها من طلاب الإصلاح ، وأهل الروية والاستقلال ، وأما الازهريون خاصة ، فقد كانوا أزواجاً ثلاثة ، قليل من الشيوخ وكثير من الشبان ، يرون أن المنار من ضروريات الاسلام

في هذا الزمان، وكثير من الشيوخ والشبان يكرهون منه حمد الاستقلال وذم التقليد، ورأي جماهير علماء العصر بالجود والتقصير، والسواد الأعظم منهم مشغولون بأمور معيشتهم، وبمطالعة دروسهم ومناقشات طلبتهم، عن النظر في مثل المنار لتعريض أو انتقاد، وعن كل ما يتجدد في الدنيا من إصلاح وإفساد، وقد دخل المنار في السنة العشرين، ولم ينتقده أحد من الأزهريين؛ إلا أنه قام في هذا العام شاب متخرج في الأزهر، فنشر في بعض الجرائد الساقطة مقالات سب فيها صاحب المنار وكفر، بأنها ذلك على زعمه أنه أنكر كون آدم أباً لجميع البشر، على أن المنار قد صرح بآيات هذه الآية تصريحاً آخرها ما في الجزء الأول من المجلد التاسع عشر، وزعمه أنه فضل شبلي شميل على الخلفاء الراشدين، ويعلم كذب هذا الزعم مما نشرناه في شميل من ترجمة وتأين، ومن لا يزرعه هدي القرآن، عن السب والكذب والبهتان، قد يزرعه عقاب السلطان، لهذا رفع أحد كبار المحامين عنا أمر هذا الطعن إلى محكمة الجنائيات، بعد أن أنذرنا بذلك كاتب المقالات، ونصحنا له بلسان بعض ذوي رحمه وصحبه، بأن يستحلنا تأبياً من ذنبه، فلم يزد ذلك إلا اصراراً على الذنب، وتمادياً في الطعن والسب، ولكنه جنح في المحكمة للسلم، وطالب هو وصاحب الجريدة من رئيسها الصلح، على أن يمتدرا عما اتهمتا به من المظالم الشخصية، ويعترفوا باحترام عقيدة صاحب المنار وآرائه الدينية، وأمضيا عبارة في ذلك أثبتت في محضر القضية. وقد قبلنا ذلك منهما، وكان خيراً لهما لو فعلاه من تلقاء أنفسهما، على أنهما عادا إلى هذيانهما، ولا قيمة عندي لمثل هذا الكلام، فانه مما يقال لصاحبه سلام، وإنما ذكرناه في

فاتحة المنار، التي نشير فيها عادة الى ما تجد في تاريخ الاصلاح، تمهيداً لذكر ما قيل انه ترتب على تلك القضية، من تأليف جمعية ازهرية، لاجل البحث عن أغلاط المنار الدينية والعلمية، وبيانها للناس والحكومة المصرية؛ ذكرت ذلك الجريدة التي وقعت نفسها على الطعن في صاحب المنار، متوهمة انه سترتب عليه ابطال المجلة أو اخراج صاحبها من هذه الديار، لان عند أعضاء هذه الجمعية من حقائق العلوم الازهرية، ما ليس عند صاحب المنار الذي تلقى العلم في البلاد السورية،... فتقول للواهمين، ولن يمدونهم في غيهم من المزدورين: انانعلم من كنه علم الازهر ما لاتعلمون، فاعملوا على مكائكم انا عاملون، وانتظروا انا متظرون (٩ : ١٠٦) وَقُلْ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ أَنَا عَمَلٌ مِّمَّنْ أَعْمَلُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَرَدُونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

إننا ندعو الى الله على بصيرة، ونكتب ما نكتب عن علم وبيئة، ولكننا كغيرنا عرضة للخطأ والنلط، كما هو شأن غير المعصومين من البشر، فهذا ندعو قراء المنار في كل عام، الى أن يكتبوا لنا بما يرونه فيه من الاغلاط والاوهام، لنشره فيه، فيطلع عليه جماهير قارئيه، وانا لننتهي أن تولف لجنة من علماء الازهر، تقرأ مجلدات المنار التسعة عشر، وتحصي ما تراه من الاغلاط المتفق عليها، بقدر ما يصل اليه علمها وفهمها، وان تحرى في ذلك ما يليق بكرامة أهل العلم، من صحة النقل والتروى في الحكم، واجتناب الطعن والبذاء، والسخرية والاستهزاء، وانا نعمة ذلك اذا سمعت اليه همة بعض الازهرين، أعظم خدمة للمنار يخدم بها العلم والدين، ونمد بأن نشر لهم ما يكتبونه فرحين مغبوطين، مقرين بإيام

على ، اترأه فيه من الصواب ، مبدئين ما تراه من الخطأ مع التزام الآداب ،
وترديد عبارات الحمد والشكر ، التي تبقى بقاء الدهر ، ولتواب الله خير
للذين يصلحون في الارض ولا يفسدون ، والذين هم على البر والتقوى
يتماونون (وَأَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

واتنا على ضعف أمتنا بتحقيق تلك الأمانة ، واحتقارنا لكل ما يكتب
بجهالة وسوء نية ، ليحزننا أن يقوم في الازهر بعض علمائه ، ورئيس جمعية
من جمعاته ، يلتقم من يقاضي بعض أصحابه ، باقتراء الكذب عليه ،^(١) ونسبة
ما ينقله عن غيره اليه ،^(٢) وتحريف آيات القرآن ، استهلالا بها على مارماه
به من الكفر والتسويق والخصيان ،^(٣) بذلك الكذب والبهتان ، الذي زاد
ذبه على ما سبقه اليه ذلك الضمان ، ونا لنكرم كلا من المنار والازهر
بعده ذكر اسمه ، ونسب ان يشهد الى رشده ويتوب من إثمه ، (٤٩ : ٦٠)
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثَالِهِ
فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ بَادِمِينَ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ
قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ
خَيْرًا مِنْهُنَّ . وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ بَعْضُ الْأَنَامِ
الْفُسُوقُ بَعْدَ الْأَيْمَانِ ، وَمَنْ أَمَّ يَتَّبِعْ أَوَّلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

كتبه محمد رشيد رضا

(١) انظر ان صاحب المنار ان آية عليه السلام من صلاة الفجر ودوائه اناس اجمع
انهم من بعدا كذب وانما هو - انهم انه غصو في حقه امتعش كتب شميل وهذا
كتبه مقري (١٢٠) من ان صاحب المنار نقولا في معنى الانسان وفي تكفير من يحكم
على السارق غير المحدث على وجه الاقول من مقول اسر لا من قول صاحب بل مخالفة عا
(٣٠) استدل آيات سورة المتحة في التي عن مولاه أعداء الله على شدة ما تدل عليه
وأهل ما قديته به السورة من كونه فيمن قالوا في الدين الخ

فَتَاوَا الْمَسَائِلِ

فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لايسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بماشاء من الألقاب إن شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمننا متأخراً لسبب كاجبة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لكل هذا، ولن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واجدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ الرقيق الابيض والاسود ﴾

(م ١) من صاحب الامضاء في قلب

حضرة صاحب الفضيلة والارشاد وصاحب المنار المنير

نحية وسلاماً - وبعد أعرض على مسامع فضيلتكم المسألة الشرعية الآتية وأرجو نشرها في باب السؤال والجواب المفتوح في المنار المنير خدمة للشرع الشريف لآحرمنا الله منكم وما هي :

ما قولكم دام فضلكم في مسألة الرقيق الابيض والاسود ومسألة مشتراه في الزمن الماضي قبل مقاومة الحكومات لهذه العادة . وهل هذا البيع حرام أم حلال شرعاً - وما الفرق في الدين الاسلامي بين العبد الحر وماهي ميزة الحر على العبد في الدين . وهل سواد (العبد) من الاقليم القاطن فيه أو منحة إلمية للفرق بين الحر والعبد . وما يستحقه العبد في الميراث الشرعي اذا كان من والد حر وله أخوة

أحرار . وكيف كان البيع في زمن الجاهلية وزمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين وما هي حججهم في ذلك . نرجو الرد على هذه الاسئلة كما عودتمونا ذلك ولفضيلتكم الشكر سلفا وفي الختام أهدي فضيلتكم أركي نحياتي وسلامي
كانه أحمد حسين فراج

بقيادة الدكتور محمد عبد الحميد بك الخصوصية بقلوب

(ج) الظاهر أن السائل يظن أن كل من كان أسود اللون فهو عبد رقيق وكل من كان أبيض اللون أو قريبا من الأبيض - كالأصفر والاسمر - فهو حر وأن الرقيق الأبيض عبارة عما هو معروف في القطر المصري من الانحجار بأعراض النبات اللواتي يحتويهن المشتغلون بهذه التجارة وهن صغيرات بضروب من الاغواء والحيل . والصواب أن الأصل القطري أن يكون جميع البشر أحرارا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن العاص: منذ كم تبذلتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ وإنما الرق أمر عارض أحدثه تحكم الاقوياء في الضعفاء فكانوا يقتلون الاسرى ثم عطفوا عليهم فاستبدلوا الاسترقاق بالقتل، وكان عاما لجميع أقطار الارض الآهلة بالبشر، وقد أقرته الشرائع القديمة كلها حتى صار من شؤون العمران وضروريات الحياة الاجتماعية، وقد دحج الإسلام وهو على هذا الحال فلم يكن من الحكمة أن يبطله دفعة واحدة كما أبطل الربا والفواحش والتبني إذ لو أبطله لتعطل كثير من أمور العايش والاعمال فشرع الاحكام لازالة مفسده كإزالة العبيد وإهانتهم وتحميلهم من العمل، لا يطبقون حتى نهى الشارع أن يقول الرجل عبدي وأهني، وجعل العبيد اخوانا لساكنهم وأمر بأن يطعموم بما يأكلون وأوجب عتقهم في الكفارات وغير الكفارات من الاسباب المعروفة في كتب السنة والفقهاء، وجعل العتق من غير سبب قرينة من أفضل القربات حتى أن من العتق ما يوجب الشرع بغير اختيار المالك ومنه أن من مثل بعبده بقطع عضو أو تشويه أعتق عليه قال (ص) «من أطعم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه» رواه مسلم وأبو داود من حديث ابن عمر وقد عمل به ابن عمر . ورواها والترمذي عن سويد ابن مقرن قال كنا بني مقرن ليس لنا على عهد رسول الله (ص) الا خادم واحدة فطلمها أحدا فبلغ ذلك النبي (ص) فقال «اعتقوها» قالوا ليس لهم خادم غيرها

قال « فليستخدموها فإذا استغنوا عنها فليخلوا سبيلها » وإنما أبقى أصل استرقاق الاسرى والسبي من الكفار في الحرب الدينية مباحا لانه قد تقتضيه المصلحة حتى مصلحة السبي نفسه أحيانا . مثال ذلك أن تقتل رجال قبيلة في الحرب ولا يبقى منهم أحد يستطيع أن يقوم بأمر النساء والذراريء، اذ لم تكن الشعوب والقبائل في الازمنة الماضية ولا هي الآن كلها أيضا ذات دول غنية كدول أوربة وما يشبهها في النظام الاجتماعي، فإذا أخذ الغالبون السبي في مثل تلك الحالة ودبوه على ما يوجب الاسلام من الرقيق والتكريم وتسروا النساء حتى صرن أمهات أولاد لهم يستغن بمجرد موتهم - فلا شك ان هذا قد يكون خيرا لهم من تركهم هائمين على وجوههم . على ان الاسلام لم يوجب ذلك بل شرع لنا ان نمن عليهم باطلاقهم بلا مقابل كرماء واحسانا وأن نضدي بهم أسرانا ان كان لنا أسرى عند قومهم، كما قال في سورة القتال (حتى إذا اتخمتهم قتلوا الوثاق فأما منا بعد وأما فداؤهم)

وإذا عرفت أصل الرق الشرعي علمت أن ما اشتهر عن النخاسين من شرائهم بعض بنات الشركس من آبائهم الفقراء ليصنعن في الآستانة وغيرها ومن شرائهم أو خطفهم لأولاد السودانيين أيضا - كله باطل ، فالأب لا يملك بيع أولاده . ومن دونه من الأقارب أولى بأن لا يجوز له ذلك ، والمشتري لا مثال هؤلاء لا يملكهم شرعا . ويجب على الحكام ابطال مثل هذا الرق قطعا ، لا يترتب عليه من مقاصد التسري والتوارث وغير ذلك من الاحكام الباطلة

وأما سواد السود من الناس فهو من تأثير الأقاليم كما هو مشهور وقد سكن كثير من العرب الذين يطلب عليهم اللون القمحي في البلاد الاستوائية وما يقرب منها فأثر ذلك في جلودهم حتى صاروا أقرب الى الزنوج منهم الى البيض ، وسكن كثير منهم في البلاد الشمالية الباردة وما يقرب منها فصار يبيضهم كياض أهلها

وأما الفرق بين الحر والعبد في الدين الاسلامي فهو انه لا فرق بينهما في الإيمان وتقوى الله تعالى والعمل الصالح وفضائل الدين وأدابه والجزاء عند الله تعالى ولم من عبد مملوك قبيح خير عند الله من الف حر ، ولكن المملوك لا كان لا يملك المال عند الجاهل ولا يملك التصرف في نفسه لتقديده بخدمة مالكه كان له بذلك . أحكام

خاجة لا يحتاج السائل الى معرفتها كلها ، فنها ما هو تخفيف عليه ككونه لا يحب عليه
الجمعة عند الجمهور خلافا للظاهر . وتصح منه اجماعا . ولا الجهاد ولا الحج ، واذا حج
باذن سيده أو معه صح منه ذلك وأثيب بقدر اخلاصه وقيامه بالمناك على وجهها
ولا نجب عليه الزكاة لانه لا يملك المال ، ويترب على هدم ملكه المال انه لا يرث
ولا يرث ، وحده نصف حد الحر ، ويترب على عدم ملكه التصرف بنفسه انه
لا يلي الولايات العامة كالقتضاء ولا الخاصة كالنكاح والوصاية على اليتيم ، وكل مسألة
من هذه المسائل وأشباهاها مفصلة في كتبها وأبوابها من كتب الفقه . وفي بعضها
خلاف بين الفقهاء . وأما بيع الرقيق فكبيع غيره مما يملك ، وحسب السائل هذا
البيان المختصر .

﴿ العوام والخواص ﴾

(س ٢) من الحاج عبد العزيز . ن . و . في بلد جكجارتنا (بجواه)
« نرجو من فضلكم ان ترشدونا في تعريف العام والخاص هل العام من لم
يعرف القنة العربية في فصاحتها وبلاغتها ، والخاص من يعرفها ؟ أو من هم ؟
هذا - فالرجو من فضلكم أن لا تؤاخذوا بسؤالنا هذا » ، لانه من مشكلات
أهلنا « الجاوا » اه بنصه)

(ج) العام اسم قاعل من العموم وهو الاحاطة والشمول والخاص اسم قاعل
من الخصوص وهو اصابة بعض الشيء أو الافراد دون بعض . يقال نزل المطر
فعم الارض فهو عام أو خص بلد كذا فهو خاص . والسائل لا يدأل عن هذا
وأما يسأل عن معنى العامي والخاصي واحد العامة والخاصة . فالعامي هو المنسوب الى
هامة الناس أي سوادهم الذين لا خصوصية لهم فيهم ويقال لجماعتهم العوام ، والخاصي
المنسوب الى خاصة الناس وهم كبارهم وزعماؤهم كالعالماء الاعلام وكبار الحكام وأهل
الفضل والجاه ويقال لجماعتهم الخواص . وعلماء القنة العربية في جالوه يصح ان يكونوا
من خواص أهلها وأما كونهم من العوام وخصهم فلا يتحقق الا اذا كان أهل البلاد
يخصونهم بالاحترام والتكريم ويفضلونهم على سائر الناس ويعدون من عوام سواسية
لا فضل لاحد منهم على أحد ولا كرامة .

مقدمة لذكرى المولد النبوي

فيها يباه ناسخ الامتثال بالمولد ومعه سرعا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وآله وصحبه ومن آله
أما بعد فإن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف قد صار عادة عامة ، وقد
اختلف في كونها بدعة حسنة أو بدعة سيئة كما سيأتي ، والمشهور أن المحدث لما هو
أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين التركاني الجنس الملقب الملك
المعظم مظفر الدين صاحب إربل^(١) أخذها في أوائل القرن السابع أو أواخر القرن
السادس فإن السلطان صلاح الدين ولاء على إربل في ذي الحجة سنة ٥٨٦ وتوفي سنة
٦٣٠ . وقد كان سخيا متلافا صاحب خيرات كثيرة ، وكان ينفق على الاحتفال بالمولد
ألوفا كثيرة ، ففي تاريخ ابن خلكان أنه كان ينصب له مقدار عشرين قبة من الخشب كل
قبة منها أربع طبقات أو خمس طبقات له قبة منها والباقي للامراء وأعيان دولته وكانوا
يزينون هذه القباب في أول شهر صفر بأنواع الزينة الفاخرة ، وكان يكون في كل قبة
جوق من الاغاني وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي ، بل كانوا
لا يتركون طبقة من الطبقات بغير جوق من تلك الاجواق . وكان الناس يتركون
كل عمل في تلك الايام فلا يبقى لهم شغل الا التفرج والدفران على القباب

قال ابن خلكان فاذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الابل والبقر والغنم
شيثا كثيرا زائدا عن الوصف وزفيا بجميع ما عنده من الطبول والاغاني والملاهي حتى
يأتي بها الى الميدان ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدود ويطبخون الالوان المختلفة

(١) إربل: بوزن إمد وضبط في المتن بفتح الباء غلطاً

فاذا كانت ليلة المولد (١) حل السماعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة ثم ينزل وين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير وفي جلستها شمعتان أو أربع — أشك في ذلك — من الشموع الموكية التي تحمل كل واحدة منها على بقل ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البقل . فاذا كانت صبيحة يوم المولد أنزل الخلم من القلعة الى اعطاقه على أيدي الصوفية على يد كل شخص منهم بقعة وهم متابعون كل منهم وراء الآخر فينزل من ذلك شيء كثير لا أنطق عدده .

ثم ذكر عرض الجنود وتوزيعه تلك انطلق بعد ذلك على الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ومدد السباط . وكان قد ذكر قبل ذلك أن الناس كانوا يأتون هذا الموسم في اربل من بنداو والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد المعجم وتلك التواحي فلا يزالون يتواصلون من شهر المحرم الى أوائل شهر ربيع الاول

لخصت هذا من تاريخ ابن خلكان الذي وصف ماواه بينه لان ما يعمل بمصر الآن يشبه ماكان يعمل في اربل الا أنه دونه عظمة ورفعة فهنا تنصب قباب أوغيايم النسيج الجليلة لعزير مصر ولوزارات حكومته وبعض الوجهاء في دائرة واسعة ويختلف اليها الناس من أول شهر ربيع الاول يسمعون في بعضها وعظ الوعاظ وذكر أبواب الطرق المروقة . ويرأس الاحتفال هنا شيخ مشايخ طرق الصوفية ، ويقام بجانب خيمته مأدبة فاخرة في مساء اليوم الحادي عشر من الشهر يحضرها كبار العلماء وكثير من الوجهاء ، ويكون الاحتفال الاكبر في الليلة الثانية عشرة في خيمته فيجتمع فيها من حضر المأدبة ويؤمها الامراء والوزراء حتى اذا ما انتظم جمعهم حضر عزير مصر بمحاشيته وقرأ بين يديه قصة المولد فيخلع على من يقرأها خلعة سنوية ، وتدار بعد قراتها كؤوس الشراب المحلى وصواني الحلوى الجافة . ثم ينصرف العزير الى خيمته وهي بجانب قبة شيخ الشيخ فيمكث فيها ساعة زمانية يشاهد في أثنائها زينة الالامام النارية ثم ينصرف وينصرف الامراء والوزراء ويظل الناس يطوفون على

(١) هي الليلة التاسعة من ربيع الاول على المختار عند المحدثين اول ليلة ١٢ منه على المشهور عند الجمهور وكان منظر الدين براعي الخلاف فيجعلها ليلة تسع في سنة وليلة ١٢ في اخرى

تلك الخيام المزينة بالانوار الكهربائية وغير الكهربائية عامة ليلتهم . وفي ضحوة ذلك اليوم يحضر نائب المزيونة شيخ الشيوخ فتمرض عليه مواكب الطرق الصوفية بتقدم كل طريقة شيخها وهم يهللون أو يتلون الادراد ويقف كل منهم امام شيخ الشيوخ قليلا فيحياه ثم ينصرف

وقد استحسن جماهير المسلمين الاحتفال بالمولد في مشارق الارض ومغاربها ويمتحمون لقراءة قصته في المساجد ومنهم من يجعل لها دعوة خاصة في البيوت ، وهذه لا تنقيد يجعلها في تاريخ الميلاد النبوي ولكن أنكر هذا الاحتفال بعض العلماء وعده بدعة مذمومة لانه عد موسما وشعارا دينيا وعبادة غير مشروعة يظن العوام أنها مشروعة ولا يفترون به من المنكرات الاخرى . وقال بعضهم انه بدعة حسنة لانه عبارة عن الشكر لله تعالى على وجود خاتم أنبيائه وأفضل رسله باظهار السرور في مثل اليوم الذي ولد فيه وبما يكون فيه من الصدقات والاذكار ، وقد أئف الجلال السيوطي رسالة في عده بدعة حسنة في جواب من سأل عن حكمه شرعا وعرفه بقوله : هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الاخبار الواردة في مبدأ أمر النبي (ص) وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد لهم سحطا فيا كانوا وينصرفون من غير زيادة هلى ذلك . وذكر أن الحافظ ابن حجر سئل عنه فأجاب بقوله : أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن جرد في عمله المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة ومن لا فلا

ثم بين ان الحافظ خرج على حديث الصحيحين في صيام عاشوراء شكرا لله تعالى على انجائه فيه موسى نبيه واغرق فرعون عدوه ، قال : فيستفاد منه الشكر لله على ما من به في يوم معين من اسداء نعمة أو دفع تقمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة ، والشكر لله بحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة ، وأي نعمة أعظم من بروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم ؟ وعلى هذا فينبغي ان يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لايالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر ، وتوسع قوم فقلوه الى أي يوم من السنة ،

وفيه ما فيه . فهذا ما تفاق بأصل عمله . وأما ما يعمل فيه فينبغي ان يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من الاطعام وانشاد شيء من المديح النبوية والزهدية المحركة للقلوب الى فعل الخير والعمل الآخرة ، وأما ما يقدم ذلك من السماع واللبو وغير ذلك فينبغي ان ما كان من ذلك مباحا بحيث يتعين للسرور بذلك اليوم لا بأس بالحاقه به وما كان حراما أو مكروها فيمنع وكذا ما كان خلاف الأولى اهـ .

وقد يقال لماذا لم يتم بهذا الشكر أحد من الصحابة والتابعين ولا الائمة المجتهدين ولا أهل القرون الثلاثة الذين شهد الشارع لهم بالخيرية ؟ فهل كان صاحب اربل التركاني ومن تبعه أعلم وأهدى منهم وأعظم شكرا لله تعالى ؟ ويقال مثل هذا في تخريج الحافظ ابن رجب إياه على تعطيل صيام يوم الاثنين بأنه يوم ولد فيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيأتي مزيد بيان لحجة الخالف

وخرجه السيوطي على أصل آخر استنبطه من تخريج شيخه الحافظ وهو ما رواه البيهقي من ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عرق عن نفسه بعد النبوة (قال) مع انه قد ورد ان جده عبد المطلب عرق عنه والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على ان الذي فعله النبي (ص) إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين وتبريع لأمته كما كان يصلي على نفسه لذلك فيستحب لنا أيضا اظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه الآيات واظهار المسرات اهـ

وهذا التخريج ضعيف من وجوه (أحدها) ان هذا الحديث منكر كما قال راويه البيهقي بل باطل كما قال النووي في شرح المذهب (ثانيا) انه لو صح لكان دليلا على استحباب عرق الانسان عن نفسه ولم يقل بهذا أحد (ثالثا) جعل قولهم ان العقيقة لا تعاد حجة على الحديث على تقدير صحته مع كون عبد المطلب عرق عنه (ص) (رابعا) انه لو كان نشر يعامل به الصحابة وغيرهم وقال به أئمة الفتناء أو من ملته منهم (خامسا) ان يوم البعثة كان أولى بهذا الشكر من يوم الولادة لان النعمة والرحمة انما كانت برسالة (ص) بنص قوله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)

وحجة المنكرين في هذا الباب أن كل بدعة دينية تعد من العبادات المحضة أو

تجمل من شعار الدين فهي محظورة لأن الله تعالى أكل الدين وأجمعت الامة على أن أهل الصدر الاول أكل الناس ايماناً واسلاماً، وإن كل بدعة ليست من هذا القبيل كالمافع الدنيوية والوسائل التي يقوى بها أمر الدين والدنيا كالمدارس والمستشفيات والملاحى الخيرية التي يثاب صاحبها بحسن نيته فيها فانها تعد بدعة حسنة، والتحقيق ان هذه لا تسمى بدعة شرعية وإنما يطلق عليها اسم البدعة لانه فلا تدخل في عموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم من الحديث الصحيح عند مسلم « وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » لان موضوع الحديث المحدثات في أمر الدين ، ولكنها تعد من السنن الحسنة في قوله صلى الله عليه وآله وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » - الحديث (وهو في صحيح مسلم أيضاً) فقد رغب أمته بهذا الحديث في الاختراع النافع لما في دينها ودنياها ولكن ليس لاحد ان يخترع في الدين نفسه شيئاً .

ثم ان البدعة الدينية إما ان تكون اختراع عبادة أو شعار ديني لا أصل لهما وإما ان تكون تخصيصاً لعبادة مشروعة بزمان معين أو مكان معين أو هيئة معينة لم يخصها بها الشارع . ومن هذا النوع عد الفقهاء صلاة لرغائب في رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان من البدع المذمومة . قال النووي في المنهاج : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . وقد سمي الشاطبي هذا النوع بالبدع الاضافية وسمى النوع الاول البدع الحقيقية . وأطال في بيان ذلك في كتابه الاعتصام وفصله تفصيلاً

هذا وإن ما يهجد من الاحتفال بالولاد ليس عبادة مأثورة عن الشارع يؤتى بها على الوجه المشروع ولا هو عمل دنيوي محض بل يجمعون فيه بين عبادات يأتون بها أو ببعضها على وجه غير مشروع ، وبين لعب ولهو بعضه مباح وبعضه محظور ، وقد كان يكون في احتفال القاهرة خيام يرقص فيها النساء المتهتكات مكشوفات الصدور والبطون كما يحصل دائماً في غيره من احتفالات الموالد - كالمولد الحسيني والمولد البدوي - وما هو شر من ذلك ، ولكن قد أبطل هذا كله من الاحتفال الذي يكون في القاهرة والله المجد .

وقد حاول من ذكرنا من العلماء تخريبه على أصل شرعي بإبطال ما يكون فيه من اللغو والاختصار فيه على عمل الخبر ، ولولا تخصيص تلك العبادة بالزمان والمكان والصفات المخصوصة التي تشبه بها الشعائر والعبادات المشروعة وتلتبس بها لما احتيج في تخريبه الى ما تكلفوه .

وأما اجتماع الناس في مثل القباب والحمام التي تنصب في العباسية ، وتزين بالمصابيح والأنوار الكهربائية ، وإظهار البهجة والسرور ، بذكري مولد ذي الضياء المعنوي والنور ، وذكر إخراج الله الخلق بهديه من الظلمات ، وما آتاه من الهدى والآيات ، فهو في نفسه من المباحات ، المقررة بالاستحباب والمندوبات ، بشرط أن يخلو من البدع والمنكرات ، وأن لا يمد من الشعائر الدينية ولا من العبادات ، فإذا كان بحيث يظن العامة أنه مطلوب شرعا ، حرم فعله قطعا ، بل كان بعض الصحابة يتركون بعض السنوات ، لئلا تظن العامة أنها من الواجبات ، ومن هنا صرح الشاطبي في الاعتصام ^(١) بكون اتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عيداً من البدع . وأقوى ابن حجر المكي بأن القيام عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم بدعة وذكر أن الناس يفعلونه تعظيما وقال : فالعوام معذورون لذلك بخلاف الخواص ^(٢) وقد طلل فتواه بأن القيام يوم العامة أنه مندوب ، ويزاد عليه أن بعضهم يظن أنه واجب ، وقد يطل أيضا بأنه يصل هيئة العبادة لا يكون من الصلاة المخصوصة المعنية بالبدد في أثناءه . ولكن لم يأخذ أحد بهذه الفتوى ، فما زال العلماء يقومون كغيرهم ولم يزلهم رد الفتوى بدليل أرجح من دليلها ، وأمل أكثر العوام يستفدون وجوب هذا القيام لا التزام العلماء وسائر الناس له ، ولو فطنوا ترك أحد له لمدوه فاسقا متهاونا بالدين أو كافرا مارقا منه ، ولما لم لو اقترحت على جماعة العلماء الذين يحضرون قراءة قصة المولد تركه في بعض الاوقات ليعلم العامة أنه غير واجب لما تجروا على ذلك . والحق أن قصد التعظيم هو الذي زين للعوام والخواص أمثال هذه البدع . فإن من طباع البشر أن يبالغوا في مظاهر تعظيم أئمة الدين أو الدنيا في طور ضعفهم في أمر الدين أو الدنيا . لأن هذا التعظيم لا مشقة فيه على

(١) ص ٣٤ من الجزء الأول (٢) ص ٦٠ الفتاوى الحديثة له

النفس فيجعلونه بدلاً مما يجب عليهم من الاعمال الشاقة التي يقوم بها أمر الدين أو الدنيا وإنما التعظيم الحقيقي بطاعة المعظم والنصح له والقيام بالاعمال التي يقوم بها أمره ويمتد دينه ان كان رسولا، وماكده ان كان ملكا. وقد كان السلف الصالح أشد ممن بعدهم تعظيما للنبي (ص) ثم للخلفاء، وناهيك بذلك أموالهم وأفسهم في هذه السبيل، ولكنهم دون أهل هذه القرون التي ضاع فيها الدين في مظاهر التعظيم البشري. ولا شك ان الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم أحق الخلق بكل تعظيم، وليس من التعظيم الحق له ان نبتدع في دينه بزيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل لاجل تعظيمه به، وحسن النية لا يبيح الابتداع في الدين فقد كان جل ما أحدث أهل الملل قلنا من التغيير في دينهم عن حسن نية، وما زالوا يبتدعون بقصد التعظيم وبحسن النية حتى صارت أديانهم غير ما جاءت به رسالهم، ولونتاهل سلفنا الصالح كما تساهلوا وكما تساهل خلفنا الذين اتبعوا سننهم شبرا بشبر وذراعا بذراع إضاع أصل ديننا إضاعة ولكن السلف الصالح حفظوا لنا الأصل فالواجب علينا أن نرجع اليه ونفرض عليه بانواجزه، ويجب على العلماء ان يبينوا للناس الاحداث والبدع مخبرين منها، كما يجب عليهم ان يبينوا لهم القرائض والسنن مرغبتين فيها، والبيان يحصل بالقول والفعل والاقرار والترك كما ان التشريع حصل بذلك فقد كان (ص) يترك بعض سنته لئلا تفرض قال الامام الشافعي في الاعتصام^(١): وقد ثبت في الاصول ان العالم في الناس قائم مقام النبي صلى الله عليه وسلم، والعلماء ورثة الانبياء، فكما ان النبي صلى الله عليه وسلم يدل على الاحكام بقوله وفعله واقراءه كذلك وارثه يدل على الاحكام بقوله وفعله واقراءه، واعتبر ذلك ببعض ما أحدث في المساجد من الامور المنهي عنها فلم ينكرها العلماء أو عملوا بها فصار تدهننا ومشروعات كز يادهم مع الاذان « أصبح لله الحمد » الخ وقد أطلت في هذه المسألة وبين مفاسد السكوت قبل هذه العبارة وبعدها ولا سيما عمل « الخواص من الناس بالبدعة عموما وبخاصة العلماء خصوصا » وذكر في هذا السياق ان علماء الصحابة كانوا يتركون بعض السنن لئلا يظن الناس انها واجبة، ومن ذلك ان أبا بكر وعمر وابن عباس تركوا التضحية في عيد النحر لئلا يظن الناس انها واجبة^(٢) — على

ان بعض النفاة . بعدمهم قال بوجوبها - وتقل عن الامام مالك انه قال في الموطأ في صيام ستة أيام بعد الفطر من رمضان انه لم ير أحدا من أهل العلم وافقه بصومها - قال - ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف وان أهل العلم يكرهون ذلك ويحذرون بدعته وان يلحق أهل الجهالة والجفاء بـ رمضان ما ليس منه لو رأوا رخصة من أهل العلم ورأوه يقولون ذلك اهـ وقد كان الامام مالك يعرف الحديث في عيائها وكلاهما يدل على ذلك كما قال الشاطبي ولكن منذ ذرائع البدع قضى ترك هذا المستحب ، ومالك من أشد الائمة تشديدا في ذلك . ومما نقله عنه الشاطبي وغيره قوله : « من أحدث في هذه الامة شيئا لم يكن عليه سلفنا فقد زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لان الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا اهـ (١) وقوله عندما سئل عن القراءة في المساجد « لم يكن بالأمر القديم وإنما هو شيء أحدث ولم يأت آخر هذه الامة بأحدى مما كان عليه أولا ، والقرآن حسن » اهـ (٢)

وجلة القول ان خطط العبادات الدينية باحتنالات لزينة واللغو وحمل ذلك عملا واحدا من باعث ديني هو الذي يجعل مجموع تلك الاعمال من قبيل الشعائر الدينية ويوهم العوام ان تلك العادات - وكذا العبادات المبتدعة في هيتها وتوقيتها وعدها - من أمور الدين المشروعة بهذه الصفة ندبا أو وجوبا كما قال الفقيه ابن حجر في مسألة القيام عند ذكر ولادته عليه أفضل الصلاة والسلام وما يكون فيه من الصلاة المخصوصة كما قلنا وأما قراءة قصة المولد فهي عبارة عن قراءة شيء من الحديث والسيرة النبوية كما قال السيوطي ، ولكن كثيرا من الناس كتبوا (مولد) حشوها بالأحاديث الموضوعة والمنكرة وفي بعضها وصف النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يليق كالنخل بجعله . وكانت منذ سنين أغنى لو يوجد بين أيدي الناس رسائل في هذا الموضوع يتحرى فيها الصحيح المفيد ، عسى أن يستبدل بها بعض ذلك الضار السيئ التأثير ، بيد أنني كنت أنحامي أن أكتب في ذلك شيئا باسم المولد لئلا أكون محدثا أو مساعدا أو مقرا لما لم يفعله السلف الصالح

ثم كان أن دعاني في غرة ربيع الأول من عام ١٣٣٤ شيخ مشايخ طرق الصوفية بمصر السيد عبد الحميد البكري^(١) إلى مأدبة أهداها في داره وسماع قصة المولد بعدها فأجبت الدعوة، وتوصلت بها إلى تنفيذ تلك الفكرة، إذ كنت هللت من أحاديث جرت بيني وبينه أنه من محبي الإصلاح لطرق الصوفية وغيرها، وهناك كله في قصص الموالد المشهورة وجوب تغييرها فاستحسن ذلك، فقلت له أرايت إذا كتبت شيئاً في هذا الموضوع أقسبدهل بما قرأ عندك في الاحتفال الرسمي وغيره؟ قال نعم. فانتشرت هذه الفرصة لبيان الحق في هذه المسألة شكلاً وموضوعاً ثم شرعت في كتابة شيء من ذلك في ساعات المساء من النهار فأتممت في بضعة أيام متفرقة لم تتم أسبوعاً وكتبت أكثره في دار البكري وكنت أطلعه على ما أكتب فيسر به، ولكنه جاء طويلاً لا يمكن أن يقرأ في الحفلة الرسمية كله، فاختصرنا منه نسخة قرئت في الحفلة الرسمية فكانت موضع إعجاب أهل الفهم والدعاة من الوزراء والكبراء وغيرهم من أهل الروية ثم أطلع على ما كتبت كله بعض أهل العلم ومحبي الإصلاح فرغبوا إلي في طبعه ونشره، ورأوا أنه من أحسن ما ينشر في هذا العصر لبيان حقيقة دعوة الإسلام وكرامات الدين وخلاصة السيرة النبوية، فشرعت في طبعه وزدت فيه عند الطبع حديث البعثة وقصة الهجرة وما تلاها من الخاتمة ومسائل أخرى في أثناء الكلام. طبعته في المنار ثم جردته منه وطبعته على حديثه، وحذفت مما طبع في المنار جملة وجيزة اقتبستها من (رسالة التوحيد) وزدت مسائل أخرى قليلة. فكان فوق ما كنت أقدر وأتوخى في هذا المقام، الذي اعتيد فيه الاختصار، فجاء كتاباً وجيزاً حاولت خلاصة الحقائق المتفرقة في أسفار التاريخ والسيرة النبوية، وكتب التفسير والحديث والعقائد الإسلامية، مينا لكثرة الإسلام وحقائقه، وكرامات أحكامه وحكمته، بعبارة يسهل على الناس فهمها، ويتيسر لمريد الحفظ حفظها، وحروف مضبوطة بالحرث والاعتناء وأسجاع غير متكلفات، فهو جدير بأن يقرأ في البيوت وفي المحافل، وبأن يلقي لطلاب العلوم الدينية والدينية في المدارس، وإذا اكتفى سامعوه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكره فرادى ولم يرضوا أصواتهم بصيغة مخصوصة في

(١) بيت البكري من أشهر بيوت مصر يتبعون إلى الصديق (رض) ولقبهم الجور بلقب السيد كالسلفين

أوقات معينة لا يكون في قراءتهم ولا سماعهم له شبهة على الابتداع الحقيقي ولا الإضافي
طريقة اختصاره في القراءة

هذا - وإن لمن يقرأ على الناس في وقت ضيق أن يختصر منه بعض الفصول
كفصل الهجرة بطوله من منتصف الصفحة ٣٠ إلى فصل أخلاقه وسيرته (ص) في الصفحة
٣٦ ويمكن ترك هذا الفصل أيضا إلى الخاتمة في ص ٤١ وإذا كان المقروء عليهم
من المومنين فلا يرى أن يحذف مما يقرأ لهم بحث اصطفاؤه الله لقومه وقبيله وآل بيته
(ص) من أول الصفحة إلى نهاية ص ١٠ لأن هذا البحث لا يفهمه حق الفهم، إلا
للمواضع من أهل العلم، وما زال كثير من الناس يستشكل ما ورد في الحديث
الصحيح من اصطفاؤه الله تعالى كنانة وقرشا وبني هاشم، وحكمة جبل دين العلم
والمدنية، على لسان نبي أمي بحث في أمة أمية، ولم أر أحدا سبقني إلى بيان مزايا
العرب التي أعدهم الله بها لهذه المنحة العظيمة، والله الحمد والمنة (رب أوزعني أن
أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي
إني تبنت إليك وبني من المسلمين) وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وآله
ومحبه ومن تبهم في هديهم إلى يوم الدين . وكتب هذا في ٥ رمضان سنة ١٣٣٥

محمد رشيد رضا

أغلاط طبعية في الشكل ينبغي تصحيحها بالقلم

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢	٩	إربل	إربل	١٣	١٨	الثانية عشرة	الثانية عشرة
٦	١٥	وخرافات	وخرافات	٢٠	٨	الوحي	الوحي
٧	٣	كان يعد	يعد	٢٤	١٦	أقرب	أقرب

﴿ استدراك على الحواشي ﴾

شاعر الانصار صاحب الايات المذكور بعضها في قصة الهجرة هو أبو قيس صرمة
ابن أبي أنس كان قد تهرب وفارق الاوثان واغتسل من الجنابة وهم بالنصرانية
فلما جاء الاسلام اسلم وهو شيخ كبير وله شعر كثير وعاش نحواً من ١٢٠

المسألة العربية

(مقالة لتاريخ)

الاسلام والجنسية العربية . ابراهيم الخليل عربي . الاخوتان الدينية والجنسية . اتفاق الاسلام والجنسية العربية . مصلحة المسلمين وغيرهم من العرب في تجديد الدولة العربية واحدة . مصلحة المسلمين الاعاجم ورأهم في ذلك . استقلال لبنان لم تكن عبء في طلب العرب للاستقلال . لم يهض العرب للاستقلال في عهد عبد الحميد . اتهام الحديرو والانتكاز بالليل الى استقلال العرب . حال أمراء الجزيرة وزيدية اليمن وزعماء الولايات العربية في ذلك . الخلافة عند أهل الزيدية وأهل السنة . السبب الحقيقي لكون العرب وسكونهم هو الاسلام وأدوية . ازالة الاسلام تعصية الجنسية . اجماع العرب على المحافظة على الدولة . أسهم منها . استقلال الحجاز . اتفاق الحقاء على استقلال الشعوب أو تمويض أمر حكمها لليها .

إنني عربي مسلم أو مسلم عربي، فانا قرشي علوي، من ذرية محمد النبي العربي، الذي ينتهي نسبه الشريف الى اسماعيل بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام، وملكه الخليفة هي ملة جده ابراهيم، أساسها التوحيد الخالص واسلام الوجه لله تعالى وحده، (٢: ٢٩) ومن يرضب عن ملة ابراهيم الا من سغه نفسه — اقرأ الآيات الى قوله — ونحن له مسلمون) قاسلامي مقارن في التاريخ لمريني — وان من الناس من هو أقدم نسبا في الاسلام، ومن هو أقدم نسبا في العربية، ومن من عدا الاسماعيليين من متقدمي العرب ومتأخريهم، وأما الاسماعيليون منهم فتاريخ عريتهم واسلامهم واحد اذ كان أول أب لهم في العرب مسلما ؟ وقد يقال ان اسلامهم أقدم اذا كان ابراهيم (ص) غير معدود من العرب علي ما هو المشهور في كتب التاريخ من أن أول العرب المستعربة اسماعيل (ص) وكانهم عدوه كذلك لانه ولد في بلاد العرب ونشأ فيها فلم يكن له لسان غير اللسان العربي . ولكن التاريخ يثبت لنا ان أباه ابراهيم (ص) كان يتكلم باللغة العربية، كما يؤخذ من التاريخ العربي والتاريخ المستنبط من الآثار القديمة . أما مأخذ ذلك من التاريخ العربي فهو انه أقام في بلاد العرب زمنا أقام فيه الدين وبنى البيت العتيق الذي هو أقدم يتوضع لعبادة الله وحده في الارض، فن البديعي انه كان يعلمهم الدين بلسانهم وبخطابهم به، وأما مأخذ ذلك من (التار: ج ١) (٥) (المجلد المشرون)

الآثار القديمة المكتشفة في هذا العصر موضحة للتاريخ القديم فهي أن علماء الآثار ينشأ لنا أن مدينة الكلدان كانت عربية وان (حمورابي) الذي كان ملكهم وصاحب شريعتهم في عهد ابراهيم (ص) كان عربياً وقد اكتشفت شريعته في بلاد العراق منقوشة على عمود من الحجر الاصم فكانت باللغة العربية لذلك الزمان. وقد جاء في سفر التكوين أول أسفار العهد القديم عند أهل الكتاب ان حمورابي هذا كان في زمن ابراهيم ، وأنه كان يدعى ملك البلام وكان الله العليّ ؛ وأنه بارك ابراهيم وان ابراهيم أعطاه عشراً من كل شيء. (راجع تلك ١٤ : ١٨)

قلت إتي عربي مسلم . فأنا أخ في الدين لألوف الألوف من المسلمين من العرب وغير العرب ، وأخ في الجنس لألوف الألوف من العرب المسلمين وغير المسلمين . أما دليل الاخوة الدينية فتقوله تعالى (إنما المؤمنون اخوة) وأما دليل الاخوة الجنسية فالآيات المتعددة في سورة الاعراف والشعراء المصروفة بالانبياء المرسلين أخوة لأقوامهم المشركين ، ولما كان شبيب عليه السلام قد أرسل الى قومه أهل مدين وإلى أصحاب الايكة من غير قومه اختلف التعبير عنه فقد قال تعالى في سورة الاعراف (٧ : ٨٤) وإلى مدين أخاهم شيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيري) أي وأرسلنا الى مدين أخاهم في النسب شيبا الخ . وقال في سورة الشعراء (٢٦ : ١٧٦) كذب أصحاب الايكة المرسلين ١٧٧ اذ قل لم شبيب ألا تتقون ١٧٨ اتي لكم رسول أمين) ولم يقل أخوهم شبيب كما قال في عاد (أخوهم هود) وفي ثمود (أخوهم صالح) — مثلاً — لأنه لم يكن من جنسهم

واتي احمد الله عز وجل أن جعل مصلحة العرب السياسية في عصرنا موازنة لمصلحة المسلمين السياسية كما أيدته في هذه المقالة ، ولو تعارضتا لقدمت ما يوجهه علي ديني ، على ما تقتضيه مصلحة أبناء جنسي ، لاتي أرجو بديني سمادة الدنيا والآخرة ، وأنا موقن بذلك ، ولا أرجو بخدمة جنسي وحده الا الدنيا وحدها ، وما أنا على يقين من إدراكها ، على انني راض بما آتاني الله منها ، أما وقد اتحدنا بخدمة جنسي خدمة لديني ينفعني في الآخرة ان لم ينفعني في الدنيا ، وأنا مؤمن بهذا وان كان ينحى على كثير من اخواني المسلمين

مصلحة العرب والمسلمين في الدولة العربية

إنما مصلحة العرب السياسية ان يكون لهم دولة مستقلة ، وهذا أمر بديهي لا يختلف فيه عاقلان ، فالعرب أمة من أقدم أم الأرض وأعرقها في الاستقلال ، ذات مجد عظيم ، ومدينة عالية في التاريخ القديم والحديث ، ولغة ممتازة في لغات العلم والادب ، وشريعة هي أعدل الشرائع المنزلة للبشر ، وقد ضمنت هذه الأمة الكريمة وضعت مزاياها ولقيتها ، وأهل معظم شريعتها وكادت تفتي بنائها ، كل ذلك لعدم وجود دولة مستقلة لها ، إذ يستحيل أن ترتقي أمة غير دولة .

ان السود لاعظم من العرب يدينون دين الاسلام ولغة العربية هي لغة هذا الدين فلا تصح لمسلم عبادة بشير هذه اللغة ، فبالدولة العربية نجما لثة القرآن ، ونجما بحياتها شريعة الاسلام . فن البديهي اذاً ان يكون الخير كل الخير للمسلمين في هذه الدولة اذا وجدت ، وان عقلاء المسلمين من غير العرب يعلمون هذا ولكنهم يرونه الآن متعذرا أو متسرا ، ويخشون كما كان يخشى مسلو العرب ان يكون السعي له مفضيا الى إضفاف الدولة العثمانية التي لم يبق للمسلمين دولة غيرها فيكون مثل الساعين كمثل من له دار تركه فهدمها ليفني خبرا منها فمعجز عن البناء وأسى في العراء معرضا لما يجني على حياته ، ولكن جمعية الاغراض المفرودين (جمعية الاتحاد والترقي) ما زالت تهدم من آمال العرب في بقاء الدولة وفي كون بقائها خبراً للاسلام والمسلمين حتى دعيتهم بل دعيتهم^(١) الى طلب لاصلاح في المجلة ثم الى طنب اللامركزية ثم الى استقلال الحجاز ، ولا يعلم غير الله ما تكون عاقبة ذلك ، لان العالم كله في طور تغير واقلاب مجبول ، ولكل معلوم قطعا ان ما حصل في بلاد العرب هو نتيجة طبيعية لسيرة الاتحاديين لم يكن في استطاعة أحد دفعه كما يعلم ما يأتي

وأما غير المسلمين من العرب فهم الآن كالمسلمين ليس لهم دولة ، ولأن يكون لأبناء جنسهم دولة خير لهم من ان يكونوا تابعين لدولة أعجمية لا يشاركونها في النسب ولا في اللغة ولا في العادات والتقاليد ولا في الوطن الجغرافي^(٢) ولا في الدين ، ولا للدولة

(١) دعيتهم بتشديد العين دفعتهم بمنف

(٢) هذا الوصف احتراز من الوطن السياسي

أعجبية يشار كما بعضهم في الدين والمذهب أو في الدين دون المذهب دون سائر مقومات الام ومشتخصاتها وم يعلمون أن الدين أو المذهب لا يحملها على جماهم مساوين لابتناء جنسها ووطنها وان كانوا من غير أبناء دينها ومذهبها ، ولا يضرهم أن تكون العربية في هذه الدولة الاغلبية للمسلمين من أبناء جنسهم ، فان أفراد البشر وجمعياتهم يتألفون ويتعاونون على مصالحهم بكثرة ما يشتركون فيه من مقومات الام ومشتخصاتها ، وما يشترك فيه المسلمون وغيرهم من العرب من المقومات والشخصات كاللغة والعادات والآداب والمصالح والمرافق الوطنية أكثر مما يشترك فيه غير المسلمين من العرب مع الافرنج المواقفين لهم في الدين ، بله الترك المخالفين لهم حتى في الدين ، ودين الاسلام دين مساواة في الحقوق وحرية تامة في العقائد ، وقد ارتقى غير المسلمين في أرقى دول العرب الاسلامية مدنية الى أعلى المناصب ، حتى كان وزراهم وأطبائهم وزاحمون الخلفاء العباسيين بالمناكب ، واذا كان لغبر المسلمين أغلبية في بقعة من البلاد العربية (كجبل لبنان) فانه يمكنهم ان يكونوا مستقلين مع ارتباطهم واتحادهم بالملكة العربية فيها استقلالا اداريا واسما خيرا من الاستقلال الذي نالوه منذ نصف قرن

لوهض زعماء العرب الى السعي للاستقلال لما تعذر عليهم ارضاء اللبنانيين منهم بذلك وازالة جميع مافي البلاد من اسباب الخلاف. ولو تعذر عليهم ارضاء اللبنانيين في اوائل العهد بالسعي لما كان ذلك موجبا لتركه والياس منه . ولا اطيل في بيان هذا وكشف غواشي الاوهام عنه لأنه يخرج بي عن المقصد من هذا المقال ، واكتفي منه بتذكير الملم بتاريخ سورية الحديث بتلك الحركة العربية التي حدثت في سورية أيام كل مدحت باشا زعيم الترك الاكبر واليا عليها فانهم يتذكرون ان اللبنانيين كانوا في طلبية الماملين ، وبرهاننا على هذا قصيدتا اليازجي البائية والسينية لاجل هذا كان سكون العرب العثمانيين وسكوتهم في الاجيال الاخيرة التي تحركت فيها عصيات الاجناس وهبت لطلب الاستقلال مثارا لعجب من لم يعرف سبب ذلك السكون من القلاء .

اتهام الترك للعرب

كان الترك يتهمون العرب بالميل الى الاستقلال دونهم والسعي لذلك وانه

لا يمنعهم منه الا ضعفهم وعجزهم أمام قوة الترك . وقد ذكرت في مقالات (العرب والترك) التي كتبتها في الآستانة ونشرت في جرائدها ثم في المنار اني لا أهرق لهذه التهمة أصلا الا ما كان من اقترأ جوايس السلطان عبد الحميد وطلاب المنافع عنده أو استغلال أوعامه ، بل أقول ان هذه التهمة لم تكن معقولة في عهد السلطان عبد الحميد لان النهوض بأمر الاستقلال اما ان يكون من جانب الامة بما تتوسل به اليه من الجمعيات السياسية والعصائب المسلحة ، ولم تتصد الامة العربية لذلك البتة - وإما ان يكون من جانب الامراء المستقلين بالادارة في بعض الاقطار أو من دونهم من الزعماء أصحاب العصبة ، ولم يعلم ان أحدا من أمراء جزيرة العرب أو من الزعماء في الولايات العربية العثمانية كان مظنة أو موصفا لهذه التهمة اذ لا توجد شبهة يعتمد عليها في ذلك . الا ان المفسدين كانوا يتهمون خديو مصر عباس حلمي باشا بذلك فكان يسمح لهم لان مصر بلاد عربية غنية بالمال والرجال وقد تصدى رأس حكومتها الاخيرة (محمد علي باشا) لحرب الدولة العثمانية قهرها واستولى على سورية والحجاز وتوغل في الاناضول ولولا الدولة الانكليزية لاستولى على سائر مملكتها ، ولكن عباس حلمي باشا لم يكن ليطلع بمثل ما طمع به جده الاغلي ، بل ولا بمثل ما كان يطمح به جده الادنى (اسماعيل باشا) من الاستقلال السياسي بمصر والسودان فقط لكن الاحتلال الانكليزي الذي جعل السلطة الفعلية في مصر بيد انكلترة دونه ، ولهذا كان الموسوسون والجوايس يزعمون أنه على اتفاق مع الانكليز في هذا الامر ، وكان كثير من المصريين وغيرهم يصدق ذلك ، ومنهم من لم يرجع عن هذا التصديق الا بعد نشر كتاب (عباس حلمي الثاني) لورد كرومر اذ صرح فيه بأن حياة عباس مع الاحتلال كانت حياة خلاف وشقاق لا يرجي معه اتفاق .

ان المطلعين على الحقائق يعلمون علم اليقين ان عباس حلمي باشا ما كان يسعى لهذا الامر ولا يرجوه ، على انه كان يعلم انه لا سبيل له اليه لو تصدى له ، ويعلمون ان من سياسة انكلترة التقليدية بقاء ما لترك من السلطان والسيادة على بلاد العرب وترجيع ذلك على تأسيس دولة عربية جديدة ، وهي لم تمنح الى سياسة المعطف على العرب واعطاهار الميل لمساعدتهم على الاستقلال الا بعد وقوع الحرب بينها وبين الترك بمدق طويلة .

أما أمراء جزيرة العرب فقد كان كل منهم راضيا بحاله ولم يكن يخطر ببال أحد منهم أن يعتدي على الدولة فيها وراحدود امارته ولا أن يسعى لذلك بالاتحاد مع غيره كما أنه لم يكن يسهي على أحد منهم أن يعتدي الدولة على استقلاله أو تحدث في بلاده حدثا ما، لما استقر في أنفسهم من حرية الاستقلال الموروثة في الامة العربية مع عدم ثقة أحد منهم بأن الدولة تقيم شرع الله في بلادهم ، على ان للزيدية دولة أقدم من الدولة العمانية مازالت تنصب الأئمة من قریش عليها ويعتقدون ان الترك من بغاة الطواغ على الامام الحق، وأهون اعتقاد سائر عرب الجزيرة في حكام الترك انهم ظلمة فسقة مبغضون للعرب . ولكنهم مع ذلك يحبون بقاء الدولة ويتمنون لها القوة والمظلة لاجل حد الافرنج عن البلاد الاسلامية . وقد كان رجال الدولة في العهد الاخير يعتقدون أن الشيخ مبارك الصباح من أشد العرب عداوة للدولة ولكني لما لقيته سنة ١٣٣٠ منصرفي من الهند أخبرني بما اتقه من عدوان الدولة عليه وتصديها لنفيه من الكويت وان انكسرة منعتها من ذلك بدون طلب منه وأنه مع ذلك محافظ على نسبه اليها ورافع لعلها بلخياريه ولو شاء لاستبدل به غيره، ومن كلامه في الترك والعرب « نحبهم ولا يحبونا »

وأما كبراء العرب في ولايات سورية والعراق من العلماء والوجهاء فقد كانوا أشد تعصبا لترك من الترك أنفسهم حتى كانوا يفضلونهم على العرب ويسترون ما يعرفون من سيئاتهم ، ويكبرون الصغير من حسناتهم ، بل يذكرون لهم فضائل ومناقب لا يعرف لها أصل، منها انهم يعدون بعض ملوكهم من الاولياء ومؤرخو الترك يعدونهم من الفساق. وما كانوا يذيعونه بين العامة أن الشيخ محيي الدين بن العربي والشيخ عبد النبي النابلسي قد علما بالكشف أن ملكهم يقى الى قيام الساعة .

تلك حال كبراء البلاد وخاصتها والامة تبم لهم ، لم يسمع لاحد منهم نأية ظاهرة ولا دعوة خفية الى عداوة الترك أو القيام عليهم أو الاستعداد لتأسيس حكومة عربية تستقل في البلاد اللهم الا ما كان قد قيل من أن شيعة الماسون كانت تسمى لجعل الامير عبد القادر خديويا لسورية، وما قيل في عهد ولاية مدحت باشا على سورية من انه كان هو الذي يسعى لجمع كلمة المسلمين وغيرهم للاتفاق على

قصيدنا الشيخ ابراهيم اليازجي السنية والبائية (راجع ص ٨٣١ م ١٢)

الجواسيس الى السلطان

[illegible]

من الاجتناس الذين تتألف منهم المملكة العثمانية انهم فازوا بما جاهدوا في سبيله الى أن قلب لهم المتعاقبون على جمعية الاتحاد وعلى الدولة ظهور الحزن وأوقعهم في هوة اليأس من الدولة

السبب الصحيح

تبين مما شرحناه من الحقائق أن عدم تصدي العرب لانشاء دولة جديدة لم يكن سببه الخوف من قوة الدولة كما كان يتوهم الترك فان العرب أقوى من اليونان والبلغار وغيرهما من الشعوب التي انفصلت من السلطنة العثمانية وصارت دولا مستقلة، ولم يكن سببه تفرق العرب وتعدد اقطاع امراهم وزعمائهم كما يتوهم الكثيرون منهم ومن غيرهم فلو وجد هذا القصد لكان هو الجامع لهم ، ولا الجبل الضارب بجرانه في البلاد العربية فان محمد على الكبير لما غزا الدولة وكاد يفتحها كلها لم يكن من علمه السياسة والاجتماع ولم يكن الشعب المصري على درجة عالية من العلوم والفنون التي تدفع الشعوب الى الفتح والاستعمار

وانما كان السبب الصحيح اسكونه العرب وسكونهم عنه طلب استقواءهم وتجديد دولتهم هو المعلوم وأورب

دين الاسلام وسياسة دول أوربة سببان مستقلان أو سبب واحد مركب لكل من جزئيه تأثير خاص في صرف العرب العثمانيين عن السعي للاستقلال ، ولعله لو افرد أي منهما لما صرفهم كلهم عن كل سعي واكتفاء لذلك

أما الاسلام فقد أزال من أنفس العرب عصبية الجنسية الا من غلبت عليهم البداوة فاتهم بما توارثوه من الغرائز والاخلاق لا يخضعون الا لسلطة رؤسائهم الذين من أبناء جنسهم بل من رؤساء عشائهم . وأما من غلبت عليهم الحضارة فما زالوا يأفنون سلطة الاعاجم من الملوك والساطين الذين يتولون أمرهم من قبل الخلفاء العباسيين ويحكمون بشريعتهم ويؤيدون اقتهم ويتركون لغاتهم اليها الى ان هان عليهم الخاضوع لسلطة الاعاجم المصيرين على أعجميتهم الذين لا يستمدون سلطتهم من خليفة قرشي عربي وهم الترك ، بل هان عليهم ادعاء هؤلاء الاعاجم للخلافة

النبوة ورضوا بذلك وأعلموا له لانه مع اشرافه على مجموعهم المتفرق من شاطئ القوة العسكرية، قد أطل على قلوبهم من سماء الفتاوى الشرعية، وتسرب الى أفكارهم من باب المصلحة الاسلامية، ذلك بأن أكثرهم من المنتمين الى مذاهب علماء السنة الذين يوجبون طاعة المتطلب بالقوة، وان لم يكن حائزا لغير الاسلام من شروط الخلافة الشرعية، ومنها النسب القرشي بإجماعهم، ومستندهم في ذلك رعاية المصلحة الراجحة وخوف الفتنة. على أنهم مختلفون في حد رعاية المصلحة حجة، أو داخله فيما ذكره للقياس من مساك العلة، ومختلفون في سد القرائن أيضا. ولا كانت الزيدية لا تقول بطاعة المتغلبين، ولا بمصلحة يتبع ترك اشراط النسب القرشي العلوي وشروط العلم الهيني في أئمة المسلمين، (أي الخلفاء) لم يخضعوا لسلطان الترك ولا دانوا لحكمهم، بل ظلوا ينصبون الأئمة الحائزين لشروط الشرعية في مذهبهم، ويقاثلون الترك الذين يعددون لفتح بلادهم، ولم تستطع الترك ان تغلب أئمة اليمن على أمرهم، بل صالحوا إمامهم الامام يحيى منذ سنين قليلة وأقرره على امامته في قومه ووطنه بعد أن حاربوه وحاربوا سلفه أربع مئة سنة، على ان الامامة لا تتجرا ولا تتعدد. والحق ان الباعث الاخير لاعتراف أكثر المسلمين بخلافة سلاطين الترك هو كونهم أمسا حصنا لبقية البلاد الاسلامية في وجه أوربة

وليس من غرضنا هنا أن نبحث في الخلافة وشروطها وإنما بمبحثا هذا تاريخي اذا ذكرت فيه مسألة شرعية فانما تذكر على سبيل الاستطراد مختصرة بقدر الضرورة، ولم تكن مسألة الخلافة من مواضع بحث طلاب الإصلاح من العرب في القرن الاخيرة خلافا لاهام الواهين التي أثارها في مخيلاتهم لفظ بعض الكتاب بها في عهد السلطان عبد الحميد لاجل استغلال وساوسه كما تقدم حتى صارت حكومته تمنع نشر كل كتاب من كتب الكلام والمقائد والحديث والتفسير تذكر في هذه المسألة. ومن أرى ذلك انه لما طبع كتاب المسيرة للكمال ابن الهمام وهو من أهم كتب المقائد عند الخفية وكثير الرواج في الآستانة اضطر طابعه بمصر ان يطبع منه نسخا حذف منها بحث الامامة (الخلافة) لاجل بيعها في الآستانة وسائر البلاد العثمانية. وصار بعض الجاهلين في مصر يظن أن ذكر الشروط الشرعية للخلافة ولا سيما شرط النسب القرشي لا يصدر الا من عدو

لدولة وللإسلام أيضا. على أن هذا الشرط مذكور في الكتب العربية والتركية التي طبعت في الآستانة قبل تشديد الحكومة الجديدة في مراقبة المطبوعات وقد ذكر في بعض الكتب المصرية التي طبعت بعد الدستور ومنها كتاب لاسماعيل حتي بك بايان الاتحاد الذي كان مدرسا في مكتب الحقوق وصار ناظرا للمعارف

تكوين الترك للمصيبة العربية

فهذا وجه صد الإسلام للعرب عن محاولة الاستقلال دون الترك . وقد قلت مرارا انه لا يقدر أحد على إعادة هذه المصيبة الى العرب أو أعادتهم اليها بعد ان أبدى الإسلام عنها الآستانة أو نحامل الترك عليهم يبعث المصيبة التركية. (١) وقد صدق الزمان هذا القول . واسى الأنحدون بمصيبتهم التركية واضطهادهم للعرب بناء المصيبة العربية أو أحيوها بعد موتها . فان هؤلاء الأنحديين قد غمرسوا برجالات العرب وشبابهم في الآستانة وغيرها فعلوا من أقوالهم وأفعالهم في دور الحكومة الرسمية ومدارسها وأندية الجمعية في البلاد العربية أن عزيمهم على تحريك الغرب كثيرهم بالقوة عزم ثابت لا يرجعون عنه وأنهم جازون بسهولة تحريك بلاد سورية والعراق في سنين معدودة وما يسر تحريكه الآن من جزيرة العرب يعد من المستعمرات يوضع له قانون خاص لإدارته ولا يكون لاهله مالماتر الممانين من الحقوق المنصوصة في القانون الاساسي . وقد أرسلوا طائفة من طلبة الترك الى أوربة لاجل درس قوانين الاستعمار

بهذا علم نبها . العرب أن أمتهم ولتتهم عرضة للزول من المملكة العمانية — ولا يجعل أحد ان الدين الاسلامي يقوى بقوة لفته العربية ويضعف بضعفها ولا تقول أكثر من ذلك -- فتوجمت قلوب كثير منهم لتدارك الخطب وألفوا بعض الجمعيات لذلك ورأى الذين يتحرون هدي الإسلام في أعمالهم أن ما كان مانعا من إحياء الجنسية العربية قد زال ونظفه المقتضي لأحيائها فقد كان المانع من ذلك انقاء الشقاق

(١) أذكر أنني كتبت هذا غير مرة في المنار ولكنني لا أذكر من مواضعها الا ما في ص ٢٥٢ و ٢٥٣ من المجلد الثالث عشر والبارة فيه تدل على أنها مسبوقه، والا ما في ص ٨٠ من المجلد التاسع عشر

بين العرب وتركهم وانقضاء ذلك الى زوال الدولة وسلبها الاجانب على بلادها وقد وقع ذلك من قبل الاتحاديين أي من قبل الدولة نفسها لانهما في قبضتهم فلا معنى لاحتوائها وقد حصل ، ونقله المتخفي لاجلاء هذه الجنسية وهو وجوب المحافظة على القومية العربية والامة العربية شرعا . ولكن هذا قد يحصل بما دون استقلال العرب بأنفسهم دون الترك ولأن كان حصولا ضيقا فلم يكن باعنا على السبي الى تأليف دولة عربية بل الى طلب اصلاح اضطرب في تحديده أفرادهم وجماعاتهم وكان حرب الامم مركزة أقصدها وأشدّها اعتدالا

وما كان يحق على أحد من هؤلاء أن مطالبهم ملقة بين الرجا والبأس وأن الملية إنما هي حيلة الاستقلال لانهما القومية ولا ترقى الامة بدونها ولكن دونها خطر التفتت اذ لا تحصل الاثيرة يصطدم بها الترك والعرب اصطداما يحشى أن يصف القرصين ويقتل بزوال الدولة وانقسام أوروبا لبلادها . ومن ذا الذي يقدم على حل هذه القضية القومية التي تتطوّر من حلها الجليل الروسي ؟ أميجل أحد من طلاب الإصلاح العرب أن عدم آخر سلطة اسلامية هما يكن سببه الحامل عليه لا يثبت السلمي اليه وانما هم في الامم مثل الملايين من المسلمين الى يوم الدين ؟ لهذا أجمع طلاب الإصلاح من العرب الذين يمتد برأيهم ، ويرى تأثير عملهم ، على ان لا يكونوا سببا لسلطة الدولة وزوالها . ولا يسعوا الى ضررها ولا الى انقضاءها ، وعلى أن يعملوا هم في اصلاح أنفسهم . وعلمة بلادهم ، مع التصح للدولة والاختلاس لها ، وطلب حقوقهم التي أوجبها لهم القانون الاساسي فيها ، ليرتقوا ويرتقوا بأنفسهم فلا يستلوا مع الدولة ن سقطت عروش الدولة وترقى بلوتاتهم ان بقيت وأن يكون جلّ سعيهم الى ذلك في مجلس الامة بواسطة مبعوثهم

ثم طرأ على بعضهم اليأس من بناء الدولة وقوي ذلك وكثر التفكير في مراقبه عند مطلب القاتنين الدولة في الحرب وكلكت دولة البطل التي تم لما استتلاها في عهد الدستور تشيلي على الآستانة ، وتحدثت جرائد أوروبا بحقوق بعض الدول الكبرى في بلاد الدولة ونص بالترك بعض الولايات العربية ، وطقن التفكير بتلجي بعضهم بعضا : ملجعات لما أقدمت دولة قوية على الاستيلاء على بلادنا استولت

إيطاليا على طرابلس الغرب وبرقة وليس فيها شيء من أسباب الدفاع ولا يمكن الدولة ولا مصر أن تساعدوا على مقاومة المحتلين كما ساعدتهما ،

صدعهم هذا اليأس بعد ان قوي رجاؤهم في الدولة بانتصار حزب الحرية والاتلاف على حزب الاتحاد والترقي وانتزاعه السلطة التنفيذية من يده ، ثم قوي ذلك اليأس واشتد بثورة الانحاديين على وزارة كامل باشا وقتلهم لناظر الحرية في الباب المالي وتأليف وزارة جديدة منهم بقوة الثورة ، ولولا ان زعماء العرب كانوا مجمعين على المحافظة على الدولة مهما تكن حلما ، لبادروا عند ذلك اليأس الشديد الى اضرام نار الثورة على الدولة والجهر بالاستقلال دونها ، لعلهم بأنه لم يبق عندها في ذلك الوقت سلاح ولا ذخيرة تدافع بهما عن عاصمتها ، فكيف تقدر على تجريد عسكري يحد زبران الثورة في البلاد البعيدة عنها ؟ ولكنهم لم يفعلوا ، ولم يكن الاسلام هو المانع لهم من التصدي لتأسيس دولة عربية وهم يائسون من بقاء الدولة التركية ومن اقامتها للاسلام ان بقيت والانحاديون هالبون على أمرها ، فان افتاء مذهبهم بوجوب طاعة المتطلب خوف الفتنة التي ترجح مفسدتها على المصلحة لم يعد ينطبق على حالتهم مع الدولة ، ولكن المانع الحقيقي هو الخوف من أوردية أن تنضم الفرصة وتستولي على البلاد فتبين بهذا ان ما كان يعد زعماء العرب من المسلمين من التصدي لتأسيس دولة عربية أمران : الاسلام والخوف من أوردية ، وكان الرجحان في بعض الاحوال للاول وفي بعضها للثاني ، ولكنهما كانا في عامة الاحوال والاوقات مائتا واحدا أو سببا واحدا مركبا من أمرين كل منهما يقوي الآخر

وبعد حرب البلقان أقدمت الحكومة الاتحادية على عقد الاتفاق بينها وبين الدول الكبرى على الاعتراف لمن بالنفوذ الاقتصادي في أعظم الولايات العربية ليعرضها عشرات الملايين من الجنيئات ، وصرح بعض كبار السياسيين في جرائد أوردية بأن مناطق النفوذ الاقتصادي تتحول الى مناطق نفوذ سياسي عند سنوح أول فرصة لذلك ، ثبت عند زعماء العرب ان الانحاديين شرعوا في تنفيذ ما هدوم به من بيم بلادهم وترقية الترك بشمها كما فعلوا ببيع طرابلس الغرب وبرقة ، فاشتدت همزتهم على طلب الإصلاح وعقدوا المؤتمر العربي في باريس لذلك فهدمت الحكومة

الاتحادية وطلأت الى الحيلة والحداد لضعفها في ذلك الوقت وكان من أمر نتيجة المؤتمر ما هو معلوم من اعتراف جمعية الاتحاد ثم حكومتها ببعض حقوق العرب في الدولة ووعدها باعطائهم تلك الحقوق بالتدريج وخذاعها لقسيد عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر وقصديته إياها بما وعدت به

الحرب الأوربية واستقلال الحجاز

ثم ظهرت بوادر الحرب الأوربية وعزم الدولة على الدخول فيها فبادرت الى كتابة مقالة فصحت فيها لاختوني العرب بالكف عن طلب لاصلاح في حال الحرب وتأيد دولتهم بالاجماع فكان لها تأثير عظيم. ولكن الاتحاديين لما دخلوا في الحرب وجعلوا الاحكام في الملكية عسكرية عرفية جعلوا ذلك وسيلة للتنكيل بالعرب والامر من حسب خطتهم المقررة منذ سنتين فصلوا في سورية جميع من عرفوا من الطالبين بالاصلاح من نابي العرب وغفوا من البلاد أرباب البيوت والبروة الكبيرة وصادروا أموال الناس وغلات أرضهم، وفعلوا مثل ذلك في العراق، ثم تحرشوا بالحجاز، فبادر الشريف أمير مكة المكرمة الى اعلان استقلال الحجاز بعد النصح لجمال باشا الحاكم العسكري الاتحادي المطلق في سورية والحكومة الأستنة بالكف عن الفطاع في سورية والعراق فلم يقبل نصحه، وانهى أمر الشريف باعتراف دول الحلفاء باستقلاله التام وبما يأمه به أهل البلاد من جعله ملكا عليهم

وقد نشر الشريف قبل المباشرة منشورا بين فيه سبب قيامه مع المجازيين بما قاموا به ففهمنا منه انه كان موافقا لما أجمع عليه من دونه من زعماء العرب من الرغبة في المحافظة على بقاء الدولة واتقاء ان يكون زوالها أو ضعفها من قبل العرب ، فان استقلال الحجاز الذي أنتجت الضرورات لا يمكن ان يكون سببا لزوال الدولة وهي داخلة في أحد الحالفين الذين انقسمت اليهما دول أوربة الكبرى . فان النصر لأحد الحالفين على الآخر كما يكون بانتصاره عليه في أوربة، واستقلال الحجاز لا يقدم في ذلك ولا يؤخر، ولكنه افاد العرب فوائد عظيمة فصلق عليه قولنا إما ان نغم نعمنا كبيرا أو صغبرنا واما ان لا يضر. وقد ثبت عندنا ان استقلال الحجاز كان سببا لكف الاتحاديين عن محاولة ابادة العرب من سورية والعراق الآن وتخفيف ما كانوا شرعوا

فيه من المذايغ والفظائيل وكان هذا من أجل منافسه التي تربي على ما تروى عليه من سفك الدم الذي اجتهدت الحكومة العربية المجازية في اجتباؤه بقدر الطاقة

عاقبة العرب استقلال الشعوب

ثم طرأ بعد استقلال الحجاز أن أعلن دول الاحلاف أنهم قد اتفقن على حرية الشعوب واستقلالها في أمر حكومتها وذكروا العرب والارمن منها. وهذه قاعدة عادلة عظيمة الشأن اذا نفذت على وجهها الصحيح وكانت الدول كلها متضامنة في حفظها بما يتعاهدن عليه في مؤتمر الصلح، وأولها بعضهم بمعنى أن لا يحكم شعب الا بالطريقة التي يختارها لنفسه، ولكن الوقوف على آراء الشعوب المغلوبة على حريتها متعذر في هذه الاوقات التي تخضع فيه للاحكام العسكرية، وقد علمنا من فر من سورية والعراق الى مصر والحجاز ومن أسراهم بمصر ان العداء بين العرب والترك قد عمه وكن فلامطمع في زواله. ولم يبق في العرب من لا يرغب في الاستقلال دون الترك. ومن البديهي انه لا يوجد شعب في الدنيا يختار على الحرية والاستقلال شيئا إذا تسرا له، ولكن يوجد في كل أمة أفراد من عبيد المال، ومن الجاهلين الذين يخدعون بزخرف الاقوال، فيمكن أن يستخدم من هؤلاء وأولئك بالترغيب والترهيب طائفة تقول ما تؤمر أن تقوله، ولا يمكن أن يكون اختيار هؤلاء للعبودية بتسميتها بغير اسمها حجة على الشعب، ولكن القوة تخرج على الضعف بما تشاء، وانما يعرف رأي الشعوب في بلاد الحضارة من قبل أحزابها السياسية، وليس للشعب العربي الصنائي حزب سياسي هام: لا (حزب اللامركزية) ويمكنه أن يبين رأي الشعب ان استطاع عزاءه أن يبروا عن آرائهم، وله جماعات موضعية خاصة كجمعية الاتحاد اللبناني بمصر وأمريكة والنهضة اللبنانية في أمريكة فهي تمثل آراء جمهور اللبنانيين. والدول اذا أخلصت في تنفيذ هذه القاعدة قررناها وعند ما يجتمع زعماء كل أمة تنال استقلالاً جديداً لتأسيس حكومتها العليا يعرف رأيهم في شكلها؟ ولا يعرف معرفة صحيحة بغير ذلك. فاذا انتهت الحرب بذلك كانت عاقبتها على البشر خير العواقب. والله الموفق

مسألة استقلال الشعوب

نشر المقدم في العدد الذي صدر منه في ٢٣ شبان (١٣ يونيو) مقالة عنوانها (الصلح الدائم وكيف ينال) قال فيها ما نصه :

وضعت روسيا الديمقراطية على بساط البحث مسألة الغرض من الحرب الحاضرة في أواسط الشهر الماضي فخلعت الدول المتحاربة على اعلان قصدها وغايتها، وحثت الامم الكبيرة والصغيرة على بسط آمالها وأمانيتها، وكانت روسيا أولى الدول التي أعلنت غايتها، من الحرب فقالت انها لا تتوخى ضم الاملاك وتفضي الغرامات الحربية، ون غرضها الاساسي الوحيد انما هو ابرم صلح وطيد لا وكان على أساس استقلال الامم الكبيرة والصغيرة وتحقيق آم لها القومية العادلة ونحوها حقاً من أقدس حقوقها وهو ان تحكم نفسها بنفسها وتختار شكل الحكومة التي تلائم أخلاقها وعاداتها . وقام المسوريو بعد ذلك فأعلن رغبة فرنسة في ابرم صلح عادل أساسه استقلال العناصر. ثم وقف في مجلس النواب الفرنسي وقتئذ التاريخ المشهورة فجاءه في جلسة ٤ يونيو الحالي بأن فرنسة لا ترمي من هذه الحرب الا الى استرجاع الاتزان واللورين اللتين سلختا عنها سنة ١٨٧١ رغم ادارة سكانهما ومنح الامم الكبيرة والصغيرة الاستقلال التام . ووافقت بريطانيا العظمى على قرار خليفتي العظيمنتين اذا كان مبدأ عدم ضم الاملاك وتفضي الغرامات الحربية يعني رد المسلوب والتعويض من الخسارة التي نزلت بالامم التي اهتدي عليها

وقد وافقنا روبرت أس بنس المذكورة الكبيرة الشأن التي أرسلها الى كتور ولسن رئيس الولايات المتحدة الى روسيا وبين فيها أغراض أمبركا من هذه الحرب فقال « انها لا تروم الربح المادي ولا التوسع ولا تقاتل لجر منم ولكن لتحرير الشعوب في كل مكان ومساعدتها على النهوض والارتقاء في ظل الاستقلال من غير تسلط منسلط عليها، وان المشاكل الحاضرة يجب ان تسوى طبقاً لمبدأ واضح جلي وهو انه لا يصح اجبار شعب من الشعوب على ان يعيش في ظل حكم لا يريد ولا إجراء تعديل في السكون الا في ما يؤدي الى توطيد أركان السلام وسعادة الامم فيصير

[الناشر: ج ١ م ٢٠] مذكورة أمريكة في الحرب . غرض روسية من الحرب ٤٩

الحاء البشر حينئذ حقيقة واضحة وقوة فعالة لصون الحياة من اعتداء المتبدين
وطمع الطامعين »

هذه غاية الولايات المتحدة من الحرب وذلك هو الفرض الوحيد الذي وضعه
الحلفاء . كلهم نصب عيونهم وأعلنوا غير مرة عزمهم الاكيد على الوصول اليه مهما
كلفهم الامر وبديهي أن الولايات المتحدة لم تخض غمار الحرب الحاضرة الا بعد
ما اتفقت مع الحلفاء على تحقيق هذا المبدأ الشريف العادل فان المسيو بريان رئيس
الوزارة الفرنسية سابقا أرسل اليها باسم الحلفاء جميعهم مذكرة مسبهة في ٣ ديسمبر
الماضي قال فيها أن للحرب الحاضرة ثلاثة أغراض (أولها) اعطاء الامم الكبيرة والصغيرة
حريةا واستقلالها (وثانيها) نيل التعويض من الخسارة التي نشأت عن اعتداء ألمانيا
الفظيخ (وثالثها) الحصول على ضمان واق لمنع وقوع الحرب في المستقبل
على هذا الاساس . تم الاتفاق بين الحلفاء والولايات المتحدة ومن أجل هذه
الغاية الشريفة فقط بذلت أمريكة رفاحية شعبها والاموال الطائلة التي كانت تنال
عليها من أوربة . فاجدها والفخر لرئيسها العظيم نصير الانسانية وحامل لواء الحرية
والعدل في العالم اه

وجاء في المقطم الذي صدر في ٢٤ شعبان (١٤ يونيو) مانصه :

خطة روسية

دعا وزير خارجية روسية مندوبي الصحف الى مقابلته وبسط لهم خطة روسية
الحاضرة وقال ما خلاصته :

ترمي روسية الجديدة الحرة الى ابرام الصلح العام في أقرب آن على أساس
تحرير الامم ونحويلها حق انتقاء شكل حكوماتها وعدم ضم الاملاك وتقاضي الغرامات
الحرية من الاعداء ، وهي توخي من مواصلة الحرب أمرين (أولها) الحصول على صلح
شريف يزيل الضغائن والاحقاد من بين الامم المتحاربة (وثانيها) استقلال الشعوب
استقلالاً تاماً وجعلها قوة عظيمة لصون الحرية ومنع اعتداء المعتدين في المستقبل .
ان الخطأ الذي ارتكب في حرب السبعين لا يجوز أن نرتكب مثله اليوم ، فسكان
الالزاس واللورين الذين صلخوا عن فرنسا رغم ارادتهم لم ينسوا وطنهم الاصلي الى
(الناشر: ج ١) (٧) (المجلد العشرون)

الآن وكانت مسائلهم من أهم اسباب الحرب الحاضرة لان الظلم لا ينسى مهاتمهم
عهده . لذلك نرى روسية الحرة أن تشيد الصلح المقبل على أساس العدل وحرية
الشعوب الكبيرة والصغيرة

لأننا ان المسك السابق ارتبط بمهادت سرية مع بعض الدول وأن هذه
المهادت أقلقت الديمقراطيين الروس لا اعتقادهم بأنها ترمي الى التوسيع وضع الاملاك
فألحوا على الحكومة الموقفة في نشرها في الحال خوفاً من وقوع الشقاق بين أحزاب الامة
ولكن هذا الطلب لا يتفق مع مصلحة روسية لانه يؤدي الى قطع صلاتها بمحلفاتها وكرهاها
على ابرام صلح منفرد مع علمنا أن الصلح الوحيد الذي يلائم مبادئها هو الصلح العام على
أساس استقلال الامم الكبيرة والصغيرة استقلالاً تاماً ، فالواجب على روسيا في هذه
الحال أن تنسى الماضي وتنظر الى المستقبل قطعاً بعد الاقلابات العظيمة التي طرأت
على الكون كالثورة الروسية ودخول الجمهورية الاميركية العظمى في الحرب . وهذه
الاقلابات ستؤثر أعظم تأثير في ديمقراطية الامم المتحالفة ولا سيما ان صلاحها يمثل
تلك الديمقراطية على أحسن مايرام . و ينبغي أن مهني الاساسية في وزارة الخارجية هي
التوفيق بين الديمقراطية الروسية وديمقراطية الامم الغربية على أساس يكفل السلم للعالم .
ولكن تحقيق هذه المهمة يتعذر علينا اذا أحجبتنا عن القيام بالجهود التي قطنناها للحلفائنا
أما مسألة ضم الاملاك فلا تخطر على بال أحد منا وليست المعارك التي نخوض
غمارها الآن الا معارك دفاعية ترمي الى طرد العدو من البلاد التي احتلها في روسية
والبليجك وفرنسة وسربية ورومانية ونيل الامم الكبيرة والصغيرة حريتها واستقلالها
هذا كل ما أستطيع أن أقول الآن عن غرض روسية والحطة التي تنهجها
لتحقيق آمالها وأمانها ، انتهى

وجاء في المقطم القدي صدر في يوم السبت ٨ : وجب (١٩ مايو)

غرض بريطانيا العظمى من الحرب

لندن في ١٧ مايو

ان الخطبة التي خطبها اللورد روبرت سسل في مجلس النواب في الليلة البارحة

قد هنا وفي سائر بلدان الحلفاء من أهم ما قيل في بيان غرض بريطانيا العظمى من الحرب

فتح المستر ستودن باب المقدمة ورد الورد روبرت سسل عليه فقال ان عبارة « عدم الفهم » راجت كثيراً وتناقضها الاقواء . ثم شرع بطرق أبواب هذا الموضوع باباً فباباً واستكمل البحث بذكر بلاد العرب فقال ليس في الدنيا رجل يشير علينا بأن نذل نفوذنا لرد بلاد العرب الى تحت سلطة الاتراك (هاف) ثم ان أعظم ضم لأرمينية بأوسع معنى السيادة والامبراطورية يفيد شعبها الذي على الولايات والنكبات بما اقترحه الاتراك بهمن الجرهم وما يقال عن أرمينية يقال مثله عن سورية وفلسطين

ثم انتقل الى الكلام عن مستعمرات ألمانيا في أفريقية فقال اننا لم نهجم على تلك المستعمرات لننقذ أهلها الاصليين من سوء الحكم ولكن نريدون ان نقدم الى ألمانيا بعد ما أنقذناهم منها ؟ فهتف المجلس لهتافاً شديداً لما قال: ان بذني يشعر اذا فكرنا في رد أولئك الوطنيين الى حكم الحكومة التي ارتكبت بهم ضروب القسوة وماذا أقول عن بولدا وهل فيكم من يعرض على إنشاء مملكة بولندية مستقلة . وماذا أقول عن الاتزاس والورين وهل من يقول (؟) ان ألمانيا بعد ما أخذت ولايتين من فرنسة لا يجب ان تردهما اليها (هاف) . وعندنا أيضا الولايات الإيطالية الداخلة في حكم النمسا هل توافق الحكومة البريطانية على عدم رد هذه الولايات الى ايطالية وسكانها من الايطاليين

ثم طرق الورد روبرت باباً آخر من أبواب الموضوع وأشار الى عبارة « عدم عقد الصلح مع آل هوهنزولرن » فقال ان في هذه العبارة كثيراً مما يستصوب وهي مقبولة عند عامة البريطانيين ولكن الفظة قد تفتني بعدم اتخاذها قاعدة لتبريف سياستنا الوطنية

قال وقد سمعنا البعض يقولون « لاغرامة حرية » فهل يراد ان لا تعطى البلجيك غرامة ؟ وماذا يكون نصيب سوريا وولايات فرنسة الشمالية ؟ وهل يسمنا ان تنفذي عن تعرض ما دمر من البواخر التجارية ؟ أما أنا فليست مستعداً للمواجهة على ذلك

وعقبه المستراسكويت فخطب خطبة كان لما وقع عظيم قال ان عبارة « عدم الضم » التي وردت في بعض التصريحات الروسية لم تفهم تماماً لعدم وجود مصمم واف لفئة السياسة الدولية ولكني لا أعتقد أن زعماء روسية وحكمتها المسؤولين استعملوها بغير المعنى القوي نسلم به نحن .

ولكن انضم البلدان أربعة ممان مختلفة يمكن استعمالها لها (فالمنى الاول) ان هذه الحرب اذا أريد ان تؤدي الى صلح وطيد الاركان فيجب ان تسفر عن ضم بعض البلدان لتحرير الشعوب الراسفة في قيود الظلم واغلال الاستبداد (هتاف) وهذا أمر مشروع والا فان الاغراض التي امنشتنا لاجلها الحسام في هذه الحرب لا تنال أو ينال جانب منها قط الا اذا قام الحلفاء حتى القيام بعمل هذا التحرير بضم البلدان (هتاف) قل وإني واثق ان رجال حكومة روسية الجديدة لا يمتنعون على ضم البلدان اذا كان هذا هو الغرض منه

(والمعنى الثاني) يسري على البلدان التي تمحوي جنسيات فصلت عن أصولها مثال ذلك بلاد الترينتينو نضمها (الى ايطالية) ضروري لراحة ضمير العالم المتحدين (هتاف)

ثالثاً (كذا) ان الضم قد يكون من الامور المطلوبة لثقل ملك أو أرض لاجل الاحتفاظ بمواقع حرية تكون ضرورية لا لهجوم بل للدفاع ووقاية البلاد من هجوم في المستقبل

ويبقى (الوجه الرابع) أي الضم يعني فتح البلدان للتوسع والتبسط للسود السياسي بالربح الاقتصادي وهذا أمر لا يلقى شيئاً من التأييد في البرلمان البريطاني ولا في بريطانيا العظمى ولا بين حلفائها (هتاف)

ومضى جلوسنا هذا الابهام قبل يتي .خلاف يتنا وبين أصدقائنا ديمقراطيي روسية على القواعد العامة التي يجب مراعاتها في الكلام عن الصلح ؟ أما أنا فلا أعتقد بوجود شيء من الفرق (اسموا اسموا) روتر

وجاء في المقطع القوي صدر في ٢١ رمضان (١٠ يوليو) ما نصه :

غاية الملقاة من الحرب

رد فرنسا وانكلترا على المذكرة الروسية

أرسلت الحكومة الروسية للوقت في شهر ابريل الماضي مذكرة خطيرة الشأن الى دول الملقاة . بسطت فيها غايتها من الحرب وأملت عليهم في اعلان أغراضهم الحقيقية منها . وقد نشرنا للمذكرة الروسية في حيت وروينا الآن أن نوافي القراء برد فرنسا وانكلترا عليها لا فيه من العلاقة على حسن نيات الملقاة . وسو مبادئهم ونيل مقاصدهم وهو الجواب الذي وصل الى بروغراد في أواخر شهر يونيو الماضي . قالت فرنسا في مذكرتها :

جواب فرنسا عن مذكرة روسية

« اطقت حكومة الجمهورية الفرنسية بارتياح عظيم على المذكرة التي سلمها اليها سفير روسية في باريس باسم الحكومة الموقرة وشاركتها في الثقة التامة بكل ما يتعلق بتحسين موارد روسية الاقتصادية وزيادة قوتها الحربية أو السياسية ثم رأت أن تعلن ما يأتي :

« ان فرنسا لم تفكر في استبعاد شعب من الشعوب حتى أعدائها الحاليين ، ولكنها تريد أن يزول الخطر الذي يهدد العالم وأن يعاقب المجرمون الذين أضرموا نار هذه الحرب المأثمة وكانوا عارا على أعدائنا أنفسهم ، وهي تترك لأعدائها مواطني السلم التي امتازوا بها في الحرب والسلم ولا تطلب من البلاد الا ما هو لها شرعا »
« قد فحبت مساعيها السليمة أدراج الرياح واضطرت الى امتشاق الحسام دقا عن حريتها واستقلالها ووعبة في اكرام العدو على احترام استقلال الامم . فكما ان روسية أعطت احياء مملكة بولندة القديمة المشبهة هكذا فرنسا تعمي بسرور عظيم كل المساعي الحرة التي تبذلها الامم للتسوية

« ولا ترمي فرنسا في هذه الحرب الا الى غاية واحدة وهي انتصار الحق والعدل سواء قامت الامم لاعلان استقلالها ووحدةها واعادة سالف مجدها ومدنيها أو لخلق نير العبودية من عاتقها وهو الذي كان يهدد جميع الامم التي لم تبلغ منيرة الجرمين من الارض . الظاهري

« ولا تطالب فرنسا لنفسها التحرير الولايتين الفرنسيين سلخناها بالقوة وهما الازناس والاورين ولكنها تحارب مع حلفائها الى النصر الذي يمنحهم حقوقهم واستقلالهم السياسي والاقتصادي ويمنحهم من الخسارة التي نزلت بهم ويكفل لهم منع كل اعتداء يقع عليهم في المستقبل

« وتعتقد حكومة الجمهورية اعتقاداً تاماً كاعتقاد الامة الروسية ان هذه المبادئ العادلة هي المبادئ الوحيدة التي يجب أن يضمها الحلق نصب عيونهم لابرار صلح دائم على أساس المبدأ والحق

« فعلى الحكومة الموقرة أن تثق ثقة تامة بمبادئ الحكومة الفرنسية وتعلم انها مستعدة للاتفاق معها ليس فقط على التدابير اللازمة لمواصلة الحرب بل على طرق الانتهاء منها أيضاً بشكل يتفق مع الغاية التي خضنا غمار الحرب من أجلها انتهى.

قرار مجلس نواب فرنسا

تم شغمت الحكومة الفرنسية هذه المذكرة بالقرار الخطير الشأن الذي أصدره مجلس نواب فرنسا في جلسته التاريخية في ٥ يونيو ونقلته البنا التلفزيونات المخصصة والمبوبة في حينه [الناشر وهذه ترجمته :]

باريس في ٥ يونيو

هذا نص قرار الثقة بالحكومة الذي وضعه مجلس النواب الفرنسي :-

ان مجلس النواب الذي يعبر رأساً عن سلطة الشعب الفرنسي يرسل الى الديمقراطية الروسية وسائر ديمقراطيات الحلفاء التحية والسلام

ان مجلس النواب يؤيد الاحتجاج الاجامعي الذي قدمه مندوبو الازناس والاورين الملوختين عن فرنسا الى الجمعية الوطنية في سنة ١٨٧١ ويجهز بأنه ينتظر ان هذه الحرب التي أكرهت ألماناً المحبة لفتح سائر بلدان أوربية على خوض غمارها لا تؤدي الى تحرير الولايات التي اكتسحها الالمان فقط بل الى رد الزانس والاورين الى وطنهما الاصلي وتمويض فرنسا مما أصابها من الضرر والخسارة

ان مجلس نواب فرنسا لا يفكر في فتح البلدان واخضاع شعوب أخرى ولكنه

ينتظر ان يؤدي جهاد جيوش الجمهورية الفرنسية وجيوش سلطاتها الى سحق البروغ
الصكري الروسي والحصول على ضمان وطيد لاستقلال الشعوب الكبيرة
والشعوب الصغيرة

والمجلس واثق بأن الحكومة تكفل احراز هذه النتائج بالتعاون العسكري
والسياسي مع حلفائنا — روتر
جواب انكلترة عن مذكرة روسيا

وأرسلت الحكومة البريطانية المذكرة التالية الى حكومة روسيا وهي : —
« تلقت الحكومة البريطانية المذكرة التي سلمها اليها معتمد روسيا في لندن
وتضمنت أخراض روسيا من الحرب الحاضرة
« وقد ورد في المنشور الذي أعلن على الشعب الروسي ووصل اليها مع المذكرة
أن روسيا لا تنوي سيادة الأمم الأخرى والاعتداء على أملاكها القومية واحتلال
بلادها بالقوة فالحكومة البريطانية تشارك الحكومة الموقفة في مبادئها وتعلن أنها لم
تخض غمار الحرب من أجل التوسع والفتح وإنما خاضت غمارها في بدء الأمر دفاعاً
عن كيانها ورغبة في إكراه المعتدين على احترام المعاهدات الدولية . أما الآن فقد
صار لها غاية أخرى وهي تحرير الأمم التي تئن من جور الاستبداد الاجنبي .
« وقد قابلت الحكومة البريطانية بسرور عظيم عزم روسيا على تحرير بولندا
التي تحت حكمها الاقراطية الروسية وبولندا التي تئن من جور الاستبداد الجرمانى
فالحكومة البريطانية تحيي روسيا وتنشئ لها النجاح في هذه المهمة من صميم قوادحها
« وبهذا قبل كل شئ . أن نجد طريقة حسنة لحل المشاكل الحاضرة فلا يكفل
للأمم سعادتها وهناءها ويستأصل جرائم الحروب المقبلة من العالم

« والحكومة البريطانية تنضم الى حلفائنا الروسين من صميم قوادحها وتقبل معهم
المبادئ السامية التي أعلنها الرئيس ولسن في خطبته الشهيرة في مجلس الأمة الاميركية
« هذه هي الغاية التي تحارب الأمم البريطانية من أجلها وتلك هي المبادئ
التي تسير عليها في سياستها التي لها صلة بالحرب

« وتعتقد الحكومة البريطانية ان الاتفاقات التي أبرمتها مع حلفائنا في الماضي

لا تناقض هذه المبادئ. ومع ذلك فانها تقبل أن تמיד النظر فيها اذا اشارت الحكومة الروسية ذلك وأن تعدل بعض موادها اذا اقتضت الحال ، انتهى

وجاء في المقطم الذي صدر في ١٨ رمضان (٧ يوليو)

(الحلفاء واستقلال الامم)

أرسلت الحكومة الروسية مذكرة الى دول الحلفاء بسطت فيها غايتها الحقيقية من الحرب وطلبت منهم أن تعرف الغاية التي يتوخونها هم أيضا فأجابتها فرنسا بمذكرة طويلة قالت فيها انها لا ترمي الا الى استرجاع الاراس والودين ومنع الامم الكبيرة والصغيرة استقلالها التام ثم شغفت هذه المذكرة بالقرار الذي أصدره مجلس نواب فرنسا في ٥ يونيو الماضي

وقالت انكلترة في ردها على المذكرة الروسية انها خاضت غمار هذه الحرب دفاعا عن كيانها ورغبة في اكراه الآخرين على احترام المعاهدات الدولية . أما اليوم فصارت ترمي الى غاية ثالثة وهي تحرير الامم التي تثن من جور الاستبداد الاجنبي فانكثروا في هذه الحال توافق على المبادئ السامية التي جاهر بها الدكتورولسن وأعلنتها الديمقراطية الروسية وهي مستعدة لاعادة النظر في المعاهدات التي أبرمتها مع روسيا وسائر حلفائها

وقد قابلت الصحف الروسية هاتين المذكرتين بارتياح عظيم اذا استثنينا الصحف الثورية والمتطرفة والداهية الى الصلح . فقالت جريدة نوفوروسيا ما خلاصته : - لا يمكننا ان نزيد حرقاً واحداً على جواب الحلفاء عن مذكرتنا فهو في غاية الوضوح في ما يتعلق بمخطة الفتح الذي يتهمهم أعداؤنا بها

وقد أعلن حلفاؤنا هاتيم الحقيقية من الحرب فاذا هي غاية روسيا وغاية اميركا حليمتنا الجديدة . انتهى

وقالت « البورس غازت » ان جواب الحلفاء أرضى روسيا الديمقراطية وأكد لها أن ديمقراطيات العالم كله متفقة على الدفاع عن استقلال الامم وسحق الاستبداد البروسي

﴿ استقلال البانيا ﴾

رومية في ٤ يونيو — صدر منشور في ارجيرو كسترو يوم ٣ يونيو باستقلال البانيا وتوحيدها كلها تحت حماية ايطاليا — روتر
رومية في ٤ يونيو

هذا بعض نص المنشور باعلان الحماية الايطالية على البانيا وهو بامضاء الجنرال فيرو:
« أيها الالبانيون انكم بهذا القرار سيعبر لكم معاهد حرة وجنود وعماك ومدارس يديرها أبناء قومكم ويتيسر لكم ان تدبروا أملاككم وتجنوا ثمرة ثبكم لانفسكم ولزيادة خير بلادكم وإسعادها

« أيها الالبانيون انكم أيما كنتم سواء في بلادكم الحرة الآن أو غارين في سواها من البلدان أو كنتم خاضعين لحكم أجنبي عتت عليكم بالمواعيد الكثيرة ولكنه في الحقيقة يسلبكم ويمالكم بالشدة أنتم سلافة جنس هريق نبيل تربطكم عدة قرون من التقاليد القديمة بمحضارة رومية والبندقية . انكم لا تجهلون اشتراك المصلحة بين الايطاليين والالبانيين في البحار التي تفصل بيننا والتي وحدت بيننا أيضا انكم لحسنو الثبة واليقين تعتقدون بحسن مصير وطنكم المحبوب فأتم تقفون الآن في ظل راية ايطاليا والبايا ونظفون عين الاخلاص الابدي لالبانيا المستقلة التي تنادي بها اليوم باسم ايطاليا وتتمنون بصداقة ايطاليا »

وقد تلي هذا المنشور على جمهور كبير من ألباني ارجيرو كسترو مقابلوه بالحفاة ونشرو في سواها من الجهات التي تحت ادارة الايطاليين والقي الطيارون نسخا منه في البلاد الواقعة وراء فوجوزا — روتر

(المثار) هذا وان البرقيات الباعة نقلت البنا أن روسية الحرة لم تعترف بهذا الاستقلال بل صرحت بأن مؤتمر الصالح هو الذي يفصل في أسرها
ومن تأمل أجوبة الحلفاء كلها رأى ان جواب فرنسا أبعدا عن مظاهر التأويل وأقربها الى مقصد المذكرة الروسية ، ولما كان المهود في السياسة ان يكون لكل كلام ظاهر وباطن وان يكون ظاهره محتسلا لتأويل كتب أحد كتاب فرنسا الاحرار (المسيو اولار) مقالة في الموضوع الذي نبعث فيه لخصتها جريدة المقطم في البدد الذي صدر منها يوم الجمعة ١٣ يوليو (٢٤ رمضان) بما يأتي :

غرض فرنسا من الحرب

من مقالة للمسيو اولار

انثا المسيو اولار الكاتب الفرنسي الشهير مقالة شائعة في جريدة « الباي » (الوطن) الباريسية بسط فيها غايه فرنسة من الحرب ولاغراض حقيقة التي نرمي اليها . والمسيو اولار من أعظم الكتب الفرنسيين وأشدهم تأثيرا في رأي العام وأكثرهم خبرة بشؤون الشرق الأدنى ولا سيما سورية التي زارها لآخر مرة سنة ١٩٠٧ وأسس فيها مدرسة بيروت العلمية ومدرسة دمشق للبنات . وهو استاذ التاريخ في جامعة السوربون وصاحب المؤلفات المديدة عن الثورة الفرنسية ومن زعماء الماسون والرئيس لا كبر للجمعية التحليم العلماني في فرنسا لذلك رأينا ان نلخص مقالته للقراء لما فيها من الدلالة على اغراض الامة الفرنسية من هذه الحرب وسبب مبادئها ونبل مقاصدها ورغبتها الاكيدة في مواصلة الحرب الى النصر قال :

« خاضت الولايات المتحدة غمار الحرب ودخلت الثورة الروسية في دور جديد في الاسابيع الاخيرة فأحدث ذلك تأثيرا عظيما في العالم ظهرت نتائجها الاولى في اقتشاع اليوم المتلبدة في جو سياسة الخلفاء

« وقد وقعت هذه الايام حوادث سياسية لما مغزى عظيم واضح فأعلن المسيو ريبو رئيس الوزارة الفرنسية في مجلس النواب بعد اتفاقه مع الحكومات التحالفية [انه لا يمكن ان تكون لنا خطة سرية غير الخطة الصريحة التي يعرضها العالم كله وان في التلاعب بالوجدان الوطني خطرا عظيما يؤدي الى أعظم التكبكات] فالمسيو ريبو انفس من نفسه هذه الجرأة الادبية التي حملته على هذا التصريح الخطير الشان بعد ما أبدت الديمقراطيات الاميركية والروسية آراءهما في الامر واعربنا عن عدم رضائهما عن السياسة السرية

« هذا واننا نرى من جهة أخرى ان الجنود الفرنسيين الذين يقاسون ضروب الشقاء ويريقون دماءهم الزكية في الخنادق دفاعا عن الوطن العزيز يريدون ان يعلموا الغاية الحقيقية التي يقاسون الشقاء ويقتحمون الاخطار للوصول اليها . لا مشاحة في انهم يعلمون ان غرضهم الوحيد من الحرب الحاضرة طرد العدو من البلاد التي

اجتاحتها وتحرير العناصر من رقة الاستعباد ولكنهم يخشون ان تكون هناك سياسة سرية وراءها مقاصد فتح ومطامع استثمار تحت ستار العدل والحق وان يتخذ ذلك حجة لتحقيق الاحلام القديعة التي مفتأها الفرور وغاياتها استبعاد الامم ان الفرنسيين قاطبة يحاربون الى النهاية من أجل فرنسا والالزاس والهورين ويريقون آخر قطعة من دمهم لا تقاذ البلجيك التاسعة من مغالب العدو ولكنهم لا يقبلون بوجه من الوجوه ان تكون غايتهم من الحرب فتح آسيا الصغرى وتحقيق مشروع استعماري بيد تخفيه الحكومات اه

[المثار] ان الذكي الفطن يفهم من هذا التلخيص ما وراءه فعسى ان تقضي هذه الحرب بما يحبه - مثلاً - هذا الكاتب الحر بتحقيق آمال المستضعفين وتحرير الشعوب أجمعين ،

الترك والعرب . وهل يكونان كالفنسة والمجر

نشر المقيم في ه شوال مقالة أرسلها اليه ابراهيم افندي التجار من باريس شرح فيها ما أحدثته الثورة الروسية ودخول الولايات المتحدة في الحرب من الروح الجديدة في سياسة العالم وأشار فيها الى ما بين قاعدة أحرار الزوس ومرامي الرئيس ولسون وبين تنفيذ فكرتهما من المعقات وذكر تأثير ذلك في الدولة العثمانية فقال ما نصه :
« وقد اتصل بي هذين اليومين خبر كبير الالهية اذا صدقت الرواية وصدق راويها وهو ان هذه الفكرة التي سبقت الاشارة اليها مشتمت شرقاً ووقفت في فروق (الآستان) ففكر أصحاب الحل والعقد فيها في انشاء السلطنة العثمانية على الاساس الثنائي من الترك والعرب كما قامت امبراطورية النمسا على اساس سلطة النموسيين والمجريين . وان الحكومة شارعة في تعديل القانون الاساسي على هذا المبدأ . قرأت هذا النطير الذي رواه لي بخيري في سويسرا ووقفت عنده وقفة الحائر في قضه وتصديقه . الاول لانه لا ينطبق على سياسة غلاة الترك العنصرية والله أعلم بما أعرف من خبايا نياتهم وبما يضررون . والثاني لان القوم ضاقوا ذرعاً في هذه الحرب وعلموا ان عاقبتها ستكون وبالاً عليهم وان نهايتها ستكون على حسابهم وعرفوا مبادئ الثورة

[illegible]

المجمع اللغوي المصري^{٢٦}

قد تم تأليف هذا للمجمع في دار الكتب السلطانية وهذا هو القانون الذي وضعه ليان أعماله الامرية وأظفتمه الداخلة

علاً بالمادة الثانية من القانون المتضمنة تأليف لجان لوضع مصطلح كل علم أو فن قد قرر المجمع في جلسته المتقدمة يوم أول يونيو سنة ١٩١٧ تأليف اللجان الآتية واقتضت فلا وهذه هي أسماؤها

- ١ لجنة الجغرافيا والتاريخ والآثار والملابس والاواني والملاحة والتجارة
 - ٢ لجنة الطب والعلوم الطبيعية عدا علم النبات
 - ٣ لجنة المنطق والفلسفة والعلوم الاجتماعية
 - ٤ لجنة الفقه والقانون
 - ٥ لجنة العلوم الرياضية والفنون الجميلة والصناعة والزراعة وغلم النبات
 - ٦ لجنة اصطلاحات الدواوين
- أما أعضاء المجمع فهم الآتية أسماؤهم وقد رتبنا بحسب الترتيب الابدعي بالحروف الاولى فيها

• هذا ما نشره كاتب سر المقيم في الصحف وقد بين المناوئب كيف هذا المقيم في الجبهة ١٩١

أحمد لطفي السيد بك مدير دار الكتب السلطانية كاتب السر والسيد محمد البلاوي وكيل دار الكتب مساعد كاتب السر وحضرات الشيخ أحمد إبراهيم والشيخ أحمد الاسكندري وأحمد براده بك وأحمد تيمور بك وصاحب السعادة أحمد زكي باشا وأحمد سليمان بك والدكتور أحمد عيسى بك وأحمد كمال بك وإسماعيل رأفت بك وحفي ناصف بك وعبد الحميد فتحي بك وعبد الحميد مصطفى بك وصاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن قرناعه وعثمان فهمي بك والدكتور فارس عمر ومحمد أمين واصف بك والشيخ محمد رشيد رضا والشيخ محمد شريف سليم ومحمد عاطف بركات بك والشيخ مصطفى العناني والدكتور يعقوب صروف وهذه صورة قانون المجمع

الفصل الاول — في غرض المجمع

المادة الاولى — غرض هذا المجمع خدمة اللغة العربية وخصوصاً وضع معجم واف بحاجة الزمن شامل اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات
المادة الثانية — يكلف المجمع لجائناً أو أفراداً جمع مصطلح كل علم أو فن أو عرفة ولكل لجنة أو فرد ان يطلب من المجمع ان يدهو الى الانضمام اليه من يرى دعويته من الاختصاصيين ويعرض ما تم من ذلك على المجمع لبحثه وقريره ما يراه واذا تم جزء صالح للنشر جاز نشره على حدة قبل اتمام المجمع

المادة الثالثة — للمجمع ان يزيد في اللغة للضرورة ويراعي في الزيادة دفع المخرج
المادة الرابعة — يستبدل بالكلمة العامية أو الالعجية التي لم تعرب من قبل قديراً من اللغة العربية للوضوح للدلالة على معناها فاذا لم يهتد المجمع الى كلمة عربية وضع كلمة عربية للدلالة عليها أو أقر الكلمة العامية أو عرب الكلمة الالعجية مع مراعاة المادة الثالثة
المادة الخامسة — يكون وضع الكلمات بطريق المجاز أو الاشتقاق أو التعت أو غير ذلك مما يقع انجماع على منه ويفضل الاخذ من الكلمات للمجورة قليلاً للاشتراك المستعمل
المادة السادسة — تذكر الكلمات من المعجم بمكانها القديمة ويضاف اليها

بسمائها في المعاني الجديدة التي يقرها المجمع وينبه على ما كان من وضع المعجم

الفصل الثاني — في أعضاء المجمع

المادة السابعة — يؤلف المجمع من ثمانية وعشرين عضواً منهم ثلاثة يعرف أحدهم

اللغة العبرية والثاني الفارسية والثالث السريانية زيادة على معرفة كل منهم لغة العربية
 المادة الثامنة - متى خلا مركز أحد الأعضاء فلكل عضوين أن يرشحا خلفاً
 وتعرض أسماء المرشحين ثم يدور عليهم الانتخاب على حسب المادة الثالثة عشرة
 ويشترط في قبول المرشح أن ينال انتخاب ثلثي الأعضاء الحاضرين على الأقل
 المادة التاسعة - للمجمع أن ينتخب أعضاء مراسلين بالطريقة التي ينتخب بها
 الأعضاء ويكون لهم حضور الجلسات وليس لهم أصوات في القرارات
 المادة العاشرة - من أمان المجمع من أعضائه المراسلين أو غيرهم إغانة لغوية
 يتدبها ذكر اسمه في ثبت واضي المجمع

الفصل الثالث - في إدارة أعمال المجمع

المادة الحادية عشرة - تقوم بالأعمال الادلوية للمجمع لجنة مؤلفة من الرئيس
 والوكيل وكاتب السر ومساعد
 المادة الثانية عشرة - ينتخب أعضاء اللجنة من بين أعضاء المجمع لمدة سنة.
 ويجوز إعادة انتخابهم

المادة الثالثة عشرة - يكون الانتخاب بالاقتراع السري وبالأغلبية المطلقة
 للأعضاء الحاضرين في جمعية عمومية يحضرها ثلثا الأعضاء على الأقل فان لم يحضر
 ثلثا الأعضاء تم الانتخاب في الجلسة التالية مهما كان عدد الأعضاء فيها
 المادة الرابعة عشرة - يدير الرئيس أعمال المجمع ويدعو لجانته ويقدم اليها
 موضوعات البحث ويهيئ على تنفيذ قرارات المجمع . وهو عضو بالقانون في كل
 لجنة من لجان المجمع يشترك مع أباها شاه
 المادة الخامسة عشرة - يقوم الوكيل مقام الرئيس عند غيابه في كل ماله من
 الحقوق وطلبه من الواجبات

المادة السادسة عشرة - على كاتب السر ومساعدته تحرير محاضر الجلسات
 وتسجيلها في سجل خاص بعد التصديق عليها وهما مكلفان بمراسلات المجمع
 وحفظ أوراقه ونشر أعماله التي يتردد نشرها

الفصل الرابع - في نظام الجلسات

المادة السابعة عشرة - - ينعقد المجمع مرتين في كل شهر على الأقل ويجتمع فوق العادة بناء على طلب يكتبه خمسة من أعضائه أو بناء على طلب الرئيس

المادة الثامنة عشرة - - يعين المجمع في شهر أكتوبر من كل سنة الأيام التي ينعقد فيها كل شهر إلى نهاية شهر مايو

المادة التاسعة عشرة - - إذا لم يستطع أحد الأعضاء حضور جلسة لرجب ان يعتذر وثلثي الاعتذارات عند افتتاح الجلسة

المادة العشرون - - كل عضو غاب أكثر من ست جلسات متوالية من غير عذر يقبله المجمع يعتبر مستقلاً ويستبدل به غيره بالانتخاب

المادة الحادية والعشرون - - في غير الأحوال المنصوص عليها يكون الاجتماع صحيحاً متى حضره ربع الأعضاء

المادة الثانية والعشرون - - للمجمع ان يستعين باختصاصيين يدعوم لحضور جلساته عند النظر في البحوث المتعلقة بمعارفهم الخاصة

المادة الثالثة والعشرون - - تعقد الجلسات برئاسة الرئيس أو الوكيل عند غيابه وإذا غاب كلاهما انعقدت الجلسة برئاسة أكبر الحاضرين سناً

المادة الرابعة والعشرون - - في غير الأحوال المنصوصة في القانون تكون قرارات المجمع بالأغلبية النسبية

المادة الخامسة والعشرون - - للمجمع ان يعيد المناقشة في قرار سابق إذا طلب ذلك ثمانية من الأعضاء

الفصل الخامس - أحكام تكميلية

المادة السادسة والعشرون - - لا يجوز تغيير مادة من هذا القانون إلا بطلب مكتوب يقدمه خمسة من الأعضاء مينة فيه أسباب التغيير يقرأ في المجمع ثم ينظر في لجاسة تالية ولا يكون التغيير صحيحاً إلا إذا اتفق عليه سبعة عشر عضواً

المادة السابعة والعشرون - - كل خلاف يقع في تفسير مادة من مواد القانون يعرض على المجمع اقرار بما يقع في ذلك

فَسْخُوكَ الْمُبْتَائِنِ

فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشترين خاصة، اذ لا يسهل الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بتأشاه من الألقاب ان شاء. وانما نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولئن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ فسخ عقد النكاح بالغيب في احد الزوجين ﴾

(س ٣) من صاحب الامضاء في الملاقاة بالشرقية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الى القائم بأمر ربه المتضد بحجة الله البالغة صاحب مجلة المنار

ارفعه مستفتيا فضيلتكم بعد حمد الله حق حمده والصلاة والسلام على خير عباده سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعه ونحبه الله وسلامه عليكم : أيها الاستاذ النبيل
السيد السند :

يا صاحب الفضيلة ينينا قرأ ما يتعلق بالمرء وزوجه من بقاء النكاح وفسخه في الكتب التي للائمة الثلاثة الشافعي ومالك وأبي حنيفة رضي الله عنهم : اذ رأينا فيها أنه ليس لاحد الزوجين أن يفسخ النكاح لعب بالآخر الا بالجنون والجزام والبرص ويسميا الاثمة ومن تبعم العيوب المشتركة فوقفنا في حصر العيوب المشتركة التي يفسخ بها النكاح في الثلاثة الآفة الله كرمع وجود ما يماثلها في الضرر بل ربما كان أشد وأولى مما ذكرنا بالفسخ كالل والزهرى وغيرها من الادواء المستحثة وبعد البحث والتقيب لم نمثر على قول لافي الكتب التي بأيدينا ولا بمن سألنا ممن يظن فيهم انهم لا يتقيدون بما تقع عليه أبصارهم من المنصوص فبشنا اليكم بتلك الرسالة مستفتين : هل تجري الادواء المستحثة مجرى ما نصوا عليه لمشاركها في (المنار: ج ٢) (١٣) (المجلد العشرون)

علة الحكم فتكون مقبلة عليه فيفسخ بها النكاح أو يقف الأمر عند حد المنصوص
وهنا تسأل أي فرق بيننا وبينه ؟ وإذا كان مانص عليه الفقهاء مأخوذاً من دليل
فأمر ؟ هذا ما نرجو أن نجيبوا عنه بفصل القول الذي نمده فيكم ويعده العقلاء
أجمع أمدهم الله بالعلم النافع وهدانا الله وإياكم إلى ما يوصلنا إلى مرضاته وسلوك
سبيله القويم أنه سمع قريب علم

أحمد عطية قوره من الملاقه

(ج) ليس في هذه المسألة نص صريح في الكتاب ولا في السنة الصحيحة
وحدّث زيد بن كعب بن عجرة الآتي فيه مقال وليس فيه تصريح بالفسخ لأجل
البرص . ولكن فيها آثاراً عن بعض الصحابة والتابعين مستندة إلى أصول الشريعة
الثابتة من منع الفسوخ وفي الضرر والضرار وحينئذ لا وجه لحصر العيوب فيما ورد
في تلك الآثار إذ لا دليل على الحصر وإن ورد عن بعضهم عبارة فيه فذلك العبارة
ليست بما يحتاج به من ذكرتم من الفقهاء كما يعلم من أصولهم ، ومذاهبهم ليست متفقة
كما ادعين . وقد حرر المسألة العلامة المحقق ابن القيم في كتابه زاد المعاد في فصل
مستقل قال :

﴿فصل﴾

في حكمه صلى الله عليه وسلم وخلفائه في أحد الزوجين يجد بصاحبه

برصاً أو جنوناً أو جذاماً أو يكون الزوج عتينا

في مسند أحمد من حديث يزيد بن كعب بن عجرة ^(١) رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة من بني غفار فلما دخل عليها فوضم ^(٢) ثوبه
وقعد على الفراش أبصر بكشمها يابضاً فأنماز ^(٣) عن الفراش ثم قال « خذي
عليك ثيابك » ولم يأخذ مما آتاها شيئاً . وفي الموطأ عن عمر رضي الله عنه : أنه قال
أبما امرأة غرت بها رجل بها جنون أو جذام أو برص فلما المهر بما أصاب منها وصدق

(١) كذا في نسخة الكتاب المطبوعة بمصر السكتية الفلوط وهو غلط سواءه زيد بن كعب
ابن عجرة كما في سنن سعيد بن منصور وقد شك في المسند فقال عن جيل بن زيد قال حدثني
رجل من الأنصار ذكر أنه كان له صحبة يقال له كعب بن زيد أو زيد بن كعب . ومثله عند ابن
عدي والبيهقي . ورواه الحاكم المستدرك من حديث كعب بن عجرة ولم يشك . وجيل بن زيد ضعيف
وقد اضطررت في هذا الحديث وقال الحافظ ابن حجر مجهول (٢) في النسخة المذكورة وضع (٣) وفيها فاما

الرجل على من غره^(١) وفي لفظ آخر قضى عمر رضي الله عنه في البراء والجذماء والمجنونة اذا دخل بها فرق بينهما والصدقات لها بمسبسة اياها وهو له على وليها . وفي سنن أبي داود من حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما طلق عديز يد أبو ركانة^(٢) زوجته أم ركانة ونكح امرأة من مزينة فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ما يعني عني الا كما تنفي هذه الشعرة لشعرة أخذتها من رأسها ففرق بيني وبينه ، فأخذت النبي صلى الله عليه وسلم حبة فذكر الحديث وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال له « طلقها ففعل قال «راجع امرأتك ام ركانة واخوتها » قال اني طلقها ثلاثا يا رسول الله قال « قد علمت راجعها » وتلا (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن امدتهن) ولا علة لهذا الحديث الا رواية ابن جريج له عن بعض بني أبي رافع وهو مجهول ولكن هو تابعي وابن جريج من الأئمة الثقات المدول ورواية المدل عن غيره تعديل له ما لم يعلم فيه جرح ، ولم يكن الكذب ظاهرا في التابعين ولا سيما التابعين من أهل المدينة ولا سيما موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما مثل هذه السنة التي اشتدت حاجة الناس اليها ، لا يظن بابن جريج انه حلها عن كذاب ولا عن غير ثقة عنده ولم يبين حاله

« وجاء التفريق بالعتة عن عمر وعثمان رضي الله عنهما وعبد الله ابن مسعود وسبرة بن جندب ومعاوية بن أبي سفيان والحريث بن عبد الله بن أبي ربيعة والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم لكن عمر وابن مسعود والمغيرة رضي الله عنهم أجلوه سنة وعثمان ومعاوية وسبرة رضي الله عنهم لم يؤجلوه والحريث بن عبد الله رضي الله عنه أجله عشرة أشهر . وذكر سعيد بن منصور حدثنا هشيم أنبأنا عبد الله ابن عوف عن ابن سيرين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بث رجلا على بعض السامية فتزوج امرأة وكان عقبا فقال له عمر رضي الله عنه : أعطتها انك عقيم قال لا . قال فانطلق فاعلمها ثم خبرها ، وأجل مجنوناسة فان أفاق والافرق بينه وبين امرأته « فاختلف الفقهاء في ذلك فقال داود وابن حزم ومن وافقهما لا يفسخ النكاح

(١) عزاه الحافظ ابن حجر في باوغ المرام الى سعيد بن منصور ومالك وابن أبي شيبة ثم قال ورجاله ثقات وروى محمد أيضا عن علي نحوه وزاد : وبها فرق فزوجها بالخيار فان سها فله المهر بما استحل من فرجها (وسياقي) (٢) في السنن زيادة واخوته أي وأبو اخوة ركانة

ببب البتة ، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لا يفسخ إلا بالجب والعنة خاصة ، وقال الشافعي وماك يفسخ بالجنون والبرص والجذام والقرن والجب والعنة خاصة . وزاد الإمام أحمد عليهما أن تكون المرأة فقاء منقوعة ما بين السيلين ، ولا صحابه في ثن الفرج والتم وأنخرق مجرى البول والمثي في الفرج والقروح السبالة فيه والبواسير والناسور والاستحاضة واستطلاق البول والنحو والخصي وهو قطع البيضتين والسل وهو سل البيضتين والوج . وهو رضها وكون أجدها خنى مشكلا والعيب الذي يصاحبه مثله من السيوب السبمة والعيب الحادث بعد العقد وجهان . وذهب بعض أصحاب الشافعي الى رد المرأة بكل عيب نرد به الجارية في البيع ، وأكثرهم لا يعرف هذا الوجه ولا مقلته ولا من قاله وعن حكاة أبو عاصم المباداني في كتاب طبقات أصحاب الشافعي ؛ وهذا القول هو القياس أو قول ابن حزم ومن واقته . وأما الاقتصاد هل عيين أوستة أو سبعة أو ثمانية دون ما هو أولى منها أو مساو لها فلا وجه له ، فالمرء والخرس والطرش وكونها مقطوعة اليدين أو الرجلين أو إحداهما أو كون الرجل كذلك من أعظم المفرات والسكوت عنه من أقيح التدليس والفش وهو مناف للدين ، والاطلاق إنما ينصرف الى السلامة فهو كالشروط عرفا وقد قال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لمن تزوج امرأة وهو لا يولد له أخبرها أنك حقيم وخبرها فإذا يقول رضي الله عنه في العيوب التي هذا عندها كمال بلا قص

«واقياس ان كل عيب يفر الزوج الآخر منه ولا يحصل به مقصود النكاح من الرحمة والمودة بوجب الخيار وهو أولى من البيع كما أن الشروط المشروطة في النكاح أولى بالوفاء من شروط البيع وما ألزم الله ورسوله من زورا قط ولا مقبولا بما فر به وفيه به . ومن تدبر مقاصد الشرع في مصادره وموارده وعدله وحكمته وما اشتمل عليه من المصالح لم يخف عليه رجحان هذا القول وقر به من قواعد الشريعة

«وقد روى يحيى بن سعيد الانصاري عن ابن المسيب رضي الله عنه قال قال عمر رضي الله عنه إنما امرأة تزوجت وبها جنون أو جذام أو برص فدخل بها ثم اطلع على ذلك فلها مهرها بمسيسة ايها وعلى الولي الصداق بما دلس كما غره . ورد هذا بأن ابن المسيب لم يسمع من عمر رضي الله عنه من باب المهذيان البارد المخالف

لإجماع أهل الحديث سنة، قال الامام أحمد اذا لم يقبل سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه فن يقبل: وأئمة الاسلام جمهورهم يحتجون بقول سعيد بن المسيب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فكيف بروايته عن عمر رضي الله عنه؟ وكان عبد الله ابن عمر رضي الله عنه يرسل الى سعيد يسأله عن قضايا عمر رضي الله عنه فيفتي بها، ولم يطمع أحد قط من أهل عصره ولا من بعدهم ممن له في الاسلام قول معتبر في رواية سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه ولا عبرة بغيرهم

«وروى الشعبي عن علي كرم الله وجهه: أيما امرأة نكحت وبها برص أو جنون أو جذام أو قرن فزوجها بالخيار ما لم يمسا إن شاء أمسك وإن شاء طلق وإن مسها فلها المهر بما استحل من فرجها. وقال وكيع عن مغيان الثوري عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب عن عمر رضي الله عنهم قال: اذا تزوجها برصاً أو عيماً فدخل بها فلها الصداق ويرجع به على من غره. وهذا يدل على ان عمر رضي الله عنه لم يذكر تلك العيوب المتقدمة على وجه الاختصاص والمحصرون ماعداها، وكذلك حكم قاضي الاسلام حقا الذي يضرب المثل بطله ودينه وحكمه شريح رضي الله عنه. قال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين رضي الله عنه: خاصم رجل الى شريح فقال ان هؤلاء قالوا لي إنا تزوجك أحسن الناس فجأني بامرأة عيماً، فقال شريح ان كان دلس لك بيب لم يجر. فأمل هذا القضاء وقوله ان كان دلس لك بيب كيف يقتضي ان كل عيب دلست به المرأة فلزوج الرد به.

«وقال الزهري رضي الله عنه برد النكاح من كل داء عضال. ومن تأمل فتاوى الصحابة والسلف علم انهم لم يخصوا الرد بيب دون عيب الا رواية رويت عن عمر رضي الله عنه لا ترد النساء الا من العيوب الاربعة الجنون والجذام والبرص والداء في الفرج، وهذه الرواية لا تعلم لما اسنادا أكثر من أصبغ وابن وهب عن عمر وعلي رضي الله عنهما وقد روي عن ابن عباس ذلك باسناد متصل ذكره مغيان عن عمرو ابن دينار عنه

« هذا كله اذا أطلق الزوج وأما اذا اشترط السلامة أو شرطت الجمال فبانت شوهاً، أو شرطها شابة حديثة السن فبانت عجوزاً شعثاء، أو شرطها بيضاء فبانت

سوداء، أو يكرها فبانت ثيباً، فله الفسخ في ذلك كله، فإن كان قبل الفسخ فلا مهر وإن كان بعده فلها المهر وهو غرم على وليها إن كان غرمه، وإن كانت هي الفارة سقط مهرها أو رجع عليها به إن كانت قبضته. ونص على هذا أحد في إحدى الروايتين عنه وهو أقيسها وأولاهما بأصوله فيها (إذا) كان الزوج هو المشرط بوقال أصحابه إذا شرطت فيه صفة فإن بخلافها فلا خيار لها إلا في شرط الحرية إذا بان عبداً فلها الخيار، وفي شرط النسب إذا بان بخلافه وجبان. والذي يقتضيه مذهب وقواعده أنه لا فرق بين اشتراطه واشتراطها بل أثبت الخيار لها إذا قامت ما اشترطت أولى لأنه لا يتمكن من المفارقة بالطلاق، فإذا جاز له الفسخ مع تمكن من الفراق بغيره فلا يجوز لها الفسخ مع عدم تمكنها أولى، وإذا جاز لها أن تفسخ إذا ظهر الزوج ذا صناعة دنيئة لانتشيت في دينه ولا في عرضه وأما تمنع كمال لفتها واستمتاعها به فإذا شرطته شاباً جليلاً صحيحاً فإن شيئاً مشوهاً أعمى أطرش أغرس أسود فكيف تتركه به وتمنع من الفسخ؟ هذا في غاية الامتناع والتاقيض والبعد عن القياس وقواعد الشرع وبالله التوفيق

«وكيف يمكن أحد الزوجين من الفسخ بقدر العدة من البرص ولا يمكن منه بالجرب المستحكم المتكهن وهو أشد إعداء من ذلك البرص اليسير وكذلك غيره من أنواع الماء المضال^(١) وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم حرم على البائع كتمان عيب سلته وحرم على من علمه أن يكتمه من المشتري فكيف بالعيوب في النكاح وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس حين استشارته في نكاح معاوية رضي الله عنه أو أبي جهم رضي الله عنه «أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه» فلم أن يان العيب في النكاح أولى وأوجب فكيف يكون كتمان وتدليس والفش المحرم به سبباً للزومه، وجعل ذا العيب غلاً لازماً في عقد صاحبه مع شدة فترته عنه ولا سيما مع شرط السلامة منه وشرط خلافه؟ وهذا مما يعلم يقيناً أن التصرفات (في) الشريعة وقواعدها وأحكامها تأباه والله أعلم

«وقد ذهب أبو محمد بن حزم إلى أن الزوج إذا شرط السلامة من العيوب

فوجد أي عيب كان فالكاح باطل ، من أصله غير منقذ ولا خيار له فيه ولا اجازة ولا نفقة ولا ميراث ، قال ان التي أدخلت عليه غير التي تزوج اذ السالة غير المعية بلا شك فإذا لم يتزوجها فلا زوجية بينها » اهـ

﴿ الاصرار على البدع ، وما يشترط في مكان الجمعة وزمانها وعدد جماعتها ﴾
(٤ - ٧) من الشيخ يوسف أحمد سليمان الطالب بمشيخة الاسكندرية .
من (طملاي) بمركز منوف
فضيلته الاستاذ مفتي التار

سأل عبد الرحمن أحمد الصميدي من طملاي عن حكم فعل البدع التي كثيرا ما نهينا أئمة البلد عنها والله الحمد فأجبت اجابة كافية شافية في الجزء التاسع الذي صدر في ٣٠ ربيع سنة ١٣٣٥ (صحيفة ٥٣٨) وعرضنا الجواب على علماء الناحية لافرق بين مدرسو في الازهر وغير مدرسو فقروه وفهموه ، وانعمنا العمل بما علموه فامتصوا وقالوا إن ترك العمل غير جائز والعمل بالبدع جائز وهو أحسن ! ولذا لم يتركوا حتى ولا واحدة بل زادوا الطبل والرايات أمام الجنازة اذا شخص منهم مات وعضوا عليها بالتواجد . وقد رأينا في كتاب فتاوى أئمة المسلمين للشيخ محمود صحيفة ٥ : سئل الشيخ أحمد الرفاعي عن الذي لم يرض سنة النبي في الصلاة أو الدفن فهل تصح الصلاة خلفه ويصح ان يحمل من عدد الجمعة ؟ فأجاب بأن الصلاة خلفه باطلة واذا جعل من عدد الجمعة بطلت صلاة الجمعة على جميع المسلمين . وسئل الشيخ سليم البشري عن رجل يقول بسلام جواز ترك البدع المجمع على بدعتها كالترقية الخ واذا قيل له سنة النبي صلى الله عليه وسلم ترك هذه الامور لا يقبل النصيحة وهذا الرجل امام راتب في مسجد فهل يصلون جماعة في المسجد قبله أو معه أو بعده ؟ فأجاب بأن هذا الامام مبتدع فلا يكون اماما للمسلمين وعليهم ان يجتهدوا في منعه من الامامة ولو بواسطة الافراد

فلي هذا

هل الشرع الذي شرعه لنا رسول الله يرى لنا رخصة في كوننا نصلي الجمعة

في الغيظ أو في البيت أو في المسجد بعدد أقله ثلاثة غير الامام الخاطب من وقت صلاة العيد الى الاصفرار هل ذلك يجوز أم لا وما هي التي تجزئ أشفنا بالجواب
رفض الملك الوهاب

الجواب في مسألة البدع

البدع منها ما يكون كفراً أو وسيلة الى الكفر ومنها ما هو حرام وما هو مكروه ،
وابس في البدع الشرعية شيء جائز كان يكون مباحاً ، لأنها لا تكون الا ضلالة
كما ورد في الحديث ، وقد صرح بهذا الفقيه ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثية
(ص ٢٠٦) وأما البدعة غير الشرعية فهي التي قالوا أنها تنقسم الى الاحكام
الحسنة كما بينه ابن حجر في ص ١١٢ من الفتاوى الحديثية أيضاً ولكنه أخطأ في
بعض الامثلة ، وعبر عن هذه البدعة بالبدعة اللغوية وقد فصل العلامة الشاطبي
هذا البحث تفصيلاً تاماً في كتابه الاعتصام ، وسبق لنا نقل كثير من فصوله . ولم
يلغنا قبل اليوم أن الجهل بلغ من أحد ينسب الى الاسلام مبلغاً حمله على القول بأن
العمل بالبدعة الشرعية جائز وأنه خبر من تركها . وما نقله السائل عن الشيخ أحمد
الرقاعي فيه مبالغة لانعرف لها وجها بذلك الاطلاق ، وما أتقى به الشيخ سلم
البشري حق ظاهر والشيخ أقدر من كل أحد في مصر على مقاومة البدع وابطال
كثير منها وذلك لا يكون بفتوى منه فانه يقل في هذا القطر من يترك شيئاً تعود
الفتوى عالم ، ولكن لدى الشيخ وسائل أخرى كل منها يؤثر مالا تؤثر الفتاوى
الفردية

يسهل على الشيخ وهو رئيس العلماء - أن يؤلف لجنة من كبار علماء المذاهب الاربعة
في الازهر ويأمرها باحصاء البدع المناشئة في المساجد والاشربة والمواالد وغيرها وتأليف
رسائل في التغيير عنها تطبع ويذكر فيها أسماء عشرات من العلماء الذين ألفوها
وأقروها ، وأن يهدى الى علماء جميع المآهد الدينية وطلابها بنشرها وقراءتها على الناس
في المساجد بنظام متبع ، وكذا في غير المساجد بشرط أن يكونوا أول العاملين
بها والمنكرين على كل من يخالفها ، ويمكن طبع الالف من هذه الرسائل على نفقة
الاقواف الخيرية المطلقة وتوزيمها بغير ممن - وأن يهدى الى بعض المثشين المجيدين

بانشاء خطب في ذلك توزعها وزارة الاوقاف على خطباء جميع المساجد لينخطبوا بها ، وأن يترح على الشراء المجيدين أن ينظموا ذلك في قصائد وموشحات تزرع الناس عن تلك البدع . ويسهل عليه أيضا أن يتوسل بالحكومة الى ابطال كثير من تلك البدع ولا سيما بدع المواسم والاحتفالات التي للحكومة يد فيها . ففسى الله أن يوفق الشيخ الى هذا العمل الذي لا يقدر عليه غيره فيكون ذخرا له عند الله تعالى وموجبا لثناء الناس كلهم بحق

الجواب عن مسألة المدد في الجمعة

اختلف العلماء في المدد الذي تمتد به الجمعة على خمسة عشر قولاً قلها الشوكاني عن الحافظ ابن حجر أضعفها القول بأنها تصح من الواحد فلا يشترط فيها عدد — وقد نقل الاجماع على خلافه — ثم القول بأنها لا تمتد بأقل من مئتين وهو أكثر ما قيل فيها . وأوسطها القول بأنها تصح من اثني عشر غير الامام وهو المدد الذي بقي مع النبي (ص) فجمع بهم حين انفض الناس الى التجارة وهم الذين نزل في شأنهم آخر سورة الجمعة ، فظاهر حديث جابر في المسألة عند أحد والشيخين انه صلى بهم وان لم يصرح بذلك وصح عند الطبراني وابن أبي حاتم أنه (ص) سألهم عن عدم فكانوا ١٢ رجلا وامرأة قلوا اعتبار المدد الذي لا يعرف الا بالمد دون مجرد النظر لم يسألهم وفيه ان ذلك لا ينفي صحتها بأقل من هذا المدد لان هذه واقعتين لا تدل على العموم وإنما وجه الاستدلال به أن يقال فيه ما قيل في خبر افتقادها بالاربعةين وهو ان الامة أجمعت على اشتراط المدد في الجمعة وقد ثبت جوازها بهذا المدد فلا يجوز بأقل منه ولا سيما في الابتداء لا بدليل ولم نر دليلا صحيحا لاحد من قالوا بانفتقادها بأقل من ذلك فأقول ما يقال فيه ان افتقادها بما دون هذا المدد مشكوك في صحته ولا يزيل هذا الشك قياسا على الجماعة الذي استدلل به من قال بافتقادها باثني أو ثلاثة مع الامام أو بدونه لانه معارض لما دل عليه سؤال النبي (ص) عن عدد من بقي يوم انفض الناس من حوله . ولان مخالفة الجمعة لتبهرها من الصلوات الخمس في بعض الاحكام قارق يبطل صحة القياس ، ولو كان صحيحا لما خفي على الصدر الاول ولم ينتقل عنهم التجميع بثلاثة ولا أربعة ولكن في الاربعة حديثنا لا يصح . هذا ما أراه أقوى (التارة: ٢٠ م ٢٠)

الاتوال في المسألة . وقال الجافظ عند ذكر القول الخامس عشر وهو اشترط جمع كثير بنير قيد : ولعل هذا الاخير أرجحها من حيث الدليل اه وفيه ان الاتي عشر اذا لم يكونوا جمعا كثيرا فا حد الكثرة عنده وهي من الامور النفسية وما الدليل عليها ؟
الجواب عن مسألة مكان الجمعة

اشترط بعض الفقهاء أن تقام الجمعة في مصر جامع أي مدينة ولم يميزوا بإقامتها في القرى بمكانها العرفي أي الضياع أي البلدات القليلة السكان . وروي ذلك عن علي كرم الله وجهه مرفوعا وموقوفا وقد ضعف أحمد ورفع وصحح ابن حزم وقفه وعليه زيد بن علي والباقر والمؤيد بالله من أئمة المعتز وأبو حنيفة وأصحابه . والجمهور يجهزون التجميع في القرى بالمعنى العرفي المذكور ومن حججهم ما رواه البخاري وأبو داود عن ابن عباس (رض) : أول جمعة جمعت بعد جمعة جعت في مسجد رسول الله (ص) في مسجد بجبواثي من البحرين — هذا لفظ البخاري ولفظ أبي داود : بجبواثي قرية من قرى البحرين . وزاد أيضا « في الاسلام » — بعد قوله : أول جمعت جمعت . قالوا وصلاة الجمعة في ذلك الوقت مما لا يضل الصحابة باجتهادهم بل بأمر النبي (ص) أي وإن فرض فلها باجتهادهم فلا يقتل أن يفتي عليه فإذا لا يكون إلا بأمره وهو الراجح أو باقراره اذ لو أنكره عليهم لتوفرت الدواعي على قتله . وكتب عمر الى أهل البحرين أن جمعوا جيشا كنتم وصحبه ابن خزيمة عنه . وروي عبد الرزاق عن ابن عمر باسناد صحيح انه كان يرى أهل المياه بين مكة والمدينة يجمعون فلا يفتي عليهم . أقول ولا حجة فيما هو آثار عن الصحابة مختلفة والقرية في حديث ابن عباس القدي في معنى المرفوع هي مصر . ويمكن الجمع بأنها تصح من أهل الضياع والمزارع ولا تجب عليهم بل على أهل المدن . ونص حديث علي المشار اليه آقا « لاجمة ولا تشريق الا في مصر جامع »

والقرية والمدينة والمصر والبلد تتوارد على معنى واحد في اللغة وإن كان بينها فروق دقيقة في موادها فقد أطلق في القرآن اسم القرية والبلد على مكة وهي أيضا مدينة ومصر بلا خلاف ، وأطلق اسم القرية في سورة يوسف على مصر (١٢ : ٨٢) وقال علماء اللغة : القرية — بالفتح والكسر — مصر الجامع . ولا ندرى متى جعل

المولودون لفظ القرية اسما للبلدة الصغيرة وفسر أهل اللغة المصر بالكورة والصنع ، والكورة بالمدينة ، وقالوا ان الكورة والخلاف والرساق والجند واحد ، وهو مجموع القرى والمزارع ، فكان مصر البلد القدي يقيمه عدة مزارع وضياح وهو كالبلندر في عرف مصر ، وقال الراغب للمصر اسم لكل بلد محصور أي محدود يقال مصرت مصرا — أي بنيت ، والمصر الحد . اه وقول البيث انه عندهم الكورة التي تقام فيها الحدود ويقسم النبي . والصدقات — من غير مواءاة الخليفة اصطلاح اسلامي واشترط بعض العلماء اقامة الجمعة في مسجد مستدلا بعمل الناس في الصدر الاول وما بعده ، والعمل وحده لا يمدونه دليلا ، وروى أهل السير انه (ص) صلى الجمعة بالناس في بطن الوادي قبل وصوله الى المدينة ، وصرح ابن القيم بأنه صلاها هناك في مسجد ، والجمهور لا يشترطون المسجد ، وثبت عن الصحابة اقامة الجمعة في مصلى العيد خارج البلد

الجواب عن مسألة وقت الجمعة

ورد في الاحاديث الصحيحة التصريح بان النبي (ص) كان يصلي الجمعة حين تحيل الشمس أي عند الزوال بأنهم كانوا يصلون معه ثم يرجعون الى القائلة فيقولون — روى المنين أحمد والبخاري من حديث أنس ، والقائلة الظهيرة أي منتصف النهار والقبيلولة وهي النوم في الظهيرة أو الاستراحة فيها وان لم يمت وفي حديث سهل بن سعد القدي اتفق عليه الجماعة : ما كنا نقبل ولا نتخدى الا بعد الجمعة . أي في عهد النبي (ص) كما صرح به في رواية مسلم والترمذي . وعن ابن قتيبة لا يسمى غداة ولا قائلة بعد الزوال ، وهناك احاديث أخرى بهذا المعنى أخذ بها الامام أحمد فقال بصحة الجمعة قبل الزوال وتكلف الجمهور تأويلها وذهب بعض أصحاب أحمد الى أن وقتها وقت العيد وبعضهم الى أنها لا تقدم على الساعة السادسة أي التي تنتهي بالزوال والجمهور منهم كثيرهم فالمرء في قههم ان وقتها وقت الظهر ولا دليل على صحتها في وقت العصر ، والتجميع قبل الزوال مختلف فيه وموجب للاقتراق والقيل والقيل بلا فائدة . فلا ينبغي الاقدام عليه

رحلة الحجاز^(*)

٤

السفر الى مكة المكرمة

في صبيحة يوم السبت سافر ركب المحمل المصري من جده قبل شروق الشمس وفي ضحوته سافرت الوالدة والشقيقة ومعهما الصديق الكريم الشيخ خالد النقشبندي والصهر المحيم محمد نجيب أفندي وقد استأجرنا لهم أربعة جمال بمجنيين اثنان للركوب واثنان لحمل المتاع (العفش) وأرسلت حكومة جدة معهم جنديان عرييان من جنود الشريف المهجاة للحضارة وزودهم صديقنا ومضيفنا الشيخ محمد نصيف بأنفس الزاد الكافي . وتأخرت عنهم لأنامام ما كنت بدأت به من كتابة نبذة من التفسير للمنار لأرسالها مع البريد من جدة مع كتابة مالا بد من كتابته الى مصر . ثم سافرت بعد صلاة العصر من هذا اليوم على حمار استأجرته بمئة قرش عينا في يوم أ كذا ظفر بهؤلاء مساعدة الاصدقاء لان المغاربة والمصريين قد سبقوا الى استئجار جسيم حمار البلد أو أكثرها . وسافر معي جنديان من هجانة العرب بأمر الحكومة لاجل التكريم لا الحفظ فاتها وثيقة بأمن الطريق، وركب معي الشيخ محمد نصيف والشيخ مساعد الباقي مدير الشرطة في جدة وبعض الاصدقاء مشيعين مودعين ثم عادوا عند غروب الشمس الى جدة وقد زودني الصديق المضيف بالزاد النفيس الكافي كما زود الاكل والصحب واختار لي شابا نشيطا من أهل جدة للخدمة في الطريق وأخذ الحمار في مكة وأدركنا في الطريق أحد الحجاج المصريين على حمار فراقنا .

العتاية بلمر الماء في السفر

• ولم أهتم لنفسي الا بملء إبريقي المعدني الذي يحفظ ما يودع فيه من بارد وحار زمانا طويلا بقطع الثلج وملء قربة من الماء النقي . ذلك بأني أغنى بأمر الماء ما لا أغنى بأمر الطعام ولا سيما في السفر ، ولا يشق عليّ قد شئ من طيبات الدنيا

(*) تأخر نشره بنجي تميم

التي اعتدتها الا الماء البارد النقي . وهذا الابريق من نوع الروايات الواردة أوعية الماء (لسفر) الافرنجية التي يسمون واحدها (ترموس) وأكثر هذا النوع عمودي الشكل وهو يحفظ ما يودع فيه من بارد وحار يوما وليلة بالتقريب، وأبريقي الذي ذكرت يخالفها في الشكل والجودة فهو نوع جيد يحفظ الثلج أو الجليد عدة أيام لا يذوب منه الا القليل وقد ملائته بالثلج مرة في طرابلس الشام وسافرت قاصدا مصر فبت في بيروت ليلتين وفي البحر ليلتين بعدها لم أحتج فيها اليه لاني أعدته لشرب الليل والماء الثلوج متيسر في الباخرة عامة النهار وناشئة الليل، وقد اتفق ان كان منزلي (القرعة) من الدرجة الاولى بجانب مستودع الماء الثلوج بالباخرة ، وفي ضحوة اليوم الخامس نزلنا في محجر الاسكندرية الصحي فمأهلت الابريق فاذا بالثلج فيه لم يذب الا بعضه . وقد كان هذا الابريق هدية من سلطان مسقط السابق السيد فيصل رحمه الله تعالى - ولم أر هذا النوع الا عنده أهدها الي عند سفري من مسقط سنة ١٣٣٠هـ اذ رأى أنني حين كنت في ضيافته لم أسأل عن شيء الا عن الماء الثلوج. وكان عنده آلة اصنع الثلج ولكنها كانت معطلة في فصل الشتاء وكان وصولي الى مسقط في أول فصل الربيع والشمس في برج الحمل (شهر ابريل - نيسان) فأمر باصلاح الآلة واستعمالها قبل الموعد المتعاد عندهم لاجلي . ووضع عندي في دار الضيافة إبريقا من هذا النوع الذي تكلم عنه ليتيسر وجود الثلج عندي في كل ساعة من الليل والنهار، ولما سافرت وجدت مع متاعي في الباخرة إبريقا آخر منه جديدا لم يستعمل من قبل، فاستغدت منه في سفري ذلك، وكان أكبر قفصه في السفر من البصرة الى بغداد في شط العرب ودجلة اذ قل الثلج في الباخرة بين العمارة وبغداد ثم فقه في السفر من بغداد الى حلب، ولا يوجد الثلج بينهما الا في مدينتي دير الزور وهي بين العراق وسورية، وكان شأنا في تدير ماء الشرب في ذلك الطريق - الذي قطعناه في ١٨ ليلة في مركبات (عربات) سفري تسير على ضفاف الفرات لا تبعد عنه في بعض الاحيان الا قليلا - اتنا كنا كلما نزلنا منزلا في المساء نأخذ الى قطنير الماء في قدور من الفخار ثم نبرده بهواء الليل الجاف البارد في أكواز (قلل) البندادية وفي قلة معدنية مشاة بقماش يبلل بالماء فيبرد المدين بضرب الهواء لهو يبرد الماء

ببرده ، - وهذه القلة أهدها الي الطيب النطاسي محمد عبد الولي في مدينة لكهنو بالهند - وكنت قبل الادلاج في آخر الليل املا الابريق المهود من هذا الماء وترمسا آخر عموديا من النوع المعروف لكثرت في هذه البلاد كان أهدها الي صديقي السيد يوسف الزاوي أكبر سروات مسقط بمدينة السلطان فيها ، فكنت أشرب في بكرة النهار من هذا وأدخر ذلك الي المشي لانه أحفظ والتخبر فيه أبطأ ، وقد انكسر العمودي معي في حاء ، ولا أسف عليه لان مثله كبير ، الا أنه أثر من صديق ، ثم انكسر الاول في مصر قاتمي كسره لطرافته وفائدته ولكونه أثرا من ذلك السلطان الكريم سقى الله لحده ، ولكن نجده البر الوفي صديقي السيد نادر قائد الجيش الاول لسلطة مسقط أهدها الي أيرقا آخر عرضا عنه ، وهو الذي كان معي في الحجاز وكان ما حملت فيه من الثلج كافيا لي بين جدة ومكة الآن ماء قربة الجبل تدبر في الطريق لاتها كانت بريدة العهد بالاستعمال

وسبب حفظ الترمس لما يودع فيه مدة طويلة هو انه مؤلف من أناثين أحدهما وهو الظاهر مدني وثانيهما زجاجي باطنه كاللآة وظاهره منفي بمادة من المواد البليئة التوصل للحرارة والبرودة ويوضع الزجاجي في باطن المعدني منفصلا عنه ويكون الاتصال بينهما من أعلى الفتحة ولهذه الفتحة صمام (سدادة) من الفلين على رأسه قطعة من مدنه الايض ويكون فوقها غطاء المعدني المتصل به ، فاذا رفع الصمام قليلا أمكن صب الماء من ببل الابريق

أطلت في مسألة الماء ليستفيد مما كتبت من ينون بأمر صحتهم ورفاهتهم في السفر . والناية بأمر المأمحودة بل ضرورة ، فلما الردي . يكون سببا لامراض كثيرة ، إذ الماء يحمل من جراثيم الامراض والاوبئة مالا يحمل غيره . وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأكل ما وجد ولا يذم طعاما ولكنه لم يكن يشرب من كل ماء يوجد بل كان يستدب له الماء من آبار السقا وهي على مسافة يوم من المدينة أو أكثر ، وكان أحب الشراب اليه المذذب البارد . والماء الذي يوجد بين جدة ومكة في القهاري - أي الاكواخ التي يأوي اليها المسافرين للاستراحة وشرب القهوة والشاي - كله قدر فلا أصله جيد ولا أوائه نظيفة ، وماء (بحرة) التي ينزل فيها

جميع الحاج للاسترخاء ردي غير عذب . ويقال ان بالقرب منها بئر لأبأس
بساتها ولكن لايسهل الا على الاقلين الوصول الى شيء منها . فن الضروي
للمسافر الذي يعني بصحته ان يجعل ما يكفيه من الماء بين جدة ومكة في سفره
من كل منها الى الاخرى . ولشقاؤف قلل من الفخار يربطونها في مؤخرها
فيكون ماؤها مقبولا ولا سببا في الابل

القهوات في طريق مكة والبكرور

نزلنا بعد المغرب في أول قهوة من القهوات التي أشرنا اليها آنفا فأذنت ومليت
المغرب والمساء جمعا وقصرا وصلى معي الرفاق وشربت الماء المتلوج وشرب الرفاق
القهوة وبعد أن استرحنا قليلا أعطيت صاحب القهوة هههم أضف المعتاد فدعا لنا
وركبنا حمرنا وركب المنديان هجاتهما وسرنا لانرى من الحاج في الطريق الا
سودان الذكروور مشاة على أرجلهم رجالا ونساء وأطفالا يحمل الرجال حراهم والنساء
أطفالهن على ظهورهن وما لديهن من المتاع والزاد على رؤسهن ، وكنا نرى بعضهم
نياما على جانبي الطريق ، فهم ينامون اذا تعبوا فاذا استيقظوا في أي ساعة في ليل
أو نهار مشوا لا يخافون القصوص ولا قطاع الطريق ، وقد قيل لنا انه لا يتعرض لهم
أحد بدو ، لانه لا يكاد يوجد معهم شيء له قيمة ينفع به القصوص من الاعراب
هنالك فأكثرهم عراة لا يملكون من اللباس ما يزيد على ستر العورة ولباس جميع
رجالهم ونساءهم الايض وهم مع ذلك يدافعون عن أنفسهم دفاع الأبطال بحراهم
السودانية فلا يستهان بهم مع كثرتهم ، فانهم منتشرون طول الطريق لا تبعد ثلثة
منهم عن أخرى الا قليلا ، والقصوص قلما يكونون كثيرين الا اذا كانوا يقصدون
نلب القوافل الكبيرة

أمن الطريق وحادثة اعتداء

وقد كان الطريق في هذا الموسم آمنا مطمئنا لم يلقنا أنه وقع فيه اعتداء على
أحد الا ما حدث بالقرب منا فانا سمعنا قبل انتهاء الثلث الاول من الليل صوت
طلق رصاص استفز الحارسين الذين معنا فأتتبا ما هذا ؟ قالا « قوم » وهم يمتنون
بكلمة القوم القصوص وقطاع الطريق ، وأشارا علينا بأن نسرع في السير ما استطد

وقصد قهوة كنا نرى ضوءها فنزل فيها ، وتركنا مسرعين بهجتهما الى الجهة التي سمع منها صوت الرصاص ، وطلقنا نحن نلكر جحرنا مسرعين بها الى تلك القهوة قبلتناها بمد جهد وعناء فاسترخا فيها ساعة وشرب وبقاي الجندي والمصري الذي الفياء في الطريق الشاي ورأينا هناك أناسا من الفقراء يطلبون من القهوة طعاما . ثم جاء الجنديان مع رجل آخر . فأخبرا أن القوم (قطاع الطريق) الذين سمعنا صوت رصاصهم قد شردوا بغيرين للرجل الذي عاد معهما ولرفيق له وكانا عائدتين من جده بمد بيع ما كانا حمله اليها وان خفرا الطريق ما زالوا يقتفون أثرهم ، وقال الرجل انه لم يره ورفيقه الا لصا واحدا ولكنه مسلح وهما أعزلان

النزل ببحرة

وبعد استراحة الجنديين وشربهما الشاي أكرمت صاحب القهوة واستأفنا السرى فبلنا (بحرة) في منتصف الليل تقريبا ورأينا أنوار ركب الحمل المصري بالقرب من الخصاص التي يأوي اليها الحجاج وغيرهم من المسافرين. والخصاص جمع خص وهي البيوت من هيدان الاشجار أو القصب أو غيره من النبات، وهي هناك كثيرة تسع الالوف الكثيرة من الناس وعلى جانبي الطريق سوق منها فيه الحوانيت والقهوات وان شئت قلت الخانات أو الفنادق لا يواء المسافرين فيجد المسافرون فيها الماء والخبز واللحم والبيض وأنواعا أخرى من الاغذية وقهوة البن والشاي ، والموسرون من المسافرين قلما يحتاجون الى شيء منها لانهم يحملون زادهم من جدة أو مكة لهم بأن ما يوجد هناك غير نظيف ولا جيد . والخصاص التي وراء هذه السوق التي في الطريق العام عبارة عن دور يتألف كل منها من عدة بيوت يمكن ان يجعل بعضها للنساء وبعضها للرجال ولما عراحيض وراء المساكن . وقد نزلنا في قهوة كبيرة كنا أوينا بالتزول فيها فاسترخنا فيها ساعتين كاملتين وكنا قد جعنا فأكلنا مما نحمل من لحوم الضأن والدجاج والسماك والخضر والحلوى والفاكهة وشربنا الماء المثلوج وحمدت الله تعالى جدا كثيرا . وأحييت أن أعرف أين نزل جماعة فمضد علي ذلك

السرى من بحرة ومسالة أمن الطريق

ولما اردنا استئناف السرى استأذني الجنديان في البقاء ببحرة لانهما يريدان

العودة صباحاً الى جدة ، وجاءني بجنديين عربيين من المشاة قالاهذان من جنود سيدنا الموكلين بحراسة الطريق وهما يقومان مقامنا ، فسرنا ومشيا امامنا يحمل كل منهما بندقية من الماوزر على كتفه شادا منطقة من رصاصها المضود في وسطه وهو حافي القدمين ليس عليه الا قميص قصير فسألت أحدهما عن أمن الطريق فقالان الامن تام ولا خوف عليكم في الطريق . قلت أرأيت اذا هجم علينا قوم كثيرون فاذا تنفي عني أنت وصاحبك ؟ قل ان القوم الكثيرين لا يعتدون على الافراد أو الجماعة القليلة من المسافرين وانما يقصدون القوافل الكبيرة التي تحمل ما يحتاجون اليه من الطعام ونحوه ، والقوم القليلون لا يتجرون على جنود سيدنا وان كانوا أقل منهم ، وفي الطريق على طوله مخافر متقاربة يمكن ايصال أنباء الانتداء من بعضها الى بعض بسهولة . وحقا ما قل قاتا كنا بعد مفارقة جدة بقليل نرى تلك المخافر على جانبي الطريق وكثير منها في الروابي والمضارب وهي كثيرة متقاربة ، وكان هذان الجنديان كلما أبصرا أحدا في الطريق على مقربة منا أسرعنا اليه قبل وصوله الينا وعرفا حاله . وقد رأينا في طريقنا قبل بحجرة وبهدا كثيرا من القوافل قاصدة جدة اما من مكة واما من الطائف وهي التي تحمل الفاكهة كالزمان والعنب والسررجل ، ورأينا ايضا كثيرا من الافراد والجماعات يقصدون جدة . وفي أثناء الساعة الثانية وصلنا الى قهوة استرحنا فيها قليلا واستأذتني الجنديان بالتخلف وأوصيا جنديا كان هنالك بان يصحبني الى مكة ، وكانت المسافة قد قربت وعلت منها انهما جائعان وليس معهما شيء فأعطيتهما ما تيسر من الترام

ثم أدلجنا وسألت الجندي عن حال الامن في تلك البقعة فقال ان هذه الارض ارض هذيل الذين انا منهم وهم لا يسرقون ولا يعتدون على أحد وان ماتوا جوعاً بل يعيشون بمواشيهم وانما الاصوص وقطاع الطريق هم عرب الشمال . وبعد ان أصبحنا وصلنا الى مكان فذكر لي حادثة من الحوادث المثبتة لاماتهم قل مات في هذا المكان رجل من حجاج المنارة يظهر انه كان مريضا فغيب في الطريق فتحول عنه الى هذا المكان للاستراحة فات فيه وكان له ولد مفرد عنه وصل مكة فلم يجد والده فعاد يشده في الطريق وكان بعض عربنا قد رأوا الميت ووجدوا معه كيسا

كبيرا فيه قومود كثيرة فحفظوه ولما رأوا الولد لونه على وجهه دفعته ولم يأخذوا من الكيس شيئا ونوشاوا لاختطبه تله

وجلة القول ان العتبة يحفظ لان في هذا الموضع كانت كبيرة وانني لم اسمع من أحد من الحجاج شكوى اعتداء على نفس ولا مال، ولكن حدثني الوالدة بعد الوصول الى مكة المكرمة انه عرض لهم في الليل رجل ادعى أنه من الحجاج المصريين من المنصورة وأنه قدير لم يجد ما يركبه وكان يحاول أن يركب البعير الذي عليه اسقاطنا وصناديقنا فينهره أحد الجنديين اللذين معهم بالكلام فيتحول قليلا ثم يعود، ولم ينصرف حتى هدده بالضرب واتهمه بأنه يريد أن يركب البعير ليشرده ويذهب به وأنه لابد أن يكون له رفيق ينتظروه. ويجوز أن يكون الرجل صادقا ولكن اساءة الظن في هذا المقام من الغفلة. والفضل الاول في هذا الامن الذي لم يسمع مثله منذ قرون لشخص الشريف الحسين بن علي. (١) وقد كان السيد الزواوي قال لي منذ بضع سنين أنه لم ير أقدر من هذا الامير على حفظ الامن في الحجاز كله وسياسة العرب فيه

بحث لغوي في الحجر والفهر والصخر

لم أستفد من حديث هذا الاعرابي الجندي ولا من حديث من قبله فائدة لغوية تذكر على اني اكرت من الكلام مع هذا ما لم أكر مع الآخرين ورأيت أنه أفصح منهم وذكرت له آياتاً من الشعر العربي فرأيت لا يفهم جميع مفرداتها ولكنه امتحنني بالسؤال عن شيء أبيض في الجبل - ولون الجبل أسود بل أصهب - قلت أي شيء هو؟ قال ما هو مثل الشاة؟ - والفنم هناك أبيض اللون - قلت نعم. قال هذا غير. وأقول إن المشهور في كتب اللغة ان الفهر الحجر الصغير الذي يؤخذ باليد ويثق به الجوز ونحوه، وقال بعضهم الذي يملأ الكف، وذلك الحجر كبير لا يمكن رفعه بيد واحدة ولذلك رجعت الى مصاحم اللغة فرأيت في لسان العرب بعد تعريفه بما ذكرت آتفا « وقيل هو الحجر مطلقا » ومن العجيب انه قد فسر هو والفهر وزبادي الحجر بالصخرة، والصخرة بالحجر العظيم الصلب. وهو تساهل أو تقصير في تحديد الماني. والصواب ان الحجر اسم جنس لهذه الاجسام المروقة

(١) نبهنا قبل على ان حوادث الرحلة حدثت قبل الميابة بالملك فبقى التمييز فيها على ما كان عند وقوعها

يطلق على صنبورها وكبرها وعلى الصلب الشديد اليوسة منها وغيره . وقالت الرب :
استحجر العطين أي ييس فصار حجرا . والصخر ما عظم من الحجارة وأحدثه صخرة
والحصى صغار الحجر وأحدثها حصاة وجما حصيات وُحْمِي . قلما ابن سيده في
الخصص ، وهذا ما يفهمه جميع الناطقين بالضاد من معنى الحجر والصخر والحصى .
وقول الاسان في الفهر « وقيل الحجر مطلقا » على ضمه لا يؤخذ على اطلاقه والذي
ظهر لي من قول أهل اللغة ومن كلمة الازهري الهذلي ان أكثر العرب كانت تطلق
الفهر على الحجر الذي يؤخذ باليد الواحدة للدق به والكسر أو الحذف والرجم ، وقبل
منهم أطلقه على ما يؤخذ بكنتا اليدين لمق شيء أو ضربه ، وأكثر العرب تؤث
الفهر ، وورد تذكره في حديث حمالة الحطب فانها أخذت فهرا وجاءت لتضرب به النبي
(ص) فلم تره فقالت لابي بكر (رض) وهو معه : لو وجدت صاحبك لشدخت
رأسه بهذا الفهر . نقله شارح القاموس بهذا اللفظ عن الروض . قل صاحب الحمزية :

وأعدت حمالة الحطاب الفهر ر وجاءت كأنها الورقاء

يوم جاءت غصبي تقول أني مث لي من احمد يقال المهجاء

وتولت وما رآته ومن أب ن ترى الشمس مقعة عياه

قهوة سالم

وقد بلغنا قهوة سالم مصبحين وهي في حدود الحرم على مقربة من مكة — وكنا
مردنا ليلا لئلا يلهي المنصورين لحدوده — فصلينا فيه صلاة الفجر ثم لم أملك نفسي من
العب والناس ان اضطجعت فمت حتى طلعت الشمس . وكنت غلزما على الانفصال
في هذه القهوة لدخول مكة عملا بالسنة وسألت في جدوتي الطريق عن مكان يمكنني
أن أغسل فيه قبيل لي قهوة سالم ، ولكنني خشيت على نفسي المرض من الاغتسال
وتعشذ بالماء البارد مع شدة الابهاء فاكتمت بالوضوء . ورأيت أن أمشي ميلا أو ميلين
لتأين عروق رجلي ووركي وأعصاها المتينة من طول الركوب الذي طال علي عهده
فقطعت وضائقي دخول الرمل في نعلي فشيت حافيا ضاحيا (أي بلرزا للشمس) كودان
الذكرود الذين كنت أراهم أملي وخلفي وعن يميني وشمالتي منذ خرجت من
جدة الى ان دخلت مكة

أسرى الترك

ولما قربنا من مكة وظهرت لنا ضواحيها رأينا أسرى الترك الذين أسره العرب في الطائف خارجين منها مشاة في الطريق اليسرى مرسلين الى جدة بخفرهم قليل من الجنود الاحراب ، وفي اليوم الثاني من دخولنا مكة رأينا فيها ضباطهم ركوباهل الابل متلفعين لانرى الاعينهم وأنوفهم وهم مرسلون الى جدة بخفرهم قليل من جنود الاحراب المحجاة وكان قد بلغنا في جدة خبر فتح الشريف الأمير عبد الله للطائف بعد ان حاصرها عدة اشهر وتسليم قائد الحامية التركية فآب باشا الذي كان والي الحجاز له وفد الأمير لاستقبال العبد الفقير

ولما بلغنا قهوة المعلم وهي آخر قهوة بين جدة ومكة رأيت صديقنا الاستاذ الكبير السيد عبد الله الزواوي مفتي الشافعية بمكة المكرمة مع بعض ولده و بعض المكين فأقبل لاستقبالنا ونزلت عن دابتي فصاعقتا وتصالفنا وجلسنا للاستراحة وبعد السلام قال لي ان هذا الوقت هو وقت دخول سيدنا الشريف عبد الله نجل سيدنا الأمير مكة قادما من الطائف بعد ان تم فتحها على يديه وقد أعد له احتفال كبير وخرج سيدنا بجميع الشرفاء والوجهاء ورجال الحكومة الى خارج البلد لاستقباله ، ولما علم بأن قدومك يتفق في هذا الوقت أوفدني من قبله لاجل استقبالك وأرسل اليك بقلته هذه مع من ترى من حجاب سيادته لتدخل عليها مكة - وأشار الى بغلة دهما مشدودة مع حاجبين أبيضين اللون بياض حر كالثياب التي يلبسها قواصة وكلاء الدول - ولو جئت قبل هذا الموعد لرأيت من العناية باستقبالك ما يسرك ولكنك معنا الآن في استقبال صديقك سيدنا الشريف عبد الله ، ولدخلت بك مكة من الطريق التي دخل منها سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقابلت هذه العناية الهاشمية بالشكر والثناء وخاصا لهذا هذا واتي كنت عازما عند الوصول الى جدة ان أكتب الى هذا الصديق الوفي أكلفه أن يستأجر لي ولن معي دارا نزل فيها ولكنه كلني بالسرة (التلفون) من مكة فقال ان سيدنا الأمير أعزه الله قد أمر باعداد منزل لك مؤلف من دائرتين احدهما للرجال والاخرى للنساء وفيه جميع ما يحتاج اليه من الاثاث والماعون والخدم وهو يقرب الحرم الشريف . وعلت من هذا الصديق انه كان يتمنى أن نزل في داره

ضيوقاً عليه لولم يتفضل (سيد الجميع) بغير بضائقه السنية الهاشمية وقد تذكرت الآن - والشئ بالشئ - يذكر - ان صديقي السيد يوسف الزواوي كبير تجار مسقط وسرواتها - الذي مر ذكره في هذه الرحلة وهو من آل هذا البيت - كان قد كتب الي وأنا في بجاي ثمر الهند الاول سنة ١٣٣٠ يقول انه بانته اتني عازم على زيارة مسقط ويدعوني الى النزول في داره ولم يكن يعلم أن سمو سلطانها السيد فيصل رحمه الله وطيب ثراه قد أمر مندوبه في بجاي بدعوني الى ضيافته وأن يجهره عن يوم سفري بالبرق (التلغراف) فلما جئت مسقط ونزل السيد الى الباخرة مع من نزل من ولد السلطان وحاشيته في زورقه البخاري لاستبالي فيها أخبرني بما كان ثمنه واستمدله من حسن الضيافة لولا ان سمو السلطان نفس عليه بذلك وقال له أنت تنتظر مثل قدوم فلان على بارنا وتريد ان تستأثر بضيافته من دوننا ؟ ولكن السيد يوسف أحسن الله اليه أدب لي مأدبة عظيمة في نفس مسقط دعا اليها جميع كبرائها ووجهائها ومأدبة أعظم وأخف منها في دار له بمزرقعي ضواحي مسقط دعاليها كبراء مسقط ووجه البلاد المجاورة لها حضرها عشرات منهم قضينا معهم يوماً كاملاً من أطيب أيام الحياة ذكرناهم فيه بآيات الله فألقينا آذاناً صاغية وقلوباً واعية . وكذلك الاستاذ السيد عبد الله حياه الله تعالى فإنه أدب لنا عدة مآدب فخمة ، حضر بعضها أهل العلم والرياسة من حجاج المغاربة ، وسيجي ذكر هؤلاء المغاربة في هذه الرحلة

﴿ دخول مكة المكرمة والطواف والسعي ﴾

بعد ان استرحنا قليلاً ركبت البغلة التي تفضل بارسالها الي صيدنا الامير ، ومشى أمامي حاجباه وركب السيد الزواوي فرسه اليتى السيرونجله السيد عبد الرحمن دابته وسارا الى جانبي ، وركب مطوف بلدنا (طرابلس الشام) الشيخ محمد الحريري ونجله دواهما وسارا وراةنا ، فلما دخلنا مكة ومررنا في أسواقها جعل الناس يقومون علي الجانبين تكريماً لمن كرم أمهرهم ومقدم من الملكة ، وان كانوا لا يعرفون شخصه ولا صفته ، حتى اذا ما بلغ السيرونجلنا بيت الله الحرام ، دخلناه ومررنا فيه من باب

بني شية^(١) حيث دخله سيد الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام ، فلما وقعت العين على الكعبة المظلمة ، التي كساها الله تعالى حلل المهابة والعظمة ، قلت كما كان يقول عمر بن الخطاب عليه الرضوان : اللهم انت السلام ومنك السلام ، فخير بنا بالسلام . ووقعت على ذلك بالدعاء الذي ورد ، وإن لم يصح به السند ، : اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه بمن حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبإيا .

وطفت طواف القدوم والمرة سبعة أشواط ، وطاف معي طوفانارافاصوةأباجمفظه من الثناء والدعاء — وهو ما اعتاد المطوفون تلقينه للحجاج — وأنا أدعو وأتقي بما أعلم وما أعلم . وقد ذكرني المطوف بما كدت أدخل عنه من الرمل في هذا الطواف ، وما يسن فيه من كشف المنكب الذي يكون بالاضطباع ، وبعد الطواف صليت ركعتين وشربت من ماء زمزم ، ثم خرجت من باب الصفا لأجل السعي بين الصفا والمروة ، كنت أحب أن أطوف بالصفا والمروة ماشيا ولكن السعي بينهما سبع مرات غبارة عن قطع ثلاثة كيلو مترات مشيا وذلك ما كنت أصحز عنه في ذلك الوقت لما عرض لوركي من التعب والالم من الركوب عامة الليل على حمار غير فاره لولا الإشتاق له طول الطريق لحسرتي مرارا ، وكنت في ركبي للركوع ، ومنعه جذبي الرسن من السجود ، فسميت راكبا على البهلة وهو جائز ورملت بها في موضع الرمل وهو ما بين الميادين (العمودين) الأخضرين النابتين من جدار الحرم . وقد بينت في المناسك ان جميع مناسك الحج قد شرعها الله تعالى على لسان إبراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام الا الرمل في الطواف والسعي فانه من آثار نبينا صلى الله عليه وسلم فله مع الاضطباع وهو عبادة عن كشف المنكب الايمن واظهاره لظهور قوة المسلمين للمشركين في عمرة القضاء ، اذ كان بلغه انهم قالوا ان محمدا وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال ، وكان بلغه عنهم في الحديبية انهم قالوا

(١) هو الآن في صحن الحرم كأنه قوس منصوب وغايته في جدار الحرم الشرقي بإبان يسمى أحدهما باب العباس والثاني باب علي ولي وسط هذا الجدار الباب الذي يسمونه باب النبي (ص) يليه في الجانب الشمالي باب السلام الذي يدخل منه أكمة الحجاج

في المؤمنين : أودعتهم حتى يعرب

وبعد السعي عدت إلى دار السيد الزاوي إجابة لدعوته فروا بي من طريق آخر وحجاب الأمير أامي والكثيرون من الناس يقفون في دكاكنهم وفي الطريق من الجانبين فأحييهم بالسلام وبالإشارة حتى إذا ما جئت الدار أعد لي ماء للاستحمام فاعتسلت وتغديت مع السيد وولده ونمت وكان الحرق قد اشتد فلم أتم الا قليلا . وقد أتني السيد متى نحب أن أذهب بك لزيارة سيدنا الأمير ؟ قلت له اتني كنت محرما بالعمرة وقد أديت طوافها وسعيها وسأقصر شعري وأحلل منها ، ولكن ثيابي مع الوالدة والرفاق فتى وصلوا ألبس ونذهب ، ووغبت اليه في الذهاب إلى الدار المعدة لنا لاجل انتظارهم فيها ، ولما جئت الدار وجدها على الشارع العام بمجرى باب الحرم الغربي الكبير المسنن باب إبراهيم ، وقد تأخر وصول الجماعة إلى قرب المغرب فلم نقشرف بتلك الزيارة الا ليلا ، وسأذكر لقاء الأمير وثمانته في فصل آخر ،

﴿ الحالة الروحية عند أداء المناسك ﴾

وحكم الطيبة والطواف والسعي

الحج عبادة روحية جسدية اجتماعية فهو تربية عالية للإنسان منفردا ومجتما . أي تربية كاملة له ، فإن الإنسان مركب من جسد وروح ، وقد خلق ليعيش مجتمعا ، وفي الحج تقوية لجسده ولروحه ولروابطه الاجتماعية

أما كونه رياضة بدنية فتقوية للجسد فظاهر في جميع المناسك فالأحرام ضرب من الرياضة والفر كذلك قد وصفت لك أيها القارئ سفري من جدة إلى مكة ، وعلت بالاجمال ما قاسيت فيه من المشقة ، مع استكمال أسباب الراحة وقرب الشقة . وفي الطواف والسعي رياضة المشي التي يصف الأطباء نفعها ويوصون بها ، فذاثرة المطاف حول الكعبة المعظمة لا يقل متوسطها عن مئة متر وأقل الطواف سبعة أشواط (مرات) ومن الناس من يطوف في اليوم واليلة أسابيع كثيرة متصلة ومنفصلة ، أما أنا فلم أستطع أن أزيد على سبعة أسابيع في أمثل الاوقات وأعد لها وهو وقت

السحر ، لما كنت عليه من ضعف البدن ، وكان رفيقي وأخي في الله الشيخ خالد يطوف ضمني ذلك أوي زيد . وإذا كان أقل الطواف وهو أسبوع عبارة عن مشي ثلاثة أرباع الكيلوفان السمي بن الصفا والمروة سبع مرات يقرب من مشي ٣ كيلو وأما كونه مقويا للروابط الاجتماعية فلما فيه من التعارف والتآلف بين الشعوب المختلفة في أفضل بقاع الأرض وفي أحسن الأحوال التي يكون عليها الإنسان في هذه الحياة وهي التجرد من شواغل الدنيا والثوبة إلى الله تعالى من جميع المعاصي والآثام وأما كونه عبادة روحية مهذبة لنفس بتقوية شعور الإيمان فهو المقصود بالذات الذي يجب ان يتمشى وينوى ويلاحظ عند كل عمل من أعمال المناسك ، وهاك خلاصة وجيزة من العلم والاختيار في ذلك :

الحالة الروحية في طريق مكة . وتأثير التلبية

كنت قبل عودة المشيعين لي من جدة ألبى في السر قليلا ، وأتكلّم معهم كثيرا ، فلما عادوا ولى النهار بأنسه وبهائه ، وأقبل الليل بوحشته وظلماته ، هدأت المشاعر ، وقرت النواظر ، وخشمت السمائر ، وتزاحمت الخواطر ، فكان الغالب منها على الفكر والقلب ، ما يثيره تأثر الزمان والمكان وزيّ . لأحرام في النفس ، فأما الزمان فهو شهر ذي الحجة الحرام ، وأما المكان فهو الطريق إلى بيت الله الحرام ، وأما زيّ الاحرام ، فهو الذي كان ينزينا به إبراهيم خليل الله ، وإسماعيل ذبيح الله ، ومحمد خاتم رسل الله ، وغيرهم من رسل الله الكرام ، عليهم الصلاة والسلام ، وكل من حج البيت أو اعتمر ، من أصحابهم وأتباعهم هداة البشر ، فيالها من ذكرى لذي القربى ، يخشع لها القلب ، ويرجى بها رضوان الرب ، بما تثمره من قوة الإيمان ، وطهارة الوجدان ، وخلوص السر والاعلان ، ولو لم يقترن بها ذكر لسان ، ولا عمل أركان ، فكيف اذا صحبها تكرار التلبية ، التي تزيد حرارتها تذكيرة ، وإخلاصها تذكيرة : ليك اللهم ليك ليك ، لأشريك ليك ، ان الحمد والنعمة لك والمآل ، لأشريك لك .

تأملت نفسي في تلك الليلة الليلاء ، والطريق الجرداء ، فأبنتني حاسرا حافيا في أزار ورداء ، غير مبالي بما يكون من تأثير الهواء ، وهي حال لم أعهد لها في سالف

الأيام ، الابن 'جدر' الحام ، وقد كان الهواء عند خروجنا من جدة حاراً رطباً ، وكانت الدابة وهي في أول السير تنهب الأرض نهباً ، وهذه ثلاثة أسباب ، يتعبد بها العرق من الإهاب ، ثم كنا كلما أوغلنا في السرى وقفلنا في البيداء ، نشعر بحفاف الجو وبرد الهواء ، حتى اضطررت الى اخراج سجاد صلاة كانت نحني ، فوضعتها على عاتقي فلم تقن عني ، فأخرجت العباءة فلفعت بها ، جاعلاً لاجل الاحرام أعلاها أسفلها ، ولم أخف من أذى بصيني من برد الليل ولا ضرر ، ولم يعرض لي سأم من طول السرى ولا ضجر ، فإن مسني طائف من شيطان الوسوسة ، ذكرت الله تعالى فطرده بالتلبية : ليك اللهم ليك ليك ، لا شريك لك ليك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

وبالله ما أحلى التلبية في تلك الفلوات ، وما أعظم الانس بها في حنادس الظلمات ، اذا خشعت بها الاصوات ، واستطارت بها المبرات ، ومن دقائق حكم الشرع استحبابه رفع الصوت بها للرجال ، وتحميدها بتجدد المناظر واختلاف الاحوال ، فرفع الصوت بها ينفي الوسواس ، وإذا كان في الليل يطرد النعاس ، وهو أجلب للخشوع ، واذرف للدموع ، واستثافها عند اختلاف الاحوال وتجدد المناظر ، أدهى الى دوام الذكر وعدم تفرق الخواطر ، فكنت كلما علونا نجد ، أو غطينا غورا ، أو نزلنا مكانا ، أو استأنفنا سرائنا ، أو لقينا مشاة أو ركباناً ، جأرت الى الله تعالى : ليك اللهم ليك ليك ، لا شريك لك ليك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

تأثير رؤية الكعبة والطواف بها

تلك التلبية عملاً قلب متدبرها إيماناً وتوحيداً ، ونجده من المخطوطة والاهواء تجريداً ، وقصد لزيارة بيت الله والطواف ، وهو في أحسن حال وأتم استعداد ، حتى إذا اكتسحت عينه برؤية الكعبة العظيمة ، وراح القلب ماجلاً من المهابة والعظمة ، تذكرتها أول بيت وضع للناس ، مباركاً وهدى للعالمين ، وبخسه الله بالآيات والبركات الباقية على بقاء الأيام والسنين . ورأى أمامها مقام إبراهيم عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام ، ووجد نفسه حيث كان بدء دين الله الاسلام ، حيث اختتام ، فإذا دنا من مبط الروح الامين ، ومطاف الملائكة والنبين ، والصدقين والشهداء والصالحين -

فلأنسل ثم من المصروع كيف تسكب ، ومن الصلوع كيف تضطرب ، ومن الاعناق كيف تنضم ، ومن القلوب كيف تنشم ، ولا عن وجدان الايمان ، كيف يتألق نوره في الجنان ، ويفيض يانه على اللسان ، فيحركه بما يلهم من التناء ، وما يشعر بالحاجة اليه من السقاء ، وما يذكره أو يذكر به من المآثر ، من مرفوع أو موقوف ، لا تسأل أبها القارئ من شيء من ذلك ، ولا عن غيره مما يكون هندا أداء المناسك ، فن ذاق حرف ، ومن حرم تحرف

على هذه الحال تدخل الحرم المقدس ، طاهر القلب والبدن من الحدث والدنس ، فتأتي الركن الاسود ، حيث العظمة والسودد ، فتقول بسم الله الله أكبر ، فيصغر في قلبك كل شؤون البشر ، ثم تبدأ الطواف ، مع الية والاخلاص ، بلمس الحجر وقبيله ان قدرت ، وبالاشارة اليه ان أنت عجزت ، ولا بأس بأن تذكر ماروي من انه رمز الى يمين الله التي لانشبه الايمان ، وان استلامه وقبيله في معنى تحية رب البيت ومبايته على الايمان والاسلام والاحسان ، ومن أنه يشهد لمستله يوم القيامة كما تشهد الاعضاء - وبأن تقول بلسانك وأقلبك ، كما قال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب من قبلك : اني أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلك ^(١) لما قبلك ، فتقبلك ليس لقاتك الحجرية ، ولا لمنفعة فيك مرجوة أو مضرة مخشية ، ولا هذا الطواف الذي بك يتبدأ وعندك ينتظم ، في معنى عبادة الوثني وتعظيم الصنم ، وانما هو خضوع لامر الله ، واقتداء برسول الله ، وتعظيم لما عظم الله ، وأنس بالقرب مما نسب الى الله ، يكل به توحيد الله ، وتضي به محبة الله ، فن شأن المهيمن الانس بكل ما ينسب الى المهيوب ، ولا سيما اذا تذكر افعالهم وعز الوصول ، وكم نظموا من الاشعار ، في الوقوف بالاطلال والطواف بالآثار

أمر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

ولما كلن الرب العلي العظيم ، الجدير بأعلى مراتب الحب والتعظيم ، لا ندركه الابصار وهو يدرك الابصار ، ولا يراه عباده في هذا الدار ، كان من رحمته بالمؤمنين المهيمن ،

(١) عبارة عمر ولولا اني رأيت رسول الله (ص) قبلك الخ رواه الجماعة كلها

أن وضع هذا البيت لثلاثين منهم والمالكين ، ونسب إليه ، ليكون تعظيماً لثلاثين ،
 فإذا مضيت في الطواف بينا مصاحباً لهذا الذكرى ، جاعلاً البيت من الجهة اليسرى ،
 فاشغله بالثناء على الله والدعاء لنفسك . ولا لك وصحبك ، ولا لك وأولي أمرك ، فإذا
 بلغت الركن النجاشي ، وهو الجنوبي الغربي ، فاستلمه إن سهل عليك فإنه على قواعد
 إبراهيم ، التي ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم ، ومتى انتهيت إلى مقابله وهو
 الركن الأسود ، فقد أتممت من طوافك الشوط الأول ، وبقيت الأشواط مثله في
 الشروط والآداب ، كالخشوع والتذكر وترك غير الضروري من الكلام ، وعدم
 التهاون على استلام الركن والحجر عند الزحام ، فإذا أتممت السبعة الأشواط ، فأنتم
 دعائك بين الركنين بقوله تعالى (ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
 عذاب النار) ثم صل ركعتين سنة الطواف ، والأفضل أن تصليهما وراء المقام .
تأثير السمي وحكته .

السمي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة ، وليس له فخل فلا يفعل في
 كل منها أكثر من مرة ، ويجب أن يكون بعد الطواف ، ولا يشترط فيه شروط الصلاة .
 فإذا جئت الصفا ، فاقرا ما قرأ الرسول (إن الصفا والمروة من شعائر الله) وقل كما قال
 « نبدأ بما بدأ الله » ثم اصعد درجة أو أكثر واستقبل البيت الحرام ، فإذا رأيته قل
 كما كان يقول عليه الصلاة والسلام : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك
 وله الحمد وهو على كل شيء قدير » لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ،
 وهزم الأحزاب وحده ، « وأدع الله تعالى مكرراً ذلك ثلاث مرات .
 وتذكر عند السمي أنه ذكرى سمي جدتنا السيدة هاجر عليها الرضوان ، أم أينا
 إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وعلى أبيه ، وصغوة بنيه . وإلما من ذكرى لجد
 العرب الكرام ، ومعجزات الاسلام ، منبئة لحفظ الله تعالى لهذه الأمة ، وهاتيه بهذه
 الامة ، حفظتها العرب بالسل المتواتر . وكما حفظت ما هو دونها من الآثار . وما يحفظ
 بالتمثيل والمحاكاة ، يكون أثبت مما يحفظ بالتلقين والروايات ، ولكنهم مزجوا مناسك
 الحنيفة ، بمزجات الوثنية ، فإن كانوا قد وضوا منبئين على الصفا والمروة ، فقد
 وضوا ٣٦٠ صنماً على الكعبة ، ثم طهر الله قسالى هذه البقاع بالاسلام ،

وأعادها الى ما كانت عليه في عهد ابراهيم واسماعيل عليهما وآلهما الصلاة والسلام ،
 روى البخاري وغيره من طريقين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما كان
 بين ابراهيم وبين أهله ما كان^(١) خرج باسماعيل وأم اسمعيل ومعهما شاة^(٢) فيها
 ماء ، فجعلت أم اسمعيل تشرب من الشاة فيدربنها على صبيها حتى قدم مكة فوضعها
 تحت دوحه — زاد في الرواية الأخرى فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة
 يومئذ أحد ولا بها ماء ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء — ثم رجع ابراهيم
 الى أهله فاتبته أم اسمعيل حتى لما بلغوا كداء نادته من ورائه يا ابراهيم الى
 من تركنا ؟ قال الى الله ، قالت رضيبت بالله — وفي الرواية الأخرى أنها قالت
 إذا لا يضيئنا ، وفيها أنه لما كان عند الثانية أي ثنية كداء حيث لا يرونه استقبل
 بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا اني أسكنت من
 ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من
 الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا) قال فرجعت فجعلت
 تشرب من الشاة ويدربنها على صبيها حتى لما بقي الماء قالت لو ذهبت فنظرت
 لعلي أحس أحدا — زاد في الرواية الأخرى حتى اذا نفذ ما في السقاء (أي الشاة)
 عطشت وهطش ابنها فجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلطب فانطلقت كراهية ان
 تنظر اليه — (قال) فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت هل يحس أحدا فلم
 يحس أحدا ، فلما بلغت الوادي سمعت وأنت المروة ففعلت ذلك أشواط ثم قالت لو
 ذهبت فنظرت ما فعلت نعمي الصبي فذهبت فنظرت فاذا هو على حاله كأنه ينشغ^(٣)
 للموت فلم تقرأها نفسها فقالت لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدا ، فذهبت فصعدت

(١) أهله امرأته سارة ماتت من هاجر لما ولدت وحده على طرد هاجم سلفها اسماعيل. وفي الفصل ٢١
 من سفر التكوين (التوراة) ان ابراهيم استاء من كلامها فأمر الله تعالى بإخراجها ووعد به أن يجعل
 اسماعيل ابنه أمة ، وفي انه زود هاجر بخبز وقرية ماء واعطاها ابنها فتأملت في بركة ببر سبع وانه
 لما نفذ ماؤها وتوهمت أن يموت ولدها ، ناداه ملاك الرب وأمرها الماء ووعدا بجعل ابنها أمة
 عظيمة . وان الله كان مع النمام وانه سكن بركة فاران . أقول وفاران من أسماء مكة كما في
 معجم البلدان وما يخالف هذه الرواية مما هناك ندمت حريفاً . وقالوا ان ابراهيم جاء مكة على البراق
 (٢) بفتح الدال والنون المشددة القربة اليابسة (٣) بوزن يفتح منه يشقى من صدره

[المنار: ج ٢ م ٢٠] سبب خروج ماء زمزم وحكمة السمي بين المروتين ١٢٥

الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحدا حتى أتت سببا — زاد في الرواية الاخرى قال ابن عباس قال النبي (ص) « فذلك سمي الناس بينهما » ثم قالت لو ذهبت فنظرت ما فعل فاذا هي بصوت فقالت أفتان كان عندك خير فاذا جبريل — وفي الرواية الاخرى فقالت قد أسمعت ان كان عندك غوث، فاذا هي بالملك عند زمزم — قال فقال بعقبه هكذا ونحز عقبه على الارض قال فانشق الماء فدهشت أم اسمعيل (١) فجملت تحفر (قل) فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « لو تركته كان الماء ظاهرا » — ولفظ الرواية الاخرى « يرحم الله ام اسماعيل لو تركت أو قال لولم تعرف من زمزم لكانت زمزم عينا معينا » أي جاريا على وجه الارض — (قال) فجملت تشرب من الماء ويدربنا على صبيها قال فرأس من « جرحهم بطن الوادي فاذا هم بطير — وفي الرواية الاخرى : فرأوا طائر عاتقا أي يحوم على الماء — كأنهم أنكروا ذلك وقالوا ما يكون الطير الا على ماء فبعثوا رسولهم فنظر فاذا هم بالماء فأتاهم فأخبرهم فأتوا اليها فقالوا يا أم اسمعيل أتأذنين لنا أن نكون معك أو نسكن معك — وزاد في الرواية الاخرى فقالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء ، قالوا نعم ثم قال مصرحا بالرفع « قتلوا وأرسلوا الى أهلهم قتلوا معهم حتى اذا كان بها أهل آيات منهم وشب الفلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته امرأة منهم ». اه المراد منه وبليه ذكر عودة إبراهيم الى مكة لتفقد تركته أي ما تركه فيها وخبر بنائه البيت ، وجرم كفنفذ هوان قحطان ولكن رجح المحافظ ان قحطان نفسه من ذرية اسماعيل

فهذا حديث صريح فيه ابن عباس بما يدل على رفعه كله وان لم يسنده الى النبي (ص) في أوله ، وفيه نص صريح في بيان حكمة جعل الصفا والمروة من شعائر الله التي يحيا شعور الايمان بها ، ووجوب التطوف بهما والسمي بينهما . فانه تمثيل يذكر بتلك الواقعة التي هي من أكبر آيات الله ومظاهر قدرته ، وهمايته بتلك السيدة العظيمة القوية الايمان به والاتكال عليه والثقة به ، وولدها الذي أراد سبحانه ان يباركه ويجمعه لامة عظيمة ، كما هو منصوب في سفر التكوين من أسفار التوراة القديمة ، وأي شيء أجدر بأن نذكره هنالك وغنله كما وقع لاجل الاعتبار به وواحيا شعور الايمان بتصورهم من رضا

(١) قوله فقال بعقبه هكذا أي فعل . وقوله ودهشت بفتح الهاء والدال ولا يخر بكسر الهاء

أم مريض بأن تقيم مع طفلها مفردين بعيدين عن العمران، في وادٍ غير ذي زرع ولا ماء، لأن الله تعالى قد أمر بذلك أباً ولدها الذي قتها الايمان، ورأت ما أيدته الله به من الآيات البينات، وكيف نصره وحده على قومه المشركين الظالمين الاقوياء؟
 ليس تمثيل حال تلك الام جافسة ظامشة، والملة حائرة، تشاهد طفلها يتلوى ويتمرغ، من شدة الجوع والظما، ويضرب بنفسه الارض كاللصاب بالصرع، وينشغ أي يشق من صدره للموت في ذلك القفر، فيسوقها ذلك الالم الى القرار من رؤيته بتلك الحال، والسمي بن ذينك الجيلين القريين من ذلك المكان، تصعد هذامة وتلك أخرى، ضارعة الى الله راجية ان يمجده من عنده فوثاء، حتى اذا ما انتهت من الشوط السابع أرسل الله تعالى روحه الامين الذي يؤيد به الانبياء، فأنبه لها ذلك الماء، وجعل فيه الري والغذاء، ثم ساق ذلك المركب من جرم اليها، وسخرم للاقامة عندها، ليتربى فيهم ويتفرغهم ولدها، ثم يجعله أصلاً لهذه الامة الكريمة، ويجعل ذلك الوادي القاحل صدفة لدور الكعبة النبوية، اذ جعله يداً يحفظ بيته الذي جعله مثابة للناس وامناً، وجعل قلوب الناس تهوي اليه من جميع الاقطار ايماناً ونسكاً، ورزق أهله من الثمرات، وسخر لهم البشر في كل زمان، ألسنا نرى في هذا العام معجزة من معجزات هذا التسخير؟ بلى وقد ابتلى في هذا العام وما قبله الامم الفنية القوية، المتصرفة في البلاد العامرة انخضبة الفنية، بشي من الخوف والجوع وقص من الاموال والاقص والثمرات، بهذه الحرب الاوربية التي قطعت بها الروابط وقطعت المواصلات، واقتضى دخول الدولة العثمانية في غمراتها، ان تضرب الدول المحاربة لها حجراً بحراً على جميع سواحلها، فكان الضيق على سكان حرم الله تعالى أليماً شديداً، حتى اذا ما أوشتك أن يفتك بهم الموت جوعاً، سخر الله تعالى لهم تلك الدول تحمل اليهم الاقوات والاموال، وتنقل اليهم وفود الحجاج، وأرام بهذه الاغاثة العامة، مثلاً تلك الاغاثة الخاصة، اعني اغاثة هاجر واسماهيل، استجابة لدعاء الخليل، (فاجعل أئمة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات) وكثيراً ما ذكرت الناس بذلك، في أثناء أداء المناسك،
 فمن سعى بين الصفا والمروة علماً بما ذكر متذكراً له معتبراً به، فانه يشعر في قلبه بنماء الايمان بالله وبرسل الله، ويضم سر قوله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله)

باب الاخبار والآراء

﴿ اقتراح عظيم في اصلاح الاسلامي ﴾

يود بعض المومنين من المتسكين بعروة الكتاب والسنة ، لو يعرفون أمثالهم من الفقراء والمساكين المتجنين للمعاصي والبدع ، المحافظين على الفرائض والسنة ، ليؤدوا اليهم ما يجب من زكاة المال وزكاة النطر وغيرها من الصدقات ، إذ لا تطيب أنفسهم اصرافها الى فاسق ولا مبتدع ولا مجهول الحال ، لا يملون من فسق البدع والضلال ، وكثرة المعاصي والافتاق ، دع المجاهرة بالكفر والانحاد ، فالصدقات المفروضة التي يتقرب بها الى الله تعالى لاقامة دينه ، يتحرى صرفها الى من ينشأ في طاعته ، أو فيها أباحه لمبادء من العلويات ، لافي المعاصي والمحرمات ، ولا في البدع والمخالفات ، فإذا كانت صدقة التطوع يجوز بذلها لكل مؤمن وكافر ، من ذي أوسمان أو باهده ، فصدقة الفرض ليست كذلك . لذلك اقترح علينا بعض هؤلاء المومنين أن نحصى من صرف ومن يقبلنا أن نعرفهم من المؤمنين الذابين المتصمين ، من فريق المومنين وفريق المستحقين للزكاة من الفقراء والمساكين ، والمؤلفة قلوبهم والقارمين ، ومن يلم بادارة المنار من أبناء السبيل ، وأن نكون واسطة التحارف والتعاون بين الفريقين ، لان وقوف كل فرد من المومنين على هؤلاء المستحقين متعذر ، وان منهم من تمدد تأخيرهم الزكاة عن وقتها زمنا طويلا أو قصيرا لاجل ذلك . ولعمري ان هذا اقتراح جليل ، ولكن القيام به على حقه عسير غير يسير ، وإذا علم الناس ان بعض الناس يعطون صدقاتهم لمجتنب كآثر المعاصي والبدع ، المحافظين على الفرائض والسنة ، يكثر المدعون لذلك وحاملو الشهادات من العلماء والوجهاء على صحة دعواهم ، وأخذ الشهادات على هذا سبل على أكثر الناس في هذا العصر ، فان كثيرا من محبي الصدق يستحلون أن يشهدوا لمن يدي مثل هذه الدهوى اذا كانوا لم يروا منه ما يصدق ولا ما يكذبها ، وأما غيرهم فلا يتحاشى شهادة الزور وقول الباطل في ذلك ، ومنهم من يرى أنه يتقرب به الى الله تعالى بمساعدة الفقير على تحصيل قوته . وانا على ما نعلم من السر في ذلك فنظر فيه ونجتهد في القيام به بقدر الطاقة ، ونرجو من اخواننا الصادقين إعانتنا على ذلك

السنة الرابعة للحرب

دخلت الحرب في السنة الرابعة من عمرها فشاب لاهوالها الولدان وهي لم تزد الا شبابا ، وحدث بها ثار حياة الامم ولم تزد نيرانها الا شوبا ، وكان أهم أحداث عامها الثالث في الميادين الشرقية ، ثورة الروس على حكومة القيصرية ، واستقاط القيصر نقولا عن عرشه ، واعتقله مع زوجته وولده ، ثم نفهم الى سبيرية حيث كانت حكومته المستبدة تنفي الالوف من أحرار السياسين ، والعلماء والكتاب النابغين ، واكبر العبر في هذا الانقلاب العظيم أن طلاب حكومة الشعب الشورية من الروس عجزوا عن جمع كلمة أحرارهم على شكل آخر لحكومتهم ، فانشقت المصا وتفرقت الشيعة ، وتعددت الثورات والفتن الداخلية حتى في الجند ، وقد كانت الحكومة الجديدة الموقته امسكت عن الحرب عقب الثورة وامسك عنها اعداؤها حتى ظن أن هنالك هدنة ، ثم هجمت في هذا الصيف على النسة ، فشدد الالمان الهجوم عليها ، واستولوا على كثير من ولاياتها ، واعظم ما استولوا عليه قيمة عندهم ريفا

يلي هذا ما حدث قبله من دخول دولة رومانية في الحرب واستيلاء الجرمان على عاصمتها وقسم كبير من بلادها وخروج الملك والحكومة منها واقامتهم في روسية ، ويلي استيلاء الانكليز في الربيع الماضي على مدينة بغداد عاصمة المدنية العربية في الشرق ، ونهتة الملوك ورؤساء حكومات الاحلاف للملكيم بهذا الظفر ،

واما الميدان الغربي الاعظم فاهم احداثه أن الانكليز والفرنسيين مازالوا يكاثرون الالمان في المدافع والذخيرة وغيرها حتى كثروهم فيها كما كثروهم في عدد الجيوش ، وان الالمان قد جلوا عن قسم عظيم من أرض فرنسا وامتصوا ورايه في خطا أقصر من الخط الاول سموه خط هندنبرج نسبة الى قائدهم العام ، وقد استولى الحلفاء على ذلك القسم ، بعد أن صار معظمه خرابا يابا كما توقعنا من قبل ، وحاربوا الالمان عند انسحابهم منه حربا عوانا ، ورجحوا فيها كثير من الاسرى والمدافع ولا يزال الحرب في هذا الميدان سجالا .

﴿ تاريخ هذا الجزء ﴾

صدر الجزء الاول من هذا المجلد في شوال فوجب ان يكون الثاني جزء ذي القعدة وكان جمل تاريخه سلخ شوال خطأ

أولئك الذين عدلهم الله أولئك هم أولو الألباب

المسحاة
١٣١٥

أولئك الملكة من بناء ومن يوت الملكة هبة

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام موى و «متارا» كشار الطرق

٣٠ ذي الحجة ١٣٣٥ — ٢٤ الميزان (خ) ١٢٩٦ هـ ١٧ أكتوبر ١٩١٧

فتاوى المنار

فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، ان لايسع الناس عامة، ونشترط على أسائل أن يبين اسمه ولقبه و بده وعمله (وغنيته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بها عن الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كناية الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا، ولان مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ حكمة تحريم الدم المسفوح ﴾

(س ٨) من صاحب الامضاء بمصر

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ رشيد رضا

ما قولكم دام فضلكم في الدم المنصوص على تحريمه في القرآن الشريف مقيدا بالمسفوح مرة وغير مقيد مرارا وما الحكمة في تحريمه . أفيدوا الجواب ولكم الثواب طيب جمعية الرفق بالحيوان

حسن نفعي

(ج) اللحم المسفوح هو الذي حرم الله شربه وأكله وهو الذي يراق من الحيطان بدمج أو جرح أو غيرها ، وقصيد المسفوح هو الذي نزل أولا في سورة الانعام وما نزل بعده مطلقا فهو محمول على ذلك المقيد ومقيد بقيد . واحتوز بالمقيد عن الجامد كالطحال ، وعما يخالف اللحم من المائيم القليل فانه لا يسفح . وقد بينا في تفسير آية محرمات الطعام من سورة المائدة أن حكمة تحريمه أمران أحدهما أنه خبث تستقذره الطباع السليمة فوجب التنزه عن جعله غذاء للمؤمنين الطيبين الذين لا يليق بهم الا الطيبات ، وثانيهما أنه ضار لانه عسر الهضم ويشتمل على كثير من الفضلات العفنة ، وكثيرا ما يشتمل على جراثيم الامراض والادواء الخطرة . فان سهل على بعض البارعين في العلوم الطبية معرفة مثل هذا واقاء ضرره فهو لايسهل على جميع البشر من البدو والحضر الحاضرين بهذا الدين العام . وتمة الكلام على ذلك في ص ١٣٤ و ١٣٥ من جزء التفسير السادس

(الكتابة وطريق تحصيلها ومكان القرآن والحديث منها)

(ص ٩) من صاحب الامضاء بمصر

استاذي الفاضل الشيخ رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فانا نعلم مكاتكم من العلم في هذا البلد لذلك نرجو الاجابة على ماياتي

ان فن الكتابة والتحرير الذي احياءه فينا الاستاذ الامام مازال يتصعد درجات الكمال حتى إنه ليخيل للناظر في كتابات هذا العصر أنه بين أولئك الاعراب البائدين أو العباسيين المتحضرين حسب اختلاف درجات الكتاب . وقد توافقت آراء الكاتبين على أن أقوم طريق الى الكتابة النظر في كلام العرب وحفظ الجيد منه والنسج على منواله . وإنا نجد أحسن كلام في جراحة الالفاظ ومتانة الاسلوب وعلو المعنى كتاب الله تعالى وحديث رسوله وانا نحفظ الكتاب وكثيرا من السنة ومع ذلك أرانا لانجيد شيئا من الكتابة بل لم فصل فيها الى الدرجة الوسطى من ذلك . وقد بلغنا أن بعض النصارى كان يحفظ القرآن لهذا الغرض

وينتفع به بأي عين نظر اليه ذلك النصراني حتى انتفع به وما بالك ضلنا هذا الطريق في حين أننا أولى به ؟ وكم من رجل ماحفظ شيئا من القرآن ولا عرف شيئا من السنة غير أنه زاول كثيرا من اللغة العربية هو قليل بالنسبة لكتاب الله وسنة رسوله وبهذا طال باعه فيها وذهب فيها مذاهب آباؤها الاولين . قالهم هي لنا ما يرشدنا الى الصواب . وإنا نرجو الاهتداء بهديك والاستئارة بمنارك ان شاء الله فأجبتنا عن ذلك وما السبب فيه على صفحات المجلة لفائدة القراء ولكم الشكر
محمد أحمد عليوه

(ج) كان الناس في أول العهد بالنهضة العلمية والادبية التي جردها الاسلام للعرب يطلبون اللغة العربية من أهلها بالثقي والمشافه ، ولما سرت المعجزة الى الامصار العربية بكنوة مخالطة العرب للمعجم فيها صار أبناء العرب ومواليهم من المعجم يرحلون الى الاعراب في البوادي فيقيمون عندهم زمنا طويلا يتلقون عنهم العربية الخالصة من شوائب المعجمة ، ويحفظون أشعارهم وبروزها كما يحفظون وبروز الكتاب والسنة ، فيتلقاها عنهم طلاب العلم والآداب في الامصار ، بالرواية والدراسة والاستظهار ، ولما استنبطوا منها الفنون لاجل ضياعها وفهمها ، وبيان أسرارها وفلسفتها ، صاروا يتدارسون هذه الفنون في المساجد والدور والقصور مع تطبيق قواعدها على الشواهد من الكتاب الذي يزود السنة ، وأقوال العرب وأشعارهم المحفوظة ، فيجمعون بين ملكة اللغة وذوقها ، وبين فنونها وفلسفتها ، ومنهم من كان يضم الى ذلك العلوم الشرعية ، والعلوم العقلية والكونية ، ولا يحول ريسوخ ملكاتهم في العلوم والفنون ، دون رسوخ ملكة اللغة في مشور ولا منظوم ، وقد اسلخ القرن الخامس للهجرة والعلماء البلقاء كثيرون ، حتى اذا ما تغير منهج التعليم ، وأسلوب التأليف ، وقل الحفظ والحفاظ ، وكثر الاختصار في الكتب وما اقتضاه من البحث في اللفاظ ، ضعفت ملكة اللسان ، وسقطت مكانة البيان ، وصار جهابذة علماء الشرع واللغة ، والمصنفون في فنون الفصاحة والبلاغة ، لا يستطيعون الثقل من عقل اصطلاحات علومهم وفنونهم البعيدة عن الاسلوب العربي ، الا الى اسجاع متكلفة ، أو عجمة أو عجرفة ، ومن شأن قاييس بين عبارة الزمخشري في الكشف وعبارة الفخر الرازي

في التفسير الكبير ، وبين عبارة عبد القاهر في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، وعبارة السعد التتازاني في المطول والمختصر ، فإذا كانت عبارة العلامة التتازاني في دقتها وتحريرها ، نائية عن براعة عبارة الامام الجرجاني في فصاحتها ورشاقة أسلوبها ، وإذا كانت عبارة الامام الرازي على بسطها وإيضاحها ، تكاد تعد ركافة عامية في جنب عبارة العلامة الزمخشري في متانتها وعلو أسلوبها ، فما القول في المتأخرين الذين يعدون منتهى العلم الاستعداد لفهم كلام مثل الرازي والتتازاني ، بل القدرة على المناقشة فيه ، وإيراد الاحتمالات والاجوبة في معانيه ؟

أتى على الامة العربية بضعة قرون وهي في تدل وضعف في اللغة ، لا يمضي عليهم قرن ولا عام الا والذي بعده شر منه ، وما سببه الا تنكب سبيل الاولين في حفظ الكثير من الكلام العربي الحر الفصيح وفهمه ، ومعارضة أسلوبه في نثره ونظمه ، فكان اذا اتفق واحد منهم ذلك بإلهام الفطرة ، أو إرشاد أحد من بقية أهل المعرفة ، فصار كتابا بليغا ، أو خطيا مفوها ، أو شعرا مجيدا ، أحال الباحثون ذلك على ندور في الاستعداد ، يكاد ينتظم في سلك خوارق العادات ، حتى إن ذلك النابغ نفسه يظل غافلا عن السبب ، دع من كان بعيداً عنه أو كان منه على كتب بلغ الجبل من أكثر أهل هذه القرون بهذه المسألة كل هذا ولم تكشفه عنهم سيرة سلفهم ، ولا ما يؤثر من العلم وطريقة التعليم عنهم ، ولا ما شرحه الحكيم عبد الرحمن بن خلدون في القرن الثامن في ذلك وفي هذه المسألة بخصوصها عند الكلام على اللغة العربية وفنونها وآدابها ، وتحصيل ملكة البيان فيها ، وقد وفاها حقها في اثني عشر فصلا من مقدمته المشهورة وهي الفصل السابع والثلاثون وما بعده الى الحسين ، ذلك بأنه كتب ما كتب والامة في طور يقل فيها من يقرأ مقدمته فيقته ويعتبر ، ولم يكن كل من يقفه بالذي يقدر على تلافي الخطب ، والسير بالامة في الطريق القصد ، وقد استبد بأمر الامة الاعاجيب الجاهلون ، وقل العلماء المستقلون ومساد المقلدون .

أما هذه النهضة الاخيرة فقد كان حكيما السيد جمال الدين مقتدح زنادها ، وشيخنا الاستاذ الامام قائد جياها ، ولكن السائل بالنح في اطراف المعاصرين من كتابها ، فظنهم في سلك الاولين ، من الفحول المفرمين ، وما هم عيال على بعض

المولدين ، على قلة ما يحفظون من المفردات ، وكثرة ما يخطئون في المركبات :
وأما سواه من حفظ القرآن من التصارى استماته به على تحصيل ملكة البلاغة
— وهم ثلثة من المتقدمين ، وأفراد من المتأخرين — بأي عين نظروا اليه وكيف
صار بعضهم بليغاً دون كثير ممن حفظه من المسلمين وأضاف اليه شيئاً من الاحاديث ؟
فجوابه أنهم نظروا اليه بعين طالب الفصاحة والبلاغة ، لا بعين طالب الدين
والهداية ، والامور بمقاصدها ، وإنما يستفيد كل أمرى من كل شيء مفيد بقدر
ما توجه اليه ارادته من فوائده ، وتحصيل ملكة البيان في العربية لا تتوقف على حفظ
القرآن الكريم ، ولكن حفظه يكون مزيد كمال فيها لمن حفظه وقصد منه ذلك .
لانه أبلغ الكلام العربي وأعلاه أسلوباً ، وإن كان أسلوبه معجزاً لا يمكن أن
يحتذى مثاله ، ومن حفظه لا يقصد ذلك منه لا يستفيد شيئاً من بلاغته ، كما انه اذا
لم يقصد الاحتذاء به لا يستفيد من هدايته ، ومن هنا تعلم أن حفظه وحده لا يكفي
في تحصيل ملكة البيان في اللغة العربية ، بل تتوقف ذلك على ممارسة الكثير من كلام
بلغاء العرب في المهددين الجاهلي والاسلامي أو العهد الثاني قطعاً ، وإن هذه الممارسة
هي الاصل في تحصيل ملكة البيان لأنها هي التي نحتذى وقدر القرآن الكريم أو
ضعفه لا يكفي خلافاً لما تظهره عبارة السائز ونيل في القرآن يقال مثله في الاحاديث
النبوية وإن كان أسلوبها غير معجز ، وذلك ان المحفوظ منها قليل ، وأكثرها جل
مختصرة ، فلا تنطبع في نفس حافظها ملكة التصرف في جميع الاعراض والمناهي .
ومن لم يقصد استفادة البلاغة منها لم يستفد منها شيئاً . وإن من حفاظ القرآن عندنا من
لا قصد لهم من حفظه الانجويد ألفاظه وتوقيع آياته على الانعام الموسيقية ليعجبوا
أو يطربوا من يستأجرونهم لقراءته في المآثم أو ليالي رمضان ، ومن الناس من
لا ينظر فيه الا بقصد البحث عن آية يمكن التشكيك فيها ، يحملها على غير ما أريد منها
ولا يعجزه أن يجد ذلك ، وقد ذم بعض الشعراء وجهاً أبيض أزهر فشبّه برقعة
الحويان ، وذم ابن الرومي الورد فشبّه بما نزه عنه هذا الكلام . « إنما الاعمال
بالنيات وإنما لكل امرى ما نوى »

رحلة الحجاز

٥

مقامنا بمكة قبل الحج

تقدم اتني دخلت مكة ضحوة يوم الاحد (وهو الثالث من أيام ذي الحجة بحسب تقاويم مصر وهو ما ثبت لدى حكومة مكة بعد وكانوا يعدونها الرابع في تقاويمها) واتني كنت متمتعاً بالعمرة الى الحج ، واتني لم أجتاز يوم الاحد دار السيد الزواوي التي جتهدت الطواف والسعي الا مساء اذ جئت المنزل الذي أعد لي من قبل الامير أحسن الله كرامته ، واتني لم أخرج منه الا ليلا بعد وصول السيدة الوالدة والرفاق الى قصر الامير لتشرف بزيارته . ولقيت في القصر نجله النقيب صديقي الشريف عبد الله ، وليس في مكتمن أنجاله النجباء سواه ، اذ كان قد وجه الامراء الثلاثة عليا وفيصلا وزيدا الى فتح المدينة المنورة والامير عبد الله الى فتح الطائف — وأتقدم ان فتح الطائف قد تم على يديه قبيل قدومنا ، وانه دخل مكة منصرفا عنها في وقت دخولنا

وفي اليوم الثاني وهو يوم الاثنين رابع ذي الحجة علم الناس بوصولي الى مكة مع الحجاج المصريين ، وذكرته جريدة القبلة في عددها الخامس عشر الذي صدر فيه ، فأقبل الكثيرون من الشرفاء والعلماء والوجهاء لزيارتنا وفي مقدمتهم الامير الشريف عبد الله وبعض من يشار اليهم بعد ، وبقينا الى يوم التروية وهو يوم الجمعة ثامن ذي الحجة لئلا نعمل لنا الاعادة الله تعالى وأخصها بالتلطف بيته ، والا لقاء الناس في الدار وفي الحرم والاستفادة من مفاكراتهم .

وقد كنت مدة إقامتي بمكة ضعيف البدن بنزف دم كان قد عرض لي لم يسبق لي مثله ، فكنت لا أستطيع الطواف الا في وقت الاصيل ووقت السحر ، وتقل علي الحر على أنه لم يكد يتجاوز الدرجة ٣٥ من ميزان سنكراد الا قليلا ، ولم اكن أجد راحة في جسي الا حيث كانت راحة روحي ، وما ذاك الا في الحرم الشريف . ولا يوجد في بطن مكة مكان كالحرم يتخلله الهواء لسمته وكثرة الفجاج الموصلة اليه من

الجهات الأربعه ولولا أن وصفه مبین بالتفصيل في كتب المتقدمين والمتأخرين من المؤرخين والرحالين لوصفته في هذه الرحلة الوجيزة . وكنت أصلي الفجر كل يوم بجانب مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام ، وأصلي المغرب والعشاء في الجانب الشرقي من الحرم مع صديقنا الشريف أبي نجي الذي يشق فضله وأخلاقه كثير من فضلاء المصريين ، إذ عرفوه بأقامته في القاهرة عدة سنين ، وكانت داره في مصر بجوار دارنا من شارع درب الجميزة ، واتفق أن زاوينا في جدار الحرم الشرقي بالقرب من باب إبراهيم - وكذا داره - فهي بجوار المنزل الذي أنزلنا فيه كما علم مما تقدم . وكان خدمه يفرشون له في كل أصيل سجادة أو سجادتين تجاه زاوينا حيث يصلي مع بعض أصحابه وكنت أنا والسيد الزاوي منهم ، وكنا نجيبه في الاصيل ونخرج بعد صلاة العشاء .

لم أجد قوة على رد الزيارة على كل من زارني ولم أتمكن من إحصائهم ، فنويت أن أرجع النظر في ذلك الى ما بعد الانتهاء من أعمال التسكك ولكنني زرت فوزي بك البكري من سروات دمشق الشام في داره وعبد العزيز بك المصري في منزله وكلا من الشيخ كامل قصاب أحد علماء الشام ومحب الدين أفندي الخطيب وقواد أفندي الخطيب في إدارة جريدة القبلة وكلهم يعملون فيها ، وكثر التلاقي بيني وبين هؤلاء . والحديث مهم في الشؤون السياسية الحاضرة ، وعرف أخبار الحجاز منهم ولم أدخل دار أحد من المكين زائرا الا زاوية الشريف أبي نجي ودار الشيخ محمد صالح الشيباني ففتح بيت الله الحرام (وئيس مجلس الشيوخ في الحكومة الجديدة كما يأتي) ثم لم ييسر لي بعد الحج زيارة أحد ممن زارني كما يعلم مما يأتي الا نائب الشرع الشريف الشيخ يونس أفندي فاتي زورته في المحكمة الشرعية وكنت عرفته مجاورا في رواق الشوام بالأزهر إذ كان يحضر دروس الاستاذ الامام ، وزرت الشيخ عبد الملك الخطيب من أدباء مكة قبل السفر منها يوم واحد . وكنت أود أن أزور الشيخ عبد الله سراج قاضي القضاة ووكيل رئيس الظفار في الحكومة الجديدة وأخلو به في داره ساعة للمذاكرة في الشؤون الحجازية فلم أجد فرصة لذلك . وكان قد تفضل بزيارتي في دار الضيافة الهاشمية وأتى لي على قنبر النار وطلب

مني جميع ما طبع منه . وقد رأيت أنه في أقرب منزلة من ثقة الأمير وقلما جثت قصر الامارة الا ورايته معه أو متظرا لقائه

وأما الشيخ الشيباني فهو كبير بني شعبة حجة الكعبة المعظمة ووارثي مفتاحها في الجاهلية والاسلام ، ويتهم من أكبر بيوت قريش بعد بيوتات الهاشميين عامة والملوئين منهم خاصة ، وهم ينسبون الى شعبة بن عثمان بن أبي طلحة ، وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة الصعابي الذي فتح باب الكعبة للنبي (ص) يوم الفتح ودخلها معه كما في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة والسير والتاريخ . وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر قال : أقبل رسول الله (ص) عام الفتح على ناقه لأسامة بن زيد حتى أتاه فناء الكعبة ثم دعا عثمان بن طلحة فقال « اثني بالمفتاح » فذهب الى أمه فأبى أن تعطيه فقال : والله اتعطينه أو ليخرجن هذا السيف من صليبي (يعني أنه يقتل نفسه بطن بطنه به حتى ينفذ من ظهره) قال فأعطته إياه فجاء به الى النبي (ص) فدفعه اليه ففتح الباب . وظاهر هذه الرواية ان النبي (ص) هو الذي فتح الباب ، وورد التصريح بذلك في رواية عنه أيضا سندها ضعيف في تاريخ مكة للفاكهي قال (أي بن عمر) كان بنو أبي طلحة يزعمون أنه لا يستطيع أحد فتح الكعبة غيرهم فأخذ رسول الله (ص) المفتاح ففتحها بيده . ولكن روى عنه البخاري من طريق فليح انه قال : وقال لثمان « اثنا بالمفتاح » فجاءه بالمفتاح ففتح له الباب فدخل . وفي هذه الرواية أيضا انه كان مردفا لأسامة على القصواء وهي ناقته (ص) وفي رواية أخرى للبخاري وغيره انه (ص) أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفا لأسامة بن زيد الحديث . وقال الحافظ في الفتح : روى عبد الرزاق والطبراني من جهة من مرسل الزهري ان النبي (ص) قال لثمان يوم الفتح « اثني بمفتاح الكعبة » فأبى عليه ورسول الله (ص) ينتظره حتى انه ليتحد منه مثل الجمان من الحبر ويقول « ما يحبسه ! » فسمى اليه رجل وجعلت المرأة التي عندها المفتاح وهي أم عثمان واسمها سلافة بنت سعيد تقول ان أخذه منك لا يطيكوه أبدا ، فلم يزل يهاشني أعطت المفتاح فجاء به ففتح ثم دخل البيت ثم خرج منه فجلس عند السقاية . فقال علي (إنا) يعني بني هاشم) أعطينا النبوة والسقاية والحجابة ، ما قوم بأعظم نصيبا

مننا . فكره النبي (ص) مقاتله ، ثم دعا عثمان بن طلحة فدفعت المفتاح اليه . ثم قال الحافظ : وروى ابن عائد من مرسل عبد الرحمن بن سابط (وهو ثقة) ان النبي (ص) دفع مفتاح الكعبة الى عثمان فقال « خذها خالدة مخلدة ، اني لم أضعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم لا ينزعها منكم الا ظالم » ومن طريق ابن جريج ان عليا قال للنبي (ص) أجمع لنا الحجابة والسقاية فنزلت (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) فدعا عثمان فقال « خذوها يا بني شيبه خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم » ومن طريق علي بن أبي طلحة ان النبي (ص) قال « يا بني شيبه كلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف » اهـ

والظاهر ان ذكر بني شيبه هنا غلط من النساخ صوابه يا بني أبي طلحة ، فان عثمان بن طلحة هذا هو ابن عم شيبه بن عثمان بن أبي طلحة كما تقدم وكانوا كلهم يدعون بني أبي طلحة نسبة الى جدهم أبي طلحة عبدالله بن عبد العزيز بن عثمان ابن عبدالدار بن قصي . وقد ذكر الحافظ في ترجمة كل من عثمان بن طلحة وابن عمه شيبه بن عثمان من تهذيب التهذيب من عبارة الاصل عن مصعب الزيري ان النبي (ص) دفع المفتاح اليهما مما وقال « خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة لا يأخذها منكم الا ظالم » وذكر عن ابن سعد عن هوزة بن خليفة عن عوف عن رجل من أهل المدينة : دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عام الفتح شيبه بن عثمان فأعطاه المفتاح وقال « دونك هذا فأنت أمين لله على بيته » وذكر الحافظ هذين الحديثين في ترجمة شيبه من الاصابة أيضا ثم قال : وذكر الواقدي ان النبي (ص) أعطاهما يوم الفتح اثمانا وان عثمان ولي الحجابة لي ان مات فوليا شيبه واستمرت في ولده اهـ وهذا هو الصواب ، وقد استمرت في ولده الى اليوم وبهذا حفظ نسبهم ، وعظم حسبهم ، وقد نزعها منهم بعض أمراء مكة ثم عادت اليهم كما يؤخذ من بعض كتب التاريخ أقول ولاهل هذا البيت أن يفخروا على جميع الناس بهذه الوظيفة القديمة الثابتة من قبل الاسلام . التي أقرها الله تعالى ورسوله لهم في محكم القرآن ، وبأن اقرارها لهم كان سبب زول تلك الآية المظلمة التي هي قاعدة أصول الاحكام ، وعليها مدار اصلاح الانام ، وهي قوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها)

(المنار: ج ٣) (٢٠) (المجلد المشرون)

وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) كما تقدم آنفاً

وذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور من تخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج ، بمعنى ما تقدم وفيه أنه قال وقال عمر بن الخطاب : لما خرج رسول الله (ص) من الكعبة وهو يتلو هذه الآية فداؤه أبي وأمي من سمعته يتلوها قبل ذلك . وذكر هو والحافظ ابن كثير رواية طويلة في هذا المعنى عن ابن عباس أخرجهما ابن مردويه عنه من طريق الكلبي عن أبي صالح وفيها ان العباس (رض) حاول أخذ المفتاح وطلب من النبي (ص) أن يجعل له الحجابة مع السقاية فأنزل الله الآية في ذلك . قال الحافظ ابن كثير بعد ذكر هذه الرواية : وهذا من المشهورات أن هذه الآية نزلت في ذلك ، وسواء كانت في ذلك أولا فحكمها عام اه وذكر علماء الحديث والسير أن عثمان بن طلحة أسلم في هجرة المدينة هو وخالد بن الوليد وهاجرا وان شية أسلم عام الفتح

الشيخ محمد صالح الشبي

هذا وانني لم أر فيمن رأيت رجلا مثل رؤيته فصلا من تاريخ قریش في الجاهلية والاسلام وتاريخ بيت الله الحرام الا كبير الشيبين الشيخ محمد صالح . وهو رجل جليل النظر لطيف المباشرة ، حسن المفاكة ، له مشاركة في العلوم الاسلامية ، والآداب العربية ، وحظ من المدنية المصرية ، ورأته على مشربي في العناية بأمر الماء النقي البارد ، فهو لا يشرب من ماء عين زبيدة التي يشرب منها أهل مكة بل يستعذب له الماء من بئر في ضواحيها — كما كان يستعذب الماء من آبار السقيا للرسول الاعظم ، صلى الله عليه وعلى اله وسلم — ويثلج له الماء في داره ، وعنده رواية افرنجية من نوع الترمس الاسطواني المشهور يحمل له فيها الماء الثلوج مع قطع من الجليد المصنوع اذا خرج هومنها الى سفر قريب كمرقة أوجدة . وقد أقام في الاستانة زمنا وهو يعرف اللغة التركية

رخاء المعيشة بمكة

وعلى ذكر الثلج أذكر من خبر رخاء المعيشة في مكة المكرمة ان أهل هذا البلد الامين يتمتعون أبدا بدعاء ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم الذي حكاها الله عنه في قوله (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) ودعاؤه ان يبارك الله لهم في العمل عند ما زار بيت

أصاعيل بمكة بعد زواجه الثاني كما ثبت في حديث ابن عباس عند البخاري الذي ذكرنا القسم الأول منه في بيان حكمة السعي بين الصفا والمروة من هذه الرحلة . قالهم في مكة كبير رخيص وهو جيد شديد السن ، والثمرات والخضر فيها كثيرة رخيصة أيضاً على أنهم يرفعون آذان كل شيء في موسم الحج . وقد كنا في دار الضيافة الهاشمية نستأجر لنا أوزان اللحم والخضر في كل غداء وعشاء ، ولكن كان ينقلب علي وعلى الوالدة والشقيقة الإقهاء ،^(١) فرغبنا في الطعام كانت ضعيفة ، ولولا عتب الطائف ووماتها الجيدان لما طابت لنا الميشة ، وكان أدينا طاه يحسن الطبخ على الطريقتين المكية والتركية ، ثم استحسنت الوالدة أن تتولى الطبخ لنا إحدى الجاريتين اللتين خصصتا للخدمة المنزلية ، وأما التلحج أو الجليل قد قبل لنا أنه كان له معمل في مكة وقد كسر وقطل . ووجدنا بعض الهند هناك يعملون قطعاً صغيرة من الجليل يجمدونها في قوالب من ثرك وبيعونها بأثمان غالية جداً لمنادي شرب الماء المثلج كالشيخ الشبي فكانت أشترى منهم كل يوم ، إذ لم أجد ماء كيران الفخار مقبولا وإن كنا في شهر الميراث ، خلافاً لمثل المجازي القاتل : إذا دخلت الشمس في الميزان يبرد الماء في الكيران .

وقد ذكر الرحلة محمد بن جبر الاندلسي في رحلته ما وجد في مكة من الثمرات والبقول كما ذكر غير ذلك من خبراتها ونصها ، قل : وأما الأرزاق والفواكه وسائر الطيبات فكاننا نظن أن الاندلس اختصت من ذلك بحظ له المزية على سائر حطوط البلاد حتى حلتنا بهذه البلاد المباركة فألفيناها تنعم بالنعيم والفواكه كالذين والمنب والريمان والفرجل ، والتمر والارج والبلوز والقل ... الخ ومن أعجب ما اخترناه من فواكه البطيخ والفرجل وكل فواكهها عجب لكن البطيخ فيها خاصة من الفضل عجيبة ، وذلك لأن رنحته من أعطر الروائح وأطيبها ، يدخل به الداخل طبعك ، فتجد رنحته البتة قد سقت إليك ، فيكاد يشنك الاستمتاع بلطب رياه ، من أكلك إليه ، حتى إذا ذهبت إليك أنه يشبه بسكر مذهب ، أو يجني النحل الباب ، الخ والمطبخ في وصف جودة اللحم وسننه ولينه وسهولة هضمه ، وهو كما قل ، ونحن لم

ندرك كل ما أدرك من الثمرات فانه جاء مكة في قلب الصيف من سنة ٥٧٩ هـ وبقي فيها الى أواخر الشتاء . وبالطبع الاصفر الذي أدركناه دون النوع الجيد منه في مصر المعروف بالشام

❖ الاحرام بالحج وشد الرحال الى عرفات ❖

صلينا الجمعة يوم التروية وهو ثامن ذي الحجة^(١) في الحرم الشريف وفي ليلة السبت شددنا الرحال الى عرفات محرمين بالحج ، وقد قال لي صديقنا السيد الزواوي في صبيحة ذلك اليوم : ان سيدنا الامير أيده الله تعالى قد كان استحسن أن يخرج معه الى عرفة وتكون في صحبته هناك وفي منى الى أن تعودوا الى مكة ، ولما ذكر لي ذلك مستشيرا فيه ذكرته بوجود والدكم معكم ، وقلت لعل الاولى أن يخرج في خدمتها لان ذلك آنس لها وأقر ليعينها ومزيد ثواب له ، فاستحسن ذلك ، وأمرني بتجهيز الرواحل والمؤنة وسائر ما يلزم وأمر بصرف عشرين جنيها لتفقة عرفة خاصة ، وقد همدت الى ابراهيم (هو وكيل الخرج والمتولي أمر خدمتنا) باختيار رجال قوية جيدة لخدمهم والجمال في هذه العام قليلة جدا لكثرة مامات منها قبل الثورة قلة العلف ، ولو كان الحاج كثيرا كالعادة لما وجد من الجال ما يكفيهم ، وقد وصلت أجرة الجمل الواحد الى عرفة ذهابا وإيابا الى عشرين ريالاً مجيداً ، ولولا ان سيدنا الامير حفظه الله أمر عسكر البيشة بحلب الجال من الازهار ولو بالقوة لتعذر على بعض الحاج أن يجدها الا بأجرة قاحشة .

هذا ملخص ما قاله السيد الزواوي ، فشكرت لسيدنا الامير كرمه وفضله ودعوت له بالتوفيق والتأييد ، ثم لسيد عنايته بنا هو وصحبه السيد عبد الرحمن ، وتماهدما ايانا بكل ما نحتاج اليه في كل يوم بل في كل آن ، وكانت هذه العناية على أنهما عند الحل والترحال ، ففي أصيل هذا اليوم - يوم التروية - جيء بالرواحل الى حوش الدار ، وتولى وكيل الخرج ووالده شد الشقادف وفرشها بنظر السيد عبد الرحمن وأرشاده ، ثم ركبنا في وقت المساء . فكانت السيدتان والدة والشقيقة

(١) سمي بذلك لانهم كانوا يروون فيه البهم ويحملونها النساء الكثير لعدم وجوده في عرفة

في أحسن الموادج وسبها غزلان الجارية جلست بينهما غلظتهما ، وركبت أنا ومحمد نجيب أفندي في شقف ، وركب وكيل المخرج مع الاستاذ الشيخ خالد في شقف ، وركب والد وكيل المخرج الجبل الذي يحمل الخيام والاثاث والماعون والمزقة ، وركب السيد عبد الرحمن دابة قرعة ، وسرنا المويانا في أسواق مكة قاصدين عرقة بعد أن أحرمتنا جميعا وأهلنا بالحج من منزلنا ، إلا الذي ذهب بلخيام والماعون فاته سبقتنا ، وتأخر عنا السيد الزواوي الكبير ثم أدركنا ، وبعد سري نحو من ست ساعات ، وصلنا الى حيث ضربت خيامنا من عرقات ، وذلك بالقرب من موقف النبي (ص) حيث مسجد الصخرات ، (وسأقي قريبا يان هذا الموقف) ولم يكن في استطاعتنا ان تتبع سنه (ص) في السير بأصحابه الى عرقة .

كان من لم يسق الهدي من الصحابة الذين كانوا مع النبي (ص) في حجة الوداع قد قلبوا حجهم الى عمرة بأمره (ص) وبعد طواف العمرة وسعيها قصرُوا شعورهم وتمسوا الى يوم التروية ، وكانوا تازلين في خارج مكة ، فلما خرجوا معه (ص) فيه الى منى أهلوا بالحج من الاطح — وهو ما انبسط من الارض في أول طريق منى ما بين الجبلين الى مقبرة مكة (الملى) ويسى البطحاء والمحبس — وقد صلى النبي (ص) الظهر والعصر يوم التروية ثم وليت فيها ليله عرقة وانما رحل منها بعد طلوع الشمس ففي ذلك عدة سنن لم تيسر لنا . والخروج في كل وقت من يوم التروية مباح ، وكره ما لا تقدم اليها قبله وتأخره الا أن أدركه وقت الجمعة فيجوز فيصلها فيها كما قلنا . وروى ابن المنذر أن عائشة لم تخرج من مكة يوم التروية حتى دخل الليل وذهب لك . اه من نيل الاوطار

صفة الطريق مكة الى عرقات

خرجنا من الدار وهي غربي الحرم قرب باب المعروف ياب ابراهيم ^(١) فسرنا في الشارع الكبير ، مائتين يمينا الى جهة الجنوب الشرقي حيث يكون الحرم الشريف من يسارنا ويسى ذلك الموقع بالسوق الصغير ، ويمين الشارع جنادوفه ، ماهد الحكومة

(١) لولهم الذي أضيف اليه هذا الباب سيق كل هذا . وعلم بنى الناس أن لمراد لولهم الخليل (ص) ومن انظر بظاهر التسمية لرحلة ابن حبيب فقل ذلك

والمطبعة والتكية المصرية ، ويليه شارع المسمى حيث يكون السمي بن الصفا والمروة ،
فالقنشيبة فسوق الليل الذي كان فيه ميلاد النبي الاعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ،
وهناك يتحول السائر في الطريق الى جهة الشمال فيمر بالقرية وفيها قصر الامارة عن
يمينه ، قالنا فالسلبانية من يساره ، وهذا القسم الشمالي من مكة واقع بين جبل أبي
قيس من جهة الشرق وجبل قبيعان وجبل الهندي من جهة الغرب ، ودونهما جبل
لحم الصنبر عند النقا

ومتى جاوز الخارج من مكة عمراتها من هذا القسم يرى عن يساره مقبرتها المعلاة
أو الملى وفيها قبر السيدة خديجة أم المؤمنين ، وجدة آل البيت الطاهرين ، عليها
وطيم السلام ، وهذه الجهة هي أعلى مكة وتسمى الحجون (بفتح الحاء المهملة) التي
قال فيها الحارث بن مضاض الجرهمي :

كان لا يمكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسر بمكة سامر .

بل نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والحدود العوائر

و يدخل فيها من ثقبه كداء (١) التي دخل منها رسول الله (ص) مكة عام الفتح
وفي حجة الوداع وهي في أصل الجبل الذي على يسار المار الى المقبرة ، ويقال لثنية كداء
الثنية العليا ، ولثنية الاخرى التي دخلت منها الثنية السفلى وتسمى كدى (بالضم والقصر)
ومنها خرج النبي (ص) من مكة ، وهي بقرب شعب الشاميين من ناحية جبل
قبيعان . وهناك باب الشبيكة المشهور بمد جرول .

وراء الملى في طريق منى مكان يسمى اليابضة مطلق الهواء . فيه قصور لبعض
الشرقاء . ومن هناك يتحول طريق منى الى الشرق ، وهو واد يختلف عرضه من
متى ذراع بذراع الآدي الى ألف ذراع بالتقريب ، وتختلف أسماؤه باختلاف
المواقع ، وأشهرها وادي المنحنى الذي قال فيه ابن الفارض

ما بين ضال المنحنى وظلاله ضل التيم واحتدى بضلاله

ويليه وادي السلم بفتح السين واللام ويذكر كثيراً في أشعارهم . والضال هو

(١) الثنية بوزن قضية الطريق في الثقب أو القبة السلوكية . وقال الراغب الثنية من الجبل
ما يحتاج في قطعه الى صعود وحدود ، والثنية الطريق الوعر في الجبل . وكذا بفتح الكاف والماء .

وفاة الشيخ سليم البشري

شيخ الازهر

في الضحوة الكبرى من يوم الجمعة لاربع خلون من شهر ذي الحجة الحرام توفى الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر عن عمر ناهز المئة سنة وقيل جاوزها ، وكان قبل يومين من وفاته سليما معافى ، وقد نمت ادارة المعاهد العلمية في الازهر الى رؤساء الحكومة والجرائد اليومية بما نصه :

« أصيب المسلمون في مصر بفقد شيخ المسلمين وكبير علماء الدين حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر ورئيس المجلس الاعلى للمعاهد العلمية والدينية الاسلامية »

« توفى الى رحمة الله قبيل ظهر اليوم (الجمعة ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٧) بعد ما لزم الفراش يومين كان من قبلهما ينهض باعباء المعاهد الدينية ويلقي دروسه العالية في الازهر بزم قفى لاتدل منه الشيخوخة ولا يدركه هرم

« وستشيع جنازة الفقيد غدا السبت ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٧ الساعة ١١ صباحا من محطة كبرى الليمون مرة بشارع كامل فشارع الموصكى الى الجامع الازهر حيث يجتمع وفود الشيعين من العلماء والطلاب وغيرهم للصلاة عليه . ثم تسير الجنازة الى مدافن السادات لمساكنة بقرافة الامام مارة بشارع النورية فشارع المغربين فشارع محمد علي ويلقي صاحب العزة حافظ ابراهيم بك على قبر الفقيد مرثاة من نظمه . « أحسن الله عزاء المسلمين في قديم الجليل وتولاه برضوانه ورحمته »

كانت وفاته في داره بالحلمية من ضواحي مصر وبدى الاحتفال بشييع جنازته في الوقت الذي ذكر في النعي وقد وصفت ذلك جريدا في الاهرام والمقطم بالتفصيل ، قالت الاهرام :

« نجى بالجنة من الحلمية الى كبرى الليمون بقطار خاص يصحبها أنجال الفقيد وأحفاده وآله وجمهور من العلماء والاعيان . وكان في انتظارها في محطة كبرى الليمون نفسها من الداخل جمهور عظيم من كبار العلماء والموظفين الملكيين والعسكريين

والاعيان والتجار والمحامين يتقدمهم حضرة صاحب السعادة حسن عبد الرازق باشا
وكيل الديوان العالي السلطاني بالنيابة عن صاحب العظمة السلطانية والكولونل ر.ف
هربرت بالنيابة عن القوميسر العالي البريطاني وحضرة صاحب العالي ابراهيم فتحي
باشا وزير الاوقاف العمومية بالنيابة عن رئيس الوزراء والميجر ه. م جريس أحد
أركان الحرب في الجيش البريطاني بالنيابة عن القائد العام فالهوا السيد علي باشا
مساعداً لادجوانات الجنرال بالنيابة عن وزير الحرية فالقائمقام ادوارد سن بك بالنيابة
عن سردار الجيش فحضرة صاحب العالي محمود شكري باشا رئيس الديوان العالي
السلطاني فحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد نجيت مفتي الديار المصرية
(ثم ذكرت وكلاء الوزارات باسماتهم وكبار الموظفين والوجهاء بالاجمال وخيالة
البوليس فجبهور الطلاب الازهرين وطلبة مدرسة القضاء الشرعي ومدرسة ماهر باشا)
ثم وصفت المبريدة السير بالجنّاة الى الازهر والصلاة عليها فيه وتأمين التقيّد
كما بلغت ، ومنه ان المؤذنين كانوا يرتلون في المآذن التي مرت فيها الجنّاة - وكذا
في صحن الازهر - آيات الأبرار أي الآيات التي وردت في وصفهم من سورة
الانسان وهي قوله تعالى (ان الأبرار يشرّون من كاس كل مزاجها كافورا) الخ
وأقول ان هذان البدع الخاصة بكبار رجال العلم الديني ومن ينزلون عن منزلتهم ولذلك
يظن الكثير من غير المسلمين ومن المسلمين الجاهلين الذين لا يعرفون السنن والبدع أنه من
شعائر الدين . وللمؤذنين في قراءة هذه الآيات طريقة رديئة لو لم تكن قراءتها والاجتماع
لها في المآذن والمساجد بدعا لكانت هذه الطريقة في التلاوة كافية في وجوب الانكار
عليهم ووجوب منعهم من ذلك على القادر . ذلك أن يقطعون الآيات قطعاً يقرأ بعضهم كلّا
منها يسكت في غير مواضع الوقت منها فيتم بعض آخر ما بدأ كما يفضل المشلون للقصص في
الملاحى ، فيفضلون بين الصفة والموصوف ، والعامل والمعمول ، يقول بعضهم (ان الأبرار
يشرّون من كاس) فيقول آخرون (كل مزاجها كافورا) ثم يقول بعضهم (عينا يشرّب
بها عباد الله) فيقول آخرون (يصفرونها فنجبراً) وهكذا يعرفون في قوله تعالى (يوفون
بالنذر) يخافون يوماً كان شره مستطيراً) بين يوماً وما وصف به ، ولو تدبروا الآية لحافوا
ان يمدّهم الله تعالى في ذلك اليوم على هذا التزيق في قراءة كتابه . ومن غريب الاتفاق

(المآثر: ج ٣) (٢١) (المجلد العشرون)

اننا اقترحنا في جزء التار الماضي على شيخ الازهر أن يسمي لابطال البدع من المساجد ولم يكذب نوزع الجزء الا وقد قضى الشيخ بحجه ، فعسى أن يقوم بذلك خلفه
ثم قالت الازهرام : وكان الناس من وطنين وأجانب وقوقا بالعشرات والمئات على جانبي الطريق يحيون الفقد في مشهده ويترحمون عليه . ثم ذكرت وصول الجنازة الى الجامع الازهر في منتصف الساعة الاولى بعد الظهر والصلاة عليها وقراءة الشيخ محمد الحللاوي قصيدة من نظمه في رثاء الفقيد . وتلاه الشيخ محمد أبو العيون بتأيين مشور أشير اليه بأن يختصره لاجل التمجيل بالدفن المطلوب شرعا ففعل .

ثم حملت الجنازة من الازهر والمؤذنون يكررون الآيات التي تقدم الكلام عليها الى مقابر المالكية من قرافة الامام الشافعي رضي الله عنه ، وبعد مواراتها التراب أنشد محمد حافظ بك ابراهيم مريته وتلاه الشيخ محمد فراج المنياوي بتأيين نثري أساء فيه الاطراء فجعل فيه الفقيد من الخلفاء الراشدين بل فضله عليهم في التمييز . ثم عزى جمهور المشيعين أبناء الفقيد وانصرفوا

﴿ مريّة محمد حافظ بك ابراهيم ﴾

أبديري المسلمون بمن أصيبوا	وقد واروا سلبا في التراب
موى دكن الحديث فأى خطب	طلاب الحقيقة والصواب
موطأ مالك عزى البخاري	ودع الله تمزية الكتتاب
فا في الناطقين فم يوفي	عزاء الدين في هذا المصاب
قضى الشيخ المحدث وهو على	على طلابه فصل الخطاب
ولم تنقص له التسعون عزما	ولا صدته عن درك الطلاب
وما غالت قريته البالي	ولا خاتته ذاكرة الشباب
أشيخ المسلمين تأيت عنا	عظيم الاجر موفور الثواب
لقد سبقت لك الحسنى فطوبى	لموقف شيخنا يوم الحساب
إذا ألقى السؤال عليك لمن	نصدى عنك برك الجواب
ونادى بالعدل والاحسان انا	نزكي ما يقول ولا نحابي
قنوا يا أيها العلماء وابكوا	ورروا لحده قبل الحساب

فهذا يومنا ونحن أولى ينزل الدمع من ذات الحضاب
عليك تحية الاسلام وقتا وأهليه الى يوم المآب

الصاوي

ونشرت جريدتا الاهرام والمقطم تمزية برقية من نائب الملك لمدير المعاهد الدينية وأخرى للشيخ طه البشري أكبر أبناء الفقيد صرح فيها بأن نعي الفقيد قد شق عليه كثيرا ودعا له بالرحمة والرضوان — و برقيتان أخريان بمنأهما من كبير الوزراء صرح فيها بأنه أسف جدا لعدم إمكان تشييمه الجنازة بشخصه .
وقد تألف وفد من أئجال الفقيد ومراقب الازهر رأسه المدير العام للمعاهد الدينية الشيخ عبد الرحمن قراعة لاداء الشكر لرؤساء الحكومة وكبراء البريطانيين الذين اشتركوا في تشييم الجنازة بالذات أو بإبابة الوكلاء عنهم والمعينين بقصر عابدين وسجلوا أممهم في (دفتر التشريعات) ثم نائب وزير الحرية وادورودس بك اشكر السردار ثم الجنرال كليتون اشكر القائد العام للقوات البريطانية بمصر على ارساله مندوبا لتشيع الجنازة ثم وكيل الاوقاف لشكره وشكر الوزير وأرسلوا برقيات شكر الى نائب الملك ووثيس الوزراء وقومندان المحرسة ومحافظ العاصمة وحكمادارها

﴿ ترجمة الفقيد ﴾

نشرت جريدة الاهرام ترجمة وجيزة للفقيد قبل انهامستدقة من أهل بيته ملخصها :
انه « ولد حوالي سنة ١٢٤٣ أو ١٢٤٤ في محلة بشر بمركز شبراخيت ولما شب حضر الى مصر لتلقي العلم وأقام تحت رعاية شيخه الشيخ بسيوني البشري من شيوخ المسجد الزيني ،
وانه تعب في طلب العلم تعباً شديداً ولقي من الدهرفيه مقاومات عظيمة ، وانه كان يتعبد في المسجد الزيني ليلا ويذهب الى الازهر نهارا لتلقي الدروس ، وان خاله عين أمينا لكساوي المحل في أول ولاية سعيد باشا فخرج معه الى الحجاز حاجا « وبعد ان أدى فريضة الحج عاد الى مصر وبقي يشغل بالتدريس حتى سنة ١٢٧٣ هـ قريبا »

== وأن أول عهده بالوظائف أن « عين إماما لمسجد إيتال بمرتب ٩٠ فعنه في الشهر » « وفي سنة ١٢٩١ مات الشيخ علي المدوي فنيط به التدريس في المسجد الزيني بدلا منه بمرتب مئة قرش في الشهر وعين وكلاء عن شيخ المسجد الزيني لحداته سنة

وهو الشيخ أحمد الصفي الشيخ الخالي وبقي كذلك الى آخر ولاية اسماعيل باشا . ثم عين اماما وخطيبا لمسجد زين العابدين ثم شيخا للملكية بعد وفاة الشيخ عليش ثم شيخا للازهر لاول مرة في سنة ١٩٠١ وكانت مدتها أربع سنين . وذكر من حبه العلم واشاره له أن تلميذه قدري باشا عرض عليه وظيفة بثلاثين جنيها فأبى مفضلا الانقطاع الى تعليم العلم . ولم يذكر تلك الوظيفة فالظاهر انه لم يكن يمكن الجمع بينها وبين التعليم .

وذكر مسألتين من خلافته احدهما انه كان اختار الشيخ أحمد المنصوري شيخا لرواق الصاعدة فأبى قاضي مصر إقامته ناظرا على أوقاف الرواق فأمر صاحب الترجمة على تعيينه دون غيره « ورأى في المدول اهدارا لرأيه بالغ في التبشير بأبيه حتى فضل ترك المشيخة على التجاوز عن حقه المفروض بحكم القانون » والثانية انه لما جدد المسجد الزينبي رأى رئيس مهندسي الاوقاف ان ينقل القبر المنسوب الى السيدة زينب بمافيه فعارضه الشيخ وأعلمه أن ذلك مخالف للشرع من وجوه عديدة ، وانتهى الخبر الى الحديو محمد توفيق باشا فأمر بإبقاء القبر في مكانه وترضى الشيخ فتم له ما أراد . ولما كانت نشأة الشيخ الدينية قد كانت في جوار ذلك الصريح وصار قريبا لعدة سنين ظل محافظا على فكره بمطول عمره ، ولا ندري أكان يعتقد أن السيدة زينب مدفونة في هذا المكان كما يظن عامة المصريين أم كان يرى ان نسبة القبر اليها كدونها فيه ؟

وفي هذه الترجمة أغلاط وقصور . وقد علمنا من عالم من أكبر تلاميذ الفقيد وأعظم ترجمته انه سيع منه انه ولد في سنة ١٢٣٧ وانه جاء مصر في سنة ١٢٤٥ أو ١٢٤٧ وأقام عند خاله الشيخ بسيوني شلتوت المؤذن في مسجد السيدة زينب . ثم قضت الحال أن أرسله الحال الى الازهر

وقد رأينا في جريدة وادي النيل التي تصدر في الاسكندرية — وهي أرقى جريدة للمسلمين في هذا القطر — نميا للفقيد وشيئا من حاله يبلغ زهاء نصف عمود بدأه بقوله : « نعت الماصصة الاستاذ الشيخ سليما البشري شيخ الجامع الازهر عن عمر طويل قضى شطره الاكبر في خدمة العلم وقضى أواخره في ولاية المشيخة بالازهرية غير مرة . وكان رحمه الله في ولاية المشيخة ذا أنصار يحفون من حوله وخصوم

كثيرين يأخذونه بأمور ليس من المناسب ذكرها » ثم ذكر أن علماء الأزهر متفقون على أنه أعلمهم بالحديث وأن طريقته في قراءته أنه كان يقرأ الحديث أولاً على سبيل التبرك ثم يقرأ أحد الطلبة بصوت جهوري ثم يشرحه الشيخ بما شاء الله من علمه . أقول وهذه المزية له - شهرة سمعتها من كثيرين وعليها بنى حافظ مريثته ، وهي أعظم مزية تذكر له في هذا العصر الذي أهمل الأزهر يون فيه العناية بعلم السنة رواية ودراية حتى صار طلبة العلوم الدينية في ديوبند وغيرهما من بلاد الهند يفضلون أكبر شيوخ الأزهر في علوم الحديث . وأما كان الشيخ سليم البشرى على حظ من علم الحديث لانه طلب العلم قبل هذا الجيل بجيلين وكانت كتب السنة لا تزال تدرس في الأزهر . وقد أدركنا من أقران الشيخ في الطلب شيخ شيوخنا الشيخ محمود نشابة فألفيته منفردا بعلم الحديث ، وقد كنت أقرأ عليه صحيح مسلم فيصح لي أسماء الرواة وغريب الحديث ويبيِّن عن كل ما سأله عنه من المشكلات على البساطة من غير مراجعة شرح ولا كتاب آخر . فاذا رجعت الى تلك الكتب رأيت ما قاله هو الصواب . ولكن صاحب الترجمة لم يعمل شيئاً لحياءه ما لندرس من علوم الحديث في الأزهر في أيام رياسته ومشيخته

وعندنا أن أعظم ما يدكر في تاريخ مشيخته للأزهر قبوله للقانون الذي وضعته الحكومة له ولما هدا التعليم الديني التابعة له وتنفيذه إياه ، وقد دينا رأينا فيه في المجلد الرابع عشر من المنار ، ولا مجال لبيان ذلك ولا لما كان بين المترجم وبين الاستاذ الامام من الوفاق والخلاف في ادارة الأزهر ، وإنما أقول أن المترجم كل حريصاً على نيل رضا السلطة العليا في كل وقت ، وقد فصلنا ذلك بمض التفصيل في تاريخ الاستاذ الامام (لترجمة بنية)

﴿ شيخ الأزهر الجديد ﴾

لما توفي الشيخ البشرى كثرا التعليل والقال في الأزهر في ترشيح خلف له وصري ذلك الى سائر معاهد العلم الديني التابعة للأزهر والى غيرها واشتهر أن الأزهر بين رشحوا أربعة أشياخ كل منهم له حزب رشحه ، وسمى له سعيه ، وقد كتب بعضهم مقالات الى الجرائد يطن فيها ببعض ، منها ما نشر ومنها ما لم ينشر ، واتسم الوقت للغرض في ذلك

بأن البشري توفي قبيل عطلة عيد الاضحى ولم يتعين الخلف له الا بعد انتهائها فقد صدرت الارادة بتعين الشيخ محمد أبي الفضل الجيزاوي شيخ معهد الاسكندرية شيخا للزهر ورئيسا لمجلس المعاهد الدينية الاعلى في يوم الاثنين لاربعة عشرة خلت من شهر ذي الحجة الحرام ، وهو أكبر علماء المالكية بعد البشري سنا ومن أشهر علماء الازهر في العلم والحفاظ على آداب الشيوخ وشماثلهم ، ويقال انه في العقد الثامن من العمر ، وقد سبق له الاشتغال بإدارة الازهر إذ كان أحد أعضاء مجلس ادارته في مشيخة الشيخ حسونه النواوي ثم عين وكيل الازهر وبعد قليل من الزمن عين شيخا لمعهد الاسكندرية . فنهته بأكرم منصب يرتقي المشيوخ العلم الديني بمصر ونسأل الله تعالى ان يوفقه ويسدده فيه ويجعل لاهل علم السنة ومقاومة البدع أفضل حظ من غايته

عبر التاريخ

ما قيل في فتح الانكليز لبغداد

قالت جريدة القطم في فاتحة مقالة طويلة نشرت في صدر العدد الذي صدر في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٣٥ - ١٣ مارس سنة ١٩١٧

«قضي الامر في المراق وسقطت بغداد عاصمة الخلفاء العباسيين ومبوءة مجدهم وعنوان قهرهم ، واستولى البريطانيون على منبت أثلة المنصور والمهدي وهرون الرشيد والمأمون وموئل العلماء والشعراء والادباء في عصر الشرق الذهبي الحديث . أي ذكرى تهييج في خاطر العربي اذا ذكر اسم بغداد والزوراء ودار السلام ؟ بل أي مجد يتحلى لعينيه عند سماع اسمها من دولة عظيمة الاركان ، متينة البنيان ، قامت على العدل والنظام والعلم والامان ، وشعب ناهض ناشط لطلب العلم واتقان الصناعة وترويج التجارة ، وتوسيع نطاق الزراعة وبسط السيادة ، وازاءة مصباح العلم لتمزيق دياجير الظلام . بغداد دار العلم والمجد وبغداد مقر العظمة والبروق وبغداد عاصمة العرب وقاعدة الشرق

«هذا ارث مجيد ظل بيد الشرقيين اثني عشر قرناً شاهداً ناطقاً بعظمة أسلافهم يناوح خرائب بابل وآثار نينوى حتى صار أمره الى الاتحاديين فضاع منهم كما ضاع سواه ، وصارت بغداد في يد من يعرف قيمتها ويقدرها حتى قدرها

هذا ميراث العرب الكرام أخذه الاتحاديون كما يأخذ الصبي الكرة وقذفوا به كما يقذف بها فأقلت من يدمهم وهم يسرون الجيوش الى بلدان أوربة فأتهمين وثغور تركيا وكبار مدنها تسقط الواحدة بعد الأخرى . هذه سنة الله في خلقه وقد سخر الاتحاديين لافناذ مشيئته وأنزال قضائه »

ثم قل في فاتحة المدد القدي صدر في ٢٢ جمادى الأولى بعد كلام علل فيه نسبة الجرائد الانكليزية ببندا مدينة الشعر والغلب بأنهم أخذوا ذلك من كتاب ألف ليلة وليلة القدي هو أشهر كتاب عند الانكليز بعد التوراة والانجيل :

« أما العرب فينظرون الى بندا من وجهة أخرى وإن لم يغفلوا وجهة الشعر والغلب فالعرب في مقدمة الأمم التي تحب الشعر والشعراء ولكن العرب يرون في بندا القديعة عنوان مجد جنسهم، وورثاً الى أكبر شأواً بلنت حضارتهم، ويذكرون أن عصرها الأول كان عصرهم الذهبي إذ منها انبج صبح العلم في الصور الحديثة فأشاه الشرق والغرب » ان العرب يرون في بندا الأولى مقر العلم والحكمة، وخزاة معارف الشرق، ومدرسة التي نبغ فيها العلماء والأطباء والفلاسفة والفلكيون والكيميائيون والشعراء والكتاب والفنانون والمهندسون برعاية الباسيين وحماية أفضل خلفائهم ولا سباً للمأمون القدي كان ضد العلم وسند العلماء .

« قل السر هنري رولتسن المؤرخ الشهير في كلامه عن بندا ما نصه : [وقد نافست ببندا قرطبة في الآداب والعلم والصناعة والفنون فكان لها تين الدينيتين سيادة العالمين هذا القليل . أما في التجارة والثروة فإن قرطبة لم تبلغ شأواً ببندا . وكانت ببندا عاصمة الاسلام الدينية والعاصمة السياسية لمظلم بلدانها كان الاسلام كن حضارة الدنيا] » هذه هي ببندا كما براها العرب القدي يعرفون تاريخ قومهم، ويحفظون ذكر عظمة جنسهم ، ويتحسرون على أيام الرشيد والمأمون، ويتنمون لواتبع للعرب ان ينهضوا مثل نهضتهم في ذلك العصر السعيد ، ويتعاونوا على رفع شأنهم بإتقان العلم وتشجيع الصناعة والتفاني في تأييد المجموع .

« كانت ببندا لسلطنة العرب كلندن اليوم لسلطنة البريطانيين ، فكانت مركز قوتهم، ومجمع علمهم، وركن مناهنهم، وسوق تجارتهم، ومجلس حكومتهم، وكان خلفاؤها

ينظرون في الجهات الأربع ويطلون أن الريح كفيما جبت قلعتها تهب عليهم من ولاياتهم
وعالمهم حتى لقد قل الرشيد مخاطب السحابة «اهزي حيث شئت فان خيرك يأتيني »
« ان بغداد صارت الآن للعرب مدينة الشعر والخيال اذ لا سبيل الايهما الى
تمثل عظمتها الماضية ، أما في عصر العرب الذهبي فقد كانت بغداد جلعة لاهية
المك وشرف العلم ومجد الصناعة وعظمة التجارة واتقان الفنون وبراعة النظام ، فكان
الخيال والشعر فيها تفككة بلطغان من أخلاق أهلها وهم في طلب الملى جادون ، والى
التقدم والارتقاء والنجاح ناشطون » وفي ذلك يقول أحد شعرائهم :

بغداد أبتما الجياد قلنا آتبي وأقرب لشؤون وأجمع

«وقد در ذلك المستشرق القائل (١) : [في بلاد سكانها من صميم العرب الذين
عرفوا بالبرزة والافقة والشم ودانت لهم الاقطار، ففتحوا الممالك ودوخوا الامصار في
غابر الاعصار، وأنشأوا لهم في التاريخ مجداً خالداً، وذكراً باقياً، فداع فضلمهم، وطار
شهرتهم ، وتناقلت الركبان أخبارهم هناك جنة عدن وهناك جنات النعيم ، كانت
رافلة في حلل المناء والرخاء أيام كانت انكثرة والمائة فيافي وقفاراً ، وكان أهلها غلوقين
في بحار الجهل يتخبطون في دياجي الظلام . بلادكم أيها العرب هي البلاد التي أزهرت
فيها الحضارة وأينعت الفنون وأمر الادب وعمرت دور العلم والفلسفة وهي البلاد التي
انبعث منها نور الدين وألبرت العالم ثوب الرفاهية والسعادة]

« ترى هل يكون العرب نصيب من بقعة العالم بعد الحرب ويد في نهضته
القادمة فيحل الجا . محل الخيال ، وتطلق العقول والقلوب مما أصابها من القنوة وتنزل
هذه الامة المزلقة التي تجدرها في مجالس الشعوب ؟ أو تظل تمود يصرها القهقري
الى هصور مضت ، وأيام اقتضت ، تتغذى بالذكرى ، وتصبغ الانكاس الحريء »

(١) أي في مقالة نشرت مترجمة في القطم بتاريخ ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٦

﴿ حجم المناظر ﴾

اضطرنا انقطاع ورود الورق وغلاؤه المضاعف المتعاش الى تصغير حجمه جزءا
الزيادة في أجزائه وهو ضرورة نتقدر بقدرها ، وعسى أن لا يطول أجلها .

قوله: عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى شيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و «منارا» كنار الطريق

٢٩ المحرم ١٣٣٦ — ٢٢ القرب (٢خ) ١٢٩٦ هـ ش ١٥ نوفمبر ١٩١٧

فَتَنَاتُ الْمَلِكِ الْمُبْتَلِ

فتحننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بمذالك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بمشاه من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا، ولئن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿حكم تارك الصلاة﴾

(س ٨) من صاحب الامضاء بمصر

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فأرجوكم ترفيقنا على صفحات المنار
الأغر عن حكم تارك الصلاة بغير عذر في نظر الشرع وهل الاحاديث التي وردت
بخصوص ترك الصلاة تؤخذ على ظاهرها أو فيها ما يحتمل التأويل كما يقال ؟ اماما
أعلم من الاحاديث الواردة في تارك الصلاة أو المتخلف عنها فهو الموضح بعد فان
كان هناك أخرى أرجو التفصيل بإيضاحها في الاجابة . قال صلى الله عليه وسلم : —
١ « بين البعد والكفر — وفي رواية الشرك — ترك الصلاة فاذا تركها فقد
أشرك . وحوضي كايين أيلة الى مكة أباريقه كعدد نجوم السماء له ميزان من الجنة
كلما نصب أمداه ، من شرب منه شربة لم يظأ بعدها أبدا وسيرده أقوام ذابله
شفاههم فلا يطلعون منه قطرة واحدة من كذب به اليوم لم يصب منه الشراب يومئذ »
٢ « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » (يريد طبعاً العهد
الذي بيننا وبين الكفار)

٣ « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله »

٤ « الذي تقوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله »

• والذي نفسي بيده لقد همت ان آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف الى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم انه يجب عرقاسمينا أو مرماطين حستين لشهد العشاء» فأرجو بعد النظر في هذه الاحاديث التكرم بتفهيما درجة صحتها وبما اذا كان في ظاهرها شيء يحتمل التأويل خصوصا في لفظة الكفر أو الشرك

هذا والسبب الذي ألبأني الى عرض سؤالي هذا على فضيلتكم هو ذلك التهاون الغريب في أمر الصلاة بين من يسمون أنفسهم مسلمين الآن وظنهم ان تاركها لا يخرج عن كونه عاصيا بسيطا مثل باقي العصاة مفتوحة له أبواب التوبة في أي وقت شاء فيه الصلاة وذلك بالرغم مما ورد في أمرها في القرآن الكريم والاحاديث الشريفة من التشديد والوعيد . لذلك أرجو أن تكون الاجابة مفصلة الشرح لعلها تكون فصل الخطاب فيما عليه شابتنا المسلمون المتفرنجون من الحيرة في حكم تارك الصلاة بغير عذر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحامي

علي مهيب

بتفتيش عموم التفارقات

(ج) يجد السائل في المجلد الثامن عشر من التلار ما يقف عن تفصيل القول في هذه المسألة وهو رسالة لشيخ محمد أبي زيد من طلبة دار الدعوة والارشاد اسما (البرهان على خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان) نشرت في ص ٥٠٥ و ٥٦٢ و ٥٨٦ وما بعدها أورد فيها كثيرا من الآيات التي استدلت بها على كفر من ذكر وبعض الاحاديث المؤيدة لدلائلها على ذلك ، وذكر فيها علقاه في حواشيا وما ذيلناها خلاف العلماء في المسألة والجمع بين الأقوال . وان أدري أريد السائل الآن أن أتوسم في شرح المسألة واستيفاء ماورد فيها من النصوص لزيادة الايضاح وتكرار تذكير التاركن لهذا الفريضة التي هي عماد الاسلام ؟ أم لم يقرأ تلك الرسالة وما علقناه عليها ؟ وقد يستدل بما أوردته من الاحاديث وسؤالي عن غيرها انه لم يقرأ الرسالة ، على أنه من أشد قراء التلار عناية بهذه المسائل كما نعلم ، فنحنه أولا على مراجعتها وقراءتها ونرشده الى كتابين جليلين في المسألة أحدهما

(كتاب الصلاة) لامام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، (وكتاب الصلاة وأحكام تاركها) لناصر السنة ابن القيم رحمه تعالى ، والكتابان مطبوعان معا .
فاذا أشكل عليه بعد الاطلاع على ما ذكر أمر فليسأل عنه

أما الحديث الاول مما أورده في السؤال فصدره الخاص بالصلاة في صحيح مسلم وأكثر كتب السنن والثاني رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي والنسائي والثالث والرابع والخامس في الصحيحين وغيرهما الا الثالث فقد رواه البخاري دون مسلم ، وبما قيل في السادس انه في تهديد جماعة من المناقبين وأنه في صلاة الجمعة خاصة أو الجماعة مطلقاً فالاحاديث التي أوردها في الموضوع كلها صحيحة . وقد ورد في معناها أحاديث أخرى

واتي أذكر كلمة وجيزة في المسألة تنيد السائل فضل فائدة في المسألة وان كان يمكنه مراجعة المجلد الثامن عشر من المنار ولاكتفاء بما فيه لانه من قدماء المشركين الذين يحفظون المنار وقد تكون ضرورية للذين اشتركوا في المجلد التاسع عشر والمجلد العشرين ومن يتعذر عليه مراجعة ما أحلنا السائل على مراجعته :

ان الكفر والظلم والفسق وما اشتق منها قد استعملت في لغة الكتاب والسنة استعمالاً أعم وأوسع من الاستعمال لاصطلاحه الذي جرى عليه المتكلمون والمفتهاء . فهو لا قد جعلوا الكفر مقابلاً للإيمان والاسلام فالمسلم الصحيح الإيمان قد يكون عندهم فاسقاً وظالماً ويطلق عليه هذان اللقبان ولكن لا يطلق عليه لقب كافر . وفي لغة الكتاب والسنة تطلق هذه الالفاظ على ما يقابل الإيمان والاسلام وعلى بعض كباثر المعاصي التي اختلف أئمة المفتهاء والمتكلمين في كفر مرتكبها بمعنى خروجه من ملة الاسلام كالصلاة وكذا على ما أجمعوا على انه غير كفر بهذا المعنى كالتياحة على الميت . ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً « ثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والتياحة على الميت » وأهل الاثر يتبعون النصوص في ذلك ويقولون بكفر كل من أسند اليه الكفر أو وصف به في الكتاب والسنة وما كل كفر عندهم خروج من الملة بل هنالك كفر دون كفر ، وهم ثلثة من الاربين وقليل من الآخرين . وأهل المذاهب يتبعون مذاهبهم في كل مسألة فيفترقون بين النصوص

يولون بعضها ويأخذون ببعض اتباعا لمن قلدهم لا للنصوص
 والتحقيق الجامع بين النصوص ان من كان مؤثما صحيح الايمان مسلما صادق
 الاسلام لا يخرج عن ملة الاسلام تركه لصلاة كسلا أو ارتكابه لكثيرة من المنهيات
 بجهالة يتوب منها ولكن الايمان الصحيح هو ايمان الاذعان والخضوع الفعلي لأوامر الله
 ونواهيه الذي به يكون المؤمن مسلما . وقد يكون المرء مؤثما غير مذعن كابليس ومن
 قال الله تعالى فيهم من أئمة الكفر (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) ومن
 قال فيهم (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يمحذون) وغير هؤلاء
 وهل يعقل أحد ينصف من نفسه ان يكون من أولئك المؤمنين المذعنين من يترك
 عماد الدين وأعظم أركان الاسلام بغير مبالاة وبصر على ذلك غير مكثرت للآيات
 والاحاديث الكثيرة في الامر بها والترغيب فيها والبيان لفوائدها ومكائنها العليا من
 الدين والتهريب والزجر عن تركها والوعيد الشديد عليه وتسميته كفرا في أحاديث
 صحيحة ظاهرها ان المراد به كفر الاعتقاد لا كفر النعمة أو كفر العمل كما قيل ؟
 ومن قال بكفر تارك الصلاة من أئمة السلف إمام الائمة علي كرم الله وجهه
 وقد أول الجمهور الاحاديث الواردة في ذلك بما أشرنا الى مبضه آثنا وحملها
 بعضهم على الاستحلال ولا خلاف في كفر من استحل حراما مجمعا على تحريمه معلوما
 من الدين بالضرورة كترك الصلاة والزكاة من الفرائض وكفعل الزنا وشرب الخمر
 من المحظورات . واستحلال الشيء هو عده حلالا كما قال ابن منظور في لسان العرب .
 فاذا كان المراد به الاستحلال بالفعل وهو أن يكون المحرم عند مرتكبه كاللحل في
 عدم تخرجه من فعله ولا احترامه لامر الله ونهيه حتى كأنه لم يفعل شيئا فهذا هو القدي
 لا يعقل أن يصدر من مؤمن . وإن كان المراد اعتقاد أن الشرع أحله فهذا محال
 على نشأين المسلمين . ولا أعرف لامكان الجمع بين الايمان بما جاء به محمد (ص)
 وبين ترك فريضة منه أو ارتكاب محرم الا صورة واحدة وهي الضرر بالاماني
 كالمفطرة والشفاعة وجعل الفاسق ذلك كالمقطوع به ، وقد كشفنا الشبهة عن وجه
 هذا الضرر مرارا في التفسير وغير التفسير والله أعلم

رحلة الحجاز

٥

عرفات وحدودها

كل من عرفة وعرفات (بفتح العين والراء فيهما) اسم لتلك البقعة الشريفة من الارض ، التي هي من أشهر البقاع عند ألوف الألوف من البشر . وعرفات اسم مفرد ينون كأذرعات وليس جمعا لعرفة وجوزان يكون أشير بصيغة الجمع الى كون كل مكان أو قسم من تلك البقعة يتحقق فيه معنى التعارف أو التعرف الذي عللت به التسمية كما يأتي قريبا . ويحتمل ان يكون بعض قدماء العرب مدّ فتحة الفاء وأشبها في الشعر ثم كثر فصار اسما مستقلا ، ونظيره قول الشاعر في عرنة (يضم المبن وفتح الراء والنون)

أبكلك دون الشعب من عرفات بمدفع آيات الى عرفات
وقول عمر بن أبي الكنتات الحكي المعني

عنت الدار بالهضاب اللواني ين توز فلتنى عرفات

وظاهر عبارة لسان العرب انهما موضعان قال : وعرونة وعرنة موضعان وعرفات موضع دون عرفات الى أنصاب الحرم ، قال لبيد :

والفيل يوم عرفات كلكما اذ أزمع المعجم به ما أزمأ اه

وأقول : ليس دون عرفة موضع يسمى عرفات غير بطن عرنة الذي يذكره جميع العلماء . وأخطأ من قال ان عرفة مولد ليس يربى صحيح ومن قال انه اسم لليوم التاسع من ذي الحجة ، وإنما يقال انه يوم عرفة بمعنى انه يوم الوقوف بها كما يقال يوم التروية وليس كيوم عاشوراء . وقد ورد اسم عرفة في الاحاديث الصحيحة علما للبقعة وكذا في كلام الصحابة وسأاتي شيئا منها ، وعليه جرى العلماء والفقهاء فكلامهم يطلقون اسم عرفة على تلك البقعة الشريفة فلا يفترون أحد بعبارة التاموس الموهمة ولا يقول من توهم ذلك من المتأخرين وزعم انه مقتضى كلام الراغب ، وإنما قال الراغب « ويوم عرفة يوم الوقوف بها » أي بالبقعة المخصصة التي اسمها عرفة وعرفات . قيل انها سميت بذلك لان آدم وحوا تعارفا بها بمد هبوطهما من الجنة ، وقيل لقول جبريل لابراهيم عليهما السلام لما علمه المناسك وأراه المشاهد : أعرفت

أعرفت ؟ قال عرفت عرفت . وقيل لاتها مقدسة معظمة كأنها عرفت أي طيت بالعطر . وقيل لأن الناس يتعارفون فيها ، وقيل لتعرف البعاد فيها إلى الله تعالى بالعبادة والدعاء . والقولان الأولان يتوقفان على نقل صحيح ، والاخباران أظهر معنى ، ويعمدون تعارف الناس هناك من حكم الحج التي شرع لأجلها ، والواقع أن التعارف بين الحجاج لا يتيسر في عرفة كما يتيسر في بني لأن وقت عرفة قصير فإن الجمع عليه منه يمتد من وقت الظهر إلى وقت المغرب ولا يجزى الوقوف قبل الزوال عند أحد من العلماء إلا ما روي عن الإمام أحمد من أن وقت عرفة من فجر يومها . ويجوز الوقوف في ليلة الماشر عند غير الشافية ، فإني يقيس التعارف بين أفراد ذلك الجمع الكبير ، في ذلك الوقت القصير ، مع ما يشرع فيه من ذكر الله تعالى ودعائه ، المقصود في هذه المعاهد لذاته . وستأتي للبحث تمة

وحدود عرفة معروفة للناس بما يتناقلونه بالتواتر عن المواضع التي يحصل الفرض بالوقوف فيها . وذكر العلماء المتقدمون لها حدوداً منها قول بعضهم : الحد الأول ينتهي إلى جادة طريق المشرق ، والثاني ينتهي إلى حافات الجبل الذي وراء أرضه ، والثالث ينتهي إلى الحواط (أي البساتين) التي تلي قرية عرنة وهذه القرية على يسار مستقبل القبلة في عرفة ، والرابع إلى وادي عرنة بضم العين وفتح الراء والتون ، وعرنة وغرة (بفتح فكسر) ليستأمن عرفة ولا من أرض الحرم والمالكية يجيزون الوقوف بعرنة ويحتج عليهم الجمهور بحديث « عرفة كلها موقف وارفعوا عن بطن عرنة ، ومزدلفة كلها موقف وارفعوا عن بطن محسر ، ومنى كلها منحر » رواه مسلم وغيره . ومحسر (بكسر السين المهملة مشددة) أو بطن محسر وعرنة كل منهما واد فاصل بين ما قبله وما بعده من المشاعر ، فوادي عرنة فاصل بين عرفات ومزدلفة ، ووادي محسر فاصل بين المزدلفة ومنى . وقالوا : حد الحرم من المأزبين (بكسر الزاي) وهو مضيق بين عرفة ومزدلفة وهناك طمان مبيان في أول حدود عرفة جعلا علامة على حد الحرم فكانا شرقيهما من عرفة وما وراءها فهو من الحل ، وما كان قبلها من جهة الغرب من بطن عرنة ومزدلفة ومنى فهو من الحرم ، ويوجد ميلان آخران في أول حد مزدلفة من جهة الغرب ، فإن العين والبلين هو وادي عرنة .

وفي الجانب الجنوبي من العطين مسجد نمره المعروف بمسجد ابراهيم يقرب الطريق الممتد من منى الى الطائف ويسمى أيضا مسجد نمره ومسجد عرنة . قال الفزالي : ونمره هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة اه . وظاهر حديث نزول النبي (ص) بنمرة أنها أدنى عرنة لا كلها . وفي كتب القصة أن نمره هي الجبل الذي عليه أنصاب الحرم عن عيكة اذا خرجت من المأزمين تريد الموقف . قال شارح القاموس : كذا في التكملة . وقيل : الحرم من طريق الطائف على طرف عرفة من نمره على احد عشر ميلا اه . وقد قل هذا في معجم البلدان وفيه بعد : وقيل نمره على احد عشر ميلا اه أي من مكة . فالتحقيق الذي عليه الجمهور ان المسجد لم يكن من عرفة ، وقول بعض الناس فيه « مسجد عرفة » بالقاء من باب ما جاور الشيء . أعطى حكمه أو نسب اليه ، ولذلك نسب بعضهم عرفة الى مكة وبعضهم الى منى . وقال بعضهم إن بقعه من عرفة وبعضه من عرنة ، وذلك بعد ان زيد فيه كما سيأتي

وقال شيخ الاسلام أحمد بن حنبل في مناسك الحج به ذكر استحباب البيت بمنى ليلة عرفة كما فعل النبي (ص) مانصه : ويسبرون منها الى نمره عن طريق ضب من بين الطريق . ونمره كانت قرية خارجة عن عرفات (أي فخرت كما صرح غيره) من جهة اليمن فيقيمون بها الى الزوال كما فعل النبي (ص) ثم يسبرون منها الى بطن الوادي وهو موضع النبي (ص) الذي صلى فيه الظهر والعصر وخطب ، وهو في حدود عرفة يعطى عرنة . وهناك مسجد يقال له مسجد ابراهيم وإنما بني في أول دولة بني العباس اه المراد منه هنا

وقال الفزالي : في الاحياء وأما مسجد ابراهيم عليه السلام فصدره في الوادي وأخرياته من عرفة فن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة . ويتبين مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت هناك اه

قال الزبيدي عند شرح أول هذه البقرة من شرح لاهيا : وجدت بخط الامام الفقيه الشيخ شمس الدين بن الحريري مانصه « قد وقع لفقهاء في نسبة هذا المسجد لابراهيم الخليل عليه السلام كلام وقد نسب اليه جماعة منهم ابن كعب وابن سراقه واليعقوبي والقاضي حسين والازرقى وتبعهم الشيخ النووي وجماعة من المتأخرين ، وادعى الاستوى انه خطأ وإنما هو شخص اسمه ابراهيم من رموس الدولة المتقدمة كما قاله

غير الاسوي فالتبس بالخليل عليه السلام . ورد الاذرعى هذا بأن الازرقى من أعلم الناس بهذا وقد نسبته الى الخليل عليه السلام ، قال وعلى تسليم أن يكون قد بناه من ذكر فلا يمتنع أن يكون نسوبا من صله الى الخليل عليه السلام ، لما لا يمتنع أن يكون قد بنى للناس فتنسب اليه . اهـ وأقول : نعم لا يمتنع ذلك عقلا ولا حكما لانتبه لا ينقل صحيح فأين هو ؟ وقال لزيدي عدي شرح آخر تلك العبارة : قال النووي في زوائد الروضة : الصواب ان عمرة ليست من عرفات وأما مسجد إبراهيم (عم) فقد قال الشافعي رحمه الله انه ليس من عرفة فاعلم زيد بعده في آخره ، وبين هذا المسجد وبين وقف النبي (ص) بالصخرات نحو ميل . قال إمام الحرمين وأطيف بمنعرجات عرفات جبال وجبهها المنبلة من عرفة اهـ وقال صديقنا محمد ليبك البتاتوني في رحلة الحجارة التي ألفها في سنة ١٣٢٨ بعد وصفه لمى وانتقاله الى وصف الطريق منها الى الدفعة صرفة ما نصه : ومن ثم يضيق الوادي ويسمى بوادي محمر حتى اذا وصل الى المردفة وهي على مسافة ساعتين من منى (٤) أخذ في الاتساع مرة أخرى . وهناك ترى على يمينك اشعر الحرام الذي يجب الوقوف عنده في النزول من عرفة . وفي هذه الجهة مسجد على جبل قزح عمره السلطان قايتباي . ومن هناك يضيق الوادي ثانيا ويسمى بوادي عربة (يضم البين وفتح الراء والنون) حتى اذا قرب من مسجد عمرة (ويسمى مسجد عرفة أو مسجد إبراهيم) انفتحت ارجاؤه الى الشمال والجنوب . وهذا المسجد كبير قد أحاطت به البواكي [يعني الاروقة] في جهته الاربع من داخله . وعمره قايتباي عمارة شكر ، ونصفه الغربي (الذي الى مكة) في الحرم والصف الآخر في الحبل وبوسطه مجرى ماء يسير اليه زمن الحج من مجرى عين زيدة . وفي شمال هذا المسجد بقيل الى الشرق ترى الطين وهما عمودان من البناء بعيدان عن بعضهما [أي أحدهما بعيد عن الآخر] بارتفاع خمسة أمتار في عرض نحو ثلاثة قد قما في فضاء الوادي للدلالة على حدود عرفة من الغرب وهناك نجد الجبل قد حلق على الوادي وقطعه امامك من الشرق [أقله أي سده] بشكل قوس كبير وهو ما يسمونه جبل عرفة . وعلى طرف القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف على كرا . وفي طرفه من جهة الشمال لان يبرز الى الغرب يسمونه جبل الرحمة ، وصفحه الجنوبي هو حد عرفة من الشمال . اهـ

صفة جبل الرحمة بعرفات

قال ابن جبير الاندلسي في رحلته : « وعرفات بسيط من الارض مد البصر لو كان محشر الخلائق لوسعهم ، يحدق بذلك البسيط الافيج جبال كثيرة . وفي آخر ذلك البسيط جبل الرحمة وفيه وحوله موقف الناس ، والملائكة قبله بنحو المليون فاما امام الملائكة الى عرفات حل وما دونهما حرم ، وبمقربة منهما مما يلي عرفات بطن هرة الذي أمر النبي (ص) بالارتقاء عنه — ثم قال — « وجبل رحمة المذكور منقطع عن الجبال قائم وسط البسيط وهو كله حجارة مقطعة بعضها عن بعض . وكان صعب المرتقى فأحدث فيه جمال الدين (هـ) المذكورة ما كره في هذا التقييد أدراجا وطية من أربع جهاته يصعد فيها بالواب المرقورة وأغلق فيها ما لا عظما . وفي أعلى الجبل قبة تنسب الى أم سلمة (رض) ولا يعرف صحة ذلك وفي وسط القبة مسجد يتزاحم الناس للصلاة فيه . وحول ذلك المسجد المكرم سطح محدق به فسيح الساحة جميل المنظر يشرف منه على بسيط عرفات . وفي جهة القبة من جدار وقد نصب فيه محارب يصلي الناس فيها . وفي أسفل هذا الجبل المقدس عن يسار المستقبل للقبلة دار عتيقة البنيان في أعلاها غرف (وفي نسخة غرفة) لها طابقان تنسب الى آدم (ص) وعن يسار هذه الدار في استقبال القبلة الصخرة التي كان عندها موقف النبي (ص) وهي في جبل متطامن »

أقول هذا الجبل هو جبل إلال (بوزن هلال) قال ابن دريد في وصف الحاج

- | | |
|-------------------------|--|
| ينوي التي فضلها رب الصل | لما دعا تربتها على البنى ^(١) |
| جنى اذا قابها استعبر لا | بملك دمع العين من حيث حرى ^(٢) |
| نمت طائف واثني مستلما | نمت جاء الروتين فسمي ^(٣) |
| نمت راح في اللبين الى | حيث تمحى المأزمين ومنى ^(٤) |
| ثم أتى الشريف يفر وخجنا | منازلا بين إلال فائقا ^(٥) |

(*) هو جمال الدين محمد الجواد الوصفي كان وزير صاحب الموصل وله في الحرمين والمتاع عمارات عظيمة (١) البنى جمع بنية يشير الى أثر « ده الله الارض دحوا من تحت السكينة » وهو مردي عن عطاء وليس حديثا كما توهموا في المتن ، وراه كشفه ونجاة قبل وبسطه (٢) استعبر جرت عبرته أي دمه (٣) الروتان الصفا والروثة تغليب (٤) تمحى قصد وتمسك (٥) الشريف الوقوف برفقة أي أتى مكان الشريف ويقرو يستقرو ويتبع مغزلا بدم منزل ، وخجنا خاضا خاشعا وإلال الجبل ، والفتا تلألؤ الرمل

موقف النبي (ص) بركة

اتفق الرواة على أنه (ص) صلى الصبح يوم عرفة بنى ورحل منها بطلوع الشمس حتى جاء نجرة فأقام بها إلى وقت الزول ثم جاء بطن الوادي فجمع بين الظهر والعصر ثم خطب الناس ثم راح فوقف على الموقف من عرفة ، وعلى أن المكان الذي وقف فيه وأشار إليه في الحديث هو المكان المعروف عند الصخرات . وقل « وقفت ههنا وعرفة كلها موقف » والمراد أنه لم يقف هناك لمزية لذلك المكان على غيره في أداء النسك بل يصح الوقوف في كل موضع من عرفة . ولكن صار لذلك المكان منزلة يوقر فيه فصلا موقف الأئمة ونوابهم الذين يحجون بالناس . وقد قل الزيدي : في شرح الأحياء كلاما منصلا للمحب الطبري في ذلك المكان وفي جبل الرحمة قال « وقد روى أبو الوليد الأزرق بإسناده عن ابن عباس أن موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين الأجل الثلاثة النبعة والنيمة والثابت ، وموقفه صلى الله عليه وسلم منها على الثابت قال والثابت على التشرقاتي خلف موقف الإمام . وموقفه صلى الله عليه وسلم على ضرس من الجبل الثابت مضرس بين أحجار هناك ثابتة من الجبل الذي يقال له إلال ككتاب = (قال المحب الطبري) وعلى هذا يكون موقفه صلى الله عليه وسلم على الصخرات الكبار المنقرشة في طرف الجيالات الصغار التي كأنها الروابي عند جبل لذي يمتني الناس بصموده ويسمونه جبل الرحمة واسمه عند العرب إلال بالكسر ، وذكر الجوهري فيه الفتح والحفوظ خلافة ، وهذا يرجح ضبط قول جابر في حديثه الطويل « وجعل جبل المشاة بين يديه » بلجيم فإن الواقع كما وصفناه يكون هذا الجبل أخى الإلابين يديه وهو جبل المشاة ، وذكر ابن حبيب أن الإلاب من الرمل يقف الناس به برفقات عن يمين الإمام بحكاه عنه أبو عمرو عثمان بن علي الأنصاري في تعاليقه على الجوهري ، وذكر ابن أبي الصيف في بعض تعاليقه على الجوهري أن اسم جبل الرحمة الذي يقال له جبل المشاة كبك = (قال المحب الطبري) والمشهور في كبك أنه اسم جبل بأهل نمان يقرب الثنايا عنده قوم يدعون الكباكة نسبة إليه ، والمشهور في جبل الرحمة ما ذكرناه . إذا قرر هذا فن كان راجيا ينبغي أن يلبس بدايته الصخرات المذكورة كما روي عنه صلى الله عليه وسلم ، ومن كان راجلا وقف عليها أو عندها بحسب ما يمكن من غير

أيذاء أحد ، ولا يثبت في الجبل الذي يعتري الناس بصعوده خبر ولا أثر (قل) يذكر شيخنا أبو عمرو ابن الصلاح في منسكه من صاحب الحاوي أنه يقصد الجبل الذي يقال له جبل الدعاء وهو موقف الانبياء عليهم السلام ، ومن محمد بن جرير الطبري أنه يستحب الوقوف على الجبل الذي عن يمين الامام يعني جبل الرحمة ، والذي ذكره صاحب الحاوي لادلالة فيه على إثبات فضل لهذا الجبل فانه قل والذي تختار في الموقف أن يقصد نحو الجبل الذي عند الصخرات السود وهو الجبل الذي يقال له جبل الدعاء وهو موقف الانبياء عليهم السلام والموقف الذي وقف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من الاجبل الثلاثة على التاب . ثم ساق ما أورده سابقاً ثم قال وهذا أحب المواقف اليانا للامام والناس (قال المحب الطبري) وهذا صريح في أنه أراد بجبل الدعاء التاب الذي وقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تعرض في كلامه لجبل الرحمة بنفي ولا اثبات . وما فهمه رحمه الله انه جبل الرحمة خبر مطابق وقوله وهو الجبل أراد سهله وهو من الاضداد يطلق على المكان المرتفع والمنخفض والنبي صلى الله عليه وسلم انما وقف عليه لكونه موقف الانبياء عليهم السلام ، وكلام ابن جرير ظاهر الدلالة أنه أراد بالجبل الذي عن يمين الامام الجبل الذي وقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو التاب كما تقدم بيانه والظاهر انهما أراداه به ولها فيكونان قد اثبتا له شيئا من الفضل ، ولا تعلم من ابن اخذا ذلك اذ لم يثبت في فضله خبر ولو ثبت له فضل فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه وهو الذي خصه العلماء بالذكر والفضل ثم قال الطبري قلاع من صاحب النهاية : في وسط عرفة جبل يقال له جبل الرحمة : ولا نسك في الرقي عليه وان كان يعتاده الناس . وقال غيره قد اقتنت العامة بهذا الجبل في زماننا واخطوا في اشيائهم منها (اتهم) جعلوا الجبل هو الاصل في الوقوف فهم بذلك معوجون ، وعليه دون غيره معوجون ، حتى ربما اعتقد بعض العامة ان الوقوف لا يصح بدون الرقي (فيه) ومنها احتفالهم بالوقوف عليه قبل وقت الوقوف ، ومنها ايقادهم النيران عليه ليل عرفة واهتمامهم لذلك باستصحاب الشموع من بلادهم واختلاط النساء بالرجال هناك صعودا وهبوطا بالشمع الكثير الموقد ، وانما حدث ذلك بعد اقراض السلف الصالح ، ومن كان متبعا آثار النبوة فلا يحصل بركة قبل دخول وقت الوقوف يأمر بذلك ويمين عليه وينهي عن مخالفته اه ما تله الزبيدي

النجاة على جبل الزعتر بغير فناء



هذه الصورة رسمت لرحلة البستاني

الحرب والصلح

كثير الخوض في حديث الصلح في السنة الماضية ، وقد كانت دول التحالف الجرمانى هي التي بدأت بطلب فتح باب المفاوضة فى الصلح وكلفت ألمانى الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية قبل انضمامها الى محاربيها أن يتوسط بين المتقاتلين فى الصلح فكتب مذكرة فى ذلك ردت عليها انكثرة أشد الرد ، ورفضتها كل الرفض ، وتبعها حلفاؤها بالطبع . ثم ان البابا أرسل رسالة الى جميع الدول المتقاتلة من الفريقين دعاهم فيها الى المبادرة الى حقن الدماء وعقد الصلح على قاعدة جعل قوة الحق الادبية بدلا من قوة الجيش المادية ، وتحديد التسليح البرى والبحرى والجوى ، وحرية البحار وحقوق الشعوب وعدم ضم شيء من أملاك بعضها الى بعض وعدم أخذ غرامة حرية وجعل التعويض عن الخراب بالتعاون - قاعدة التحكيم الاجبارى فيما يقع بين الدول من المسائل الخلافية . فلم يستحسن هذه المذكرة من دول التحالف البريطانى الا حكومة روسية المؤقتة التى سبقت الى اقترح قاعدة « لائىم ولا غرامة » وقد رد الدكتور ولسن على المذكرة ردا طويلا واقفه عليه سائر الحلفاء أهم ما فيه ان حكومة ألمانى الحاضرة حكومة أقرطية لانتق الحلفاء يهودها فيعقدوا معها صلحا فالأساس الاول لقواعد الصلح عند تحويل هذه الحكومة الى ديمقراطية تنطق باسم الشعب فان لم يبادر الألمان انفسهم الى قلب حكومتهم وثل عرش آل هوهنزولرن المؤيد بالقوة العسكرية والاستعاضة عنها بحكومة ديمقراطية فان الحلفاء هم الذين يفعلون ذلك بالقوة القاهرة ، وحينئذ يتم الصلح الحقيقي الذى يستريح به البشر من مصائب الحرب . وقد أبدت الحلفاء الرئيس فى رده وأنتت جرائدها عليه ^(١) الا أن بعض الجرائد الانكليزية كالتيمس أنكرت منها هفوة الرئيس بين الحكومة الالمانية والشعب الالمانى اذ جعل وزير الحرب على الحكومة وحدها قالت « ولكن الشعب الالمانى قابل الحرب بحماسة عظيمة وان لم يكن هو الذى أعلنها وقد وافق

(١) نشر رد الرئيس ولسن فى معظم ٣ ذى الحجة الماضى (٢١ سبتمبر) ونشرت بنده من الجرائد الأمريكية والانكليزية والفرنسية والىطانية فى تأييده فى ٤ ذى الحجة

نوابه على جميع الاعتمادات الحربية وقابلت صحافته النطائيم الجرمانية بهتاف شديد
وقول ان الظاهر لنا أن الرئيس ولسون يرمي بتبرئة الشعب الالمانى من تيمة
الحرب واطهاره الا كنفاء باسقاط حكومته الامبراطورية الى اغرائه بثورة داخلية على
حكومته المتأززة بكونها جهة الوحدة لقونها وقوة أحلافها فان تم هذا تنتهي الحرب في
أقرب زمن بأقل خسارة

أما دول التحالف الجرمانى فقد قابلت مذكرة البابا بالابتهاج فأما ألمانية فقد
أرسل وزير امبراطوريتها راداجيلالى وزير خارجية الفاتيكان بأمر مولاه الامبراطور
بداء بقوله « ان جلالته ينظر بعين الاحترام والشكر والسرور الى المساعي التي يبذلها
قداسة البابا لتقصير أجزء الحرب وتخفيف وطأتها » الخ وتبجح بأن مولاه مازال نصير
السلم منذ تبوأ العرش وأنه يوافق على ان الشروط التي فاهل قد استه من الامور التي
يجب أن تظهر في المفاوضات المقبلة وأنه « ليس في العالم شعب يتمنى الصلح على أساس
اصلاح ذات البين بين الامم وإحلال الاخاء والمساواة محل البغض أكثر من الشعب
الالمانى . (قل) نذا أدركت الامم المشربة بهذه المبادئ ان الاتفاق خير من الشقاق
فانها تستطعم أن تسوي جميع المشاكل الحاضرة ونمنع وقوع الحروب في المستقبل
بإزالة جميع الشعوب ما يلزم لحياتها وسعادتها ، فعلى هذا الاساس وحده يحتمل أن
يبرم الصلح الدائم الذي يقرب بين الامم وينفض باليسيرة نهضة كبيرة من الوجهتين
المعنوية والاقتصادية . وهذه الثقة هي نعملنا على الاعتقاد أن أعداءنا يجدون في
المبادئ التي أرب عنها قداسة البابا أساساً تمهيداً للصلح المقبل بشروط تلائم
روح العدل وموقف أوروبا الحالي » له بنص ترجمة المقطع (في ١٩ ذي الحجة الماضي)
ورد امبراطور النمسة الجديد (كرلوس) بنفسه ردا مشرباً بمتهى التعظيم
والاحترام والقبول لانه هو الامبراطور الكاثوليكي الوحيد ولكنه لم يفه بكامة ما
تدل على اعترافه بحقوق الامم والشعوب

وكذلك كان رد لدولة النمانية على المذكرة بامضاء السلطان محمد رشاد رد
مشرباً بالتعظيم والاحترام وصرح فيه بلواقعة على القواعد الاساسية التي اقترح ان
يبنى عليها الصلح والاستعداد لدرس الطرق الى تودي الى تسوية المشاكل الدولية

في إبان مفاوضات الصلح (قال) « وانا نصرح بذلك وامام نظارنا الضمان الكافي على استقلال الامم وحريتها وارقاتها لانا رأينا في اقتراح قد استكم أساما متينا للصلح العمومي الدائم وطريقة حسنة لحقن الدماء »

وقال قبل ذلك « لقد أكرهنا على خوض غمار الحرب دفاعا عن حريتنا وارقاء بلادنا . وهذه الناية الشريفة هي الغاية لوحيدة التي نحارب الآن من أجلها والتي تكفل لنا المحافظة على حقوقنا واستقلالنا التام المطلق في بلادنا وعلى حدودنا القومية » ٨١
من ترجمة المقطع التي نشرت في عدد ٨ المحرم - ١٢٥ أكتوبر الماضي

وقد جزم ساسة الحلفاء بأن البابا لم يسع هذا السعي الى الصلح الى بتوسل ألمانية والنسبة اليه وان سبب ذلك الشعور بالضعف والمعجز عن الاستمرار على القتال ، وان الغرض منه إغراء الميالين الى الصلح في بلاد أعدائهم من الاشتراكيين وغيرهم بحمل حكوماتهم على عقد الصلح ، فم من أمة عاربة الاوفيا كثير من محبي السلم ودعائه. أما رأي هؤلاء الاحلاف في مسألة الامم والشعوب فقد بيناه في الجزء الاول ، وأما مسألة الغرامة فقد صرحت جرائدهم ناقلة عن أقطاب ساستهم ان من أهم شروط الصلح عندم أن يؤخذ من الجرمان عوض عن البلاد التي خربوها في بلجيكة وفرنسة والبلقان ، بعد جلائهم عن هذه البلاد كلها ، ومنها رد الاتراس والوردين الى فرنسة وقد جاءت برقيات روتر في ٥ المحرم (١٢٢ أكتوبر) بنص خطبة طويلة بليغة من خطاب لويد جورج رئيس الوزرة البريطانية ألقاها على ملا عظيم في لندن كان غرضه الاول منها الحث على لاقتصاد في جميع المقات واستطرد فيها الى الكلام في مسألة الصلح فقال بعد التصريح بأنه لا يرى في جز السياسة نموطا تؤدي الى صلح وطيد الاركان « ولكن الشروط الوحيدة المحتملة الآن تؤدي الى هدنة مسلحة تفضي الى حرب أشد هولاء من هذه . ان هذه الحرب مخيفة ولكن ما كشفته من الرزايا التي يحتمل وقوعها في البر والبحر والجو أشد هولاء وأعظم رعبا ، فلذا أطلب من الذين يلحون في عقد صلح مبسر - إذا صح ان هنالك من يلح فيه - ان ينعموا النظر فيما يحتمل وقوعه إذا وقع صلح غير مرض » ثم قال :

« يجب علينا في أثناء البحث في شروط الصلح ان نضع نصب عيوننا الغرض

المظيم من هذه الحرب فان المسألة ليست مسألة تعديل حدود أملاك الا حيث تقتضي حقوق القوميات هذا التسامح ، ولا هي مسألة غرامات الا حيث تكون الغرامات لتعويض من ضرره ، ولذا في الدرجة الاولى مسألة القضاء على مبدأ قاسد باطل استعبد أوربة وأوقع الخوف في قلوب أهلها أو كاد لو أتيح له الفوز (هتاف) « ان العدو الحقيقي هو روح الحرب الذي نشأ ونزع في بروسياء ، هذا الروح الذي يرمي الى جعل العالم مكاناً تسلط فيه القوة البهيمية تسلطاً لا ينازع فيه أحد ، بدلا من عالم تسكنه ديمقراطيات حرة مرتبطة معاً بعري السلم الشريفة ، وقد أقيم لهذا الروح هيكلا يمد فيه في بئسدام^(١) فلا سلم في العالم ولا حرية الا اذا ذلك هذا الهيكل وشتت شمل كهتة وألبسوا ثوب العار الى الابد (هتاف)

«وعطقت الرجاء باننا نتمكن في السنة الحالية من القضاء على هذه القوة الهائلة وكنا جميعاً نتظر حركة حرية عظيمة من جميع الجهات تتجه الى العدو وتبطلنا هذه الامنية . ولكن تضعف قوة روسيا الحرة الموقت — لا أقول انه خيب الآمال ولكنه أجل تحقق الرجاء على أن الزمان في جانبنا » اه المراد منه

[المنار] ان الحرب السياسية من قولية وعملية أعظم من الحرب الآلية من برية وبحرية ، وقد ظهر من براعة البشر في الحرب العقلية ، ما هو أدل على الخدق والذكاء من براعتهم في اختراع الآلات والاساليب الحربية ، ومن براعة الانكليز الموهودة في السياسة أن قذفوا الالمان بالدول والامم ، بازاء قذف غواصات الالمان ابواخرهم بالحلم ، حتى صار أعظم دول أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية حربا لهم ، بل آذنتهم دول الصين بالحرب أيضا ، فصار عدد نفوس الامم المحاربة لهم بالذات وبالاتباع زهاء ألف وخمسمائة مليون ، وهم لا يزيدون مع أحلافهم على مئة وخمسين مليونا ، وقد صرحت الجرائد بأن الجيش البريطاني المقاتل في الميدان الغربي وحده لا يقل عن ثلاثة ملايين ، وان الجيش الالمانى المقاتل بالفعل لا يكاد يتجاوز أربعة ملايين ، وصرحت مرارا بأن الانكليز وأحلافهم متفوقون على الالمان في السلاح والذخائر وجميع مواد الحرب أضعاقا كثيرة ، بل جاء في برقية لمكاتب

المقطع بياريس في ٣٠ مايو الماضي ان الجنرال ز. لندن قال في مقالة له « يظهر ان النسبة وبأغلبية وتركية استنفدت جميع قواتها وصارت على آخر رمق ، وان هذه الدول الثلاث ما كانت تثبت لولا همة ألمانية ونشاطها ، ولكنها ستلاشى بنفاد قوتها وتطارد الوهن اليها » وقال عن الجيش الألماني « ان عدد فرقته كان في شهر ابريل الماضي مئتين وتسع فرق من المشاة وهذا العدد يساوي عدد المشاة من البريطانيين في ميدان فرنسا فلفرنسويين والانكليز التفوق على ألمانية » اهـ

نعم انهم خسروا قوة روسية ولكن يقابلها انضمام الولايات المتحدة اليهم ، وهذه الدولة أغنى دول الارض الآن ، وهي ترض الخلفاء المال بمئات الملايين في كل شهر ، وتقدم لهم من الذخائر والاعذية والمواد الضرورية للحرب ماخف به الحل الثقل عن عائق الانكليز . ففي مقطع ٢١ المحرم (٧ نوفمبر) مقالة افتتاحية قال فيها : ان الحكومة البريطانية أقضت حلفاءها ألفا ومئتي مليون من الجنيئات ، وهي تجود عليهم بالبواخر والفحم والصوف والقطن والزيت والفولاذ وغير ذلك من المواد الحما التي تكثر في بلادها وفي مستعمراتها . ثم ذكر ان لها في الميدان الغربي نحو من ثلاثة ملايين مقاتل هذا وان الاخلاق ركن من أعظم أركان الحرب لأن جميع أعمال البشر من آثار أخلاقهم ، فالصبر والثبات في الحرب واجتماع الكلمة خبر من كثرة الجيوش ، فتأمل تلميل النصر في النص الكريم (٢ : ٢٤٤) كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) وقوله تعالى (٨ : ٨) إذا لقيتم فئة فاثبتوا — الى قوله — ولا تنازعوها فتشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) ومعنى كونه تعالى مع الصابرين ان سنته في خلقه قد جرت بجعل الصبر من أعظم أسباب الغلب والنصر ، ولا سيما اذا صحبه الايمان بالله عز وجل والثقة به والتوكل عليه ، وبمجموع ذلك فاز المؤمنون من قبل فظلبوا الامم الكثيرة بالفئات القليلة

والصبر والثبات والتعاون من الاخلاق التي امتازت بها الامة الانكليزية على كثير من الامم منذ اجيال ، لذلك كانت أخلاقهم ، أغنى لاجلهم من أموالهم ومتاعهم ، فلولا لم يثبت على خرب الالمان أحد ، وهؤلاء الالمان أقران لهم وأقاتل في ذلك ، فغرب الاخلاق بينهما هي الجهاد الاكبر ، وعليه الممول الاخير في النصر والظفر ،

مختارات من الجرائد

﴿ الطعن في رئيس وزراء الانكلترة ﴾

الطعن في العطاء والمصلحين في الامم سنة من سنن الاجتماع حوادثها كثيرة في التاريخ ، وقد اتهمت جريدتان من الجرائد الانكليزية مستر لويد جورج رئيس وزراءهم الذي أظهرت الحرب كفاوته وقفوقه على الاقران فزعمت انه فر من لندن الى فرنسا عند علمه باحدى غارات الطيارات الالمانية على العاصمة وقد كذبت الحكومة الجريدتين فلم تعتذرا عن كذبهما فرفع الوزير عليهما دعوى لسوء تأثير طعنهما في العامة . وقد عجبنا مما أظهرته الدعوى من كثرة ما سبق من الطعن في الوزير ، وهو موضع العبرة التي أردنا ضمها الى أمثالها من حوادث التاريخ . فقد جاء في مقطع ٢٤ المحرم ١٠ نوفمبر — من مقالة في شرح هذه القضية ما نصه :

« ولما عرضت القضية على المحكمة قال المحامي عن المستر لويد جورج ان موكله يقول انه لو كان ما عزته الجريدتان والشركة اليه لطننا شخصا في شخصه فقط لرأى ان كرامته ومقامه كرئيس وزراء بريطانيا العظمى يقضيان عليه بأن يتقاضى عنه ويكتفى بتكذيبه في الصحف التي نشرته فان المستر لويد جورج استهدف في حياته السياسية لما لم يستهدف له سياسي آخر من الحملات والمطاعن الشخصية والسياسية قبالها كما يجب على الساسة ان يقابلوها أي انه عدها من الامور التي لا مناص للسياسي من الاستهداف لها في حياته السياسية . قال المحامي والمستر لويد جورج يمدني ذا قلت ان خصومه ما كانوا يخرجون من مناضلته فائزين . على ان الذي بهم رئيس لوزارة في قضيتنا هذه هو سوء الرفع الذي يقع في نفوس الجمهور من اتهمه كذبا بالجن ، فقد بلغه ان الناس ولا سيما في القسم الشرقي من لندن ساءم خبر مناداة كبير وزراءهم لندن لتخلص مما تعرضوا له ، ولما كانت هذه التهمة كاذبة لجأ الرئيس الى المحاكم لينفي فيها على رؤس الاشهاد هذه التهمة الباطلة ويطلع مواطنيه على الحقيقة » ثم ذكر المقطع ان الوزير لا حضر المحكمة وحلف اليمين ألقى عليه المحامي أسئلة أجاب عنها ، منها السؤال الآتي مع جوابه :

س : ألم أفهم منك انه لو كان الطعن شخصيا موجها الى شخصك فقط، ارفعت هذه القضية؟
ج : كنت أكتفي بنفي الخبر الذي روثه الجريدتان لأنني لو سرت على قاعدة رفع القضايا على كل من يظن فيّ لما أتيج لي ان أفضل شيئا آخر »

﴿ الاسرائيليون وفلسطين ﴾

ترجمة برقية خصوصية للمقطع من مكانه بلندن أيديها بركات روتر
لندن الجمعة في ٩ نوفمبر الساعة ٣ بعد الظهر
ذكرت جريدة « جويش كرونكل » ان المستر بلفور وزير الخارجية البريطانية
كتب الى اللورد رتشلد يقول ما نصه : —

« يسرني جداً أن أبلغكم باليابة عن حكومة جلالة الملك انها تنظر بعين الرضى والارتياح
الى المشروع الذي يرايد ان ينشأ في فلسطين وطن قومي لشعب اليهود وتفرغ خبر مساعيها
لتسهيل ادراك هذا الغرض . ولكن ليكن معلوما انه لا يسمح باجراء شيء يلحق الضرر
بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن أو بالحقوق
التي يتمتع بها اليهود في البلدان الاخرى وبمركزهم السياسي فيها » مكاتبكم بلندن

﴿ مظاهرة الصهيونيين لتحقيق امانهم في فلسطين ﴾

جاء في مقطع ١٦ المحرم — ١٣ نوفمبر ما نصه :
« قال وكيلنا الاسكندري أمس : أقام الاسرائيليون ولا سيما الصهيونيين منهم
احتفالا كبيرا أمس في حديقة رشيد بالاسكندرية على إثر البيان الذي أبلغه المستر
بلفور الى اللورد رتشلد في شأن تحقيق امان الاسرائيليين بجمل فلسطين وطناً
قوياً لهم . وقد ألقى بعض خطبائهم في هذا الاحتفال خطابا تناسب المقام فشكروا
للحلفاء عامة وابريطانيا خاصة هذا الوعد الشريف آملين تحقيقه في القريب العاجل
ثم طاف المحتفلون وهم في أحسن نظام في شوارع المدينة الكبرى لتقديم
الموسيقى وفرقة الكشافة الاسرائيلية وهم فرحون جذلون بتلك البشرة السارة هاتفون
للحلفاء ولبريطانية العظمى بدوام النصر والظفر » اهـ

﴿ معركة غزة وتناجها ﴾

نشر المقطم تحت هذا العنوان البوقية الآتية : باريس في ٨ نوفمبر
ان سقوط غزة من الحوادث التي يمكن أن تنشأ عنها نتائج عظيمة جدا والتي
تعد مقدمة لاقول نجم تركيا في الاماكن المقدسة وتحريك البلاد التي هي مهد
الديانة المسيحية . وقد قطعت المواصلات التركية تماما مع القوات التي تحارب في
بلاد العرب وصار مصر « المدينة » معروفا من الآن . وقد احتلت انكلترا حلقة
ملك الحجاز كل العراق تقريباً وجنوبي بلاد فلسطين (هافاس)

عبر التاريخ

٢

ما قبل في سقوط بغداد

نشر المقطم في عدد ٢٨ جاد الاولى سنة ١٣٣٥ - ٢٢ مارس ١٩١٧ ترجمة
منشور الجنرال مود الذي خاطب به أهل بغداد عقب دخولها فأخاطب باسم ملكه
واسم الشعوب التي يحكمها وقد بدأ ببيان أن غرضهم من الحرب كسر العدو
واخراجه من البلاد فمجيء جيوشهم العراق لذلك لا « كما يأتي الغازي الفاتح والعدو
الطامع » ثم تلى بذكر تخريب الاجانب للبلاد من عهده ولا كواستبدادهم فيها ثم قال :
« ان جلالة ملكي وشمو به والامم العظيمة المحالفة له يرومون لكم السعادة
والرخاء واهياء العصر القديم لما كان الخصب متشرا في دياركم نعيء العالم ببراس
الآداب والعلم والفنون ولما كانت بغداد احدى عجائب الدنيا
« ان بين شعبكم واملاك ملكي علاقات مصلحية وثيقة قد تعامل تجار بغداد وتجار
بريطانيا العظمى منذ مئتي سنة بتمام المودة والصداقة وجنى الفريقان الربح امالالان والترك
الذين نهوكم قد اتخذوا بغداد منذ ٢٠ سنة مقرا لمهاجمة قوة بريطانيا العظمى وحلفائها
في ايران وجزيرة العرب ، فليس الحكومه البريانية الا أن تكثرت لما يقع في بلادكم
الآن وفي مستقبل الايام ، فان الواجب والمصلحة للشعب البريطاني وحلفائه يقضيان على
الحكومة أن لا تسمح بان يتكرر في بغداد ماضيها الترك والالان في ايان الحرب »

ثم خاطب أهل بغداد خاصة فذكر لهم أن حكومتهم بها بسرهم التجاري وسلامتهم من الظلم والجور مؤمنا أيام من أرهاقها لهم بأحكام أجنبية عنهم قال: « بل هي نرجو أن تحقق آمال فلاستكم وحكائكم وكتابكم ففرزوا بغداد وزعمرو وينشط أهلها ويتمتعون بثروتهم ومقنيتهم في ظل النظام الذي يطابق شرائعكم المقدسة وأمانيتكم القومية » وذكرهم ثانية بظلم الأجانب واستغلال الحجاز . ونظم المنشور بدعوتهم الى الاشتراك في إدارة شؤونهم الملكية مع مندوبي بريطانيا العظمى الذين يصحبون الجيش البريطاني (قال) فتحدوا مع بني جنسكم في الشمال الشرقي والجنوب والغرب على تحقيق آمال العرب

ثم نشر المقطع مقالة في عدد ٢٩ جادى افتتحه بعبارة طويلة من مقالة « مستشرق بريطاني دعا العرب فيها الى اليقظة وطلب الحرية والاستقلال (هي المقالة التي نشرها المقطع في شهر سبتمبر من العام الماضي وأشار اليها في المقالة التي نقلنا عنه معظمها في آخر الجزء الماضي) هذا نصها :

« هل انحط العرب اليوم أو فسدت أحوالهم وضعفت همهم ؟ - كلا لا هذا ولا ذلك فهمتهم لا تزال كبيرة ، وأحوالهم لا تزال صحيحة وهم حافظون لأنسابهم وقدماء ما زلتهم به الله من قوة وبأس وهمة ونشاط ومضاء عقروا و شجاعة وأقدام وأخلاق كريمة وسماحة وجود واحسان ، ولكني رأيتم غارقين في بحور الفاقة ، وقد تولاهم التفرق واشتد بهم الانقسام فدانوا لسواهم وخضعوا . و بعدوا كانوا سادة صاروا مسودين ، فهل ييقون بعد ان تضع الحرب أوزارها ، كما كانوا للأضرمة أوأروا

« تشتت شمل العرب ودالت دولتهم منذ عصفت في بلادهم عاصفة هولاء الكولونري واجتاحها الساجوقيون رعاة طوران فضاع استقلال العرب وباتوا رهبة لسواهم ، فذلوا بعد العز واقفروا بعد الثنى وخيم الجهل على بلادهم بعد ما كانت تطلع شمس العلم والرفقان حتى طلع صبح اليوم الذي فلك فيه قيود الامم المقهورة ، فهل يتبر العرب بما يقع الآن في انحاء الدنيا ويجمعون كلهم ويشقون الوحدة القومية لهم ولا بنائهم بدم

« لقد كان العرب أعداء أنفسهم ، فأوسموا مجال الانقسام بينهم ولولا ذلك لما تسلط عليهم شعب أدنى منهم وأخطأ القرب لا تنوزموا الشجاعة ولا تنقصم الاخلاق

الكريمة، وقد امتد ملكهم من بحر الروم الى سور الصين فضربت الامثال بتجدتهم، وتحدثت الامم بآسهم وشدتهم، ولا يزالون كما كانوا من أشد الناس نخوة وأعظمهم حمية، وهم كرمل البحر في الكثرة، فكيف برضون بالقل ولا بطهمون بالاستقلال ومساواة الشعوب العظيمة والتمتع بأطياب الحياة ورغد العيش والهناء.

«لست أدعو العرب لأن يكونوا سفاحين كالالمان ولا ظالمين كالترك، ولكنني أتمنى لهم أن يكونوا أحراراً في بلادهم، وأن يطبوا أنفسهم وعيشاً ويعودوا الى سابق عهدهم، فينبهروا العالم بأنوار حكمتهم وعلمهم، وفلسفتهم وصناعاتهم، كما فعل أصلافهم الكرام من قبلهم.»
«اني أسمع صوتاً ينادي من السماء ويقول: انهضوا يا أبناء عدنان، وبأسلالة قحطان، وافيقوا من سدة النوم فقد غلبت عليكم اف عام»

ثم قفى المقطع على هذه البذة بالتنويه بمشور الجنرل مود والثناء عليه، ولكنه هنا هفوة كبيرة في المقابلة بينه وبين ما خاطب به الحمجج أهل العراق، اذ وصفهم بالثفاق والشقاق، والفرق بين الحاليين عظيم

(ترجمة الشيخ سليم البشري)

أرجأنا بقية هذه الترجمة الى جزء آخر

﴿ المطبوعات الجديدة ﴾

لدينا كثير من مطبوعات السنتين الماضيتين — على قلة المطبوعات في هذا الزمن — لم تفرغ للنظر في شيء منها لتبين مزيته، أما وقد حال الأمد فسنذكرها بالاختصار، وأقل حقوق أصحابها الاعلان، ونبدأ بذكر حيفتين مصريتين:

﴿ المجلة الساقية ﴾ « علمية أدبية اخلائية تاريخية اجنبية تصدر مرة في كل شهر، صاحبها ومديرها عبد الفتاح (افندي) قتلان «سنتها عشرة أشهر وقبعة الاشتراك فيها ٢٠ قرشاً في القطر المصري و٨ فرنكات في الخارج تدفع مقدماً. وقد دنت سنتها الاولى فكانت ٢١٦ صفحة وأكثر ما نشر فيها مختارات من الكتب العربية للشيخ طاهر الجزائري. وهذا وجه تسميتها بالمجلة الساقية

﴿ الحال ﴾ جريدة اخبارية اقتصادية تثنائية تاريخية تصدر ثلاث مرات في الاسبوع. صاحبها ومديرها خليل بك صادق وقبعة الاشتراك فيها مائة قرش في السنة. وفاته ان يذكر في صفحتها انها فكاهية فروح فكاهية صاحبها، تحلى في كل ما ينشر فيها.

يقول الملكة من يشاء ومن يزين الملكة
أولى شبرا كثيرا وما يذكر الأولو الألبار

المسحاة
١٣١٥

استمر عادي الذين استمعوا القول فينبون أحيى
أولئك الذين هداهم الله أولئك هم أولو الألبار

قال عليه السلام: من أتى السلام سدي و «نارا» كثر الطريق

٣٠ ربيع الأول ١٣٣٦ - ٢٢ الجدي (ش ١) ١٢٩٦ هـ ش ١٣ يناير ١٩١٨

فَتَاوَى الْمَسَائِلِ

فصننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لايسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لخلل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ حكم التصوير وصنع الصور والتماثيل واتخاذها ﴾

(س ٩) من صاحب الامضاء الرمزي في سنفافوره

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله

ماقول الاستاذ المرشد مولانا السيد محمد رشيد رضا أرشده الله ورضي عنه في

حكم عمل الصور من الجص والاحجار والمعادن مجسمة - وفي حكم عملها بالحفر

أو القلم أو بألة حبس الظل (الفوتغراف) غير مجسمة، هل هو جائز مطلقاً أو في بعض الصور وما الدليل على ذلك ؟

وهل يقولون بجرمة ما صنع للعبادة والتنظيم فقط أم تذهبون الى كون التحريم خاصاً بالزمن المتقدم خوفاً من ان يكون ذريعة الى عبادة الصور اما الآن فلا يحرم لانساد الذريعة ؟ وهل يدل على ذلك ترك الصحابة ما وجدوه في ايوان كسرى من الصور مع صلاحهم فيه لانها لمحض الزينة ام لا ؟ وما حكم لاقتنائها ولو لحاجة والنظر ولو لضرورة عسر الاحتراز او لكونها عند من لا يحرمها ؟

اقتونا على صفحات مناركم ما جاورين ، ولا زلتم قبله الافادة وللصواب موقفين ،
وبامداد الله معانين . — حرره في سنة ١٣٥٠ هـ —

(ج) سبق لنا قول وجيز في هذه المسألة وقضت الحال الآن بسط المسألة بالتفصيل وهو يتوقف على ايراد الاحاديث الصحيحة الواردة فيها وملخص ما فهمه العلماء المشهورون منها . وقد استوفى الامام البخاري جل ذلك في كتاب اللباس من صحيحه فتمتد في النقل على ما ورد فيه فنذكره بغير عزو اليه غالباً ونعزو ما نقله عن غيره لزيادة فائدة فيه ونعتمد في تلخيص أقوال العلماء على ما أورده الحافظ ابن حجر في الفتح فانه أجمع الكتب التي نرفها لذلك ولا مثاله ، وان قلنا شيئاً عن كتاب آخر نمرؤه اليه

❦ الاحاديث الصحيحة في التصوير والمصورين

١ — عن مسلم (هو ابن صبيح أبو الضمى واشتهر بكنيته) قال كنا مع مسروق في دار يسار بن نهر (هو مولى عمر بن الخطاب وروى عنه) فرأى في صفته (هـ) تماثيل فقال سمعت عبداً لله (هو ابن مسعود) قال سمعت النبي (ص) يقول « ان أشد الناس عذاباً عند الله المصورون » وفي رواية مسلم : كنت مع مسروق في بيت فيه تماثيل فقال مسروق هذه تماثيل كسرى قتلت لا هذا تماثيل مريم . ثم ذكر الحديث

❦ الصفة بضم الصاد وتشديد الغاء كالطلة وزنا ومعنى وتطلق على المكان المظلل ببناء الدار أو المسجد وعن الليث لها مكان كالهبو مظل مستطيل

٢ - عن ابن عمر (رض) ان رسول الله (ص) قال « ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم احيوا ما خلقتم »

٣ - عن ابن عباس انه جاءه رجل فقال لي اصور هذه الصور فأقضي فيها فقال سمعت رسول الله (ص) يقول « كل مصور في النار . يجعل له بكل صورة نفسا فتعذبه في جهنم » وقال فان كنت لا بد فاملا فاصنع الشجر والانس له . ورواه مسلم وأحمد وفي بعض الروايات . ان السائل رجل من أهل العراق أراه نجارا . وفي بعضها انه قال له انما معيشتي من صنعة يدي . وانه عندما ذكر له الحديث انتخ غيظا فرخص له بما ذكر . ونص المرفوع في رواية أخرى « من صور صورة في الدنيا كف يوم القيامة ان ينفخ فيها الروح وليس بنافع » قال الحافظ بن ح « وفي رواية أبي سعيد ابن أبي الحسن « فان الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافع فيها أبدا » واستعمال حتى هنا نظير استعمالها في قوله تعالى (حتى يبلغ الجبل في سم الحياط) وكذا قولهم لا أفضل كذا حتى يشيب الغراب . ثم ذكر ان هذا أمر تعجيز لا من تكليف . لا لا يطلق . وانه استشكل في حق ذلك لانه يدل على الخلود وانه يعين تأويله بإرادة لزجر الشديد وأن ظاهره غير مرد . ثم ذكره الحافظ . الح ص . وأقول لا أولى ان يحمل على المشركين الذين يصنعون ما يبعد نمادته كما يعلم مما يأتي

٤ - عن عمر بن الخطاب بن عائشة (عرض) أخبرته ان النبي (ص) لم يكن يترك في بيته شيئا فيه تصاليب لا تقصص

التصاليب جمع تصليب وهو مصدر سمي ٤ . . كان فيه صورة الصليب من ثوب أو غيره . وقصصه أزاله . والازالة تكون بنحو الطمس والحك والطح والقطع . وقد ذكر البخاري هذا الحديث في (باب نقض الصور) وذكر الحافظ في وجه مطابقة الحديث للترجمة انه استنبط من نقض الصليب نقض الصورة التي اشترك مع الصليب في المعنى الذي هو سبب التحريم وهو عبادتهما من دون الله

٥ - عن أبي زرعة قال دخلت مع أبي هريرة دارا بالمدينة فرأى في أعلاها مصورا يصور فقال سمعت رسول الله (ص) يقول « ومن أعظم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلفوا حبة وليخلفوا ذرة »

في هذه الرواية حذف علم من رواية أخرى وهو « قال الله عز وجل : ومن أعظم ممن ذهب يخلق » الخ رواها مسلم . وفيها ان النار دار مروان وفي رواية له : تبني لسعيد أو لمروان . قال ابن بطال فهم أبو هريرة ان التصوير يتناول ماله ظل وما ليس له ظل فلهذا أنكر ما ينقش في الحيطان . يعني ابن بطال ان هذا الفهم غير صحيح من حيث ان التشبيه في الحديث القدسي لا ينطبق عليه فان الله تعالى خلق ذوات مائة لا نقوشا في الحيطان ونحوها . ويمكن ان يقال أيضا ان صنم التماثيل ذات الظل التي شددوا فيها لا تعد من هذا الظلم الا اذا قصد صانعها أن يخلق كخلق الله ، وقد فسروا « ذهب يخلق » بقصد وهو رواية حديث ابن فضيل . ويؤيده حديث عائشة الآتي (وهو التاسع) اذ قال : يضاؤون بخالق الله ، وفي رواية مسلم : يشبهون بخلق الله . وانما يكون هذا بالقصد .

٦ - من ابن عباس عن أبي طلحة (رض) قال قال رسول الله (ص) « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تصاور » .

٧ - عن عبد الله بن عمر قال : وعد جبريل النبي (ص) فرائد (أي أبطأ) عليه حتى اشتد على النبي (ص) فخرج فلقبه فشكا اليه ما وجد فقال « إنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب » هكذا أخرجه البخاري مختصرا . وهو عند مسلم من حديث عائشة وميمونة أوضح وفي الاول ثم التفت فاذا جرو كلب تحت سريره فقال « يا عائشة متى دخل هذا الكلب هنا ؟ » قالت والله ما دريت به ، فأمر به فأخرج فجاء جبريل الخ وفي الثاني : ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا فأمر به فأخرج ثم أخذ يديه ما يفضح مكانه فلما أسى لقبه جبريل الخ وظاهر الحديثين ان امتناع جبريل كان بسبب وجود الكلب اذ ليس فيهما ذكر للصورة ، وفي الاول انه رأى الكلب عرضا ولم يكن عالما بوجوده وفي الثاني انه كان عالما به وتذكره بعدما إبطأ جبريل . وفيها اختلاف بين السرير والفسطاط والاول معروف والثاني بيت من شعر دون السرايق وقال النووي أصله عمود الاخبية والمراد به في الحديث بعض حبال البيت فبطايق حديث عائشة اه بالمعنى . وفي القصة حديث أبي هريرة عند أحمد وأبي داود والسنائي والترمذي وصححه كابن حبان والحاكم وهو :

« أتاني جبريل فقال أتيتك البارحة فلم بمنعني أن أكون دخلت الا أنه كان على الباب تماثيل وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل ، وكان في البيت كلب . فر برأس التمثال الذي على باب البيت يقطع فيصير كهيئة الشجرة ، وممر بالستر فيقطع فليجمل منه ومادتان منبوذتان توطآن ، وممر بالكلب فليخرج » ففعل رسول الله (ص) وإذا الكلب جرو كان للحسن والحسين تحت نضد لهم . وفي رواية النسائي « إما ان يقطع رهوسا وما ان يجمل بسطا توطأ » والنضد فتحتين ما ينضد من متاع البيت يجمل بضه فوق بعض وما ينضد عليه ذلك المتاع من سربر وغيره فهو يطابق حديث عائشة من هذا الوجه

ظاهر هذا الحديث ان الواقعة كانت في بيت علي وفاطمة وظاهر حديث كل من عائشة وحفصة انها كانت في بيتها .

ومن الاضطراب في هذه الروايات ان حديث ابن عمر صريح في ان النبي (ص) خرج فلقى جبريل خاج اليه وظاهر حديث عائشة ان جبريل دخل البيت بعد اخراج الكلب ، وصرحت عائشة وحفصة بأنه (ص) أمر باخراج الكلب قبل لقاء جبريل بعد رؤيته أو تذكره وصرح أبو هريرة بأن جبريل هو الذي أخبره به واقترح عليه اخراجه وعادة العلماء ان يجمعوا بين أمثال هذه الروايات المتعارضة بتمدد الوقائع ، وعليه يرجح أن يكون ما رواه أبو هريرة وقع أولا ففعل منه النبي (ص) ان جبريل لا يدخل مكانا فيه كلب ولذلك أمر باخراج الكلب بعد ذلك لما رآه أو تذكره له مما سبق انه هو سبب تأخر جبريل ولكن في حديثي عائشة وحفصة عند مسلم أن النبي (ص) لم يكن سبب تأخر جبريل عليه السلام لانه سأله عنه فقال في حديث عائشة « منفي الكلب الذي كان في بيتك إنا لا ندخل الخ

وذكر النووي في سبب الامتناع أربع علل (١) كثرة أكل الكلاب للنجاسات (٢) قبح رائحتها أي رائحة بعضها (٣) ان بعضها يسمى شيطانا وهو الاسود القبيح المنظر (٤) الهي عن اتخاذها ، ولهذا الاخير قل انطائي ان الامتناع خاص بما نهي عنه دون المأذون فيه ككلب الماشية والزرع والصيد وخافه النووي فقال بالتعميم في الكلاب ولكنه خص الملائكة بملائكة الرحمة

- ٨ - عن أنس (رض) قال كان قرام لعنثة سترت به جانب يثها قال لما النبي (ص) «أميطي عني فانه لا تنزل تصاويره تمرض لي في صلاتي» أميطي أي نحى وازيلي وفيه حذف المفعول ورواية مسلم «أزليه»
- ٩ - عن عائشة (رض) قالت: قدم رسول الله (ص) من سفر وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيه ثمانيل فلما رآه رسول الله (ص) حثكه وقال «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله» قالت لخطناه وسادة أوسادتين وفي رواية للبخاري في المظالم قات فانخذت منه مرقتين فكأتا في البيت يجلس عليهما. وفي رواية لمسلم فجعلته مرقتين فكان يرفق بهما في البيت. وفي لفظ أحمد: قطعت مرقتين فلقد رأيت متكشاهما إحداهما وفيها صورة، والمارقة والمرقة الموردة كاسياني ١٠ - وعنها أنها اشترت مارقة فيها تصاوير قدام النبي (ص) بالباب فلم يدخل (قالت) فقلت أتوب الى الله مما أذبت. قل «ما هذه المارقة؟ قلت لتجلس عليا وتوسدها» قال «ان أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقول لهم أحيوا ما خلقتم، وان الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصور» وفي رواية مسلم «اشتريتها لك تقعد عليا وتوسدها». والفرقة المرفوعة منه «ان البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة»
- ١١ - وعنها قالت: قدم النبي (ص) من سفر وعطقت درنوكا فيه ثمانيل فأمرني أن أنزعها ففزعته، هذا لفظ البخاري. ولفظ مسلم: وقد سترت على بابي درنوكا فيه الخليل ذات الاجنحة. وفي لفظ آخر عنده: دخل النبي (ص) علي وقد سترت غطا فيه تصاوير فتعاه فانخذت منه وسادتين. وستور الدرنوك والنمط جنس واحد كاسياني
- ١٢ - عن بشر بن سعيد عن زيد بن خالد (الجبلي الصحابي) عن ابي طلحة (زيد بن سهل الانصاري) صاحب رسول الله (ص) قال ان رسول الله (ص) قال «ان للملائكة لا تدخل بيتا فيه الصورة» (وفي نسخة الصور وفي أخرى صور) قال بشر ثم اشتكى زيد (أي ابن خالد) فعدناه فاذا على بابه سترة صورة (وفي نسخة صور) فقلت لعبيد الله الحولاني ربيب ميمونة زوج النبي (ص) (وكان مع بشر): ألا نجبرنا زيد عن الصور يوم الاول؟ (وفي نسخة يوم أول) فقال عبيد الله: أأم تسمعه حين قال «الارقا في ثوب» قال الحافظ: في رواية عمرو بن الحارث:
- (التار: ج ٥) (٢٩) (المجلد العشرون)

قال انه قال «الارقا في ثوب» الاسمته؛ قلت لاه قال بلى قد ذكره. وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي

١٣ - روى مسلم وأبو داود عن زيد بن خالد عن أبي طلحة الانصاري قال سمعت رسول الله (ص) يقول «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا نمل» قال فأتيت عائشة فقلت ان هذا يخبرني ان النبي (ص) قال لا تدخل الملائكة... الخ فهل سمعت رسول الله (ص) ذكر ذلك؟ فقالت لا ولكن سأحدثك ما رأيته فعل رأيت خرج في غزاة فأخذت نعلها فسترته على الباب، فلما قدم فرأى النمط عرفت الكراهية في وجهه، فغذبه حتى هتكه أو قطعه وقال «ان الله لم يأمرنا ان نكسو الحجارة والطين» قالت قطعنا منه وسادتين وحشونهما لبقا فلم يعب ذلك علي

قالوا ان هذا النمط هو الذي فيه الخيل ذات الاجنحة كما تقدم آفا من رواية أخرى عند مسلم وذكر الترمذي ان العلماء استدلوا به على منع ستر الحيطان وتنجيد البيوت بالثياب وهو منع كراهة تنزيه لا تحريم، هذا هو الصحيح. ثم رد على من حرمه وأقول: الظاهر ان هذا الحديث معارض لتلك الاحاديث اذ ليس فيه أنه أنكر الصور التي في النمط ويمكن ان يقال ان هذا وقع قبل امتناع جبريل من دخول البيت لوجود التماثيل والكلب فيه، الا ان عائشة حدثت بهذا وبغيره بعد رسول الله (ص) قلالة مشكلة من هذا الوجه. ومثله حديث أنس عند البخاري (وهو اثنا عشر ما أوردنا) ففيه أنه (ص) أمرها بإمالة القرام لان تصاويره تعرض له في صلاته، ففلة الامر باز لئانه يشغل نظر المصلي اليه، وجهير الفقهاء متفقون على كراهة الصلاة الى ما يشغل المصلي، ولا دليل فيه على انكار الصور أو تحريم اتخاذها. ومثله حديثه في المزنوك (وهو الحادي عشر) ولكن ليس فيه تصريح باللعنة. ومثله حديثه عند مسلم في الثوب الممدود الى السهوة. وأما حديثه في القرام (وهو التاسع) وحديثه في الفرة (وهو العاشر) فهما صريحان في إنكار اتخاذ الصور بتلك الهيئة. وقد استشكل ذلك العلماء وأجاب بعضهم عنه بتعدد الوقائع وبأن الصور في بعضها من غير ذوات الارواح وهي التي لم ينكرها وفي بعضها من ذوات الارواح كالطير والخيل وهي التي أنكرها. ويقال هنا أيضا ما قلناه في حديث زيد بن خالد عن أبي طلحة، وهو

أن عائشة كانت تحدث بذلك بعد رسول الله (ص) فلماذا كانت تذكر كل واقعة وحدها ولم تبين لكل سائل أو محدث كل ما علمته في المسألة ؟ وهل يقلل ان ينكر النبي (ص) على عائشة عملا عمله في بيته قنزيله بأمره ثم تعود الى فعله ؟ كلا ان الروايات في هذه المسألة مضطربة ولم نر لاحد من العلماء قولاً شافياً فيها

والذي نراه أقرب الى الوقوع ان عائشة كانت حلت على الجدار سترافيه تصاوير لازنية فأنكر النبي (ص) ذلك من باب الارشاد الى ما يستحسن في تدبير المنزل وهو عدم إضاعة الثوب بوضعه على الجدار وضعا لا فائدة فيه لان الثياب لستر الابدان وزينتها لا لستر الحجر والطين . ويحتمل ان يكون هذا هو الذي وقع أمامه في صلاته وأنه علل أمره بأزائه بكونه يشغل النظر في وقت الصلاة وبكونه اسرافا وإضاعة للثوب وان عائشة ذكرت كل تعليل مرة في سياق كلام اقتضاه ، أو ذكرتهما معا وذكر الرواة كلاهما في سياق اقتضاه ، ويحتمل ان يكون الحديثان في واقعيتين علل الانكار في الاولى منها بشغل النظر في الصلاة وان السر كان في الثانية بحيث لا يراه في الصلاة ، وكل حديث في هذا الباب لم تذكر أو لم تذكر فيه التصاوير فهو محمول على تلك الواقعة أو الواقعتين . وأما الروايات التي فيها التصريح بانكار اتخاذ التصاوير بتلك الصفة فالأقرب أنها في واقعة واحدة كانت بعدما تقدم ، وانما علقت التبرقة في غيبته اذ كان مسافرا فلما عاد ورآها أنكر عليها وامتنع من دخول البيت حتى تنزعها فلما تابت دخل وهتكها بيده أي أزالها الا ان الإخبار بها كان في أوقات مختلفة فاختلف التعبير باللفظ والمعنى . ومن الاول القرام والنمط والدرنوك والتمرقة والوسادة والمرقة (*) وبدل على هذا الجمع قولها : أتوب الى الله

(*) القرام بالكسر ستر فيه ققوش وتصاوير . وقيل توب من صوف ملون يفرش في المودج أو ينطى به . والنمط قال النووي في شرح معالم المراد به هنا بساط ليف له خل . والدرنوك بالضم كصفة توب غليظ له خل اذا فرش فهو بساط واذا علق فهو ستر . والتمرقة بضم التاء والراء — وكمرها لثة كلب — الوسادة يجلس عليها وتوضع على الرجل تحت الراكب لينها وتتوسد أيضا فتسمى رادة والوسادة بتثنية أو المتحدة التي تتوسد في النوم أي بوضع عليها الرأس وتسمى بخدة بكسر الميم لانها بوضع عليها عند النوم . وتسمى مرقة ومرقا بكسر الميم وفتح الفاء لانها بوضع عليها المرفق عند الانكسار ، فاختلاف الاسماء باختلاف الاستعمال =

مما أذنبت . فلولا النعمي السابق لم يكن تعليقها الترفقة ذنباً يتوب منه . ولكن في بعض روايات الصحيح أنها قالت : فأذنبت . ولعل هذا خلط من بعض الرواة

١٤ - عن عائشة (رض) قالت : كنت ألعب بالبنات عند النبي (ص) وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله (ص) إذا دخل يتقمن منه (أى يسترن) فيسترهن (أى يرسلن) اليه فيلعبن معي . أخرجه البخاري في كتاب الادب من الصحيح

وقد حرف بعض المشددين في مسألة الصور هذا الحديث فزعم ان معنى قولها كنت ألعب بالبنات - كنت ألعب مع البنات . قال الحافظ في شرح الحديث : حكاه ابن التين عن الداودي ورده (قلت) وبرده ما أخرجه ابن عينة في الجامع من رواية سعيد بن عبد الرحمن الخزومي عنه عن هشام بن عروة في هذا الحديث : وكن جوارى يأتين فيلعبن معي . وفي رواية جرير عن هشام : كنت ألعب بالبنات وهن اللب . أخرجه أبو عروانة وغيره . وأخرج أبو داود والنسائي من وجه آخر عن عائشة قالت : قدم رسول الله (ص) من غزوة تبوك أو خيبر - فذكر الحديث في هتكه السر الذي نصبته على بابها قالت : فكشف ناحية السر عن بنات لعائشة لب فقال « ما هذا ؟ » قالت بناتي ، ورأى فيها فرسا مربوطا له جناحان فقال « ما هذا ؟ » قلت فرس ، قل « فرس له جناحان ! » قلت ألم تسمع انه كان لسلطان خيل لها أجنحة ؟ فضحك . فهذا صريح في ان المراد باللعب غير الأدميات اه

١٥ - عن عائشة (رض) قالت لما اشتكى النبي (ص) - أي مرض مرض الموت - ذكر بعض نسائه كنيسة يقال لها مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة أنيا أرض الحبيشة فذكرتا من حسنهما وتساوير فيها فرفع رأسه فقال « أولئك اذا مات فيهن الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صودوا فيه تلك الصور أولئك شرار المخلوق عند الله » أخرجه البخاري في أبواب المساجد وفي الجناز وأخرجه مسلم في المساجد

== وقد كان يختلف المسمى بالكبر والصغر كما يختلف الآن وهو جنس واحد تحديد متناه أنه شيء كين من نسيج يوضع فيه نحو قطن أو صوف أو ليف ويخاط عليه . ومنه ما يصنع أولا وبالذات للنوم وثمة ما يصنع للاشكاه أو الجلوس . ثم يستعمل لنحو ذلك عند الحاجة

﴿ أقوال العلماء في قته هذه الاحاديث ﴾

(١) قال الحافظ عقب ذكر حديث أبي هريرة المتقدم عن أحمد وأصحاب السنن مانصه : وفي هذا الحديث ترجيح قول من ذهب الى ان الصورة التي يتمتع الملائكة من دخول المكان التي تكون فيه هي ما تكون هل هيئتها مرفعة غير ممتنة . فلما لو كانت ممتنة أو غير ممتنة لكنها غيرت عن هيئتها إما بقطعها من نصفها أو بقطع رأسها فلا امتناع

(٢) ثم قال الحافظ في إثر ما تقدم : وقال القرطبي ظاهر حديث زيد بن خالد عن أبي طلحة المضي قبل (وهو التاسع مما قلناه من البخاري) أن الملائكة لا يتمتع من دخول البيت الذي فيه صورة ان كانت رقفا في الثوب ، وظاهر حديث عائشة المنع . ويجمع بينهما بأن يحمل حديث عائشة على الكراهة وحديث أبي طلحة على مطلق الجواز وهو لا يناقض الكراهة . (قال الحافظ) قلت وهو جمع حسن لكن الجمل الذي دل عليه حديث أبي هريرة زلزل منه والله أعلم

(٣) قال الحافظ عند الكلام على حديث التمرة : قال الرافي وفي دخول البيت الذي فيه الصورة وجهان قل الأكثر يكره وقال أبو محمد يحرم . فلو كانت الصورة في عمر الدار لا داخل الدار كما في ظاهر الحمام أو دهايزها لا يتمتع الدخول . قال وكان السبب فيه ان الصورة في الممر ممتنة وفي المجلس مكروه . (قلت) وقضية إطلاق نص المختصر وكلام الماوردي وابن الصباغ وغيرهما لا فرق اهـ

(٤) اختلفوا في الملائكة التي لا تدخل بيتا فيه صورة ولا تلب قبل هو على العموم وقيل هو خاص بالملائكة لرحمة وتقدم عن النووي وصرح هؤلاء بأنه يستثنى منه الحفظة ، وقيل من نزل بالوحي خاصة كجبريل (قال الحافظ) وهذا قل من ابن وضاح والداودي وغيرهما وهو يستلزم اختصاص النبي بهد النبي (ص) لان الوحي انقطع بعده وباقتطاعه انقطع نزولهم . وقيل التخصيص في الصفة أي لا تدخله الملائكة دخولهم بيت من لا كاب فيه

(٥) قال الحافظ : وأقرب ابن حبان فادعى ان هذا الحكم خاص بالنبي (ص)

قال وهو نظير الحديث الآخر « لا تصحب الملائكة رقة فيها جرس » — قال —
فانه محمول على رقة فيها رسول الله (ص) اذ محال ان يخرج الحاج والمتمتع لقصد
بيت الله عز وجل على رواحل لا تصحبها الملائكة وهم وفد الله انتهى وقد استبعد
الحافظ هذا التأويل وقال انه لم يره لغيره

(٦) قال : وقد استشكل كون الملائكة لا تدخل المكان الذي فيه التصاوير مع
قوله سبحانه وتعالى عند ذكر سليمان عليه السلام (يعلمون له ما يشاء من محاريب وتماثيل)
وقد قال مجاهد كانت صوراً من نحاس أخرجه الطبري . وقال قتادة كانت من
خشب ومن زجاج . أخرجه عبد الرزاق . والجواب ان ذلك كان جائزاً في تلك
البرية وكانوا يعملون أشكال الانبياء والصالحين منهم على هبتهم في العبادة ليتعبدوا
كعبادتهم ، وقد قال أبو العالية لم يكن ذلك في شرعهم حراماً ثم جاء شرعنا بالنبوي
عنه . ويعتدل ان يقال ان التماثيل كانت على صورة النقوش لغبر ذات الارواح ،
واذا كان اللفظ محتملاً لم يتعين الحمل على المعنى المشكل ، وقد ثبت في الصحيحين
حديث عائشة في قصة الكنيسة التي كانت بأرض الحبشة وما فيها من التصاوير
وايه (ص) قال « كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا
فيه تلك الصور أولئك شرار المخلوق عند الله » فان ذلك بشر بأنه لو كان جائزاً في
ذلك الشرع ما أطلق عليه (ص) ان الذي فعله شر انطلق ، فدل على ان فعل صور
الحيوان فعل محدث أحدثه عباد الصور والله أعلم اهـ

أقول: لم يأت الحافظ رحمه الله بشيء يشفي في هذه المسألة والذي يظهر في حل
الاشكال أن وجود التصاوير في مكان ليس ما لنا ذاتياً لدخول الملائكة فيه ، اذ
لو كان كذلك لم يختلف فيه حكم شرائع الانبياء عليهم السلام وأصل دين الله فيهم
واحد وأما اختلفت شرائعهم بما يختلف ضرره وفهمه وفساده وصلاحه باختلاف الزمان
والمكان . وما ذكره الله تعالى من منته على نبيه سليمان عليه السلام في هذه المسألة
دليل على ان عمل التماثيل له واتخاذها ايها في مباحه لم يكن فيه مظنة عبادة ولا تشبه
بالمشركين مذكر بعبادتهم مؤنس للمؤمن بها .

ومن العجيب أن يذكر الحافظ في تعليل ما كان يعمل لسليمان انه كان يعمل

له صور الانبياء والصالحين الخ وهذا هو أصل البلاء في عبادة الصور والتماثيل فقد روى البخاري وغيره ان اصنام قوم نوح واوثانهم المذكورة في سورة نوح صارت الى العرب وان اسماءها كانت أسماء رجال صالحين فلما ماتوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون اليها انصبابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عدت . ويؤيد هذا حديث عائشة في قصة الكنيصة وقد تقدم ، فالنصارى قد اتبعوا سنن سلفهم من الروم واليونان في اتخاذ الصور ولتماثيل فكانوا يحملون صور الانبياء والصالحين في المعابد وغيرها وهي التي ذمهم الرسول (ص) بها ولم يذمهم على اتخاذ صور الملوك والقواد والوالدين والأولاد وغيرهم مما لا شبهة فيه على العبادة ولا دخل له في الدين . فن العجيب ان بغفل المستنيط عن علة الشيء الصريحة ويتخذ له علة أخرى يفسر بها النصوص ليجمع بينها فيحمل الشيء على ضد المراد . على ان الحافظ ذكر حديث الكنيصة المصرح بالعلة الصحيحة ولكنه لم يرد به ما ذكره قبله

وقد وقع مثل هذا لبعض المؤلفين المقلدين في تشريف القبور بالبناء ووضع الستور عليها فحمل النعي عن ذلك في الاحاديث على ما لم يقصد به تعظيم الميت الصالح أي لانه اضاءة لهال وأباح ما اتبع به الخلف الصالح سنن من قبلهم من بناء القبور الصالحين ووضع الستور عليها اذا كان المراد به تعظيمها قياسا على أستان الكعبة ١١ وهو قياس مصادم لانص مبطل له : نقض لملته ذاهب بحكمته ، فان الخطر على أصل الدين وهو التوحيد انما هو في تعظيم قبور الصالحين لانه أدى عبادتها بالتعظيم والطواف والتسبح ودعاء الموتى ، و « الدعاء هو العبادة » كما ثبت في الحديث عند أحمد وأصحاب السنن وغيرهم . وقد بسطنا الكلام في هذه المسألة مرارا

(٧) نقل الحافظ في شرح حديث عبد الله بن مسعود - وهو الاول مما أوردنا - عن الخطابي تقدم شراح البخاري انه قال فيه : إنما عظمت عقوبة المصور لان الصور كانت تعبد من دون الله ، ولان النظر اليها يقتن و بهض النفوس اليها تميل ، قال والمراد بالصور هنا التماثيل التي لها روح اه

أقول : التمثيل الاول هو الصحيح الذي يؤخذ من مجموع النصوص واقتصر عليه

المحققون، وأما دعوى الافتتان بجمالها وهذا لا يقع الا نادرا فلا ينبغي عليه مثل هذا الوعيد الشديد، وإنما يظهر وجهه اذا أريد به الافتتان الديني الذي كان عليه الكفار وهو يرجع الى التعليل الاول. ومن العجيب أن يجعل الميل والاستحسان لبعض خلق الله والسردو به مذموما شرعا ومقتضيا لتحريم الاستمتاع به وان لم يرتب عليه ترك فريضة ولا ارتكاب معصية. فليحرموا اذا النظر والتأمل في زينة الكواكب النيرات، والجنان معروشات وغبر معروشات، وجمال رياض الازهار، ومحاسن حدائق الاشجار، وسماح خير المياه ونفحات الاطيار، وغبر ذلك من صنع الله الذي أتقن كل شيء. • الذي أحسن كل شيء خلقه (وماذا يفعلون بقول الرسول عليه الصلاة والسلام، لمن سأله عن حب الزينة في اللباس (ان الله جميل يحب الجمال) ؟ رواء مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود وغبرهما عن غيره أيضا

(٨) ثم قال بعد نقل ما تقدم عن الخطابي: وقيل يفرق بين العذاب والعقاب فالعذاب يطلق على ما يؤلم من قول أ. فعل كالعنب والانتكار والعقاب يختص بالقول. فلا يلزم من كون المصور أشد: نس عذابا أن يكون أشد الناس عقوبة. هكذا ذكر الشريف المرتضى في التبيين ونسب الآية المشار اليها وطهيا انبني الاشكال ولم يكن هو عرج عليها فلماذا ارتضى التورقة والله أعلم

(قال) واستدل به أبو علي الفارسي في التذكرة على تكفير المشبهة فحمل الحديث عليهم وأنهم المراد بقوله « المصورون » أي الذين يعتقدون ان لله صورة. وتعقب بالحديث الذي بعده في الباب بلفظ « ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون » وبحديث عائشة التي بعد بابين بلفظ « ان أصحاب هذه الصور يعذبون » وغير ذلك، ولو سلم له استدلاله لم يرد عليه الاشكال المقدم ذكره — أي معارضة الآية للحديث — ١٠ وحديث الباب الذي أشار اليه هو الثاني مما أوردنا

وأقول: كان يمكن لابي علي أن يجيب عن هذا لو أورد عليه بحمل حديث « ان أشد الناس عذابا عند الله المصورون » في الذين يجعلون لله تعالى صورة مماثلة لصور بعض المخلوقات، ويجيب عن معارضة الآية بتقدير « من أشد » ويتفنى بذلك من جعل التصوير ككفر آله فرعون مشار كاله في مثل عقابه، ومعلوم من أصول الشريعة

المجموع عليها أـ ماورد النص تسميته أكبر الكبائر هو دون أشد الكفر بالشرك بالله ومعاندة رسله كتحف آلال فرعون ، اذ كل كبيرة من هذه الكبائر التي هي أعظم جرما من التصوير المحرم يجوز أن تغفروا لا يعذب صاحبها أصلا ، فكيف يحرم بأن لمصورين أشد الناس أو من أشددم عذابا كآل فرعون . وأما كونهم يعذبون فلا امر فيه دون ذلك ، ولا سيما على قول من فرق بين العذاب والعقاب فلم يجعل كل عذاب عقابا

(٩) من أشد الفقهاء تشديدا في التصوير واتخاذ الصور أبو بكر بن العربي من المالكية والنووي من الشافعية . وقد جرما بتحريم التصوير مطلقا لخص الاول الاقوال في اتخاذ الصور قدا : حاصل ما في اتخاذ الصور انها ان كانت ذات أجسام حرم بالاجماع وان كانت رقبا فأربعة أقوال الاول يجوز مطلقا على ظاهر قوله في الحديث « لا رقبا في ثوب » الثاني النعم مطلقا حتى الرقم الثالث ان كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل حرم وان قطعت الرأس أو فترقت الاجزاء جاز — قال وهذا هو الاصح — الرابع ان كان مما يمتنن جاز وان كان معلقا لم يجوز اه ونوزع في دعوى الاجماع فيها له نطل واستثنى الجمهور لعب البنات كما تقدم وفيه بحث سيأتي قريبا (١٠) قال الحافظ في شرح حديث الدرر نوك : وسندل بهذا الحديث على جواز اتخاذ الصور اذا كانت مما لا لعل له وهي مع ذلك مما يوطأ ويداس أو يمتنن بالاستعمال كاللخاذ ولوسائد قال النووي : وهو قول جمهور العلماء من الصحابة والتابعين . وهو قول الثوري ومالك وأبي حنيفة والشافعي . ولا فرق في ذلك بين ما له لعل وما لا لعل له ، فان كان معلقا على حائط أو ملبوسا أو عمامة أو نحو ذلك مما لا يد ممتننا فهو حرام . ثم ذكر الحافظ مؤاخذات فيها قلله النووي (منها) حكايتهما في العربي تحريم ما له لعل بالاجماع ، وقال ان محله في غير لعب البنات ، وان القرطبي حكى فيها لا يتخذ للابقاء كالتخار قواين أظهرهما النعم ، وجعل إلحاق ما يصنع من الحلوى بالتمخار وبلعب البنات محل تأمل (ومنها) ان مذهب الخنابلة جوز الصورة في الثوب ولو كان معلقا الا ان يكون على جدار فيمنع . أي عملا بحديث « ان الله لم يأمرنا ان نكسو

الحجارة والطين »

(١١) قال الثوري : وذهب بعض السلف الى ان المنوع ما كان له ظل وأما لا ظل له فلا بأس باتخاذ مطلقا ، وهو مذهب باطل فان الستر الذي أنكره النبي (ص) كانت الصورة فيه بلا ظل بشير شك ومع ذلك فأمر بنزعه (قال الحافظ متعبا للثوري) قلت المذهب المذكور لله ابن أبي شبة عن القاسم بن محمد بسند صحيح ولفظه عن ابن عون قال : دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة في بيته فرأيت في بيته حجلة فيها تصاوير القندس والعنقا . ففي الاطلاق كونه مذهبا باطلا نظر اذ يحتمل انه تمسك في ذلك بموم قوله « الا رقنا في ثوب » فانه أعم من أن يكون معلقا أو مفروشا ، وكأنه جعل انكار النبي (ص) على عائشة تعليق الستر المذكور مركا من كونه مصورا ومن كونه ساترا للجدار . ويؤيده ماورد في بعض طرقه عند مسلم — وذكر تعليق الحديث المتقدم في ذلك وقال — فهذا يدل على انه كره ستر الجدار بالثوب المصور فلا يساويه الثوب الممتن ولو كانت فيه صورة وكذلك الثوب الذي لا يستر به الجدار ، والقاسم بن محمد أحدهما المدينة وكان من أفضل أهل زمانه ، وهو الذي روى حديث النمرقة فولا أنه فهم الرخصة في مثل الحجلة ما استجاز استعمالها . ثم رجح الحافظ ان الرخصة فيما يمتن لافيا كان منصوبا وتقل عن جماعة من علماء السلف القول بذلك ، منها ما روى عن عكرمة : كانوا يكرهون ما نصب من التماثيل نصبا ولا يرون بأسا بما وطئته الاقدام ، وما روى من طريق عروة انه كان يشكى على المرافق فيها تماثيل الطير والرجال اه

[المنار] القاسم بن محمد هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق (رض) أحد أئمة التابعين تربى في حجر عمته عائشة وتفقها بها وروى عن غيرها من الصحابة أيضا ومن أخذ عنه الزهري وريمة شيخ الامام مالك وكثيرون . قال يحيى بن سعيد الانصاري : ما أدركنا بالمدينة أحدا يفضل على القاسم ، وعن أبي الزناد قال : ما رأيت فقيها أعلم من القاسم ، وما رأيت أحدا أعلم بالسنة منه ، وقال سفيان بن عيينة : كان القاسم أعلم أهل زمانه ؛ وقال ابن سعيد : كان اماما فقيها ثقة رفيعا ورعا كثير الحديث ، قال أيوب السخيتاني : ما رأيت أحدا أفضل من القاسم . انتهى ملخصا من تذكرة الحفاظ .

(١٢) قال الخطابي في شرح حديث اللب : ان اللب بالنبات ليس كالطبي بسار الصور التي جاء فيها الوعيد وأما أرخص لما أشبه فيها لأنها إذ ذاك كانت غير بالغ . قال الحافظ عقب نقله : وفي الجزم به نظر لكنه محتمل لأن عائشة كانت في غزوة خيبر بنت أربع عشرة سنة إما أكلتها أو جازتها أو قاربها وأما في غزوة تبوك فكانت قد بلغت قطعا فيرجح رواية من قال في خيبر ويجمع بما قال الخطابي لأن ذلك أولى من التارض . اهـ

وأقول : ان هذا ليس بجمع اذ لو كانت لب النبات محرمة لما أقر النبي (ص) عائشة وصاحبها على اللب بها وإن كن غير بالغات ولا تركها في بيته . والصواب أن هذه اللب لا تدخل في عموم ما أنكره من الصور الملقاة بل هي أشبه بما أقره من الصور في الوسائل والمرافق في أن كلا منهما لا يشبه ما كان يعبد من الصور والتمثيل (١٣) بعد كتابة ما تقدم كله راجعت ما كتبه الحافظ في شرح حديث كنبسة مارية في الحبشة المقارن في البخاري لحديث لمن أهل الكتاب لا تخادهم قبور أنبيائهم مساجد فاذا هو يقول في شرح الاول في باب هل تقبش قبور المشركين : وأما فعل ذلك أوائلهم ليتأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان ان أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فاعبدوها . فحذر النبي (ص) عن مثل ذلك سدا للذرمة المؤدية الى ذلك ، وفي الحديث دليل على تحريم التصوير وحمل بعضهم الوعيد على من كان في ذلك الزمان لقرب العهد بعبادة الاوثان وأما الآن فلا . وقد أطنب ابن دقيق العيد في رد ذلك كما سيأتي في كتاب اللباس اهـ

ثم قال في شرح الحديث الثاني في باب بناء المدج على القبر : وقد قدم ان المنع من ذلك إنما هو في حال خشية ان يصنع بالقبر ما صنع أولئك الذين لئلا وأما اذا أمن ذلك فلا امتناع . وقد يقول بالمنع مطلقا من يرى سد الذرمة وهونها متجه قوي اهـ ويسمي بما تقدم قوله في الكلام على ترجمة الباب السابق : ان الوعيد على ذلك يناول من اتخذ قبورهم مساجد تعظيما ومغالاة كما صنع أهل الجاهلية وجرهم ذلك الى عبادتهم اهـ (لغتنى بنية)

ورحلة الحجاز

٦

صفة الوقوف بعرفات

بلغنا عرفات في وقت السحر فألقينا الخيام قد ضربت لنا وفرشت فبرزنا فيها ولما طلع النهار وجدنا أنفسنا بالقرب من مسجد الصخرات حيث كان موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ورأينا أكثر الحجاج في هذا الجانب من بسيط عرفات وسائر الجوانب والاجواز خالية وفي بعضها قليل من الحجاج ، ولبعض حجاج الاقطار مواضع خاصة يقفون فيها كل عام كما يرى القارئ في صورة الموقف من الفصل السابق . ويقف كثير من عرب الجزيرة في جبل الرحمة وبصعده كثير من حجاج الاقطار الاخرى كما علم مما تقدم . وكانت خيام الشريف في موضعها المتاد من وسط ذلك البسيط وكان السبب في بعدها عن مسجد الصخرات وموقف الامام أن يسهل على أي فريق من الحجاج الوصول اليه لزيارة أو الشكوى في زمن قصير

وانني بعد كتابة ماتقدم من وصف عرفات اطلت على كتاب دليل الحج لمحمد باشا صادق المصري المهندس أحد ضباط أركان الحرب الذي طبع سنة ١٣١٣ فاذا فيه أن مساحة سطح البقعة المستوية من عرفات « كيلو متر مربع » أي نحو ألفي ذراع بذراع الاكدي - وهو من رؤس الاصابع الى المرفق - والذي يترامى للنظر انه أوسع من ذلك وهذا المكان لا يسهل مئات الالوف من الحجاج ولكن كثيرا منهم يقفون في جبل الرحمة وفي غيره مما الى ذلك البسيط من الجبال، وجبل الرحمة يرى في المساء مكثفا بالحجاج من سفحه الى قمته . وارتفاعه نحو من ستين ذراعا (٣٠ متر) وطوله قريب من ستمائة ذراع (٣٠٠ متر) كما قال محمد صادق باشا . قال : وأعلى هذا الجبل سطح مستو مباط بالحجر مربع في نحو عشرين مترا وفي وسطه مصطبة طولها سبعة أمتار في (عرض) سبعة وارتفاعها متر ونصف ، وفي ركنها الغربي عمود مربع ارتفاعه أربعة أمتار في عرض مترين يرى من أسفل الجبل

كنار للطريق اه وأقول ان هذا منار لا كالمنازل ولا يشترط في مسمى المنار لفة أن يوضع في أعلاه أو أثاثه نور وإنما هو العلم الذي يهتدى به ، وهذا المنار يراه حجاج الآفاق من الجهات المختلفة

قد فاتنا لفة الحجاج رؤية منظر من أعظم المناظر المؤثرة في النفس، الحركة لشعور الخشوع والمبودية في القلب، وهو رؤية تلك البقعة الشريفة خاصة بالشعوب الوافدة من جميع أقطار الأرض، ملين ذنوبه، باكين خاشعين، يجأرون الى الله عز وجل على اختلاف لهجاتهم، الناشئة عن اختلاف لغاتهم يرددون الاذكار المأثورة بالعربية، ويدعون الله ماشاؤا بلغاتهم المختلفة.

قال صديقنا محمديب بك في رحلته بعد وصف عرفات والكلام على الوقوف : عند وصول الحجاج الى هذا الوادي ينزل ركب المحملين (أي المصري والشامي) يجيئهم قربا من جبل الرحمة، يليها مضارب الحجاج على اختلاف أجناسهم، وعلى سفح عرفة من عاليه الى جبل الرحمة ترى حجاج الاعراب محتشين الى جوف الجبل بعضهم فوق بعض كالبنين المرصوص . أما باقي الحجاج فانه ينصب الخيام في بطن الوادي الذي يزدحم اليه الناس حتى لا تكاد ترى فيه مكانا خاليا من واقف وقاعد وجاهلهم وحرمهم مربوطة بجوزهم، وترى الكل في صعيد واحد حتى يتعذر على الانسان السير الى أي جهة أراد ولو لضرورة في نفسه، ولو كان مولانا الشريف يأمر بتقسيم وادي عرفة الى أحذية أفنية [أي أمكنة متحاذية كالصفوف] يقسمها شارع وأمي ويخصص كل حذاء لسكنى جماعة من الحجاج وجاهلهم من ورائهم . وتوضع لذلك علامات من البناء لا يتجاوزها الحجاج في وضع مضاربهم، ولا الجمالة في ربط جاهلهم، وبمين لهذا النظام من يحفظه مع الدقة، — لكان له شكر الله وللملائكة والناس أجمعين . وفي سعة الوادي مياضن لدركه إقامة الكل على الراحة التامة، لان هذا التزامم أما سببه التقرب من مجرى الماء ومن السوق الذي تراه بجوار مسجد الصخرات (ويباع فيه بعض الاغذية الضرورية) وربما كان التزامهم سبب آخر وهو خوفهم من الاعراب الذين يكون لهم من ذلك الرحاب عون على النهب والسلب، وبسبب هذا التزامم يضل الناس عن أمكتهم

إذا تركوها لأمراً ، ولذلك ترام ينادون بعضهم [أي أنفسهم] إما بأسمائهم أو بألقاب اصطلاح عليها أهل كل جهة حتى إذا سمعوا واحد منهم أجابه بصوت عال وقصد مصدر الصوت . وهذه الحركة لا تكاد تنقطع مدة الإقامة بعرفة . اهـ وأقول ، أننا لم نشاهد شيئاً من ذلك لقلة الحجاج ، وهذا يؤيد ما قلنا من قبل أن التعارف بين الشعوب في عرفة لا يتيسر

وذكري ابن جبير الاندلسي في رحلته أن الجمع الذي كان في عرفات في سنة حجه - وهي سنة ٥٧٩ - لا يشبهه إلا الحشر ، وأن المحققين من الاشياخ المجازرين زعموا أنهم لم يمانوا قط في عرفات جمعا أحفل منه ، وأنه ما روي من عهد الرشيد الذي هو آخر من حج من الخلفاء جمع في الاسلام مثله . ثم قال : « فلما جمع بين الظهر والعصر يوم الجمعة المذكور وقف الناس خاشعين باكين ، وإلى الله عز وجل في الرحمة متضرعين ، والتكبير قد علا ، وضجيج الناس بالدعاء قد ارتفع ، فما رُبني يوم أكثر مدام ، ولا قلوباً خواشع ، ولا أعناقاً لحيية الله خوانع خواضع ، من ذلك اليوم . فما زال الناس على تلك الحالة والشمس تفتح وجوههم إلى أن سقط قرصها ويمكن وقت المغرب وقد وصل أوبر الحاج مع جملة من جنده الدارين ووقفوا بمقربة من الصخرات عند المسجد الصغير المذكور وأخذوا السمر والبنين ومواقفهم بمنازلهم المعلومة لهم في جبال عرفات المتوارثة عن جدّ نجدّ من عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا تعدى قبيلة على منزل أخرى ، وكان المجتمع منهم في هذا العام عدداً لم يجتمع قط مثله ، وكذلك وصل الأمير العراقي في جمع لم يصل قط مثله ، ووصل معه من أمراء الاعاجم الخراسانيين ، ومن النساء العاقلات المروقات بالحواتين (واحدتهن خاتون) ومن السيدات بنات الأمراء كثير ومن سائر العجم عدد لا يحصى ، فوقف الجميع وقد جعلوا قدوتهم في نفر الامام المالكى لان مذهب مالك رضي الله عنه يقتضي أن لا ينفر حتى يتمكن سقوط القرص ويحين وقت المغرب ، ومن السروالبيين من نفر قبل ذلك . فلما أن حان الوقت أشار الامام المالكى بيديه ونزل عن موقفه فدفع الناس بالنفر دفعا رنجت له الأرض ورجفت الجبال ، فباله موقفاً مأهولاً مرآه ، وأرحى في النفوس عقابه ، جعلنا الله ممن خصه فيه برضاه ونعمه بنعماءه انه منهم كريم حنان منان » اهـ المراد منه

وقوفنا بعرفة وتأويل رؤيا سادة

زرت في أثناء النهار الامير الشريف مع بعض الاخوان فحشت سرادقها راجبا فرسا
 بعده عن موقفنا . ورأيت سوق عرفة وهي قرب مجرى عين زيدة كما يعلم من الصورة
 التي نشرناها . ولما رأيت مجرى عين زيدة هناك ووجدتها تنحدر بقوة في مجاريها
 الواسعة البنية تد كرت رؤيا كنت رأيتها بمصر قبل ثورة الحجاز وكتبتها وذكرتها
 لكثير من الناس : رأيت في جمادى الأولى سنة ١٣٣٤ التي في مكة المكرمة معي رفيق
 لي فدخلنا المسجد الحرام ثم أردنا أن نخرج لحاجة لنا فسمعنا أذان العصر فقلت
 لرفيقي لا ينبغي لنا أن نخرج وقد أدركتنا الصلاة الا بعد أدائها في المسجد ، وينا
 أنا جالس في المصلى بالقرب من الكعبة العظيمة رأيت الشريف حيناً أمير مكة جالسا
 أمامي من جهة يميني قريبا مني واعتقدت انه جاء ليصلي بالناس إماما ، فالتفت الي من
 جهة يساره وقال لي أبطأت علينا إنا منذ زمن نتنظر قدومك إلينا . وبعد أن خرجنا
 - ولم أوهل ولا انا صلينا معه - رأيت معي بعض رجاله وانا ذهابون بأمره الى
 أحد دوره - أي غردار الامارة - لا تكون فيها ضيفا عليه ، وبينما نحن نسير غربا
 جنوبا رأيت في شارع واسع ممتد من الجنوب الى الشمال ماء فزبرا صافيا مندفا
 بقوة في مجرى واسع مبني بالحجارة وله فرع الى الغرب وفرع الى الشرق ، فوقفت
 متعجبا من قوة جريان ذلك الماء وقلت في نفسي : اهذا مامعين زيدة ؟ ما سمعنا
 أحدا من الحجاج ذكره بهذا الوصف ، وهذه القوة في الجريان لا تكون الا بقوة
 دافعة كالسكر بائية أو البخارية . ورأيت في الطريق دارا جديدة ممتازة بين دور مكة
 يبيضاها من الخارج علمت انها خاصة بنساء الشريف . وخطر في بالي ان دار الضيافة
 التي خصصت لي سأكون فيها مع الشريف عبد الله أحد أنجال الامير

هذا ما رأيته في نومي قبل ثورة الحجاز بمدة أشهر ولما حدثت الثورة وأعلن
 الاستقلال خطر في بالي أنه ربما كان تأويل رؤياي إصلاح جديد يحيا به مكة ويمتد
 الى سائر الجهات كامتداد ذلك الماء الذي رأيته فان الله تعالى يقول (وجعلنا من
 الماء كل شيء حي) ولما جئت مكة حاجا ظهر لي من تأويل الرؤيا أنه كان معي
 رفيق ، وأنني كنت ضيفا للامير ، وانه رحب بي أحسن ترحيب وكان ينتظر مجيئي ؟

وان دار الضيافة كانت في الجملة القريبة من الحرم الشريف ، وان الشريف عبدالله زارني في هذه الدار ، وانني رأيت دارا يضاء قبل لي انها دار حرم الامير انخاص ، وان الناس نحدثوا بأنه سيبلغ بالخلافة - والامانة الخاصة ، قد تؤول بالامانة العامة ، وكل منهما كان متوقعا ولم يقع . وأما صدق الرؤيا في مسألة الماء فلم أشاهده في البقطة على نحو ما رأيته في النوم الا في عرفات ، فالجري الميني وطوله ومتداده يشبه الذي رأيت الا ان سرقة اندفاع الماء وقوته كانتا دون ما رأيته في النوم ، والفرق يسير . فهذه الرؤيا من أوضح الرؤى وأجلها تأويلا ، وهي حجة على الذين ينكرون الرؤى الصادقة

الحالة الروحية في الوقوف والنفر

ان الحالة الروحية لا تبلغ الكمال في عرفات ظاهرا وباطنا الا في أصيل ذلك اليوم العظيم ، ففي أول النهار يمرض لا كثر الناس شوغل تشغل حواسهم وجوارحهم وأكبارهم . متباعدة وديت لا كل والشرب ، ومنها رؤية المخطر الجديدة من تلك البقعة الجاهلة استعوب كثيرة مما يعطى من الجبل . فبذو الشغل تشغل كثيرا من الناس بصورتها وتسا في أول انعيد برؤيتها ، عن منها وحكمة كون السير اليها ولوقوف فيها عبادة لله تعالى . وفي أثناء النهار يأكل الناس طعامهم ويستريح أكثرهم في خيامهم ومضاربهم أو في ظلال الجبال ولا سيما إذا كان الجو شديدا ، فإذا جاء وقت الصلوة جمعوا منهم رثو وحالمهم وفرغوا قلوبهم للذكر والدعاء وانحسروا عند موقف خاطب من - بل الرحمة - حرصا على سماع الخطبة ، أو لاشتراكهم في اللوف من اخوتهم في التكبير والتلبية ، وقد يرا في المسالك ان السرع لم يحمل امرأة ذكرا ولا دعا خلاصا بل ترك ذلك للأفراد . ولم يرد ان الي (ص) كان يلي بعرقه في الخطبة ولا في غير الخطبة ولكن صح أنه كان يلي بين المشاعر ذهابا وإيابا وهي من مزدانة بعرقه . ودعا على ذقته بعرقه رثا يديه لم يرد في الصباح نص ذكره ولا دعاه واستسبح الله ذكره . ورد في النص في كتول « لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير » روي عن عدة من الصحابة مرفوعا وأنه خير ما يقال

قضينا جل نهار عرفة بذكر الله والدعاء وتيسر لي والحمد لله الاغتسال فيه .
وصلينا الظهر والمغرب جميعا في مسجد الصخرات ، ورأينا هناك خطيب عرفة وهو
نائب الشرع بمكة وقد صعد بناقته فاستوى على تلك الصخرة من جبل الرحمة ذات
التاريخ الاسلامي العظيم وقد أحاط به الناس وازدحموا من حوله يسمعون منه أحكام
المناسك ، ومن دونهم من فوقه في الجبل ألوف من الناس يشاهد بعضهم بعضا وبرايمهم من
في السفح ومن في بسيط عرفات كلها لأن الجبل مدرج يشبه ما يتخذ في بعض المدارس
الكبرى من المقاعد ذات الدرج المتوعدة التي تسميها الفرنجة (تفتاترو) وكما لبي
وكبر الخطيب لبي من حوله وكبروا وأشاروا بأطراف أردتهم البيضاء أومناديلهم
ويقبهم في التلبية والاشارة كل من هناك من قبة الجبل الى سفحه ، فيلبي سائر الناس
ويكبرون ، فيتسوج بأصواتهم الهواء ، وترنج الجواء ، حتى تصل الى عنان السماء ، بل
تخترقها حاملة ذلك الذكرواثناء والضراعة والدعاء الى من استوى الى عرشه المجيدة
وهو أقرب الى عبده من جبل الوريد . فياله من موقف ما أعظمه ، وما أصدق من شبهه
بيوم القيامة ، وقد يكون التشبيه على أكله في ذلك المساء ، فانه وقت يكون فيه لكل
مؤمن من الشغل بنفسه والتوجه الى ربه ، ما لا يهد مثله في وقت من أوقات حياته ،
يشعر . والناس يحيطون به من كل جانب — بأنه في خلوة لا يشغله فيها من ربه شاغل ،
ولا يشوب خشوعه له وبكائه من خشيته وسروره بمناجاته ربه ولا سمعه ، بل لا يكاد
يخطر بباله أن أحداً هناك يرى أهدا . فما أعجب شأن هذا لاجتماع العظيم الذي
يجمع كل من شهده بإيمان وهرقان ، بين مزاياء عبادة وظلوة وعبادة شعائر الاجتماع ،
بل أقول ان له منزلة على سائر الشعائر لا يعرفها لا من ذاتها

وقبل الغروب أقبل الشريف أمير مكة بموكبه الخافل حتى صعد أدنى جبل
الرحمة فكان قريبا من موقف الخطيب وتلاه ركب المحمل المصري . وحينئذ أطلقت
الدافع ، وهزفت المازف ، (الموسيقى) واستعد الناس للدفع من عرفة لاجل ميتة
تلك الليلة بمزدلفة ، وبدأ الدفع بعد الغروب . فركبت السيدتان هودجهما ، وسار
الرفيضان الكرام ، والخدم مهمما ، وتفضل السيد لؤي بالوسال نجله السيد عبد الرحمن
معهم وهدت ناله أن يذهب بهم الى معنى ليل بعد أداء أدنى ما يجب من المقام بمزدلفة

ويـبر عنه بالميت ، وراقتي هو قدفنا معا على دابتين قطعنا ذلك الطريق ، في ذلك الوقت المعتدل الطيف . ونحن نجأر الى الله تعالى بالتلبية والتكبير ، وقد وصفا تأثير التلبية في الطريق بين جدة مكة ، وأين تأثير طريق مكة من تأثير عرفة ؟ وما أبعد الفرق بين حال المبتدئ بهذه العبادة - عبادة المناسك - الذي لم يلق منها الا طعم الاحرام والتلبية ، وبين من شاهد بيت الله عز وجل وطاف به كثيرا وسعى بين الصفا والمروة متذكرا تلك الآيات اليزنة ، ثم أقام ركن الحج الاكبر وهو الوقوف بعرفة فامتلا قلبه إيمانا وعرقانا ، واتى بين الالوف من الموحدين بكبر الله على هدايته تكبرا ، ويكرر التلبية له تكريرا ؟

﴿ الميـت بمزدلفة وقصر الصلـة وجـمعا ﴾

الامام بمزدلفة ليلة النحر وذكر الله عند المشعر الحرام (أي فيها) واجب وجمله بعض علماء الاثر ركنا ، وقد ثبت في السنة التمجيل بالصفعة كالسواء والصبيان بالافاضة من مزدلفة الى منى بعد غياب القمر . وأدنى الواجب الوقوف فيه ليلا لذكر الله تعالى وأما الميت الى الصباح فهو سنة كما بينا في المناسك نزلت مع السيد الزواوي بقاء مسجد المزدلفة فصلت هناك المغرب والعشاء قصرا وجما . والسيد لا يقصر في عرفة ومزدلفة ولا يجمع لانه منكي شافعي ، والشافعية لا يميزون القصر والجمع الا في السفر الطويل ، والخنفية يوجبون الجمع في المزدلفة لاجل النكس ، والتحقيق عند أهل الحديث ان القصر عزيمة والجمع رخصة في كل سفر طويل أو قصير ، وان الجمع في المشاعر أفضل للتابع ، وناهيك باتباعه صلى الله عليه وآله وسلم في أعمال حجة الوداع ، التي علم فيها الالوف المناسك وغير المناسك ، وأمر أن يبلغ الشاهد منهم القائب .

قال الحافظ ابن المنذر : أجمع أهل العلم على ان الامام يجمع بين الظهر والعصر بعرفة وكذلك من صلى مع الامام ، وذكر أصحاب الشافعي انه لا يجوز الجمع الا لمن بينه وبين وطنه ستة عشر فرسخا إباحة له بالقصر (قل) وليس بصحيح فان النبي (ص) جمع فجمع معه من حضره من المكين وغيرهم ، ولم يأمرهم بترك الجمع

كما أمرهم بترك القصر فقال « أموا فانا سفر » ^(١) ولو حرم الجمع لينة لم اذلا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة . قال ولم يئلفنا عن أحد من المتقدمين خلاف في الجمع بعرفة والمزدلفة بل وافق عليه من لا يرى الجمع في غيره اهـ

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في مناسك الحج بعد ان ذكر صلاة النبي (ص) الظهر والمصر جمع تقديم يعطى عرفة في حدود عرفة وخطبته هناك مانعه : ويصلي بعرفة والمزدلفة ومنى قصرا ، ويقصر أهل مكة وغير أهل مكة وكذلك بمجموع الصلاة بعرفة ومزدلفة ومنى كما كان أهل مكة يفعلون خلف النبي (ص) وأبي بكر وعمر (رض) ولم يأمر النبي (ص) ولا خلفاؤه أحدا من أهل مكة أن يتبوا الصلاة ولا قالوا لهم بعرفة ومزدلفة ومنى « أموا صلاتكم فانا قوم سفر » ومن حكى ذلك عنهم فقد أخطأ . ولكن القول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك في غزوة الفتح لما صلى بهم بمكة . وأما في حجه فانه لم ينزل بمكة ولكن كان نازلا خارج مكة وهناك كان يصلي بأصحابه ، ثم لما خرج الى منى وعرفة خرج معه أهل مكة وغيرهم ، ولما رجع من عرفة رجعوا معه ، ولما صلى بمنى أيام منى صلوا معه ولم يقل لهم أموا صلاتكم فانا قوم سفر ^(١) ولم يحد النبي صلى الله عليه وسلم السفر لاجتماع ولا بزمان ، ولم يكن بمنى أحدا سكا في زمنه ولهذا قال « منى مناخ من سبق » ولكن قيل انها سكنت في خلافة عثمان وانه بسبب ذلك أتم عثمان الصلاة لانه كان يرى ان المسافر من يحمل الزاد والزاد اهـ

وذكر المحقق ابن القيم في الهدى النبي مثل ما تقدم عن المناسك مختصرا وزاد انه ليس على المسافر جمعة لان النبي (ص) لم يصلها يوم عرفة ولا في سفر آخر . وأقول ان عدم أمر النبي (ص) لاهل مكة بالانكسار في منى وما بعدها ينطبق على حديث أنس « كان رسول الله (ص) اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين » رواه أحمد ومسلم وأبو داود وصرحوا ان الشاك في الاميال والفراسخ شعبة لأنس .

وقال المحافظ في الفتح ان هذا أصح حديث وأصرحه في المسألة مكث السيد الزواوي معي قليلا في المزدلفة ثم ذهب الى منى وأوصى الخادم

بأحضر دابتي في الصباح فتمت ساعات واستيقظت في وقت السحر. وقد سخر الله تعالى لي زفقا من خير الناس بتجوارهم وقد عرف الزواوي منهم رجلا مكيًا اسمه الشيخ علي مؤمنة، فلما استيقظت وجدتهم أبقاظا فطلبت منهم ماء فتوضأت وصليت الوتر إحدى عشرة ركعة فلما أتممت صلاتي وجدتهم قد أحضروا الشاي وخصني كبيرهم بإبريق نظيف من نوع جيد منه وقدم لي معه حنظل فيه لوز مقشور وحنافيه هشة من الككالك المعروف بالقرقيش فأصبت من ذلك كله شاكرًا لهم. وطفق كبيرهم يسألني أسئلة في السنة والاتباع والابتداع واختلاف العلماء والبصوفية ويتلقى أجوبتي عنها بالقبول مسرورًا بما جليتها به من الشرح والتفصيل. وهذا الرجل بخاري الأصل يعرف العربية وكنت توهمت أنه داغستاني وقد ساح في كثير من البلاد، وقد فهمت أنه جاور في مكة المكرمة وأنه يخرج كل سنة منها إلى عرفة يعض أصحابه في الموسم مشاة ويعودون مشاة. وقد اختلف العلماء في أي الأمرين أفضل في المتأسك المشي أم الركوب قبل المشي لأنه أقرب إلى التواضع وأعون على الدعاء، وقيل بل الركوب تأسيا بالنبي (ص) فإنه لم يفعل إلا الأفضل والاكمل، ويمكن أن يقال إن الأفضل لاهل الآفاق وللضعفاء من أهل مكة الركوب وأن الأقوياء من المقيمين بمكة قد يكون المشي أفضل لهم من عدة وجوه منها مشاركة أهل الآفاق ببعض مشقة السفر وإن ذلك لا يتنافى مع الاتباع.

وقد سألت السيد الزواوي عن هذا الشيخ وعن رفيقه الخاص الشيخ علي مؤمنة وكلفته بعد عودتي أن يسأل عنها فكتب إلي إن الثاني نشأ من صغره حبا للمزلة والبعد عن كبراء الدنيا وهو على الدوام يخدم العلماء وأهل الطريق من الغرباء ومنهم الشيخ حسام الدين البخاري صاحبكم في المزدلفة: ويقول تلميذه الشيخ علي مؤمنة أنه أقام في مصر مدة طويلة وخرج منها في العام الماضي مأمورا عليه (كذا) بالوصول إلى مكة والاقامة بها هذا العام وهو الآن موجود في أحد أربطة البخارية بمحارة جياد لا يتحاط أحدًا، لا يعرف ولا يعرف، مواظبا على الجمعة والجماعة كتلميذه الشيخ علي ولما طلع الفجر صليتنا مع الجماعة ثم ذهبنا حول المسجد نجتمع الحصا لرمي الجبار فلما جهناها ركبت دابتي وسرت وسار أصحابي مشاة قاصدين مني

﴿ الأفاضة الى منى ورمي جرة العقبة ﴾

أفضنا من مزدلفة ملينين مكبرين قبل طلوع الشمس عملا بالسنة، ومخالفة لما كان عليه عمل الجاهلية من تأخير الأفاضة منها الى طلوعها . ومن السنة المبينة على سبب تاريخي هنالك الاسراع المتدل في السبر في بطن محسر لا فرق في ذلك من المشي والراكب . وتقدم ان بطن محسر بشديد الباء المكسورة هو الوادي الفاصل بين منى ومزدلفة . قال بعض العلماء ان حكمة الايضاع فيه ان أهل الجاهلية كانوا يقفون فيه ويذكرون مفاخر آبائهم ، ففي الاسراع فيه إظهار البراءة من ذلك . وقال بعضهم ان هذا المكان هو الذي أهلك الله تعالى فيه أصحاب النيل الذين جاؤا من طريق اليمن لهمد يته المحرم فاستحب الاسراع في الخروج منه لانه كان موضع سخط الله تعالى وهذا به لاولئك الظالمين المعتدين ، ويحب مثل ذلك في كل مكان مثله كديار نمود

ولما وصلنا الى منى قصدنا الجمرة الكبرى جرة العقبة وكانت الشمس قد ارتفعت فرميناها بسبع حصيات نكبر مع كل حصاة . وفي مثل هذا الوقت رماها النبي صلى الله عليه وآله وسلم راجبا ، وقد صح انه (ص) جل البيت من بينه ومنى عن يمينه ورمى . وانه كان يكبر مع كل حصاة ، وانه قل : « اللهم اجعله حجا مبرورا وذبا مغفورا » وبعد الرمي جئت الدار للمعدة لتزولنا فيها فاذا هي من أعظم دور منى حسنا وسعة وهي لصديقنا الشيخ محمد نصيف ، فرأيت السيدتين في قسم النساء منها ، والرفيقين في قسم الرجال ، والجميع كما أحب ، وأعطيت لوكيل الخروج دراهم ووكلته بشراء النسك والذبح هني . وقد قصصت قليلا من شعر رأسي يدي ، ولم ينسبر لي الاتيان بحلاق الى الدار لاني أريد الأفاضة الى مكة لاجل طواف الركن . وفي حديث أنس عند مسلم انه (ص) أتى منى فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بنى ونحرم قل للحلاق « خذ » وأشار الى جانبه اليمين ثم اليسار ثم جعل يعطيه الناس ومنى شرع الحاج في رمي جرة العقبة مكبرا تقطع التلبية التي هي شعار الحج . ويستبدل بها التكبير الذي هو ذكر الله في العيد ، ومنى رماها وحلق شعر رأسه أو قصره حل له كل ما كان محرما في النسك الا ملامسة النساء فلها لا تحمل الا بالتحلل الاخير بطواف الأفاضة .

الحرب والصلح

عقدت الهدنة بين الروس وأعدائهم وألف الفريقان لجنة من مندوبي كل دولة منها للبحث في شروط عقد الصلح، وفي عدد جريدة «الاهرام» الذي صدر في ١١ ربيع الأول أن وزير خارجية الألمان الذي رأس الجلسة الأولى جعل الفرض من الاجتماع إعادة الصلات الاقتصادية والادبية الى ما كانت عليه قبل الحرب . وأن الوزير الروسي (كامنف) تلا برنامج حكومة الروس المعروف الذي تقترح جعله أساسا للصلح العام : وخلاصته أن يكون الصلح بلا ضم ولا غرامة . وأن يعطى كل شعب تحكمه أمة أخرى الحرية والاستقلال اما بالاعتماد على رأيه بعد سحب القوة الغاصبة من بلاده . واما بالاعتماد على الرأي الذي أظهرته صحافته ذلك الشعب وجمعياته . وتعد حكومة روسية واصله القتال لتقسم الشعوب الغنية لشعوب الصغيرة الفقيرة جريمة لا تغفر . ثم قالت الاهرام : « وقد جاءنا اليوم بيان أتى عن مطالب الروس (١) المدلول عن كل ضم وفتح بالقوة (٢) إعادة استقلال البلاد التي اجتمعت (٣) منح كل نصر الحق بأن يختار الحكم الذي يريده (٤) تنفادي عن ضرب الغرامة الحرية وتقرير التعويض على الافراد (٥) انشاء صندوق دولي من أموال الجميع لدفع التعويضات »

ثم ذكرت أمرا ثالثا أعلن في الجلسة وهو « رغبة الألمان بأن يشترك جميع المتحاربين بمفاوضات الصلح حتى تقرر دعوة مندوبي فرنسا وإنكلترا وإيطاليا والولايات المتحدة الى المفاوضات »

ومن الناس من يرتاب في اخلاص الدولة الألمانية في اظهار ارتياحها الى دخول جميع الحلفاء في مؤتمر الصلح ولا يرتابون في اخلاص لنمة ، ويرى هؤلاء ان ابعاد الأولى الى حكومة [البولشفيك] الروسية التي لم يعترف بها الحلفاء بأن تدعوم الى الاشتراك معها في مفاوضات هذا الصلح في بلادها يراد به اضطراب الحلفاء الى الإرباء والرفض ويؤيد ذلك ما قاله السنيور [أورلندو] رئيس وزارة ايطالية في خطابه بمجلس الشيوخ وهو : « انه قد حان الوقت لكشف الغطاء عن الأعيب دولي الوسط الذين تبدلان كل وسيلة اشد عزائم شعوبها ولتسويد صفحة خصومها

بإدعائهما أنها تريد أن الصالح وأن الحلفاء يرفضونه . فالحلفاء هم الذين يريدون الصلح وهم وحدهم يريدونه ولكنهم يريدونه على شكله الممكن أن يجعله صلحا عادلا شريفا دائما باتفاقات جلية صادقة . أما امبرطوريتنا الوسط فأنهما تبعا خطة غريبة تطلبان بها من الحلفاء أن يعودوا إلى مواصلتهما على يد حكومة لم يعترف بها الحلفاء لأنها حكومة وقتية إلى أن تبتسم الجمعية الدستورية . ولأن شطرا كبيرا من روسيا لم يعترف بها .

« هذا من حيث الشكل وأما من وجهة الجوهر في مقترح الصلح فإن مندوب البولشفيك يظن أن باستطاعته أن يقول أن الشرطين الأولين من مقترحات الصلح مقبولان وهما أولا - إعادة الممالك التي فقدت استقلالها من جراء الحرب وثانيا - الجلاء عن الأراضي التي احتلت مع المدول عن الضم وانكم تكفون أن في هذا القول ضلالا في الحقيقة أن الشرط الثالث المتعلق بالشعوب الخاضعة لأمم ليست منها لم يقبله الألمان والنسويون . (وضرب لذلك مثل أمانيهم القومية والازداس والوردين)

« ثم يغيب الخطيب في بيان ضرر العودة إلى الحالة القديمة لأنه إفس في هذا القول ضمانا إذا ما قبل الشرطان الذين قال بهما البولشفيك أولا لأن امبرطوريتنا الوسط أعلنت أنها لا تنوي أن نزلة الاستقلال السياسي من البلاد التي تحتلها فلفظة « الاستقلال السياسي » لا تنفي الاعتداء على الاستقلال الآخر كاستقلال الاقتصاد مثلا . ولأنها لا تتضمن أيضا عودة المملكة المستقلة إلى جميع أراضيها كاملة . أضف إلى ما تقدم أن لفظة « استقلال الشعوب » هي لفظة مبهم لا تنزيل الشكوك وما تضمنه دولتنا الوسط من المطامير فأنهما تقولان أنها لا تريد أن ضما بإتية ومعنى ذلك أنها تنوي أن ضما بغير القوة . فتنى أن يمكن أن يوصف الضم بالقوة ؟

فالجواب على ذلك أن الأمر معلق على وجود القوة وعلى شكل الخيار الذي يعرض على الشعوب الموجودة تحت نير الفارزي أضف إلى هذا هل يعتبر الضم ضما عند مالا يمكن ذكر الضم بالقوة في الماهدات الدولية . فإليسة التي تعرضها دولتنا الوسط صيغة مبهم لا تحمل الريب والككوك وتدلنا على أننا لا نزال ببيدين جدا عن المبدأ الأول الذي نذكره « ضم » أه المراد منه قلا عن عدد ؟ ينابر من الأهرام وقد

وبرقيات المشورة بهذا التبرج ان مقاضات الصلح أوقفت لان

ألمانية تزعم أن شعوب الولايات أو الممالك الأربع التي انتزعتها من الروسية - وهي البولندية والكورلندية والتوانية والاستونية - قد جهرت برغبتها في الانضمام إلى ألمانيا فيجب أن تكون ألمانيا ، وإن الروس ينكرون عليها ذلك وإن وزير خارجيتهم تروتسكي خطب في الجمعية المركزية لحزب العمال والمحدثين فأنكر ذلك أشد الانكار لأن ظهور الشعب الرعية في مسألة الحكم لا يكون صحيحاً مع وجود الاحتلال الاجنبي والقوة العسكرية . وفي برقية لرونر من لندن وردت في ٢ يناير أن اللجنة أقرت الوزير الخطيب على خطابه ووضعت قراراً بمحواه قالت في آخره

« فنحن ندافع عما لبولندا ولتوانيا وكورلندا من الحق في بت مصبرها والحكم في مستقبلها بنام الحرية ونقول لشعوب النمسا والمانيا وبلغاريا وتركيا اذكروا ان التعميل في عقد صلح ديمقراطي يتوقف عليكم قد سالت دماؤكم وأصابكم الإعياء والجهد في حرب عديمة المثل فلا تسمحوا لدعة السلطة والفتح من النموسويين والامان أن يماروا روسية الثورية لإخضاع بولندا ولتوانيا وكورلندا وأرمينية »

(الناشر) قد سبق فنيا في الجزء الاول من هذا المجلد مثل ماقرره الروسية ورئيس الوزارة الايطالية اليم في مسألة حرية الشعوب واختيارها ل شكل الحكومة الذي ترضاه نفسها . وبيننا في الجزء الرابع - الذي قبل هذا - أهم ما يشرط الحلفاء للصالح . وبعد كتابة ما تقدم واعداده لاطبع جاءنا بالبرق بخطبة رئيس الوزراء البريطاني ثم بخطبة رئيس الولايات المتحدة وهما أصرحا ما قلناه الحلفاء في أسباب الحرب وشروط الصالح وبعد ناصحا لكل ما يخالفه سيد القول ما يقول الرئيس « وسيعلم منها حقيقة فرض الحكومة للألمانية وهل هي تريد الصالح حقيقة بما تتخذ من الوسائل الصورية له كما قلناه أم تريد به إيقاع الشقاق بين أعدائها كما قل رئيس الحكومة الإيطالية ، أو إقامة لحجة عليهم بأنهم هم طلاب الحرب والفتح كما يظن كثير من الناس . ولعل هذه المصراحة من الحلفاء تضطرها إلى التصريح بشروط الصالح التي ترضاهم فلما لم تصرح بشيء لا لطلب حرية البحار . ونسأل الله تعالى أن ينصر الحق والعدل وحرية الشعوب المستضعفة على الباطل والظلم قوة الاستبداد والاستبداد يكشف عنها حجب الخداع والرياء . إن ربي سميع الدعاء .

(تنبيه) اضطررنا إلى تأخير تمة ترجمة الشيخ سام البشري

أولئك الذين هداهم الله أولئك هم أولو الألباب
لنشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبينون حقيقته

المعراج
١٣١٥

وفيها الحكمة من إنشاء ومن يأن الحكمة قد
خير أكثرا وما يذكر إلا أولو الألباب

— قل عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوبي و «منارا» كثر الطريق —

٢٩ ربيع الآخر ١٣٣٦ — ٢٢ الدلو (ش ٢) ١٢٩٦ هـ ١١ فبراير ١٩١٨

فَتَسَائِلُ الْمَسَائِلِ

فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة؛ اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بانشاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه . وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولبن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكره مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ حكم التصوير وصنع الصور والتماثيل واتخاذها ﴾

تاج لما في الجزء الخامس

﴿ ملخص ما تقدم من الاحاديث والآثار وأقوال العلماء في شرحها وفقها ﴾

أما الاحاديث فتلخص في سبع مسائل

- (١) ان المصورين يمدون يوم القيامة ويكلفون إحياء ما صنعوا تمجيزا ووصفهم بالظلم الشديد لتقدم مضاهة خلق الله
- (٢) لمن المصور كما لمن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال فيهم انهم كانوا بصوريون الصالحين منهم وبصعومنها في معادهم ووصفهم بأنهم شر الخلق
- (٣) انكار نصب الستور التي فيه الصور والتماثيل وحثها على ازالته
- (٤) تعليل الانكار تارة بأننا لم نؤمر بكسوة الحجر والطين وتارة بكونها في المصلى تعرض للمصلي في صلاته وتارة بعدم دخول الملائكة بيتا فيه صورة أو كلب
- (٥) اتخاذ الثياب التي فيها الصور وسائد وفاق واستعمال البي (ص) له مع بقاء الصورة فيها كما صرح به في رواية لامة أحمد
- (٦) ان تغيير الصورة الحيوانية عما تصور به أشبه بالتمجيد كقطع رأسها يبيح التحضر . وفي معناه فتوى ابن عباس للمصور العربي
- (٧) نقض اتصاليات وإزالتها

وأما الآثار عن الصحابة والتابعين في المسألة (فنها) استعمال زيد بن خالد الصماني للسفر الذي فيه الصور وهو أحد رواة حديث «ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة الا رقيا في ثوب» فهو لم يشترط ان يكون الثوب الذي فيه الصورة مهانا (ومنها) اتخاذ أحد أعظم أئمة التابعين القاسم بن محمد بن أبي بكر (رض) المجلة التي فيها تصاوير القديس والمنقأ، وهو ربيب عمته عائشة الصديقة واعلم الناس بمحدثها وقهها وقد روى عنها حديث التفرقة

(ومنها) استعمال يسار بن عمار مولى عمر بن الخطاب (رض) وخازنه الصور في داره. وقد روى عن عمر وغيره وهو من الثقات كما قال ابن سعد وابن جبان (ومنها) صنع الصور في دار مروان بن الحكم أو سعيد ابن العاص وكل منهما ولي إمارة المدينة وكانا من التابعين روى الشيخان عن الأول وسلم عن الثاني وهو خير من الأول. وقد اتفق على البخاري روايته عن مروان وأجابوا عنه بأنه ثقة في الحديث وإنما ذنوبه عليه سببها السياسة أعاذنا الله من شرها وشر أهلها. وعمل مروان لا قيمة له في الاحتجاج الا أنه يدل على أن التصوير كان مستعملا في عصر الصحابة ولكن أبا هريرة أنكز ما رآه في داره وكان من أعلم الصحابة بأحداث بني أمية وأخبر بمضها قبل وقوعها. وكذلك أنكز ابن عباس على المصور العراقي تصويره للحيوان وأفتاه بتصوير النبات

وأما أقوال العلماء في شرحها وقهها فمنهم من شدد فيه ومن خفف، وأشهر المشددين من محققى المقها في القرون الوسطى أبو بكر ابن العربي والنووي فقد جزما بتحريم التصوير مطلقا وأن كان الاصل ان ماحل اتخاذ واستعماله حل صنعه وقال الأول: انما له ظل كالتماثيل ذات الاجسام يحرم اتخاذها بالاجماع، وبين الحافظ ابن حجر ان حكاية الاجماع غير صحيحة لتصريح الجمهور بحل لعب النبات لصحة الحديث بذلك، ونقل عن القرطبي حكاية قولين فيها لا يتخذ للأبقاء كتماثيل الفخار وجمل إلحاق ما يصنع من الخولى بالفخار وبلعب النبات محل تأمل. وأقول ان تماثيل الخولى التي تصنع بمصر في أيام الموالد أقل بة مما يصنع من الفخار لانها لا تلبث أن تؤكل وهي تؤخذ للاطفال كلعب النبات فالقول بحلها أظهر من

القول بجل ما يتخذ من الفخار ، وأما ما لا ظل له من الصور فحكيا في اتخاذ أربعة أقوال : ١ الجواز مطلقا ٢ المنع مطلقا ٣ تحريم ما كانت الصورة فيه تامة وجواز ما قطع رأسها أو فرقت أجزاؤها ٤ جواز ما يمتحن دون كان معظما كالملق . وقد رجحا الثالث ورجح الحافظ ابن حجر الرابع .

وقد علم من هذا التفصيل كلام المحققين بالاجمال . ومن التفصيل فيه قول الحافظ : مذهب الحنابلة جواز الصورة في الثوب ولو كان مطلقا الا ان يكون على جداره ومذهب القاسم بن محمد بن أبي بكر (رض) ان ما لا ظل له لا بأس باتخاذ مطلقا قد صح انه كان في يته بمكة حجلة فيها تصاوير كما تقدم ، ومنه حمل أبي علي الفارسي الوعيد بذهب المصورين على المشبهة الذين يعتقدون ان الله تعالى صوره كصور خلقه تعالى عن ذلك ، وجعل الحافظ ابن حبان حديث امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة خاصا بالنبي (ص) وجعل بعضهم إياه خاصا بملائكة الوحي ومقتضاها انه انقطع ، وجعله الكثيرون خاصا بملائكة الرحمة ، وخصه بعضهم بالصفة كما تقدم في ص ٢٢٩ ومتى التخييف قول بعضهم ان الوعيد على تحريم التصوير خاص بمن كان في ذلك الزمان لقرب العهد بعبادة الاثان وأما الآن فلا . ورده ابن دقيق العيد كما قال الحافظ في الفتح

والتحقيق ان الاصل في الوعيد على التصوير قسمان أحدهما لا يتحقق الا بالقصد وهو مضاهاة خلق الله كما تقدم في الكلام على الحديث . وثانيهما لا يشترط فيه قصد علة الحضر وهو كما يؤخذ من حديث كنيسة الحبشة وما صرح به المحققون من المتقدمين والمتأخرين في شرحه وشرح غيره هوسد ذريعة عبادة صور الانبياء والصالحين وغيرهم ومثله الوعيد على بناء المساجد على القبور لافرق بينهما البتة . يأتي في ماقاله الحافظ في شرح الحديث من (باب بناء المسجد على القبر) من صحيح البخاري وهو كما في آخر ص ٢٣٥ من حزم النار لماضي : وقد تقدم ان المنع من ذلك إنما هو في حال خشية أن يضم بالقبر أصنع أو تلك الذين لعنوا . وأما إذا آمن ذلك فلا امتناع . وقد يقول المنع مطلقا من يرى سد الذريعة وهو هنا متجه قوي اه

ويمكن أن يقال ان سد الذرائع يختلف باختلاف الأزمنة وباختلاف أنواع الصور

ولما كانت القمائل والصور المغطاة في الجاهلية تعظيم العبادة هي صور ذات الانفس اذن ابن عباس (رض) للمصور الذي استغناه بتصوير الشجر وما لانفس له . ولما صارت صور ذات الانفس لمجرد الزينة وزالت مظنة العبادة اتخذ بعض أئمة السلف بعض الصور في بيوتهم كترك الصحابة الصور في ابواب كسرى . ولا قول ان ذريعة تعظيم الصور تعظيم ديانة وعبادة قد زال في هذا الزمن وان علق التحريم انتفت كما قال من جعل التحريم كالفسوخ لجله خاصا بالعصر الاول ، اذ لا شك في أن تصوير الانبياء والاولياء وكل من يغلو في تعظيمه العوام أو اتخاذ قمائل لهم قد يفضي الى العبادة . كما رأينا نظير ذلك في تعظيم قبور الصالحين 'الذي جاء' مصداق الحديث الصحيحين «لتبني سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع» الخ ولكن الناس شددوا في سد ذريعة عبادة الصالحين بتعظيم صورهم وتساهلوا في سد ذريعة عبادتهم بتعظيم قبورهم ببناء المساجد عليها والطواف بها والتماس جلب النفع ودفع الضرر بالتمسح بها ودعاء من دفن فيها . ومن تأمل الاحاديث وآثار السلف في مسألة تشييد القبور وتجبسها وحظر اتخاذها مساجد ووضع السرج والستور عليها ، ومسألة التصوير واتخاذ الصور بمجملها في البيوت والستور ونحوها - يتجلى له 'ن علة النهي عن الامرين واحدة ، ألا انها في القبور أشد وأهم ؛ وقد جمع الامر بإزالتها في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وأبو داود والترمذي والفتاني عن أبي الهياج الاسدي قل قل لي علي : ألا أبشرك ما يبشني عليه رسول الله (ص) « أن لاتدع تمثالا الاطست ولا قبرا مشقا الا سويته » وفي رواية : أن لا أدع قبرا مشرقا الا سويته ولا تمثالا الا طست » باسناد الاضال الى ضمير المتكلم أي يبشني على أن لا أدع الخ . وطس التمثال نحو صورته التي يشبه بها الحي ، ويحصل بتشويهه أو قطع رأسه دون ازالة عينه لان ذلك كاف في اخراجه من صفة المعظم عبادة . وأما نسوية القبر فزالة لبعثه لان المراد بها تسويته بالارض أي جعله مساويا لها . ولكن أنجز الفتاوى رفع القبور قدر شبر كما رفع الصحابة قبر النبي (ص) وصاحبيه (رض) . وقد رفع بعض من رأى القبر الشريف من السلف ارتفاعه بأربعة أصابع ، قلله الحافظ في التتبع والظاهر انه اعتمد - وقال الشافعي في الام : بدأت الامم بمحبة يأمرون بهدم ما يبني . قل النووي عند قوله في شرح مسلم ويؤيد (المنار: ج ٦) (٣٥) (المجلد العشرين)

المسلم قوله « ولا قبراً مشرقاً ولا سويته » اهـ .

وأما الخلف من العوام والحكام لخالفوا جميع الاحادith والآثار في المسألة الاولى واكتنهم ظلالاً يشددون المسألة الثانية الى أن عمت البلوى بها في هذا العصر فصاروا يشاهلون في أمر اتخاذ التصاوير لازينة وللانس بصور الاقربين والمحبين وصار العلماء يسمعون للمصورين بتصويرهم حتى أكار شيوخ الأزهر وقضاة الشرع والمفتين، ولكنهم لا يزالون يشددون في صناعة التصوير نفسها على كثرة منافعها وشدة الحاجة اليها في غير ما تساهل الجمهور في اتخاذها من أعمالها

سألني بعض العلماء البصرياء في طرابلس الشام مرة عن التصوير اذ قالت انه بعد الآن من أركان العمران والحضارة هل له فائدة يعتد بها شرعاً فان ما نحن به الناس من زينة التصاوير ليس بالامر الافع الذي رخص في هذه الصناعة لاجله ولو في غير ما نحشى عبادته أو تعظيمه تعظيماً دينياً ؟ فقلت له : على البداهة ولم يكن قد سبق لي تفكر في حصر فوائد التصوير : إن له أنواعاً من الفوائد في حفظ اللغة وإيضاح كثير من العلوم والفنون وفي الاعمال العسكرية والادارية والسياسية وذكرته لمن الامثلة على ذلك ما أتني (١) اننا نرى في كتب لغة أسماء كثير من الاشياء كالنبات والحيوان وغيرها

غير مفسرة بما يعرف به المسمى من لم يكن يعرفه باسمه ذلك بل يقولون حيوان معروف أو طائر معروف وصاحب القاموس المحيط يكتبني بحرف م الخوّل من كلمة معروف وهذا تقصير كبير في حفظ اللغة، ولو وضعت صورة الشيء عند اسمه كما كان يفعل قدماء المصريين وكما تفعل ثم الحضارة الآن لكان ذلك أحسن حفظ للغة ولا يعني منه الوصف بالكلام لان بعض الاجناس تشابه فلا يسهل التمييز بينها بقول بل يتعسر أو يتعذر وصف أي جنس من اجناس الخواص وصفاً يمكن أن يعرفه به كل من سمعه (٢)

(٣) يترتب على الجهل بالاجناس بعض الحيوان جهل ما يتعلق بها من الاحكام الشرعية كاحكام ما يجل أكله منها وما لا يجل وأحكام جزاء ان تصد على المحرم وغير ذلك

(٤) ان للتصوير فوائد عظيمة في علوم التاريخ الطبيعى والطب والتشريح الانسانى والحيوانى ففروع هذه العلوم قد مررت بكثرة في هذا العصر، ويتوقف نجاح الحقائق فيها تأليفاً وتعليقاً على الصور التي تظهر بها جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة

صحيحة ومربضة فائقان هذه العلوم يتوقف عليها

(٤) لتصوير فوائد عظيمة في الاعمال الحربية، فلا يمكن لمن يتركه أو يصر فيه أن يقاتل أعداءه بمثل ما يقاتلونه به ولا أن يد لهم ما استلزم من قوة — فنها تصوير المواقع والطرق والبلاد والجيوش وما ليسها من السلاح والخبرة، ومنها تصوير من يشبه في أمرهم أن يكونوا عيوناً وجواسيس وتقتضي الحكمة أن يجعلوا تحت الرقبة. ومنها تصوير من يحتاج إلى تحقيق شخصيتهم لئلا يشبهوا بغيرهم... (٥) لتصوير فوائد عند حكومات هذا العصر في الاعمال السياسية والإدارية كأعمال الجواسيس وحفظ الأمن وقهر ذلك وتفصيل ذلك يطول.

لا يقال أن المسلمين يمكن أن يستفوا من صناعة التصوير في العلم والتأليف والاعمال الحربية وغيرها كما استغنى عنهم فإن هذا بمثابة القول باستغنائهم عن سلاح هذا العصر ومراكبه البحرية والهوئية كما اجتهد عنها سلفهم، وإنما كان يصح هذا التشبيه لو كان ما ذكر من المستحدثات موجوداً في عصر السلف يستعمله خصومهم ولم يتركوه ولا يضرهم تركه. وهذا باطل لا يقول به أحد.

ولا يترتب على نوع ما من أنواع هذه التصاوير تفرع إلى عبادة غير مشروعة ولا إلى تعظيم ديني ولا يقصد بشيء منها مضاهاة خلق الله — فإما أن يؤخذ فيها بقول من يجعل الوعيد على التصوير خاصاً بما ذكر من أول الأمر كتصوير الصالحين ومن يخشى أن يفتن الناس بصورهم وآثارهم وبما يقصد به مضادة أخرى كالتحريض على المعاصي وحثك العورات، وإما أن يخص عمومها بأحكام الضرورة في بعضها وأحكام الحاجة التي تعد من المصلحة الراجحة في بعض آخر، فإن القاعدة في المحرم لذاته أن يباح للضرورة كأكمل الميتة ولحم الخنزير، وفي المحرم لسد القرينة أن يباح للمصلحة الراجحة كروية الطيب للعورات وأبدن النساء الاجنبيات عملاً بقاعدة ارتكاب أخف الضررين.

فمن عرض مسألة التصوير واتخاذ الصور على هذه القواعد الشرعية علم منها أن دين الفطرة، الذي قرن كتابه ووصف بالحكمة، ورفع منه الحرج والمصر عن الأمة، لم يكن يحرم صناعة نافعة في كثير من العلوم والاعمال، وبحاج إليها في حفظ الأمن

وفنون القتال ، وأما يحرم ما فيه مفسدة أو ما كان ذريعة الى مفسدة ، ولا يبعد ان يقال ان أعمال المصورين في هذا المعصرتعريضها الاحكام الخمسة — فاذا سألنا رؤساء الحكام وكبار القواد وأركان الحرب والاطباء وغيرهم من علماء الفنون التي هي من فروض الكفايات عن صناعة التصوير الشمسي واليدوي فقالوا ان منها ما هو ضروري يترتب على تركه ضرر عظيم ، ومنها ما فيه مصلحة راجحة ، ومنفعة مجربة — ففتضى الاصول والقواعد تكون واجبة في بعض تلك الضرورات والمصالح . ومستحبة أو مندوبة فيما دونها من المنافع ومباحة فيما لا ضرر فيه ولا نفع ، ومكروهة فيما كان مظنة الضرر ، وقد يتناقرا فيما تكون فيه محرمة وهو ما حيل عليه النص ، فهذا ما أعلمه وأخبره من نصوص الشرع وقواعده في هذه المسألة وهو يؤيد ما نقلته عن بعض علماء السلف والخلف في التساهل فيها قولوا وعملا ، والله أعلم

رحلة الحجاز

٧

طواف الاقازة

بعد ذلك ركبت دابتي وقصدت مكة المكرمة فطفت طواف الاقازة وهو طواف الركن الذي لا يتم الحج بدونه ، وفي أثناء طوافنا شرع أهل مكة في صلاة العيد ورأيت الامير يصلي معهم مأموما . وكان الرجال يصلون في الجهة الغربية من الكعبة المعظمة والنساء في الجهة الجنوبية وعن كثبرات جدا ، ثم سعيانا بين الصفا والمروة وهو من أركان الحج وقد سمعت في هذه المرة ماشيا . وقد اختلفت الروايات : هل طاف النبي (ص) وأصحابه بين الصفا والمروة في حجة الوداع مرة أو مرتين ؟ فخي حديث جابر عند مسلم أنهم طافوا بينهما مرة واحدة قبل مرة ، وفي حديث عائشة أنهم طافوا مرتين أي عند القدوم وبعد طواف الاقازة ، ورجح المحققون من علماء الحديث رواية جابر ولو ان ما ذكر في حديث عائشة مدرج من كلام الزهري لا من كلامه فذهب المحدثين ان السعي لا يتكرر ، ويقول كثير من الفقهاء ان لكل نبيك سعيلا يسقطه السعي بعد طواف القدوم ، وإن السعي العمرة لا ينبغي من

السعي بعد طواف الافاضة للحج. وادى يصل النبي (ص) العيد يوم النحر بمكة ولا يبنى كما انه لم يصل الجمعة برفة لانه مسافر ولم يكن يصليهما في السفر، وقال بعض العلماء ان رمي جرة العقبة حاج "صلاة العيد لغيره فصلا لعيد لا يطلب منه وان كان مكيا . ونسأل الله تعالى ان يوفقنا لإقامة السنة على الوجه الاكمل في حجة أخرى أو جمعيات كثيرة هذا وانني بعد الطواف والسعي جئت منزلا بمكة واستحضرت حلقا فأخيد شعر رأسي كله بالآلة المروقة بالمكة أخذنا أقرب الى الحلق منه الى التقصير ثم عدت الى منى وقد نحات من الحج تحلا كاملا؛ والله الحمد أولا وآخرا، وإياه نسأل أن يجعله حجاج مقبولا وسعيا مشكورا . وقد بقي من أعمال الحج التي لا يشترط فيها الاجرام - رمي بقية الجمار وذباح النسك

الجمار بالكسر والجرات بالتحريك جمع جرة وهي في أصل الفتحة واحدة الجر من النار، والحصاة، والقبيلة التي تصير قراع القبائل، وكل قوم يصرون قتال من قاتلهم. لا يحلفون أحدا ولا ينضمون الى أحد. قيل سميت جرات الناسك ببنى هذا الاسم لانها ترمى بالجمار أي الحصى وقيل لانها تجمع الحصى التي ترمى شبهت بالجماع القليلة على من ناوأها. وقال أبو العباس أصلها من جرة ودرته اذا محت، والتجبر رمي الجار والجمر (كلعظم) موضع رمي الجمار. فلما جرة العقبة فهي في عقبة بنى التي ينحدر منها السائر الى مكة على جانب الطريق، وأما الجرة الوسطى والصغرى فهما في وسط الطريق الذي يشق منى نصفين وتعرف مواضعهما من صورة منى (خرائطها) وفي موضع قل من الوسطى والصغرى بناء يقرب من شكل المئذنة أو المسلة قليل الارتفاع حوله حاضرة مستديرة، وكانت دارا عند الجرة الوسطى من جهة الشمال وهي أفسح دار هناك . وقد بينا كيفية رمي الجمار وحكته في مناسك الحج كما بينا حكمة ذباح النسك . وكنا نذبح كل يوم من أيام منى فأخذ حاجتنا ليومنا وتصفق بالباقي . وقد كانت الذبائح في السنين انطالية تزيد على حاجة أهل البلاد ومن حولهم من الأعراب لكنيتها وأما في هذا العام فهي لاتكاد تكفي قراء الحرم

الحالة السياسية في الحجاز

في أواخر سنة ١٣٣٤

آمننا بفضل الله مناسكتنا ، فنحمد الله تعالى ونسأله ان يقبل منا ، واذا فرغنا من حديث المناسك . فيحسن ان نتم فوائد هذه الرحلة بما يمكن بيانها . لأن من أخبار الحجاز الاجتماعية والسياسية ، التي تمد من أعظم الاحداث التاريخية ، ثم ببعض الطرف الادبية ، من المختارات الشعرية . ونبدأ بذكر انشاء الحكومة الجديدة في مكة المكرمة فنقول : لما شعر بالاستعداد لتأليف هذه الحكومة أصحابنا اللاجئون اليها ، الذين يعدون من أصحاب الشأن أو العمل فيها ، اختلفت آراؤهم فيما ينظرون تكون عليه ، وما ينبغي أن يكون مسلهم في هذه الحال على كل تقدير يتصوره القدر ، وقد استحسنوا ان يجتمعوا ليلا ويكشفوني بأرائهم ويتعرفوا رأبي « والمستشار مؤتمن » ففعلوا . وما بعد من التريب عند كثير من الناس ان ما كان يجوز في أذهان أهل البلاد المختلفة بمكة في هذه المسألة هو عين ما كان يجوز في أذهان أهل مصر من الآراء والظنون . ثم ماذا كان ؟

فلما يوم الخميس سابع ذي الحجة انه قد تألفت فيها حكومة جديدة . على الوجه الذي نشر بعد الحج في العدد السابع عشر من جريدة القبلة بتاريخ ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٤ وهذا نصه :

(الحكومة العربية الجديدة)

« ما أؤفت الساعة السادسة من نهار الخميس الماضي سابع ذي الحجة حتى اكتظت دار الحكومة بأكابر العرب وعليتهم تنظاراً لشريف رجال الحكومة العربية الجديدة ولما كانت الساعة السابعة وصل صاحب السمو الامير عبد الله ومعه سائر الوكلاء فصدحت الموسيقى بالسلام الشريف وأخذت الجنود النظامية المرصومة على جانبي الطريق السلام العسكري . ولما استقر بحضراتهم المكان في ندوة الحكومة قرئ المرسوم الشريف الصادر من جلالة سيدنا الملك العظيم الى حضرة العلامة الفضال الشيخ عبد الله سراج بسميته قاضياً للقضاة ووكيلاً لرئاسة الوكلاء وتعيين زملائه حضرات الوكلاء العظام . وهذه صورة المرسوم الشريف :

﴿ المرسوم الشريف بتأليف هيئة الوكلاء ﴾

حضرة العالم الكامل الشيخ عبد الله سراج

انه لما كانت مصالح لرعايا وانتظام شؤون المجتمع وتوفر أسباب العمران لا بد لها من دواوين يتوزع عليها الخلف في الحكومة وما هو في معنى ذلك من المصالح العامة والخاصة، ويتعين بها أساس الوظائف الذي تبني عليه المسؤولية وتكون حكومة لبلادنا المحروسة . وبالنظر الى ما نحتاجه فيكم من الكفاءة والاستقامة، عزما بعد الاستئمان بالله عز وجل على توجيه منصب قاضي القضاة لهدتكم وتأمينكم وكبلا عن رئيس الوكلاء العظام ، وقد اخترنا لبقية الوكالات حضرات القنات الآتية أسماؤهم، وهم ولدنا عبد الله بن الحسين لوكالة انخارجية ويكون وكبلا عن وكيل الداخلية، وعبد العزيز بن علي رئيس أركان حرب ووكبلا عن وكيل رئاسة الجند مع ترفيع درجته عن رتبته الخاضعة، والشيخ علي المالكي وكبلا للمعارف والشيخ يوسف ابن سالم رئيس البلدية سابقاً ووكبلا للمنافع العمومية، والشيخ محمد أمين مدير الحرم الشريف سابقاً ووكبلا للاوقاف مع بقائه في نظارة أمور الحرم وكبلا بوظيفته الشريفة، والشيخ أحمد بن عبد الرحمن باناجه وكبلا للمالية . وذلك لما توسعنا من درايتهم واستعدادهم لسهل على مصالح بلاد وأهلها على ما يرضي الله، وانا ننتظر منكم المبادرة الى تأسيس الدوائر والدواوين الرسمية وتعيين العمال والموظفين لها وأرجو الله سبحانه أن يجمعنا بظهر توفيقه وهدايه، في كل ما يحبه برضاه

في ٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٤ هـ شريف مكة وأمرها

حسين

ثم تلي مرسوم شريف آخر بتأليف مجلس الشيوخ الاعلى وهذا نصه :

﴿ المرسوم الشريف بتأسيس مجلس الشيوخ الأعلى ﴾

وكيل رئيس الوكلاء وقاضي القضاة مولانا وقته الله

بما أننا قد استنسبنا تعيين هيئة أطلقنا عليها اسم (مجلس الشيوخ) وجماعنا وظيفة هذا المجلس النظر في كل ما يتعلق بمنافع البلاد والرقبة على أعمال الدواوين

والسوار الرسمية وإيداء رأي فيما تعرضه السوار على مقام وكيل رئيس الوكلاء وميتروفيما بعد صلاحية هذا المجلس العالي ، قد جعلنا رئيساً له جناب القاضي الاجل قاضي بيت الله الحرام الشيخ محمد صالح الشبي . وأعضاءه حضرات الاجل الاجلاء مفتي الشافعية السيد عبد الله بن محمد صالح لزراوي ومفتي المالكية الشيخ هادي بن حسين والشيخ عبد القادر بن علي الشبي ونائب الحرم السيد ابراهيم بن علي ووكيل شيخ السادة السيد محمد بن علوي السقاف والشيخ عبد الله علي رضا والشيخ علي بن عبد الله الشربامي والشيخ أبو بكر بن محمد خورقير وذوي السيادة والشرف حمزة بن عبد الله الفهر وقتن بن محسن وسليمان بن أحمد بن سعيد وناصر ابن شكر وليلينهم ما ذكر اقتضى تحريره في ٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٤ هـ ماقل من جريدة القبلة شريف مكة وأميرها

حسين

ولما علم الناس بتأليف الحكومة الجديدة كان حديثها شغلهم الشاغل وكانوا ينتظرون أن يسموا يوم الجمعة ثامن الشهر شيثا جديدا في تعيين شكلها ، واستحسن بعض الاخوان الذين رأوا ما رأوا من اكرام الامير مشواي أن أطلب التشرف بمقابلة خاصة أتوسل بها الى عرض ما عرفوا ووجدوا من رأيي في شكل هذه الحكومة فتمت ، نلت الخطوة في أول الليل على سطح في أحد جوانب قصر الامارة وتوسلت بذكراتم من تأليف مجلس الوكلاء الى السؤال عن شكل الحكومة كيف يكون ؟ ففضل الامير بتواضعه المهود قائلا : هذا ما نحب ان نأخذ رأيكم فيه . فذكرت رأيي مفصلا فصلا ، ولكنني لم أسمع كلمة ولا رأيت اشارة تدل على استحسان ولا على انكار ، ثم استأذنت وانصرفت . قلت ان جمهور الناس من المكين والمحتاج كانوا ينتظرون أن يسموا يوم الجمعة شيثا جديدا فلم يسموا ، وكان من صلى الجمعة في المسجد الحرام من المصريين على مقربة من المنبر يلقون السمع الى الخطيب عند الدعاء ، فسمعهو بأذانهم يدعوا للسلطان محمد رشاد ، وخرج الناس من المسجد الحرام ، ولم يقع ما كانوا يتوقعون من المباشرة بالخلافة بين الركن والمقام ، فزال بذلك ما زال من الظنون والاهام .

ثم عاد الناس الى الحديث في هذه المسألة في مساء يوم العيد بنحى وأشيع ان

البابية بمحتمل أن تكون ضحوة غدي أثناء الاحتفال المتاد في سرادق الامير، ذلك بأن العادة قد مضت بأن تكون ضحوة اليوم الاول من أيام منى موعد تهته الامير الشريف بالعيد وأعام التناك فكل من يحضر لديه والي الحجاز وقائد الجند فيه وأمير الحج الشامي والمصري وكبار الشرفاء والعلما وكبراء رجال الحكومة ووجهاء مكة المكرمة والحجاج ويتلى فرمان السلطان العتي بعد فيه الى الشريف بالنظر في شؤون إقامة الحج وحفظه في الخجلز... ويطلع الوالي على الامير الحلة السلطانية . ولا أشيع ما أشيع جاني أولئك لاصحاب للالذكرة في الامر وبعد طول القشاور فيه اقترحوا علي أن أذهب الى نعيم الامارة لاكتشاف الحقيقة اذ قيل ان جمهور رجال الحكومة الجديدة وشرقا ومكة ووجهاء ما يرون وجوب البابية بالخلافة وإن سيدنا الامير مخالف لهم في ذلك وبرى ترك ذلك الى جماعة المسلمين في سائر الاقطار، وقد بين هذا المعنى بعد ذلك في بعض المنشورات الهاشمية. ولما كان من ثلثا بيضاء عن نعيم الامارة وكان الاخوان يعلمون ان الامير لا يسهر كثيرا جازني بمجاد كرم فركته وأسرت الى السرادق الخاص قتل لي إن سيدنا قد تلمه وأسالت عن نبه الامير عبدالله قتل انه قد تلم ايضا ضدت أدراسي الى اخواني فأخبرهم بذلك واتصرفنا الى مضاجنا . بت ليلى أفكر في هذه المسألة ولم يبق لي من أعمال التناك ما يشغل قلبي عنها وكان رأيي في مسألة الخلافة هو ما قبل لي في هذه الليلة عن رأي الامير دون من حوله وقد أجرت له ذلك، وكان أعجبتني من منشورية الاولين جل عداوته لفئة الانحاديين المتخلة لا لشعب التركي ولا للدولة العمانية أيضا - وكذلك كانت الثورة في أول عهدنا - وكنت أرى ان مبارزتها للمادة لفئة المتخلة قد يقفبني زعمائها على العرب عند حد ما اجترح جمال باشا من لوقت التي هي شر لدولته وكذا لجمعية لا خير لها كآتهم وإن قم الحركة الحجازية، محصور في هذه الفائدة المرجوة، وفي إغاثة جيران بيت الله من المجاعة والمهلكة الخيفة وفي الاحتياط لا يجب اذا سقطت الدولة وأرى انه يجب السعي لتحقيق ذلك بدون ارتكاب إم يربى شر على خير، وكنت أشرت الى رأيي هذا والى حسن ظني في الامير الشريف في مقال المحاوره الذي نشر في المنار قبل الحج وقبل العزم عليه ذلك ما بت أفكر فيه، ولا أصبحنا أسرح الناس الى مكان الاحتفال مشرقين

وتأخرت الى الضحوة الكبرى فألفت سراقدا الامارة غاصا بالناس وكذا الفجوة التي امامه ولولم يترني بعض من يبرقي هناك لما تيسر لي اخراق ذلك الجلم الكثيف، والتفوذ الى المجلس الهاشمي الشريف ، ولكن رأيت من فرج لي فرجة بين الناس دخلت منها الى أن بلغت الحلقة الكبيرة وجلست على كرسي أخلي لي فيها، وكان الناس من مصرين ومكيين قد شرعوا في إلقاء الخطب والقصاص في التهاوي والادعية، فرأيت أن ألقى خطبة في بيان الحقيقة التي عرقها بالبحث والاختبار، والآراء التي أنتجتها تلك الأفكار، أشير فيها الى آراء الناس من المجازيين والآفقيين وكنت قد بلوت أخبارهم، واكتسبت معرفتهم وانكارهم، وأذكر ما لدي من الرأي في المسألة الحجازية وما يشترط في ذلك بقدر ما يسهل المقام، فلما فرغ من كان يتكلم قبل مجيئي استأذنت فأذن لي فمت وقلت ما ملخصه كما نشر في جريدة القبلة

. وكل ما يوضع فيها بين الالهة هكذا () فهو من قبل جريدة القبلة كما هو ظاهر الا الآيتين الكرمتين : في أولها فها من أصل الخطبة

خطبتنا السياسية في منى

. أيها الملحون الكرام ، من سكان حرم الله وحجاج بيته الحرام ، انكم تعلمون أن الاسلام دين سيادة وسلطة ، وأن شريعته أنزلت ليقم أحكامها أهله ، لقوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) على التأويل المشهور للآية وتعلمون أن الله تعالى قد جعل هذا الدين عريا اذ أنزل القرآن الذي هو أصله وأساسه باللغة العربية على لسان النبي الامي العربي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وقد بين الله تعالى ذلك بقوله (وكذلك أنزلناه حكما عريا) فهذه الآية أخص من الآيات الناطقة بانزال القرآن عريا لانها مصرحة بأن حكم هذا الدين عربي ، مع العلم بأن كتابه المتبد به عربي . وهذه البلاد العربية هي مهد هذا الدين ومبسط وجهه ومشرق نوره . وكان أهلها هم السابقين الى تلقيه والاعتداء به ، ثم تبهم فيه غيرهم من عرب الحجاز فسانر هذه الجزيرة العربية . ثم حمله العرب الى سائر الاقطار ونشروه فيها ، فامتد في الجيمل الاول منهم حتى عم نوره الشرق والغرب ، وأروا

الام بإقامة أحكامه من العدل والرحمة ما لم يعرفوا ولم يسموا له نظيراً كما اعترف بذلك المنصفون من الأفرنج وغيرهم

ثم طرأ الضعف على السلطة الإسلامية بترق الوحدة العربية والكافة لها، وتغلغل الاعاجم في الدول الإسلامية التي تمددت بسبب ضعف سلطة الخلافة. فبعد أن كانت الفتوحات الإسلامية في مد لا جزر منه، صارت دول الطوائف الإسلامية بين مد وجزر، وقوة وضعف، حتى وصلت الدولة العثمانية منها إلى درجة عالية، ومكانة سامية، من القوة الحربية وسعة الفتح والغلب، فسر بها المسلمون ورضي بعض حكامهم المستقلين بسيادتها طوعاً واختياراً، كادخل بعضهم تحتها اضطراراً، وقد كان أمراء مكة العظام أهل بيت سيدنا هذا (وأشار الخطيب إلى جلالة مولانا الأمير) في مقدمة من أيد هذه الدولة واعترفوا بسلطانها وسيادتها، لاجل جمع كلمة المسلمين بها. وإعلاء شأن الشريعة الإسلامية بنفوذها (هنا قال جلالة سيدنا الخطيب صدقت) ثم إن هذه الدولة قد سرى إليها الضعف ودب إليها الوهن من زهاء ثلاثة قرون. واتي أذكر لكم بعض الشواهد على ذلك من تاريخها الرسمي منذ مئة سنة ونصف إن محمد علي باشا الذي كان والياً للدولة على مصر قد زحف على سورية ففتحها، ثم على الأناضول فتوغل فيها، ولولا أن الدولة لا تكفيها كرهته على الرجوع إلى مصر لاستولى على بلاد الدولة كلها. وكان ذلك على عهد السلطان محمود الذي كان يمد مصالحها في الدولة ويجدد لها بقضائه على عسكر الانتكشارية المحتل وادخاله نظام الجندية لا أوروبي في الدولة. تولى السلطان محمود السلطنة في سنة ١٢٢٣ وتوفي سنة ١٢٥٥ خلفه السلطان عبد الحميد الذي صرح في خطابه عند إعلان «التنظيمات الخيرية» في كتاباته بأن الضعف والخلل قد طرأ على الدولة منذ ١٥٠ سنة وأنه لا بد من تلافي خطر ذلك بالنظام الذي أعلنه بتدبير أساطين الدولة في عهده. ولكن ذلك النظام لم يمد إلى الدولة قوتها، ولا أخذها من الخطر الذي كان يمتشى عليها. ودليل ذلك أن أركان الدولة قد خلموا أخاه السلطان عبد العزيز الذي خلفه سنة ١٢٧٧ وقتلوه أو الجأوه إلى منج نفسه بيده سنة ١٢٩٣ بحجة أن استبداده كان حائلاً دون إصلاح الدولة وتجديد شبابها. وولوا بعده السلطان مراداً ولم يلبثوا أن خلموه في تلك السنة وولوا

بمذه السلطان عبد الحميد الذي كان عاهداً على العمل بالقانون الاساسي الذي قلدوا فيه الدول الأوروبية فلما منهم بأنهم لا يعترفون الا بما عتبرت به من الحكم التبايني وأما سيرة السلطان عبد الحميد فهي معروفة عندكم لأن العهد بها قريب ، وقد خلعت جمعية الاتحاد والترقي بقوة جند الدولة واعتقلته ، وتولت الجمعية السيطرة على الدولة بمذه ، فإذا كان من أمرها ؟ هل كانت خيراً من أولئك السلاطين المظالم الذين لم يقدرُوا أن يصلحوا ملكهم الذي درثوه عن آبائهم وأجدادهم ؟ كلا ان زعماء هذه الجمعية الذين غلبوا الدولة على أمرها هم أو شاب من الملاحدة المارقين قد وصلوا الى ما وصلوا اليه بكيد يهود سلاطيك وشركاؤهم في النمسة والمانيّة أقوى أنصارهم ولذلك نرى أكبرهم جمع المال . فلام على دين هذه الدولة فيصاروا عليه ، بل هم يقاومونه ويهدمونه ، ولا هم من أصل راسخ فيها فيكونوا أحرص على حياتها من أبناء سلاطينها وأساطينها

وإذا نظرنا الى أعمالهم دون عقيدتهم وآرائهم نرى أنهم قد فعلوا في الدولة من الافساد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيها منذ أصبحت بالضعف الى أن أصبحت بهم ثبت أنهم أخذوا من مال الدولة لنظارة الحرية خمسين مليون جنيه ليجددوا قوتها العسكرية ، ثم رأينا دولة البلغار — التي كانت ولاية من ولايات الدولة ولم يتم لها الاستقلال الا في عهدهم — قد كسرت جيوش الدولة وكادت مدافعها في شطلجها تمزق مسامع أهل الآستانة . وكان السبب الحسي لذلك قلة ما عند الجيش النماني من المؤنة والذخيرة والدواب وسائر أسباب الحرب

وقد خسرت الدولة في عهدهم المشؤم من المالك ما لم تخسر مثله في عدة أجيال : خسرت البوسنة والمهرسك بيع الجمعية اياها للنمسة ، وطرابلس الغرب وبرقة بيدى اياها لاطالبية ، ومكدونية وألبانية وكريت وجزائر الارخبيل ، ونسكت عما خسرتها في هذه الحرب من الولايات — فقد أضاعوا نصف الدولة في بضعة سنين ، وحملوها فيها من أشتال الديون ما لم تحمل مثله قبلهم في بضعة قرون . ثم عمدوا الى الامة ، فأفقروها كما أفقرت الدولة . فهذا هو الاصلاح الذي خلصوا لاجل القيام به سلطان الدولة وخطبتها عبد الحميد وحجروا على خلفه من بعده

فيا أيها المسلمون الفيورون المبصرون ! اذا كانت قد ثبت من تاريخ الدولة الرسمي بما ذكرته لكم من شواهد أنها كانت ضيقة بمخشي عليها الزوال قبل هذه الارزا والمصائب التي منيت بها شؤم هذه الجمعية ، فكيف يكون حالها الآن وقد اصطلت بنار هذه الحرب ، وفرضت لمدارة أكبر دول الارض ؟

ان سواد المسلمين الاعظم يفارون على هذه الدولة ويتنون لها دوام الاستقلال وكال القوة للسبب الذي ينه في فائحة الكلام، ولكن يقل في المسلمين من يعرف حقيقة حالها وكنهه الخطر الخلق بها . ويقل فيمن يعرف ذلك من يسمى لتدارك ما يترب على هذا الخطر اذا وقع من قد الاسلام لما بقي من أحكام شريسته ، وحرمان المسلمين من آخر ما كان لهم من الاستقلال السياسي على علاته

لم نر أحدا من زعماء المسلمين وكبرائهم قدر الحال الخطرة التي وصل اليها الاسلام قدرها وازرى لتداركها الا هذا الرجل العظيم — أمير مكة وشريفها — فانه ، أى أن الدولة — وهو من أعلم أهلها بحالها — قد أمست على شفا جرف ، وأن ملاحظة الاتحاديين قد اتخذوا الاحكام العرفية والقوة العسكرية ذريعة للتكيد بالامة العربية بتقيل رجال الفكر والعمل ومصادرة أموال أهل الثروة منها حتى لا يبقى فيها رجاء في عامل ولا في عمل ، فانتدب لتدارك الخطب ومصارعة الخطر نفسه الكريمة وأنفس أنجاله التجباء . ولو استطاع أن ينقذ الدولة نفسها من الخطر لفعل ، ولو بذل في ذلك دمه ودم هؤلاء الأنجال الكرام (هنا قال الامير حفظه الله تعالى للخطيب صدقت) لكن العمل لا تقاذ الدولة نفسها من الخطر قد أصبح فوق طاقتة وطاقة غيره (... صدقت) فرأى أن يبدأ بالاستطاع وهو اتقاذ الحجاز مهد الاسلام ومشرق نوره مما نزل به من البلاء والشقاء ، ثم اتقاذ غيره مما يمكن اتقاذه من البلاد العربية ليكون ذلك بيئة لحفظ الاستقلال الاسلامي وعدم زواله بما يخشى ويتوقع أن يحل بالدولة العثمانية والياد بالله تعالى (... صدقت)

لا يخفى على ذي بصيرة ان الاتحاديين ما حشروا الالوف من جيوشهم في الحجاز الابنية سيئة لانهم يعلمون كما نعلم أن أعداءهم الخلفاء لا يحاولون الاستيلاء على الحجاز ولا بحاربون أهله ، فكان من المعقول ان يرسلوا تلك الجيوش الى قتال

أعدائهم الروس واقتادوا مفتحهم من الولايات التركية ، ولكن التنكيل بالعرب أهم
عندهم من دفع الروس عن عقر دراهم . ولو تم لهم ما أرادوا لرأينا من فظائهم في
الحجاز ما هو أشد من فظائهم في الشام (... صدقت)

نعم ان الحلفاء لا يحاربون الحجاز ولكن وجود الجيوش الاتحادية فيه ألبام
الى ضرب المحصر البحري على ثغوره فضاقت المعيشة على أهله حتى باعوا حليهم
وأثاثهم وأبواب بيوتهم وخشب سقفا ولو طال عليهم أمد ذلك سنة أخرى لا كلتهم
المجاعة وما يقبها عادة من الاوبئة (... صدقت)

أعلن سيدنا هذا استقلال العرب في الحجاز - والحاجة قد اشتدت اليه حتى
وصلت الى حد الضرورة - وما كان يوجد في الامة العربية ولا الامة الاسلامية كلها
من آتاه الله من البصرة والشجاعة والثقة بالله والتوكل عليه ما ينض به لقيام بهذا
السب العظيم ، ولولا فقه الله وتوكله عليه لما نجحوا على ذلك لاننا كلنا نعلم أنه لا يوجد
في الحجاز قوة عسكرية ولا ثروة مالية يعتمد عليها في مثل هذا العمل (تصديق ..)
كلنا نعلم أنه لا يوجد في الدنيا مكان يصلح لتأسيس دولة اسلامية تخلف
الدولة العثمانية اذا وقع بها ما نخشاه عليها الا جزيرة العرب وما يتصل بها من البلاد
المرية لما خص الله تعالى به هذه البقعة وأهلها من الخصائص ، ولا يعقل ان يحفظ
استقلال الاسلام في مثل بلاد الافغان ان هو زال من مهدد وموطن نشأتهم ومحل
اقامة شئهم . افردت هذه البقاع الطاهرة المقدسة بأنها أجدر بقاع العالم الاسلامي
لاقامة استقلاله . وكذلك افرد سيدها وأميرها في هذا العصر بالنبوض بما يجب من
العمل والاستعداد لتجديد هذا الاستقلال . فكان له بعمله أكبر منة في اعناق
أهل هذه البلاد وفي اعناق جميع المسلمين الذين يشعرون بأن أمر هذا الاستقلال
هو أهم المصالح العامة الدينية والاجتماعية . ولكن منهم من فقد هذا الشعور

أيها الحجازيون ان من يكفر منكم لهذا الرجل المصلح المنقذ هذه النعمة فهو أكفر
الناس للنعم . أيها المسلمون يجب ان تلموا ان هذا العمل أعظم خدمة للاسلام في
هذا الزمن . فان الدولة العثمانية ان سلمت من السقوط وحفظت استقلالها لم يكن
استقلال العرب في الحجاز وغيره ما نعا من ذلك ولا من تعاقد العرب والترك مع

حفظ حقوق كل منهم . وإن سقطت وصفت استسلامها لم يكن هذا الاستقلال هو السبب فيه ولكنه يكون سببا لحفظ استقلال الحكم الاسلامي في أشرف بقع الاسلام، بل لا ينبغي عن أذهانكم اهلولا اعلان هذا الاستقلال لترتب على سقوط الدولة العثمانية وقوع حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم غيبة في أيدي الدول الفاتحة . فان تركوها بعد ذلك لنا كان لهم مئة التصدق بها علينا . والا كانا نحت سيادتهم والعياذ بالله تعالى . وبهذا يبين لكم ان هذا العمل العظيم ، الذي قام به هذا الزعيم العظيم ، قد أفتد الحرمين الشريفين وما حولهما من هذا الخطر الجسيم . ووضع أقوى أساس لحفظ الاستقلال الاسلامي بانشاء دولة جديدة له . فله بهذا أكبر مئة على جميع المسلمين . وما أقول هذا نملقا له ولا مدحا شعريا ، وأما هو الحقيقة البيضاء الناصعة ينتها لكم بالإيجاز الذي يحتمله المقام والسلام اه الخطبة :

« قالت جريدة القبلة متفية على هذه الخطبة ، : « وبعد أن جلس (أي الخطيب) أتى عليه جلالة سيدنا أيده الله بروح من عنده وقال للناس انه لم يره الا منذ أيام قليلة » ونزيد عليها أنه قد صرح بأني عبرت في المسألة عن فكره ورأيه ولم يسبق له مكاشفتي به وانه لم يرني الا منذ أيام قليلة، وهو صادق فيما قال ، واني ما كنت أرجو أن يرضيه خطابي إلا من باب حسن الظن فيه الذي استنبطه مما كنت أعلم من سوء نية جمال باشا وأعوانه، ومن مشور به الدالين على قيامه بما قام به في الحجاز لاجل الداعية التي وصلت الى حد لا يضرار ، وانها ضرورة تقدر بقدرها ، وهذا هو الحكم الشرعي في مثلها ، وقد جعلتها مقدمة للسعي الى ذلك .

وأقول ان وقع الخطبة قد كان حسنا في سمع الجمهور ، وكانت موضع حديث الناس وثنائهم ، حدثني بذلك الكثيرون في منى ثم في مكة ، وقد علمت أنها جمعت بين إرضاء الفريقين المتعارضين في الرأي — فريق المتشائمين من ثورة الحجاز الخاضعين ان تكون سببا لضعف للدولة العثمانية وزوالها ، على حين لا استعداد لانشاء دولة اسلامية محل عملها ، وفريق المتعاطلين الذين يرجون ان تكون مدأ دولة عربية مستقلة تحيا بها حصار العرب الزاهرة ، حتى ان أصحاب فكرة لمباية كانوا يرجون عند سماع الخطبة ان تكون مقدمة للمباية .

زواني بعد نزولنا من منى الى مكة الشيخ عبد الملك الخطيب أحد أدبه مكة
المقرين من الحضرة الهاشمية - وقد تقدم ذكره في هذا الرحلة - فكان جل حديث
الثناء على الخطبة، وقال اني كنت في الحضرة الهاشمية أذكر محاسنها وأنوه بها وان
سيدنا واقفي على ذلك وساهني فيه، ثم ذكر انه كان يتقصا شي واحد، قلت بل
يتقصا هتدي أشياء ولكن الوقت لم يكن يقسع لا ترمما قيل، قال: لم أمن ان في
الخطبة نفسها قصا بل هي كلمة، وانما كان يتقصا ان تكون مقدمة للعبادة، فلو
انك بعد إتمامها مدت يدك وبأيت سيدنا لاتبك الناس وكان أمرا مفصولا، قلت
ان هذا ليس من رأيي ولا من حقي، وما يؤمنني ان يقال لي ما قبل لك الشاعر الذي قال
وخذا اليوم من هيوني فاني قد خلعت الكرى على المشاق

فقيل له خلعت الأملك على من لا يقبل؟ وبهذا حولت الباحثة السياسية الى مفاهة أدبية
هذا - وانني قد تشرفت بعد ذلك بحديث مع الحضرة الهاشمية في موضوع الخطبة،
فكان بما قال الامير ان المسألة الجوهرية في الخطبة هي ان الدولة العثمانية على خطر وأنا
موافق لك على هذا الرأي من قبل الحركة ولكن أثير الناس أو المسلمين لا يقولون ذلك.
وقد عرضت عليه في هذه الجلسة شيئا من خلاصة رأيي في المسألة العربية وما يجب
إتخاذ من الاحتياط في مسألة الدولة، على لوجه اقدمي أشرت اليه في خاتمة الخطبة،
فأظهر لي الاستحسان، وأحل على الزمان، وقراء المثار يعرفون رأيي بما بسطته في
المقالة التاريخية (المسألة العربية) التي نشرتها في الجزء الاول من المجلد العشرين، ومنه
ان الثورة الحجازية قد أدت وظيقتها، وأفادت مارجواتها منها، فأخذ الحجاز، وأوقفت يعني
الغاة، وأحد الله انني كنت أسعى الى تنفيذ هذه المقاصد، على تلك القواعد، واتي
الآن معزول لأعمال السياسة وأهلها، متطرحا حكم المرير الحكيم في أمر أممي والشعوب كلها.

(ترجمة الشيخ سليم البشري)

عني مما ينبغي أن يذكر في ترجمته ما انفرد به دون أمثاله من شيوخ الأزهر كانكاوه كتابة
على الدولة العثمانية الفلك بالارمن في أجنة - وكرثت لا تحفل اللجنة السوية التي عقدت في
دار التنبيل الاميرية لاعانة طلبة العلم السوريين في الأزهر - تلك اللجنة التي قال في حدها بحق
اتها مسحية ليس فيها إلا ملهم واحد تسمى لاعانة مسلمين ليس تبه نصراي واحد - وغير ذلك من
الامور المذبة الصرفة، ولم ينسب لناجم ما كتب في ذلك بوبته من الجرائد، ولم يذكره أحد في ترجمته

أولى شيئا كثيرا وما يذكر
أولو الألبان

المسحاة
١٣١٥

عشر عبادي الذين يستهون بالقول فَيَسْخَرُونَ مِنْهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَفِي ذَلِكَ هُمْ فِي الْآلَاءِ

«قل لله الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و «منارا» كنار الطريق»

٢٩ جادى الآخرة ١٣٣٦ — ٢١ الحول (ر ا) ١٢٩٦ هـ ١١ إبريل ١٩١٨

فصل في النثيل العربي

فصحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ولشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا، ولئن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر مريح لا غفاله

﴿ النثيل العربي ﴾

﴿ اشتغال المرأة المسلمة به وتمثيل قصص الانبياء ﴾

(س ١٠) من صاحب الامضاء بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فضيلة مولانا وراشدنا السيد رشيد رضا

بسمتي النوادي بطائفة من المتعلمين الذين قلما يخلو مجلسهم من البحث وبأية مناسبة دار يفتنا ذكر النثيل العربي وبسطها على بساط بحثنا (١) المرأة المسلمة وتمثيل (٢) تمثيل روايات الانبياء عليهم السلام عموما وخائهم خصوصا فقرر رأي فريق منا على جواز ذلك كله اذ لا نتم أدوار النثيل وفصوله لا بالمرأة فاذا جوزنا التمثيل جوزنا ظهور المرأة المسلمة على مناسح التمثيل . وأي مانع يمنع تمثيل روايات الانبياء عليهم الصلاة والسلام عموما وخائهم خصوصا وهو لم يخرج عن كونه درس وعظ على طريقة التأثير النافع الذي يشده مشاهير الوعاظ وقل من يصادفه أو يجد له أثرا، ومنع فريق آخر كل ذلك وعده نوعا من التقليد لافرنجي الذي يستحوذ على بعض البسطاء فيعدونه مفتاح عدن الامة في حين أنه تر عليها وعلى أخلاقها الداتية . فهذا ما كان من الفريقين أما أنا كاتب هذه السطور فقد أعلنت الحيدة حتى أسترشد برشدكم أو أستنبر بفتيا متاركم والسلام

كاتبه

محمد محمد صفان

طالب بمدرسة القضاء الشرعي

(ج) قلت هذا لله ورك محبة الصواب في الحكم - وعصنا نة تقفو ما ليس لنا به علم : ان بعض الاندية جعلت بضاعة من التمليلين البعائين ، وانهم ذكروا « النمثيل العربي » فاختلوا في جواز اشتغال المرأة المسلمة به ، وفي جواز تمثيل قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام عامة وخاتمهم خاصة ، فقالت طائفة منهم بجواز الامرين ، وهؤلاء الاول « بأن أدوار النمثيل ونصوله لا تتم الا بالمرأة اذا جوزنا النمثيل جوزنا ظهور المرأة المسلمة على مراسح النمثيل » وهؤلاء الثاني بأنه « درس وعظ على طريقة التأثير النافع الذي ينشده مشاهير الوعظ وقل من يصادفه أو يجده أرا » وقالت طائفة أخرى : منع الامرين وعدوه من التقليد الافرنجي الضار ، الذي يفتريه الاغفار ، وقلت انك وقفت حتى ننتهي المار ، فهناك ما أفهمه في المسألتين الانتصار : لم يأت فريق المجيزين بشي من العلم ، يدل على ما جزموا به من الحكم ، فان صلنا لهم ان التمثيل لا يتم الا بالمرأة — لا نلهم ان جوازه يستلزم جواز اشتغال المرأة المسلمة به ، بل نألهم ماذا يعنون بهذا التمام ؟ وهل يعتد به شرعا ؟ ولماذا لا يستغنى فيه بالمرأة غير المسلمة التي تسبيح من أعماله ما لا يباح للمسلمة ؟ وبأي حجة جعلوا القول بجواز التمثيل الذي ينقصه وجود المرأة المسلمة أصلا بنوا عليه القول بجواز اشتغالها بالنمثيل ؟ وهل يعدو التمثيل المطلق ان يكون مباحا أو مستحبا بشرط خلوه من فعل الحرام وذرائع الفساد ، واشتماله على الوعظ النافع والارشاد ؟ أو ليس الصواب أن يقال — والامر كذلك — ان التمثيل الذي يتوقف على قيام المرأة المسلمة ببعض أعماله على الوجه المعروف في دور التمثيل بمصر غير جائز ، لان ما توقف على غير الجائز فهو غير جائز ، أولان دره المفسد مقدم على جلب المصالح ؟ ان اشتغال المرأة المسلمة بالنمثيل المعروف يشتمل على منكرات محرمة (منها) ظهورها على أعين الرجال متبرجة كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضائها كالرأس والحنجر وأعالي الصدر والذراعين والعضدين ، ونحريم هذا مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا حاجة الى ذكر النصوص فيه ، (ومنها) الاشتراك مع الرجال الممثلين في أعمال تدبر في النمثيل وان لم تكن من لوازمه في كل قصة كالدائقة والمحاصرة واللماسة بغير حائل (ومنها) غير ذلك من المنكرات التي تشتمل عليها بعض القصص دون بعض

كالتشبه بالرجال ، وتمثيل وقته المشق والفرام المحرم بما فيه من الاعمال المحرمة لذاتها أو لكونها ذرية الى المحرم لذاته . ولا أنكر انه يمكن للكتب العالم أحكام الشرع وآدابه أن يكتب قصة تمثيلية يودع بعض فصولها أعمالاً شائعة وأقوالاً نافعة اذا مثلتها امرأة مسلمة تبرز في ذر التمثيل غير متبرجة بزيئة ولا مبدية لشيء مما حرم الله ابداءه من بدنها ، ولا آتية بشيء من أعمال الفساد ولا من ذرئته ، فان تمثيلها يكون بهذه الشروط مباحاً أو مستحباً . مثال ذلك أن توثف قصة في التعقيب في الحرب للدفاع عن الحقيقة وحماية البلاد عند وجوبها باعتداء الاعداء عليها ، ويذكر فيها ما روي عن الخلفاء رضي الله عنها في حث أبنائها على القتل بالنظام والشر . فمن ذا الذي يتجرأ على القول بتحريم ظهور امرأة تمثل الخلفاء في مثل تلك الحال ، التي هي مثال الفضيلة والكمال ؟ ولكن اسكن وضع مثل هذه القصة — وهو من الممكنات التي لم تقع — لا يبنى عليه القول بإطلاق جواز . هو وقم من التمثيل لتشتمل على ما ذكرنا وما لم نذكر من المنكرات المحرمة والمكروهة شرعاً

وأما تمثيل قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقد تلاوه بأنه درس وعظ مؤثر ، ينون ان كل ما كان كذلك فهو جائز ، وهذه الكلية المطوية بمنوعة ، وذلك المقدمة الصريحة غير متعينة ، فان هذه القصص قد توضع وضعا مغفراً ، فلا تكون وعظاً مؤثراً ، وان من الوعظ المؤثر في النفوس ما يكون كله أو بعضه باطلاً ، وكذباً وبدعاً ، أو مشتتلاً على مفسدة أو ذريعة اليها ، ويشترط في جواز الوعظ ان يكون حتماً لا مفسدة فيه ولا ذريعة الى مفسدة . وبناء على هذا الاصل ننظر في هذه المسألة من وجوه

(أحدها) ان العرف الاسلامي العام يعد تمثيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام إهانة لهم أو مزياً بقدمهم ، وبما أعهد من الوقائع في ذلك أن بعض النصارى كانوا أرادوا أن يمثلوا قصة يوسف عليه السلام في بعض المدن السورية فهاج المسلمون لذلك وحاولوا منعهم بالقوة ، ورفع الامر الى الآستانة فصدرت ارادة السلطان عبد الحميد بمنع تمثيل تلك القصة وأمثالها . فان قيل ان بعض مسلمي مصر كانوا ولشك المسلمين القائلين بالجوز لا يبدون ذلك إهانة ولا ازواء اذ لا يخفى على مسلم ان إهانة

الانبياء أو لازراء بهم أقل مائة لفيه انه من كبار المهضي وقد يكون كفرا صريحا وودة عن الاسلام - تقول انما العبرة في العرف بالجمهور الذي تبنى على آداب الاسلام وأحكامه لا بالأفراد اقلال ومن غلبت عليهم التقاليد الافرنجية حتى صاروا يفضلونها على الآداب الاسلامية ، كذلك القاضي ، لاهلي الذي حكم ببراءة استاذ مدرسة أميرية غازل امرأة محصنة ونصباها ، وكشفها بافتانه بجملها ، حتى هجره الرقاد ، وواصله السهاد ، فشكت لمحصة هذه الواقعة الى زوجها فوقع الزوج الامر الى قاضي القيوبات ، طالباً تعزير ذلك العادي الفتات ، فكان رأي القاضي ان منازلة المحصنات الحسان وتعصين ، يحل ذلك الكلام الذي يمدن على زوجهن ، لا يتنضي سجننا ولا غرامة ، ولا تأنيبا ولا ملامة ، لانه يظهر لحب الحسن والجمال ، وهو من ترقى القوق وآيات الكمال ، ولكن مارآه هذا القاضي المتفرج حث وكلا ، رآه السواد الاعظم من المسلمين قصا قبيحا ، وأنكروه عليه في الجرائد حتى منعتها مراقبة المطبوعات من التمددي في الانكار ، واستأنف الزوج الحكم فنقضه لاستنف ، وحكم بأن كلام ذلك الاستاذ جريمة منافية للآداب . ولو حاول بعض أجرق لتمثيل تمثيل قصة أحد لرسل الحرم ، عليهم الصلاة والسلام . رأوا من نكاح العالم والجرائد ما لا يحظر ببال أولئك الافراد الذي يرون جوزة ، ولو وقع مثل ذلك في بلد لم تدال أهله سيطرة الحكم لما كان لا مشوا للفتنة ، وانصدي الناس اصد امثليين بالقوة ، بل ينلب على ظلي ان أكثر الناس بعدن تمثيل لامرء واللاذين ، وكبار رجال العلم والدين ، مما يزرى ب مقامهم ، ويضع من قدرهم . ونأخذ من هؤلاء الكبراء لا يرضى لنفسه ذلك .

(الوجه الثاني) ان أكثر الممثلين لهذه القصص من سواد العامة ، وأرقم في الصناعة لا يرتقي الى مقام الخاصة ، فان فرضنا أن جمهور أهل العرف لا يرون تمثيل الانبياء بوزراء بهم على اطلاقه ، أفلا يعدون من الاذناء والاخلال بما يجب لهم من التعظيم أن يسمى (السي فلان) أو (الخواجه فلان) برأهم خليل الله أو موسى كالم الله أو عيسى روح الله أو محمد خاتم رسل الله ؟ فيقال له في دار لتمثيل يارسول الله ، قولك في كذا . . . فيقول كذا . . . ولا يبعد بعد ذلك ان يخاطبه بعض

العلماء بهذا القسب في غير وقت لتمثيل على سبيل الحكاية أو من باب التهمك والزيادة كأن يراه بعضهم يرتكب إثمًا فيقول له : مدد يارسول الله ! ألا ان اباحة تمثيل هؤلاء الناس للانبياء قد تؤدي الى مثل هذا وكفى به مانعا لو لم يكن ثم غيره

(الوجه الثالث) تمثيل الرسول في حالة أو هيئة زري بمقامه ولو في أنفاس العوام وذلك محظور وان كن تمثيلا لشيء وقع . مثل ذلك ان يمثل بعض هؤلاء المشايخ المعروفين يوسف الصديق عليه السلام بهيئة بدوي مملوك تراوده سيدته من نفسه وتقد قيصره من دير ، ثم يمثله مسجوناً مع المجرمين . ويتجلى النظر في هذا الوجه بيان مسألة من أعظم المسائل التي يفضل عنها أمثال أرتكك الباحثين الذين ذكروهم المستقي ، وهي ان الرسل عليهم الصلاة والسلام بشر مزمم لله تعالى بما خصهم به من الوحي ، وهداية خلق الى الحق ، وقد كنت بشريتهم حجاباً على أعين الكافرين حل دون ادراك خصوصيتهم ، فأذكروا ان يكون الرسول بشراً مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، وروي عن المسيح عليه السلام ان النبي لا يهان الا في وطنه وقومه ، وقد بعث الملائكة في هذا المعنى : أزعج الناس في الولي أهله وجيرانه ، أي لانهم قلما يربون معه لا ما هو مشترك لهم فيه من الصفات والاعادات . وأما ما يمتاز به من دقة الودع والنية واللمعة بالله تعالى فنه ما هو ساجي لا يفتنون له ، ومنه ما هو خفي لا يدركونه ، ولذلك حنيج في إيمان أكثر الناس بل ل قبل الارتقاء العقلي الى لايات الكونية . وبعده الى لايات العلمية ، (كالقرآن الحكيم من الامي) ولذين يؤمنون بالرسل من بعدهم يسمعون من أخيار آياتهم وخصائصهم وفضائلهم أكثر مما يسمعون من أخيار عاداتهم وصفاتهم البشرية ، وبذلك يكون تعظيمهم وإجلالهم لهم غير مشوب بما يضعف الايمان بهم من تصور شؤونهم البشرية . على ان الواجب ان يعرفوا منها ما يحول دون الغلو في التعظيم والاطراء الذي يقع به الغلاة الانبياء الى مقام الربوبية والالهية ، والتفريط في ذلك كالافراط . فتشيل أحوال الانبياء وشؤونهم البشرية بصفة تمزوجة عليهم ، فنادى بهم أو فضية الى ضعف الايمان والاخلال بالتعظيم المنروع - مفيدة من المقامات التي يحظرها الشرع ، فكيف اذا أضيف اليها كون التمثيل في حد ذاته يعد في العرف العام تنقيصاً

أو لخللا ما يجب من التكرير - وكون المثلين من هوام الناس ، وقد علمت
ما في سند ذلك .

(اوجه أربع) ان من خصائص القصص النبيلة الكذب ، وان الكذب
على الانبياء ليس كالكذب على غيرهم ، فاذا جاز أن يسند الى أميأ لا مسميات
لها كلام تنصده به عظة وعقوبة كما يحكون مثل ذلك عن أسنة الطير والوحش
وهو ما احتج به الحريري في فائحة مقاماته على جوز وضعه لها ، وإذا صح ان
يقاس على ذلك اسناد مثل ذلك الكلام لى أناس معروفين من الملوك وغيرهم فيها
لا ضرر فيه ولا فساد في الترتيب ولا غيره من الحقائق - اذا جاز ما ذكر وصح
القياس فلا يظهر جوز مثله في الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، على أن في المسألة نصا
خاصا لا محل للقياس مع مودده ، فقد قل صلى الله عليه وآله وسلم « ان كذبا علي
ليس ككذب على أحد ، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » ورواه الشيخان
في الصحيحين وغيرهما من حديث سميد بن زيد ، وروي عجزه - وهو من كذب
علي الخ - متواترا ، وروى أحمد من حديث عمر مرفوعا « من كذب علي فهو في
النار » وهو مطلق لم يقيد بالتمند واسناده صحيح . وقياس الكذب على غيره من
اخوانه الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام جلي فهو أقرب من قياس الكذب على الرسل
على الكذب على المجاموت الذي احتج به الحريري وأثار الى اتفاق العلماء على
جوازه . والكذب عليهم يشمل ما يحكى عنهم من أقوال لم يقولوها ، وما يسند
اليهم من أعمال لم يعملوها

فان قيل انه يمكن وضع قصة لبعض الرسل يلزم فيها الصدق في كل ما يحكى عنه
أو يسند اليه ، قلنا ان النقل الذي يمتد به عند المسلمين هو نقل الكتاب والسنة ،
ولا يوجد قصة من قصص الانبياء في القرآن يمكن فيها ذلك الا قصة يوسف وكذا
قصة موسى وقصة سليمان مع ملكة سبا اذا جمل التطويل فيهن في غير الحكاية عنهم .
والأولى هي التي يرغب فيها المثلون . ويرجى ان يقبل على حضور تمثيلها الكثيرون ،
وقتها من النظر الخاص ما يتناه في الوجه الثالث . وأما السنة فليس في اخبارها لمرفوعة
ولا الموقوفة ما يبلغ ان يكون قصة تصلح لتمثيل الا وقته السيرة المحمدية الشريفة ،

والعلماء بها لا يكاد أحد منهم يقدم على جمع طائفة منها وجعلها قصة تمثيلية . وإذا فتح هذا الباب ووجد منهم من يدخله على سبيل التدور لا يلبث ان يسبقه اليه كثير من الجاهلين بالنسبة للثقتين لوضع هذه القصص بالاسلوب الذي يرغب فيه الجمهور فيضمون من قصص الانبياء المشتتة على الكذب ما يكون أروج عند طلاب الكسب بالتمثيل ، فيكون وضع الصحيح ذريعة الى هذه الفسدة

فلم من هذه الوجوه ان جواز تمثيل قصة رسول من رسل الله عليهم السلام يتوقف على اجتناب جميع ما ذكر من الفاسد وذرائعها بحيث يرى من يعد بمعرفتهم وعرفهم من المسلمين انه لا يعد ازراء بهم ، ولا منافيا لما يجب من تعظيم قدرهم ، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى من اهتدى بهم .

— — — — —

رحلة الحجاز

٨

أيام منى ولياليها وقوال الشعراء فيها

نصوص الشرع في أيام منى

قال عز وجل (وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لَمَنِ أَتَقَى ، وَآتَى اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) أجمع العلماء على أن الايام المعدادات في هذه الآية هي أيام منى التي تسمى أيام التشريق . قيل إن سبب تسميتها بذلك أنهم بشرقون فيها لحوم الاضاحي أي يقددونها ويبرزونها للشمس . وقيل لان الهدايا والاضاحيا لم تكن تنحر فيها الا بعد شروق الشمس ، وقيل هو مأخوذ من قول الجاهلية : أشرق ثبير ، كما نفير . أي ادخل يائير في الشروق لكي نسرع في الدفع الى منى للنحر ، ذلك بأنهم كانوا لا يفيضون من المزدلفة الى منى الا بعد شروق الشمس ووقوعها على جبل ثبير أعظم تلك الجبال ، فأمرنا بمخالفتهم بالافاضة قبل الشروق . وقيل

لأنها أيام تشريق أصلا يوم النحر فصارت تبع له ، وأطلقوا التشريق على صلاة العيد وسوا مصلى العيد مشترقا . والجمهور على أن هذه الأيام هي الثلاثة التي تلي يوم عيد النحر وأدخله بعضهم فيها ، ولكن نخير المتقي بين التعجل في يومين أو التأخر إنما هو في أيام منى الثلاثة التي بعد يوم العيد .

ووصفت أيام منى الثلاثة أو الأربعة بالمعلومات في قوله عز وجل في الحجاج (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام . فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) وتطلق الأيام المعلومات على أيام عشر ذي الحجة الأوائل أو القس التي آخرها يوم عرفة .

روى أحمد ومسلم والقاسمي عن أبي نبيشة الهذلي قال قال رسول الله (ص) « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل » وفي رواية ضعيفة عند غيرهم زيادة « وبكال » بد شرب . وبالك والباعة الملاعبة بين البعثن (الزوبين) ومعناها صحيح فانه يحمل في أيام منى كل ما كان محرما بالأحرام حتى التثني ، وإنما يحمل بعد طواف الإفاضة الذي تم به أركان الفلك كلها . والمراد بالاكل الاكل من لحوم الأضاحي المطلوب بقوله تعالى (فكلوا منها) وغيرها من الطيات ، فان هذه الأيام أيام عيد وسرور شرع فيها الجمع بين التمتع بالأنات المباحة حتى أهو بالحراب وسامع الفناء وبين ذكر الله تعالى وشكره على إنعامه بها وبالتوفيق لاقامة الفلك .

وشمار هذه الأيام من الذكر الكبير ويستحب رفع الصوت به والاشتراك فيه عتيا الصلوات وفي عامة الاوقات والامكنة قد روى سميد بن منصور وأبو عبيد ان عمر (ص) كن يكبر في قبة منى فيسمه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الاسواق حتى ترتج منى تكبرا « وذكره البخاري في الصحيح تليقا . وأصح ما روى في صيته ما أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن سلمان قال « كبروا : الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبرا » وروى عن الصحابة والتابعين التكبير ثلاثا ومبرتين وزيادة التهليل . والظاهر ان النبي (ص) لم يأمر الناس بصيغة مخصوصة في التكبير والذكر في الميدين وأيام منى كانه لم يأمرهم بأذكار وأدعية معينة في الطواف والسعي والوقوف بمرفة

يأتي كل فرد أو جماعة بما شاؤا ، فلا بأس إذا بما استحدث الناس من الذكر وصيغ التكبير مما لم يرد عن السلف وإن أشار بعض العلماء إلى استنكاره لذلك كأنه يراه من البدع باستحداث صفة لعبادة تمد من الشائتر ، وهو ما سماه بعضهم بالبدعة الإضافية . وإنما يتجه هذا إذا التزموه جهرا بنير زيادة ولا نقصان ، ويتأكد إنكاره إذا صار بحيث تظن العامة أنه واجب أو مندوب بهذا الوصف . وقد ذكر الإمام الشافعي في الام أن التكبير الم شروع في العيدين هو كلمة « الله أكبر » وإن التثنية في بدنه مستحب وإن لكل أحد أن يزيد من الذكر ماشا .

وكذلك التكبير والدعاء والتضرع عند رمي الجمار ، يرمي كل حجرة بسبع حصيات مكبرا مع كل حصاة ويقف عند الأولى والوسطى فيطيل القيام يدعو ويتضرع ولا يطيل عند حجرة العقبة . هكذا كان يفعل النبي (ص) ورؤي تقدير قيامه (ص) عند الجمرتين الا بقدر سورة البقرة

وكانت ذبائح النبي (ص) في حجة الوداع مئة من الإبل جاء بثلاث وستين منها معه من المدينة وجاء علي كرم الله وجهه بالبقية من البهائم وقد نحر النبي (ص) ٦٣ يده الكريمة فكانت إشارة إلى سني حياته الشريفة وأمر عليا فحرق البقية . وأمر (ص) بأخذ بضعة (بفتح الباء قطعة) من كل بدنة فجعلت في قدر فطبخت فأكل هو وعلي منها وشربا من مرقها

كلمة تاريخية أدبية في أيام منى

سمعا من الشريف في منى كلمة جديرة بالحفظ والتدوين ، قال : كانت أيام منى أول الاسلام من أطيب أيام الحياة — أي لما تهنئ بياته من الجمع بين الفئات الروحية والبدينية والاجتماعية — فلما قربت المواصلات بين الاقطار الاسلامية البعيدة صار ينتقل الوباء إلى الحجاز مع الحاج الموبئين فيكون أشد فتكه عند اجتماع الناس في منى ، فصارت أيام منى أيام غم وكدر ينتمر الناس فيها بالموتى في كل مكان ، وتعد الحكومة لها الآلاف الكثيرة من الأكفان ، ونحمد الله أنه لم يمت فيها أحد في هذا العام ، لا بمرض وبائي ولا بمرض عادي اه بالموتى

أقول من الشواهد المؤيدة لهذه الكلمة التاريخية ثمرة ذكر منى في أشعار المتقدمين القرية والتنزل بالقاء عند رمي الجمار فيها، وندرة مثل ذلك في غير هاهنا من المشاعر، وعند غير رمي الجمار من الشعراء، ذلك بأن ما تقدم له شرحه من تأثير الاحرام ولباسه في القلب وتأثير رؤية المشاعر العظام والطواف بها والوقوف فيها أيضا — كل ذلك مما يصرف الحاج عن كل ما عداه، ولا يدع في قلبه فراغا واسعا لتغير ذكر الله، لا ذكر الحسان، ولا ذكر الأهل والولد والأخوان، فالتجلي الإلهي في جميع المشاعر أثناء أداء جميع المناسك، تجلي هبة وجلال، إلا منى فإن التجلي فيها تجلي أفسس وجمال، ولا تنس ما ذكرته آنفا من محفل الحاج فيها من الاحرام، واسبابته ما كان محرما من الاعمال، وكونها أيام عيد يستحب فيها التمتع بالطيات، وزد على ذلك أن لياليها هي الليالي التي يكمل فيها نور القمر، وأن هواءها العليل يحبب اليك السر،

رقا بها ياليتها الزاجر قد لاح صلع وبداء حاجر
وخلها تسحب أروساتها على الرضا لا راعها ذامر
واذكر أحاديث ليالي منى لاهدم المذكور والله أكر

لهف نفسي ليل سلفت آه لو نرجع هاتيك الليالي
لاقل لي بمنى تسلي المنى بمنى كان من القوم انصالي

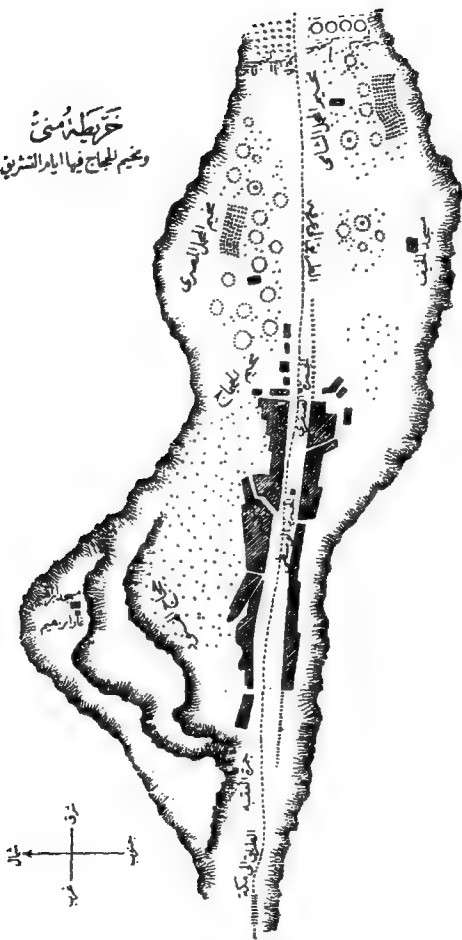
صحي مضوا فداسي منهة في اثر صحي
ما فوق المجران سم ما فائق من قصد قلبي
كلا ولا نادى الجوى الا وكنت انا اللبي
وقد وقت على منى لولا التي قضيت نجبي

وأشعار الشعراء بالتنزل بالقاء في منى ورمي الجمار كثيرة من أحسنها قول الشريف الرضي وهو من التنزل الخليلي التزيه

من مُعِيدَ ليَا يَا مي يَجْزَعُ "سَمُرَاتُ"^(١)
 وَلِيَالِيَّ يَجْتَمِعُ وَمِنْ وَالْجُرُتِ^(٢)
 وَظَبَاءَ حَالِيَات كَطَبَاءِ عَاطِلَاتِ^(٣)
 رَاثِمَاتٍ فِي جَلَايَ بِ الدَّجَا مَخْمَرَاتِ^(٤)
 رَامِيَاتٍ بِالْعِيُونِ ۖ نَجَلُ قَبْلِ الْحَصِيَّاتِ
 أَلْبَتَرُ الْقَلْبُ رَا حَوَا أُمُ لِمَقَرِ الْبَنَاتِ^(٥)
 كَيْفَ أَوْدَعْتَ فَوَادِي أَعْيُنَا غَيْرَ ثَمَاتِ
 أَيُّهَا الْقَانِصُ مَا أَهْ سَنَتِ صَيْدِ الظُّبِيَّاتِ
 فَالْمَكُ الشَّرْبُ وَمَا زُوِّدْتَ غَيْرَ الْحَسَرَاتِ
 يَا وَقُوفَا مَا وَقَفْنَا فِي ظِلَالِ السَّلَامَاتِ^(٦)
 مَوْقِفَا يَجْمَعُ فِتْيَا نَ الْهُوَى وَالْفِتْيَاتِ
 شَاكِي مَا شَانَا بِكَلَامِ الْعَبَرَاتِ

(١) الجزع بكسر الجيم وسكون الزاي منعطف الوادي ومنحناه والسمرات جمع سمرة وهي شجرة السمر فتح السين وضم الميم وهي من شجر المضاه أي ذي الشوك وشوكها قصير وورقها صغير ولها برعم أي ثمر أصفر. وكل (٢) جمع اسم المزدلفة وذكر في هذه الرحلة (٣) حاليات مزيينات بالخلي وهن الظبيات بالجاز وعاطلات غير متحليات وهن الظبيات بالحقبة (٤) ألحاح سواد الليل مع غيم يمنع رؤية القمر والنجوم. يعني يخرجن ليل لرمي الحمار وغير الرمي من حاجهن فيكون الدجا سائرا لهن كالحلابب حالة كونهن مخمدرات نحرهن مبالغة في السر (٥). كر ضمير راحوا وقلمنا يأتي في القصيح إلا لكنته كفته كبره في السلام على امرأة إبراهيم (ص) في سورة هود وإرادة إذهاب الرجس عن نساء النبي (ص) في سورة الأحزاب لشمول الخطاب للخليين في الخطابين نولس الشاعر هنا يعني لهن يخرجن مع رجالهن (٦) السلمات جمع سامة فتحتين وهو من شجر المضاه السمر ويذكر في حذيرة العرب، والخطاب للرجل الذين تقفون في ظلال شجر البلم مدة وقوف أولئك النساء يتناكون ممهن الجوى بكلام المبرات أي الدموع الدال على مافي القلوب

خريطة مئنة
ونعيم الحاج فيها ايام التشرية



هذه الصورة رسمت لرحلة البتاوني

نظرٌ يشلُّ منا كل عين بقِذاة^(١)
 كم نأى بالنفر عنا من غزال ومهاة^(٢)
 آه من جيد إلى الدا ركبير اللقعات^(٣)
 وغرام غير ماض بقاء غير آت
 فسقى بطن منى والـ خيف صوب القاديات^(٤)
 وزمانا نائم المذ ال مأمون الوشاة
 في ليل كاللثالي بالنواني مقمرات
 غرست عندي غرسا شوق بمرور الجناة^(٥)
 أين راقى لترامي وطيب استكاني^(٦)

(١) يعني ان كل عين من أعين خيان الهوى والفتيات تذرف العبرات في موقعها .
 ذلك حتى كان فيها قذاة تشيط دموعها وهي ما يقع في العين من عصفة بن وغيرها
 (٢) المهاة البقرة الوحشية تشبه بها المرأة التجلاء لسة عينيها . وحسبها ، وأشار
 بنزال ومهاة الى خيان الهوى والفتيات الذين وصف موقعهن عند الدواع كما علم
 من ذكره النفر هنا وهو الدفع من منى (٣) المراد بالداردار منى (٤) بطن منى
 وادبها والخيف سفع جبالها أي سقاها كلها ما بصوب وينسكب من المطر في القداة
 أي أول النهار . فالقادات جمع غادية وهي السحابة التي تنشأ أول النهار . أو المطرة
 فيه (٥) الجناة ما يجني من الثمر والظاهر انه أراد بالمرور المرتضد الحلو - ضد الحلو -
 وقيل المرأة لازم لا مفعول له ، وانما المرور من غلبت عليه المرة وهي بالسكر
 ما يسنى الصفراء أو السوداء من اخلاط البدن . والشريف من أئمة اللغة فلا بد
 ان يكون لاستعماله مخرج اذا صححت الرواية عنه وان لم يكن استعماله حجة في
 اللغة (٦) الشكاة بالفتح ما يشكى من مرض عرض أو ألم . سأل ماعز فلا
 يوجد وهو الراقى لترامه والطبيب لسقامه ، وانما احتاج القرام للراقي دون الطبيب
 لأنه وجد نفسي روحي يحتاج الى المسكنات الروحية وان وهية . والاستفهام استفهام
 توبيخ وإيأس

ومن التفرل الخيالي في منى وغيرها من معاهد النك وأعماله ما قلله أبو محمد
عبد الله بن محمد التوخي في قصيدته التي مدح بها ثقة الدولة يوسف بن محمد بن
الحسين القضاعي صاحب صقيلة الروم وهو:

ولما التقينا عزمين وسيرنا بليك ربًا والركائبُ تصيف^(١)
نظرتُ إليها والمطيَّ كأنما غواربها منها معاطسُ رَعَفَ^(٢)
فقال أما منكن من يعرف القى فقد رايتُ من طول ما يتشوف^(٣)
أراه إذا سرنا يسير حذاءنا ونوقف أخفاف المطيَّ فيوقف^(٤)
فقلت ليربها أبلغها بأني بها مستهام قائلًا تنادف^(٥)
وقولا لها يا أم عمرو أليس ذا منى والمنى في خيفة ليس يُخَلَفَ^(٦)
فقال في أن تبذلي طارف الوفا بأن عن لي منك البنان المطرف^(٧)
وفي عرفات ما يخبر أني بعارفة من عطف قلبك أسف^(٨)

(١) قوله وسيرنا بليك ربًا . معناه ان سيرهم ملابس ومصحوب باللبية للمروفة .
وعنف الركائب خطبها في السير على غير هدى لعله لشدة الزحام أو في السرى ،
يقال بات فلان يصف الليل اذا خطه في ابتغاء طلبته (٢) الغوارب جمع غارب وهو
الكل أو ما بين السنام والعنق ، والمعاطس الأنوف والزعف الرواعف أي التي
يسيل منها الدم ، والمراد ان الغوارب جرحت من طول السير والاقتاب عليها حتى
كان منها أنفوا راعفة (٣) رايه أوقفه في الرية وهي الشك والتهمة ، والتشوف الى
الشيء التطلع اليه ، أي ان تظلمه وإدماته النثر إليها حملني اتهمه بأنه يعتمد ذلك
لأمر ما في نفسه ثم فسرت ذلك تشوف لصراحبها يسره حذاءهم إذ سرن ووقوفه
إذا وقفن (٤) الترب بكسر التاء وسكون الراء اللدة وهي بالكسر من ولد ملك فترباها
رفيقتان لها من سنها والمستهام من جعله الحب كالهائم في القلوات لا يهتدي سبيلا
الى النجاة (٥) شرع يستميلها بالتفاؤل بنيل مودتها مستبطلا من أساء الامكنة
وغيرها على طريق العياقة التي تذكر في الآيات ، وبدأ بذكر منى فجعلها فالأ بنيل
المنى وهو جمع منية (بوزن غرف وغرفة) ومعناها ما يتمنى وقد تقدم ان خيف منى سفع
جبلها (٦) طارف الوفاء حديثه وجديده والبنان الاصابع وقد يخص بالمقد المليا
منها واحداثها بنانة والمطرف المحضوب بالخفاء (٧) العارفة للمعروف في المعاملة المراد
من حديث « من أسدى اليكم معروفًا فكأنوه » والاسفاف بالحاجة قضائها

وأما دماء الهدني فهي هدى لنا يدوم ورأي في الهوى يتألف^(١)
 وتقبل ركن البيت إبل دولة لنا وزمان بالمودة يملطف
 فأوصلنا ماقلته فتبست وقالت أحاديث العيافة زُخرف^(٢)
 بعيشي ألم أخبر كما أنه قى على افظه برذ الكلام المغوف^(٣)
 فلا تأبنا ما أسطمتا ككيد نسقه وقد لا ستري أينا اليوم أعيف^(٤)
 إذا كنت ترجوفي منى الفوز بالنى ففي الخيف من إعراضنا نخوف
 وقد أندر الإحرام أن وصالنا حرام وأتا عن مزارك نصيف^(٥)
 وهذا وقد في بالحصى لك مخبر بأن النوى بي عن ديارك تقذف^(٦)
 وحاذر نقاري ليلة النفر انه سريع ، قفل من بالعيافة أعرِف^(٧)

(١) الهدى بالفتح مبهدي الى الحرم من الانعام وهي ذابح التسلك والهدى بضم ففتح الدلالة على المطلوب بلطف والايصال اليه كذلك وهو ضد الضلال والمراد ان كلمة الهدى بالفتح هـ دل على تواصل دائم لنا (٢) العيافة التناؤل أو التشاؤم بحركات الطير وماقطها وأسماها . هذا هو الاصل ثم توسعوا فيه بمتل ما ترى في هذه الايات والزخرف الزينة والتزيق تمني انها من زخرف الكلام لا من الحقائق كقوله تعالى (يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) وفي حديث قبيصة عند أبي داود « العيافة والطيرة والطرق من الخبت » أي من الخرافات كالكهانة والسحر والحديث صحيح السند (٣) البرد الثوب المخطط والمقوف الرقيق ، وتخي به لطافة كلامه وحسنه وكونه يتم عما وراءه (٤) أعيف اسم تفضيل من العيافة . يقال عاف الطير بعيفها اذا زجرها وتطير بها وهو ما تقدم أعفا (٥) نصدف نمرض (٦) أي وقد في بالحصى في رمي الجمار مخبر لك بأن النوى أي البعد أو وجهة السفر (وهي «ؤنة») ترمي بي في مكان بعيد عن ديارك (٧) النار والنفور مصدر نحر (من باب نصر وضرب) وهو الشرود بسبب مزعج ومنه نفار الظبي والدابة والنفر للقتال . والنفر التفرق . ويوم النفر وليلة النفر هو يوم ينفر الحاج من منى ودونائي أيام التشريق لمن تعجل ويسمى النفر الاول وثالثها لمن تأخر ويسمى النفر الثاني

فلم أر مثيلنا خليلي مودة لكل لسان ذو غرارين مرفف^(١)
وعا قيل في أيام منى وليالها مارواه صاحب الأغاني من بعد المغني القدي يضرب به
المثل قل أنيت أبا السائب الخزرمي — وكان يصلي في كل يوم ليلة ألف ركعة —
قلما رأيته يجوز أي خفف الصلاة وقول مامك من ميكات ابن مريح ؟ قلت له :

ولمن باليت العتيق لبانة واليت يرفقن لو يشكلم

لو كان حباً قبلين ظمائنا أحيا الخطم وجوهن وزمزم

لبثوا ثلاث منى بمنزل قبلة وهو على سفر لمرك ماهو

يتجاوزين لقبر دار إقامة لو قد أجد قفوق لم يندموا

قال لي غنه فنتيته ثم قام يصلي فأطال ثم يجوز إلي قال مامك من مطرياته

ومشحياته ؟ قلت قوله

استا نبالي حين ندرك حاجة ما بات أو ظل المطي منتلا

قال لي غنه فنتيته ثم صلى ونجوز إلي وقال مامك من مرقصاته ؟ قلت

فلم أر كالجمير منظر ناظر ولا كالبالي الحج أقتن ذا هوى^(٢)

قال كما أنت حتى أتمر لهذا يركنين

وأما التغزل في نساء معروفات في وقائع ومشاهد كانت هنالك فكثيرة لزيـر

النساء الشهير عمر بن أبي ربيعة الشاعر القرشي كثير — منها قوله في أيام منى

ما أنس لا أنس يوم الخيف موقفها ووقوفي وكلانا ثم ذو شجن

وقولها قمرها وهي باسكية والدمع منها على الخدين ذو سجن^(٣)

(١) أي لكل من لسان ذو حدين مرفف من أرهف السيف إذا رقق حده ،

وبعني بتراري اللسان قدرته على جعل الكلام الواحد على وجهين متقابلين متضادين
كجمل أعمال التسك ومواضعه للتفاؤل وللتشاؤم فهو كالسيف ذي الحدين

(٢) الشعر لعمر بن أبي ربيعة وأما لابن جريج الصوت والتجدير يرمي الجار
وأقتن بالهمزة كفتن من الفتنة وهو لمة تحيد وفي نسخة ديوان عمر المطبوعة أقتن

(٣) السن بالفتح الطرق وهي مجازي اللمع

بالله قولني له في غير متبة ماذا أردت بآول تلك في اليمن
ان كنت تطالب ديننا أو رضىت بها فما أخفت بترك الحج من يمن
قل ابن سريج الغني ما ظلت ان الله عز وجل ينفع أحدا بشعر عمر ابن أبي
ريبعة حتى سمعت وأنا باليمن منشدا ينشد قوله : بالله قولني له - اليتيم - فخرني
ذلك على الرجوع الى مكة فخرجت مع الحجاج وحجبت

وقد كان عمر مفتونا بالقاء وحديثين ولم تكن هية يت الله وسائر المشاعر الشريفة
لتصرفه عن منازلهم حتى في أثناء أداء المناسك لانه وهو مكى قد ألفها واعتادها
والآفاقون أشد هية وخشوعا هناك من الحرمين في الله لب . وما روى عنه في
كتاب الاغانى أنه بينما كان يطوف رأى امرأة من أجل القاء فوقت في قلبه فذامها
فكلمها فلم تلفت اليه . فعاودها في الليلة الثانية قالت اليك عني يا هذا فانك في حرم الله
وفي أيام عظمة الحرمه فألح عليها يكلمها حتى خافت ان يشرها . فلما كان في الليلة الثالثة
جاءت بأخيا معها الى الطواف فلما رأى عمر أخاها معها عدل عنها . فمات يقول جرير
تعدوا الذئاب على من لا كلاب له وتنتي صولة المستأسد الضاري

وروى ان النصور حدث بهذا الخبر فقال : وددت انه لم يبق قاة في خدرها
الاسمعت بهذا الحديث . أقول وهو شاهد على حكمة الشرع في حظر السفر على
المرأة الا مع ذي محرم . هذا وان شعر عمر يوم نه كان من أفسق الفساق ولكن
روى صاحب الاغانى عنه انه حلف في مرض موته بالله انه ما ركب فاحشة قط ولا
كشفت ثوبا عن حرام قط ، وحلف مرة يستق كل مملوك له على ذلك وكان له في
الحوك وحده سيمون عبدا .

وما روى عن غير عمر في هذا الباب تشيب التبري بزيب التقية . ذلك
أن يوسف بن الحكم التقفي والد الحجاج المشهور كان قد اعتل في بلده (الطائف)
فنبذت بنته زيب لتحمجن ماشية ان عرفي ، فعوفي فخرجت في نسوة قطن بطن
وَجَّ (أي بطن وادي وج) وهو ثلاث مئة ذراع في يوم جملة مرحلة لتقل بدنها
ولم تقطع ما بين مكة والطائف الا في شهر ، وكان محمد بن عبد الله البكري الطائفي
يهواها فقال في حجبها أياتا منها :

نضوع مسكا بطن نمان إذ مشت به زينب في نسوة عطرات (١)
تهادين ما بين المحصب من منى وأقبلن لاشعشا ولا غبرات (٢)
أعان الذي فوق السموات عرشه مواشي بالبطحاء مؤنجرات (٣)
مردن بوج ثم رحن عشة يلبين للرحمن معشرات
يخبئ أطراف البنان من التقي ويقتلن بالالحاظ مقتدرات (٤)
وليس كآخرى أو سمت جيب درعها وأبدت بثلث الكف الجدرات
وعلت بنان المسك وحفا مرجلا على مثل بدر لاح في الظلمات (٥)
وقامت تراءى يوم جمع فأقنت برؤيتها من راح من عرفات
وقد أراد الحجاج أن يفك النخيري تشبيهه بنخه لولا أن منه منه عبد الملك

وكتب اليه أن لا سبيل له عليه على ما وصفها هي وصاحبها الا بالتقي

وعلى ذكر آيات النخيري فيمن توسع جيب درعها وترفع يدها عند رمي الجمار
ليرى ساعدها ، وتراءى يوم جمع أي عند انصراف الناس منها صباحا الى منى
لتقتن من أقاض اليها من عرفات — على ذكرها قول لا عجب اذا وجد في النساء
المفتونات بمجانلهن من تحب ان تظهر جمالها في تلك المعاهد الشريفة كما وجد في
الرجال مثل عمر بن أبي ربيعة الذي يخرج الى الحج ليغازل النساء ، ولكن هذا نادر
وأكثر الشعر فيه تخيل ، ومنه قول المرجعي الشاعر من آيات كانوا يتغنون بها :

أما طمت كساء الخبز عن حر وجهها وأدنت على الحديد برد امهلا (٦)

من اللاء لم يحجبني يمين حسيه ولكن ليقطن البري الغفلا (٧)

روى أبو الفرج عن عبد الله بن عمر العمري قال : خرجت حاجا فرأيت امرأة جميلة

(١) نضوع فاحت رائحة وبطن نمان أي وادي نمان وهو بين الطائف ومكة ويروى
حرف التائية غفرت والجفر شدة المياه (٢) المحصب موضع بين مكة ومنى (٣) مؤنجرات
طائرات للآجر (٤) ويروى يخرنق ، دل يخبئ والمصراع الثاني * ويخرنق جمع الليل متجبرات
أي متاهات للمسافر على رؤوس (٥) البناو بكسر الباء جمع منه ، بالفتح وهي الرائحة الطيبة والعل
متأبئة التي ، وأصله متامة السقي . والخوف الشعر الكثير الحسن والمرجل من الرحيل وهو تسريح
الشعر بالمرجل أي المشط . أي وعلت رؤس المسك منها شعرا أثبتا حسنا من رحلتها قوجه بلوح
بينه كاليد في الظلمات (٦) الرد الضم توب مخطط وانهلل الرقيق النسيج والواهي أي برد
لا يستر الوجه لفته ولوله من اللال بالتحريك وهو نسيم المتكور (٧) المحبة بالقصم والاحتساب
في السمل اعتداده ذخرا عند اقته ، والمثمن من لافطة له يقتني فتة الساء

تتكلم بكلام رقت فيه فأدريت ناقي منها ثم قلت لما يا أمة الله ألت حاجة؟ اما تخافين
الله؟ فسفرت عن وجهه يبهر الشمس حسنا ثم قالت: تأمل يا عمي قاني من غنى المرجي بقوله
من اللاء لم يحجبين يمين حسنة ولكن ليقطن البريء المغفلا
قال قلت لما : فاني أسأل الله أن لا يذب هذا الوجه بالنار . قال وبلغ ذلك سعيد
ابن المسيب فقال : أما والله لو كان من بعض بنضاء أهل العراق لقال لما : اعزيتي
قبحك الله ، ولكنه ظرف عباد الحجاز (قال أبو الفرج) ورويت هذه الحكاية
عن أبي حازم بن دينار — وذكر حكاية أخرى في معناها فيها ان أبا حازم قال
لأصحابه: أدعوا الله لهذه الصورة الحسنة ان لا يذبها بالنار . وأبو حازم من كبار
عباد التاميين . وكان عباد العراق ولا سيما أهل البصرة منهم مشهورين بالشدة في
العبادة . والزهد ومنهم خرج أكابر الصوفية

وانما نختم هذا السياق يخبر أبي نواس فاسق الشراء قد دروي أنه كان يهوى جارية
لأحد الثغنين بالبصرة اسمها جنان وكانت حسنة أدبية عاقلة طريفة تروي الأشعار
وتعرف الأخبار قبل له يوما أنها عزمته على الحج فقل أما والله لا يغوتني السير معها
والحج عامي هذا ان أقامت على عزيمتها ، ثم سبقها الى الخروج وقل بعد عودته:

ألم تر أنني أفيت عمري بمطلبها ومطلبها صبر
قلما لم أجد سبيها إليها يقربني وأهينني الأمور
حججت وقلت قد حججت جنان فيجمعني وإياها السير

وروى صاحب الأغاني من خبر حججه عن شمه وقد أكرم أنه لما جئته الليل

جمل لي بي بشر ويحدوه ويطلب فتني به كل من سمعه وهو قوله

إلهنا ما أهداك	ملك كل من ملك
ليك قدليت لك	ليك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك	والليل لما أن حلك
والساجات في الفلك	على مجاري المنسلك
ما خاب عبد أملك	أنت له حيث سلك
لولاك يارب ملك	كل نبي وملك
وكل من أهل لك	سيح أو لي فلك

يا عطلنا ما أغفلك عجل ويادر أجلك

واختم بغير عملك ليك إن الملك لك

والحد والتعمة لك والعز لا شريك لك

والعبرة في هذه الوقائع والاشعار من وجوه (منها) أنه يدل على أنه لا يمكن أن يجتمع النساء ولرجال الحثيرون في مكان ينظر بعضهم إلى بعض الا ويكون المنازلة التسا بالكلام أو بالنظر نصيب فيه كما قل عمر بن أبي ربيعة في أبيات مقصورة

ومن مالى عنيه من شيء فبره اذا راح نحو الجرة البيض كلدني

وإذا كانت معاهد المحج لم تخل من المنازلة والتفرل في أول عصر الحضارة لاسلامية وأول العهد بتعجب النساء والذين لم يزل في قوة ساطعته على الارواح حتى ان أشد التعجب اسرافا في الملاحظة ومنازلة النساء لم يرتكب في عمره فاحشة فما ظلك في غير هؤلاء وأما لهم وفي أهل هذا زمان في قبر تلك المعاهد؟ قال لي بعض القسيسين قد مات لدين ولا يقصد الناس المعبد الا لمنازلة النساء

(ومنها) ان أقوال الشعراء في معاهد المحج وأيامه وأعماله مما يشوق القلوب

الى تلك البلاد كما وقع لابن مريح في لبن ولاجله كتبت هذا الفصل من الرحلة واني وجدت نفسي في أيام كتابتي لهذا الشعر فيه شديدة الشوق الى الحجاز ومثاه وليالي هرة والمزدلفة ومنى ، على اني است من المنة والتفرل في شيء ، ولم أر هناك ولم أسمع من أحد شيئا من ذلك وفيه الحمد

ولكنني أذكر في الكلام على هذه العبرة كلمتين لناضلين مصريين كانا مصافين الحجاز (احدهما) قول أمي الرجلين وأحسنهما تدينا وهو محسن انه رأى في بيتي امرأة في نفذة دار مقابلة للدار التي كان فيها نخل منظاراً تنظر فيه فتوم أنها تنظر اليه فشمتم قلبه بذلك مدة وجوده في منى (والثانية) قول الآخر وهو أمرب: انني لم أر في الحجاز امرأة وسيمة يشتهي المرء ان يبعد اليها طرفه قبل هؤلاء من نساء العرب الا أني شبت بهن الشعراء ذلك التشبيب الفائق الذي يفيد قماره انهن أجمل نساء الارض ، وياليت شعري كيف كان يكون غزلهم وتشبيهم لو كان في نساءهم من الجمال ما نعهد في الآساة وفهرها ؟

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعجزة
١٣١٥

يؤمن الملكة من يقاه ومن يؤمن الملكة الملكة
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و «منارا» كثر الطريق

٣٠ شعبان ١٣٣٦ — ١٨ الجوزاء (٣) ١٢٩٦ هـ ٩ مايو ١٩١٨

سبحان المترجمون والإصلاح الإسلامي

يكثر ذكر المترجمين في المناظر وغيره ، والمترجم مشتق من اسم الافرنج أو الافرنجية ، وهذه الصيغة تبقى لمعان (منها) التكلف كتجد فلان وتجمع ونخسح ونجرج والشراب اذا تكلف الجلد والشجاعة والخشوع وشرب ما يكره و (منها) نحصيل الشيء بالترجيح كعلم الحساب . وكل من هذين المعنيين ظاهر في استعمال كلمة المترجم وما يشتق منها فالترجمون هم الذين يقلدون الافرنج فيما يستحسنون من العادات وغيرها بالتكلف أولاً ثم يتوسعون في ذلك بالتدرج ، حتى انتقل بعضهم من التقليد في مشخصات الامم التي تقوى بها روابطها كالعادات في الازياء والاكل والشرب وآداب المجلس الى ما هو من مقوماتها التي تبقى ببقائها وتغنى بفنائها كاللغة والدين والشرعية وأصول الآداب والروابط الاجتماعية المترتبة والقومية

وهؤلاء المترجمون فريقان (أحدهما) من كان قفرتهم أثر التعليم المعصري والثرية الافرنجية التي حبيت اليهم مآلثهم وتربوا عليه من مقومات القوم ومشخصاتهم قبل أن يلتفتوا ما لا متهم من ذلك و تربوا عليه كما يجب فكانوا كما قال الشاعر :

أنا في هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتكتنا

(وثانيهما) من يترجمون تقليداً للفريق الاول من قومهم الحكام والاعيان . قريا اليهم ، وانتظاما في سلوكهم ، وتتماثل زيفتهم ولذتهم ، فهم مقلدة المقلدين ، بغير شبهة ولا دليل ، انما كان سبب فشوهذا المترجم في المسلمين المدارس الافرنجية والمدارس الوطنية الرسمية وغير الرسمية التي أنشئت لتقليد الافرنج في تربيتهم وتعليمهم بخيرة بصيرة ولا علم بموضع الحاجة على حين كان العلم بمقومات الامة الاسلامية ومشخصاتها قد قل وضعف بضعفها السياسي والاجتماعي ، وما بقي منه أمسى مشوبا بما ليس منه من البدع والدخيل ، وساءت طريقة تعليمه وأهمته فكرة التربية عليه بالخلق والعمل ، وقد قلت في المناظر غيره مرة اني لأعرف في الدنيا مدرسة تعلم فيها اللغة العربية التعليم الفطري الذي به تكون ملكة في ألسنة المتعلمين بحيث يفهمون كلامها الفصيح في كل كتاب ، ويقدررون على الاتيان به محاوره وخطابه وكتابة

بغير تكلف، كما تعلم اللغات الافرنجية في بلاد أهلها، ولا على مقربة من ذلك كما تعلم في بلادنا، ولا أعرف مدرسة يعلم فيها الاسلام تعليما يفهم به كتابه وسنته وما فيها من العقائد والاحكام والحكم والآداب فها أصبحنا يتمكن به المتعلمون من بيانه بالقول والكتابة، وثابت قضاياهم والدفاع عنه بالدليل والحجة، ولا مكانا يترى فيه التشبه على أخلاقه وآدابه العالية، وإنما المدارس الاسلامية التي تدرس فيها العربية والدين معاهد تعالج فيها كتب في فنون العربية والعلوم الشرعية مما صنف بعد ضعف العلم الاستقلالي أو موته قلما يوجد فيها من وضع الائمة المجتهدين شيئا، ولكن يقرأ في بعضها قليل من كتب التفسير والحديث بقصد التبرك الذي لا يعقل مناه لا بقصد الاهتداء. وكل ما يقرأ من الكتب في مدارس البلاد العربية يفسر باللغة العامية، وفي مدارس البلاد الاعجمية (كالتند والفرس والترک) يترجم بلغاتها

في أثناء هوي الامة الاسلامية في هذه الهاوية من الجهل من عدة قرون كأن الافرنج يصمدون في مراقي العلم الاستقلالي والتربية الاجتماعية على علم ونظام، يبتدون فيه بسنن الله في خلق الانسان والاكون، وقد جعلوا لكل علم وكل فن ولكل صناعة وعمل جماعات تعنى بتربيتهم واثقانه حتى إن الجمعيات الدينية فيهم تملك ألوف الألوف من النقود الذهبية . ولكن كان جل ارتقائهم في العلوم والفنون المادية والمالية والحربية وطرق استعمار الممالك واستخدام الشعوب لمنافعهم، وأقله في الفضائل الدينية والادبية التي ترجح الحق على القوة، والمعل على الشهوة، حتى خاف عاقبة ذلك عليهم - كما زعم وعقلاؤهم، وقال أكبر وأشهر فيلسوف اجناعي فيهم وهو هربرت سبنسر، لا كبر وأشهر حكيم فينا وهو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده - ما مناه : ان ضعف الفضيلة وتغلب الافكار المادية على أوربة استدعها (أي تدفعها بنفس) الى حرب مجتاحة يظهر أي أمها الاقوى فيسود العالم .

« إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » وانه لينى أن رآه قوي واستغنى ، وان مظاهر التقى والقوة لفرارة خداعة، فالفقراء يظلمون الاغنياء، وان متعوم رقدوم، وهضوم حتمهم ، والضعفاء يمحضون للاقوياء . وان أرهقوم عسراء، واستذلوم عذوانا وظالما، ولا يزال بعض المشبوب على أرث ما من سلفهم الذين عبدوا الملوك وانخدوم

آله وأربابا، وإن زالت تلك الدعوى وعفت مظاهرها الباطلة، فيظهر أثر هذا الارث في كثير من أفرادها، وإن تبوءوا مقاعد الرياسة فيها، وأما ولوع الامم المغلوبة على أمرها بتقليد الغالبين في كل ما يسهل التقليد فيه من العادات وشؤون الحياة، فهو سنة من أظهر سنن الاجتماع، وقد بسط الكلام فيها حكيمنا ابن خلدون في مقدمته فهي لا تخفى على قراء العربية، الذين يعنون بالامور الاجتماعية، والتقليد في الامم كالنفاذ في الافراد هو توطين نفس المقلد على ان يكون تابعا للمقلد في بعض ثمرات اجتهاده، غير طامع في مساواته، فهو يستلزم تعظيمه له واحتقاره لنفسه وقومه

ان المقلد لا يبتكّر مرتكسا في الضمف بخط في ليل دجوي
قد يشبه أمر بعض المتفرجين بما يدعوا اليه المصلحون من الاعتبار بما أوتي الا فرج
من العلوم والفنون وهـ، أتقنوا من الاعمال، والبحث في أسباب ذلك وطرقه، والاستقلال
في اقتباس ما يحتاج اليه أمتهم منه، تقوى به وتكون أمة عزيزة قوية مثل أمهم، وأما
تقوى الامة اذا حفظت على ما كانت به أمة كاللغة والآداب والعادات والشرائع التي تمتاز
بها، وإذا كان بعض العادات باغلاضرا فينبغي زائله وتغييره بالحكمة والموعظة الحسنة،
والترية العملية النافذة، بشرط ان لا يشوب ذلك شيء من تحقير الامة في أنفس
أهلها، ولا اذلالها، بشعارها باستعلاء غيرها عليها، وإن لا تحمل على تقليد أجني عنها،
وإنما تلقن الحكمة مع اقتناعها بفضلها ونفعها، بأنها يجب ان تكون أحق بها وأهلها، كما
ورد في حديث أبي هريرة عند الترمذي «الحكمة ضلة المؤمن حيث وجدها فهو أحق
بها»، ومن المتفرجين من يدعي هذا الإصلاح، ويتوهم أنه صادق لانه لا يميز بين
الإصلاح والافساد، ومنهم من يدعيه بمحض الكذب والرياء، (ومن الناس من
يمسك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله ما في قلبه وهو ألد الخصام) وإذا تولى سعى
في الارض ليفسد وبهالك الحارث والنسل والله لا يحب الفساد)

ان الفرق بين المتفرج والمصلح المستقل مما يخفى على غير العارفين
بالحقائق، ومن هؤلاء العارفين لورد كرومر الذي كان عميد انكسار في مصر، فقد بين
في كتابه مصر الحديثة من فضائح المتفرجين المصريين ما فيه أكبر عبرة لمن يعتبر
منا، وإن كان لم يكتبه لاجلنا، ولا نحن عرفنا كيف نستفيد منه، وقد أشار الى

مذهب المصالحين الاسلاميين قبا يستحدثون قومهم من شؤون الحضارة بما قاله في
أجد تقاريره عن مصر عند ذكر وفاة الاستاذ الامام ، وهو ان الشيخ وحزبه المعتدل
بشروطون في ذلك المحافظة على أصول الاسلام ، خلافا لمن لا يبالون في هذه السبيل
بالدين ولا ما دونه من مقومات الامة التي نشأوا فيها . ولا يرجى من أجنبي غير مسلم
أن يقول في كلمة استطراذية أكثر من هذا في بلد له السيطرة على حكومته ، فجل
من تعتمد عليهم حكومته من رجالها هم المتفرنجون كما بين ذلك الورد نفسه في
كتابه (عباس الثاني)

المتفرنجون أصناف ففهم المعتدلون والغلاة ، ومن الغلاة المارقون من الدين الذين
يحاربون أصوله وفرعه ، ويتشون سموم الكفر والفسق في أهله ، والمارقون الذين
لا يحبون أن يعرف حالهم ، فلا يتكلمون في أهل الدين ولا يحبون أن يتكلم هؤلاء
فيهم ، اما لا عتدهم ان فثو الكفر مقسدة تزيد أمتهم ضعفاً وقسداً ، وأما
أكرامهم للخوض في أمثال هذه المسائل وما تجره من القيل والقال ، ومن المعتدلين
الناصبون على عقيدتهم التي نشأوا عليها والذين لهم ضرب من الآراء الجديدة فيها ،
واتما تفرنج هؤلاء في أبدانهم ، لا في عقولهم ووجدانهم ، ولا نحاول استقصاء ما يكون
به التفرنج وأصناف أهله في أفرادهم بل نقول بالاجمال انه قسبان صوري ومعنوي ،
ظاهري وباطني ، والمعنوي الباطني ، يستلزم الصوري الظاهري ، وأما هذا فلا يستلزم
ذلك ولكنه يؤثر فيه بعض التأثير ، فكل منهما يمد الآخر في ذلك وفي غيره ويستمد
منه ، لذلك نرى بين أصحاب كل قسم من التاروف والتآلف ما لا نجده بينهم
وبين المخالفين اكل منهم ، فهو ذلك يسري في الامة سر يانا تدريجيا لا يشعر به
الجمهور ، وإنما يظن له الافراد من العارفين بشؤون الاجتماع المراقبين لسير الامم
وتقلبها وما يطرأ عليها من التغيير

أما ما يشعر به الجمهور ويتألم له من بعض شذوذ الغلاة من هؤلاء المتفرنجين
وجهر بعضهم في انكار ما عليه الامة من العقائد أو العادات المحترمة فثله فيه كل
العلمي الجاهل الذي يصاب بالداء الافرنجي ، يتألم اكل قرحة تعرض له من أثر
الداء ويطلب لها الدواء ، ولكنه لا يعرف خطر الداء في عامة بدنه ، ولا فله في

تسميم دمه ، ولا يطلب له العلاج في غير أوقات التألم من الاعراض الحادثة ، ولا يصبر على تناول الادوية التي يرجى أن تنقي دمه من ذلك السم في الزمن الطويل . ترى هذا الجمهور الذي ضربنا له المثل يصبح ويشكو قولا وكتابة عند كل صوت يجر بمخالفة دينه وآدابه وعاداته: فلان كفر ، فلان فجر ، وأما العالم بشؤون الاجتماع فهو كالعالم بالطب أو بحفظ الصحة كلاهما بهم بالملل العاة وأسبابها والعلاج الذي يستعملها لا بأعراضها الذي تظهر تارة ونخفى أخرى . ويألت الجمهور يتبع الطبيب الاجتماعي الذي يستصرخه عند كل صيحة تؤلمه من مهاجمة في عقائده أو غيرها من مقوماته المالية كما يتبع مريض البدن طبيب البدن ، إذا لسهل التوقي من خطر هؤلاء الذين تقطعت الاسباب وانفصمت العرى التي تربطهم بأمتهم وتعدر عليهم الاتصال بأمة أخرى يكونون أعضاء حية فيها، ففقد جمهورهم الشعور بالحياة القومية والمالية ، فأسمى لايتهم الابدانة الشخصية، ومنها أن يكون محترما مكرما بين من يعيش معهم ، فهو يدعوهم إلى أن يكونوا مثله مدعيا أن ذلك خير لهم ، كما أنه يكون عونا لكل ذي سلطان عليهم ، يساعده على كل ما يريد من منهم ، ومن دون هذا الجمهور أفراد يعز عليهم أن لا يكون لهم أمة ، فهم لشدة حاجتهم إلى الامة التي انفصلوا منها في الباطن يريدون أن يجذبوها اليهم ويجعلوها أمة أخرى بمقومات ومشخصات مذبذبة لاهي اسلامية صحيحة ، ولا هي أفريقية خالصة ، ليكونوا أعضاء رئيسة لها في هذا الحلق الجديد المختل ، بعد أن صاروا فيها كالأعضاء الاثرية أو زوائد الاخطار والاشعار التي جرت العادة بقصها والقائها ، وهؤلاء الافراد الذين يفكرون في تكوين الامم قليلون ، ولكن الذين يلغطون بهذه الالفاظ كثيرون ، ولم يظهر في متفرنجين فرد صالح لتكوين أمة صالحة أو تأسيس جمعية نافعة ، فأين هم من افتاء أمة كبيرة وعاداتها خلقا جديدا ؟ لأنهم يضعف الامة في نفسها ويساعدة القوى الغربية لهم عليها ، ليستطيعون شيئا من الهدم دون البناء ومن الامة دون الإحياء قلنا ان جمهور المسلمين يشكو ويتألم من كل صوت يسمعه من هؤلاء الذين يدعون ارادة اصلاحه وحياته ، وأما يشكو من أعراض الداء لا من سمه وأسبابه ، ويقول أيضا انه كلما سمع صوتا منكرا من تلك الاصوات ، يفرغ إلى من يشق بهم ،

من العلماء والكتاب : انصروا الدين ، ودوا على الملحدين ، ويقنعه كل ما يقال ويكتب : يقول الرد ، وإن كان من قبيح الطعن والسب

وقد سمع في هذه الأيام صوت من هذه الأصوات ، ولا حاجة للحرب وما انتفض من طرفي على ما يقبضت ، وكان جبهته تشكو منه ، فنهض فمعهدي في نفسه ، ذلك صوت رجل من أعضاء اللجنة ، أتى على جمهور عظيم من رجل انضمت إلى حزب الخطبة ، ثم طبع في رسالة ، وروى على رأس كفة ، موضوعه وضع قاعدة إصلاح فنون لأحزاب شخصية ، لا تقرب أصول شريعة لسلامة ، وقد رغب في بعض فصلات في اللغة ، وكفى في مجيب ذلك بمجرد إطلاقات عليه ، وكفى في ذلك ، ولا شك في شريعته ، ولا تقول في شخص وضعه شيئا ، وإن فرض أن الحق في نفسه ، ومن عرف الحق عرف أهله ، وموعدا الجزء الثاني من هذه المقالة

نقد ذكرى المولد النبوي

لصاحب الامضاء الرمزي

(الموضع الاول) في صفحة (٥) من المقدمة حققتم ان عمل المولد بالشكل المعروف بدعة وانكم تتحامون عن عمل شيء باسم المولد فاحسبتم وأجدتم . ثم ذكرتم ان البكري دعكم فتوسلتم بإجابة الدعوة الى تنفيذ فكرة استبدال الضار من الموالد بالنافع - فهل هذه الفكرة غيرت حكم هذه البدعة وأخرجتكم من المحدثين ؟ لا أظن ذلك بل لا أرى وضم المولد يليق بأمتالكم - القائلين بالإصلاح ومحاربة البدع وخصوصا على الصورة التي طبع عليها مختوما كل فصل منه بالصلاة البراء فلو اكدتم بتم بشره في المنار مع الارشاد الى جعل تلاوته بصورة الخطابة لربما كان أنسب ، وعن الصورة المألوفة أبعد

(الموضع الثاني) في أول الصفحة الرابعة من ذكرى المولد ذكرتم ما نلظه : كيف

(*) في الاصل صالحة في كل موضع من الرسالة فابدلت في المطبعة بصفحة

كلن اصطفاً الله تعالى لهذه الأصول من الالة المرية، الذي ثبت في صحيح مسلم وغيره من كتاباته النقية وبماذا امتاز قوم خاتم المرسل الخ . العبارة في ذوق النعيم غير مستقيمة ولم يظهر لي صلاحية شيء مما بعدها للجواب عن « كيف كان » وجميعه جواب عن « وبماذا امتاز » فحذف السؤال الاول والاقتصار على الثاني له أظهر (الموضع الثالث) في الصفحة الخامسة قواكم : أيام كانت الامم مرهقة بالآثرة والاثابة والاثين من مثل الضرائب الخ لمل الاولى حذف لفظ والاثنين او ابداله بلفظ وثمن ليصح السلف أو ليكون أوضح

(الموضع الرابع) في الصفحة السابعة قواكم : أما اصطفاً الله المكنانة فيفسره الخ وقولكم : وأما حج العرب اليه فهو دليل الخ لمل الاولى : اصطفاً الله المكنانة يعلم مما كانت تحفظه العرب من اخباره الخ وحج العرب اليه دليل الخ بحذف لفظ أما ولفظ فهو

(الموضع الخامس) في الصفحة الثامنة ذكرتم بالمواشي تفسير التدوة بالشورى ونصصتموها بجملة الرأي بعد البشة للاختيار به صلى الله عليه وآله وسلم هكذا والمروف ان التدوة عمل الشورى مطلقاً وان الذي بناءه قصي وجعل بابه فكبة كما تكتبوه في الصفحة نفسها عن ابن اسحاق . وكذلك فسرتم القواء برأية قريش وانه كان يسمى القتاب والمروف ان القتاب اسم راية النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في التاموس صفحة ١٠٧

(الموضع السادس) قولكم في الصفحة التاسعة « كان ذلك كله من ارتقاء قريش واستعداد العرب للإسلام . ولكن هذه القوى المعنوية كلها وجهت لمعاداته عليه وآله أفضل الصلاة والسلام » لمل حذف هذه العبارة المشيرة بناية المجدو والمرحمة ان جميع قريش وجهوا جميع قواهم لمقاومته أولى والبق لان السياق في مدح قريش وشرح المزايا التي فضلوا واستعدوا بها للإصلاح الروحي والمدني ولان الواقع خلاف ذلك فليس كل قريش وجهوا قواهم لمعاداته صلى الله عليه وآله وسلم اذ منهم السابقون للإسلام مع اخوانه لمصلحة الذب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما بي طالب رضي الله عنه ومنهم السابقون له التحملون لمشايق التعذيب كآل ياسر ومنهم

السابقون القاتنون بنصرته صلى الله عليه وآله وسلم ونشر دعوته، والذب عن حوزته،
 المؤثرون له صلى الله عليه وآله وسلم على أنفسهم، القاتنون بمساعدته بكل مافي وسعهم،
 كحمزة وعلي وخديجة وأبي بكر وغيرهم من أجلاء الصحابة الذين هجروا وطنهم
 رغبة في صحبه وملازمة خدمته صلى الله عليه وآله وسلم بل منهم مع عدم اسلامه
 في أول البعثة من تحمل مشاق المحصر مع بني هاشم في الشعب ايثارا لنصرته صلى
 الله عليه وآله وسلم ومساعدته. على ان الاسلام ما اعز ودخل في طور القوة والمنعة الا
 بعد اسلام من تأخر منهم، فكانوا القاتنين بنصرته ونشر دعوته صلى الله عليه وآله
 وسلم، الباذلين ارواحهم في حماية بيضته في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد
 وفاته، وسيدقون ان شاء الله كذلك الى قيام الساعة. وامل الحكمة في ذلك رفع التهمة
 عن رسالته صلى الله عليه وآله وسلم. والله در العلامة الشيخ عبدالعزيز الزمرمي حيث
 أشار في هزئته لذلك فقال

خبرة الله من قريش وما أد	راك من هم مكانة وعسلا.
نسب بالملا علا قنرات	درو الافق تحتها حصا.
شرف شامخ الذرى وفخار	ثابت صبر الجبال هبا.
أنزل الله في قريش لا يلاف	قريش فزادهم آلا.
شرف الله قدوم بني	خلقوا من نجاره شرقا.
واصطفاهم لاجله واجتاهم	فقدوا سادة به نجبا.
ذب عنهم صوتا لهم ورعاهم	وحاهم ممن نوى الاسوا.
أظهر الله فضلهم من قديم	يحديث في فضلهم عنه جا.
ثم لما جاء النبي اليهم	أبطالوا عنه لا قلى وجفاء.
كيف يحفونه وقد الف الله	عليها ضباها والظبا.
لكن الله وحده قد تولى	نصره حفلة به واعتا.
لو تولوه داخل الشك قوما	عابوا حزب نصره القربا.
فغضى الله ما قضاه الى ان	شاد أركان دينه والبنا.
دخلوا فيه مرعين فصاروا	فيه لانس قادة رؤسا.

جعل لمصطفى الامامة فيهم . اذ رآهم لخدمها أكفأ .

ورثوا الامر بعده فأقاموا . إجماعاً من العدا وانحازوا .

(الموضع السابع) في الصفحة الشائرة قولكم بحجة ما انتاز به آله صلى الله عليه وآله وسلم الخ . لعل ثبوت بعد الآل عن الامور الحرية والرياسة لا يصح قيل الاسلام ولا بعده . أما قبل الاسلام فلتناقته ما قدمتموه من أن التدوة والقواء والسفارة والاعنة والقبعة من المناصب المختصة بهم ، وكلها من الامور الحرية ، ولتناقته أيضاً ما قدمتموه من أن كتابة كفن مثابة التنازف ، وأن مالكا وقصيا ملكا العرب ، قبل الرياسة غير هذا ، وأما بعد الاسلام فتناقته ما هو معلوم من حلمه لألوية القتال بقيادة الجيوش لمحاربة لاعداء في بدر وأحد وخيبر وحنين ، بل لم تدرج في المغرب في المارك المشهورة لا على محور الآل ، فيه قلب رحاما بلا جدال ، وهم اثابون معه صلى الله عليه وآله وسلم في المواضع التي فر فيها الابطال . قبل الامور الحرية التي بددوا عنها غير هذا ، والله درأبي سفيان ابن الخارث بن عبد المطلب الهاشمي حيث يقول كما قلته في الاستيعاب

لقد علمت قريش غير خفي بأننا نحن أجودهم حصانا

وأكثرهم دروعا سابغات وأفضلهم اذا طعنوا سنانا

وأفضلهم لدى الضراء عنهم وأبينهم اذا فلقوا لسانا

وقولكم في الصفحة المذكورة وذلك غلبوا على الرياسة حتى بعد الاسلام - الخ تغلب التبر عليهم في الرياسة بعد الاسلام لا يستلزم بدمهم عنها وعدم استحقاقها ، والا لتناق ما تواتر عن علي وابنيه الحسن والحسين من قيامهم بطلب الخلافة واحتجاجهم على من قادمهم بالبراهين ومحاربتهم للطلقية مساوية وأذبه ، وانضمام الصحابة الا من شذ الى علي وابنيه عليهم السلام

ربما يقال ان الدليل على ذلك كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يولي غيرهم ويتركهم فالجواب عن ذلك ان التولية منه صلى الله عليه وآله وسلم لاشخاص كعمر بن العاص وعدم توليته لآخرين كابي بكر وعمر لا يمكن أن يكونا دليلا على استحقاق الأول للخلافة وعدم استحقاق الآخرين لان ذلك من وقته

الاحوال المطروقة باحتمال أن يكون كل من التولية وعددها لمقاصد مهمة. فمن مقاصد التولية تأليف قلب المولى أو استجلاب ود عشرته (ومنها) إزالة نفور الناس عنه لاستنزارهم له من حيث تطلعه بحمته عداوة النبي والمسلمين (ومنها) قصد ابداءه للسلامة من دسائسه (لو كانوا فيكم ما زادوكم الا خيالا) ومن مقاصد هدم التولية لاشخاص قيامهم بحراسة النبي والذب عن حوزته ومساعدته (ومنها) قيامهم بتلقي أحكام الشريعة لينذروها للامة وخصوصاً آل بيته، فهم هالة طلعت، وثقات أمته، وهم العدول المضمون اتقادهم، المشهود بأنهم والقرآن في قرن الى قيام الساعة، ورضوان الله عليهم أجمعين

وقواكم في آخر الصفحة فبو أنفى لشبهة عن رسالته صلى الله عليه وآله وسلم قد قال انه لو كان فيما ذكر محل شبهة لكان انفضيهم والامر بالصلاة عليهم وفرض مودتهم وود لانهم وفرض الخمس لهم أكبر شبهة وأعظم تهمة وليس الامر كذلك والله أعلم (الموضع الثامن) في الصفحة الثالثة عشرة ذكرتم بعض أولاد عبد المطالب والتمم ينقض استيعابهم لان لا تعارض في محل البيان يوم الحضر وزيادة سطر لا تطول به القصة

(الموضع التاسع) في الصفحة الثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم لقي من قومه أشد الجحود ولا يذو الخ لعل لاولي: من زعماء قومه الذين أشقوا الله فصدوه عن تبعية دعوة ربه ومنهم عمه أبو لهب القتل الخ لما قدمناه من قيام كثير من قومه به عداه وأجبة دعوته

(الموضع العاشر) في الصفحة الحادية والثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو الناس أن يحموه لقيام بهذا الامر فلم يحمه من قريش أحد الخ لعل لاولي: كان يدعو الناس الى أن يعضدوا من يحمونه ليوم بهذا الامر فحال زعماء الشرك دون ذلك بحيلة لاطنه نورا لله وبأبي الله الا أن يتم نوره فهدى الله للايمان به ستة نفر من أهل يرب الخ لا تقدم أيضا

(الموضع الحادي عشر) في الصفحة السابعة والثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم ثبت وحده في يوم أحد الخ والذي أذكره انه ثبت معه بضعة نفر من

قریش و بنی هاشم و کذا فی حنین و هذه منقبة لهم يحسن ذكرها اشعاراً بمزايا الاصطفاء التي ذكرتموها

(الموضع الثاني عشر) في الصفحة الحادية والاربعين ذكرتم في الخاتمة انه صلى الله عليه وآله وسلم اقام مكة بعد بدء التبليغ عشرين سنة و المشهور انها بضع عشرة سنة . ثم ذكرتم في الصفحة الثانية والاربعين حال الاسلام في تلك المدة وما لاقاه صلى الله عليه وآله وسلم مع السابقين من المؤمنين و صبرهم على الاضطهاد الخ ثم دخول الاسلام في عهد الحرية الخ ولم تذكروا دخوله في عهد القوة و المنعة بعد فتح مكة بدخول قریش و اتباع العرب لهم مع ان ذلك هو . ظهر مزايا الاصطفاء فلعل إلحاقها يكون في المستقبل ان شاء الله تعالى

(الموضع الثالث عشر) في الصفحة الثالثة والاربعين ذكرتم في الحواشي حديث الثقلين ثم قلتم : وفسر زيد أهل بيته بمن تحرم عليهم الصدقة الخ ثم قلتم وبقول آخرون هم علي وذرئته من فاطمة عليهم السلام الخ وظاهر تقديمكم تفسير زيد و التبرير في مقابله بلفظ يقول آخرون يشعر بافتاد ما قاله زيد رضي الله عنه . وامل الصواب ما يقوله الآخرون كما حققه شيخ مشايخنا العلامة مولانا السيد أبو بكر ابن هبـد الرحمن بن شهاب الدين الحلوي في كتابه دشفة الصادي

ولعل لمخلص ما حققه العلامة ابن شهاب ان المراد بأهل البيت في آية تطهير علي و فاطمة و الحسن و الحسين عند جمهور العلماء وأكابر ثقة الحديث المعتمد بروايتهم وودايتهم و ان الأدلة تصافرت بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و المصير الى تفسير من أنزلت عليه الآية متعين

دهوا كل قول غير قول محمد فنقد بزوغ الشمس ينطمس النجم
فن ذلك ما أخرجه الترمذي و صححه و ابن جرير و ابن المنذر و الحاكم و صححه و ابن مردويه و البيهقي من طرق عن أم سلمة رضي الله عنها قالت في بيتي نزلت (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) و في البيت فاطمة و علي و الحسن و الحسين فجعلهم بكاء . ثم قال هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا . و أخرج ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و الطبراني و ابن مردويه

عن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيتها على منامة عليه كساء خير يري فجاءت فطمة رضي الله عنها بومة فيها خزيرة قتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادعى لي زوجك وبنيتك حسنا وحيدا فينهم يأكلون اذ نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (انما يريد الله) لآية فأخذ النبي بفضلة كساه ففشاها ايده ثم أخرج يده من الكساء فألقى بها الى السماء ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قلنا ثلاث مرات . قالت أم سلمة فأدخلت رأسي في السر فقلت يا رسول الله وأنا معكم قل « تلك لي خبر » مرتين . وذكر ابن كثير والسبدي طرقا كثيرة للحديث أم سلمة هذا وأخرج لأحمد وأحمد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم والطحاوي عن عائشة ما يقاربه في المعنى . وكذلك روي عن وثلة ابن النعمان ما يقاربه — الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على ان المراد بأهل البيت من ذكر . ولا التفت لمن خاف ذلك ، ولا يمنع هذا الحصر دخول أولاد من ذكر وذرياتهم الى آخر الابد في هذا المعنى المراد شمول لفظ أهل البيت لمن سيوجد منهم — كشمول لفظ لامة لمن سيوجد منها لاسيما والاحاديث مصرحة بذلك نقول صلى الله عليه وآله وسلم : اني تارك فيكم ما ان تمسكتهم ، لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي » الى أن قال « وأنهما لن يفترا حتى يردا علي الخوض » وكقوله عليه وآله الصلاة والسلام « أهل بيتي أمان لأهل الارض فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الارض » الى غير ذلك من الاحاديث والاختبار الدالة قطعا على ان هذه السلسلة الطاهرة هم أهل البيت المعطرون وانهم المرادون بكل ماورد في فضل أهل البيت من الآيات والاحاديث وأنهم هدول هذه الامة وانهم لن يفارقوا الكتاب الى يوم القيامة ، وأنهم أحد الثقلين المؤمنين بالنسك بهاء وقد أجمعت الامة على ذلك اه باختصاره وبعد وجود النص بعدم ادخال أم سلمة بل وعائشة في رواية هل يمكن تفسيره بما يشمل آل العباس وخصوصا والحديث في الخوض على التمسك بأهل البيت فهل يعقل ان نحضر على التمسك بيني العباس وسيرهم معلومة لدى العام والخاص

(الموضوع الرابع عشر) في الصفحة الثالثة والاربعين ذكرتم انهم (أي الآل)

كانوا أحفظ الناس لهدية صلى الله عليه وآله وسلم وأنه لا يخلو عصر من طائفة أو أفراد من الهداة المصلحين منهم وإن فتن الكثير منهم بقلادة المحبين النخ واصل المناسب وإن فتن بعضهم وأثر بشرف نسبه وترك العلم والأعمال النافعة غفلا عن قول جده علي النخ لأن اثبات الفتنة للأكرية ينافي آية التطهير كما لا يخفى . ثم ذكرتم في حديث الثقلين رواية عن أبي هريرة وأن فيها إبدال لفظ المرة بلفظ السنة ، وأن لا معارضة بينها النخ يظهر للمجاز أن رواية الإبدال المذكورة على حذف مضاف أي حملة سنتي فتكون مخصصة للرواية الأولى كما أن الأولى مخصصة لشيعة والمعنى حملة سنتي الذين هم من عترتي ، أو عترتي حملة سنتي ، وأيضاً يظهر أن المراد بالطائفة من أمته التي لا تزال ظاهرة على الحق قومة على أمر الله لي أن تقوم الساعة هم عترته الحاملون لسنة والله أعلم

من ملاكته سلع جادى الأولى سنة ١٣٣٦

ن . ه . د

رحلة الحجاز

٩

النفر من مئى الى مكة

لما كان يوم التفرد بينا الجمرات لآخر مرة وفي لاصيل شدتنا لرحال وفقرنا من مئى هابطين الى مكة المكرمة حامدين لله شاكرين له ما وقتنا لانعام مناسكتنا ، راجين من فضله وإحسانه أن يكون حجا مبرورا ، وسعيا مشكورا ، وعلما مثابا ، ودعائنا مستجابا ، ويأفقه ما أحلى الشعور الذي يسترلى على نلره في ثناء هذا النفر ، فانه على فراقه لتلك المهدي القممي الذي وصفنا في الفصل السابق ماله في النفس من عظيم الانس تراه يذوقه قرير العين مطمئن القلب جم السرور فرحا بفضل الله ورحمته ، وذلك شأن الانسان بعد إتمام كل عمل من الاعمال النافعة التي يهتم بأمرها ، يفرح في عاقبة إتمامه بقدر ما كان من عنايته به ، وقبه فيه ، ويقدر مكانة العمل نفسه من نفسه ، وما يرجو من قائده ونفعه ، سواء كان ذلك في دنياه أو دينه ، فمن لم

يأل جهدا في أداء المناسك أقص من منى وهو بحيث وصفا من النبطة (الروحية) والسكينة والطمأنينة، التي يعبر عن بعض الناس براحة الضمير، ومن قصر في شيء من تلك لأعمل ولو بترك الزميمة ولا فضل خالف غيظه وطمأنينته بعض النبي ولوم النفس: لثقي فلت كذا، وأفضل كذا في حج آخر ان شاء الله تعالى. كما نمتي بعض رفاقنا لو باتوا الليل كله في المزدلفة معي

المقام بمكة بعد الحج

قد كنت أرجأت أمورا مما أنوي عمله في مكة إلى ما بعد الحج (منها) ما أنشئت إليه قبل من زيارة جميع القديين فضلوها بزيارتي ولم تيسر لي زيارتهم قبل الحج (ومنها) زيارة كثير من الماهدات التاريخية والآثار النبوية في مكة وضواحيها اذ لم أشأ أن أخلط ذلك بأعمال النسك كما يفضل بعض العوام لقديين يعدون بعض ذلك من أعمال النسك أو من الأعمال المطلوبة شرعا ولولته تبر النسك ولا يطلب شيء من ذلك شرعا، لا وجوبا ولا نذبا، إلا من كانت له نية سالحة في شيء من ذلك وجاء به على وجه يعرفه الشرع ولا ينكره. (ومنها) شراء أشياء كثيرة مما يباع في مكة بعضها لاقتنا وبعضها لأجل اهدائه لأصدقائنا (ومنها) وهو أهمها شرح ما عندنا من الحقائق في الحالة السياسية الحاضرة لمن يجب شرحها له بعد ان كنا قد فتحنا أبواب بعض مسائلها فكان الحديث في أكثرها اجماليا ولا يبقى فيها إلا البين والتفصيل

لم نلبث أن بدانا ما لم نكن نحتسب وقائنا نركب الحصل المصري بسفرو يوم الخميس ١٤ ذي الحجة من مكة المكرمة إلى جدة، وعلنا انه قد ركب البحر في ثاني يوم وصوله إليها، ولو سافرنا معه لما أمكننا أن نترك شيئا مما نريد من مكة، فزمتنا على التخلف عنه يوما واحدا وهو متهمى ما نملك من التأخير، وما ذا عسى يفي عننا اليوم الواحد مما كنا نهدله أسبوعا كاملا لا نستكره عليه؟ على اننا أدر كنا في ذلك اليوم بتوفيق الله تعالى وعناية المحيين ما لا يدرك الا في أيام، فابتدنا بعض ما نحب من الحلي واللؤلؤ من منسوجات الهند اللوضوة وغير اللوضوة وبعض منسوجات الشام وبلاد الترك والصين وغير ذلك مما يشترى مثله للحجاج عادة، وكلن الفضل في شراء ذلك في وقت قصير مع أمن غبن التجار لنا فيه لصديقنا الشيخ

حسين باسلامه وهو من أشهر أدباء مكة ونجارها ، وقد تركنا ما كنا نبغي من الزيارات بأنواعها ، ولكن الله تعالى من علينا بما هو خير منها كلها ، وهو الاشراف بدخول بيته العتيق المعظم والصلاة والدعاء فيه
دخول الكعبة المعظمة

دخلت المسجد الحرام في وقت الضحى من يوم الجمعة (١٥ ذي الحجة) فوجدت باب البيت العتيق المعظم مفتوحا وفيه بعض شبان آل الشيبى الكرام فرأيت الفرصة سانحة للاشراف بالدخول فيه والوقت هادئ لا يكدر صفوه احتفال ولا ازدحام ، وكان يرافقني الشيخ حسين باسلامه فبلغ من هنالك من الشيبين رغبتى فقابلوها بالقبول والارتياح ، فتوضأت من بئر زمزم وأدلى الشيبون لي السلم ، فصعدت فدخلت متذكرا دخول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممثلاً حاله في ذلك اليوم العظيم يوم الفتح ، فاجأني من الهية والخشوع والبكاء ما لم يسبق له نظير ، ووقفت زمنا لا أستطيع فيه الاحرام بالصلاة ولا النطق بالكبير ، وقد ذكر لي رفيقي باسلامه في هذه الحال المكان الذي صلى فيه صفوة الله من خلقه وعينه بالاشارة على حسب ما بينه الحافظ ابن حجر في شرح البخاري فصليت فيه ركعتين هما أرحى ما أحسبه عند الله تعالى من التطوع ، ثم صليت في كل جهة من الجهات الثلاث الاخرى ركعتين

ودخول الكعبة ليس من مناسك الحج خلافا لما حكاه القرطبي عن بعض العلماء ، واختلفت الرواية في دخول النبي (ص) البيت وصلاته فيه . والتحقيق الذي جمع به ابن الروايات الصحيحة المتعارضة أنه دخله في عام الفتح لاني حجه ولا في عثرته ، وأنه صلى فيه ركعتين بين العمودين المقدمين جاعلا الباب وراءه وبينه وبين الجدار الذي صلى اليه ثلاثة أذرع بذراع الآدمي تقريبا لا تحديدا ، وأمس من السنة تبع المواضع التي صلى فيها النبي (ص) فصلاة فيها ، ولا مواقفه في النسك كما تقدم في الكلام على موقفه في عرفات ، وكذا سائر عباداته ، ولم يرو عن أحد من علماء الصحابة انه فعل شيئا من ذلك الا عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) فهو فعل غير مشروع وغير ممنوع ، الا أن يؤتى به على وجه يكون به بدعة وهو جعله كالمشروع بالزامه أو

بالاجتماع عليه كاشمائير، فاذا خلا من شبهة البدعة كان كبير الفائدة لنفي الب ، أ فيه من حسن الذكر الذي يخشع له القلب، ولله لم يشرع لئلا يترب عليه المخرج الشديد بالتزام وتتميز فله على العدد الكثير كما لو أراد كل حاج أن يقف حيث وقف (ص) ولسد درية الشرك اذ يخشى على ضعف العلم بالدين أن يغلو فيه فيجعل للرسول شركة في العبادة التي يتبع آثاره فيها (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وانما ذلك بتوجيه الوجه واسلامه اليه وحده في العبادة ﴿ وداع الأمير وصفاته ﴾

علمت ان أمثل الاوقات لوداع الأمير ما بعد صلاة الجمعة قصدت عقب الصلاة حجرتي التي يعلي فيها وهي في جدار الحرم الجنوبي فألقيته جالساً في القسم الخارجي من الحجر وفي حضرته بعض الكبراء وفي مقدمتهم رئيس الوكلاء والشيخ محمد صالح الشبيبي الكبير رئيس مجلس الشيوخ، وكان معي السيد عبدالله الزواوي وكيل المجلس، وعلينا انه كان في القسم الداخلي حيث صلوا الجمعة بحمد الشرف عبدالله وكيل الخارجية مع بعض الناس. فلما دخلت على الأمير تلقاني بالفاوة والاكرام، فاعتلت يده لتقبلها فحاول تواضعه التمتع من ذلك، ولما جلسنا فضل بكلمات من المجاملة كادت تذهيني خجلاً، ونكتفي من كلامه بما دون الاطراء الذي تقتضي الحال حذفه وهو قوله موجهاً الخطاب للماضين : هذا فلان ... صاحب المنار كلّم تعرفونه وتعرفون ماله من الفيرة والاخلاص والجهاد في خدمة الاسلام .. وهو قد جاءنا في هذا العام حاجاً.. وكنا نتمنى أن يبقى عندنا ولكنه صاحب عمل كبير في مصر وهو قد رأى وعرف كل شيء عندنا وظهر له اننا الى الآن لم تقف امام عتبة عمل من الاعمال (وكان ذكر في سياق حديثه ما ينوي من ضروب الاصلاح العلمي والعملي) التي لا بد لنا منها، وأن هنا محصور في اخراج المتلبة من بلادنا ولا يتم ذلك الا بفتح المدينة المنورة ففي نم لنا ذلك وأردنا البدء بالاصلاح الذي نبنيه فاننا نرجو من غيرته أن لا ننمه أعماله في مصر من اجابتنا الى ما نطلبه من معاونته وارشاده ، وهو الآن يقدر أن يخدم حركتنا في مصر أكثر مما يخدمها هنا لو أقام بيننا فلما أتم كلامه شكرت له ما أراه مبالغة في حسن الظن والمجاملة ، وذكرت ان

هذا التواضع عن كمال الرفعة قد أخرجني حتى عقد لساني ولم يبق لي الا أن أقول
إني أعد نفسي كجندي صغير مستعد في كل آن لخدمة دينه وأمنه بالاخلاص ،
وأعاهدكم امام بيت الله تعالى على اني لا أدعي الى عمل أستطيعه في خدمتهما الا
وأبذل فيه كل جهدي مادمت معتقدا أنه حق ، وانه لا يثني عن ذلك منفعة شخصية
ولا أهل ولا ولد ، فاني نشأت على العمل بما يوجه علي اعتقادي ويطمن اليه قلبي .
ثم فانا تقدمت لوداعه ، ومحاولة تقييل يده فأخذ يدي وتوجه بي الى بيت الله عز وجل من
حيث يرى من نافذة المكان وقال : أسأل رب هذا البيت ان يجمعنا ولا يجعل هذا
آخر العهد بيننا . ثم ودعت الحاضرين وانصرفت حامدا شاكرا

صفات الامير وشماله

قد آن أن أذكر في هذه الرحلة بعض ما علمته واستنبطته من صفات هذا
الامير الجليل ومزاياه التي يوافق ذكرها مقتضى الحال فأقول : انه حوى جل أخلاق ملوك
الشرق وأمراته العظما ، وانفرد بصفات ورثها من أجداده الشرفاء ، فمن ذلك قري
الضيوف واجازة الوفود ، وعزة النفس والثقة بها والاعتماد عليها ، والثبات والاصرار على
ما يأخذ به ويجري عليه فقد تنزل الجبال دونه ولا يتزلزل ، وشدة الحذر ، وسوء الظن
الذي عد من أركي الفطن ، حتى كأن نصب عينيه قول الشاعر

وأما رجل الدنيا وواحدها من لا يعمل في الدنيا على رجل -

ولذلك تراه ينظر في كل شيء من شؤونه الخاصة وشؤون البلاد العامة ، حتى
أمور المنزل وشؤون الضيوف والوفود وفقاتهم ، ومصالح البدو وصلاحهم ، وقد
أعطاه الله تعالى قوة غريبة فهو يشتغل بالنظر في ذلك كله عامه النهار ولا يشكو ملالا
ولا تعباً ، وقد كلمته في مسألة الاشتغال بالجزئيات ووجوب نوطها ببعض المال ،
وجعل وقته الثمين خاصا بالمصالح العامة والامور الكلية ، ووضع نظام لذلك ، فقال
ان هذا ضروري لا مندوحة عنه ونحن لانزال نجري على نظامنا القديم ، والتحول عنه الى
غيره لا يتأتى الا في زمن غير قصير ، قلت نعم وإنما الغرض وضع النظام له والبدء فيه
ومن أخلاقه وشماله توخي التواضع في القول والفعل ، مع المحافظة على الوقار
وأبهة الملك ، والادب العالي في مخاطبة الجليل ومجالسته ، مع الاشارة الى ما تقتضيه

الحال من معارضته ، وهو على آدابه وتواضعه شديد الرطاة على المجرمين والمخالفين السياسيين ، يأخذهم بأشد العقاب الذي يرهب كل من تحدته نفسه بأن يعمل على شاكلتهم ، لا يخاف في ذلك لومة لائم ، (ومنها) العنة والتراعة فهو مقتصد في عنته بالطيّات ، عزوف النفس عن الاتهامك في الشهوات ، (ومنها) الشجاعة والاقديام على مكافحة الاخطار ، لا يخاف الموت على نفسه ولا على ولده ، ولذلك جعل أمجاله الاربعة قوادا لجيوشه ، يكافحون المهاك بأيديهم ، ويناطحون الموت بنواصيرهم ، وهو يحب وطنه (الحجاز) حبا عظيما ، ويكرم الحفاة المرأة من أعرايه تكريما ، وطالما نوهنا بما علمنا من براعته في سياستهم وحفظ الامن بينهم ، وقد رأينا بعضي في مقابلاتهم عدة ساعات من كل تهار ، وهم يدمرون عليه بما اعتادوا من الحرية والاستقلال أما معارفه وآراؤه في السياسة والامور الاجتماعية فليس الخوض فيها من مقتضى الحال في هذا الوقت ، ولم يكن يسهل العلم بتفصيلها من الذكريات القليلة التي ذُارت بيني وبينه وان كنت كلته فيها بحرية واستقلال قلبا يكلمه بملها أحد ، لانه قليل الكلام لا يطيل المراجعة والحوار في المسائل ليعلم كنه غوره فيها ، ولكن الزمان سيبين كنه ذلك كله بما يظهر من تصرفه في شؤونها . وقد وقت منه على آراء سيكون لها أعظم شأن في سياسته (منها) بأسه من الدولة العثمانية ولولا هذا الأيسل أقدم على ما أقدم عليه ، كما أشرت الى ذلك في خطبتي السياسية بمجي بين يديه ، ثم انه كلني في هذا الموضوع بعد النزول من منى ، وعده من الامور التي عبرت فيها بالخطبة عن رأيه قبل الوقوف عليه (ومنها) انه له ثقة بالدولة البريطانية وتقديرا لقوتها وعظمتها لا حد لها ، ولا سلطان لشيء عليها ، (ومنها) ان ما شاهده من التطور والتحول في سياسة الدولة العثمانية وافضاء ذلك الى جعلها كالكرة في أيدي جمية الأنعام والترقي قد ضاعف مافي قطرته وتريبته من كراهة الآراء والافكار التي نشأ عنها ذلك الفساد ، وشدة الجذر من أصحاب أمثال هذه الآراء والافكار ، وقد ذكرت في هذه الرحلة ما كلن أعجبنى ووافقي رأيي من خطته السياسية التي أفصح عنها في منشوراته ، وأشرت الى ما طرأ بعد ذلك من التحول فيها فلا أعجبه ، ولما أقول انه جاء موافقا لما ذكرت هنا من آرائه الراسخة فظهر ان التجارب لا تزيدنا الا رسوخا وثباتا

وانني أختتم الكلام بتكرار الشكر والثناء على حسن ضيافته لي واكرامه إياي،
 قد غرني بكرمه وجوده، وكان من دقة لطفه وكلال ذوقه في ذلك أن جعله بطريقة
 لا مجال للاعتذار عن قبول شيء منه ، وقد كنت قلت أول مقدمي لبعض المقرين
 منه كلاما عن عادتي التي شرحتها في المئزر عند رحلي الى الهند ، وهي انني لا أقبل
 أن تشاب خدمتي لعلم والملة والامة بشيء من شوائب المنافع الشخصية، حتى انني
 كنت أعلن في تلك الرحلة انني لا أقبل الهدية.. ورجوت أن يتلطف في تبليغ ذلك
 وان أدري أفضل أم لا ، ولكنتي بعد شد الرحال وعند ارادة الركوب وصلت
 الي جاتزة منية ، أوهدية هاشمية ، أردت أن أكلم من جاء بها في شأنها فقال
 هكذا أمرت وأنا لا أعلم شيئا الا انني هبذ مأمورا مني سيدنا فنفذت أمره وانصرف،
 فعببت من هذا اللطف الدقيق ، والذوق السليم ،

طواف الوداع وتوديع الاخوان

في أثناء اشتغال وكيل الحرج وأهوانه بشد الرحال، خلفت أنا ومن معي الال
 والصحب طواف الوداع ، وكان ذلك بعد العصر ، وكنا قصدا ان نركب في
 ذلك الوقت ، ولكن لم ييسر لنا الركوب الا بعد قرب غروب الشمس ، وودعنا
 قبل الخروج كثير من الاخوان والمحبين ، وركبنا وركب معنا بعض الاصدقاء
 مشيعين ، وفي مقدمتهم السيد الزاوي الكبير ونجله السيد عبد الرحمن والشيخ
 حسين باسلامه ومطوفنا ونجله ، وخرج معهم الاخ الرفيق الشيخ خالد ، أما سائر
 الرفاق والاهل فقد ركبوا في الشقادف من أول الامر ، وأما أنا فركبت البغلة
 التي أرسلت الي من الاصطبل الهاشمي مع اثنين حجاب الامير مشيا أمامي
 بملابسهما الرسمية، حتى اذا ما خرجنا من مكة المكرمة وبلغنا المكان المعروف بقهوة
 الملم — وقد ذكرناه في الكلام على دخولنا مكة حرسها الله تعالى — ألفينا هناك
 صاحب السيادة الشريف شرف حاكم مكة (القائم مقام الامير فيها) بالانتظار
 مع بعض رجاله وقد أفتد للتوديع من قبل الحضرة الهاشمية نائباً عنها ، وعلينا انه
 خرج منذ وقت العصر لانه هو الوقت الذي عين لخروجنا ولم ييسر لنا الخروج فيه
 ففرزنا وجلسنا معه قليلا واعتذرنا له عن تأخيرنا وشكرنا له هذا الانتظار الطويل ،

ثم صلينا المغرب مع المودعين جماعة وأتبتها أنا والرفيقان بالشاء مجموعة مهاجم
تقدم ، ثم ودعنا السادة المشيعين ، وركبنا الرواحل وسرنا باسم الله قاطنين ، والحمد
لله رب العالمين

ذيل لمباحث الحج في الصدقات وقراء الحرم

اتمني عند توديع السيد الزاوي قلت له قد بقي معي في الكيس خمسة عشر جنيها
انكليزيا من النقود المخصصة للصدقة في الحرم لم ييسر لي اقتافها فانا أؤكلك في
في توزيعها على المستحقين ، من أهل الصلاح والمروءة الصنفين ، وأعطيت إياها
فأرسل الي بعد عودتي الى مصر ورقة فيها أسماء من صرفها لهم ، ومقدار ما أعطى
كلا منهم ، وعليها أختامهم . وهذه المناسبة قول كلمة في قراء الحرم والصدقة فيه
وفي غيره وما يتعلق بذلك كبث السؤال

ان الفقراء المتسولين أول من يستقبل الحاج قبل دخول مكة وأخير من
يشيهم عند الخروج منها عائدين الى بلادهم ، وكذلك شأنهم عند الخروج من مكة
الى منى فمرقات وعند العودة من منى بعد قضاء أيامها . وأكثروا المتسولين
من صفار الصبيان والبنات ، يقل فيهم المراهقون والمراهقات ، فترامهم يحيطون
بالحجاج من كل جانب ، رافعين أيديهم الى مقدم المودع ، وألنتهم تكرر الادعية
المناسبة للاوقات ، فيذكرون في أديعتهم قبل دخول مكة وعند الخروج الى عرفة
أداء الحج وقبوله والعودة بالسلامة ، وبعد الحج زيارة النبي (ص) والوقوف بشياك
حجرته الطاهرة ، ومنهم من يربط كوزا من الزنك ونحوه بطرف خشبة كالعصا
ويرفها حتى تكون بين يدي الراكب فيكون ما يوضع في كل كوز خالصا لحامله ،
وأما الصفار الذين لا يحملون هذه الكيوزان فابرضخ لهم برمي على الأرض فيسبقون
لائمة مقلده فيكون حظ التشيط القوي منهم أضعاف حظ الحامل والضعيف ،

السؤال محرم في الاسلام لاتباعه الا الحاجة الشديدة أو الضرورة التي تبيح
كثيرا من المحظورات كما كل الميتة ولم التحزير ، لانه ذل يدعو اليه التكل وحسب
البطالة والاعتكال على أوساخ الناس ، والضرورات عوارض تمرض لبعض الناس
أحيانا وهي تقدر بقدرها شرعا ، وليس من شأنها أن تكون ملازمة للكثيرين من

الأصحاء القادرين على الكسب بحيث تباع لهم أن يحملوا السؤال حرفة يكون عليها مدار رزقهم، كما هو شأن أكثر السائلين في كل البلاد، بل يكون بعض هؤلاء غنيا شرعا تجب عليه الزكاة، وقد ينازل السائمة والعقار، وإذا كان السؤال لغير ضرورة ممصية محرمة وكانت الاعانة على المصيبة ممصية فعلى المسلم السارف باحكام الاسلام أن لا يرضخ بشيء. لمن يعلم من حاله أنه قد اتخذ السؤال حرفة له، ولا لمن يعلم أيضا أنه غير مضطر الى ما يسأله، بأن كان يمكنه أن يستغني عنه، والمجهول حاله في ذلك موضع تردد ونظر، وأما من يعلم الانسان أو يظن من حاله أنه يسأل عن ضرورة ولاغنى له عما يسأله ولا وصول له اليه بغير السؤال فلا مندوحة للواجد عن مواساته والرضوخ له من مال الله تعالى، وقد يصل ذلك الى درجة الوجوب، كأن تعلم أن فلانا مضطر ولا يعلم بحاله أحد يرجى أن يزيل اضطرابه سواك وأنت قادر على ذلك، ومثل هذه الصورة تقع للأفراد القليلين وقلما تقع للكثير من الناس الا في أزمئة المجاعات العامة

انني قلما أعطي أحدا من السائلين الكثيرين في الشوارع بمصر، ولما رأيت هؤلاء السائلين خارج مكة عند قدومي اليها - وأنال أنس ما كان بلغنا ونحن في مصر من خبر المسرة والضيق في الحجاز وما سمعته مؤكدا لذلك في جدة - وجدته متدفعا لاعطاء كل من سأله، ولما قد ما كان في كيسى من الدراهم المدة لتفقة الطريق من جدة الى مكة أذنت الرفيق الذي صحبني من جدة بأن يعطيني يعلم انه لم يأخذ مني ويحصى ما يتفقه لارده له بعد الاجتماع بالآكل الذين كانوا يحملون فقتنا في رحالهم. وكنت أردت أن أجري على هذه الطريقة مع السائلين في الحرم الشريف، ثم صدني عن ذلك انهم صاروا يجتمعون علي بكثرة عند الدخول ويحيطون بي بحيث يتعذر توزيع ما في اليد أو الجيب عليهم فكنت أنثره على بعد فيتركونني ويتهاقنون، عليه ثم تركت ذلك لما فيه من المشقة والشهرة ورأيت الراحة في الاخفاء. ولكن رفيقي محمد نجيب أفندي ظل يتحمل التعب والعناء في توزيع الصدقة على هؤلاء المتسولين في داخل الحرم وخارجه وله صبر طويل على ذلك. ومن غريب ما رأينا من دلائل البؤس والجوع في الفقراء الملازمين للحرم ان بعض

الناس جاء بشي* من الحبوب لحمام الحرم فاختطفوه وصار بعض السودانيين من الدكرور يأخذون منه ويضعونه في أفواههم ويصغفونه متغذين به كالذئاب . وقد جرينا نحن على عادة الناس بالرضخ بالقليل الواحد من هؤلاء التسولين بحيث كان صرف الجنيه الواحد يوزع على المئة أو المئتين منهم ، وإنما تطيب النفس بما هو أكثر من ذلك للذين تعرضون ولا يسألون ، والذين اذا سألوا يتجولون ولا يلحظون ، وإنما ذكرنا هذا البحث وما وقع لنا من التجربة فيه ليستفيد منه غير العالم بما ذكرنا من الاحكام ، وغير الواقف على ما وقفنا عليه من التجارب ، ونسأل الله أن لا يجعل فيه شيئا من الرياء وشهوة الشهرة ، على أن صدقتا بما بيني أن يستحيا من ذكره فهي والحق يقال دون ما أنتم الله به علينا ، وما من أحد يحج إيماناً واحتراباً الا ويتصدق في الحج بحسب سمته لان الاعمال الصالحة يضاعف أجرها في ذلك الزمان وذلك المكان ، ومنهم من ينفقون هنالك فوق جميع ما تملك من المال ، ولكن المتصدق العالم المخلص يبعد عنا عظميا في تحري المستحقين الصادقين ، من أهل الايمان واليقين ، والصلاح في الدين ، يجد هذا العناء في وطنه الذي يقيم فيه فكيف حاله في بلد يجهل حال أهليه ، وقد كثر الكفر والابتداع في الارض ، وظهر الصادق البر والبحر ؟ وليس هذا محل شرح هذه المسألة بالاسباب ، وقد المنا بها من قبل في المنار

القول من مكة الى جدة

اتنا لما ودعنا المشيعين الكرام وامتطينا الرواحل اخترت ان يكون محمد أفندي هو صاحب الجنب لي ، وان يركب وكيل المخرج مع الاستاذ الشيخ خالد ، وكان المناسب أن يركب الاستاذ معي لما بيننا من التعادل والتوازن في الجسم ، وطول الصحة مع التوافق في الترية والرأي ، فإتنا تمارفنا من أوائل العهد بمقدمي الى مصر ، ولا أزال أهدي اليه المنار من ذلك العهد الى اليوم ، ولا أرى منه الا الوفاق والثناء والشكر ، وإنما اخترت الفرق في الرواحل لثلاثة أسباب ترجع ما ذكرت من الجامعتين الجسمية والروحية بيننا (أحدها) ان في تفرقتا عدلا بين الراحتين في التخفيف عليهما ، لان تعادلتا في الجسامة ، يقابله تعادل صاحبينا في النعافة ، (ثانيها) ان كلا منا يحتاج الى خدمة رفيقة في الراحة ، ومحمد أفندي يرغب في

(المنار : ج ٨) (٤٦) (المجلد العشرون)

خدمتي لاني استاذ في الدين ، فلا يبقى لخدمة الاستاذ الا وكيل المخرج (ثالثا)
ان صاحبي أجدر بالاستفادة مني لانه اعتاد منذ كان تلميذا الرجوع الي في أمور دينه ،
فصرت لملي بشؤونه أقدر على اتادته وإقائه في أمره ، وصاحب الاستاذ أجدر
بالاستفادة منه لانه ما قى مشتتلا بوعظ العوام وارشادهم ، وقد حبل بيني وبين
ذلك في مصر فلم يقع لي فيها الا مرارا قليلة في السنين الاولى من هجرتي ، وأما
في هذه السنين الاخيرة فلم يأخذ مني فيها الا بعض المدرسين وأذكاء طلاب
العلم ، وكان من لوازم هذه القسة بيني وبين صديقي اني كنت أحسن حفظا
منه إذ كان صاحبي من الاتقياء المتعلمين في مدارس الحكومة حتى العالية فيها ،
الطارفين بأخلق الناس وشؤونهم بطول اختباره وتجاربه في خدمة الحكومة المصرية ،
وصاحبه من العوام ، على انه كان يمكنه ان يستفيد من اختباره لشؤون الحجاز
وأصناف الحجاج ما لا يعرف الا من أمثاله المتمرسين بهذا الامر

سرنا منفردين ليس معارفق من المصريين ولا غيرهم ممن نعرف ، ولكننا
وجدنا في الطريق عددا ليس بقليل من حجاج المغاربة منهم المشاة والركبان ، وقد
بلغنا بحرة في وقت السحر فرستنا فيها ^(١) وكان الجوع قد بلغ منا لانا لم نتعش
قبل خروجنا من مكة فأكلنا مما حملنا من الزاد ، وكان جله من لحم خروف أهداء الي
بعض المحبين لم نرمثله في طراوة لحمه ولينه ودسمه ، لاني الحجاز ولا في غيره ، وهو ليس من
ضأن الحجاز . ثم معنا قليلا إذ استيقظنا بعد طلوع الفجر فأدركنا صلاته بفضل الله تعالى
لم أر من بحرة في إمامي بها ليلا قادما من جدة الى مكة الا ما على جانبي الطريق
العام من المنازل التي يسمونها القهاوي وهي خاصة بالرجال ، وأكثر من ينزل فيها
الرجال الذين لا يستقنون عما فيها من الطعام وشراب الشاي والقهوة وما يحتاجون
اليه من الخدمة ، أو الذين يريدون الاستراحة قليلا وان كان معهم كل ما يحتاجون
اليه ، وكنت حينئذ من هذا الفريق كما تقدم ، وفي هذه المرة نزلنا في المنازل التي
يسمونها المشش وهي وراء تلك القهوات ، وقد رأيتها فوق ما كنت أحسب — رأيتها
دورا في كل دار بيوت من العبدان ويدت خلاها حائط منها يفصلها عن غيرها

(١) التمرس نزول المسافرين في آخر الليل للاستراحة

من الدور بحيث يكون النساء في كل منها في ستر تام غير مرضات لأعين أهل الدور المجاورة لها ، نزلت مع الوالدة والشقيقة في دار ، ونزل رفاقنا في دار مجانبها ، ومكثنا هنالك إلى ضحوة النهار ، وقد نفذ ماحلتنا من مكة من الماء ، فجاءنا وكيل المخرج ، كدر غير عذب ، فسألناه ألا يوجد ماء قبي عذب في هذه الأرض ؟ قل بلى ولكنه خال لا يكفي لملا . ما معاً من أواني الشرب أقل من ريال ، فأمرناه بأن يأتينا بقدر الكفاية منه ، فجاءنا ماء لا يفضل الا بمضاعفة ثمنه ، فكانت هذه كبرى سيئاته ، جعلها خاتمة لخدمته ، فكانت سبب حرمانه مما كنت أنوي أن أجعله علاوة له على الاجرة الوافة التي خصصها له الأمير ، وما كان يصيبه كل يوم بعد كفايته وكفاية أهله من فضل النفقة المينة ، وما أخذه من ذليخ نسكنا التي وكلته بالتصرف فيها ، وقد سبق له مثل هذه الشيئة من قبل ، جانا ماء كدر لولا أن تداركنا أنفسنا بالبحث عن ماء قبي وقتنا له لما سلم أحد منا من مرض التربة الشعبية التي ظهرت أعراضها في بعضنا ، ولكنا غفرتنا له تلك . وأما هذه فلم نستطع تداركها ، وسوء الخاتمة لا ينفر قسالة تعالى أن يحسن خاتمتنا .

هذا وإنا قد قاسينا من الظم في بقية يومنا وطامة ليلتنا بين بحرة وجدة مالم نعرفه نظيراً في تاريخ حياتنا ، فكان نبل أفواهنا من ذلك الماء عند الضرورة ، وحاولت الاستغناء عنه بمص رب السوس فلم يفي شئنا . وفي هذه الحالة تذكرت ما كنت عازماً على استصحابه من مصرفائيه الشيطان وهو السكر اليموني أي المزوج بحامض الليمون ، فأوصي كل مسافر إلى تلك البلاد وأمثالها أن يحمل معه شيئاً منه وصلنا إلى جدة قبيل الفجر قزلاً في دار صديقنا الشيخ محمد أندي نصيف وكيل الامارة الجبلية وقد نمنا بعد صلاة الفجر ساعات قليلة ، وبعد الاستيقاظ طلبت ماء سخناً للاستحمام فاحتسلت وغبرت ثياب الطريق وعلنا ان أكثر الحجاج المصريين نزلوا إلى السفينتين اللتين جاءوا فيهما فبقناهم وزودنا صديقنا بأحسن الزاد ، ونزل معناهم وبعض الاصدقاء في زورق البلدية البخاري إلى سفينتنا التي جئنا فيها (النجيلة) مشيعين ، وكان هذا آخر عهدنا بأرض الحجاز ، فسأل الله تعالى أن يمن علينا بالسودة اليها مراراً كثيرة حايين ومعتبرين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصائب الحرب

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ
الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

يشغل بأعمال هذه الحرب — حرب المدينة — عشرات ألوف الألوف من الرجال ومئات الألوف من النساء. كان أكثرهم يشغل بأعمال الزراعة والصناعة والتجارة فيكثرون من تاج الأرض ، ومن ايصال حاج بعض الناس الى بعض ، فيعم به الرخاء وغضارة العيش ، ويزداد المال في أيدي الناس ، وقد قدر عدد قتلى المعارك في أربع سنين بعشرة آلاف و عدد المشوهين من الجراح بخمسة وعشرين أو ٣٠ ألف ألف وحل محلهم مثلهم أو أكثر منهم ، فتضاعفت خسارة البشر بالحرمان من فوائد أعمالهم ، فنقصت الاموال والثمرات بنقص الانفس ، ثم بهلاك الكثير منهما ومن الانفس بحرب الغوامات التي ابتدعتها مبتدعة أكثر رزايا التدبير والقتيل — ألمانية — قد رقت صناعة هذه السفن النواصة حتى صارت تحمل المدافع ، وتقطع نحت الماء ألوقا من الاميال والفراسخ ، وحيثما التقت بسفينة تحمل عروض التجارة ، أو تنقل الناس من بلد الى آخر ، أرسلت عليها وابلا من قذائف المدافع أو سهامها من الطوريل ، فجعلتها كهصف مأكل ، لاتفرق بين سفن المحاربين وسفن الامم التي على الحياذ ، ولا بين حاملة الجنود وعدد الحرب وحاملة العروض وأهل السلم من الرجال والنساء والاولاد ، أرادت بذلك أن تحرم انكسرتة وأحلافها من ثمرات سيادة البحار ، بعد ان شدد هؤلاء عليها خناق الحصار ، فأذت الامم كلها ، وأكثرت من عدد أعدائها

كانت جوائح الغوامات سببا في اشتداد الضيق وامتداد الغلاء الفاحش الى جميع أقطار الأرض. وقد كان هذا القطر المصري في السنتين الاولى والثانية من سني الحرب أقل الاقطار غلاء وأكثرها رخاء لان أرضه زراعية خصبة يمكنها أن تنتج من الاقوات ما يزيد عن حاجة أهلها وكان المحزون فيه مما يرد اليه من الخارج كالفتح

الحجري والانسجة والمواد والادوات اللازمة للزراعة والصناعة كثير او ثمنه معتدلا وقد غلات من القطن منذ السنة الثانية فربحت البلاد عشرات من الملايين قضت منها كثير من ديونها . فلما اشتد حرب الغواصات قل كل ما يرد من الخارج وتضاعفت آمانه أضماقا ، وتبع ذلك غلا غلات البلاد ومواردها حتى بلغ ثمن اردب القمح في الشتاء الماضي خمسة جنيهات ، ويبيع الآن الرطل المصري من السمن بأربعة عشر قرشا وخمسة عشر ، وبلغ ثمن أقة زيت الزيتون أربعين قرشا فصار مساويا للسمن بعد اشتداد غلا السمن وكان قد زاد عنه الا أنه قد ورد منه أخيرا على الاسكندرية عدة قناطر من كريت فنزل الثمن قليلا . ورطل القمح البلدي يباع في القاهرة بمائة وتسعة قروش ، وأقة العنب يبع بأربعة قروش وخمسة فنته ، وقس عليه سائر الفاكهة وقد سمرت الحكومة المصرية أكثر مواد الغذاء ، فكان تسعيرها اياها صيا لزيادة الغلاء ، ولم تر أهل هذه البلاد اتفقوا على مخالفة الحكومة وعدم الاكتراث لها بشي . كما فعلوا في تسعير الاقوات . فن الثابت انها لم تنقص من ثمن شي . الا وزادوا فيه عما كانوا يبيعونه به قبل تسعيرها اياه ، اللهم الا زيت البترول فهو الذي استطاعت الحكومة أن تفعلا أمرها فيه تنفيذا مطردا . وقد كان ثمن رطل القمح قبل تسعيره ٦ قروش أو ٦ ونصف قرش فلما فرضتها الحكومة الى هذا القدر ارتقى سعره كما علمت . وكان ثمن رطل السمن ٩ فصار بعد جعلها اياه نحو ما من ذلك بزها ضعفيه . وكان ثمن أقة زيت القطن المكرر ثمن رطل السمن فصار شأنه شأن السمن في التسعير والغلاء . وقس على ذلك سائر الاشياء وأما ما يرد الى القطر من الخارج فقد تضاعفت آمانه الى ماشاء أطاع تجاره التي لاحد لها ، فضاعف ربهم وعظمت ثروتهم ، وكلما غلوا في الغلاء ، غلا أهل الفنع والثراء في الكراء ، وقد بلغنا ان أغنى أم الارض من الادريين والامريكين ترك موسروها في أثناء هذه الحرب جميع ما يمد في العرف من الكاليات ، واكفى الاغنياء منهم بالحاجيات ، ومن دونهم بالضروريات ، حتى ترك أكثرهم شرب الخمر التي كان بعضهم يمدوا ضرورية ، وكسدت عذم تجارة الترف والزينة وشذ اغنياء هذا القطر ، فاشتد تبارهم في اتخاذ الجملي والحلل ، وتنافسهم في الاثاث والرياش ، وأرهق من دونهم من أهل الطبقة الوسطى عسرا ، فقلأله تعالى أن يجعل لهم مع هذا العسر يسرا .

تقريظ المطبوعات الجديدة

ان الاضطراب الى قليل صحائف المنار على كثرة مواده دون تقريظ المطبوعات الجديدة في هذه السنة وما قبلها ، أو التنويه بذكرها للإعلام بها ، وذلك حق لأصحابها على من يهدونها اليهم من أصحاب الصحف الدورية حق العرف ، وأوجه التمايز على نشر العلم ، وقراء هذه الصحف من الحق على أصحابها أن يعلموا بما يتجدد في صناعة المطبوعات ، من الصحف والمصنفات ، ويبنوا لهم قيمتها المعنوية قبل بيان قيمتها المالية ، بالتقريظ الصحيح ، والتقد الزيه ، وانا نحب أن تؤدي الحقيق ، ونقوم بواجب النصح للفرقيين ، ولكن يتعذر علينا تارة وبتمسرة قراءة ما يهدي اليها من هذه المطبوعات أو قراءة طائفة من كل منها ، تكفي لصحة الحكم في أمرها ، ولا نحب أن نكون كمن ينظر في فهرس الكتاب فيختار منه ما يظن أن فيه ثميراً أو خطأ فيراجعه وينتقد منه ما يراه محلاً للانتقاد ، أو يختار موضعاً يوافق رأيه فينتقله ويخصه بالثناء ، ولا كمن يقي على كل كتاب يهدي اليه ثناءً مجحلاً ، أو ينشر ما يراه اليه صاحب الكتاب اطراء مفصلاً وخبر من هذا وذلك أن يعرف صاحب الصحيفة بالكتاب تعريفاً تاريخياً بذكره وذكر اسمه واسم مؤلفه وموضوعه ووصف حجمه وورقه وطبعه ، وهو ما نجري عليه أحياناً ، وقد نزيد عليه بيان قيمته المعنوية أحياناً ، وان من الكتب ما يعرف بالجهور قدره في الجملة بمجرد ذكره أو وصفه . وانا نراجم الآن ما أهدي اليها في هذه المدة ونذكر ما يقع في يدنا منه فيما بقي من أجزاء منار هذا المجلد

﴿ جرجي زيدان ١٨٦٦-١٩١٤ ﴾ « ترجمة حياته ، رأيي الشمر » والكتاب حفلات التأبين ، أقوال الجرائد والمجلات في الرجل وآثاره » نشر هذا الكتاب اميل افندي زيدان نجل جرجي بك زيدان وورث الهلأل من بعده مؤلفاً من ص ١٤٧ بحجم الهلأل مطبوعاً بمطبعة الهلأل في سنة ١٩١٥ وهذا الكتاب يستغن عن الوصف والتقريظ

﴿ مبادئ علم السياسة ﴾ كتاب لمحمد سليم افندي عبد الواحد الكاتب

المشهور من بعض الكتب الانكليزية لمجلة الهلال فطبعت بمطبعتها في سنة ١٩١٥ وجعلته ملحقاً للغة الثالثة والعشرين من مجلة الهلال . وهو ثلاثة أقسام (أولاً) في الدولة - حقيقتاً ونشوتها وسلطانها وصلتها بغيرها وأنواع الدول في القديم والحديث (ثانياً) نظام الحكومة - سلطانها بأنواعها وأنظمتها وسياساتها وأدائها وأحزابها وغير ذلك (ثالثاً) الحكومة والاجتماع، وفيه ذكر المذاهب الفردية والاشتراكية والانظمة الحاضرة . أما حاجة اللغة العربية الى مثل هذا الكتاب فشيء لا يحتاج الى ذكر . يهتمون بالامور السياسية وقلة ما في اللغة من موادها . وأما طبع الكتاب فنظيف وورقه جيد ، وصفحاته ١٣٠ بشكل المنار والهلال

﴿ خلق المرأة ﴾ كتاب ألفه بالفرنسية هنري ماريون الذي كان أستاذاً في كلية الآداب بباريس وترجمه بالعربية اميل افندي زيدان صاحب الهلال وجعله ملحقاً للغة السادسة والعشرين . وقد طالعته كله فألفت كاتبة من أعدل الكتاب لاوريين في هذا الموضوع ، وأرجو أن أكتب شيئاً في بيان ما استفدته منه ، وقد طبع بمطبعة الهلال طبعاً حسناً ولكن على ورق غير جيد - والمذرة الورق وكثرة الثمن - وصفحاته ١١٩

﴿ الصبي - بحث في الاخلاق والتربية في قالب روائي ﴾

كتاب الفته فتاة انكليزية اسما (ماري كورلي) وعني بترجمته بالعربية عبد العزيز افندي صدقي من موظفي وزارة المعارف والتزم طبعه نجيب افندي متري صاحب مطبعة المعارف وقد طبع الجزء الاول منه في العام الماضي في ١٢٨ صفحة أما المترجم فشاب نبيه يتوخى أن ينفع بلاده بما يترجم وليس ممن لاهم لهم من الترجمة أو التأليف الا الكسب فيختارون ما يلد للجمهور لا ما ينفعه ، وعبارته حسنة ولكن فيها ما فيها من ضعف أساليب الجرائد وغلطها ، وذلك ما يعز أن يسلم منه كاتب عصري ، وهو على ما أعلن غير مغرور بها على علمه بأنها تفضل عبارات أكثر مترجمي القصص التي تنشر في هذه الايام، بل يحب التوقي والكمال في الترجمة والانشاء ، ولا طريق لذلك الا عرض ما يترجم وينشئ لقد بعض علماء اللغة والادب ومتأنقي الكتاب قبل نشره أو بعده ولو بالجميل والجزاء

وأما غرضه من ترجمة هذه القصة فقد بينه في مقدمتها وهو إكمال ما يتقص البلاد من القصص الجديدة الجامعة بين أمة المطالعة والقائدة النافعة في تربية الأسرة وقد شرح ذلك شرحاً جليلاً في صفحتين ونصف صفحة

تصفحت هذا الجزء فألفيته مفيداً كما قال المترجم ولكن البلاد ليست فارغة خالية من مثله كما ادعى ، كيف وقد طبع فيها كتاب (التربية الاستقلالية) مرتين وأوشكت نسخ الطبعة الأخيرة أن تنفذ ، وهو إذا قوبل بما ظهر من كتاب (الصبي) يظهر أنه أعم فائدة وأفضل ، وأسلم من لغو القصص وأبعد ، وبما أعجبني من الفوائد التي انفرد بها كتاب الصبي أو خالف فيها غيره بيان كراهة الشعب الإنكليزي لتعليم أولاده وتربيتهم في مدارس أجنبية. فإن مؤلف كتاب التربية الاستقلالية (اميل القرن التاسع عشر) — وهو فرنسي — قد استحسّن أن يربّي الطفل الفرنسي في البلاد الإنكليزية لأن التربية فيها أفضل ، وأن يعلم ويربّي في بلاده إذا صار بالغاً ، لينشأ فرنسياً وطنياً صادقاً ، ثم يكمل علومه في البلاد الألمانية ، لأن العلوم المالية أرقى فيها وأكثر . وأما مؤلف كتاب الصبي أو قصته فهي تقول في التعليم في المدارس الأجنبية ما قال مالك في الحز ، وتحملها أدهى من الساعة وأمر ، فقد ذكرت أن أم (الصبي) الجاهلة ، التي جعلتها مثلاً للتربية الفاسدة قد اختارت له مدرسة أجنبية ، تعلم فيها من اللغات والعلوم العقلية والجسمية ما يؤهلها لكل عمل في الحياة ، على قلة الاجرة والنفقات ، ثم ذكرت أن الصبي ارتاع لهذا الاختيار الذي يخرج به عن كونه إنكليزياً ، واذن وجدانه يحدثه أن المدارس الأجنبية تبدل جنسيته وأخلاقه ، ثم قالت إن الصبي ذكر ذلك لشيخ كبير مخبر يعرف البلاد الأجنبية فحذره من ذلك ، وأنذره سوء عاقبته بقوله : إن المدارس الأجنبية لا تخرج إنكليزياً مطلقاً ، إنك تذهب إلى الخارج شاباً ظريفاً مؤدباً كما أنت الآن ، ولكنك لا تعود بذلك الصفات ، ستعود وقد تعلمت الكذب والنفاق والخدعة ، فمقد ما تتحدث تهق كالخمر ، وعند ما تسيّر تفقر كالضفادع ، وسوف تخاف من الماء البارد . ولا يمكن الناظر إلى وجهك أن يقول إنك إنسان حي ، إنك أجنبي مدسّخ حقير ، هذا ما ستكونه . اهـ

أولئك الذين هدام الله ديارهم هم أولئك الذين يستهينون بالقول فينبذون آياته

الملك

١٣١٥

يؤمن الملكة من بيتاء ومن يؤمن الملكة الملكة

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صرى و «منارا» كثر الطريق

٣٠ شوال ١٣٣٦ — ١٤ الأسد (ص ٢) ١٢٩٦ هـ ش ٧ يوليو ١٩١٨

رد المنار

على الناقد لذكرى المولد النبوي (١)

لما وصل إلينا هذا القدر في بريد الشرق الأقصى كان أول ما خطر في بالنا قبل أن نقرأه أنه يجب علينا إذا وجدناه كله أو جله صحيحاً أن نشهد لصديقنا الناقد بالتدقيق والتحقيق وأنه برز فيهما علماء مصر وغير مصر من البلاد الإسلامية التي أطلم كثير من علمائها على كتاب (ذكرى المولد النبوي) فلم يروا فيه بعض ما رآه هو من الخطأ، ثم قرأنا النقد فرأينا أكثره خطأ محضاً، وأقله له وجه أو شبهة، وهانحن أولاً نبين ذلك بما يحتمله المقام من التفصيل، مع اتقاء ما يمل من التلوويل (الموضع الاول - تأليف الكتاب هل هو بدعة)

قد غفل الناقد عما حررناه في المقدمة من كون البدعة في احتفال المولد اتماماً لمجموع ما يعمل الناس من خلط العبادات الدينية باحتفالات الزينة واللهو - الخ ما ذكر في صفحة ١ من المقدمة، وقد صرحنا فيها بأن قراءة قصة المولد هجاءة عن قراءة شيء من الحديث والسيرة النبوية لا ينكر منها الا جعلها من السمات الدينية الموهمة انهما مشروعة أي بالتوقيت والاجتماع وغير ذلك. فنفل عن ذلك وجعل هذا العمل العلمي المفرد، عين ذلك المجموع المركب، ومن المجيب انه ادعى اننا ختمنا كل فصل من ذكرى ناولد بمآله الصلاة البتراء. غافلاً عن كون أهم فصوله وهو فصل تبليغ الدعوة لم يختم بصلاة بتراء ولا غير بتراء، وكذلك فصل مناهضة الدعوة، والجلاء الرسول (ص) الى المهجرة، ومثلها الخاتمة

أما قولنا في آخر تلك الصفحة انني كنت اتمامي كتابة قصة للمولد لما ذكرت من الاسباب الثلاث فهو حكاية عن رأيي في هذه المسألة في السنين الحالية، وأما

(١) يحسن أن يراجع النقد في الجزء الثامن عند كل موضع من المواضع

ما أنفذته إثر ما كان من المداكرة بيني وبين البكري فهو ما ترجع عندي به ذلك وهو كتابة مصنف وجيز في خلاصة تاريخ المصطفى (ص) وسيرته، وحقبة دعوته، وكليات دينه وشريعته، يكون دعوة إلى الاسلام، وردًا لما فشا في قصص الموالد من الابطال والاهام، وأن أنشره مع بيان ما به تكون قراءته فريضة أو فضيلة محمودة، وما يكون به بدعة مذمومة، فتكون بذلك فوائد نشره، صاعقة، وأنا أعتقد أن هذا العمل واجب شرها ولو فصلت أدتي على ذلك لما خفيت على أحد ولكن لأحاجة إلى هذا التفصيل

على أن آخر عبارة الناقد لهذا الموضع تفيد اجازة هذا التأليف ونشره في المنار، إذ حضرت النقد في طبعه منفردا ونظم فصوله بالصلاة النبوة، ويعني بها ما ترك فيها الصلاة على الآل، لانه فيما يظهر ينكر ذلك وبراه بدعة محظورة، ويلتزم قرن الصلاة على النبي (ص) بالصلاة على الآل ولو فيما ينقله عن غيره كما يراه قراء قدده فيما نقله عن ذكرى المولود، وهذا من التحريف في النقل ولا يخفى حكمه. ونحن لا نترك الصلاة على الآل تبعاً للصلاة على النبي (ص) ومشروعة في الصلاة مركزاً في خارجها، ونحن نفعلها في التشهد من الصلوات دائماً وفي غيره أحياناً، ولم يقم عندنا دليل على التزامها ولم يصح عندنا نقل عن السلف من الصحابة وعلماء التابعين ولا أئمة آل البيت بذلك، وإنما تلتزمهم افرقة الشيعة وقليل من غيرهم، والزامها أقرب إلى البدعة من تركه، لان الاصل في البدعة مخالفة ما كان عليه أهل الصدر الاول بشرطه، وأما طبع الكتاب وحده فهو كطبعه في المنار، والناقد نفسه يقترح أن يطبع مرة أخرى يراعى فيها ما رأى تنقيحه في قدده كما تقدم أنها

(الموضع الثاني - الفرق بين الامتياز وما به الاصطفا)

سألنا في الكتاب: كيف كان اصطفا الله تعالى لتلك البطون من العرب، وبم امتازوا على غيرهم حتى كانت أمتهم بهم أفضل الامم، وأشد استعداداً لتلك الاصلاح الكامل العام، الذي جاء به صفوة البشر منهم عليه أفضل الصلاة والسلام، وأجبتنا عن ذلك بما شهدت به التواريخ العامة من امتياز الامة العربية على سائر الامم من بدء التاريخ إلى عصر الاصلاح الاعظم بالبعثة المحمدية، وبما عرف في تاريخ العرب

أنفسهم من امتياز كنانة فيهم وامتياز قريش في آل كنانة وامتياز بني هاشم في قريش - فعلم بهذا أن اصطفاة كل بطن منهم كان بما امتاز به من المزايا والصفات والاحوال التي كان عليها ، وأن ذلك كان إحدادا لهم ، لجمل صفوة الاصفياء في خبر بطن منهم ، ولقيامهم بدعونه ، ونشرهم لهدياته ، ولم يتأمل الناقد ذلك فوقع فيما وقع فيه مما لم يخطر لغيره من الكتاب وعلماء اللغة عندنا يال ، إذ لم يفتن لكون ما به الامتياز هو سبب الاصطفاة أو نفس الاصطفاة .

(الموضع الثالث - انكار عطف واقتراح آخر)

أنكر الناقد علينا في جملة « كانت الامم مرهقة بالاثرة والانانية والانين من قبل الضرائب » من الصفحة الخامسة ان عطف الانين على الاثرة غير صحيح أو غير واضح وقترح حذفه أو وضع فعل الانين المضارع موضع المصدر ، قال ليصح العطف أوليكون أوضح ، وقول ان لانكاره دون اقتراحه وجها وجيها ولكنه لم يبينه ، وهو ان الباء في قولنا « بالاثرة » للسببية أو الآلة وكل من الاثرة والانانية سبب للرهق الذي أرهقته تلك الامم أو آلة له ، وأما الانين فهو أثر السبب أو الآلة وليس منه ، ولوجه ان يقال « تأن » بضم عطف

(الموضع الرابع - أما وجوبها)

يتناولوه اصطفاة كنانة وقريش وبني هاشم على غيرهم من العرب بأسلوب أما وأما - فانكر الناقد ذلك في كنانة بجمله هنا خلاف الاولى ، زاعما ان الاولى حذف أما وجوبها ، وبدء الكلام هكذا : اصطفاة الله لكنانة يعلم مما كانت تحفظه العرب الخ ولم يبين وجه هذه الاولوية فدعها الى القراء يحكمون فيها بينهم وذوقهم (الموضع الخامس - ندوة قريش ورايتها « العقاب »)

زعم الناقد اننا في هاشم الصفحة الثامنة فسرنا الندوة بالشورى وخصصناها بإجابة الرأي للاتهام بالنبي (ص) بعد البعثة ، وإن المعروف ما ذكرناه عنها في صلب الكتاب ، وقد فهم ذلك من قولنا « التي اجتمعوا فيها بعد البعثة الملتباز به (ص) » ، وبديهي أن وصفها بذلك لا يدل على ما فهمه من التخصيص وإنما تلك غفلة ظاهرة منه . وأما انكاره قولنا ان العقاب راية قريش وقوله ان المعروف انها راية النبي

(ص) كما في القاموس، فما كان له ان يرسله بدون مراجعة لكتب التاريخ والحديث اذ كلمة القاموس وحدها لا تكفي للفصل في مثل هذه المسألة وهو يعلم ان معاني القاموس مشهور لا يعرف عامة الناس غيره لذكره في السيرة النبوية، وأشعار الشعراء تقول صاحب المعزية

فقدنا ناظراً بصي عقاب في غزاة لها العقاب لواء

فكان ينبغي له - والامر ما ذكرنا - ان يقول ان مجي هذه العبارة من صاحب التاراج على خلاف المشهور لا بد له من أصل، ثم يراجع الله يقف على هذا الاصل ويحكم فيه حكمه .

أشهر معاني العقاب (بضم العين) أنه طائر من الجوارح التي تصيد (ومنها) الحرب قله في اللسان عن كراع (ومنها) العلم الضخم نقله الجهور، قل في اللسان والعقاب الذي يعقد للولادة شبه بالعقاب الطائر وهي مؤنثة أيضاً . ونقل صاحب العقد الفريد في كتاب النسب عن ابن المنذر هشام بن محمد السائب السكبي أن الذين اتى اليهم الشرف من قريش فوصلهم بالاسلام عشرة ردهم من هجرة أبان كان لكل منهم منصب ومكرمة من المكارم التي كانت لقريش - وهي التي ذكرناها في الصفحة ٨ - قل : فكان من هاشم العباس بن عبد المطلب يسقي الحبيص في الجاهلية وبقي له ذلك في الاسلام، ومن بني أمية أبو سفيان بن حرب كانت عنده العقاب راية قريش واذا كانت عند أحد أخرجهما اذا حبت لحرب فاذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب واذا لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه له المراد منه .

ويؤخذ من كلام علماء التاريخ والماديات أن طائر العقاب شعار قديم للعرب وقد عبر بعضهم عنه بالصقر وإنما الصقر في اللغة نسر لكل ما يصيد من جوارح الطائر فانظروا ان قريش اسمت راية الحرب الكبرى بالعقاب من ذلك . أما كون رايته (ص) تسمى العقاب فلم يثبت في حديث صحيح ، ويحتمل أن يكون . يجب هذا القول ان بعضهم أطلق هذا اللفظ على رايته الكبرى بمناء القوي العام الذي هو العلم الضخم فقيم آخرون من لاطلاق ان العقاب 'سم' علم لها . وقد تلخص الحافظ ابن حجر في شرح (باب ما قيل في لواء النبي (ص)) من صحيح البخاري ماورد في كتب السنة في

[المنار : ج ٢٠ م ٩] معاداة قريش للنبي أولاً ونهوضهم بالاسلام أخيراً ٣٩٩

ذلك وحكى هذا القول بصيغة التريض والتضعيف . وقد رأينا أن نذكر عبارته برمتها لأنها فصل الخطاب في مسألة هذا الباب قل :

« الهواة بكسر الهمزة والمد هي الراية ويسمى أيضاً العلم وكان الاصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه . وقال أبو بكر بن العربي : الهواة غير الراية ، فالهواة ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح . وقبل الهواة دون الراية . وقبل الهواة العلم الضخم والعلم علامة لمحل الامبريدور معه حيث دار والراية يتولاها صاحب الحرب . وجنح الترمذي الى التفرقة وترجم بالالوية وأورد حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه أبيض . ثم ترجم للرايات وأورد حديث البراء أن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سوداء مربعة من نعمة وحديث ابن عباس كانت رايته سوداء ولواؤه أبيض أخرجه الترمذي وابن ماجه وأخرج الحديث أبو داود والنسائي أيضاً بمثله لابن عدي من حديث أبي هريرة ولابي يعلى من حديث بريدته وروى أبو داود عن طريق مالك عن رجل من قومه عن آخر منهم : رأيت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم صفراء . ويجمع بينهما باختلاف الاوقات . وروى أبو يعلى عن أنس رفعه « ان الله أكرم أممي بالالوية » واسناده ضعيف ولابي الشيخ من حديث ابن عباس كان مكتوباً على رايته لا اله الا الله محمد رسول الله وسنده واه . وقيل كانت له راية تسمى العقاب سوداء مربعة وراية تسمى الراية البيضاء وربما جعل فيها شيء أسود » اهـ (الموضع السادس - توجيه قوى قريش لمعاداته «ص»)

أنكر الناقد قوتنا في الصفحة التاسعة ان قوى قريش المعنوية وجهت كلها لمعاداته (ص) بأنها مشيرة بغاية المحجور وموهمة أن جميع قريش وجهوا جميع قواهم لمقاومته (ص) وبأن هذا مخالف للسياق ولواقع ، ثم نوه بفضل قريش بما نوه به

وتقول في الجواب (أولاً) ان ما يتضمنه الكلام من هجو فهو خاص بمجاهلة قريش التي دهمها الله ورسوله والمؤمنون ، فقد فعلوا ما فعلوا وهم مشركون ، وما زال أكثرهم مشركين أكثر مدة البعثة وما صاروا يدخلون في الاسلام أفواجا لا بعد فتح مكة ، ويأس من بقي من زعمائهم بعد الحرب من الرياسة ، وأي جرم أجدر بالنم والهجو .

٤٠٠ . مادة قريش للنبي أولا ونهوضهم بالاسلام أخيرا [المناج : ج ٩ ص ٢٠]

فما فعلوا من إيذاء الله ورسوله وقتلة المؤمنين وإخراجهم من ديارهم ، وقتالهم في دار هجرتهم ، وذلك لا يقتضي ذم المؤمنين منهم ولو بعد الإيذاء ، فقد كان خالد بن الوليد أشد كآتهم نكابة في قتال المسلمين ، ثم صار أشدهم نكابة و بلاء في قتل أعدائهم الكافرين ، (وثانياً) ان ما كان من كفر أكثرهم وإيذائهم لا ينافي ما ذكرنا من استعداد جمهورهم للاسلام بما ذكرنا من مزايدهم ، فان سبب الكفر والإيذاء كبرياء الرؤساء المعروفين وحيلوتهم بين الرسول وبين الجمهور وتقليد الدهماء واتباعهم لهم ، ولذلك كان صاحب الحديبية فتحاً بيننا بظهور ذلك الاستعداد فيهم وفي غيرهم من العرب عند ما صاروا يجتمعون بالمسلمين و يـمـشـون منهم القرآن وصفة الاسلام كآيننا ذلك في ص ٣٩ و ٤٠ من ذكرى المولد ، ومن الدلائل على هذا حديث جابر مرفوعاً عند أحمد ومسلم والناس تبع قريش في الخبر والشر ، وحديث أبي هريرة مرفوعاً عند البخاري « خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا » (وثالثاً) ان العبارة لا تدل بطريق الحقيقة ولا المجاز ولا السكينة على ان جميع أفراد قريش وجهوا جميع قواهم لمعاداته (ص) وانما هي صريحة في توجيه قوى القوم المعنوية التي هي جاههم ومكانتهم الدينية والادبية في العرب الى مقاومته (ص) وانما تكون هذه القوى للبيئة الاجتماعية والجمهور الاعظم الذي يمثل الزعماء ، وهذا هو الذي حصل فلا مجال فيه للجدال والمرأ ، ولم يكن الذين آمنوا به (ص) من قريش قبل الهجرة بقادرين على حماية الدعوة ، ولا حماية الرسول وضمفاء المؤمنين من الاذى والفتنة بل كان أكثرهم محتاجاً الى من يحميه ويحميه من جهود قريش أصحاب الجاه والثروة والعظمة ،

وقد أراد الناقد ان يكثر عدد السابقين الاولين من قريش الى الاسلام ، ونصر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، فجعلهم ثلاثة أزواج : (١) السابقون الى الاسلام مع اخفائه ومثله لأبي طالب ، وقد ثبت في حديث الصحيحين ان أبا طالب مات على شركه وانه أدنى أهل النار عذاباً لدفاعه عن الرسول (ص) وحياطته له وان كان يباعث القرابة والعصبة ، و (٢) السابقون التحملون لمشاق التعذيب ومثله بأل ياسر ولبسوا من قريش وانما هم غنسيون من اليمن ، ولم يذكره ذكرهم بما كانوا يقاسونه من تعذيب قريش لهم ، وعجز جميع المؤمنين عن غنائهم والدفع عنهم ، حتى ان

النبي (ص) كان يجرهم فيقول «صبرا يا آل ياسر موعدكم الجنة» و(٣) السابقون
 القاعون بنصرتهم ونشر دعوته (قال) كحزمة وعلي وخديجة وأبي بكر وغيرهم، ونعشله يذكر
 هؤلاء صحيح ولكنهم كانوا عددا قليلا لم يقدرواعلى حماية أنفسهم وحماية الدعوة بل أخرجهم
 جمهور قريش القوي مع الرسول (ص) وسائر المؤمنين من ديارهم بفخرحق كما شهد الله
 تعالى في سورة الانفال والحج والمتحنة وما ذكره من فضائل قريش في هذه لهذه العبارة
 من حق وباطل ودون ماذكرناه نحن في هذه الرسالة بحق، ولنا نقاشه الا في قوله ان
 الاسلام مانعز ودخل في طور القوة والمدة الابد اسلام من تأخر منهم، ففيه نظره بل هو
 غلط، فان الاسلام قد اعز وقوي بدخول الانصار فيه وان كان فصل السابقين الاولين من
 المهاجرين على الانصار مروقا لا ينكر، في كونهم الاساس الاول والركن الاعظم، ولكن
 أخانا الناقد الفاضل أحد أفراد عصابة جديدة ذات نزعة عصبية للعالميين من قريش،
 وبهذه النزعة استصغروا الشكيرة واستغفروا جاهل المظلمين على ذكرى المولد النبوي من
 فضائل قريش عامة والمؤمنين منهم خاصة بحق، ولنا في هذه العصبية كلام نقوله بعد
 ثم اننا نبرأ الى الله مما نقله عن الزمزمي في مزيمته وهو زعمه أن قريشا لم تبطل
 بالايمان بغضا وجفاء بل امتنعوا من تولي الرسول (ص) لثلايشك فيه من يرى نصر
 القرباء له، بل أخرؤا ذلك الى أن تولى الله نصر دينه فلما كان ذلك دخلوا فيه وصاروا رؤساء
 له، فهذا الزعم يخالف لما علم بالضرورة من الكتاب والسنة وكتب السيرة النبوية كلها،
 فلما ظهر منه ان الناظم يريد ان السواد الاعظم من قريش آمنوا بالنبي (ص) باطنا
 وكتبوا اسلامهم اعلمهم بأن الله حين نصر رسوله ويعز دينه بغير سبب ولا أحد من المؤمنين
 من غيرهم (اذ اظهر أن هذا الرجل وأمثاله ينكرون فضل الانصار الثابت بشهادة الله
 ورسوله لهم بالايواء والنصر أو بصغرونه أو بخفونه) فأحبوا أن لا يكون اظهارهم للاسلام
 شبهة على نصره بالخوارق فأخروه لذلك؟ وماذا يقول في الابداء والمثمة قبل الهجرة
 وفي سبهم من مكة الى المدينة لاجل قتال النبي (ص) والمؤمنين بعدها؟

هذا واننا ننوي تنقيح عبارات من كتاب (ذكرى المولد النبوي) عند اعادة
 طبعه منها الاشارة في هذه الميزة التي تردتد الناقد لها، نريد أن نخذلها ونقول «ولكن
 قواها (أو قوى قريش) كلها وجهت لمعادته عليه أفضل الصلاة والسلام» بدل «ولكن

هذه القوى كلها، فإن هذه الإشارة وقعت بعد كلام ليس مراداً منها، والناقد لم يطبع ذلك (الموضع السابع — بعد الآل عن الأمور الحربية والرياسة)

قلنا في الصفحة العاشرة في بيان فذلّة ما امتاز به بنو هاشم آل الرسول (ص) على سائر قومه من ترش: أن جملة ذلك الاخلاق العلية والفواضل العلية والفضائل النفسية، والبعد عن الاثرة والامور الحربية، ولذلك غلبوا على الرياسة حتى بعد الاسلام.. فرد علينا الناقد بقوله: لعل ثبوت بعد الآل عن الامور الحربية والرياسة لا يصح قبل الاسلام ولا بعده، واستدل على الاول بما كان من المناصب الحربية قريش قبل الاسلام وبما ذكرنا من امتياز كنانة ومالك وقصي في العرب، وعلى الثاني بمحمل الآل لالوية القتال وقيادة الجيوش في بدر وأحد وخيبر وحنين الخ وأقول في الجواب اتني أجل الناقد الغاضل عن ان يكون سوء الفهم هو

الحامل له على هذا النقد، كما يقادر الى كل من قرأه وقرأ الاصل، وأكد أجزم بأن سببه نزعة العصبية التي أشرت إليها آخا، فهي التي ألقت الى وهمه أن العبارة تدل بمحملها على عدم اعتماد آل البيت النبوي عليهم السلام للرياسة والملك، وما يلزمها من أمور الحرب، فأراد أن يرد على ذلك نفقلاً عن أصل العبارة وعن معنى الآل، وأخذ يستدل على اصالتهم في الامور الحربية وهمايتهم بأمرها، بما كان لغبرهم من قريش من مناصبها، وبما كان من الرياسة والملك لبعض أصول قريش وأجدادهم كمالك بن النضر وكنانة ولم يكن لبني هاشم من تلك المناصب ولرياسات التي ذكرها شي، إنما كانت لهم سقاية الحاج فحسب، وكان يتولاها العباس، الذي لا يصد الناقد ولا ذريته من الآل، أعني الذين وردت الاحاديث في بعضهم ونهيم الصدقة عليهم، وأما الندوة والواء، فكانت لبني عبد الدار، وقيل ان الندوة والمشورة كانت لبني أسد، وأما السفارة فكانت لبني عدي وتولاها قبل الاسلام عمر بن الخطاب (رض) وتفسير هذه المناصب يعلم من هامش ص ١٠ من ذكرى المولد ثم انه فغل من جعلنا امتياز بني هاشم بالاخلاق والفضائل دون الحرب، وحسب الاثرة والكبر، همة لئلا يغيرهم إياهم على الرياسة الدنيوية حتى بعد الاسلام، ولم يفهم نكتة هذه الفاية « حتى بعد الاسلام » والمراد منها ظاهر وهو ان الاسلام زاد

[المآز: ج ٢٩ ص ٢٠] بعد آل النبي عن الحرب والرياسة قبل الاسلام ٤٠٣

في امتيازهم وتفضيلهم، فكان متعنى ذلك أن يقدموا على خبرهم، في كل ما يساوون
غيرهم في الاستعداد له، ونهبا الى حكمة ذلك. وهذا الغلب يصدق ولو لم يكن الا
ليني أمة، اذ الصابة لا تدل على انهم يطلبون في كل زمان وكل مكان، على اتم
غلبوا في أكثر الامم والامكنة، هذا هو الواقع الذي لامراء فيه.

على انني اطلقت ضمير لآل في قولي « غلبوا » ولم يكن لاحد منهم صورة
في ذهني لا غلبين وما كان من زهد أمتهم في الدنيا ورياستها، وما قابل ذلك
من أثره غيرهم وتكاليهم عليه. وظلهم اياهم، لتعق القلوب بهم، فأطلقت العام
وأنا أريد منه انخاص، والصابة صادقة في كل حال، لا تنقضها خلافة العباسيين
من الهاشمين الذين لا بعدهم الا قدم من آل لرسول

ثم ان نيتنا لجعل العناية بأمور الحرب من مزايا بني هاشم التي فضلوها بها أثر قريش
لا يقتضي أن يكونوا جبناء يفرون منها، أو بلداء لا يحسنون التصرف فيها، اذ اقام اضطروا
اليها، فالحرب في نفسها شر، لا يبيحه الا جعله دافعا لمفسدة هي شر منه، واقامة مصلحة تصغر
في جانبها هذه المفسدة، كما يعلم من أول ما نزل في الاذن للمؤمنين في القتال. وذلك قوله
تعالى في سورة الحج (٣٧: ٣٢) اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير
٣٨ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا،
ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز (٤٢) الذين ان مكناهم في الارض
أقدا، والصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر. وفيه عاقبة الامور
فينو هاشم لم يكونوا يحبون الحرب والرياسة والكسب، كغيرهم من العرب وغير
العرب، ولم يوقدوا لذلك نار حرب قط، وقد كانت حرب الرسول (ص) كلها دافعا عن
الحق وأهله، وتأميناً لحرية الدين ودعوته، ولكنه كان أشجع الناس وأثبتهم في
مواقف القتال، ويليهِ (ص) في ذلك عهزة وابن عمه علي المرتضى (رضي الله عنهما)
والشجاعة من بني هاشم لا يحصون عددا، ولكن الشجاعة شيء. وحسب الحرب
للرياسة شيء آخر، وفي كلامه هنا ما أخذ أخرى سيعلم بعضها من الرد على بعض
المواضع الآتية، على انه لا غرض لنا في مناقشته في كل ما أخطأ فيه.

المتفرنجون والاصلاح الاسلامي

٢

(قاعدة اصلاح قانون الاحوال الشخصية)

كان من أمر الحكومة المصرية بعد اعلان انكسار حمايتها عليها، وإلغائها منصب القاضي الشرعي الاكبر الذي كان يعين من قبل الدولة العثمانية عليها، أنها شرعت في أمر كان انفاذه في أيام ذلك القاضي متعذراً، وهو تأليف لجنة من علماء الأزهر وبعض المدرسين في مدرسة القضاء الشرعي ومدرسة الحقوق يرأسها وزير الحفانية لوضع قانون للاحوال الشخصية الخاصة بأحكام الزواج وما يتعلق به كالطلاق والفسخ والعدة والنفقة، تستمد مواده من فقه المذاهب الاربعية المشهورة ولا تتقيد بمذهب الحنفية وحده، بل يجعل القانون الذي كان وضعه قدري باشا الحنفي هو الاصل، ويؤخذ من فقه المذاهب الاخرى ما تراه اللجنة أيسر وأكثر انطباقاً على مصلحة الناس في هذا العصر. وطالما نفي طلاب الاصلاح في هذا القطر وغيره مثل هذا التيسير، ولكن ما جرت عليه الحكومة المصرية متقد من وجوه أخرى يتناها في مقال لم يتيسر لنا نشره، وقد كاشفنا ببعضها بعض أولي الشأن، وأمرها جعل الاحكام الشرعية قانوناً وما يترتب على ذلك، فالتانون اذا أطلق في هذا المقام ينصرف في العرف الى ما يقابل الشرع من الاحكام، ويتوقف الحكم به على اقرار مجلس الوزراء اياه، وصدر أمر الحاكم العام (الدركيتو أو المرسوم السلطاني) به، ويلزم من ذلك جملة تشريعاً جديداً من هذه الحكومة يحكم به باسمها على أنها هي الرضاة له، وينفذه وزير من وزرائها لا يشترط أن يكون مسلماً، وكون القضاء يطبقون الحكم على ما يفهمون من نصوصه وان كانت سقيمة لا تدل على ما قصدته اللجنة دلالة واضحة (قد اطلعنا على بعض ما وضع من هذا القانون فوجدنا فيه عبارات كثيرة في غاية الضعف والركاكة) وكونه سيشرح كما شرح غيره من القوانين فتستبسط الاحكام من عبارته (النص الحرفي) فيستبين بشرحه القضاء ووكلاء الدعاري على فهم المراد منه والعمل بما يفهمون من ذلك، ولما كنت متقدماً لهذا الوضع بهذه الصورة لم أبين

رأيي في مواده عند ما أرسل الي وزير الحفانية الجزء الاول الذي تم منه كما أرسله الى كثير من علماء الشرع والقضاة والمحامين من شرعيين وأهلبيين ، لان ابداء الرأي في ذلك يتضمن اقرار أصل العمل والموافقة عليه ، ولست مقراله ولا موافقاً . وقد انتقد كثير من أهل العلم بعض مواد هذا القانون في الجرائد واقترح بعض من أرسل اليهم ما تم منه اقتراحات عرضت على اللجنة العلمية المشتغلة بوضعه، وعلت أن بعض المحامين الاهاليين اقترحوا على وزير الحفانية لغتنام هذه الفرصة لابطال تعدد الزوجات وتقييد أحكام الطلاق بنحو ما كان اقترحه قاضم بك أمين فيما كتبه في المسألة التي بدونها تحرير المرأة ، وإن أدري أعرضت أمثال هذه الاقتراحات على اللجنة أم التزمت الوزارة عرض ما هو منصوص في كتب المذاهب الاربعة ؟ وقد كثر بحث المتفرجين وخاصة علماء الحقوق منهم في مسألة قانون الاحكام الشخصية، وحديثهم في وجوب جعله مطابقاً لآراء الذين يسوونهم الفشة الراقية — يعني المتفرنجية — وقد عني بهذه المسألة أحد افندي منوت وكيل نيابة (الدلتجات) قائف فيها رسالة خرج فيها عن الموضوع الى ما هو أهم منه وأكبر ، وأهم وأخطر ، وهو نسخ نصوص الشريعة الاسلامية كلها وابطال قواعد وأصولها التي هي موضوع علم أصول الفقه، ووضع أصول أخرى لها يراها الواضح مرقية لهذه الامة الاسلامية من حضيض الممجيبة القديمة التي كان عليها سلف المسلمين وخلفهم يزعمه ووجهه، الى فئة الترفي المدني الجديد الذي صعدت اليه الامة المصرية أو الفشة الراقية منها، التي يجب عنده أو ينتظران يتبعها غيرها. وقد ألقى هذه الرسالة بصفة خطبة - أو محاضرة كاسماها - على جمهور كبير من هذه الفشة بقاعة المحامين بالاسكندرية (في ١٥ أكتوبر سنة ١٩١٧) تحت رئاسة المحامي الضون بك سلامة. ثم طبعت ووزعت على الناس، وألقي الي نسخة منها، فوجب علي الرد عليها شرعاً، وذلك ما رغب ويرغب فيه كثير من محسني الظن بي كما بينت ذلك في مقالة الجزء الذي قبل هذا ان مواضع النقد والبحث في هذه الرسالة (أو المحاضرة) ثلاثة أهمها. القواعد الجديدة التي وضعها هذا الباحث لتسخ الشريعة الاسلامية بهدم أصولها القديمة كلها. وبلية المسائل المراد اصلاحها من قانون الاحكام الشخصية وهي أربعة ذكرها بمجملتي في ص ٥ (١) حرية التعاقدين ولزومية العقد على الطرفين (٢) علم التناقص مع قاعدة الحرية

الشخصية المقررة في قانون العقوبات (٣) رسمية عقد الزواج والطلاق (٤) نسيب اجراءات الدعوى . وبيلي هذين مسائل متفرقة في موضوع الترقى الذي يدعيه هو وأمثاله ، ويطلب تغيير أصول الشريعة وفروعها لاجله . ونبدأ بالاول الامم فنبين رأيه في أصول الشريعة وقواعده التي وضعها لتسخير وتبسيطها بنقدنا العملي الشرعي فنقول:

أصول الشريعة ورأيه فيها

قال في أول الصفحة ٢١ ما نصه : « أصول الشريعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس . (أما القياس) فنصرف النظر عنه لاننا سنقيس بأنفسنا على أحكام الأصول الأخرى » يعني انهم سيقبلون على الأصول التي يشعرون بأنها أفضل من لهم حق التشريع في الأحكام الشخصية كالأحكام المدنية والعقوباتية التي أشرع الحكومة فيها ما تشاء بلوشاد المسيطرين عليها كما سيأتي بيانه ، ومنها ما يأخذونه من قوانين الأفرنج كما هي . مثال ذلك قاعدة الحرية الشخصية المقررة في قانون العقوبات ، ومن أحكامها ان الاثني عشر سنة تجاوزت السنة الرابعة يجوز لها ان تعاضد من تشاء بلا قيد ولا شرط ولا رباط شرعي ، وليس لولدها حق ارجاعها عن فيها لذرة ، كما صرح بهذا مؤلف الرسالة في الصفحة الثامنة وغيرها . وكما انه لا يجوز لولد بنت الخامسة عشرة فافوقها ان يردّها ويمنعها عن فيها اذا اختارت ان تكون خدنا لاحد الفساق أو بقيا تعرض نفسها لآثامنا في المواقف والاصواق ، كذلك لا يجوز تقاضي الشرع ولا للسلطان أو نائبه ان يردّها من هذا الحق الذي حقه لها القانون ، ولماذا ؟ لان القانون أباحه . أما ما أباحه الله في كتابه فلكل حاكم ان يجرمه عندهم كما سيأتي قريبا

قال : (وأما الاجماع) وحجتهم فيه حديث « لا يجتمع أمي على ضلال » فنقسمه الى قسمين إما اجماع العلماء أو حكم ولي الامر السابق (كذا) وهي حسب قواعد نظامنا القضائي لا نتقيد برأي مهما أجمع عليه الشرح لا ان نوافق على اجماعهم . وأما ما يقرره الحاكم بعفته صاحب السلطة التشريعية فيمكن خلفه ان يافيه طبقا لقاعدة ان السلطة التشريعية تملك ان تلغي ماقرره طبعا لان تأثير الشخصية الحاكم (كذا) وقد استشهد لهذه القاعدة بأن لكل سلطان ان يلغي ماوضعه من قبله ، وجعل هذا الاجماع من هذا القبيل ، ثم قال ان المتأخرين هم الذين جعلوا الاجماع حجة رضا منهم

بتحكيم السابقين (قال) « ونحن الآن نرفض حكم المتأخرين والسابقين » أي انه يرفض أحكام جميع المسلمين من السلف والخلف، ولكنه ادعى أنه يتقيد بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فانظر كيف يتقيد بذلك اقل في ص ٢٢

= (السنة) أر يد أن أبحت القرآن من قبل لان حكم اتباع السنة ناتج من حكم القرآن « القرآن بصفته كتاب الله قد أودع فيه كل حكم شاء ان يفرض على كافة المسلمين في جميع العالم تباه ، فالذي ترك ولم ينزل في القرآن ترك ليكون فهد حرية التصرف فيه ولولي الامر الرأي في تقييده بحسب ما يراه لازماً لمصلحة الجمهور . فمرسول بصفته ولي الامر حاكم الامة وقاضيا كان اذا مثل عن أمر حكم فيه وهذه الاحكام اما صدرت في مسائل فردية خاصة فتقيدت بها واما صدرت من الرسول لتكون قاعدة وحكماً عاماً وفي هذه الحالة تكون بمثابة قانون صدر من صاحب السلطة التشريعية ونفى هذه السلطة بملكها الحاكم في كل زمن بعده فيملك الغاء ما تقرر بمقتضاها « واذاً استنتج ان السنة اما انها تخصصت بمحادث فردية فصارت أحكاماً قضائية في طبيعتها ، واما تمت في شكل قواعد وقوانين فصارت تشريها صادراً من ولي الامر لزمته ، واذا ظهر من بعد للاحقين من أولياء الامر مصلحة للناس في تغييرها أو إلغائها كان ذلك ولا حرج . وهذا كله خاص بالأحكام المدنية فقط دون الدينية . ولا يناقض في شيء قوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » وقوله « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » اذ اننا اذا رأينا لزوما للخروج عن السنة لمصلحة فلا يكون ذلك غير طاعة بل شيئاً آخر . وبدعي ان الرسول لو كان في هذا العصر لاختلفت سنته فيه ولو لم يسأل ما أبدى حكماً

= (الكتاب) قلت في الكلام عن السنة ان الله أودع الكتاب كل حكم شاء ان يفرض على كافة المسلمين في كل زمان اتباعه . فيكون الكتاب بذلك مقيداً للمسلمين فيما أمر . وبهذه المناسبة أعيذ القول ان ليس لاي حكم لم يرد في الكتاب حكم الفرض الواجب العمل به . وما زاد عن الكتاب من سنة أو إجماع حكمه الجواز اذا شاء قام به الفرد وان لم ير مصلحة في ذلك فله العدول عنه

« والاحكام الواردة في القرآن عدا المبادئ الاصولية العامة على ثلاثة أقسام

(١) ما حرم عمله (٢) ما أوجب عمله (٣) ما أجزه

ثم بين أن حكم القسم الاول أن لا يتعرض له ولا يحكم بشيء بخلافه في مرماه، كتحريم الأم والأخت والجمع بين خمس أزواج. ومرمى الشيء غرضه والمراد أن يتعرض للفرض من الحكم لا الحكم نفسه فهو إذا كالقسم الثاني. وحكم القسم الثاني أن يبقى منه ما يتحقق به الحكمة المقصودة منه. ومثل له بإبقاء العدة والشهاد على عقد الزواج. وبين أن حكمة العدة برأية الرحم من الحل وحكمة الشهاد إعلان الزواج (فل) «فلا حرج في أن نصل إلى الفرض بالتقصود من أفيد الطرق وأخصرها» وهذا جعل المقدم رسميا مقنيا من الشهاد، ومورد أكثر مدة الحل على الطلاق مقنيا من التقيد بالترص ثلاثة قروء. أي ومثل ذلك ما إذا علم عدم الحل بالامتناع على ما في الرحم بالاشعة التي تشف الجسم (أي نجهه شفاة) كالاشعة المعروفة بأشعة ووتنجن، فبذلك يمكن إلقاء العدة على قاعدته. ثم قال بعد التمثيل الذي ذكرناه بالملنى «وبذلك يتقضى وجوب التقيد بالمعاني الحرفية للافتاوى القانونية الواردة في القرآن» وأما حكم الثالث وهو ما جعله القرآن جائزا كتعدد الزوجات فهو ان الانسان مخير فيه ولكن لكل حكومة ان تحرم منه باقوانين الوضعية ما تشاء

- هذا رأى أحمد افندي صوفى في أصول الشريعة الإسلامية ذكر انه يقوله ويقترحه بصفته مسلما، وهو عدم لاصول الشريعة كلها لا يوافق عليه مسلم في الارض وهو مسلم، وسندين ذلك بالدلائل في الجزء الثاني ان شاء الله تعالى

السيد الهمام - آل وزنا

في آخر الساعة الثانية بعد النصف من ليلة الخميس ثمانين من شهر ذي القعدة الحرام الحالى (الموافق لحلول الشمس في الدرجة الخامسة من برج السنبلة سنة ١٢٩٩ هـ - ٢٩ أغسطس) قد وهب الله جل ثناؤه لصاحب هذه المجلة غلاما سويا أزهر اللون جميل الخلق كأخيه (محمد شفيع) الا انه أوسع غرة وأخف بنية، فسميناه الهمام (بضم الهاء وتخفيف الميم) فثحمد الله ونشكره على ما أحبانا به من مزيد نعمه ونسأله تعالى أن يجعل له أوفر نصيب من اسمه، حتى يكون قرة عين لنا ولا مته وقومه، ومثل ذلك لأخيه وأخته، (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)

بأن الحكمة من بناء ومن يؤت الحكمة لله
أولى شيراً كثيراً وما يذكّر إلا أولوا الألباب

المسحاة
١٣١٥

عشر عبادي الذين يشعرون القول فيقول
أولئك الذين عدلهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام سوى و « منارا » كتار الطريق

٣٠ ذي الحجة ١٣٣٦ — ١٢ الميزان (خ) ١٢٩٧ هـ ٦ أكتوبر ١٩١٨

رد المنار

على الناقد لذكرى المولد النبوي (*)

(الموضع الثامن — أولاد عبد المطلب)

أنكر الناقد ذكرنا في (ص ١٣) بعض أولاد عبد المطلب دون بعض وقال
إن المقام يقتضي استنباههم لأن الاختصار في محل البيان يوم المصير . ونحيب عن
ذلك بأن المقام لا يقتضي استنباه ذكرهم لأن الكتاب ليس في تاريخ نبي هاشم وإنما
هو خلاصة سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته وكتابات دينه ومزايا ملته وذكرنا
من أولاد عبد المطلب والده (ص) وأعمامه الذين لهم شأن عظيم في سيرته وهم أبو طالب
والعباس وحزرة (رض) ولكن العبارة قد توهم غير المطلع على تاريخهم أن هؤلاء جميع
ولد عبد المطلب ولذلك قمنا العبارة في نسختنا الخاصة التي يعتمد عليها في الطبعة
الثانية هكذا « وولد لعبد المطلب أولاد كثيرون أشهرهم أبو طالب والعباس وحزرة

(*) تابعها في ج ٩ وراجع النقد المردود عليه هنا في ص ٣٤٩ ج ٨

وعبد الله . وما الحاجة الى ذكر كبراء المشركين الضالين بمد سكوتنا عن ذكر أشهرهم أبي لهب ؟

(الموضع التاسع — ما لقي (ص) من جحود قومه وإيذائهم)
أنكر الناقد علينا اسناد الجحود والايذاء الى قوم الرسول (ص) واقترح ان يصحح بقوله : فلقى أشد الجحود والايذاء من زعماء قومه الذين أشقام الله . واحتج على ذلك بما قدمه من قيام كثير من قومه بمساعدته واجابة دعوته (ص) ونجيب عن هذا بما أجبنا به عن ذلك الذي قدمه وأهمه أننا اهتمينا في هذا التعبير بالقرآن المجيد فقد قال تعالى (وكذب به قومك وهو الحق) ولم يقل زعماء قومك . ولهذا الاستعمال نظائر فيه وفي كلام العرب ، ولا يعقل ان يشترط في لغة ما أن لا يسند الى القوم الا ما يفعله كل فرد من أفرادهم اذ لا يمكن العلم بهذا الا في قوم محصورين عملوا عملا شاهده منهم من أخبر عنهم وذلك نادر ، وأما المعروف انه يسند الى القوم ما يفعله الجمهور وان أنكره من لا يؤثر انكاره لضعفهم أو قتلهم ، وكذا ما يفعله البعض ولم ينكره الجمهور كقتل اليهود للانبياء وعقر نمود للناقة . وتفصيل الرد على هذه المسألة يعلم مما يأتي في الكلام على الموضع العاشر والموضع الحادي عشر

(الموضع العاشر — حايته (ص) للقيام بالدعوة)
أنكر الناقد علينا قولنا في (ص ٣١) أنه (ص) كان يدعو الناس لحايته للقيام بهذا الامر فلم يحمه من قريش أحد ، واقترح أن تصحح العبارة أو تنقح بقوله : كان يدعو الناس الى أن يمضدوا من يحمونه للقيام بهذا الامر لخال زعماء الشرك دون ذلك الخ وهذا وما قبله من تلك العصبية ، وغرضه ان يبرزه قريشا بما ذكر ويسنده الى زعماء الشرك على الابهام ، والجواب عنه يعلم مما تقدم بالاجمال ، وأما التفصيل فهو في كتب الحديث والسيرة النبوية أيها راجع القارى . يجده فيه ان قريشا اشتد إيذاها لرسول (ص) بمد هلاك همه أبي طالب وانه خرج الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والتمسة بهم من قومه — وهذه عبارة ابن هشام عن ابن اسحق — وانه كان يعرض نفسه على القبائل فيردونه حتى أجابه وقود الانصار (رض) وفي حديث عمرو بن مسلة عند البخاري ان العرب كانت تقول دعوه وقومه فان ظهر عليهم

فهو نبي صادق. ولو كان فيمن آمن من قومه قوة ومنمة لما احتاج الى ذلك، بل كان كان يدعو القبائل الى الاسلام قط. وهذا أمر مشهور متفق عليه ولم نر قبل هذا النقد الغريب أحدا بلغت منه العصية لقريش حتى في شر ما كانت عليه في جاهليتها هذا المبلغ، وسنزيد هذا بيانا في الرد على الموضع الآتي =

﴿ الموضع الحادي عشر — ثباته (ص) في أحد ومن ثبت معه ﴾

قلنا في الكلام على شجاعته وثباته عليه الصلاة والسلام من (ص ٣٧) انه ثبت وحده يوم أحد. فأنكر الناقد علينا ذلك وقال انه « يذكر انه ثبت معه بضعة نفر من قريش وبني هاشم (قال) وكذا في حنين وهذه منقبة لهم يحسن ذكرها أشعارا عزايا الاصطفاء التي ذكرتموها ام

والجواب ان الاحاديث الصحيحة تثبت انه (ص) اقرء بالثبات في الفرزتين بالذات وثبت معه أفراد بالتبع، فالاولى ان يمطف يوم أحد على يوم حنين أو يكتفي بالثاني فانه ثابت في الصحيح بلفظه فلا غرو ان يذكر في مثل هذا السياق، وان قيده بما سباني لجمع بين الروايات، ففي بعض الفاظ حديث أنس من صحيح البخاري انه « لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذرايرهم ومع النبي (ص) عشرة آلاف من الطلقاء (هم الذين أسلموا في مكة يوم الفتح) فأدبروا عنه حتى (بقي وحده) فنادى يومئذ نداء من لم يخطئ بينهما: التفت عن يمينه فقال: يا معشر الانصار؟ قالوا ليلىك يا رسول الله نحن معك، ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الانصار: قالوا ليلىك يا رسول الله نحن معك الحديث، ويؤيده حديث البراء في الصحيحين وهوانه سئل: أوليتم مع النبي (ص) يوم حنين؟ قال أنا النبي (ص) فلا — الحديث — وفي رواية: أقرنتم عن رسول الله (ص) يوم حنين فقال: لكن رسول الله (ص) لم يفر... وفي رواية انه سئل: أتوليت يوم حنين؟ قال: أما أنا فأشهد على النبي (ص) انه لم يول ولكن عجل سرعان القوم فرشقهم هوازن وأبوسفيان ابن الحارث أخذ برأس بخلته البيضاء الحديث. وأبوسفيان هذا هو ابن عمه (ص) الحارث بن عبد المطلب وكان خرج الى النبي (ص) وهو قادم الى مكة فاتحا فأسلم وحسن اسلامه. وروى ابن أبي شيبة عن مرسل الحنبل

ابن عتيبة أنه لما فر الناس يوم حنين لم يبق معه (ص) إلا أربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم: علي والعباس بين يديه وأبوسفیان بن الحارث أخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب الأيسر قال وليس يقبل نحوه أحد إلا قتل . واختافت الروايات فيمن ثبتوا معه على أقوال: ٩ أو ١٠ أو ١٢ أو ٨٠ أو دون ١٠٠ أو ١٠٠ بضمة وثلاثون من المهاجرين والباقيون من الانصار وهذا الأخير تفصيل رواية أبي نعیم في دلائل النبوة ويروى عن العباس (رض) الله عنه انه أشد في ذلك نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فرأ من قد فر عنه فأشعوا وعاشرنا وفي الحسام بنفسه لما حسه في الله لا يتوجع قال الحافظ في الفتح ولمل هذا هو الثبت ومن زاد على ذلك يكون عجل في الرجوع فقد فيمن لم ينهزم وكان أول من ولى واتهم الطلقاء من قریش الذين دخلوا الاسلام يوم الفتح وما كلمهم بصادق . وقال العلماء ما كل من ولى يومئذ كان فاراً من القتال بل منهم من كان متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى جهة أو فئة لاجل القتال، وبعضهم جرفه التيار وهو لا يدري أين ذهب ، وقالوا في الجمل بين رواية ثباته وحده ورواية ثبات القليل معه ان هؤلاء كانوا في خدمته وكان هو المهاجم وحده وهم يتبعونه من ورائه حيث توجه فتوجه الى قتال المشركين ولما رأى ما رأى من اختلاط الحابل بالنابل نادى الانصار قلبوه فكان النصر بهم وان كان فضل المهاجرين وثباتهم لا ينكر ، وكانت مزية بني هاشم ان اكثر العشرة أو الاثنى عشر الذين ثبتوا معه أولا منهم . وكان منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعثمان بن طلحة وميثم جهمور الصادقين أن تبينوا الامر فصاروا يتراجعون

وقد ثبت في الصحيحين وغيرها ان النبي (ص) لما حاز الغنائم العظيمة في هذه الغزوة قسمها في قریش بين المهاجرين الذين أسلوا قبل الفتح والطلاء الذين أسلوا يوم الفتح ولم يعط الانصار شيئاً فوجد بعضهم لذلك فقال بعضهم اذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى النسيمة غيرنا . وقال بعضهم يغفر الله لرسول الله (ص) يعطي قریشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دماهم . فجمعهم (ص) في قبة آدم (جلد) وسألهم عما بلغه عنهم فسكت بعضهم وقال قهاؤهم : أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم

يقولوا شيئاً وأما ناس من أحدثه أساتهم فقالوا كيت وكيت. قال (ص) «إني أعطي رجلاً حديثي عهد بكفر أنألفهم — وفي رواية أن قريشاً حديث عهد^(١) بمجاهلة ومعصية وإني أردت أن أجبرهم وأنألفهم — أما ترضون أن يرجع الناس بالديار وترجعون برسول الله (ص) إلى بيوتكم؟ قالوا بلى. وفي رواية أنه خطبهم فذكرهم فضل الله به عليهم بالهداية والتأليف بينهم والفتى ثم قال «ألا ترضون أن يذهب الناس بالثأب والبعر وقدهيون بالنبي (ص) إلى رحالك؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولولسلك الناس واديا وشعبا وسلكت الانصار شعبا لاخترت وادي الانصار وشعبها، الانصار شعار والناس دثار» الخ وقد بين العلامة ابن القيم المحكم في غزوة حنين في المزمعة ثم في النصر وقصة الغنائم ومنها انه (ص) لم يعط كبار المهاجرين من الغنيمة كالانصار، فراجع في زاد اللامد ولخصه الحافظ في الفتح . وأما ثباته وحده (ص) يوم أحد فهو ظاهر قوله تعالى (إذ تصمدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم) فقد اتفقوا على انه نزل في هزيمتهم يومئذ قال الحسن البصري: فروا منهزمين في شعب شديد لايولون على أحد والرسول يدعوهم في أخراهم «إلى عباد الله إلى عباد الله» ولا يولي عليه أحد. وروي نحوه عن ابن عباس وعطية الصوفي وقادة الا جملة الاخيرة فقد انفرد بها الحسن . وقد اختلفت الروايات فيمن ثبت معه (ص) وظهر بعض الروايات الصحيحة أن الناس تولوا فلم يبق مع النبي (ص) غير أبي طلحة زيد بن سهل الانصاري يناضل عنه فكان ثباته معه لاجله فيصح ان يقال انه (ص) ثبت وحده يومئذ لان ثباته كان بشجاعته الذاتية وثبات أبي طلحة لانه رآه ثابتاً فوجب عليه ان يناضل عنه بسهامه ولما رآه غيره فملأ مثل قلبه، فقد كان سبب المزمعة الا كبر اشاعة قتل النبي (ص) ولم يلبث أن تراجع الناس اليه لما علموا ببقائه فداه أبي وأمي (ص) قالوا بقون الى ذلك عدوا من الثابتين معه واختلف في عددهم لان كل راو ذكر من رآه أو علم بوجوده معه فلا تنافي بين رواياتهم، فهي حديث أنس عند البخاري: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي (ص) وأبو طلحة بين يدي النبي (ص) محجوب (أي منرس) عليه بمجھة له وكان أبو طلحة

(١) كذا في النسخ الصحيحة واخذ بعضهم ان أصله حديثو عهد

رجلا راميًا شديد النزع (أي رمي السهم) كسر يومئذ قوسين أو ثلاثًا وكان الرجل يمرمه
بجعبة من النبل فيقول « أنزها لابي طلحة » (قال) ويشرف النبي (ص) ينظر إلى القوم
فيقول أبو طلحة بأبي أنت وأمي لا تشرف بصبك سهم من سهام القوم نغري دون نحره
ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم (هي أم أنس) وهما لمشتريان أرى خدم
سوقهما (١) تنقران القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم (٢) ثم ترجعان فتسلانها
ثم نجيبان فتفرغانه في أفواه القوم ولقد وقع السيف من يد أبي طلحة أمامي وبين يدي
وفي حديثه عند مسلم أنه (ص) أفرد في سبعة من الانصار ورجلين من قريش
يعني طلحة وسعد . وفي حديث عائشة عند أبي داود الطيالسي قالت كان أبو بكر إذا
ذكر يوم أحد قال : كان ذلك اليوم كله لطلحة قال كنت أول من فاء (أي رجع)
فرايت رجلا يقاتل عن رسول الله (ص) قال قتلته كني طلحة (قلت) حيث فاني
يكون رجل من قومي ويغي ويينه رجل من المشركين فإذا هو أبو عبيدة فأتينا
إلى رسول الله (ص) فقال « دونكما صاحبكما » يريد طلحة فإذا هو قد قطعت
أصبعه الخ . وفي الصحيح التنويه بسعد بن أبي وقاص فإنه كان يناضل عنه (ص)
وهو يقول له « أرم فذاك أبي وأمي » روى البخاري هذا عنه ، وروى عن علي كرم
الله وجهه قال : ما سمعت رسول الله (ص) يجمع أبويه لاحد غير سعد . يعني في
الفداء . وروى عن أبي عثمان التهدي أنه لم يبق مع النبي (ص) في بعض تلك
الأيام التي يقاتل فيها غير طلحة وسعد . أي طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي
وقاص وهما حدثا أبا عثمان التهدي بذلك . وروى الحاكم عن عائشة بنت سعد بن
أبي وقاص عن أبيها قال : لما جال الناس يوم أحد تلك الجولة تمنعت قتل
أذود عن نفسي فاما أن أجهو واما أن أسشهد فإذا رجل نحر وجهه وقد كاد المشركون
أن يركبوه فلأيديه من الحصى فرمام .. وإذا بيني وبينه القدداد فأردت أن أسأله
عن الرجل قال لي يا سعد هذا رسول الله (ص) يدعوك فقلت وكأنه لم يصبني شيء
من الأذى وأجلسني أمامه وجعلت أرمي فذكر الحديث أنه من الفتح وفيه اختصار
وقد قيله دحلان في سيرته عن المستدرك بزيادة واختلاف في بعض الجمل ومن الزيادة

(١) الحشم جمع خدعة وهي الخلائل وفيل الخدمة أمل الساق . والسوق جمع ساق

(٢) أي ترضان قرب الماء بمخفة وسرعة على ظهورهما وتسقيان الجرحى بسبه في أفواههم

أن الرجل المحرم لما رمى المشركين بالحصى تراجعوا عنه الى الجبل فقلع ذلك مراوا. فظاهر هذا الحديث انه لما جاء سعد لم يكن عنده غير المقداد وما يدرينا ان المقداد لم يكن معه من أول الامر.

قال الحافظ في شرح حديث أبي عثمان التهدي من الفتح: وعند ابن هانئ من مرسل المطلب بن عباد أنه بن خطب ان الصحابة تفرقوا عن رسول الله (ص) حتى بقي معه اثنا عشر رجلا من الانصار. والنسائي والبيهقي في الدلائل من طريق عمارة ابن غزية عن أبي الزبير عن جابر قال تفرق الناس عن النبي (ص) يوم أحد و بقي معه أحد عشر رجلا من الانصار وطلحة^(١) واسناده جيد وهو كحديث أنس الا أن فيه زيادة أربعة فلعلهم جاؤا بعد ذلك، وعن محمد بن سعد انه ثبت معه ١٤ رجلا ٧ من المهاجرين منهم أبو بكر و ٧ من الانصار. ويجمع بينه وبين حديث الباب (أي حديث أبي عثمان التهدي) بأن سعدا جاءهم بعد ذلك كما في حديثه الذي قدمته في الحديث الخامس (أي حديث أرم فذاك أبي وأمي) وان المذكور من الانصار استشهدوا كلهم فلم يبق غير طلحة وسعد ثم جاء بعدهم من جاء. وأما المقداد فيحتل ان يكون استمر مشغولا بالقتال، وسيأتي بيان ما جرى لطلحة بعدها. وذكر الواقدي في المغازي انه ثبت يوم أحد من المهاجرين سبعة أبو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد وطلحة والزبير وأبو عبيدة، ومن الانصار أبو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل ابن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وقيل ان سعد بن عباد و محمد بن مسلمة بدل الآخرين، فان ثبت حل على أنهم ثبتوا في الجملة، وما تقدم فيمن حضر عنده (ص) أولا فأولا والله أعلم اه كلام الحافظ في الجمع بين الاقوال ..

فلم مما تقدم ان متقية الثبات مع النبي (ص) يوم أحد خاصة بمن علموا موقفه ودافعوا عنه قبل ان يتراجع الجيش وانها لم تكن للمهاجرين وحدهم بل كان للانصار

(١) هو ابن عبيدة وملتصقة الحديث أن النبي (ص) قال لا لحهم الشركون وهو سعد في الجبل «ألا أحد لمؤلا» فقال طلحة أنا يا رسول الله، قتال «كما أنت يا طلحة» فاستأذنه رجل من الانصار فأذن له فقاتل حتى قتل. فاعاد (ص) القول فلباه طلحة فقال له كما قال أولا فاستأذن أنصاري آخر فأذن له، وما زال يبيد ذلك ويحبس طلحة حتى لم يبق معه غيره فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنفله. وفي رواية ثلث أصبه أو أصبه وأنه جرح بضعة وثلاثين جرحا

الحظ العظيم منها، وأنه لم يكن مع المهاجرين أحد من بني هاشم غير علي كرم الله وجهه ورضي عنهم أجمعين

﴿الموضع ١٢١—مدة اقامته (ص) بمكة بعد التبليغ﴾

قال الناقد: ذكرتم في الخاتمة انه صلى الله عليه وآله وسلم أقام بمكة بعد بدء التبليغ عشر سنين والمشهور انها بضع عشرة سنة اهـ

وقول ان هذه العبارة أظهر هفواته وأغربها فما ذكرناه هو المنصوص في كتب الحديث والسير، وما ذكره وادعى أنه المشهور لم يقل به أحد. وإنما وقع الخلاف في الروايات الواردة في مدة اقامته بعد البعثة لا بعد التبليغ بين عشر وثلاث عشرة وجم بينهما المحققون بأن المدة بين بدء الوحي وقرئته وبين الامر بالتبليغ ثلاث سنين والمدة من بدء الامر بالتبليغ الى وقت الهجرة عشر سنين، بين ذلك الامام احمد في تاريخه وغيره من المحدثين واعتمد ابن اسحق وغيره من أصحاب السير. فهل بلغ من الناقد الفاضل التعصب لمكة كاهلها أن حفظ المدة من ابتداء الوحي بالرؤيا الصادقة الى وقت الهجرة حفظا إجمالياً نسي تحديدها وصفتها فجعلها بضعه عشر عاما من أول التبليغ، وعلى هذا يحتمل ان تكون سبع عشرة سنة أو تسع عشرة سنة وان تضاف اليها مدة البعثة فتكون ٢٢ سنة ١١ ومن المشهور الذي يحفظه العوام وصبيان المكاتب في مدارس الناقد الفاضل كغيرها ان النبي (ص) بعث على رأس الاربعين وتوفي في ربيع الاول من السنة الحادية عشرة للهجرة عن ٦٣ سنة، فسبحان من لا ينسى ولا يذهل وقد أضاف النقاد الى هذا الموضع مسألة أخرى فادعى اننا لم نذكر في الكتاب دخول الاسلام في عهد القوة والمنة بعد فتح مكة بدخول قريش فيه واتباع العرب لهم، ورجا ان نذكر ذلك في المستقبل لانه مظهر مزايا الاصطفا. ونحب بأننا ذكرناه بالاجمال، ولا يتسع هذا المختصر للتفصيل

ونحب أن نصرح لاختنا الناقد الفاضل بأن كتاب ذكرى المولد النبوي لم يوضع لشرح حديث الاصطفا ومناقب قريش وبني هاشم فنذكر فيه كل ما يتعلق بذلك من تاريخهم في الجاهلية والاسلام وإنما شرحنا الحديث شرحا لم نطلع لاحد على مثله لبيان حكمة بعثة النبي (ص) في خير بيت من بيوت الامة العربية «لقد بقية»

المتفرنجون والاصلاح الاسلامي

٣

الاسلام وأصول الشريعة

قد علم مما تقدم في المقائين الاولين ان من المتفرنجين من يدعو المسلمين الى هدم أصول الشريعة الاسلامية كلها والاستناسة عنها بقوانين يضمرها حكام كل قطر مستقل بأرائهم ، وان استمدوا أصوله وفروعه من قوانين أمم أخرى بخالفة للمسلمين في عقائدهم وأديانهم وعاداتهم ، وصالهم ، وان من هؤلاء المتفرنجين من يلبس على المسلمين بما يدعوم اليه من افساد دينهم وهدم شرعهم الذي هو أعظم مقومات أمتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من ثوب الاصلاح ، وان أغرب أحوالهم المتناقضة أن بعضهم يتكلم باسم الاسلام ويدعي امكان الجمع بينه وبين نبدأ أصوله كلها استهجانا لها بزعم انها وضعت لقوم لم يرتقوا الى الكمال الانساني الذي ارتقى اليه هؤلاء المتفرنجون ، ومن أم أصوله اباحة السفاح بالفاء وانخاذ الاخذاء لكل عذراء تجاوزت السنة الرابعة عشرة أي صارت بنتها مستعدة لهذا التبع الفسد للصحة الجالب للادواء القاتلة لقتل نسل الامة المشوه لا دأبها الموقع للعداوة والبغضاء بين أفرادها وأسرها

جهر بهذا صاحب الخطبة أو الرسالة التي تردت عليها في هذه المقالات بما تقدم بيانه في المقالة الثانية مع الوعد بالرد عليه واننا نبدأ الرد بكلمة وجيزة في بيان ما يناسب المقام من تعريف ما يكون به السلم مسلما ليعلم هل يمكن الجمع بين الاسلام وبين ما جاء به ودعا اليه أحد صفوت أفندي من حيث هو مسلم وان كنا قد بينا هذا في المنار من عهد قريب لثلايق بعض الجاهلين فبا يمدح جميع المسلمين كفرا وهو لا يدري فنقول

الاسلام والكفر

ان الاسلام الصحيح عبارة عن الاذهان النفسي والخضوع الفعلي لجميع ما جاء به محمد خاتم النبيين والمرسلين (ص) عن الله تعالى مع الاعتقاد الجازم بأن كل ذلك حق وخبر وان كل ما يخالفه باطل وشر ، سواء كان ذلك الجزم بدليل قطعي أو اقتناهي

أو بغير دليل كما هو رأي الجمهور في حجة إيمان المقلدين. فمن أذعن بالفصل ظاهر أو هو غير مؤمن بما ذكر فهو متناقض، ومن اعتقد وأيقن ولم يدعن فهو جاحد مجاهر، كما قال تعالى في قوم فرعون (وجحدوا بها واسققتنأ أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وإن الأذعان والخضوع لبعض ما جاء به الرسول دون بعض كفر كالإيمان ببعضه دون بعض، قال تعالى فيمن خالفوا بعض أحكام كتابهم الدنيوية (أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) ولذلك أجمع أهل الحل والعقد من الصحابة بعد التشاور على قتال مانعي الزكاة وعدوهم مرتدين عن الاسلام. وليس منه مخالفة بعض الاوامر والنواهي بجمل أو تأويل أو جهالة كغلبة غضب أو شهوة مع الأذعان النفسي في عامة الاحوال، والعمل في ما سوى هذه الشواذ، فإن الجاهل يرجع اذا زال جهله بالعلم الصحيح، والفاسق يتوب اذا زالت جبراته بذكر الله وتذكر الوعد والوعيد (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) فهذا هو الاسلام الذي لا يعتد المسلمون بدين من خالفه ولا يعدونه منهم، فلا يرثونه ولا يرثهم، ولا يحل لهم ان يزوجه مسلحة منهم، ولا أن يدفعوه في مقابرهم. ثم ان ما جاء به الرسول قسمان قطعي الرواية والدلالة وغير قطعي، وقد ينسحق كل منهما في تفسير الحزب الماضي من المنازع. ومن القطعي المعلوم من الدين بالضرورة ان محمدا (ص) خاتم النبيين ويلزمه أن شرع الاسلام باق ما بقي البشر لا ينسخه شيء، وقد أمر الرسول (ص) من كان في عصره من المسلمين ان يلقوا من بعدهم، ولم يفرق أحد من سلف المسلمين وخلفهم بين من بلغتهم دعوته (ص) منه في عصره ومن بلغته من غيره بعده. فمن يدعي الاسلام ويزعم ان ما جاء به الرسول من أحكام الشرع لم يكلف اتباعه فيه كله الا الذين كانوا في زمنه لانه كان حاكمهم، وأن من بعدهم لا يكلفون الا اتباع ما شرعه لهم حكمهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم، وأنه لا فرق بين هؤلاء الحكم وبين الرسول في كونهم شارعين يجب اتباع أحكام شرعهم في الامور الشخصية والمدنية والتأديبية على سواء وينسخ المتأخر منهم ما شرعه من قبله من يدعي ما ذكر - فقد جاء بدين جديد معارض للدين الاسلام مع استحالة لاسمه

ولا يمتد أحد بإسلامه الا من استجاب له وقبل دعوته، كما فلت فرق الباطنية قد يمازجوا حديثا فاتهم حرفوا أصول الاسلام وفروعه وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله فلم يمتد المطعون باتتعالهم لقب الاسلام في الظاهر بل سموهم بأسماء أخرى كالايعيلية والدرور والنصيرية والباية والبهائية ، ولم يبح مسلم سني ولا شيعي ولا خارجي أكل ذبايحهم ولا تزويجهم ولا التزوج منهم ، لانهم أبعد عن الاسلام من أهل الكتاب الذين يبيح السواد الاعظم من المسلمين أكل ذبايحهم والتزوج منهم ، فكيف بالتوارث الذي لا يحل بين المسلمين وأهل الكتاب ؟ فيجب على قائل ذلك القول وعلى من صدقه أن يرجعوا عنه إذ قد قالوه عن جهل بحقيقة لاسلام، وصلى ان يتحروا قد فعلوا ، فحقن أحرص الناس على عدم اخراج أحد ينسب للاسلام من حظيرة ، وأما نبين الحقيقة عند الحاجة في فضاء ، ولا نحكم على شخص معين بها ولا بلوازمها ، وأما نعين الاشخاص على الحكم على أنفسهم ، وعلى معرفة حكم الله فيمن يعزفون حاملهم ، سواء كان في مسألة الشارع والتشريع أو في غيرها . ومن الاصول المجمع عليها بين المسلمين أن لاحكم لغير الله بعدورود شرعه، وسيأتي الكلام في ذلك ومن كان في قلبه شبهة من ذلك القول الناقض لهذا الاصل فيجب عليه ان يبحث حتى يزيلها . ويخلص قلبه بوجوب اتباع الرسول (ص) في جميع ما ثبت عنه من أمر الشرع وسرد الشبهات التي ذكرها احمد أفندي صفوت في بحث الكتاب والسنة بعد هذه المقدمة التي وقفنا فيها بوعدها في آخر المقالة الثانية . نبدأ بنقل كلام احمد أفندي صفوت على الترتيب الذي ذكرناه في تلك المقالة فنقول :

القياس من أصول الشريعة

القياس ليس من الاصول التي أجمع عليها المسلمون بل التقاء فيه فريقان أحدهما يثبت وهم الجمهور ومنهم المقتصد فيه والمقاتل بأنه ضرورة تقدر بقدرها ، ومنهم المقتصد فيه والمبالغ في التوسع، رؤيتها ينكره وهم الظاهرية. وقد يتناحج الفريقين وتحقق الحق في ذلك في تفسير قوله تعالى (١٠٤: ٥) يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤمكم الآية (١) والقياسيون لم يقولوا بالقياس الا بما ظهر لهم من (١) برامح في المجلد ١٨ من لئار ذي ج ٧ من التفسير وهو بحث يستغرق ٧٤ صفحة

الدليل عليه من الكتاب والسنة. والظاهرية لم ينفوا القياس الا لاعتقادهم أن نصوص الكتاب والسنة وقواعدهما مفتية عنه

وأما غلاة المتفرجين فاتهم بردون القياس لانه مبني على كتاب الله وسنة رسوله لا لانهم يستفنون عنه بنصوصهما كاظاهرية من علماء السنة ، بل هم يرغبون منهما بانذات وعنه بالتبع لهما ، ويستبدلون بأصولها وأحكامها أحكاماً أخرى يقيسون عليها ، صرح بذلك أحمد افندي صفوت في خطابه كما نقلناه في المقالة الثانية عن ص ٢١ من رسالته ، قال

« أما القياس فنصرف النظر عنه لاننا سنقيس بأنفسنا على أحكام الاصول الاخرى » أي الاصول التي تشرعها لهم حكوماتهم كاصل الحرية الشخصية في القانون المصري ، وتقدم يان ذلك والتشبه له في المقالة الثانية ، ولا نطيل القول في هذه المسألة لانها غير مقصودة لذاتها ، ولان رده القياس الفقهي ليس لدليل شرعي ولا عقلي على فسادة ولا لكونه ينافي الحق والعدل ، وسببناي له ذكر في الكلام بعد .

الاجماع من أصول الشريعة

قد اختلف علماء أصول الفقه الاسلامي في الاجماع الاصطلاحي الذي عرفوه بقولهم « هو اتفاق مجتهدي أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته على أمر من الامور » فقال بعضهم بعدم امكانه وبعضهم بعدم امكان العلم به وبعضهم بعدم امكان نقله الى من يحتاج به وبعضهم بعدم كونه حجة ، والامام أحمد والظاهرية لا يحتاجون الا باجماع الصحابة ، ويستدل العلماء الذين يحتاجون بالاجماع الاصطلاحي - وهم جمهور سائر المذاهب - بأيات من القرآن وأحاديث فهموا منها اثبات حجية الاجماع أذناها مرتبة في الرواية حديث ابن عمر « لن نجتمع أمتي على الضلالة » كما رواه الطبراني في الكبير عنه ، أو « لا نجتمع أمتي على ضلالة » ويد الله على الجماعة ، ومن شذ شذ الى النار » كما رواه الترمذي عنه ، وقد نوزعوا في دلالة ما استدلوا به على اجماعهم الاصطلاحي . وقد حررنا بحث الاجماع وما يقوم الدليل عليه منه في تفسير قوله تعالى (٤ : ٥٨ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وبيننا هناك ان أصول الشريعة لاسلامية أصبح

وأعدل وأفضل من جميع أصول الحكومات الشوروية التي يسونها في عرف هذا العصر بالنيابة وبالديمقراطية^(١)

وأما غلاة المتفرنجين فيردون اجماع المسلمين من الصحابة وغيرهم بنبر علم ولا فهم لانهم يربون عن كل ما هو اسلامي قديما كان أو حديثا الى قواعد تشريعهم الجديد الذي نذكر بعض مثله في الاحكام الشخصية من هذا البحث لاهامة لاجماع المحدثين أو لاهامة شأنهم فيه شأنهم في القياس كما تقدم آنفا

قال استنهم محمد افندي صفوت في خطابه المصهور: [وأما الاجماع ورجعتهم فيه حديث « لا تجتمع أمتي على ضلال »^(٢) ففسمه الى قسمين اما اجماع العلماء أو حكم ولي لام السابق وبحسب قواعد نظامنا القضائي لا نقيده برأي بها أجمع عليه الشراح الى أن نوافق على اجماعهم] اه فجل حكم ولي لام السابق داخل في معنى الاجماع وما هو منه في شيء ، وفسر اجماع العلماء بما يتفق عليه شراح كتب الفقه من الآراء — كما هو المتأد من عبارته — وهذا الاطلاق باطل كما علم من تعريف الاجماع الذي ذكرناه آنفا . ثم انه زعم ان المتأخرين هم الذين جعلوا الاجماع حجة رضا منهم بحكم السابقين (قل) « ونحن نرفض حكم المتأخرين والسابقين » فهو بعد قوله ان علماء المسلمين يستدلون على حجية الاجماع بالحديث الذي ذكره ولم ينزع في دلالة على ذلك برفعه بصفته مسلما ويدعى أن المتأخرين وحدهم هم الذين جعلوه حجة . وذلك دليل على انه لا يعرف معنى الاجماع ولا تاريخه ، وانه لا يفهم معنى ما يقوله وما يكتبه بالبرية ، دع ما فيه من الخطأ والغلط القوي ، فهو اذا لا يرفض شيئا من أصول الشريعة — دع فروء — التي هي تبع لما في الرفض — لانه لا دليل عليه ، ولا لأن دليله معارض بما هو أقوى منه ، ولا لانه غير مطابق لمصلحة المسلمين في هذا العصر ، وان كان هو وأمثاله يزعمون ذلك بنبر علم ، بل لانه يستبدل بما شرع الله وبكل ما يني عليه ما يشرعه الناس وان اختلف في كل قطر اسلامي باختلاف أفكار الشارعين أصحاب

(١) راجع ذلك في ملحق المنار ١٣ و١٤ وفي الجزء الخامس من التفسير

(٢) سوايه ضلالة كما تنعم آنفا

السلطة والنفوذ فيه بحيث يكون للمسلمين عشرات من الشرائع في أحكام الزواج والطلاق وما يتبعها وفي سائر الأحكام حتى يخرجوا عن كونهم أمة واحدة كإسلام الله تعالى . ومن يرفض أصول الشريعة الإسلامية وجميع أحكام أهلها من المتقدمين والتأخرين لما ذكرنا من العلة كيف يبالي بتفريق شمل الأمة وتقطع جميع الروابط والمقومات التي كانت بها أمة ؟ ومن كان مكانه من الإسلام والعلم تصالح أهله ما ذكرنا قبل يستبعد منه أن يمد هذا الفساد أصلا حيا وطنيا كما نسجم من أفواه هؤلاء المتفرنجين كثير أو يرى مثله فيما يكتبون أحيانا ؟ قلنا ان فريق الغلاة من هؤلاء المتفرنجين يرفضون الاجماع وهو اتفاق علماء الشرع المستقلين من المسلمين ، لانه إجماع المسلمين ، وما ذاك الا أنهم مرقوم من دينهم ولا يحبون ان يبقى لهم به صلة ما بل يحاولون افساد عقيدة كل من استطاعوا فتنه من أهل هذا الدين كما يفعل أمثالهم من دعاة الاديان أو دعاة اللحاد قلنا أنهم يرفضون القياس الإسلامي أيضا لانه يستند على نصوص الكتاب والسنة التي لا يدينون بها ولكنهم يميزون القياس على ما يستحسنون من نصوص القوانين الوضعية . كما أنهم يستحسنون العمل بما يتفق عليه علماء هذه القوانين من أي ملة كانوا ، ومن قبل رأي الأفراد من قوم فهو أجدر بقبول رأي الجماهير منهم وقلنا أنهم لا يرفضون ذلك بدليل عقلي ولا شرعي فيكون موضوع المناقشة بيننا وبينهم كما وقع بين من قبلنا من سلفنا كالظاهرية والقياسية ونفاة الاجماع الأصولي على إطلاقه ومثبته وكما يقع الآن بين المستقلين في الفهم منا .

وأما غير الغلاة المرتدين من المتفرنجين فيوجد فيهم من يجد في صدره حرجا من الفقه الإسلامي اذ يرى كثيرا من فروعه غير معقولة أو غير عادلة ويرى ان قائلها لاحجة لهم عليها غير أقسية لهم يعتقد أنها آراء لهم أو مفهومات لعبارات كتب مذهبهم لا يظهر لها أصل من نصوص الكتاب والسنة ، أو دهورى إجماع لم يثبت باتفاق المحدثين والمؤرخين على قلبه ، ولا حجة على جملة كالنص الذي لا سبيل الى نقضه ، ويوجد فيهم من قد ينكر كون القياس حجة ، أو من ينكر كثيرا مما ذكرناه مسالك العلة ، ومن ينكر حجة الاجماع أو إمكانه أو إمكان العلم به ، وأكثر منهم من ينكر كونه حجة دائمة باقية كالكتاب والسنة ، وكون آراء الفقهاء الاجتهادية

شرحاً ثابتاً يجب العمل به وان ظهر لنا من النصوص خلافه ، أو ثبت بالتجربة ضرره في مصالح الامة الشخصية أو المالية ، أو شرها الاجتماعية والسياسية ويوجد فيهم وفي غيرهم من مستقلي الفكر من يظنون بادي الرأي ان أكثر احكام الفقه القضائية والسياسية آراء المجتهدين ان كانت كلها أو جلها موافقة لمصلحة في الزمن الذي وضعت فيه فقد صارت غير موافقة لمصلحة المسلمين أنفسهم في هذا الزمن وفي كل فريق ممن ذكرنا مقتصد في تقديم هذا الفقه ومصرف ، ومستدل ومقلد ، ومن المستدلين الواسع الاطلاع ، والحافظ لقليل مما ينتقد من الاحكام ، ومنها بعض الاحكام الشخصية التي ألغت اللجنة المعودة لاجلها . ومن يراجع مجلد المنار الرابع يرى فيه مناظرة في نقد الفقه الاسلامي بين كاتبين من أشهر الكتاب المعتدلين وقد مر هل أول بحث حضرته بمصر في هذه المسألة زهاء عشرين سنة وكان في دار سعد زقلول (باشا) ولم أنس كلمة قالها ثم قاسم بك أمين لمن ذكر في الامة المتقدمة مسألة الربا هي : ان تحريم الربا منصوص في القرآن وكل مانع في القرآن يجب أن يؤخذ بالتسليم من غير بحث ، وإنما نبحت في أقوال الفقهاء ، ام وبعد هذا بسنة أو سنتين زوت الأستاذ الامام في يوم عيد فأنشيت في مكتبته داخل الدار مع أحمد فتحي زقلول (باشا) محتجاً عن حواضر المهنتين الذين يجلسون في حجرة الاستقبال برئنا يشربون القهوة وينصرفون ، فلما جلست اليهما وجدتهما يبحثان في مسألة الاجماع ورأيت الأستاذ يوافق جلسيه في بعض ما ينكره من مباحث هذه المسألة ، قلت لهما اني أفهم في الاجماع معنى آخر غير المشهور في كتب الأصول وهو اتفاق أهل الحل والمقد كهم أو أكثرهم مجتمعين على ما لانص عليه من الامور المتعلقة بمصالح الامة القضائية أو السياسية سواء كان في استنباط الاحكام لها أو في تنفيذها وأرى ان ذلك ينطبق على أدلة الاجماع ويوافق عمل السلف كجمع الخلفاء الراشدين أهل العلم والرأي فلتأشروا فيما لم يرد فيه نص من الكتاب ولم تجز به سنة نبوية ، وفي مباينة الخلفاء . فقال الأستاذ ان هذا المعنى صحيح لا اشكال فيه ولا اعتراض عليه واستحسنه أحمد فتحي غاية الاستحسان . وقد ينت هذا المعنى بعد ذلك بما كتبه في المقالة الثالثة عشرة وهي المقالة الاخيرة من مقالات (محاورات المصلح والمقلد) في بحث الوحدة

الاسلامية في السياسة والقضاء المنشورة في مجلد المنار الرابع وقد اطالع عليه الاستاذ الامام يومئذ فأعجبه، ثم رزته بياناً في تفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) المنشور في أواخر المجلد الثالث عشر وأوائل المجلد الرابع عشر من المنار بعد ان قلت عن الاستاذ الامام قوله انه اعتدى اليه بعد البحث في المسألة والتفكر فيها عدة سنين، وانه كان يظن انه لم يسبق اليه حتى رأي النيسابوري صرح به في تفسيره. وقد ذكرت هناك ان النيسابوري أخذ من الرزي وزاده بياناً ثم أيدت قولها ووضحته بكلام السعد التفتازاني في مسألة انعقاد الميابة بالإمامة. وقد حققت في المسألة نالاجماع في الاسلام في معنى مجالس نواب الامة في القوانين الافرنجية الا انه أكل منها. واطياس وهو ركن الاجتم دلالا فرادهم، ودهندهم أيضاً يجري عليه القضاء ووكلاء الدعاوي وشرح القوانين، قال قوم قد اقتبسوا من أصول الفقه الاسلامي وفردعه ما ارتقت به قوانينهم ونحن أمهلنا وقصرنا ورضينا بلجل الذي هو التقليد حتى صار أهل شرعنا يتفرون ويغفرون منه ويقولون الافرنج أويجهدون في قوانينهم، ولو لم يحرمهم علماء السوء الجامدون وأمرأه الجاهلون من الاجتهاد في شرعهم، لما فروا الى شرائع الاجانب وقوانينهم، ألا انه لا علاج لردة بعض المرتدين، ولا بداع كثير من المبتدعين ولا ضمف سائر التفرنجين الذين لا يزالون مؤمنين، الا سلوك سبيل الاستقلال في فهم الشرع، وبيان مكاتبته من المساواة والعدل، ومواقفته لصالح الناس، من جميع الاجناس، وشرح معنى قولنا انه أعظم قومات هذه الامة تبقى بقاءه وتزول بزواله، وتفصيل ما يتبع ذلك من مقاصد الذين ربوا هؤلاء التفرنجين على كراهته، وهم لا يشعرون بملة ذلك ولا عاقبته، فاذا ظن صف الفقهاء والمتكلمين منا على جهودهم، وإيجاب تقليد ما اختاره المداون المتأخرون الذين يعالجون مصنفاتهم، فيضطرب هؤلاء التفرنجيون وأهوانهم على هدم ما بقي من شرعهم ودينهم، بل يحملونهم أهواناً لهم على هذا الهدم، على جهل بذلك أو على علم، وهما نحن أولاً نرى مبدأ تشريع جديد، ووضع طريق يلبس بتليد، يصبح بجانيبه مثل هذا الصوت الشديد، الذي أوجب هذا الرد العبد، وقد رأينا من أصحاب المعاني من نصر ذلك القصد الخفي، ولم نرمهم من أنكر هذا الصوت الجلي فأين العبرة على الدين؟ انالها تظهر على أشدها في تضليل من يدعوا الى هداية

الكتاب والسنة ولم ير لها أنفراد في مخطئة من يدعو إلى ترك كل من الكتاب والسنة فإن كان ذنب الأول أنه يؤثر الاجتهاد على التقليد، فتأتي يهدم كلام من الاجتهاد والتقليد، وزال اعتقاد الجامدين على التقليد بأن كلمة الدماء مجتمعة عليه، فصار سببا للفرق في الدين والارتداد عنه وإذا كان الاجماع - وهو ما يقرر باجتهاد جماعة أهل الحل والعقد، - والقياس - وهو ما يستنبطه بالاجتهاد أفراد أهل العلم، هما أرقى ما اقتبس منا الافرنج، وسبقنا اليهما ثابت بالنقل والعقل، وظهر أنه لاعة لرفض من يرفضهما من المتفرجين المارقين، الا كونهما من هداية الدين، وتبيدهما بنصوص الكتاب والسنة، وكونهما من آثار أئمة هذه الامة، فننتقل الى الكلام مهم في أصلي الكتاب والسنة، لتبين هل يندبونهما لقاتهما، أم لعل يستكرونها فيها، وموهبنا في ذلك المقالة الرابعة

الشيخ عبد الكريم سلمان

في أثناء شهر شعبان من هذا العام نجح القطر المصري بعالم من أئمة علمائه وأدباءه من أبرع أدبائه، وكان من أبلغ كتابه، وقاض من أعدل قضائه، أحد أعضاء النهضة لاصلاحية الجمالية (الشيخ عبد الكريم سلمان) تغمده الله برحمته

وكان الفقيد في قرية (جنبواي) إحدى قرى مديرية البحيرة من أبوين كريمي الاخلاق، أما الوالد فالباني الاصل، وأما الوالدة فعربية المحتدة، وكان ابن بيته وبيت الاستاذ الامام تعارف أهل الجوار، فلما جاؤا في الازهر تعاشرنا معاشرة الاهل لا الطلاب، ولما خرجا الى ميدان العمل تعاونا متعاونين أخلاء الاصحاب، المتقين في الآراء والمقاصد والآداب، وعاشا معا عاشا متوازين مواد الدات والارتباب، ثم ما فرق الموت بينهما مدة التفاوت في العمر حتى جمع بينهما تحت التراب، فسي أن يكون هذا مصليا لذلك المجل الى دار الثواب، وأن يمجنا الله بهما في دار الكرامة يوم المآب

لعل الشيخ عبد الكريم كان أذكى ذكنا من الاستاذ الامام، ولكن هذا فاقه فقاته في الجدة والاجتهاد، وتسديد سهام الارادة الى كل مراده والعادة أن أكثر الاذكياء يكونون قليلي العناية والاجتهاد في الاعمال العقلية التي توكل الي رأيهم واختيارهم

(كطلب العلم في مثل الازهر) والسبب الحفي لذلك انهم لا يشعرون بما يشعرون به من دونهم في الذكاء الى التبحر في التحصيل، الا من كان له من نفسه حافز يحفزه الى مقصد عظيم، وكان الاستاذ الامام من هؤلاء فانه طلب العلم بياض ديني قوي عام في قلبه سلوك طريق التصوف قبله كما فصلناه في ترجمته فكان وهو يسكن مع الشيخ عبد الكريم في حجرة واحدة يقضي جل ليله في المطالعة ويحاول الشيخ عبد الكريم هو وغيره أن يحملوه على مشاركتهم في سرهم وما يلهون به فيه فيمسيب ذلك منه، ولو كان للشيخ عبد الكريم مثل جده وعزيمته اكلن اللامة منه نابتة طار صيته في الاقطار، وبلغ من الشهرة ما تبلغه شمس النهار، على أنه مشى المويثا فسبق الاقران، فكان الاستاذ الامام البدء من مريدي السيد جمال الدين وكان هو الثاني (١)

كان أول عمل تولاه الاستاذ الامام هو رئاسة تحرير الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) وإدارة المطبوعات فكان الشيخ عبد الكريم عضداً الاول في قلم محرريه ثم كان خلفه بعد اغتراله العمل باعتقاله مع زعماء المراهبين إثر احتلال الانكليز لمصر، فوضع اسم (عبد الكريم سلمان) في ذيل الجريدة موضع اسم (محمد عبده) وظل في عمله هذا الى أن أنقضى القسم الادبي من الجريدة واستغنى عن عمله في المطبوعات بعد عودة الاستاذ الامام من منفاه

ولما شرع الاستاذ بعد استقراره بمصر في اصلاح التعليم في الجامع الازهر كان الشيخ عبد الكريم ساعده الايمن في ذلك من أول العمل الى آخره، وهو هو مؤلف كتاب (أعمال مجلس ادارة الازهر - في عشرين سنة) كتبه عقب استقالته من مجلس ادارة الازهر وطبعناه ونشرناه قبيل وفاة الاستاذ الامام، بعد اطلاعه عليه واجازته له، ومنه يعلم قيمة عمل الشيخين في اقامة هذا الركن العظيم من أركان الاصلاح الاسلامي، وعبارته تشهد لما بما كانا عليه من الاخلاص والتواضع والبعد عن التبعجج والدعوى فكفى الشيخ عبد الكريم فضلاً وكرامة ان كان عشرين وديداً للاستاذ الامام في أول نشأته العلمية وعضواً عاملاً معه في النهضة الاصلاحية الاولى التي توسل اليها

(١) نطق الرب كلمة البدء على السيد الاول في السيادة والتقدم والثانيان على التالي له في ذلك قال الشاعر في تمثيل قومه على غيرهم
 نبيسانا ان انهم كان يدهم ويدوهم ان اتانا كان تيانا

بإدارة المطبوعات ، وفي الحركة الإصلاحية الثانية التي توسل إليها بإصلاح التعليم في الأزهر وتفضيل ذلك في سيرة الأستاذ الامام . وقد تخرج مع الأستاذ الامام على يد السيد جمال الدين كثير من الأزهريين في الافكار والكتابة والحظابة كان في مقدمتهم ابراهيم بك القفاني ، واشتغل معها في المطبوعات أفراد منهم أشهرهم من الاحياء سعد باشا زغلول وابراهيم بك الهلباوي ومن الموفى سيد افندي وقاه ولكن ترك كل أولئك زي العلم الديني ، واستبدلوا به الزي الافرنجي الماني ، فكان أكثرهم بعد الثورة الراية محامين في المحاكم الالهية ، ولم يجد الأستاذ الامام من يشتغل معه في الإصلاح بعد العودة الى مصر الا من حافظ على الزي الازهري وهو الشيخ عبد الكريم .

وبهذا يعلم تأثير تغيير الزي في الشؤون الاجتماعية

بعد خروج العقيد من خدمة المطبوعات سجل عضواً (قاضياً) في المحكمة الشرعية العليا فكان فيما قدوة سالحة في تحري السدل ، والاستقلال في الرأي ، ومن آيات ما وصفناه به من شدة قلة كاهنولي القضاء بمذهب الحقيقة في المحكمة العليا الاستثنائية وهو شافعي لم يترن عن الاعمال والاحكام القضائية في المحاكم الابتدائية فلم يعجزه أن يضرب مع أكبر القضاة بكل سهم ، ويكون سابقاً الى اصابة الحق والسدل في الحكم ، وكان له من الشهرة في المحكمة ما هو جدير به . نعم انه كان قد سبق له دراسة بعض كتب الحقيقة في الفروع والاصول كما شهد له الشيخ عبد القادر الراضي وغيره من كبار قضاةهم ولئن وجد في زمن العقيد أفراد يساهمون في فضيلة استقلال القضاء وأحاد يجارونه في حلبة الادب والانشاء ، وآخرون يبقونه بالتوسع في بعض العلوم ، أو الاغراب في بعض شوارد الفنون ، فقد كان يكون نسيج وحده في أفضل ما يتفاضل فيه الناس ، بعد ما يتعلق بالباطن من معرفة الله . وكان الايمان والاخلاص ، أعني مكارم الاخلاق ، وما يلزمها من محاسن الاعمال والآداب ، قد كان ممتازاً بالوقاه لآخواته والاخلاص لاخذانه وخلاته ، والمروءة والنجدة في قضاء حاجات قاصديه وان لم يكونوا من اصحابه وجيهه . وأما اصحابه فكان أسبقهم الى عبادة مريضهم وتشجيع ميتهم ، وإصلاح ذات بينهم ، وتهنتهم بكل فمة نحدث لهم ، وكان قد يمايسر من بلد الى آخر لفتى بين متقاضين والتأليف بين متباغضين ، وازالة الجفاء بين أمرتين ؟

وكان له من الخلق في الاستعجاب ما يسيل به السخام ، ومن اللطف في التاب ما يستخرج به الحفاظ ، فلا تكاد تنامى حية على رقبته ، أو تأبى هقعة أن تتحل بنفته ومن سوء حظ المسلمين ان أسرع اليه البأس من صلاح حالهم ، ففقدوه في آخر عمره من مساعدة أعمال الإصلاح العام لهم ، وقد كان الاستاذ الامام عنده بقوله لي في أول العهد بمقدي الى مصر : ان لي أملا كاملا وهنا رجل آخر له نصف أمل . ثم لم يلبث هذا النصف أن ذهبت به وقائع الايام ، حتى كان يصرح بذلك ويحتج علي وعلى الاستاذ الامام ، قائلا سئرى ما ينتهي اليه أملكا في هذه الالة الميتة ، وما يلقنه اصلاحا من هذه الشعوب الفاسدة ، وله كلمة في هذا المعنى قلها لاستاذنا الشيخ حسين الجسر ، ألبسها كعادته ثوب الدعاية والمزلة ، وقد كنا بدار الاستاذ الامام ، تحدث فيما أشيع من رغبة الامة اليابانية في التدين بدين الاسلام ، قال الشيخ حسين الجسر : اذا يرجى ان يعود الى الاسلام مجده ، قال الفقيه دعمهم فاني أخشى اذا صاروا منا ، أن تقدم قبل ان يصلحونا . ذكرت هذا في ترجمة الرجل لما فيه من العبرة المحزنة . والى الله المشتكى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كان الفقيه طويل القامة عظيم الجثة قوي البنية فاعتراه منذ سنتين مرض في المدة طال عهده وما تقه منه الا وقد ذهب سمنه ، وهزل بدنه ، وضعف قلبه ، حتى توفي فجأة بسكتة قلبية ، وكان يمزى أصدقاءه آل محمود في بلدة الرحمانية ، فقلت جسده الى مصر ، وصلى عليه في الجامع الازهر ، ودفن بجوار صديقه الاستاذ الامام ، فقدما الله بالرحمة والبرهان ، وقد حضر تشيع جنازته وليلالي مأتمه من لابعصى من العلماء والوجهاء ووفود البلاد من الوجهين البحري والقبلي ، مظهرين لمكانته العالية من أنفسهم ومعينين لنجته المذهب حسان اقتدي ، وللقيد مقالات كثيرة في موضوعات شتى متفرقة في الصحف — كالوة ثم المصرية بمجلة الآداب وجريدتي المؤيد والمقطم ، ولكن يقل فيها ما هو موقع منه أو معزز اليه ، وفي الاستطاعة جمع طائفة كبيرة منها ان وجد من يعنى بذلك . فعمى أن يأذن لنجته بذلك لمن شاء ، جاعلا له حق طبعه ونشره ، لاجياء ذكرى والده وحفظ أثره .

حسن جلال باشا

كان حسن باشا جلال المتوفى في ١٨ جمادى الاولى الماضي من رجال العلم والعمل والفضيلة
ومكارم الاخلاق لاسلامية ففي سيرته من العبوة وحسن الاسوة ما يتوخى المنار نشره
ولم يكن تركنا لمرحمته عقب موته نعداً أكثر كنا تراجم أكثر من يموت من أرباب المناصب
والرتب العالية والمظاهر الدنيوية والعارين بما يتوخاه المنار، وإعازر كناها لان مانعها من
سيرته قليل مجمل، وكان محمد توفيق افندي أبوطالب رئيس كتاب محكمة مصر الاهلية قد
أخبرنا بأنه شرع في كتابة ترجمته له، فانتظرنا صدورها للاخذ عنها وأكثر ما نرويه خلاصة منها
ولد الفقيد بمصر لاربعم خلون من شعبان سنة ١٢٧١ ولما بلغ سن التعليم أدخل
في مدرسة خليل أغا فكان لأول من طلبتها في جميع فصولها فبدله ذلك دخول
مدرسة دار العلوم التي أنشئت في سنة ١٢٧٨ بطريق الاستعداد لفقده بعض شرطها
ففي وجد الى ان حصل ما كان ينقصه منها، وفي سنة ١٢٩٢ جعل مدرسا بالمدرسة
التجهيزية بعد أداء الامتحان المشروط لذلك، وفي سنة ١٢٩٥ اختبر لتدريس
اللغة العربية لابناء فاضل باشا فراقهم الى سويسرة وتعلم فيها اللغة الفرنسية، وكان
ينردد فيها على وزير مصر الشهير مصطفى رياض باشا دون جميع من هناك
من المصريين (اذ كانوا يحبون لغاه لغاضبه للخديوي اسماعيل باشا) فلما اعتزل اسماعيل
وولي توفيق وعاد رياض الى وزارة مصر أرسل الفقيد الى أوربة لتحصيل علم الحقوق
على نفقة الحكومة قال شهادة الحقوق وعاد الى مصر فخدم القضاء مساعدا للنيابة
فقاضيا فوكيلا لبعض المحاكم فربما لعدة منها آخرها محكمة الاسكندرية تولاها عشر
سنين ونصف سنة فاستشارا في محكمة الاستئناف وكان آخر راتبه الشهري فيها ستة جنيه
ومن خدمته العلم انه كان عضوا في المجلس الاعلى للزهر وللمأهدين الدينية
وعضوا في اللجنة الادارية لمدرسة القضاء الشرعي

هذه السيرة الرسمية التي تتلم لتحصيل مثلها أكثر المتعلمين ليست مما نحن بذكر
أصحابها في المنار وإنما أفضل الرجل عندنا في سيرته العملية وأخلاقه وآدابها الدينية التي فضل
بها الحلم الفقير من أمثاله رجال القضاء، ومن بعد فقومهم في المنصب والمجاهد للوزراء والأمراء
كان الرجل محافظا على أوامره ونواهي من سن العبا الى سن الشيخوخة لم يفتن

في شيا به بمحامي الشهوات، ولا في كحول به بمتكرات العظمة والكبرياء، ولا في شيخوخته بدانة الطعم والمرص على المال، ولم تنزل الإقامة في البلاد الأوروبية، ما نشأ عليه من الآداب الإسلامية، ولم تفسد عليه عفته وورعه، ولم يحوله عن زيه العلمي ولا عاداته، حتى إنه كان يتودع عن أكل ذبائح النصارى لكثرة الملاحدة فيهم، ويذهب من محل إقامته إلى جزائر يهودي في مكان بعيد يشتري منه اللحم ويعالجه لنفسه

وروى أبو طالب عن بعض عشرائه من شبان المصريين طلاب علم الحقوق في فرسة أنهم أخروا به امرأة بارعة الجمال لتراوده عن نفسه، وجعلوا لها عشرة جننيات إن هي فتنه عن عفته، فجاءت حجراته متبرجة بما استطاعت من زينته وطرقت الباب ففتح لها، وسألها قبل الدخول عن حاجتها؟ فضحكت ضحكة دل ومداعية، ودرأت رأها مغالطة وملاعبة، وحاولت الدخول عليه، ومدت يدها إليه، فذفها بنفسه وأخلق دونها الباب، فرجعت خائبة تبحر بالحجر والسياب.

ومما رواه من سيرته أنه كان أبا الناس بالديه وأوصلهم لرحمه، وأحفاهم بأخوانه وأصدقائه، وأشد م غاية بكل من له عداوة، مرضت والدته بمصر أيام كان مقيما في الإسكندرية رئيسا لمحكمتها فكان يعودها كل أسبوع حاملا معه ملايات فاشها كالكافور الطافه والكافور ويتولى ترتيب ذلك وفرشه يده، وكان وهو يطلب الحقوق أذرية يرسل اليه في كل شهر جز من راتبه، وبلغني أنه كان ينفق ثلث الراتب ويرسل اليها الثلث ويجعل الثلث الثالث للكتب، وما زال محبا للكتب باحثا عن نفائسها المخطوطة طول عمره، وكنت أراه في أواخر عمره يختلف إلى صناديق الكتب ويجلس عندهم باثنا عا عا سام القنطوط من بعض التركات، أو أصحاب الحاجات

قال أبو طالب: ركان وفي بالهد قد عرف في (قد) يوم لي القضاء فيها بدالا مصر يا متوسط الحال كان يشتري منه حاجته فلما عاد اليها وهو مستنار سأل عنه فقيل له إن حاله تضعفت وتجارته كسدت وهو الآن يبيع الماروح فلم يمنعه ذلك من زيارته وتهد شأنه كلما ذهب إلى قنا، ولا تس عن اغتباط ذلك البدال بمثل هذه الزيارة فانها كانت أشهى إليه من رد ثروته بل شيا به عليه اه وأفضل ما يؤثر من مناقبه مبالغته في الاستغلال والمدل في القضاء حتى انه لم يكن يقبل

شجاعة ولا حديثاً في قضية رفعت اليه ولا في ترقية عامل تحت رياسته كما أنه لم يكن يكلم أحداً من أصدقائه القضاة ولا غيرهم في مثل ذلك. وقد اشتهر بذلك حتى لم يكن أحد من أقرائه ولا ممن قوته في المناصب يطعم أن يكلمه في شيء من ذلك، وله مواقف وقائم تؤثر في ذلك ذكر بعضها أبوطاب. ويعجبني مقالته في أثر هذه المناقب وهو: « وقد أغفلت التوسع في حياة الفقيد التضائية وذكر الحوادث التي اتفقت له دلة على ما نفع ما كان عليه من الفقه في القضاء، وأعدل والشجاعة مكفياً بأن المعاصرين أحاطوا بكل هذه الاحوال ويلوح لي أن كتابة تاريخ المعاصر بالتفصيل فيه من الصعوبة ما لا يظهر لارل وهلة ولذلك قصرت على هذا الاماع اليسير

» وما كنت لا طمع أن يكون كل مصريين كحسن باشا جلال فهذا من المحال قطعاً ولا أرجو أن يكون واحد في الآف كذلك بل لذي أمل أن يتصفح هذه الورقات باهتمام وأن لا يستصغروا شأن الحوادث التي سقتها هنا مثلاً من أخلاقه عسى أن يحتذي حذوه ويهتدي بهديه فمر من الأمة ليعملوا كما عمل لعل الله يبعث فيها الحياة الحقيقية التي لا يظهرها إلا مثل هذه الاخلاق فإن القدي يعيش الآن بين ظهراني المصريين لا يمكنه أن يتجاهل العلماء المديدين في كل علم وفن، فصر ليست مقبرة من هذا النوع، إذ لقضاء رجال ولطرب آخرون وللبندسة والزراعة مثلهم ولكل مطلب من مطالب الحياة قوم بشغلهم شأنه، وما يتقص المصريون الأشياء. واحد وهو الاخلاق، فإن ذوي الاخلاق الفاضلة قليلون بالقلة لمجموع الأمة ومدارسها ومجاهدها، واني على قدر معلوماتي القاصرة لا أرى باباً لهذه الاخلاق إلا النفس التي بين جنبي كل حي من الأمة فما عليه إلا أن يروضها على الفضائل التي شاعت في الكتب وتداولتها ألسن الصغار وغفلت عنها عقولهم، فإن أصغر كتاب مدرسي فيه بيان لاصول الفضائل، ولومرت النفوس مراعاة حقيقاً عليها لتنبهت الاحوال تغيراً عظيماً في وقت قصير. أما ما نعيش الآن فيه من حيث الاخلاق وأداب الماملات فما يسجز من وصفه أكبر كاتب بلنج، واني لبحر في جداً أن أجعل مصدر هذا الداء الويسل القوي قشوي تشبهاً مزججاً فإن ابن عشر سنين يبرز في النفاق والمداينة على ابن السنين، فمن تقدم فيها ولكنه تقدم معكوس، لأن كل من أقهر

هذا التفاق مد ظريفا كبيرا، وقد عم جهود الاحساس والمواطف كثيرا من هذه الطبقات في هذه الامة ذات المجد القديم والتاريخ العظيم التي تحتاج الى شيء بسيط حتى تكون من ارقى الامم وذلك باعتدال أبنائهم في أحوالهم وأقوالهم وأعمالهم بلا افراط ولا تفريط لان الحالة الوسطى تكاد تكون معدومة وقد ضاعت الحياة فيها وفي النفس حاجات وفيك فطانة ~~ص~~كوفي بيان عندها وخطاب

« وعندي ان اصلاح شأن هذه الامة التي سهات طباعها وزكت نفوسها ولان جانبها سهل قيادها لا يأتي الا بحسن اختيار العاملين من أبنائها من أصغر عامل عمومي وهو الخفير الى أكبر موظف وهو الوزير، فاكل النفوس بصالحه للخدمة العامة التي تتطلب صفات خاصة تظهر في صاحبها من أول نشأته، فاذا صح انتقاء هؤلاء أصبحت مصر في زمن قليل فردوس الارض لان هذه الامة سريعة التقليد لحكامها. اه المراد

[المنار] لقد هدني هذا الكتاب الى ما يجب من العبرة في هذه السيرة الحسنة بعبارة تدل على انه غني بهذيب أخلاقه وتربية نفسه حتى ظن أن ذلك يسير على أكثر الناس المتعلمين. وهيات هيات، إنهم عن السمع لمرولون، وعن الحاجة الى تزكية النفس انافلون، وهذا التعليم المعروف لا يزيدهم الا غفلة واعراضا عنها، ولن يكون ذلك الا باقلا ب. يتغير به نظام التربية والتعليم ويكون أمرها موكولا الى أصحاب الفضيلة والحكمة من الامة، وأين هم؟ وكيف السبيل الى تفويض الامر اليهم؟ وأما اختيار أمثالهم لاعمال الحكومة فن يقدر عليه ويعنى بتنفيذه، ههنا محل التأمل للمتأملين.

● التحول في ميادين الحرب وقرب أجل الصلح ●

هجم الالمان في أول فصل الربيع من هذا العام على الجيوش الانكليزية في شمال الميدان الغربي هجوما لم يسبق له نظير كانوا يضر بون به جميع خطوط القتال بمدافعهم في وقت واحد ويمطرون البلاد الواقعة وراء هذه الخطوط وابلا من مدافعهم الى مسافة ٢٨ ميلا وكان غرضهم الفصل بين الجيوش الانكليزية وبين الفرنسية والامريكية لتمكن من سحق الاولى والتفرغ بعدها للآخرى أو تخفض للطلب الصلح بلا شرط ولا قيد. وما كاد يتم لهم مبدأ ما يحاولونه حتى حدث في خطة

دول التحالف أعظم حادث انتقد الاجماع على وجوبه من قبل لولا ما عارضه من تقدم المانع على المقتضي وهو توحيد القيادة لجميع جيوش دولهم، وبذلك تمكن الفرنسيين من وصل ما انقطع من التواصل وبرز الجيوش بعضها ببعض. ثم هجم الالمان هجومين آخرين عظيمين بلغ من قدمهم بهما أن قسطوا نهر المارن وصاروا على مقربة من باريس التي كانوا يضرّبونها كل يوم بمدافع بعيدة المدى. وكان الناس يتوقعون زحفهم عليها في الاسبوع الثاني من شهر شوال وهو الثالث من شهر يوليو (تموز) لان وزراء التحالف كانوا يصرحون بأن تفوق الالمان عليهم في العدد والمعد عظيم وأن الخطر لا يزول الا اذا اقتضى فصل الصيف وحالت أمطار الخريف دون استمرار شدة القتال وهم ثابتون معاصرون لعدوهم، فاذا تم ذلك لهم زال الخطر ودالت الدولة لهم بكثرة الجيوش الأمريكية التي ستكون في صيف السنة التالية مساوية لجميع الجيش الألماني.

ينسا ينظر الناس ذلك اذا فاجأهم خبر شروع الالمان في التمهق المنظم من جنوب المارن الى شماله ثم من جنوب الالين الى شماله وكان يظن أن ذلك لحظة حرية يعقبا هجوم أشد مما قبله، ولما استمر التمهق ظن قوم أنهم يقصدون خط هندنبرج ليشتوا فيه كما فعلوا في العام الماضي، وأنهم في أثناء ذلك يجمعون جيشا من الحكومات الروسية التي آذنت التحالف بالحرب، وظن آخرون أن سبب التمهق اتفاق سرري على الصلح، وقوى هذا الظن ما قتله البرقيات عن طلعت باشا من أنه قال عقب اجتماع سياسي مع رجال الدولتين الجرمانيتين: إنه لم يبق لاستمرار الحرب قائمة وإن الصلح سيعقد قبل حلول فصل الشتاء من هذا العام. ثم ما زال الالمان يتقهقرون والاحلاف يتأثرونهم ويحتلون البلاد التي يصادرونها حتى آخر الشهر وقد ظهر في برلين وغيرها مبادي انقلاب سياسي ربما كان هو السبب الباطن للاروز والانكماش وأما الترك فكانوا يدافعون دفاع المستميت عن كل بقعة أخذها الروس من بلادهم التركية أو الانكليز من بلاد العرب في العراق وفلسطين حتى اذا جاء هذا الشهر فاجأنا الانباء بأن الجيش الانكليزي في فلسطين شرع يزحف في الأغوار والأنجاد من تلك الأرض الحصينة الخالية من الماء، فاستولى في ١٢ ذي الحجة (١٨ سبتمبر) على خطوط الترك الامامية في جلجلة والطيرة وطول كرم وفي ١٣ منه تقدم حتى بلغ العقبة

وفي ١٤ منه بلغ بيسان وجنين ونابلس والسامرة وماجا ١٧٠ منه الا واحتلوا حيفا وتحتها سكا
وفي ١٩ منه احتلوا طبرية وسمخ وعمان وبلغ عدد من أسروا من الجيش التركي أربعين ألفا
ولم نسف في أثناء ذلك بمقاومة تؤثر، ولا بعد من القتل يذكر، وازالوا يوغلون في ولايتي
سورية وبيروت شمالا من الجانب الغربي، وبما ذهب جيش الأمير فيصل العربي من الجانب
الشرقي، حتى دخلوا دمشق في ٣٠ منه وكان الترك قد أجلا عنها وتألفت فيها حكومة مؤقتة
ولا شك في أن الترك قد قرروا ترك سورية كلها لاهلها لانكاش الى بلادهم التركية
تميدا لطلب الصلح. واذا يئس الانحداديون من ولايتهم العربية فانهم يفضلون
بعضا لاعدائهم أو تركها لهم غنية باردة على ابقائها لاهلها العرب كما معروف
عنهم، ولكن الامر لم يبق في أيديهم، فهم قد قتلوا أنفسهم وقطعوا أوصال سلطتهم
(امبراطوريتهم) بسيف العصية الجنسية الذي سلوه على غير الترك من الاجناس
أما أخبار الصلح ومقدماته فأولها ان لنسة نشرت في ثاني ذي الحجة مذكرة رسمية
في عاصمتها بينت فيها انها أرسلت الى الدول المتحاربة اقترحا تدعوم فيه الى ارسال
مندوبين من كل منهم الى بلد من البلاد التي على الحياد للمفاوضة السرية في أمر
الصلح وتمهيدا للسبل الى الاتفاق الممكن في ذلك. وفي ٢١ منه عدنا أن الحكومة البلغارية
طلبت الصلح وعقد الهدنة وأن رئيس وزارة هذه الحكومة عرض الامر على معتمد الولايات
المتحدة فأشار عليه بوجوب قبول شروط الحلفاء - الهدنة بدون بحث لاهم يريدون بالشدة
فيها إلا من كل خطر في المستقبل ولكنهم يراعون في شروط الصلح العدل والانصاف على
قواعد الجنسية وقيل نصحه. وروت البرقيات أيضا ان المتمدن سافر الى مركز قيادة
الحلفاء وحضر توقيع الهدنة وان الترك سيحذون حذو البلغار
ولم يتقضى اليوم الاخير من ذي الحجة الا والبرقيات العامة تتلاقى في جوا
ارواء العالم بأن الدولة الالمانية فضها خاطبت الرئيس (ولسن) برغبتها ورغبة
حليقتها النمسة والتركية في الصلح على الاصول والشروط التي وضعا هو. فسبحان
محول الاحوال، ونسأله أن يحول حالنا الى أحسن حال

(تصحيح أخطاء) سقط جملة من التفسير موضعها وأواخر السطر ٢٠ من

٢٦١ من المجلد التاسع عشرين في أن نكتب إزاء موضعها من الحاشية وهذا نصها :

﴿ وذل عنهم ما كانوا يمترون ﴾ أي وغاب عنهم ما كانوا يحتفلون في الدنيا من كون معبوداتهم تشفع لهم عند الله أو زلت الميودات نفسها عنهم فلم تهتد إلى الشفاعة لهم سبيلا. وطلب ما لا يقل منها كالا صنام فغير عنا بما للقيح ولأن أكرم ما كان يعبد في حامة أوقاته فبرها .

جملته « أو فاع أصاب حيا دعا له » في ص ٢١ ص ٣٣٢ م ٢٠ م على قبل جملة « أو فاع أصاب عدوا دعا عليه » في ص ٢٢ بمله

صفحة	سطر	ذما	صواب	منفعة	سطر	خطأ	صواب
١٤٨	٢٥	عالم	الاعمال	٣٨٦	٢٢	خنة	أوبئة
٣٤٢	٣٠	ماني	على ماني	٣	٢٣	سماؤهم	أسماؤهم
٣٤٢	٢١	ليفسد	ليفسد فيها	٣	٢٤	بشر وادريس ولوط البشر وادريس	
٣٦٦	٢	دون	حال دون	٣٨٢	١٧	مبتدئا	مبتدئا
٣٧٦	٦	الاحكام	من الاحكام	٣٩٠	٧	مختلف	مختلف
٣٧٩	٦	واذا	واذ	٣٩٤	٨	واحد والتزمذي	والترمذي

خاتمة المجلد العشرين

بحمد الله تحتم المجلد العشرين من المارة وله الحمد والشكر على نعمة التوفيق والثبات، وقد جعلنا أجزاء هذا المجلد عشرة كالأجزاء المجلد الذي قبله، ولكننا اضطررنا إلى تصغير حجمها من الجزء الخامس وما بعده، لأن الحرب اشتد غليان سبورها، وجميع الأشياء اشتد غلا سبورها، وقد ذكرنا في أول خاتمة المجلد السابق أن ما كنا نشتره من الورق بمئة صار ماسره ٥٠٠، أو ٥٠٠، وقول في هذه الخاتمة أنه تضاعف بذلك إلى ١٠٠٠ إلى ١٦٠٠ السعر الأول فقد علمناه بأفضائه، وأما السعر الآخر فبأقل البناء، وقد غلت أسعار الأشياء أيضا حتى الأغذية لوطية التي يتناغمها في الجزء الثامن قلنا العذر في تصغير حجم المارة من عدم الزيادة في قيمة الاشتراك، وقد فضل مثل قلنا أصحاب المراتد والمجلات في جميع الآفاق هذا وقد أخرنا البدء بهذا الجزء الأخير إلى شهر ذي الحجة كما أخرنا ما قبله من أجزاءه^(١) وأجزاء ما قبله من سني الحرب فأدغمنا في سنينا الأربع سنة من سني النار إذ لم نصدر في هذا السنين الأربع إلا ثلاثة مجلدات، وبذلك واقت مجلدات المارة عدد

(١) قد صدر ما قبله في أول سري السنة كما علم من آخر خبر في الجزء التاسع

ضحية الشمسية في الجملة ، وذلك ما توقعناه في خاتمة المجلد التاسع عشر من تأثير استمرار الحرب ، فقد صدر أول عدد من سنة التار الاولى في ٢٢ شوال من سنة ١٣١٥ ووافق ذلك منتصف الشهر الاول من سنة ١٨٩٨ الميلادية . فعلى هذا يكون قد تم لنا المجلد العشرون في السنة العشرين الميلادية ولكن قبل تمامها

والمرجوا أن يتم الصلح العام بين الامم المتحاربة في العام الذي نستقبله ، وان ييسر لنا فيه أن نزيد في حجم المجلد الحادي والعشرين ، وان كان لا يرحى أن يعود عن الورق الى ما كان عليه قبل الحرب الابدسين ، فان عود الرخص الى المصنوعات بما يكون باندرج البلي .

الانتقاد على التار

ورد علينا في هذا العام ذلك الانتقاد الطويل على (ذكرى المولد النبوي) وقد نشرناه برمته في الجزء الثامن والرد عليه في التاسع والعاشر وبقي له بقية تنشر في السنة الجريدة وورد علينا انتقاد آخر لمآلة أبوي النبوي صلى الله عليه وآله وسلم وعنه أبي طالب التي ذكرت استطرادا في الكلام على أبي ابراهيم الخليل (من) من هذا المجلد . فالتاقد من بمزمون نجابة الابوين الشريفين وأبي طالب خلافا لما روي في الصحيحين وغيرهما ، وكل ما ذكره في مسألة الابوين قد تقدم في بحثنا ، وأما ايمان أبي طالب فالتاقد علينا عدم ذكر ما ورد في ايمانه من الروايات الضعيفة ولم يكن الكلام في ترجحه قد توفي كل ما جاء فيه ، وانما كان في بيان حكمة ما ورد في كتاب الله وحديث رسوله الصحيح في معنى التمسح بكفرا أبي ابراهيم (من) وقد صرحنا بحظر اعتداء بيان النصوص وحكمها ، وأحكامها في ذلك الى ما يند ايفاها للرسول (ص) أو لاحد من أهل البيت الذين من ذريتهم ، وان أقوى ما يستدل به على نجابة الابوين الشريفين في الآخرة وأرجاه هو ما ورد في امتحان الله تعالى لامل الفترة في الآخرة ونجاة بعضهم به ، ومن أجدر منهما بذلك ؟ وتسمى أن نجد أدلة أقوى من هذا ، فان وجدنا شيئا نشرناه مغبوطين ، والا سكنتنا مؤمنين مفوضين ، ولا نزاح الى الرد على المتكرين ، فحسبنا بيان ما ظهر لنا أنه الحق المبين ، وهو خلاف ما نهوى فسا نحن لهوى بتممين ، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائز ولو شاء لهداكم أجمعين) وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

﴿ فهرس عام لجميع المواد التي وردت في المجلد العشرين ﴾

ما وضع بين قوسين فهو عنوان في الاصل

صفحة	صفحة	1
الامان. كرمهم بروس والرومان ١٧٨ دعوتهم للصالح ٢٤٦	الاحاديث في التصور والصور ٢٢١ احاديث الحج (في مطالها)	آلماني (من) مسألة ابائهم ٢٥٤ آثار الاعياء ٤ وزيارتها ٣٥٣ الآخرة. النجدة فيها بالابان والعمل دون التدبيرة والتفاحة
أمريكة والحرب ٤٨ و ٤ أم القري. اطلاقه على مكة ٤٢٠ الامم. حريتها ٤٨ و ٦٠ الامة الاسلامية (راجع للمدون)	(الاحرام بالحلم وتندر حال الى عرفات) ١٥٦ أحمد صلت. دعوتها الى ابطال أصول الشرية ٤٠٥	١٨٦ و ٢٦١ و ٣٣١ آدم . دليل نبوته ورسالته ٣٨٧ آزور. اسمه وكفره ٢٥٢ و ٢٦٠ آلهة السكندانيين وتالوتهم ٣٠١ آل البيت . الصلاة عليهم ٣٩٦
• تثيل قصصهم ٣١٢	الارمن ٤٦ و ٥١ الازهر . شيخه الجديد ١٦٥ الاسباب ١٣٠ و ٣٣٢ الاستاذ الاحام مابذبه العام ٤١٣ استقلال الشعوب وأنوار الدول	• بدعهم عن الرياسة والحرب ٤٠٢ • مودتهم وروايتهم ٣٩٤ آل ياسر. أصلهم وتقتديهم ٤٠٠
الانصار. نصرهم وغنائمهم ٤٢٣ الانكليز. حريمهم السياسية ٢٠٢ أردهم على اقتراح ولسن للصالح ١٩٩ غرضهم من الحرب وتأويلهم للقسم وعدمه ٥٠ و ٥٥ ومسألة سورية وفلسطين ٥١ و ٢٠٥ أهل السنة من مم ٢٦٨	فيه ٤٨ — ٦٠ و ١٩٩ و ٢٤٦ (استقلال ألبانية) ٥٨ استواء الشياطين ٢١١ (الاسرائيلون وفلسطين) ٢٠٥ الاسرائيليات ٢٥٢ الاسلام والكنيسة ٣٨٦ و ٤٢٩ • اصلاحه في أحكام الرق ٢٠ • وعصية المجلس ٤١	الى وادي. كنيسة ١٢٤ • احتجاجية دعائه لكسة ١٢٦
(الأمم في لياليها) ٣١٦ الايام المدودات والمطلقات ٣١٦ إيطالية . غايتها من الحرب ٥٧ وحاية ألبانية ٥٨ تفسير وزيرها لاستقلال الشعوب ٢٤٧ الايمان بالرب اجالا وتقميلا ٣٨٥	• بسر ٢٧٥ الاصلاح الانساني وادعياؤه ٣٤ و ٤٠	— ٢٦٦ و ٢٨٩ و ٣٠٦ إرسال كعب الانسان له ١٨٥ أبو طالب. موته والتفاحة له ٢٦٥ و ٢٥٩ الاتحاديون ٣٥ و ٤٠ و ٤٥٠ و ١٩٦ و ٢٨٤ و ٤٤٠ الاجام. رفضه لتقريبه له ٤٣٢
ب-ت	(اقتراح عظمى في الاصلاح الاسلامي) ١٣٧	
البابا . دعوتها الى الصلح وود		

صفحة	حديث	صفحة	حديث
٤٢٥	ابن اعطى رجالا عديني عهد بكفر	١٠٣	ابطالها ٢٥٠ - ٣٩٥
٢١٥	خرافة	١٠٩	الدول عليها
٠٨٣	خلق الله آدم على صورته	٣٦٢	بحرة بين جدة ومكة ١١٢ ومكة ١١٢
٤٠٠	خياو كفي الجاهلية الج	١٠٣	اليدع استصاها وزعاما وويلة
١٨١	رضع عن أمي الخطأ	١٠٣	ابطالها ٢٥٠ - ٣٩٥
٣٨٧	الشفاقة	١٠٩	الدول عليها
١٦	حق النبي عن قسه	٣٦٢	بحرة بين جدة ومكة ١١٢ ومكة ١١٢
٤٢٥	من الانصار	١٠٣	اليدع استصاها وزعاما وويلة
٤٠٠	موت أبي طالب	١٠٣	ابطالها ٢٥٠ - ٣٩٥
٤٠٠	الس تبح لقريش	١٠٩	الدول عليها
٤٢٣	بأمر الانصار	٣٦٢	بحرة بين جدة ومكة ١١٢ ومكة ١١٢
١٢٨	الحرب أهم أحداثها	١٠٣	اليدع استصاها وزعاما وويلة
٤٤٤	التصل فيها	١٠٣	ابطالها ٢٥٠ - ٣٩٥
٤٨	غائبها والراضهم منها	١٠٩	الدول عليها
٣٦٤	صائبها	٣٦٢	بحرة بين جدة ومكة ١١٢ ومكة ١١٢
٢٤٦	الحرب والصلم ١٩٩	١٠٣	اليدع استصاها وزعاما وويلة
٤٣٧	حسن جلال بانها تزجت	١٠٩	الدول عليها
١٨٨	حكم تارك الصلاة	٣٦٢	بحرة بين جدة ومكة ١١٢ ومكة ١١٢
٣٩٩	ان الله اكرم امي بالاولوة	١٠٣	اليدع استصاها وزعاما وويلة

ج - خ

جبل الرحمة وصورة ١٩٦ و ١٩٨
 (حرمي زيدان) كتاب ٣٦٧
 المرح والجوارح ٨٧
 الجمار . أصلها لغة ١٧٧
 الجنة . ما يشترط من المدد لا قامت
 ولي مكان إقامتها ووقتها ١٠٥
 جنية الاعاد والترقي (راجع
 الاتحاديون)
 (الشورى النهائية ٤٠
 الجي . أنوعها وعلاقتها بالناس ١٨٠
 و ٢١٤) راجع الشيطان
 (الخالة الرومية والمالك ١١٩)
 (الخالة البائية في الجوز ٢٧٨)
 الحبر . عبادة روحية مدنية اجنبية
 وحكمة مناسكه ١١٩ و ٣٣٥
 الحجاز . استقلاله ٤٦
 حكومته وحالاتها ٢٧٨
 الحبر والصخر والسمي ١١٤
 الحبر الاسود حكمه استلامه ١٢٢
 الحديث . ربيته ملكة البلاغة ١٤٦
 ارم فداك أبي دمي ٤٢٦
 اعطيت خسا ٣٨٨
 الا ترضون ٤٢٥

٢٠٦ . ما قيل فيها ١٦٦
 البلاغة . بحصيل . مكتبا ١٤٧
 (التحول في ميدان الحرب) ٤٤٤
 التربية في المدارس الاجنبية ٣٦٨
 الترك والعرب ٣٦ - ٤٧ و ٦٠
 ١٦٦ و ٢٨٣ و ٤٤٥
 الترمس أو الترموس ١٠٩
 تصحيح غلط ٤٤٦
 التصوير واخذ الصور وصنها
 وحكمها وفوائدها ٢٢٠ و ٢٧٠
 تعليم اللغة وطريق تحصيلها ١٤٧
 التفريج . علاج مفاسده ٤٣٦
 (منها . وأنواعه ٣٤٠
 التقدير (في أوائل الاجزاء)
 التقليد . تأويل أهله للنصوص ١٧٢
 (وكونه ليس بضر ٣٣٠
 التلبه في الحبر . تأثيرها ١٢٠
 الخافيل ٢٢٠ و ٢٣٠
 ٢٦٢ و ٢٧١
 تماثيل القلب والحواس ٢٢٣
 التمثيل وحكم اشتغال السلة به
 وادخال قيمس الانبياء فيه ٣١٠

الفئة . طريق تحصيلها ١٤٧

<p>٣٦٤ (مصائب الحرب) ٣٦٥ للمصريون ، لمرامهم المتفرقة . أثر التوبة والاسلام ١٣ مفاتيح النيب . وكونها لا يعلها الا الله وتسميها بالحقس التي في آخر لقمان . وما يرد عليه ٦٦ (مقدمة ذكرى المولد النبوي) ٣٢٢ مكة تضيافته الناس لما ١٢٦ « متاننا وحالتنا فيها ١١٧ و ١٥٠ » « وصف شوارعها ومدانها وخطارها والاشقاء منها الى غرة ١٥٧ » « للائمة . لا تدخل بيتا فيه كتاب سورة ١٢٣ ٢٢٩٥ » « الموكولون بالاعمال والتدبير ٩٦ » الملك الظفر . احتفاله بالولد ٣٢ « المتار . الاتقاد عليه ٤٢١ و ٤٤٨ » « فورة صاحبه ٤٠٨ » « رأي الازهر من فيه ٥ » « خاتمة الحج - العشرين ٤٤٧ » « قاعه سنته . واجمال دعوتها ١ » المتاسك . الخلة الروحية فيها ١٢٠ من . اباها ولباليها وصورتها ٢١٦ « ومتاسكتا وشؤوننا فيها ٢٤٥ » « و ٢٧٧ - ٢٨٠ » المولد النبوي . حكم الاحتفال به وامثاله من البدع ٢٣ المؤمن لا يخاف ويرجو غير الله ٣٣١ « النية . الاستفادة بحسبها ١١٩ »</p>	<p>٣٦٤ (مصائب الحرب) ٣٦٥ للمصريون ، لمرامهم المتفرقة . أثر التوبة والاسلام ١٣ مفاتيح النيب . وكونها لا يعلها الا الله وتسميها بالحقس التي في آخر لقمان . وما يرد عليه ٦٦ (مقدمة ذكرى المولد النبوي) ٣٢٢ مكة تضيافته الناس لما ١٢٦ « متاننا وحالتنا فيها ١١٧ و ١٥٠ » « وصف شوارعها ومدانها وخطارها والاشقاء منها الى غرة ١٥٧ » « للائمة . لا تدخل بيتا فيه كتاب سورة ١٢٣ ٢٢٩٥ » « الموكولون بالاعمال والتدبير ٩٦ » الملك الظفر . احتفاله بالولد ٣٢ « المتار . الاتقاد عليه ٤٢١ و ٤٤٨ » « فورة صاحبه ٤٠٨ » « رأي الازهر من فيه ٥ » « خاتمة الحج - العشرين ٤٤٧ » « قاعه سنته . واجمال دعوتها ١ » المتاسك . الخلة الروحية فيها ١٢٠ من . اباها ولباليها وصورتها ٢١٦ « ومتاسكتا وشؤوننا فيها ٢٤٥ » « و ٢٧٧ - ٢٨٠ » المولد النبوي . حكم الاحتفال به وامثاله من البدع ٢٣ المؤمن لا يخاف ويرجو غير الله ٣٣١</p>	<p>٣٦٤ (مصائب الحرب) ٣٦٥ للمصريون ، لمرامهم المتفرقة . أثر التوبة والاسلام ١٣ مفاتيح النيب . وكونها لا يعلها الا الله وتسميها بالحقس التي في آخر لقمان . وما يرد عليه ٦٦ (مقدمة ذكرى المولد النبوي) ٣٢٢ مكة تضيافته الناس لما ١٢٦ « متاننا وحالتنا فيها ١١٧ و ١٥٠ » « وصف شوارعها ومدانها وخطارها والاشقاء منها الى غرة ١٥٧ » « للائمة . لا تدخل بيتا فيه كتاب سورة ١٢٣ ٢٢٩٥ » « الموكولون بالاعمال والتدبير ٩٦ » الملك الظفر . احتفاله بالولد ٣٢ « المتار . الاتقاد عليه ٤٢١ و ٤٤٨ » « فورة صاحبه ٤٠٨ » « رأي الازهر من فيه ٥ » « خاتمة الحج - العشرين ٤٤٧ » « قاعه سنته . واجمال دعوتها ١ » المتاسك . الخلة الروحية فيها ١٢٠ من . اباها ولباليها وصورتها ٢١٦ « ومتاسكتا وشؤوننا فيها ٢٤٥ » « و ٢٧٧ - ٢٨٠ » المولد النبوي . حكم الاحتفال به وامثاله من البدع ٢٣ المؤمن لا يخاف ويرجو غير الله ٣٣١</p>
<p>١١٣ هندي . امامتيم ٤٠٨ (الحاء آل رضا)</p>	<p>١١٣ هندي . امامتيم ٤٠٨ (الحاء آل رضا)</p>	<p>١١٣ هندي . امامتيم ٤٠٨ (الحاء آل رضا)</p>

٥٠٠ ن

« تباة في احمدوتين ٤٧٣ يوسف الزواوي ١١٨ (ن) »

Bibliotheca Alexandrina



0551743